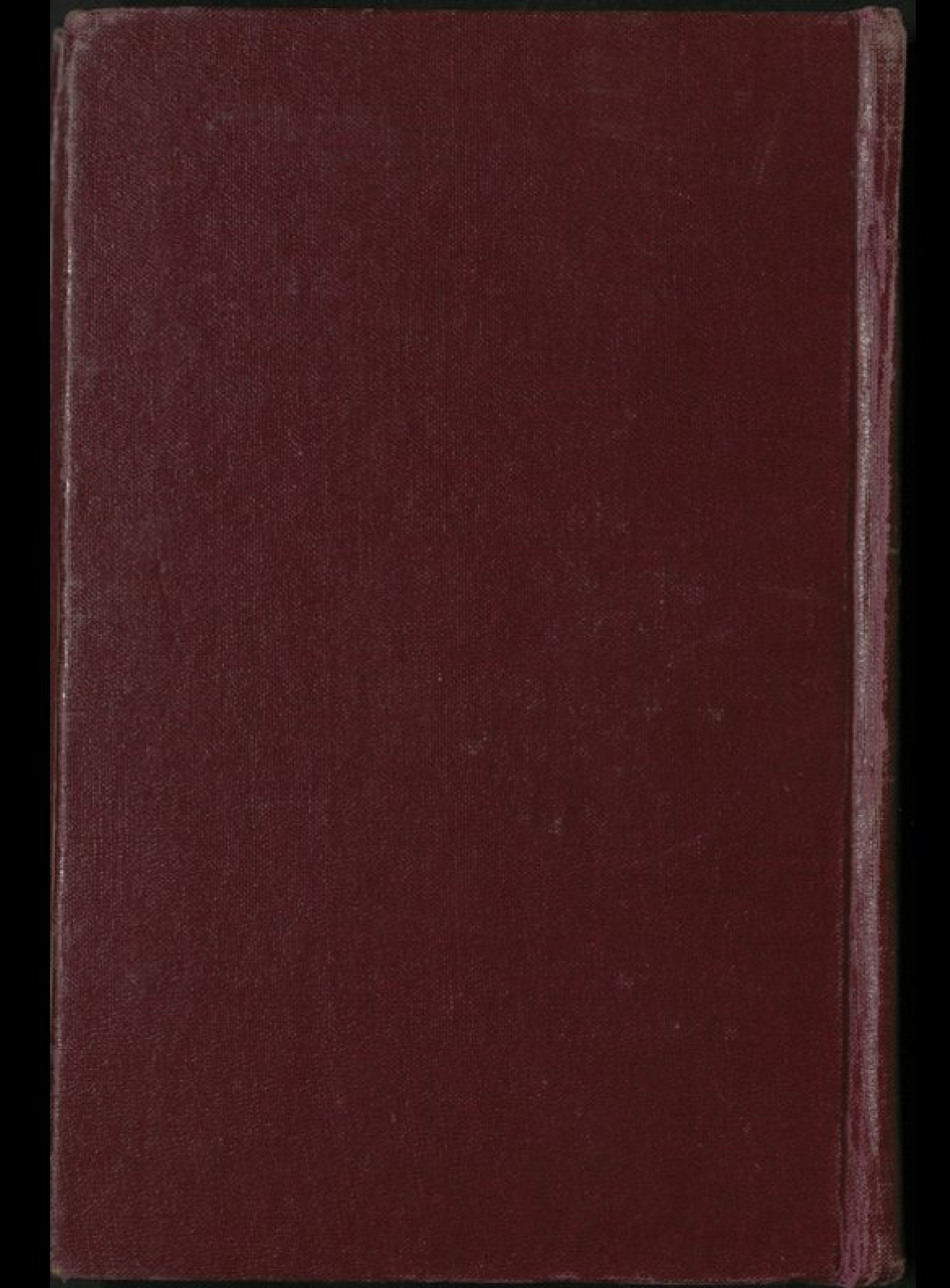



AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

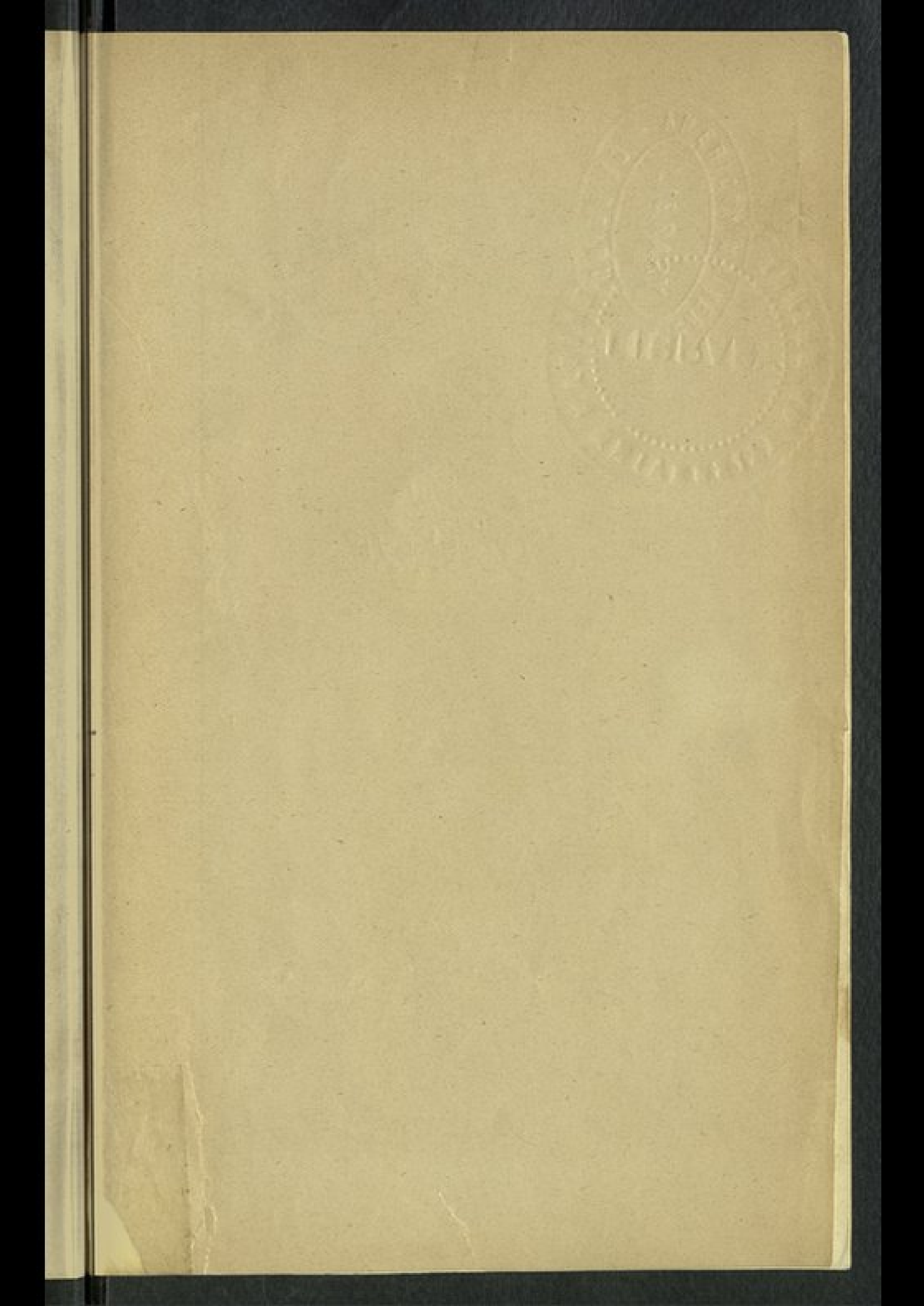
مجمع المسرات

تأليف

الدكتور
شاكر بك الخوري

استاذ الاكلينيك الرمدي والجراحة الصغرى في المدرسة الطبية الافرنسية في بيروت سابقاً . وطبيب اول لمستوصف راهبات المحبة في بيروت ، وعضو في الاليانس الفرنساوي سابقاً . وطبيب سكة الحديد من بيروت الى حوران وبرجيك سابقاً . ورمدي جملة مدارس . مؤلف تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب . وكتاب نايب الطبيب . وكتاب صحة العين . وجملة نشرات علمية . حامل النيشان المجيدي الرابع والعثماني الثالث . ونخلة الاكادمي الفرنساوية ونيشان مجلس المعارف الفرنساوي
الخ . الخ .

طبع في مطبعة الاجتهاد * يوسف غنام ثابت * بيروت
١٩٠٨





لا بدَّ من وبَّختُهُ	لقباحةٍ يُبدي الغضبْ
او من مدحتُ قريبَهُ	بزيادةٍ عنهُ ازورَّ بْ
مهما فعلتُ فانَّني	ما بينَ قومي في عتبْ
لي اِسوةٌ بمسيحنا	فأقامَ ميتاً وانصلبْ

الدكتور

شاكر بك الخوري



بعد حمد من براني أحمد



ظله الاكرم وخليفته الاعظم

ولد جلالته في ١٦ شعبان والهلال بدر

لعثمان الهلال غدا شعاراً · شعارٌ يرفع الانسان قدرا

ومذ عبد الحميد انار ارضاً · وشاهده الهلالُ فصار بدرا

اليكم برهاني كيف كانت المملكة هلالاً واصبحت بدراً موضحاً التقدم الذي انصلت اليه المملكة العثمانية في عهده وكيف رقيت الامة سلم العلوم والمعارف وكيف ازدادت المدارس والجوامع والكنائس عدداً وكيف عم الامن المملكة فترى الراحة مستتبة في كل انحائها عكس ما كانت عليه قديماً من الاضطراب بين الاهالي

واهم معجزة لسلطاننا المعظم هي السكة الحجازية والسكك الحديدية الاخرى التي عمت المملكة وقبل تبوءه العرش لم يكن خط حديد في كل انحاء السلطنة واذا اردت تعداد اعماله العجيبة لا تقتضني مجلداً بقدر تأليفي هذا ولا ابالغ اذا قلت ان كل دقيقة من حياته له فيها عمل صالح لنهوض المملكة العثمانية وعلى ذكر العثمانية اقول

كل مملكة من الممالك تحمل اسم بلادها فتنسب اليها كفرنسا وانكلترا والصين واليابان الا مملكتنا العثمانية فانها تنسب الى عثمان جد هذه العائلة وذلك لاعتباره فاتح البلاد ومالكها والقابض على زمام الحكم فيها وما من بدر بيضاء تذكر في فتحها الا

له ولاسرته ولما كان هذا الفتح غير محصور في مملكة واحدة لتدعى باسمها بل عم ممالك كثيرة تحتم ان يطلق عليها اسم العثمانية اقراراً بجميل الفاتح وجمعاً لشتات اممها المختلفة الاجناس والاسماء · والمملكة العثمانية مؤلفة من ممالك الفينيقيين والمصريين والكلدانيين والاشوريين والعرب وممالك اسيا الصغرى والبزنطيين الخ وكلها تنتهي الى عثمان جد هذه الاسرة المالكة ومن هنا نعرف ونتأكد اننا نحن العثمانيون نسمى باسم الاسرة المالكة ورعايا السلطان والخليفة الاعظم

الخلافة العظمى

اولاً اذا اعتقدنا ان كل من موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام هم انبياء الله وانهم اتوا وماتوا ودفنوا في المملكة العثمانية وان قبورهم مكرمة ومحافظاً عليها فيكون السلطان العثماني هو ذلك المحافظ والموكل من قِبل الباري عليها فوكيله خليفته

ثانياً عدا عن قبور هولاء الانبياء العظام نرى قبور جميع الانبياء من كل ملة ودين فقبر آدم ونوح واولادهما وقبور جميع انبياء بني اسرائيل والصحابة والخلفاء والسلاطين العظام في مملكته وهو المحافظ عليها بعين لا تنام وطرف يسهر عَلَى راحة رعاياه

ثالثاً نرى كل اصحاب المذاهب وروسائها الاحياء كبطاركة واساقفة ومشايخ طرق وحاخامات وغيرهم من زعماء المذاهب والامم التي لا توجد الا في مملكته هم جميعاً من رعاياه وهو يحافظ عَلَى رئاستهم وحقوقهم ومهما اختلفوا في اعتقاداتهم الدينية بحيث يحكم الواحد منهم بهلاك الكل والكل يحكم بهلاكه فهم مجتمعون عَلَى الاعتقاد بصحة طاعتهم وخضوعهم لسلطاننا الاعظم · أوَليس هذا من فضل الله

رابعاً اذا اعتقدنا حسب التوراة ان الانهر الاربعة سيحون وجيحون والدجلة والفرات خارجة من الفردوس الارضي فتكون مملكة سلطاننا هي الفردوس فمن اعتناء الباري تعالى في هذه المملكة نرى انه اعطاها لخليفته لانها وطن انبيائه واذا لم تكن مولد الكل فالكل زاروها واتوا اليها ولم يسموا انبياء الا بعد زيارتهم لها وهذه الارض هي التي عرف فيها البشر الخير من الشر وفيها انشئت القراءة والكتابة وسفر البحار والتجارة ولبس الارجوان وعمل الزجاج وهي اساس كل تمدن

والارض التي تفيض لبناً وعسلاً مثال الجنة وهي ارض بيسان التي فتحتها الان سكة الحجاز بهمة سلطاننا المعظم فكل من يوءمن بهولاء الانبياء يلزم ان يقول معي هذه الجملة التركية التي لا اعرف غيرها من هذه اللغة وهي

بادشاهم جوق ياشا

وعندما افتكرت ان اجمع الحوادث التي مضت لافرق بين حالتينا القديمة والحالية كنت قد دست الدرجه الستين من سلم الحياة واصبحت من عداد الراحلين فالتفت الى الوراء لارى ما لاقيت في هذه السنين واذا انا بهاوية عظيمة وتذكارات اليمة تذكرني بما قاسيت فهالني ما رأيت فرسمت امامي خريطة ايامي ونظرت تلك المدارس التي دخلتها وتلك العلوم التي تعلمتها وكم صبرت على جور معلم واستاذ وكم جبال صعدتها وكم اكلة اكلتها وكم تعب تعبته حيناً جلبتها وكم من ملق عاشرتها ومن عادات تعودتها وكم جالست المرء من والكافر والمقيم والمسافر والثقيل واللطيف والمرتكب والعفيف وامر من كل هذا ان اقول للمرتكب عفيف وللوسخ نظيف وكم قطعت براً وخضت بحراً وكم من يد قبلتها وهي اولى بالقطع وكم من خد لثمته وهو اولى بالصفع وكم وكم قضيت في حياة ماضيها اجل وحاضرها عمل ومستقبلها امل فلو عرض عليَّ الباري بان يخلقني ثانية ويعيد عليَّ كما قضيته فوحقه لا اقبل وان قبلت يحرق ....

وقد راجعت كل هذه السنين وليس معي مفكرة غير ذاكرتي فكنت اسرد كل سنة من سني حياتي مبتدئاً من الثالثة واعيد على ذاكرتي كما سمعت وقلت وعملت ونظمت وهكذا حتى تجمع لديَّ هذا الكتاب وحذراً من ضياع هذه الافكار كنت احررها بكل سرعة غير مراعٍ اللغة والقواعد الشعرية متكلاً على اصلاحها فيما بعد وقد تعبت جداً في تنظيمها مراعياً فيها موافقــة السياسة والدين والاداب فكنت اكتب وامحي واحذف واراجع مرات كثيرة حتى يرتاح فكري الى نشرها ولم آخذ موادها من نسق قديم كتأليف قاموس او قواعد نحوية او حسابية بل خلقتها من فكري الخاص ولا اظن التاريخ يذكر رجلاً واحداً مرت عليه جميع هذه النكت وخلق كل هذه المعاني مع اشغاله في الطب وعلمه ومداواة المرضى وتربية الاولاد

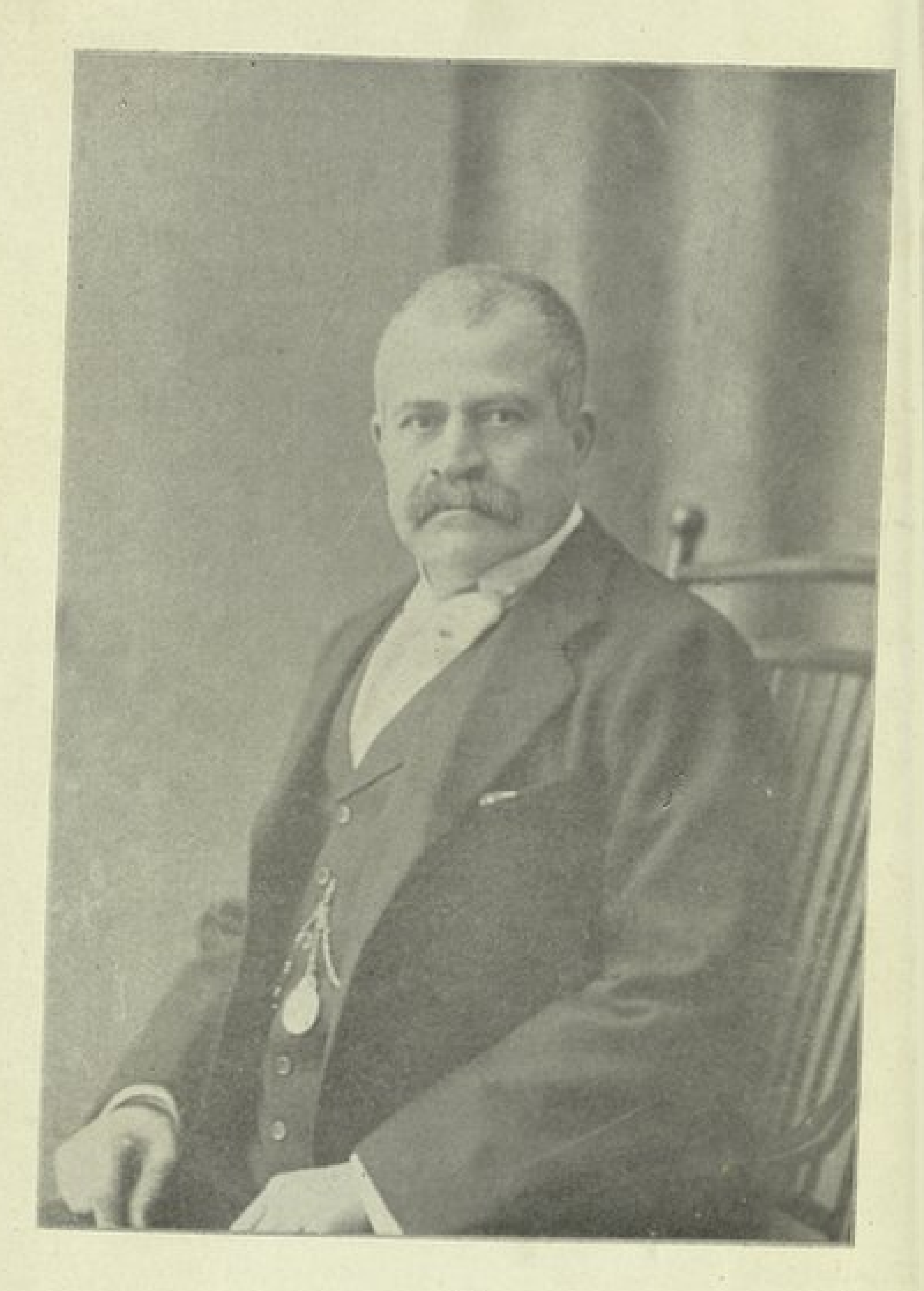
وادارة الاملاك ورد العداة ومزاحمة المعاشات الخ. ولما كان طبع هذا الكتاب في مصر وكلت الى من يدعي معرفة اللغة والشعر مناظرته فلم يأتِ بالمقصود وقد عرفت ذلك سلفاً ولذلك عملت هذه المقدمة لهُ وهي :

مقدمة المؤلف

لست مقدماً كتابي هذا الى صرفيٍّ تشغله العلة والنقص * ولا الى شاعرٍ يلذ له الزحاف والوقص * ولا الى منطقيٍّ تضبعه الكبرى والصغرى * ولا الى فيلسوف وهناك الداهية الكبرى * ولا الى لاهوتي يقسمه الى مميتة وعرضية * ولا الى لغويٍّ لم يسمح له سيبويه بانها عربية * ولست مادحاً قسيساً لانال البركه * ولا سياسياً ليكف عني الحركة * ولست متعرضاً لاية سياسة كانت دينية او مدنية لانني لست ممن يفحص كلف الشمس بالعين العارية ويعرّض نفسه للعمى بلا فائدة * لكنني اعتبر كل من يُعتبر وادفع ما لقيصر لقيصر واكرم كل من علا وكل من على مذبح استوى * فالصورةُ عند مصورها يرميها في الارض ومتى علت يقدم لها الفرض * والهيئة الاجتماعية تخفض وترفع وكل عاقل الى اوامرها يخضع

فما كتابي هذا الأ قصة ما رأيت وما روي لي وما اجريت وما جرى لي * فهو صورتي الادبية يافعاً وصغيراً وشاباً وكبيراً مشيت بالطريق حسب الرفيق ادفع له نفس العملة واحمل عنه نفس الحملة كريم مع الكريم * بخيل مع البخيل * كتبته بلغة ليست محتاجة للفيروزبادي ولا قصدت فيه مدح الصديق ولا طعن الاعادي بل مدحت الفضيلة وقدحت بالرذيلة بقطع النظر عن الفاعل لانه زائل * ولا قصدت بهِ الفلسفة والفصاحة بل كتبت ما كانت اليهِ النفس مرتاحة * ولا طمعت بنيل الشهرة عند العموم لان شهرتي متعلقة بالقارئ فهو الذي يجعلني عالماً جاهلاً منصفاً ظالماً حسبما تطابق افكاره افكاري او كان بحالة توافق او تضاد اشعاري * ولست بطامع ان ينال القبول عند العموم فمن الان اقسم قارئيه الى اربعة اقسام الى صديق يطرب والى مصاب يضطرب والى عدو ينقهر والى حسود ينفزر والكل لهُ يعتبر

وقد حذوت به حذو الكتاب المقدس الذي يذكر عيوب الشخص وفضائله وهذا دليل عَلَى صدق قائله خالٍ من الغش والتمليق ولا آخذ بالوجوه والتفريق * لان



هذا هو

وهبي كرم

نادیت ربَّ العرش عند اقامتي   باسكندرية ناظرًا كل النعم
تلك التي قد خصَّها الباري بها   واقامها بين المداين كالعلم
فسألته يا رب اية نعمةٍ   اسمى مواهبكم ومن خيرَ الامم

ذكر
لا ي
ثا

توجد
المس
طبع
طبع
بتع

لاخ

ان
صا
ذلا
ونر
كل

ذكر العيوب ليس بعيب لكن استحسانها هو العيب * فلا شك ان من يستحسن العيوب لا يستحسن كتابي ولا كتابي يرضيه وانا لست اليه بمهديه ومهما كان لا بد له من شاكر والى هذا الشاكر يهديه شاكر

واخيرًا وجدت من اهدي لهُ كتابي وذلك بدون اختيار مني فهذه قصته عندما توجهت الى الاسكندرية قابلت الخواجه امين كرم واخبرته عن مشروعي بمجمع المسرات ورأى في الدفتر الذي بيدي اسماء المشتركين فاخذه وكتب فيه مصروف طبع الكتاب عليَّ (امين كرم) فافتكرت انه موهوم بكمية الكلفة فاجبته سيدي ان طبع هذا الكتاب يكلف نحو مايتين جنيه ربما تكون موهوم فاجاب بكل بشاشة ولم يتعكر وجهه ولا فرك حاجبيه (واذا كان) فعند ذلك حرر لي التحرير الاتي

جناب الدكتور شاكر بك الخوري

الرجاء ان تعتمدوا في طبع كتابكم مجمع المسرات عليَّ مهما كلف دوموا لاخيكم بالوطنية امين كرم

فعند ذلك رجوته ان يقبل مني هدية الكتاب فاهديته له ثم حرر الى المطبعة ان تسحب على محله جميع المصاريف التي اصادق عليها فصادقت على ثمانين جنيه الى صاحب المطبعة طانيوس عبدو في الاسكندرية بعد عمل كونتراتو بيننا قبضها وبعد ذلك اختلف مع شريكه في المطبعة وانتهت المسألة على ان الخواجه امين سامحه فيها وتركت الطبع عنده وفي هذه المدة خسر الخواجه امين خسائر عظيمة لكنه اصلح كل شيء وبقي شرفه محفوظاً وكل ذلك بسبب عملية الجبسين وعندما بلغني ذلك قلت

لقد خسر الامين كنوز مالٍ ولا بد له من ذي الخساره
اذا ابقى له الجبسين غرشاً فجود امينتا لم يبقِ باره
كريم بالخسائر كالعطايا وفي الحالين مرفوع المناره

ولم ازل للان اهديه كتابي ومجمع مسراتي

عائلة كرم

اصل هذه العائلة من طرابلوس الشام ولد جدها يعقوب ثلاثة اولاد سمعان

وجرجي ووهبي واول من حضر الى الاسكندرية وفتح محل تجاري هو المرحوم سمعان ثم تبعه الخواجه جرجي وسنة ١٨٥٦ حضر اليها الخواجه وهبي والد الخواجه امين

وهبي كرم

ولد في طرابلوس الشام ١٨٤٣ حضر الى الاسكندرية لمحلهم التجارى بالخشب المسمى سمعان كرم وشركاه سنه ١٨٥٦ وسنة ١٩٠٤ تحول هذا المحل الى شركة اسمها الشركة العقارية التجارية المصرية ذات اسهم· تزوج الخواجه وهبي سنة ١٨٦٩ بالسيدة سيدة ابنة المرحوم الياس زحلوط توفت بعد ١٣ سنة من زواجها ولد سبع بنين لم يبقَ منهم ذكور سوى امين وابنتين السيدتين نبيهة ولبيبه اللتان جعلتا صهرين للعائلة من اعظم الاصهرة فيليب بك فرعون التاجر الشهير والخواجه خلاط صاحب الادارة العظيمة· ومن تأمل في صورة الخواجه وهبي كرم يرى رسم الكرم

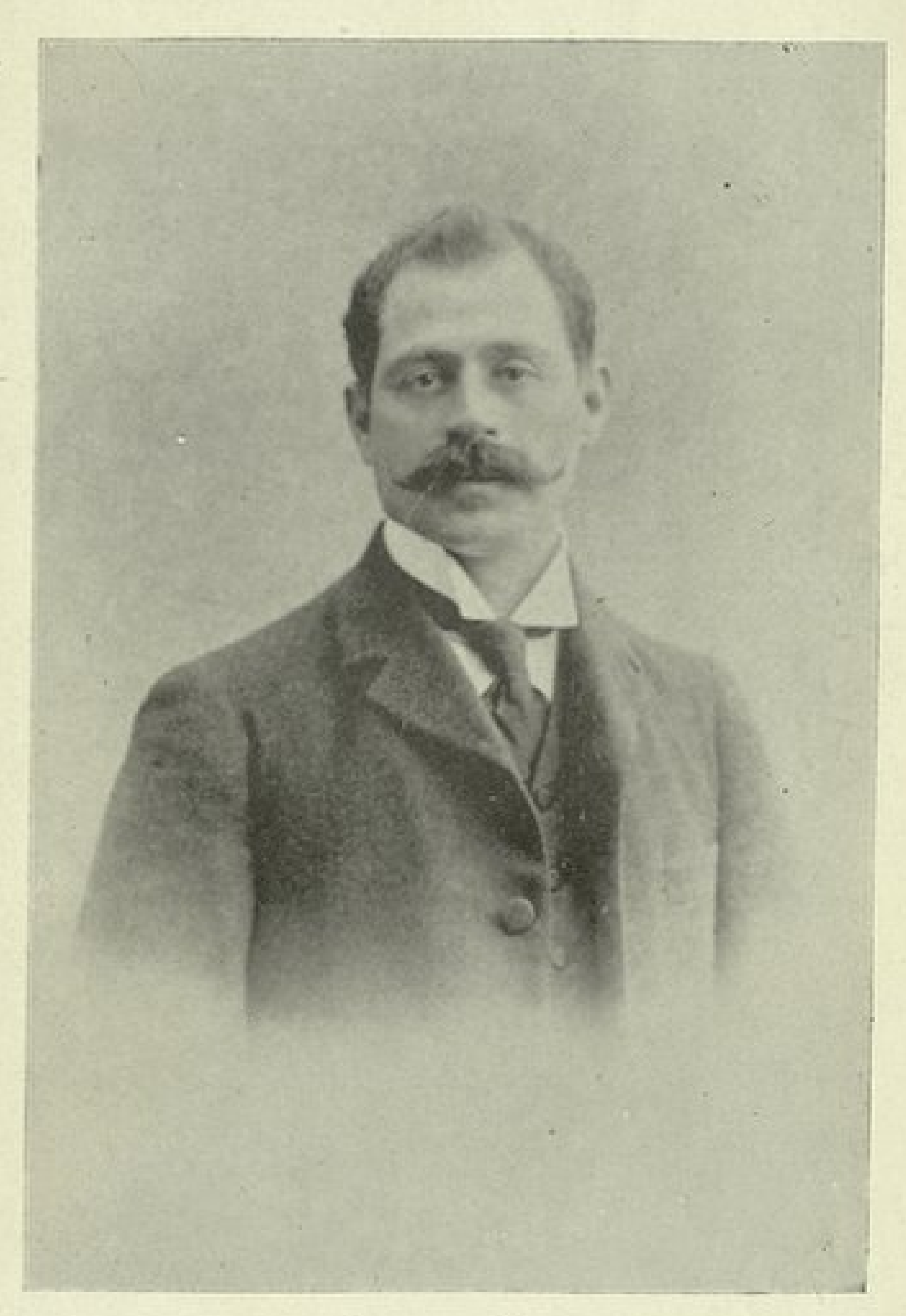
الخواجه امين كرم

الذي ولد سنة ١٨٧٢ تعلم في مدرسة الياسوعيين في بيروت ودرس الحقوق في باريز فكان نتيجة علم الحقوق ان بكرمه يهب جميع حقوقه فاصبح بغناء عن هذا العلم

وقد عرفت في بيروت الخواجه يعقوب كرم ابن المرحوم سمعان فهو كباقي العائلة بالكرم والانسانية ولم انل الشرف بمقابلة الخواجه جرجي الذي لاشك فيه ان له اوصاف الباقين

« المطبعة الجديدة »

قد افتكرت ان اطبعه بقطع اصغر وبالحرف الاول لسهولة القراءة فتصورت ان يكون ضخماً واعوذ بالله من الضخم ولكن الذي تجنبته من الكتاب وقعت به في المطبعة وقد وجدت انني سقطت على رجل اخر لا يلتفت الى الاغلاط الطبعية فكنت اسكت عنها املاً ان القارئ يقدر انها ليست من المؤلف وبقيت على ذلك الى ان وصلتني الصفحة ٣٩٢ سطر ٢٣ التي تقول (دخلت الحبس عوض دخلت المجلس) فالتزمت ان اشير اليها هنا وفي كراس اخر وجدته مسقطاً الواو من شاكر الخوري فجننت وارسلت حالاً ان يغير الكراس كي لا يظن انني شاكره



امين الكرم امين كرم

قد زارني عند الدجى حاتم　　من حولهِ قامت كرام الامم
فقلت مَن يا سادتي بعدكمْ　　وكلتمُ على السخا والشيم
فابرزوا عن جودهم صورةً　　قد خصَّها الله بكل النعم
وجاوبوا هذا مثال الذي　　من بعدنا اضحى امين الكرم

وجودي

في هذا العالم

اتيت من عالم لا اعرفه ودخلت اخر لست ادركه ونزلت من هذا العالم الجديد في قرية تدعى بكاسين من اقليم جزين من لبنان بسوريا الواقعة في قارة اسيا وهي من القسم الشرقي الشمالي للكرة الارضية وذلك دون مشورتي وعلمي واحساسي وارادتي وقد اخبرتني فيما بعد والدتي (والذي عرفني بها حليبها) انني اتيت الى الارض يوم الاحد صباحاً في الساعة الواحدة حساباً عربياً في ٢٥ تموز سنة ١٨٤٧ حساباً غربياً واخبرتني انها سرّت جداً لولادتي اذ كان قد مرّ عليها سبع سنوات لم ترزق ولداً وكنت اول ذكر اتاها فانتفى عنها عار العقم الذي كانت النساء تعيّر به حسب اصطلاح الشرقيات غير انها لم تسألني رأيي بولادتي على الارض وهل شاركتها بسرورها ام قد اثرّ عليَّ تأثيراً آخر لانني انما استقبلتها بالصراخ والبكاء والجوع فارضعتني ثديها فرضعت حليبها وبلعت وهضمت ونمت ثم قمت من دون ان يعلمني احد ذلك ولم ازل للان اعمل هذه الاعمال ورغماً عن معارفي وعلومي وفلسفتي ودراهمي واملاكي لم استطع تغييراً او تنويع ما عملته في اول دقيقة من وجودي في هذه الدنيا وبالعكس كانت الحالة حينئذٍ اسهل عليَّ مما هي الان لان والدتي كانت تأتيني بالغذاء وانا لا همَّ لي اما الان فانني مضطر للسعي ورآءه والتعب للحصول عليه

لعن الله لذةً لاذاننا نالها الامهات والاباء
نحن لولا الوجود لم نألم الــفقد . فايجادنا علينا بلاء

فينتج مما تقدم ان وجودي على الارض واتخاذي وطناً في بقعة منها ووالدين انما كان دون علمي ولا مشورتي ولست مسؤولاً عنها عدلاً وكذلك من وضعني في هذا العالم كان آلة لذلك لان قواه العقلية الخصوصية تقصر عن هكذا صنع فاذا كان بعض

الاباء يدعي انه هو خلق ولده وركب له المعدة والدماغ الى اخره فليشف لهُ هذه الاعضاء اذا مرضت ويبدلها بغيرها اذا تلفت ويستدل من ذلك ان قوة عظيمة غير منظورة اجبرت والدي لا يجادي في هذا العالم ففعل خاضعاً لها وممتثلاً لامرها وقوتها فلاجدال مع القوي

فمثلنا في هذه الدنيا مثل رجل حكم عليه بالسجن مدة معلومة فهو في معتقله لا يستطيع الخروج منه وكل عقله هو ان يخترع ملاعباً تلهيه عن التامل بحالة عذابه حتى تمرّ عليه المدة المحكوم بها فيخرج من سجنه بسلام فالدنيا وما عليها من الاشغال ليس هو الا لينسى الانسان سجنه فيها ويتسلى بما يراهُ لانهُ رغماً عن كل اختراعاته ومعارفه وفلسفته لم يستطع ان يقدم او يؤخر قدر ذرة في النواميس الطبيعية المخلوقة فيه وفي الكون

قضى على احد الوزراء بالحبس مدة خمس سنوات وكان حبسه معتماً لا يرى النور وعندما دخله في هذه الحالة وجد لا شيء يشغله ان كان للكتابة او للقراءة او خلاف اشياء نظراً لظلمة المحل فطلب علبة من الدبابيس وصار يبذرها في ارض الحبس ويرجع يجمعها على الظلمة بالتفتيش عليها وعندما يجمعها يرجع يبذرها وهكذا حتى مضت الخمس سنوات وهكذا كل اشغالنا بذر دبابيس وجمعها

فالفلسفة والامل خلقا لتهوين المصيبة فلذلك كلما كان الانسان متضايقاً اكثر كلما كثر اماله ويقول المثل حلم الجوعان خبز ويقل الامل عند قلة المصائب فالفقير كثير الامال والغني بالعكس وهكذا

واما الفلسفة على حسب فكري ما هي الا جعل المصيبة هينة والراحة من طلب امرٍ لا يقدر على نواله فاول فيلسوف عندي واعظم من افلطون ورفاته هو ذاك الثعلب الذي عندما عجز عن نوال العنب الشهي قال انه حصرم لا يأكل وتركه وكذلك اول فيلسوفة بين الاناث تلك البغلة التي كانوا يكرمونها في صباها عندما كانت تلبس الحلل الفاخرة ويركبها الامير وكانت تقول في فكرها انه يليق لي هذا الاكرام لان الحصان خالي وعندما شاخت ووضعوها على الناعورة تزت ه بان الحمار والدها وهذا شغله فالفيلسوف الحقيقي من يهون مصيبته ويجد سبباً لاحتمالها واما من يتفلسف على

الخالق والخليقة فلا اسميه فيلسوفاً لانه يتعب حاله ويتعب افكار سامعه ويرى مضاددة له من كل جانب فيفعل عكس غاية الفلسفة ويقسم الناس

فاذا سالت هذا الفيلسوف الاخير هذه المسألة وهي هل الباري تعالى يقاص او يكافي الانسان عند وجوده في هذا العالم او بعد خروجه منه لانه يكون عمل ما يستحق القصاص او المكافات فما هو فضل ذاك الولد الذي يخلق ابن ملك او ابن غني في بلاد متمدنة مرتاحة مخصبة ذات مياه عذبة وما هو ذنب الاخر الذي يولد ابن عتال او فلاح ينقهر ويظلم في ارض قحطة ظمأنة

فيجيب عَلَى ذلك اذا كان من الصين ويعتقد بالتقنيص ان هذا كان في دور ماضي شقياً وتقصاص في هذا الدور وذاك كان صالحاً وتكافى واذا ما كان من هذا المذهب يقول ان نيته او نية والديه اوجبا هذا العمل فاذا افترضنا هذا في الانسان فنرى ان هذه المسألة تحدث للحيوان ايضاً فالحمار الذي يقع بيد حجار ويحمل الاحجار فهو خلاف الذي يقع في اسطبل امير او مطران يُخدم ولا يخدم فاين نية والديه وكذلك اذا شئت تبليط بيتك تقع بلاطة عَلَى الشباك تنظفها كل ساعة واخرى تقع في الكنيف ومعاملتها حسب نظافتك واذا اشتريت جوخاً لعمل طقم تقع قطعة منه عَلَى كتفك تنظفها كلما تغبرت واخرى عَلَى قعدتك تهملها وتتلف عاجلاً من يجاوبني

فالفيلسوف الحقيقي يقول مالي ولهذه المسألة وتعب فكري بها وما هي المنفعة من معرفتها للعالم لكي يتعب الانسان في التفتيش عليها وياليت بعد ذلك تعرف الحقيقة فيجب لا اعرف شيئاً وهذا احسن فيلسوف واما الاخر يبتدي بالعلة والاسباب وينتهي ان لا يفهمك شيئاً

حاصله حتى لا نعمل مثل الفيلسوف الاخير نرجع الى موضوعنا وهو ان بعد ولادتي واعطائي سجناً عَلَى هذه الارض سلمني خالقي الى سجانيَّ وهما والديَّ وابتدا يعملان معي كلما عمل معهما وهو ما ياتي

(اولاً) (اعطائي دينهما) بعد عشرين يوماً من ولادتي احتفل والديَّ يوسف الخوري ووالدتي نور ابنة ناصيف الجزيني باقامة حفلة شائقة دعيا اليها كثيراً من الاهل والمعارف وجعلا تلك الحفلة تيمناً بتلقيني دينها واعتقادهما وحيث انهما

مسيحيان من الطائفة المارونية فقد دعيا حسب العادة كاهناً منهما كان بومتى رئيساً عاماً للرهبنة اللبنانية وهو القس ارسانيوس النيحاوي لاحد اقاربنا لكي يعطيني دين والدي واحضر الشخصان رجلاً وامرأة فالرجل ابدعى منصور افندي المعوشي من جزين والامرأة تسمى اسما حرمة جبر ابو عتمه من مشموشه وهما المدعوان عرابين اي وكيلين عني بقبول دين والدي وتلاوة قانون ايمانهما وموافقة الكاهن على الكفر بالشيطان كل ذلك جرى بغير معرفتي بالعمل الجديد ولا بالشيطان ولا بوالدي ولا بالكاهن الذي نصرني ولا بوكيلي وهذا الاحتفال يسمى بالمعمودية او التنصر ولا فضل لي اذا كان دينهما صحيحاً ولا ذنب لي لان كان كفراً

ثانياً (اعطائي اسماً) بعد التنصر اوجدا لي اسمين الخدمها يوافق اسم احد القديسين وسموه اسم المعمودية فدعوني لويس وبقيت معروفاً بهذا الاسم حتى سأل سعيد بك جنبلاط والدي الذي كان موظفاً عنده ككاتم سره عن اسمي فقال له انه قد دعاني لويس اجابه سعيد بك ان هذا الاسم لا يوافق وصار يناديه يا ابا يس ويس بيش لان العادة المتبعة ان يسمو الرجل باسم ابنه البكر ويترك اسمه الاصلي وناداني سعيد بك باسم شاكر وصاروا يدعو والدي ابا شاكر فعرفت بهذا الاسم واطلق عليّ وبقي لي لويس اسم المعمودية فكانت هذه الاجتماعات والاراء بدون علمي ومعرفتي أعطيت اسماً بلا مشورتي. ولو انهم عرفوني الان فيدعون شيئاً لم يدعوني شاكراً

ثالثاً (تعلمي لغة والدي) كانت لغة والدي اللغة العربية فتعلمتها اولاً وذلك دون مشورتي ايضاً

رابعاً (معرفتي بوالدي) ولما ابتدأت بفهم كلام والدي اخذا يعرفاني بمن حوالي واول من عرفت والدتي واول كلمة نطقتها كلمة ابي وامي وهلم جرا فمثلي ومثل رجل دخل بلاداً غريبة وصار يتعرف باهاليها والمعرف لي كانت والدتي فلو عرفتني وتشذ بغير الحقيقة لصدقتها فهي المسؤولة بذلك

خامساً (تعليمي القراءة) عندما ابتدأت اتذكر ما فعلته بالامس وما جرى لي فقد عرفوني ان هذه الخاصة تسمى ذاكرة وانني اتذكر ما جرى امامي من حين

كان عمري ثلاث سنوات فانني اتذكر اني رأيت ميتاً فهالني منظره والذي يبقى في مخيلة الانسان هو ما يؤثر عليه والذاكرة هي نقمة على الانسان فاذا تذكر الماضي وكان حسناً فيتأسف عليه ويتكدر لفواته وان كان عاطلاً تؤلمه تلك الذكرى كانه كان حاضراً كمتذكره عزيز فقده وهلم جراً فالذاكرة هي نقمة للانسان والسعيد من يستطيع نسيان امور الاذى كرة ارجاعها ولكنها هي معلمة الانسان لولاها لبقي كما خلق

ولما رأى والدي توليه ذاكرتي ارسلاني الى معلم القرية لاتعلم منه القراءة والكتابة بلغتيهما

وكان خادم منزلنا يحملني على ظهره الى بيت المعلم غير اني لما كنت اشعر بذهابي اليه ابتدئ بالبكاء والصراخ وكنت افضل أعظم عذاب على القراءة والكتابة واتمنى الفلاحة وحمل الاحجار وشغل الفاعل من ان اتعلم

فينتج من ذلك ان ما تلقيته من القراءة والعلوم اذ ذاك كان رغماً عني فاول ما علموني قراءة اللغة السريانية والسبب هو ان جدي كان كاهناً وهو وكيل مطران الابرشية وقد كان قبل ذلك وكيل البطريرك وبحسب قانون المجمع اللبناني كان تعليم اللغة السريانية الزامياً اولاً لاجل ادلة الفروض الدينية فتعلمتها حسب ارادة جدي فيكون علمي ونوعه ليسا من ارادتي ومشورتي ومنفعتي لان لغة ميتة كالسريانية لا تنفعني ما لم اكن مستعداً لان اكون كاهناً ويا ليتني عملته ولكنني لو خلقت مرة ثانية لا بد ان اعمله بشرط ان اتبع قوانينه لان فيها الراحة ومن خرج عنها يتعب حاله ويهلك من معه

(اكتسابي اخلاق وعوائد بلادي) ان العوائد التي اكتسبتها والاخلاق التي تخلقت بها هي من معلمي واهلي وبلادي فكنت الطبع طبعاً والدي ومعلمي ومن رباني واتقلد عوائد بلادي في الكساء والاحتياجات والاكل وما اشبه فاكون قد اتخذتها رغماً عني فلو خلقت عند البدو لكنت افتخر في السلب والنهب الذي هو عيب عند الحضر ولكن وجدت بين اناس عالمين الحلال من الحرام اختصاره كلما تعطيه من مالك وراحتك واسعافك وعملك الى جارك بارادتك بدون عوض مادي فهو فضل وتسمى صاحب الفضيلة واما كلما تأخذه من ماله قهراً عنه وتسلب راحته وتضره فهي رزيلة وتسمى اذا عملتها رزيلاً وجعلوا للفضيل مكافآت ولولاها لما يفعل الفضل لان

الفضل ! يكلف وكله خسارة وجعلوا للزبل قصاصاً ولولاه لاكثر من عمله لان الزبلة ملذة للشخص الفرد لكن مضرة بالعموم ليعلم الاباء ان أولادهم آلة يديهم وهم المؤثرون عَلَى اخلاقهم وعلومهم وعوائدهم وليس الولد مسؤولاً بشيء منها اذ يتخلق باخلاقهم واخلاق معلميه وجيرانه وهلم جرّا وكما انهُ ان عاش في منطقة باردة او حارة او معتدلة يعتاد عَلَى مناخها كذلك يعود عقله عَلَى ما يراه واول مسؤول بذلك هي الام لانها تستعبد الولد بحليبها وهي التي تعرفه بالجميع واول ما تعرفه به هو والده فان لم تعرفه به يشب وهو يجهله كذلك لو انكرت الولد لابيه فانه يطرده والعكس بالعكس فالام اذاً هي كل شيء والولد يعاشرها اكثر من سواها ويتعلم منها اكثر من الجميع فالمسؤلية عليها عظيمة

(النتيجة) ان ولادتي في هذا العالم واتخاذي وطني وديني واسمي ولغتي وتعليمي كان دون علمي ومشورتي ولست مسؤلاً به عدلاً والعجب ان هذه الاشياء مع كوني تلقنتها بلا علم ولا مشورة اصبحت كل شغلي وعملي وعليها وحدها احافظ

اتيتُ الى العالم رغماً عني فصرت لا اتركه الا رغماً عني والوطن والوالدين والدين والاسم واللغة والعوائد فعليها أحافظ وبها أتعلق وما ذلك الا لانغراس هذه المبادئ في وتعودي عليها وابقائها في ذاكرتي فاجد ان كل نفعي ولذتي بها وافتخر فيها عندما اذكر والدي وعائلتي وبلدي واجادل انهم احسن ما يكون كما اقول عن بكاسين لان اراني اتذكر كل قطعة من ارض بلدي وكيف مررت بها واشتغلت فيها وقابلت اهلي ورفاقي اتذكر تلك الشجرة وكم ظللتني من هجير الشمس واطعمتني من فاكهتها وكم مرة تسلقتها وكيف كانت قوتي حينئذٍ . اتذكر ذلك الماء وكم روّى غليلي واطفأ ظمإي . اتذكر ذلك الجبل وكم مرة صعدت اليه . اتذكر تلك الودبان وكم مرة مررت بها والتقيت فيها بقريب او حبيب

فكل هذه التذكارات تربطني بتلك الاماكن وهي خير التذكارات عندي أفضل ذلك المسكن عَلَى اعظم مسكن في الدنيا ولو كان اصغر مكان واتمسك بذاك الدين الذي ربيت عليه ولو ما فهمت منهُ شيئاً وكم من مرة سمعت الصلاة والابتهالات للخالق في تلك اللغة التي تعلمتها صغيراً وقهراً عما سمعت مدة مدرستي دومنيس فوبيسكوم

Dominus Vobiscum فانه يحلو لي سمع قديشات ولو كانت هذه اثقل من تلك فترى الانسان يفدي حياته لمحافظة على دينه وما ذلك الأ من تعوده عليه

وهكذا قل في كل ما ذكرناه فيستنتج ان التربية والعادة ثمنا كل شيء وان الانسان ابن تربيته لذلك تراه يحافظ على وطنه ودينه والعوائد التي نشأ عليها لذلك من الضرورة وضع الولد وهو صغير في محل يوافق الاداب والراحة والحقائق ولا تعوده على الخرافات والاعتقادات الباطله لانها تبقى في دماغه طول عمره فيتعب منها وان كان يزيلها في المستقبل فكم يلزم له من العلوم والمعارف والتعب حتى تزول فاذا اعتقد بصراخ البومة انها فأل فكم يهتز بدنه ويتكدر عندما يسمع صراخها وكنت اداوي بعض اولاد الذوات في الجبل ففي احد الليالي اتاني والده مرتعباً ايقظني من نومي يسألني اذا كان ولده مخطراً لانه سمع صراخ بومة عظيمة انظر ما فعل معه هذا الاعتقاد وقس على ذلك الغول وخلافه وندرك هذه الحقيقة من الانجيل قال المسيح «دعوا الاطفال يأتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هولاء ملكوت السماء» لان الانسان يتمسك دائماً بالكلام الذي يسمعه اولاً فكلٌ من ممارسة الصلاة والاجتماعات المدنية والدينية والملبس والادارة هي عوائد يكتسبها الانسان من الممارسة

(الصلاة في الكنيسة) كنت تتلى الصلاة بالسريانية دون ان يفهم احد منا ما يقرأ فلهذا كانت تلك الصلاة بدون خشوع فهي شبه درس يقرأه التلميذ على معلمه لان الصلاة هي الصلة بين الخالق والمخلوق اعني تذكرك في الله وفي وصاياه فترجع من غيك وضلالك ولاجل ذلك يلزمك فهم ما تقول وتطلب من الله وتتصوره امامك فعلى كل صلاة بلغة لا يعرفها المصلي لا تكون خشوعية

(سلوكي في البيت) كنت عصبيّ المزاج حادّ الطبع جداً كثير الحركة يوجد فيّ نوع من الخوف ممن هو اكبر مني وهذا الذي جعلني ان اسلك حسناً في المدرسة وكان ميلي عظيماً لاعمال ملاعيب غير موذية بل مضحكة فقط وكنت اطلب من البيت كل ما اريده وان لم انله بدأ الخصام وخصوصاً مع اخويّ ومما جرأني على ذلك هو تغيب والدي في محل وظيفته وبعد محل سكن جدّي الذي كان متولياً امر تربيتي

وحنان وحب والدتي اللذان جعلاها ضعيفة الارادة معنا كباقي النساء الشرقيات فكانت عندما تخرج الى حد لا يحتمل تضربنا ولكن لا تلبث ان يغلب عليها حنانها وصفاء سريرتها فتعود لمرضاتنا وتنيلنا ما طلبناه ومنعتهُ عنا من قبل فلذلك بدأت ادخن بين الاربع سنوات وساذكر تركي له فاول ضرر في التربية عدم كسر ارادة الولد لانهُ اذا عاش على ارادتهُ يتعب في المستقبل لان جميع الناس ليست بامه ولا ظروف الاحوال طبق ارادته فاذا كان غير معتاد على كسر ارادته وحصل له مضادة يتكدر جداً ويتعب راجع ذلك في كتابي صحة المتزوج وزواج العازب

وكانت والدتي امرأة موصوفة بذكائها وشاعرة عصبية المزاج حادة الطبع كريمة النفس والاخلاق تنسى الاساءة اليها وليس لها من مبغض تفعل الرحمة والاحسان لايٍّ كان وكانت تتداخل في شؤون إدارة البلدة وكثيراً ما كان يعوَّل على رايها ويعمل بشورها وهي بنت ناصيف الحزبني ولدت سنة ١٨٢٤ ولم تزل الى الان حافظة جميع قواها العقلية

(ملحوظاتي على هذه التربية) لا شك ان الخوف هو اللجام الوحيد لمن ليس له عقل والعقل نفسهُ هو نوع من الخوف ولذا كان كل عاقل يخاف فالتربية الوالدية في ذلك الزمن كانت قاسية جداً بحيث ان الولد يخاف والده كما يخاف العدو فلا يمكنهُ ان يتكلم بحضرته ولا الجلوس في مجلسه ولا الضحك ولا تناول القهوة ولا التدخين ولا يحدثهُ بالتعقل عندما يجني ذنباً بل يعامله بالضرب ولو بين العشرين من عمره فيصبح الابن جباناً ولا يستنير عقله بشيء اذا ما عرف اضرار هذا الذنب الذي ارتكبه فهذه العوائد تجعل الولد محتالاً لان الحيلة ابنة الضعف وتصيرهُ كذاباً خوفاً من القصاص ولكنها تبني في قلبه مبنى كبير اعتباراً لوالديه وطاعة لهما

(سلوكي مع باقي اولاد القرية)

لا شك ان الصغير يربى على عوائد الكبير ففي ذلك الزمان يوجد دائماً انقسام بين العائلات فكل قسم كان ينتصر لحزبه وهكذا كانت الصبيان كآبائهم فكنا في ايام الآحاد والاعياد تقسم الى قسمين فيذهب احدهما الى سطوح البيت

وتترامى بالحجارة ساعات متوالية حتى تغلب فيئة الفيئة الثانية او يجرح احدٌ او يكسر فيهِ عضوٌ وكثيرًا ما كان يمضي النهار وتلك الحرب الصبيانية قائمة وقد تمتدّ الى الليل وخصوصاً في ضوء القمر

وايام المدنة كنا نذهب الى ساحة البلدة ونقيم الحرب بصفة العاب مثل لعب الطابة وذلك ان ينقسم اللاعبون الى قسمين ويأخذون كرةً من الجلد محشوة من الخرق ويحدفها كل قسم الى احد انفاره المخصوصين الذي يجب ان يتلقاها باحدى يديهِ ويضرب خصمهُ المجاور له بيده الثانية ضربًا كثيرًا ما كان يؤدي الى عطب المضروب الذي لا يحق له المدافعة ولا الهرب من الضرب بل ان يأخذ بثأره عندما تصل الطابة الى يد قسمه ويتلقاها هو

ومثل لعبة القرد المربوط وهي ان يربط حبل بشجرة ويمسكه واحد ويجتمع عليهِ الاولاد ويضربونهُ ويهربون منهُ ومن يرفسهُ ذاك المربوط يأخذ الحبل مكانه ويتلقى ضرب ضاربيهِ وهمّ رفسه الى ان يصاب احدهم وهكذا

ومثل لعبة (الشلح) او (فشختين وقمزه) او (الدلك او الملق) وغيرها من الالعاب لولا ما تسببهُ من الاذى لكانت من اهمّ الالعاب الرياضية

وكنا قبل الاجتماع غروبًا نقرّر مركز الاجتماع ومن يسبق اليهِ يصعد الى اقرب سطح بيت منهُ وينادي زميله في اللعب

وكان المرحوم جدّي قائمًا لي بالمرصاد فكلما ناداني زميلي يأتي اليَّ ويضربني ويمنعني عن الذهاب

فاوعزت الى زملائي ان ينادوني باسم غير اسمي وقد اخطرت اسم حنا جرجي لعدم وجوده في اولاد البلد فالضغط يولد الحيلة

وكان اخواي يلعبان معي غير انني كنت دائمًا من الحزب المضاد لهما

ادارة القرية في ذاك الزمان

كانت تجتمع شيوخ كل عائلة مع الاخرى لفض مشاكل القرية وذلك عند الغروب

عَلَى سطوح بيوت متسعة قرب كنيسة السيدة وكانت تعرف قديمًا بالاخوية وهي سطوح بيت المرحومة عمتي شات

ولم يكن جائزًا ان تحضر الشبان تلك الاجتماعات وكان كل الاعتبار الى الشيوخ ولذلك كان الرجل يلتحي عاجلاً ويضع عمة وهو بسن الاربعين فيظهر انهُ بسن الستين فيزيد اعتباره والان اعطي الحق لهذه العادة لان الشيخ يلزم ادابهُ اكثر من الشاب ويكون برد العمر اخلاقه وكذلك التجارب فيكون مصيبًا في ارائه

وتلك المشاكل كانت ادارية اكثر منها قضائية وذلك (تعيين ناطور) (خفير) لحماية الاملاك

وكان لذلك الناطور تسريح مطلق بردع المعتدين عَلَى ملك غيرهم او عَلَى الحرج باي طريقة يستصوبها وعليه ان يجرّس المعتدي مهما كانت صنعته وذلك بان يصعد الى سطح الكنيسة اول الليل ويقرع الجرس ثلاث قرعات متباعدة المسافات تنبيهًا للاهالي فتصغي له

وحينئذٍ ينادي مبتدءًا هكذا : « يا سامعين الصوت صلوا عَلَى المسيح · ان فلان ابن فلان فعل ما هو كيت وكيت الخ » وقد جازيته بكذا اي اما بالضرب للاولاد واما بحجز ماشيته واذا كان ما اخذه المعتدى لم يزل معهُ يأخذه منهُ ويقدر عليهِ ثمنهُ ليدفعهُ للمعتدى عليهِ وعندما يحضر بعض اوامر عمومية يفعل كذلك

وربما احد القراء يقول تفضلوا مراده بجملنا مناداة الناطور ولكن فليعلم هذا المعترض ان اغلب قارئي كتابي لا يعرفون هذا الاصطلاح فيلتذون بمعرفة العوايد القديمة النافعة المعقولة

وكانت شيوخ القرية تجتمع لفصل الامور

وكانت جمعية أخرى من الشبان تقوم بتحصيل الحقوق في البلدة وخلافها وهذه العصابة متالفة من عشرة شبان ورئيسهم صهري وابن عمي الشيخ منصور مبارك الخوري فاذا اعتدت احدى القرى عَلَى نفر من بكاسين كانت تجتمع هؤلاء الشبان ويذهبون الى البلدة المتعدية ويقتتلون كما حصل بين بكاسين وعاريّ

ذلك انهُ بينما كان احد ابناء بكاسين في النهر قرب عاريّ اتاه ثلاثة انفار اشداء

من اهالي عاري" فاوسعوه ضربًا وتركوه بين ميت وحي" فلما درى بذلك اهالي بكاسين تجمعوا وذهبوا الى عاري" ولم يرجعوا عنها حتى قتلوا واحدًا من اهاليها وامتدت الفتن الى القرى المجاورة فتوسط بالصلح الشيوخ وانصرف المشكل

فعلى فهؤلاء الشبان كان جل الاعتماد في مثل هذه المسائل

وكانوا عندما يخلوهم من مثل تلك المأموريات يذهبون في ايام الاحاد والاعياد الى عين ماء يرقصون ويطربون الى المغرب واحيانا الى العشي ويعودون الى منازلهم

وكانت جمعية اخرى مؤلفة من الاولاد

وكان الشيوخ يلبسون في ذاك الوقت العباءة من الصوف والشنتيان من الخام المصبوغ ومثلهُ المنتيان وكان المركوب يدعونهُ المداس من السختيان الاحمر ونعلهِ من جلد البقر وقليلٌ من جلد الجمل

وكان لبس الشبان شنتيان من المقصور الابيض وقميص وصدرية من فوقها كوبران جوخ وكندره او صباط او سرماية هذا للوجوه والباقون يلبسون الخام المصبوغ او القمباز

اما الاولاد فبالمنتيان او مثل اهلهم بالقمباز

وكان للشابات العذارى والنساء جمعيات خصوصية وفي الافراح والمآتم كنَّ يجتمعن وينشدن الاناشيد المطربة ويرقصن مع الشبان ومن هذه الحفلات كان الرجل يختار لهُ زوجة عند الرقص فأحبها يقول لها تاخذيني تقول نعم فحالاً يطلبها من اهلها واذا ما رضوا اخذها وذهب الى كرسي المطران او محل اخر ويتزوج بها بدون مقاولة عَلَى الدوتا ولا عَلَى الدراهم فهذا هو الزواج الحقيقي فلذلك ترى اولادهم بكل صحة ويحب احدهما الاخر محبة عظيمة واذا مرض الرجل تبيع المرأة كل ما لها لتخدمهُ به وتكون لهُ معينة حقيقية وكل ذلك حيث الدراهم لم تدخل في زواجهما وكانوا يتناشدون الغنا المسمى بالمعنا ويقولون قولاً جديدًا وينكتون عَلَى بعضهم وهذا الفن مخصوص في لبنان وبالحقيقة انهم يجدون فيهِ معاني جميلة كالشعر وقد اشتهر منهم جملة اناس خصوصاً رجل امي اسمهُ ابو عَلي والخوري بولص لطفي ولهم اقوال جميلة يتناشدونها لليوم منذ ثمانين سنة ولولا ضيق المقام لكنا نذكر بعضها وكانت عجائزهن يلبسن القمباز وقميصاً طويلة

للرجلين وتلبس طاسة وهي اسطوانة من فضة او خلافها طول ذراع او اكثر تضعها المرأة على راسها وطرحة من الشاش فوقها وتعلق في شعرها العاقوص وهو اشرطة من حرير او من قطن احمر طول الشريطة ذراع تقريباً فتدلى على ظهرها وفي انتهاء كل شريطة قطعة من المعدن مستديرة

فهذه كانت حلى ذاك الزمن عند المتقدمين وقيل انها كانت عمومية

وقد استمر هذا الزيّ حتى سنة الستين فزال بتمامه إلاّ بعض العجائز حافظن عليهِ حتى ذهبن بهِ الى القبر

وهذا الزيّ مأخوذ من الوثنيين قديماً حين كانوا يعبدون اعضاء الرجل

وكان ملبوس الشابات القسطان مع سلطة من الجوخ او خلافها ويضعن على رؤوسهنَّ منديلاً او طرحة من الشاش الابيض ويضفرن شعرهنَّ بضفائر من الحرير وتضع الفتيات منهن في جدائلهنَّ بعض المصاغ ان كنَّ من الغنيات

سهراتهم

كان اهل البلدة لا يسهرون عند بعضهم الا في دواعي افراح او مآتم وفي غير ذلك كانوا يجتمعون في منازل المتقدمين من عائلتنا بيت الخوري

وكانوا في ليالي الشتاء يجتمعون داخل المنازل فيجلس جدّي في زاوية احدى الغرف وعن شماله الخوارنة ثم الشيوخ ثم الشبان وكانت النساء تجتمع في غرفة ثانية فيقرأ من يحسن القراءة فصلاً من التوراة او اخبار القديسين او تاريخاً من التواريخ المترجمة الى العربية او المؤلفة بها واذا اغمض فهم شيء على الحضور يستعلمون عنهُ من جدّي وهو يشرحه لهم بكل طول اناة ووضوح · واحياناً يضحكون ويقصون القصص ويتكلمون بالحوادث والاداب العصرية وفي مثل هذه الامور كان يجوز للشبان ان تحضر المجالس مع الشيوخ فكانت سهراتهم اشبه بمدرسة يفتقون فيها العقول ويدربون الشبيبة على النخوة والهمة والشهامة وكل ذلك خير من سهراتهم في القهاوي وخلافها وكانوا يحلون الالغاز ويسمونها حذيره ولذلك يشغلون عقولهم ويعودونها على البحث

وكانوا غالبًا يصرفون سهراتهم بقراءة قصة عنتر بن شداد فحسنًا كانوا يفعلون لان هذه القصة من احسن ما ألف في هذا المعنى فهي تاريخ العرب في الجاهلية وهي مثالٌ لكل من يريد التقدم بقطع النظر عن الاصل والفصل

تمثل عبدًا وصل بشجاعته وكرمه وحسن الانقياد لمن ربوه والخلق الشريفة والمحافظة على زمام زوجته الى اعلى درجة واسنى مقام فهذه القصة من اعظم القصص الادبية ولا سيما انها حقيقية لا تصورية نعم ان المؤلف يغالي في قوة عنترة احيانًا فيزعم انهُ هجم على الفين وثلاثة فرسان هذا كان ليسرّ اهل عصره وربما حصل ذلك لان الاصابة هي اعظم قوة فعندما يرون افعاله ترجع عنهُ الاعادي وهذا لا نقطع به بل نحكم ان هذه القصة الادبية نتيجتها كما قيل

لا تقل اصلي وفصلي ابدًا   انما اصل الفتى ما قد حصل

فمثل عنترة يثبت هذا الشعر وعندي ان هذه القصة لهي افضل من كل الروايات العصرية لما تعلم من الشهامة ومكارم الاخلاق بخلاف تلك التي نراها طافحة بضروب الخلاعة والفساد

الادارة الدينية

كان اقليم جزين في الاصل تابعًا للكرسي البطريركي راسًا وكل بطريرك يرسل في كل عام نائبًا عنهُ مطرانًا يزور الرعية ويقضي لها مقتضياتها الدينية المحفوظ حلها الى البطريرك . فلما سيم جدّي كاهنًا كان وكيل البطريرك يومئذٍ على الاقليم المطران حنا الحلو ولما ترقى المطران حنا المذكور الى البطريركية ابدل «الاقليم» «بجبيل» ورسم مطرانًا على اقليم جزين المطران عبدالله البستاني وهو اوّل المطارنة على ابرشية صور وصيدا

وقبل سيامة المطران عبدالله وانفصال ابرشية صور وصيدا عن الكرسي البطريركي اقام البطريرك حنا الحلو المرحوم جدّي وكيلاً مفوضًا عنهُ واذنه بقضاء جميع المهام الدينية مهما كان حلها حتى في المحفوظ منها للبطريرك بموجب اوامر صادرة من غبطته

ستذكرها بحرفيتها وتوار يخها عند الكلام عَلَى المرحوم جدي

فلما ارتسم المطران عبدالله عَلَى الابرشية وفصلت عن الكرسي البطريركي ابقى جدي وكيلاً عنهُ كما كان من قبل وجعل كرسي المطرانخانة في بتدين حيث كان يقيم حاكم الجبل الامير بشير الشهابي الذي احب المطران كثيراً وقرَّبهُ اليه وجعلهُ من اعظم مستشاريه

فطلب المطران مساعدة الامير ببناء مطرانخانة في مشموشة لتوسطها من الابرشية فبناها وكان المرحوم جدي ناظراً عَلَى ذلك البناء فشاده عَلَى ما يرام وسنذكر مشموشة ومدرستها

ولم يكن للوعظ والتعاليم الدينية شأن في تلك الايام رغماً عن تفقه المطران وبعض الكهنة بل كانت كل التعاليم الدينية مقصورة عَلَى استماع القداس ايام الاحاد والاعياد واعلان ايام الصوم والقطاعة واستماع الاعتراف

والخلاصة انهُ هكذا كانت التعاليم الدينية

الادارة المدنية

كان اقليم جزين تابعاً لقائمقامية الدروز ومركزها الشويفات وآمرها من الامراء بني ارسلان والعامل عَلَى الاقليم سعيد بك جنبلاط ابن الشيخ بشير جنبلاط وساذكر هذه العائلة عند الكلام عَلَى المختارة .

فوالدي كان بمنزلة كاتم السرّ عند العامل او المقاطعجي سعيد بك ولهُ عنده مكانة عظيمة وكان مع الشيخ قاسم حصن الدين بديران الامور

وكان الاقليم بدفع جزية معلومة من المال وكثيراً ما كان يتأخر عن دفعها فيرسل حينئذٍ سعيد بك خيالة من قِبله تصحب معها خيالة من الاقليم موظفين عند المقاطعجي المذكور لقبض الاموال

وكان عندما يتعدى احدٌ عَلَى الآخر ويشكوه الى الحاكم يرسل بطلب المشكوّ الذي كان اما يهرب واما يحضر

وكان الجزاء وقتئذٍ عَلَى حسب الذنب اما الحبس واما الضرب عَلَى الارجل وعَلَى الاليتين واما البلص اي الغرامة هذا في الاحوال الجنائية واما في الحقوق فكان في

القائمقامية مجلس شرعي مكوّن من كل ملة كثيرة العدد من الجبل ومركزها الشويفات والقائمقام كان الامير امين ارسلان يصرف الدعاوى الحقوقية

واما دعاوي القتل فكانت الاخصام ترسل الى بيروت حيث يُحاكمون فيها وقد اشتهر بالشرع في ذاك الوقت بمجلس القائمقامية المرحوم الشيخ بشاره الخوري العضو عن الموارنة وكان من عائلة مشايخ بيت الخوري من رشميا

وكان تعداد الانفس يومئذٍ بيد والدي تولاه بامر من والي صيدا

وكانت كل قرية في الاقليم مقسومة الى حزبين كباقي البلاد وذاك تبعاً لكل عائلة معتبرة

وسبب هذا الانقسام هو الحسد الذي يتولد اكثره بين الاهل بحيث ان الواحد من هذه العائلة يحسد الاخر لتقدمه بدون ان يلتفت الى الاتعاب التي قدمتهُ فقط يلتفت ان والدي ووالده ابناء عمّ لا يلزم ان يكون احسن مني معانهُ لو انصف لوجد ان هذا القريب الذي تقدم عليه تغرب وتعلم علوماً او تاجر او خاطر بحياته حتى اكتسب المال او المقام ولكن ابن العم الاخر بقي في القرية يلعب بالطاولة طول النهار وينتظر الصباح والمساء فبالطبع لم يحصل عَلَى الذي حصل عليه الثاني فلو افتكر بذلك لما حسده وكذلك اما الباري خلق في احدهما صفاتاً ميزته عن الاخر ولكن كل هذا لا يقنع الحسود لانهُ لا اقناع لحاسد

والبلدة التي لا يوجد فيها غير عائلة واحدة معتبرة كانت تلك العائلة تنقسم عَلَى ذاتها وتتبع الاهالي قسميها بحيث كان الخصام دائماً والمشاجرات مستمرة كجاهلية العرب

وكان اذا تحكم الخصام بين الفريقين فان كان مع العائلة الواحدة توسط بهِ شيوخ العائلات الاخر وان كان مع عائلتين توسطت بهِ القرى الاخرى

فكان كلُّ فردٍ قائماً بقوة ذراعه وحزبه فلا يخرج من القرية إلا مسلحاً او محاطاً بحاشيته

وكان السيف والرمح والقرابينة وطبنجات عَلَى قربوز سرج الفرس للفوارس · وبارودة وسيخ وخنجر وبطقان للمشاة

وكانت البواريد يومئذٍ بقداحة وصوانة وبعده صارت بكبسول

وكان الشبان يعملون رياضة في كل مدة وذلك بان ينصبوا علاماً ويطلقوا عليه

الرصاص تمريناً لحسن الرماية وكانوا يلعبون الميدان على ظهور الخيل ويتمرنون على رمي الجريد وهو عصا كان يحذفها الفارس على الاخر وكثيراً ما سببت جروحاً بليغة واحياناً قتلاً

وخلاف ذلك لعب الطابة والشيلات الثقلة بيدٍ واحدة أو باليدين وكلها العاب رياضية تقوي الجسم وقد بطلت الان الا القليل منها لعدم امكان تحمل اجسام هذا العصر تلك المشاق الدالة على القوة والنشاط في الزمن الغابر ويلزم اعادة هذه الرياضات او مثلها لاجل صحة الجميع

اعيان لبنان

وحيث بيت جنبلاط هي العائلة الحاكمة في جهتنا واكثر الاملاك لها نبتدي بذكر انسابها واصلها وحكمها كمقاطعجية فقط تحت يد قائمقام الدروز الذي كان من الامراء الارسلانيين

وكانت عائلة بيت جنبلاط وعيال اخرى ممتازة في لبنان من اسلام ونصارى ودروز ومتاولة تسمى مشايخ وكان من هولاء المقاطعجية اي حكام مقاطعة فقط وكانت عيال اخرى امراء مثل اللمعيين والشهابيين اعلا من المشايخ ومنهم كان الحاكم العمومي للجبل من قبل الدولة العلية

فالامير حيدر الشهابي هو الذي اعطى هذه المقاطعات الى هذه العيال التي نحن في صددها وهي التي رافقتهُ في حرب محمود باشا ابو هرموش اي الحرب التي ثبتت بين القيسية واليمنية وهو الذي سماهم مشايخ بكتابته لهم الاخ العزيز

ولا شك ان جد هذه العيال الممتازة كان ذو فضيلة حتى تقدم وعلا على اقرانه وكان من بساطة القلب والامانة على جانب عظيم خصوصاً لجبة المال (رواية) ذكروا ان احد مستلمي مدخول ومصروف احد الاعيان كان يقيد في دفتره مبلغاً اجرة بيطرة جمال ففي احد الايام كان الدفتر مفتوحاً على الطاولة فدخل احد الزوار ونظر هذه النفقة فقال للامير كيف يا سيدي مقيد في هذه النفقة اجرة بيطرة جمال هل الجمال تتبيطر فبعد مدة

حضر الكاتب فقال له الامير كيف تفيد هنا دفعه اجرة يبطرة جمال هل الجمال تتبيطر فاجاب الكاتب لما صار سيدنا يعرف ان الجمال لا تتبيطر ما عاد يخدم فتركه وذهب فهكذا كانوا يسرقوهم

فاذا كان رجل راكباً حصاناً وانا بجانبه فيكون طبعاً اعلى مني ولكن متى ترك الحصان ونزل على الارض فيكون بطولي او اقصر فحينئذٍ لم اعد اعده اعلى مني فاذا كانت هذه الفضيلة التي كانت تميز الاجداد سواء شجاعة او كرم اخلاق او علم او قوة او عصبة او غنى ذهبت وتلاشت واقيم عوضها ضدها من الرزايل فهل لابناء هذه العيال حق في الامتياز والاعتبار اللذان كانا لاجدادهم كلا ثم كلا فاذا لا لوم على من لا يساوي الابناء بالجدود لان هؤلاء كانوا ذوي فضائل وبالعكس الابناء ولكن متى كانت الابناء لم تزل محافظة على فضايل الاجداد فلهم حق التقدم على سواهم ولهم المركز الاول لان الذي كان يرفع الاجداد لم يزل في البنين ولا يقال عنهم

مات اهل الجود لم يبق سوى مقرف او من على الاصل اتكل

فاذا لا عتب علينا اذا ذكرنا رزايل بعض ابناء هذه العيال اذا كانوا سقطوا عن فضايل الاجداد

ولنبداء الان بآل جنبلاط لان عائلتهم تعد بعد الامراء

انساب بيت جنبلاط

في سنة ١٦٣٠ م · حضر جانبولاد بن سعيد مع ولده رباح من بلاد حلب الى بيروت وكان بينهما وبين آل معن صداقة ووداد وذلك بسبب طرد مراد باشا لعلي باشا جنبلاط في حلب سنة ١٦٠٧ فتشتت اقاربه وحضر جانبولاد المذكور الى بيروت وكان ذلك في ايام فخر الدين المعني الثاني

فجاءت اكابر لبنان الى بيروت ودعوا جانبولاد للاقامة عندهم فقبل دعوتهم واتى معهم واقام في مزرعة الشوف

فاتفق مع الشيخ ابي نادر الخازن مدبر امور الامير فخر الدين ومن ثمة بدأت العلائق الودادية بين الاسرتين

وعائلة جنبلاط من الاكراد الايوبيين تولى جدها جانبولاد معرّة النعمان وغيرها من البلاد وفي سنة ١٥٧٢ تولى مدينة كلس وتولى نسله من بعده مدينة حلب الى ان تغلب عليهم مراد باشا كما ذكرنا

وتوفي جانبولاد سنة ١٦٤٠ في قلعة شقيف ارنون التي كان فيها محافظاً على خمسين نفر من قبل الامير فخر الدين

فاقام ولده رباح في مزرعة الشوف مع اولاده الثلاثة وهم عليّ وفارس وشرف الدين

وكان في ذلك الوقت شيخ على الشوف من اكبر مشايخها هو الشيخ قبلان القاضي التنوخي فتزوج عليّ بن رباح من ابنته الوحيدة وذهب بها من المزرعة الى بعزران وبنى فيها مسكناً

وفي سنة ١٧١٢ توفي الشيخ قبلان القاضي بلا عقب فاتفق اكابر الشوف على اقامة الشيخ عليّ صهره مقامه فدفع اهل الشوف الى الامير حيدر الشهابي الذي كان حاكماً وقتئذ خمسة وعشرين الف غرش فولاه مقاطعة الشوف وسلمه املاك حميه وهذه الاملاك تسمى بالسحيه وقد تقدم هذا المال من الدروز والنصارى وخمسة الاف من بيت الخازن

ووهب الشيخ عليّ المذكور ارضاً من املاكه شرقي جون في اقليم الخروب الى رهبان الروم الكاثوليك لبناء دير على اسم المخلص وسلمهم عقارات لمعاشهم

وسنة ١٧٧٧ جعل الامير يوسف ضريبة على البلاد فالتمست الاهالي من الشيخ عليّ ابطالها فرجا الامير بها فلم يستجب طلبهُ فدفعها من ماله الخاص فاحبتهُ لذلك البلاد وعلت منزلته فيها

فاوجس منهُ الامير يوسف شراً فسعى برمي الفتنة بينهُ وبين الشيخ عبد السلام العماد فنال غرضه وانقسمت البلاد منذ ذلك الى قسمين جنبلاطي و يزبكي ولم تزل

واخيراً رضخ الشيخ عبد السلام الى الشيخ عليّ واصطلحا وكيفية ذلك هي ان

الشيخ عبدالسلام حضر الى بعزران ليلاً حيث يقيم الشيخ عَلي وطلب منه الصلح لانهُ لم يمكنهُ صرف المال عَلى المجتمعين عنده بسبب الفتنة

فاعطاه الشيخ عَلي عشرة آلاف غرش ليصرفها عَلى المجتمعين عنده وقال لهُ ارجع من حيث اتيت ونحن نسعى بالاتفاق فذلك اشرف لك وابقى لمقامك وهكذا حصل

وفي سنة ١٧٨٨ توفي الشيخ عَلي في بعزران وعمره ٧٨ سنة عن ستة اولاد وهم يونس وجانبولاد ونجم ومحمود وقاسم وحسين فتولى بعده ولده قاسم سنة ١٧٨٨ وقد توفي الشيخ قاسم في عكا عند الجزار وحكم نحاه ولده الشيخ بشير بدن ١٤ سنة وذلك في سنة ١٧٩١

وساعد الشيخ بشير بتجديد عمار دير مشموشة في اقليم جزين فارسل لهُ البابا مرسوماً يشكرهُ بهِ على ذلك

وفي سنة ١٨٠٦ اجرى الشيخ بشير قناة ماء من نهر الباروك الى المختارة

وفي سنة ١٨١١ ارسل دروز الجبل الاعلى يستغيثون بهِ على حاكم حلب فارسل الشيخ حسون مع اربعين فارساً من عنده واربعين من عند الامير بشير فحضر اربعمائة عائلة الى زحله ووزعوها على البلاد في الشوف والمتن وغرب البقاع

وفي سنة ١٨١٤ بني جامع المختارة على نسق جامع الجزار في عكا

وفي سنة ١٨١٩ توفي الشيخ حسن بن قاسم في بعزران وعمرهُ إحدى وخمسون سنة

وفي سنة ١٨٢ بني الشيخ بشير كنيسة المختارة للموارنة

وفي سنة ١٨٢٤ حارب الامير بشير الذي كسره وفرّ الى حوران فخدعه كنج اغا وسلم عن يده واخذه الى الشام فارسلهُ والي الشام الى عبدالله باشا والي عكا الذي شنقه سنة ١٨٢٥ والذين شنقوه حضروا يطلبون بخشيشاً من زوجته لانهم توصوا بهِ مدة الشنق فهكذا انتهى الشيخ بشير فكان كما كانت تفعلهُ المقاطعجية مع الاهالي كان يحصل لهم ان كان للنهب او للشنق وخلافه

فبعد زوال الامير بشير من لبنان رجع نعمان بك ابن الشيخ بشير الى مقاطعته ١٨٣٩ وبعده تنازل وجلس محلهُ اخوه سعيد بك ١٨٤٢

ففي سنة ١٨٥٦ احضرني والدي معهُ الى المختارة لانهُ كان مستخدماً في

المقاطعة بصفة كاتم اسرار المقاطعجي سعيد بك ومأمور تعداد النفوس من قبل الدولة العلية على اقليم جزين وهو الوحيد من النصارى الذي كان مستخدماً عند سعيد بك جنبلاط كمقاطعجي البلاد خلافاً لباقي الخدمة النصارى فانهم كانوا مختصين بخدمة ادارة املاكهم الخاصة

فكليب العازوري وابن عمهُ مرعي العازوري المرحومان كانا على محاسبة الاملاك ويوسف الحداد من جزين كان وكيل الحاصل واما والدي فكان للمراسلة بين سعيد بك والقائمقام وباقي الهيئات السياسية وكاتم اسرار الحكومة فاتصال عائلتنا بعائلة جنبلاط قديم العهد فاول حاكم من آل جنبلاط علي جنبلاط الذي كان حاكماً الى سنة ١٧٨٨ كان موكلاً بالحكم والاملاك في اقليم جزين وجبل الريحان جدنا ابو عساف رزق الله الخوري وبقت هذه الاتصالية مستمرة الى والدي الذي اركبنى حماراً وعليه فرشتي واخذني مسافة ثلاث ساعات نحو الشمال الى ان وصلنا الى المختارة

مدرسة المختارة

فلاجل هذه المدرسة احضرني والدي من بكاسين وكنت اعرف القراءة والكتابة العربية والسريانية وكان من هذه المدرسة اولاد سعيد بك وهما نجيب بك الذي كان من عمري واخوه نسيب بك الذي كان اصغر مني سناً وكان معلمنا حضرة العالم العلامة والشاعر العظيم الشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسي الذي صار فيما بعد كاتب المحكمة الشرعية في بيروت وتوفي في هذه الوظيفة

وكانت هذه المدرسة في حارة المشايخ بيت نجم جنبلاط في المحل الذي قتل فيه نعمان بك أولاد عمه فوق الميدان الشرقي

وكان الشيخ ابرهيم المذكور يعلمنا وكنا سبعة ما عدا البيكين وهم الشيخ صالح والشيخ حسن اولاد الشيخ قاسم حصن الدين مستشار البيك والشيخ قاسم ابن الشيخ حسين شمس من غريفه صراف البيك ثم حسن ابن الماس من عبيد البيك واسعد

ابو صوان الذي كان والده ووالدته من خدمة البيك وعلي حسن طليع ابن شيخ العقل من الجديدة فكنا نجلس نحن الاخرون في الغرفة فكلٌ منا يسمع درسهُ بعد انتهاء درس البكوات وكان يدرّسنا في ديوان ابن الفارض غيباً بحيث كنت أقول القصيدة اليائية غيباً الى آخرها بدون توقيف وكذلك الفية ابن مالك وقصيدة لامية العرب التي لم ازل حافظها للان بعد طول هذه المدة فلا شك ان هذه الكتب العظيمة وخصوصاً الشعر كان بعلم العربية على حقها وحيث الشعر موزون فيلزم قابله ان يلفظ جميع حركاته فيتعود على اللفظ الصحيح وكذلك لسهولة حفظ الشعر تبقى القواعد المذكورة فيهِ مدة مديدة بعكس ذلك النثر فانهُ ينسى بسهولة ولقد اصابت العرب بجعل كل علومها ارجوزة ويلزم تأليف الكتب الجديدة بالقواعد شعراً لان الشعر يحفظ لفظ الكلمة على حقها

سعيد بك جنبلاط

كان متوسط القامة عصبي المزاج نحيف الجسم سريع الحركة حاد النظر ذا شاربين عريضين بشوشاً باصحابه مهاباً جداً وكان بذلك الوقت حاكم الشوفين واقليم جزين واقليم الخروب وجبل الريحان بسن الخامسة والاربعين تقريباً وكان له أملاك عظيمة في هذه المحلات وخصوصاً اقليم جزين وجبل الريحان

وكان يضمن من الدولة العلية غربي البقاع بمال معلوم زهيد بالنسبة الى دخله وهو أول غني في جبل لبنان وهو من عظام الطائفة الدرزية وخصوصاً الحزب الجنبلاطي

وكان عنده مستخدمون كثيرون لهم معاشات سنوية وكان المستخدم من كبار المستخدمين يسكن في داره ويأكل ويقدم له جميع لوازمه من زيت وصابون وخلافه الى محله واما المستخدمون الصغار والزوار فكانت تأكل على مائدته العمومية وكان يجلس معهم حتى آخر واحد ·

المائدة العمومية

كان يوضع الاكل على اطباق من نحاس بقدر سبعة او ثمانية وكان يسع كل طبق من العشرة الى الاثني عشر شخصاً وكان البيك يجلس على أول طبق وتتقدم الناس للاكل افواجاً ومتى فرغ أول فوج ينزل الفوج الثاني وهكذا الى ان يأكل آخر واحد وكان الاكلون تقريباً كل يوم نحو مائتي شخص والبيك لا يقوم عن الاكل حتى ينتهي الكل

وكان لهذه السفرة طباخ مخصوص وأما اكل المستخدمين الممتازين فكان يخرج من دار الحريم وكيفية ذلك انهُ كان يوجد دولاب يدور على محوره شبه خزانة له خادم مخصوص من جهة الرجال وخادمة مخصوصة من جهة النساء فكان عندما يحضر خادم المستخدم الممتاز يطلب اكل معلمه فيخابر خادم الدولاب الخادمة من الخارج ويقول لها اكل فلان ويدير الدولاب فتضع الخادمة الاكل في الدولاب وتديره لجهة الرجل وكان اكل البيك يخرج من هذا المحل ويوضع على أول طبق يجلس عليه ويجلس معه اكبر الزوار

وكان يوجد فرن يشتغل يومياً بالخبز وكان الاكل من اللحم والارز والمحاشي والخضروات والحلويات وفاكهة الفصل

ومهما عمل الانسان ليميز حاله عن الحيوان تره من بعض افعال مثله خصوصاً من مسألة الاكل ولست اعني بذلك فعل الاكل الحيواني بل تاثيره الادبي فترى الحيوان يستعبد عندما تقدم لهُ الاكل فيلفي الحيوان الى محل يجد فيه اكلاً او يستخدم عند من يقدم له الاكل فالانسان في هذه الحالة فكانت كل قوة المقاطعجية باعطاء الاكل الى المستخدمين فكانوا يأخذوهم للحروب ويستعبدوهم وجزاهم الاكل هذه احوال ذلك العصر

الخيل

كانت الخيل الخاصة للبيك من الثلاثين الى الاربعين رأساً وكان اشهرها احصنة تربط على اول الطاولة واولها كان ازرق اللون اسمه شومان وبعده اشقر يسمى ابو عجلان وهلم جرا

وكان لكل مستخدم فرس تربط على الطاولة نفسها وكذلك خيول الضيوف فكان يبتدأ بتوزيع الشعير عليقاً للخيل قبل الغروب بساعتين الى الساعة الواحدة بعد الغروب بحيث كان ينفق يومياً من مائة وخمسين الى المائتين علوفة كل علوفة نصف «مد» او ثلاثة ارطال وكان لذلك رئيس باخور مخصوص وسياس بكثرة وكان حاصل الشعير بطول خمسين ذراعاً وعرض عشرة وعلوسته اذرع دائماً ملان وفي ايام الربيع كان يرسل هذه الخيل الى ساحل صيدا لاجل اكل الربيع وكان لها محل في المختارة مخصوص يزرع فيه البرسيم المسماة في بلادنا الفصة

وكان في دار الحريم عدد عظيم من المادمات والنساء الزائرات يصرف لهن اكلا وشرباً كالرجال وكان فرش محلات المستخدمين على حساب البيك بحيث كان المستخدم لا يعرف شيئاً سوى ثيابه، واحياناً كان يعطي لهم مخصوصاً من طاقومات جوخ او دراهم نقداً

وأما دار الحريم فلا يدخلها أحد من الرجال سوى الطبيب الذي كان يومئذ زوج خالتي غالب افندي البقاعي تلميذ مدرسة مصر الطبية من اول صف تخرج فيها وكان سعيد بك يذهب بعض الاحيان مع حاشيته في فصل الصيف الى قرية نيحا لاجل صيد الحجل في عين الحلقوم فوق قلعة نيحا المسماة بقلعة طيرون وطيرون لفظة سريانية معناها الشقيف الصغير وليس كما قال طنوس الشدياق في كتابه في أعيان لبنان انهُ اسم علم لباني هذه القلعة

وكان ماء هذه العين مجروراً الى القلعة مدة حصارها من الملك الظاهر سنة ١٢٦٦ مسيحية ثم اختفى فيها الامير فخر الدين الثاني المعني ومنها انتقل الى مغارة جزين كما سيأتي

في سنة ١٨٥٨ مسيحية توجهت مع البيك واولاده ووالدي وباقي حاشيته الى نيحا وبقينا مدة شهرين تقريباً وكان البيك يسكن الصواوين ونحن في البيوت وكان يتوجه كل يوم صباحاً مع الصيادين للصيد

النبي ايوب

مقام هذا النبي على تلة جنوبي نيحا الى الشرق يرتفع عنها ثلاثمائة متر تقريباً وتعتقد الدروز في هذا النبي وعلى حسب تقليداتهم يقولون ان النبي ايوب عندما كان مصاباً بامراضه وفقره حملته امرأته الى هذا المحل ونزلت الى البلد تتسوَّل لهُ خبزاً وربما كان ذلك حقيقياً لان مقتضى قول التوراة ان ايوب من ارض عوص التي هي حوران الان وهي لا تبعد عن نيحا مسافة شاسعة

في أحد الايام أراد البيك ان يزور هذا النبي فتوجهنا مع اولاده لهذه الزيارة وبعد ما فطرنا الظهر هناك رجعنا الى نيحا وفي اليوم الثاني توجهت الى بكاسين ولم أعد الى المختارة · ودخلت مدرسة مشموشة

الخلاصة ان سعيد بك جنبلاط هو الرجل الوحيد الغني الذي كان في لبنان فدخوله الخاص من املاكه عبارة عن ستة آلاف ليرة ما عدا ما كان يكسبه من ضمان البقاع واكثر املاكه في اقليم جزين وجبل الريحان وكان مهيباً ذا مجلس أدبي يعطي كل ذي حق حقه من الاكرام كريماً شجاعاً اذا ركب في موكب ركب معه الوف واذا دخل في مدينة ضجت لهُ ضيفه مكرم وقاصده نائل وصديقه معتبر ذو مروءة وزمام عديم الشر ميال للخير ذو فطنة ولطافة وعزم واقدام وبالاختصار كان من احسن رجال عصره

مشموشه

مشموشة قرية من اقليم جزين تبعد عن بكاسين ثلث ساعة الى الغرب بميلة الى

الشمال ارتفاعها عن البحر الف متر علَى السفح الشمالي لجبل ميشا ذات مياه عذبة باردة وهي لفظة سريانية معناها الخادم ربما تسمت بذلك لانها محل خدم النبي ميشا ولا شك ان هذا المركز من ارتفاعات بني اسرائيل

وكان يملك هذا المحل في ايامنا عائلة تسمى بيت ابي عتمة وهذه العائلة كان لها جد يخدم الامير فخر الدين المعني سنة ١٦٣٠ مسيحية فكان يرسله الامير ليلاً الى دير القمر عندما كان محاصراً في مغارة جزين وكان يرسله في ليالي الشتاء ويرجع بكل سرعة وحذاؤه نظيفاً حتى تعجب الامير منهُ وسماه ابا عتمة وقد وهبه الامير احمد المعني مشموشة

وهذه صورة الحجة الموجود اصلها عند الخواجا ابراهيم حبيب جبر ابي عتمة وفي كل مدة كان يؤشرون عليها من قضاة او مفتي صيدا كما موضح فيها وقد نسختها عن الاصل في ١٠ ايلول سنة ١٩٠٥ من الخواجا ابراهيم المذكور وهذه الصورة هي

وجه تحرير الاحرف هو ان وهبنا عزيزنا الشيخ ابا عتمة قرية مشموشه تكون معاشاً له مستمراً لاجل تعبه وخداماته امامنا ورفعنا عن المحل المذكور سائر الاقلام الميرية والخوابي رفعناها عنهُ وعن ذريته وحدود هذا المحل من الشرق الغباطيه ومن القبلي السلسلة التي في مطل بكاسين للنبي ميشا عليه السلام ومن الغرب عين الجوزة ومن الشمال الدرب الناطق من الميدان الى بنواتي وكتبنا هذا السند الى عزيزنا المذكور لاجل البيان

حرر في غرة شهر رمضان المعظم في سنة الف وسبعة وثمانين · صح

الحقير

احمد معن

الحمد لله تعالى وحده

اطلعنا علَى هذه الحجة من معزة الجناب العالي الامير احمد معن ومحررة تخوماتها

تجري كما هي محررة لان كلام الملوك منزل وقولهم لا يرد وهذا الذي نحن عندنا والحالة هذه والله سبحانهُ اعلم محل الختم

علقه

العبد الفقير

محمود بن منصور

الحمد لله وحده

اطلعنا على هذه الحجة من حضرة الجناب العالي الامير احمد معن ومحررة تخوماتها تجري كما هي لان الهبة ثابتة في الشرع الشريف وهبة الملوك ما فيها تغيير والله اعلم

حرره الفقير

ملحم عطا

الحمد لله وحده

اذا قامت البينة الشرعية بتصرف بيت ابي عمة في هذه القرية كما حررت حدودها ورسومها تصرف ملك فليس لاحد من الناس غيرهم التصرف بشيء منها بغير وجه شرعي لان الهبة عقد شرعي يفيد الملك المؤبد والله اعلم

محل الختم

كاتبهُ الحقير

يحيى الحر

فهكذا كانت امراء البلاد تكافي من يخدمها بحيث اذا مات الاب في خدمة الامير ياخذ الامير ولده محله ويعطيهُ املاكاً يعيش بها فكان كل واحد يخدم الامير بدمه وقلما تسمع بخيانة او ترك حزب فكانت المروءة والشهامة سائدين في ذلك الزمن وكل ذلك من معاملة الخادم



المطران عبدالله البستاني

ولد هذا المطران في قرية الدبية سنة ١٧٨٠ وكان حينئذ المطران حنا الحلو وكيلاً عَلَى الابرشية من قبل البطريرك وكان للمطران عبدالله صوت جميل جداً وعندما سمعه المطران حنا اخذه شماساً له وعند ما فتحت مدرسة عين ورقة سنة ١٧٩٣ وضعهُ في سلك اول صف من تلامذتها وبعد خروجه سامه المطران يوحنا الذي اصبح بطركاً كاهناً وفي ١٥ آب سنة ١٨١٩ سامه اسقفاً ووكيلاً عنه في ابرشية صور وصيدا فحضر المطران عبدالله الى بتدين واقام محل اقامته الانطش الموجود الان جنب الكنيسة وقد احبه الامير بشير واعطاه نفوذاً

وفي سنة ١٨٣٨ عندما صار مطراناً شرعياً عَلَى الابرشية اخذ يبحث عن محل يجعله كرسياً لهُ فاختار قرية مشموشة لوجودها في نصف اقليم جزين ولعذوبة مائها وطيب هوائها وقد اشترى محلاً من ابي عتمة جنب العين واخذ في ان يبني كرسيه بهِ وكان الوكيل عنهُ في الابرشية وفي هذا البناء المرحوم جدي الخوري ابرهيم الخوري ولم يزل عندي دفتر كلفة هذا البناء واوامر البطريرك يوسف حبيش والمطران عبدالله بخصوص توكيله عَلَى المدرسة والابرشية

وكان الامير بشير يحث المطران عبدالله عَلَى بناء كرسي واقتنى املاك لهُ ولكن لزهد سيادته كان يضيع هذه الفرصة بوجود الامير بشير وقد اشترى لها املاكاً قليلة وعندما ذهب الامير بشير من هذه البلاد حضر المطران عبدالله الى مشموشة وسكنها الى ان شاخ فطلب معاوناً لهُ الخوري بطرس البستاني الذي كان يومئذ كاتم اسرار البطرك بولس مسعد . فلو كان استغنم الفرصة في ايام الامير بشير لكانت كرسي صيدا وصور من اهم الكرامي وهذا المثل علم المطران بطرس خلفه ان لا يضيع فرصة بشترى مقاصف بتدين يجعلها كرسياً فكان الذي فات المطران عبدالله من الامير بشير اكتسبهُ

من خلفهُ المطران بطرس فاخذ من ورثة الامير بشير كرسياً ليس محتاجاً لبنائها

المطران بطرس البستاني

هو من اقارب المطران عبدالله ولد في قرية الدبية في آخر كانون اول سنة ١٨١٩ أي في السنة التي ارتسم فيها المطران عبدالله اسقفاً والاغرب من ذلك هو ان المعلم بطرس البستاني الشهير ولد في نفس هذه السنة فكانت سنة عظيمة لبيت البستاني لانهُ ارتسم فيها مطران وولد مطران وعالم شهير وكان المطران بطرس مع المعلم بطرس يتعلمان عند خوري القرية الخوري مخايل البستاني وكانا ذكيين فارسلهما المطران عبدالله الى عين ورقة فتعلما العلوم الاكليريكية فيها ولم يشإ المعلم بطرس ان يرتسم كاهناً لاحتياج والدتهِ اليهِ

واما المطران بطرس فقد سامه كاهناً المطران يوسف رزق الجزيني رئيس عين ورقة وقتئذٍ سنة ١٨٤٢ ثم اقيم معلماً لمدرسة مشموشة لان هذه المدرسة كانت تعلم الاكليروس مدة سنتين ونصف ثم اخذه البطريرك كاتماً اسراره سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٥٦ وفيها سامه مطراناً على عكا مساعداً لعمه المطران عبدالله وعندما حضر المطران الى الكرسي وكان محباً للعلم اراد ان يفتح مدرسة لتعليم الاولاد ففتح هذه المدرسة وطلب لها معلماً كان رفيقهُ في المدرسة وهو الخوري يعقوب الحاصباني من عائلتنا القاطن في قرية قيتولي وعندما فتحت هذه المدرسة ادخلني المرحوم جدي الخوري ابرهيم تلميذاً فيها فدخلتها في تشرين الاول سنة ١٨٥٨

مدرسة مشموشة

وعلومها

كانت تعلم العربية صرفاً ونحواً والسريانية حسب علوم عين ورقة والتلامذة

الذين كانوا فيها هم يوسف كرم من المعمرية ومعهُ اثنان احدهما يسمى عساف والثاني ابن فاضل ثم رزق الله من سنديا الذي سيم فيما بعد كاهناً باسم الخوري يوسف ثم بشاره ابن الخوري جرجس البستاني الذي كان والده عند المطران عبدالله وكيلاً وكان من الكهنة المعتبرين وأصحاب الفضل

ثمَّ صار بشارة المذكور كاهناً باسم الخوري يوسف البستاني الذي بقي مدة كاتم اسرار سيادة المطران يوسف الدبس وقد ترك واتى الى بيته في الجيه وقد توفى في بكركي سنة ١٩٠٥ ودفن هناك ثم يوسف من جرنايا الذي صار كاهناً فيما بعد ثم داود ابن خوري كوكبه الذي يطبب العيون إرثاً عن ابيه حتى الان. وكان عند المطران بطرس شماساً يدعى خليل بن يوسف مارون من جرين ترقى الى درجة الكاهن ودعي باسم الخوري بطرس مارون ولم يزل وكيلاً روحياً على الابرشية للان وهو مشهور بالتقوى والصوت الجميل

حالتي في المدرسة

كنت كما كنت في المختارة ناجحاً في العلوم وعفريتاً في غيرها فكان دأبي ان اضحك التلامذة في اي محل وجدوا باعمال هزلية وكنت ازداد في هذه الامور خصوصاً في وقت الصلاة والدرس.

حادثة

قد قلنا اننا عند المساء كنا نصلي على القراية وهذه عبارة عن طاولة مربعة بعلو ذراع ونصف الى ذراعين لا تسع الا كتاب الصلاة وكنا نجتمع حولها من كل ناحية لاجل القراءة والتنغيم وكان الكاهن يقف على درجة أعلا من الجميع وحيث كنت اصغر الجميع وكانت القراية اعلى مني فكنت اقف على الدرجة امام الكاهن ولصغري ما

كنت احجزه عن النظر في الكتاب وحيث كان لا يرى وجهي كنت اعمل حركات في عيني ولساني بحيث يضحك الاخرون الذين يروني فيقاصهم دوني

ففي احد الايام اخذت حرضوناً وربطتهُ بخيط ووضعتهُ في عبي وعند ابتداء الصلاة كنت اخرجه قليلاً واضغطه فيفتح فاه امام التلامذة فيضحكون فاخذ الخوري يضربهم بالعكازة وفيما انا ملتهٍ بالفرجة عليهم خرج الحرضون من عبي ونط على الكتاب وبقي مربوطاً بالخيط الذي كشف ذلتي لانهُ لولا وجود الخيط كنت قلت انه من صدفة وعندما رأى الخوري الحرضون على الكتاب ضحك قسراً وبعد ذلك عبس وضربني بالكف على وجهي فازاحني عن محلي وحيث لم يزل الحرضون معلقاً بجيبي بالخيط واخذ يخمش ركعني الخوري في الكنيسة الى آخر الصلاة وقطع الخيط وخلص الحرضون من امره وعاقبني انا

وهكذا كنت اختلق كل يوم اموراً وكنت سريع الركض لرقة جسمي وكان المطران عبدالله يسميني شيبوب وهو اخو عنترة لسرعة ركضي وكان يقرب كرمي لمطران دير مشموشة الذي يبعد عنها ١٠ دقائق وهو دير عامر بقطنهُ نحواً من مائة راهب في ذلك الوقت وكان عيده الاحتفالي في الخامس عشر آب عيد انتقال السيدة فيجتمع في هذا العيد الوف من الجهيرة فبسبب هذا الاجتماع يصير خصومات بين القرى المجاورة بحيث انهُ كل سنة يحصل معركة وقد منع المطارنة هذه الاجتماع من قديم الزمان · لان القصد منها عند العامة اللعب وقلة الادب والسكر والنزهة وليس العبادة فاصبحت كاعياد عابدي الاصنام قديماً وهذه صورة الحرم لمن يزور دير مشموشة في عيده في خامس عشر آب

صورة حرم

بحروفها

اعلام بالرب لجميع الكهنة باقليم جزين بوجهُ العموم المكرمين

بعد اهدا كم البركة انهُ قد بلغنا ما قد غمنا وكدر خاطرنا وهو تعديكم وتعدي

ابناء رعايا كم بمخالفة الرسوم البارزة قديماً من سعيد الذكر البطريرك يوحنا المعلوف الذكر الصالح في منع وابطال الحضور للاعياد تحت قصاص الربط للكهنة والحرم للعلمانيين

فهذه السنة قد انهمل هذا الرسم القانوني واندرس من البعض لاجل رخاوتكم وتغاضيكم وحضروا الى دير مشموشة فليكن معلوماً عند الجميع ان كان من حضر نهار العيد من رجال ونساء فهو ممنوع من الدخول الى الكنيسة ومن مناولة الاسرار المقدسة والكاهن الذي تشاور على الحضور وارتضى به فليكن مربوطاً عن التصرف بدرجته وبداخيلها ولا نسمح لاحد الكهنة ان يسمع اعتراف شخص من هؤلاء المتعدين الذين حضروا نهار العيد لدير مشموشة ولبيدة بسري ولا نحل احداً منهم الا انهُ يدفع خمسة غروش قصاصاً عن ذنبه وتعديه فهذا القانون قد وضعناه عن هذه السنة فقط ومن الان وصاعداً اي من تعدى وخالف الاوامر المرسومة قديماً ومنا جديداً يسقط في الحرم المحفوظ حله لسلطاننا الرعائي قصدنا علم الجميع والبركة تشمل الابناء الطائعين

في ٢٤ آب سنة ١٨٣٧

الحقير
عبدالله البستاني
مطران صور وصيدا

وفي ذاك الوقت كان من اهالي مشموشة المشهور بن حبيب ابي جبر ابو عتمه وهو مشهور بالذكاء واللطف والعقل والمعارف وكان يقضي وقتهُ عند المطران

نادرة لجبر ابي حبيب ابو عتمه

كان لابي حبيب جبر كرم من العنب وكان ابن اخته يأتيه ليلاً ويأكل من عنبه فاخبروا خاله عنهُ فسألهُ عن ذلك فاجاب الولد اما هو عيب عليَّ يا خالي ان اءَ

هذه العملية في كرمك هل يمكن تصديق ذلك فسكت ابو حبيب الذي مضى في الليل التالي الى الكرم واختبأ فيهِ وعند الظلام حضر الولد المذكور كعادته وعندما سمع خالهُ حركة الاكل وثب عليه وابتدأ بضربهُ فصار يصيح الولد يا خالي انا ابن اختك فاجابهُ هذا غير صحيح لانهُ عيب على ابن اختي ان يعمل هكذا لا اصدق وبقي يضربهُ وهو يقول لهُ ان ابن اختي لا يفعل هكذا

وكان المطران عبدالله يذهب بعض الاحيان الى بكشتين قرب الدبيه بلدته الاصلية حيث كان لهُ محل يسكنهُ ابن اخيهِ المرحوم خطار البستاني

ففي تلك السنة ذهب الى ذلك المحل ولم يعد

وفيما نحن في ارغد عيش وانعم بال حدثت فتنة بين اهالي الشوف واهالي الاقليم وتلك للمرة الثالثة · وذلك ١٨٦٠

الموارنة والدروز

قبل الدخول بهذه الفتنة نذكر سكان لبنان واهمهم الموارنة والدروز

الموارنة

اصل الموارنة فئة من السريان وهم الاراميون المذكورون في التوراة نسبة الى القديس مارون احد النساك القاطنين في نواحي حمص وحماه الذي جاهر ضد القائلين بمذهب الطبيعة والمشيئة الواحدة الذي انتشر في أيامه وبقي هو محافظاً على المذهب الكاثوليكي وكان معاصرا ليوحنا فم الذهب وقد اسس رهبنة باسمه

وكان لهُ دير قرب العاصي فيهِ ثلاث مائة من الرهبان اضطهدوا وقتلوا شهداء مذهبهم وذهب الذين اتبعوا مذهبه الى لبنان وسموا موارنة وذلك لعدم انقيادهم لمذهب ملك القسطنطينية فكان الذين يتبعون الملك يسمون بالملكية والذين تمردوا عليه سموهم مردة وفي تاريخهم يؤخذ من المؤرخين

فبقي الموارنة بلبنان محافظين عَلَى حريتهم وايمانهم وفضلوا سكن المغائر وقلب الصخور وفقر المعيشة عَلَى الذل والهوان حتى يومنا هذا . فسبب سكنى الموارنة قديماً هذه الجبال هو الخوف والاضطهاد ولولا ذلك لما عمر لبنان فكان لبنان ملجأ لكل خائف في الشرق اتى يستظل تحت حمايته من سريان وارمن وروم كاثوليك وقد بقي القسم الشمالي من لبنان مختصاً بالموارنة . والجنوبي مختصاً بالدروز

الدروز

ظهر في الجيل الرابع للهجرة احد الخلفاء الفاطميين المدعو الحاكم بامر الله ثم تسمى فيما بعد الحاكم بامره وكان حاكماً سوريا ومصر سوية فتبعته الدروز وكانوا يدعون اولاً بالموحدين لاعتقادهم العظيم بتوحيد الاله . وقد حصل اضطهاد للدروز أشده في مصر بعد غيبوبة الحاكم بامره فانتشروا في سوريا وخصوصاً في الجبال للوقاية من الاضطهاد وتملكوا في بلادنا وادي التيم ونواحيها ثم زحفوا عَلَى جنوبي لبنان وتملكوه بعد محاربة سكانه المتاولة بحيث اصبح الجبل مقسوماً الى قسمين جنوبي درزي وشمالي ماروني واذا لاحظنا سنة لبنان نراها مقسومة الى قسمين قسم يلبس لبنان لبساً درزياً وهي العمامة البيضاء أي ثلجه وآخر يلبس قلنسوته الزرقاء او السوداء

ويوجد ايضاً في لبنان من كل الطوائف ولكن الاهمية لهاتين الطايفتين

قدوم النصارى الى جنوبي لبنان

ان نصارى شمالي لبنان حضروا الى جنوبيه في أوقات متفرقة ولغايات عديدة بحيث انهم عاشوا مع الدروز بالراحة والسكينة واخذوا عوائدهم واعتبرهم الدروز واكرموهم وصانوا حقوقهم واشركوهم في مصالحهم بحيث اصبحوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وكانت القرى التي تقبل النصارى تسميها الدروز صاحبة الشرف وبقي الحال عَلَى ذلك مدة حكم امراء لبنان فكانوا يذهبون سوية للحرب ويتعاضدون في المصالح العمومية وكانت لهم حرية الدين وبقي الامر عَلَى ذلك الى انقضاء حكم الامير بشير قاسم الشهابي وأقاموا مكانهُ اميراً آخر ما امكنهُ ان يداوم الحكم وفي ايامه حصل الفساد حتى قسموا الجبل الى قائمقاميتين

قائمقامية الدروز وجعلوا عليها أميرًا من آل ارسلان والثانية للنصارى وهي شمالية وجعلوا عليها قائمقامًا من امراء ابي اللمع

حكام لبنان سنة ١٨٦٠

في بيروت خورشيد باشا وكان لبنان تابعًا لهُ
وكان بطرك الموارنة بولس مسعد العشقوتي
قائمقام النصارى في لبنان الامير بشير احمد ابي اللمع في برمانا
قاضي النصارى الخوري يوحنا الحاج الذي صار بطريركًا
قائمقام الدروز الامير محمد ارسلان في الشويفات
متسلم دير القمر مصطفى افندي
امير الاي العساكر عبد السلام بك في دير القمر
في الشوف واقليم جزين واقليم التفاح واقليم الخروب وجبل الريحان سعيد بك جنبلاط
وفي الغرب الشيخ حسين تلحوق
في العرقوب خطار بك العماد وابن عمه كنج بك العماد
في الشحار بشير بك ابونكد

فالان نذكر الفتنة التي حضرناها بالتطويل وقد ابتدأت كما قلنا ونحن في مدرسة مشموشة

ابتداء الفتنة في اقليم جزين

في اليوم الثلاثين من ايار ١٨٦٠ عندما كانت الناس ملتهية بمواسمها الحريرية عند الساعة التاسعة عربية قبل الغروب بثلاث ساعات سمع اطلاق البنادق من جهة قرية باتر واهلها تتقدم الى جهة بجنين وهي أول قرية من اقليم جزين قريبة من باتر

فعندما ابتدأ اطلاق البارود وتأكد ابتداء الفتنة أركبتنا والدتنا على بغل مع أخوي خليل وامين اللذين هما أصغر مني واما اختي ليا فمشت معنا وارسلتنا مع رجل من بكاسين اسمهُ الياس لبوس الراهب الى مزرعة الرهبان التي تبعد عن بكاسين ساعتين

وبينما نحن على هذه الحال وكانت الساعة واحدة بعد الغروب والقمر يضيء كالنهار وفد علينا والدي ويوسف بك مبارك وجم غفير من الرجال والنساء والاولاد واما والدتي وجدي وباقي الاقارب فلم يحضر منهم أحد ولم نعلم ماذا حدث لهم فعند ذلك اجتمع والدي مع ابن عمه يوسف بك وتشاورا على المحل الذي نذهب اليه فاتفقا على التوجه لصيدا كالعادة لان هذه هي الطريق المأمونة

طريق صيدا

فمررنا على مزرعة اسمها الرمانة وهي في مركز مثل مركز مزرعة الرهبان وهي مزرعة شمسية ومنها رأينا دخان الحريق في القرى التي دخلها أهل الشوف وكنا نسمع صوت البارود الغير المنقطع وصراخ البشر وأصوات الحيوانات كأنه يوم القيامة والذي رحم أهل الاقليم في هذا اليوم هو دخول الليل بحيث لم يمكن للاخصام ان يتبعوهم خوفاً ان يكمنوا لهم في محلات يجهلونها

فلو كان معهم يشوع بن نون وأوقف الشمس ساعتين لهلكت كل أهالي الاقليم ولكن لوجود الليل انتشر الهاربون في كل محل واختبأ أهل بكاسين خصوصاً في حرشهم الذي يمتد ساعة من الزمان طولاً وعرضاً وفيه محلات تخفي ألوف من الهاربين والبعض التجأ الى بيوت شركاء سعيد بك جنبلاط مختفين فيها فاهل الشوف احترمت هذه المحلات واصحابها لانها تخص البيك المومأ اليه . ثم مررنا على قرية سنيا معناها العليقة ثم على كفرجرا معناها حقل السهام وعند الصبح في قرية المعمرية

المعمريه

فعند ما وصلنا الى المعمرية وقفنا ونزل المطران بطرس البستاني هناك وابتدأوا يتشاورون الى أي جهة يذهبون وبينما هم كذلك اذ وفد على المطران بطرس قواس من قبل قنصل فرنسا في صيدا مع اثنين من قبل عمر افندي يدعون المطران للتوجه مع جماعته الى صيدا وانه يحمونه من كل طارق وكاد المطران عند ذلك ان يذهب معهم فاعترضه

بعضهم وقال لهُ ربما كان ذلك نخلك ولو افترضنا ان هؤلاء صادقون فلا يمكنهم الدفاع عنك وقت اللزوم وخصوصاً ان شخصك هو المطلوب

فلذلك تصور المطران ان ارسال القواس والرجالين ما هو إلا فخ لشخصه فامتنع عن النزول الى صيدا ولكنه أرسل مع هؤلاء نائبه الخوري يعقوب وأخاه الخوري سليمان مع جملة من الرهبان والراهبات وجمهور كبير من الرجال ايضاً الذين توجهوا آمنين بحماية القواس والنفرين

ولما توجه نائب المطران الخوري يعقوب مع اخيه وباقي الجمهور ووصلوا الى قرب المدينة وارادوا ان يستريحوا هناك فكان الامر ان الاخصام هجموا على هؤلاء المساكين وقطعوهم إرباً إرباً رجالاً ونساء واولاداً ورهباناً وكان اولهم الخوري يعقوب وأخيه ظناً منهم انهُ هو المطران بطرس وكانت ساعة هائلة بالصراخ والاستغاثة بدون سميع أو مجيب

وقد اخبرني عن هذه الحادثة رجل من بكاسين كان معهم وهرب بعد ما جرح في رأسه ومن ذلك الوقت ابتدوا يصطادون أفراداً من الهاربين ويقتلونهم

واما المطران بطرس فانهُ توجه مع يوسف فرنسيس الى محل محمد بك علي شبيب المتوالي في المروانية الذي اكرمهم وجهز لهم اتباعاً يرافقونهم ويوصلونهم الى صور ومنها نزلوا بحراً الى بيروت

واما نحن فأخذنا والدنا مع باقي أقاربنا وجملة من الناس ايضاً الى قرية دير الزهراني في بلاد الشقيف التي كان حاكمها يومئذٍ الشيخ يوسف نصرالله المتوالي

وقد وصلنا عند غياب الشمس الى دير الزهراني فبتنا هناك تلك الليلة وفي اليوم الثاني حضر طلب لوالدي من حسين بك الامين مدير النبطية التحتى لانهُ كان لهُ بهِ معرفة فتوجهنا مع هذا الجمع فانزلنا حسين بك في دار بحارة النصارى تخص رفول نمور من صيدا التي كانت خالية وقتئذٍ وكان يرسل الطعام صباحاً ومساء الى جميع من معنا الذين كانوا نحواً من ثلاث مائة تقريباً

سوق النبطية

ان هذا السوق من اعظم المحلات التجارية في بلادنا تجتمع اليه الناس كل نهار الثنين من كل الجهات عَلَى مسافة اثني عشر ساعة واكثر تجارتهُ الحبوب والمواشي ويجتمع فيه من الخمسة الى الستة آلاف نسمة من شارٍ وبائع ومن العجائب انهُ ينعقد فيه نحو الخمسين الف عقد بين بيع وشراء وكل ذلك بالقول فقط ويتم بكلمتين بعت واشتريت ويندر جدًا الاختلاف بينهم

واغرب من ذلك انهم من كل الاجناس بين نصارى عَلَى اختلاف اجناسهم ومتاولة ودروز ويهود واسلام وخلافهم ومع هذا الاجتماع لحد الان ما سمع ان حصل بينهم اختلاف عمومي وكل ذلك يتم بنهار واحد من صباح الاثنين الى عصره بحيث عند مساء الاثنين لا ترى احدًا من هذه الجموع العديدة وقد مضى عليه مئات من السنين ولم يزل كما هو رغمًا عن تجربة بلدان اخرى لعمل سوق مثلهُ ولم تفلح ويوجد سوق مثله في بلاد حاصبيا اسمهُ سوق الخان ولكنهُ ليس باهميته وخلاف هذا السوق يوجد قلعة عظيمة شرقي النبطية تسمى بقلعة بلاد الشقيف

قلعة ارنون او قلعة الشقيف

هذه القلعة باسم الشقيف هي التي اعطت اسمها الى كل الاقليم وتسميتها بقلعة ارنون اتية من اسم قرية بجانبها ومعنى ارنون الجرذون وهي موجودة عَلَى ارتفاع عمودي غربي نهر الليطاني بحيث لا يمكن الصعود اليها من تلك الجهة وارتفاعها عن النهر نحو الثلاثمائة متر تقريبًا كحائط واحد وقد تنظر من مسافات بعيدة وهي مبنية بحجارة ضخمة جدًا وفيها منازل للسكن وآبار للمياه وتعلو عن النبطية قدر مائتين متر ولا يمكن الوصول اليها الا من الجهة الغربية بصعود عظيم عسر المسالك . وقد بنى هذه القلعة الصليبيون وفيها بناء فينيقي قديم وفيها توفي الشيخ جنبلاط جدّ العائلة الجنبلاطية في لبنان الذي ارسله الامير فخر الدين المعني الثاني للمحافظة عليها مع اربعين من الفرسان وقد استولى عليها شيخ الجبل رئيس الاسماعيلية مدة من الزمن

واما النبطية فكان يسكنها في ذلك الوقت من المشايخ الصعبيين خلاف حسين بك الامين الحاكم اخوه سعد الدين وابن عمه الشيخ فضل الشهير وولده حسين الذي اولاده الان نعيم بك ومحمود بك

وبقينا في النبطية مدة خمسة عشر يوماً مع هذا الجمع الغفير الذي كان منهُ قسم عظيم ينام في الحقل وتحت الاشجار وكان يقدم لهُ الاكل من حسين بك الامين وفي اثناء ذلك ورد لنا خبر عن والدتي واخوتي وخالتي زوجة غالب البعقليني الطبيب واولاد عمي منصور مبارك الخوري وفرنسيس الخوري انهم في جباع الحلاوي مع جملة من النصارى في بيت الشيخ علي الحرّ وهو رجل عظيم جداً من اكابر قومه عمل معروفاً مع النصارى لا يقدر وكذلك الشيخ عبدالله نعمة الذي عمل نفس المعروف . فعند ذلك ارسل والدي خيالة من قبل حسين بك الامين الى جباع لتحضر والدتي مع اقاربنا الذين كانوا هناك

قصة منصور مبارك

قد اخبرتني والدتي انها بينما كانت في جباع وهي متشتتة الافكار لا تدري ما جرى لزوجها واخوتها واولادها هل هم من الاحياء أم من الاموات واين هم اذا كانوا من الاحياء ومن قتل منهم ومن بقي حياً تقضي يومها بالنحيب والبكاء محجوبة مع والدتها واختها في الحرم واذا بسيدٍ من أهل جباع اسمهُ السيد ابرهيم يطلب مقابلتها فأسرعت حالاً بالمجيء اليهِ فرأته سيداً مهاباً متأدباً محتشماً فأخبرها انهُ بينما كان في مزرعة الرهبان في جبل طورا وجد خمسة رجال من بكاسين مختفين هناك يأكلون القمح الفريك فسال عنهم فقيل لهُ هؤلاء منصور مبارك الخوري ورفاقه فتقدم اليهم وسأل عن حالهم فاخبروه من هم فسأل منصور من عندكم من اهالي الاقليم في جباع فاخبره عن وجود والدتي فحينئذٍ قال لهُ منصور ارجوك ان تخبر امرأة عمي اننا لم نزل أحياء موجودين في ضيقة عظيمة في هذا المحل وكدنا ان نهلك جوعاً فارجوها ان تحمل لنا طريقة مع الشيخ علي الحر ليوصلنا الى جباع

فعند ذلك حضرت والدتي الى الشيخ واخبرتهُ بذلك فطلب حالاً السيد ابرهيم وأمره

ان يرجع حالاً مع خمسة رجال ويصحبون منصوراً ورفاقه معهم وان اذا نزلت نقطة دمٍ منهم تكون بحياته فتوجه حالاً السيد ابرهيم مع خمسة من أعوان الشيخ وفتشوا عَلَى منصور ورفاقه

ذهابنا من النبطية الى صيدا

فكان مدة وجودنا في النبطية تأتي اليها أهل الشوف من المشايخ ومن جملتهم الشيخ حسين عساف من نيحا الذي كان صديقاً لوالدي واخبره ان يخرج من النبطية لان أهل الشوف مستعدون لمطاردة أهل الاقليم فيها كما جرى في جباع

فعند ذلك اخبر والدي حسين بك الامين ورجاه ان يعطيه رجالاً من المتاولة ليوصلوا اهل الاقليم الى صيدا فارسل حسين بك معنا خمسة عشر خيالاً تحت قيادة ابن عمه حسين بك الفضل فركبنا من النبطية عند غروب الشمس نمشي ليلاً وقد أركبوني مهرة بدون عدة برسن غير مركوبة قبلاً وأخوتي عَلَى بغل وكذلك والدتي وجدي وكان الليل مظلماً لا اعرف كيف امشي مع مهرتي فكانت تأتي حيثما تريد لا كما أريد فكانت تارة تمشي عَلَى الطريق وتارة تفز الجلالي وكنت منشرحاً من ذلك وغير مفتكر في الاخطار التي سنلاقيها كأني ذاهب الى عرس وكل ذلك من فضائل الحداثة التي لا تشعر بخوف ولا تعب وقد استرحنا قليلاً قبل الضوء في قرية اسمها البابلية التي بعدها استلمنا السهل فمشت المتاولة امامنا وكنا جمهوراً من الكهنة والشيوخ والنساء والاولاد والرجال المسلحة

وبينما نحن بسهل الغازية نظرنا خيالاً آتياً من جهة صيدا فعند رؤيته خفقت قلوب الجميع ظناً منهم انه جاسوس من قبل الذين مجتمعين في قرية الغازية وبالحقيقة كان كذلك وعندما رآه المتاولة اصطفوا امامنا وفي وسطهم حسين بك الفضل فتقدم ذلك الخيال وسلم عَلَى البيك وقال لهُ ابشرك ان زحلة اخذت فاجابهُ البيك انه يعطي النصر لمن يشاء فتوجه الخيال الى الغازية

المتاولة

هي فئة كبيرة من الفرق الاسلامية سموا متاولة من قولهم توالينا الذين خمسة اي

محمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين وسموا رافضية لانهم رفضوا رأي زيد ابن علي ابن ابي طالب وعملوا شيعة وحدهم فسموا شيعية لذلك وقد جعلوا الامامة بعد الرسول لعلي ثم اختلفوا فيها فيما بعد اختلافاً كبيراً حتى بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة والمشهور منها عشرون لا محل لذكرهم هنا لانهُ لم يبقَ منهم احد في بلادنا سوى المتاولة الاصليين

وأما الذين كانوا مشهورين والحكام في حادثة الستين هم حسين بك الامين في النبطية وتامر بك الحسين والشيخ فضل والشيخ يوسف نصرالله في دير الزهراني وبيت الحرّ في جباع ومحمد علي شبيب في المروانية وذكرنا بالخصوص هؤلاء لانهم حافظوا على اهل الاقليم الذي اجتمعوا عندهم وعاملوهم بالخير والاحسان

فاخيراً اجتمعت مشايخ المتاولة مع بعضهم للمخابرة بامر معاملتهم لاهل الاقليم فاجابهم الشيخ فضل الذي كان اكبر سناً منهم مهاباً مطاعاً ان الرأي عندي ان نتركهم مدة ثلاثة أشهر فاذا نفذ مساعدة اليهم قبل هذا الوقت فنكون صنعنا جميلاً معهم ونكافأ عليه واذا لم يساعدهم احد فهم في قبضة يدنا نفعل ما نريد بهم

وهكذا كان فان مشايخ المتاولة عملت كل معروف واذا كان بعض جهالهم تعدى بسلب او خلافه فكانت تقاصه المشايخ وترجع المسلوب وكانوا يصرفون من اموالهم الخاصة عليهم فلذلك يلزم ان تكون النصارى مديونة بالمعروف والجميل لهم ولا ينسوا حسن بك الامين والشيخ فضل وولده حسين بك والشيخ علي الحرّ والشيخ عبدالله نعمة من جباع والشيخ يوسف نصرالله من دير الزهراني ومحمد علي بك شبيب من المروانية ولا أولادهم الى من يأتي من نسلهم فيما بعد

ومن نسل محمد علي بك الشبيب ابن ابن اخيه الان حسين بك درويش من الرجال أصحاب الاداب والمروة وكرم الاخلاق

واما اسرة المشايخ بيت علي الصغير الذي منهم علي بك الاسعد الذي توفي سنة ١٢٨٢ هجرية كانوا يساعدون اهل حاصبيا كما سنذكر ولهُ ثلاثة اولاد نجيب بك الذي توفي وله ولد اسعد بك وبقي شبيب باشا نزيل الاستانة وناصيف باشا الرجل المشهور في المروة وحفظ الزمام واما ولد محمد بك الاسعد ابن اسعد بك الخليل واخو خليل بك الذي هو اول من اتصل الى المتصرفية من الشيعية وكان كريم الاخلاق محموداً وله اربعة اولاد

وهم : كامل بك الذي عمل اكثر من والده في الجاه ورتب ماليته ترتيباً عظيماً ولهُ الاسم والشهرة بحيث خلد ذكر هذا البيت والاخرون هم محمود بك وعبد اللطيف بك وزين العابدين بك وهم من الاماجد الكرام

حادثة الوفاء

بينما كنت يوماً ما في محلي في بيروت اشاهد المرضى وجدت سيداً ليس عليه سمة الغناء وذليلاً متفكراً واعينه مريضة قليلاً فسألته عما يريد فاجابني ان لي معك حاجة وانت لست تعرفني ولكن والدتك تعرفني ربما تكلمت عني امامك انا السيد ابرهيم الذي ساعدت ابن عمك منصور مبارك الخوري ورفاقه من جبل طوره . وكان مضى عَلَى ذلك ٣٦ سنة فقلت له نعم ذكرتك والدتي لي فعند ذلك تغيرت هيئة ذلك الشخص امامي وابتدل برجل عظيم اعتبرته جداً واصبحت انا المديون لهُ فاجبتهُ عَلَى الفور ماذا تريد ان اخدمك فيه فاجاب ان لي ولداً وحيداً مريضاً الرجا ادخاله في المستشفى فحالاً ادخلتهُ الى تمام الشفاء

حادثة أُخرى

وبعد هذه الحادثة الاولى بسنتين حضر رجل يدعوني لزيارة مريضة في احدى اللوكندات فسألت عن المريضة فقال لي انها ابنة فلان رجل سمعت بهِ انهُ من الذين عملوا معروفاً معنا سنة الستين ولم اعرفهُ شخصياً فتوجهت وشاهدت المريضة التي عملت لها عملية في عينيها وبقيت اعالجها مدة شهر من الزمان وعندما حصلت عَلَى الشفاء حضر والدها عندي للحساب الذي بلغ ٦٠ ريالاً مجيدياً فدفعها مع الشكر وهمَّ بالخروج من عندي فاجلستهُ وسألتهُ هل انهُ يعرفني حقيقة فقال كيف لا اعرفك وصار لك شهر من الزمان تطبب ابنتي فقلت لهُ نعم ذلك هل تعرف والدي فقال كلا فقلت لهُ انا ابن فلان ووالدتي فلانة ابنة فلان التي عملتم معها كل معروف سنة الستين وقد ذكرت ذلك لي وكنت متشوقاً لاجد فرصة لا كافئك عَلَى صنيعك

فالان ان هذه الدراهم التي هي امامنا محرمة علي فارجوك ان ترجعها وتقبل مني هذه

الخدمة الصغيرة جزاء خدمتك الكبيرة في وقت ادنى معروف يبان فيه لانهُ قبل اعظم المعروف نجدة الملهوف لان اذا أسقيت كأساً من الماء لعطشان مدة عطشه الشديد يبان عنده اعظم شيء بحيث اذا اعطيتهُ اعظم الاشياء بغير احتياجه لا يذكرك بهما لان تذكر الشيء يكون بتأثيره عَلَى الشخص وكذلك حتى لا يقال ان المعروف ضاع من الكون وان هذا يقويك عَلَى عمله ثانيةً لان لا شيء اضر عَلَى عمل المعروف مثل نسيانه عند من عمل معهُ

فامتنع كثيراً لعزة نفسه عن قبول الدراهم وقال لي ان هذه الحاسيات هي اعظم مكافأة لي لان عامل المعروف يجب الشكر عليهِ اكثر من المكافأة بهِ عنهُ لان المعروف ليس كالدراهم يطلب فائظها ولكن عندما رأى الحاحي عليهِ بذلك استرجع المبلغ اكراماً لخاطري وليس لقيمته

ومشايخ المتاولة الان هم ثلاثة اسر مشايخ بيت عَلي الصغير والمشايخ الصعبية ومشايخ المناكرة ولهم شكرنا اجمعين

صيدا او صيدون العظيمة

لا شك ان هذه المدينة هي من أقدم مدن العالم وتسمت باسم صيدون بن كنعان ابن حام بن نوح أو باسم صناعة اهلها اي الصيد وكيف كان الامر فلا يعرف مدينة أقدم منها وقد مرت عليها ادوار وحكمتها جميع شعوب الارض تقريباً فالفينيقيون انفسهم الذين شهروها بصنائعهم واسفارهم البحرية وتجارتهم ما هم الا قوم من المهاجرين اليها كما ذكر هيرودوتس المورخ وعندما اشتهرت في سفرها في الابحار وجعلت في الخارج جملة مستعمارت اسست جملة مدن اولها مدينة صور التي هي ابنتها البكر التي تأسست سنة ١٢٠٠ قبل المسيح ففاقت شهرة عَلى والدتها سنذكرها فيما بعد فصيدون العظيمة التي شاع ذكرها وغناها في العالم القديم كانت مطمع لكل فاتح وكانت تمتد مملكتها الى جبال الكرمل قبلة وشمالاً الى قرب جبيل وكل لبنان بين هذه الحدود تابعاً لها وكانوا يسموا حينئذٍ بالكنعانيين وقد قصدهم موسى في الجيل الخامس عشر قبل المسيح ولم

تملكها الاسرائيليون فكانت مملكتها في كبرهـا العظيم تمتد طولاً مائتين وعشرين كيلو متر وعرضاً اربعة واربعين بحيث كان لبنان وانطي لبنان ذات الاحراش العظيمة يقدما لهم ما يلزمهم من الاخشاب لمراكبهم وقد ملكها سلمنازار سنة ٧٢٠ قبل المسيح واخذهم نبيكودونوزور اسرى الى بابل

وقد ملكتها الفراعنة المصريين واخذهـا قورش مؤسس دولة الفرس منهم وسمح لهم باقامة ملك مخصوص ياخذهم بالاسفار البحرية وقد سبب ثورة فيها اكار احد قواد ملوك الفرس الذي كان سبب خرابها وعندما كانت محكومة بملك من قبل داريوس حضر اليها الاسكندر ابو القرنين وفتحها وكان اسم حاكمها استراطون الذي كان ضعيفاً بحيث اصبح تحت ارادة الشعب وعندما رأى الاسكندر ضعف ملكها امر احد قواده المسمى افستيون بانتخاب ملك من اهاليها وكان زمرة من شبابها واغنياها ومهذبيها تلقى عَلَى هذا القائد فاخبرهم ان ينتخبوا لهم ملكاً منهم فاجابوه انهُ لا يمكننا ذلك ولا يمكن لاحد ان يكو ملكاً مـا لم يكن من نسل ملوكي فتعجب افستيون من كبر نفس هؤلاء الذين احتقروا ورفضوا ما غيرهم يطلبهُ تحت ظلال السيف فاجابهم حينئذٍ انموا ايها الشبان بالمجد والفضيلة لانكم انتم اول العارفين بان رفض الملك اعظم من قبوله ومع ذلك احضروا لي واحداً من العائلة الملوكية يمكنهُ ان يتذكر متى اصبح ملكاً انكم انتم السبب من تملكه ويكون ممنوناً لكم وقد نظرت هذه الجمعية بان عدد عظيم من الاغنياء طالبين الملك كانوا يتزلفون تزلفاً دنياً الى المقربين من الاسكندر فوقع انتخاب الجمعيـة عَلَى عبدولونيم الذي كان نظراً لفقره يحرث باجرة بجنة بستاناً قرب المدينة وكان فقره آتٍ من شرف نفسه وكان دائماً مهتماً بشغله اليومي ولم ينتبه الى قرقعة السلاح التي هزت اسيا باجمعها فتوجهت الشبان حاملين الزينة الملوكية الى عبدولونيم الذي كان وقتئذٍ ينقي اعشاب بستانه فتقدموا اليه وسلموا عليه كملك فتكلم واحد منهم عن الجميع وقال لهُ اخلع هذه الثياب الرثة الوسخة ونظف جسمك من الاوساخ التي تغطيه من زمن مديد والبس هذه الحلل التي بايدينا وخذ احساسات الملك واعتدل في عوائدك المعتادة لحد العرش الذي انت مستحقهُ ومتى جلست كملك بيده حياة وموت الشعب لا تنسى الحالة التي لاجلها صرت ملكاً فظن عبدولونيم ان ذلك حلما وان كيف

يمكنهم ان يتجاسروا و يسخرون بهِ هكذا فحلفوا لهُ باعظم الايمانات ان ذاك صحيحاً ثم اخذوه وغسلوا بدنهُ والبسوه الحلة الارجوانية وعندما تحقق ذلك ذهب معهم لمحل الملك وعندما ضج الخبر في المدينة كان البعض فارحين والبعض وخصوصاً الاغنياء مغتاظين فذهب كل من هؤلاء الى محسوبي الاسكندر وتكلم كلاماً مهيناً بحق عبدولونيم وانهُ لا يستحق ان يكون ملكاً نظراً لفقره ولدناءة صنعته ولما بلغ ذلك الاسكندر دعى الملك الجديد اليهِ وعندما جلس امامه تأمله مدة وقال لهُ ان ظاهرك لا يكذب اصلك ولكن اريد اعرف كيف احتملت الفقر وكيف كان صبرك عليهِ فاجابهُ عبدولونيم عسى ان الالهة تساعدني بحمل قضيب الملك كما قوتني لاحتمال الفقر فهذه الايدي ساعدتني عَلَي كل رغائبي بحيث لا اطلب سوى ما كنت محتاجاً اليهِ فعندما سمع الاسكندر هذا الجواب عرف صفات هذا الرجل فملكه ليس فقط عَلَى ما كان يملكه استراطون بل اعطاه قسماً مما كان يكسبه من الفرس واضاف ايضاً الى ملكه بلاد اخرى مجاورة للمدينة هذا ما ذكره كنتسكبري في تاريخ حياة الاسكدر فلا اشك ان الاسكندر هو اعظم رجل ظهر في الدنيا فخلاف شجاعته وفتوحاته السريعة ترى فيه فضايل ما سبقه اليها ولا لحقهُ بها فاتح غيره

اولاً اخذ ثار اليونان ومحى عنها العار وفتح اسيا لها

ثانياً انهُ بكى عدوه المغلوب وقتل من قتله واكرم عايلته وتزوج ابنته

ثالثاً كيف اعتبر الكاهن العظيم في القدس وملكها بهذا الاعتبار

رابعاً كيف دخل مصر وامتزج معهم وقدم ضحية لالهتهم

خامساً كيف حكم عبدولونيم لاجل الفضيله فقط

سادساً كم شاد من المدن في مدة قصيرة

سابعاً اعتباره لمعلمه واماتته بهِ حتى لقد وشوا عَلَى معلمه انهُ واضع لهُ السم في الكاس فعند ذلك أخذ وشربهُ وقال هذا سرّ معلمي

ثم ان مدينة صيدا دخلت تحت حكم الدولة اليونانيـة فطارة كانت تتبع مصر وطارة ملوك انطاكية واخيراً دخلت تحت حكم الرومانيين وبعدها تحت حكم العرب والان تحت حكم الدولة العلية بحيث كونت ثلاث مدن فوق بعضها اولها صيدا الفينيقية

ثم صيدا الرومانية ثم صيدا الحالية والذي يدلنا الان خلاف التاريخ عَلَى عظمة صيدا هو ما وجد فيها اخيرًا من المدافن التي كشفت لنا ملوكًا لم يذكرها التاريخ قبلاً واهم هذه الملوك هو اشمون عازار الذي انوجد تابوتهُ في صيدا وهو الان في انتيكخانة اللوفر في باريس

وقد شاهدته هذه السنة في شهر اب سنة ١٩٠٣ عندما كنت زائرًا باريس وقد شاهدت ايضاً تبنت ولده الموجود الان في الاستانة العلية مع تابوت الاسكندر الذي انوجد معهُ سوية في صيدا وقد شاهدت ايضاً قطع فينيقية عن اشمون عازار في انتيكخانة بريطانيه في لوندره هذه السنة نفسها والكتابات الموجودة عَلَى هذه التوابيت هي باللغة الفينيقية والمصرية وهذه الخطوط من احسن الخطوط في هاتين اللغتين وهذه التوابيت من الحجر الاسود الصلد جدًا المسمى بازلت وهو حجر من الصخور النارية الجيلوجية والكتابة التي عَلَى تابوت اشمون عازار هي هذه انا اشمون عازار ملك الصيداوين ابن بنت ملك الصيداوين وحفيد اشمون عازار ملك الصيداوين ووالدتي هي ام عشتروت كاهنة سيدتنا عشتروت الملكة وابنة الملك اشمون عازار ملك الصيداوين فنحن الذين بنينا هيكل الالهة في صيدا في الارض البحرية التي تمجد فيهِ الباشوريون عشتروت ونحن ايضاً الذين بنينا عَلَى الجبل هيكلاً لاشمون الذي ساندا يده عَلَى افعى والساميون تمجده فيهِ ونحن الذين بنينا هياكل الهة الصيداوين في صيدا هيكلا لبعل صيدون وهيكلاً لعشتروت في سماء باعال فعسى ان اسياد الملوك تعطي لنا خلودية وحسن الارض ذات القمح الجيد الموجودة في برية سارون مكافئة لنا عن الامور العظيمة التي فعلتها

ذكر ذلك في الجرنال الاسيوي في القسم الخامس في الجزء السابع وجه ٢٨٧ من رسالة موسيو مونك

واما تابوت تبنت الذي نظرته في الاستانة هو كتابوت اشمون عازار يقول انني انا تبنت بن اشمون عازار ملك الصيداوين وان لا يوجد في محلي ذهباً ولا فضة وان من يسلب راحتي ويقلقني لا يجد راحة تحت الشمس

واما التابوت الذي يظنون فيهِ انهُ تابوت الاسكندر نظرًا للرسومات التي عليهِ

التي هي موقعة الاسكندر مع داريوس فهي من ابدع التشخيص وقد فحصته فوجدت ان قطعة من هذا الرسم البارز مكسورة وان في وسطها سلك فافتكرت ان جميع هذه الرسومات البارزة هي سلوك من حديد مطلاه بمواد صناعية من اعجب الاعمال

ويوجد تابوت بجنب هذا عليه صور بارزة وهي صور نساء نائحات والاعجب انها صورة امراة واحدة لكن باوضاوع مختلفة بحيث كل وضع يريك امراة اخرى وقد وجد في تابوت تبنت جثته التي كانت محفوظة بسائل فظنوا ان هذا السائل مائا داخلا اليه فرفعوه عنه فحينئذٍ ابتدت الجثة في التحليل فما كان هذا السائل الا سائل مضاد العفونة وقد رأينا هذه الجثة هيكلاً فقط

مركز صيدا واحوالها سنة ١٨٦٠

ان موقع صيدا الطبيعي هو من احسن المواقع والذين اختاروها عاصمة بلاد فينيقية محقون بذلك لانها محاطة بسهول خصيبة وبجبال مشجرة ونهر الاولي الذي اصل نبعهُ من الباروك وجزين يسقيها ويسقي بساتينها فتراها على تل من بعيد وحولها السهول وهذه التلة ما هي الا من خربات صيدا القديمة بحيث اذا حفر الانسان تحت هذه المدينة يراها قائمة على خرابات تحتها

وقد دخلت مدينة صيدا لاول مرة في فتنة الستين وقد اجتمع فيها جم غفير نحو الخمسة وعشرين الف من راشيا وحاصبيا واقليم جزين فكانت متوزعة في الخانات وتحت الصواوين التي اعطتهم الحكومة الى اهل حاصبيا وراشيا عند ابا روح واما المحل الاكثر اجتماعاً هو خان الافرنج الذي يخص دولة فرنسا التي كان قنصلها يومئذٍ مسيو دريكلو الذي عمل كل خير والتفات نحو المنصابين وكانت الماشي والغرف حتى السطوح مملوة من الناس بحيث كانت الناس تنام لزق بعضها

تاريخ خان الافرنج

قد اسس هذا الخان الامير فخر الدين المعني وقد اعطاه الى تجار الافرنج الذين حضروا بعد سفره الى توسكانيا من ايطاليا ومن بعده استلمته فرنسا ولم يزل في يدها للان وقنصلها الصيداوي يقيم فيه وكانت كل اوربا ترسل احسانات الى هؤلاء المنكوبين وكانت جمعيات الاحسان في بيروت ولكل منها فرع في صيدا ففرنسا كانت ترسل أحساناتها عن يد قنصلها وكانت راهبات مار يوسف تخدم المرضى في المستشفى الذي عملته في الخان وكانوا يلمون الاولاد الايتام الذين كان يتركهم اهلهم وكانت الرهبنة اليسوعية تجمع اليتامى وتلبسهم لبس خصوصي وسموهم بالكاسافرية باسم مار فرنسيس كسفاروس وكانوا يعلموهم في مدارسهم الداخلية وهذه الاحسانات التي كانت تتوزع على المحتاجين كانت من الخبز والسمن والارز ومن الكسوة وتطبيب المرضى والمصاريف على اليتامى ذكوراً واناثاً وكان لاحسانات الانكليز والاميركان والالمان جمعية واجدة في بيروت كانت ترسل احساناتها لصيدا عن يد الخواجه يعقوب ابيلا قنصل انكلترا ومن جملة الكساوي التي كانوا يحسنون بها فروات من جلد الغنم وبدلاً من الخبز كان يوزع بزار القمح وبزر القز للفلاحين عند رجوعهم وكان طبيب المرضى من قبلهم الدكتور شبلي ابيلا الذي افرغ جهده في التطبيب وكان مساعداً معهُ ابن عمنا توما افندي الخوري الطبيب

وفي شهر تشرين اول حضر فؤاد باشا وزال الخوف من قلب الجميع وبطل كل تعدٍ وكان حضر سعيد بك الى اقليم جزين لاجل تطمين الاهلين وارجاعهم الى محلاتهم وعندئذٍ خطر ببال الخوري اسطفان الذي كان ساكناً معنا في صيدا وكنا اخذنا بيتاً آخر وهو قرب البحر بان يرجع مع عائلته الى بكاسين فاستاجر مراكيباً لهُ ولعائلته وسافر عند المساء فتوجهت معهُ ليلاً وعند طلوع الشمس طلينا على بكاسين



منظر بكاسين المحروقة

عندما نظرنا هذه القرية بغتة صرخنا صوتًا واحد واحسرتاه ماذا المَّ بهذه القرية التي كانت مسقط راسنا واول ما استنشقنا من الدنيا هواها وتفتحت اعيننا عَلَى نورها ومرآها وقضينا زمن الولودية والراحة فيها واول ما شربنا واكلنا من مائها وغذاها واول ما عرفنا حب اهلنا واقاربنا فيها وهي التي بعد الله والوالدين اوجدتنا كيف نراها حيطانًا مسودة لا سقوف لها خربة مهجورة لا صوت بشريّ فيها بعد الاجتماعات العظيمة التي كانت تصير فيها ولا اثر لحياة حيوان فيها تلك البلد التي كانت منذ ثلاثة اشهر زاهية زاهرة هذه نتيجة الحروب والاضطرابات ومنافعها فوقفنا مدة متحسرين متأسفين ومرددين قول امرء القيس

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ

ولكن ما النفع من كل ذلك فاخيرًا نزلنا الي البلد واول ما ركضت الى بيتنا وعندما دخلتهُ بكيت وعندما رأيتهُ مسودًّا كفرن دون باب ولا شباك لرضه محفرة والاوراق منتشرة فيهِ والقواطع التي بين الغرف مهدومة فكنت انظر المحل الذي كنت انام فيه مع اخوتي وافتكر كيف كان مفروشًا مكسوًّا والان لا يوجد فيه شيئًا اجلس عليه وكنت اركض الى كل بيت اعرفهُ في القرية فلم ارَ فيه غير آثار الخراب واربع حيطان مسودة من الحريق وكان لنا شريك اسمهُ شكرالله حنيني كان يزرع في ارضنا في جبل طوره فاكلت عنده خبزًا ثم قابلت ابن عمي فرنسيس الخوري الذي كان متوجهًا الى جبل طوره الذي يبعد عنا نحو ساعتين وكان لنا فيهِ املاكًا يديرها الشركا، وكانت الارزاق في جبل طوره اكثرها ملك سعيد بك جنبلاط الذي ارسل رجلاً من قبله ليحافظ عَلَى الحاصلات والشركاء التي تجمعها فقال لي فرنسيس تعالى معي الى الجبل فتوجهت معهُ حالاً ونسيت انني قضيت الليل ماشيًا وذهبت معهُ ماشيًا عَلَى رجلي الى ان وصلنا الى جبل طورا

جبل طورا

لفظة سريانية معناها الجبل وقد قلت ان هذا المحل مزرعة شمسية لا تمكنهُ الفلاحون الا مدة شغلها زرعا وحصاداً يعلو عن البحر الف وثلاث مابة متر وفيه بعض تلال تكشف لجبة البحر تعلو لحد الف واربع مابة وخمس مابة متر وهو مكشوف لكلّ الجهات والاهوية لا تنقطع منهُ وبرده شديد جداً بحيث صيفه شتاء وكانت الحرارة فيه ليلاً في الصيف داخل الصيوان لحد ١٥ درجة فوق الصفر بميزان سنتيكراد

مركزه

عندما يصل لبنان الشامخ الانف الممتد من الشمال الى الجنوب الى شرقي جزين ويرتفع ارتفاعهُ الاخير بهيئة برجين يعلو احدهما الف وست مابة متر يسمى بتومات جزين فتحول منهُ لفتة الى الوراء اي نحو الشرق فيرى ذلك الشيخ الجليل اي حرمون العظيم المسمى بجبل الشيخ وهو سلسلة انطي لبنان فيطئطىء راسه اجلالاً لهُ ويتزلل امامهُ ويموت تحت اقدامه عند مجرى الليطاني لفظة سريانية معناها الملعون الفاصل بينهُ وبين مرجعيون وهي مملكة عيون القديمة من ارض نفتالي في سفر الايام الثاني الاصحاح ١٦ عد ٤ وهذا النهر هو الحد الفاصل بين لبنان وولاية بيروت من الجنوب الشرقي فعلى الصفح الغربي للتومات قرية مجدلين لفظة سريانية معناها البرجين تعلو عن البحر الف واربع مابة متر وغربي هذه القرية ارتفاع صخري يبتدئ بالتدريج من الشرق الى الغرب الى ان يصل الى مطل البحر المتوسط وينتهي بقطع عامودي يمتد من الشمال الى الجنوب كسور للبلاد التي غربيه وعلى هذا السور مقام الانبياء الذي هو من ارتفاعات بني اسرائيل

اثاره التاريخية

يوجد في هذا الجبل خرابات تدل عَلَى سكنهُ الاصلي ويوجد فيه نواويس محفورة في الصخور لا شك انها مدافن فينيقية كما ان هذه المدافن توجد في كل جبرته ولم تزل فيه ابار قديمة تستعملها الاهالي الان لجمع ماء الشتاء، وقد وجدت فيهِ عملة رومانية وعملة من صدر الاسلام وعندي حجر مكتوب عليه في اليونانية وقد وجدوا فيهِ كنيسة يونانية مع صليب يوناني ونواويس من الفينيقتين والكنعانيين

واذا نظرنا في الاصحاح ١٢ : ١٣ و١٩ : ٣٠ في سفر ياشوع بن نون توكد ما ذكره صاحب تاريخ لبنان العلامة لامرتان الياسوعي في الجزء ٣ وجه ٤٥٩ ان هذا المحل هو مملكة افيق القديمة وان هذا هو كرسي المملكة لان معنى افيق كما ذكره الاب المذكور حسب تقليد القديس هيرونيم انهُ اندفاق الماء او السيل او الصخر او الوادي وقال اخرون ان معناها القلعة او المدينة المحصنة

وقد اعتبر الاب المذكور ان مركز هذه المملكة هو جزين نظراً لمياهها ونهرها ولكن اذا اعتبرنا معنى افيق لفظة قلعة فتكون هذه المملكة هي جبل طورا وقد قال العلامة المذكور بوجه الاحتمال ان ربما تكون افيق عَلَى الطريق بين جزين وكفرحونه ونحن نقول ان هذا الاحتمال هو المرجح عندنا وان مركز جبل طورا هو عاصمة المملكة اولاً لانهُ متوسط بين الخرابات ثانياً لانهُ مرتفع ويرى ما حوله تحت اقدامه بحيث يرى كل المملكة وان الناووس الذي في وسط الكرم ومجمع الابار ووجود اثر بيت في الصخر ودرج عَلَى صخر اخر لاجل الصعود الى الناووس ومقعد منقور في الصخر لاجل الجلوس عليه بين الابار ان هذا المحل محل الملك وقد قال يشوع بن نون ان افيق هي شرقي صيدون العظيمة وقد اعطاها لسبط اشير ص ١٩ عد ٣٠ وجبل طورا هو شرقي صيدون تماماً

فمنظر هذا الجبل من اعظم مناظر سوريا فاذا كنت جالساً صباحاً عَلَى تلة اسمها تلة بيت عبود ترى البحر المتوسط يبعد عنك مسافة ستة ساعات وترى منهُ

جبل الكرمل ونقورة عكا وسواحلها وترى في هذه السهول القرى المرتفعة والاودية ومجاري المياه وترى بلاد بشاره والشقيف وسهل الدامور ومن الجنوب ترى جبل صفد وبحيرة الحولة وما حولها ومن الشرق ترى جبل حوران وحاصبيا وجبل الشيخ وتومات جزين وسلسلة لبنان

والمنظر الشمالي ترى منهُ جبال فوق جبيل وسلسلة جبال كسروان وصنين ومار عبدا الذي فوق الدير وبالاختصار ان المسافة التي يراها نظرك من كل جهة لو كان خيالاً راكباً من نقطة ويدور الى ان يرجع لها وانت ناظره يلزم لهُ مسافة عشرين يوم او شهر لقطعها

واظن ان هذا الجبل هو الجبل الذي اخذ ابليس المسيح اليهُ واراه ممالك العالم وعندما لم يرضى المسيح في الرضوخ لهُ وجد راهبين فاتفقا معهُ فاعطاهما هذه الارض وسموها مزرعة الرهبان

تاثير جبل طورا على الفكر

لا شك ان كل قمة من جبل طورا هي كطور سينا تكلم عليها الله وهو يكلمك اعني عندما تجلس على هذه القمة وترى حولك واسفل منك تلك الوديان والجبال والاحراش ومجاري المياة والبحر وهلم جرا ترفع عقلك الى اعلى من الارض وتفتش على صانع هذه الاشياء وتقر حينئذٍ وتسجد لهذه القوة الخالقة التي لا تدرك منها الا وجودها فتكلمها في فكرك وتصعد اليها بهِ فتتجلى امام مخيلتك وتراها باعين عقلك ولا تعرفك بشيء سوى بوجودها وقدرتها فهذا ما ظهر لي منها وكل اعتقاد بها خلاف هذا يخل بعظمتها فهذا كما اعطي لي لمعرفتها

تأثيره على الصحة

فلا شك ان هواه النقي يجلب كل صحة لان بسبب ارتفاعه تأكد ان هذا الهواء

الذي تستنشقهُ ما مرَّ عَلَى رئية قبلك وفي كل سنة اخذ صواوين وانصبهم عَلَى تلة فوق الكروم المحيطة بها بعلو ١٣٠٠ متر متجهاً نحو الشمال وكنت اخذ كل عايلتي معي وامكث مدة شهر خصوصاً شهر اب الذي تكون فيهِ الحرارة في النهار لحد ١٨ فوق صفر ميزان سنتي كراد و ١٥ ف في الليل في الصيوان فهذا الشهر الذي استريح فيه كل السنة وكان يلومني كل محب للمال كيف اترك شغلي من بيروت واذهب مدة الصيف فهذه خساير فاجبتهم ان جسم الانسان مثل الثياب اذا اعتنيت فيها ونظفتها استقامة مدة والا تذهب بسرعه فاذا كنت اعتني بجسمي فاعيش سنة زيادة اعوض ما خسرتهُ من اشهر الصيف وكذلك اتمتع بسنة زيادة لانني لم اخلق مرة ثانية لارجع اصيف في جبلِ طورا وهكذا اعتذارات لاقناع محبي الدراهم الذين يجعلون سبب وجودهم عَلَى الارض لجمعها

وقد صدف لي جملة امرار ان بعض الاولاد يمرض في بكاسين فحالاً اخذهم الى الجبل فبدون دواء يشفى المريض اعني المرض ذات الكروب اللطيفة اذا كان يوجد منها لطيفة خصوصاً المالريا حاصله ان مناخه احسن مناخ وليس عندي لوكندة صوفر لارغب الناس الى الحضور اليهِ ولكن لاجل معرفة هذا المحل الذي هو احسن محل في سوريا

فواد باشا

عند حضور فؤاد باشا لقصاص المجرمين من متوظفين وخلافهم طلب مشايخ الشوف ومن جملتهم سعيد بك جنبلاط الذي حضر الى بيروت وعند وصوله حبسوه في القشله العسكرية واما الشيخ قاسم حصن الدين فانهم نفوه مع جملة مشائخ اخر من اهل الشوف الى البلغار فعند ذلك توجه والدي الى صيدا ومرض بالحمى التيفودية و بعد شفاه حضر الى بيروت

فاول شيء عمله هو الذهاب الى القشلة ليرى سعيد بك جنبلاط الذي كان محبوساً وبعد طلب الاذن بالدخول اليه وجده عَلَى اخر نفس من الحياة لانهُ كان مريضاً بالصدر

وعندما راى والدي انتعش وطلب الغليون لانهُ كان يشرب الدخان بكثيرة واخيرًا طلب ان ينقلوه من القشلة الى بيت عَلي الادلبي الذي هو بجانبها وكان والدي الساعي بذلك فكانت احوال سعيد بك تتزايد يومًا فيوم وعندما اشعر بقرب اجله اقام وصيًا عَلى اولاده القائم مقام الامير محمد ارسلان وقد كان باقي لوالدي معاش عنده لحد العشرة الاف غرش

فاوصى الامير محمد ان اولاده تدفع لهُ هذا المبلغ الذي قبضه والدي من امراته واولاده وعند الساعة واحدة عربية من نهار السبت الواقع في غرة زي الحجة سنة ١٢٧٧ هجرية والموافق ١٩ نيسان شرقي سنة ١٨٦١ والموافق من ١١ ايار غربي سنة ١٨٦١ توفي سعيد بك جنبلاط الرجل الشهير في بيت السيد علي الادلبي ودفن في مقام الاوزاعي الساعة التاسعة من النهار عربية في يوم وفاته بالذات والذي اهتم في دفنهُ وصلى عليهِ هو فضيلة الشيخ ابراهيم الاحدب وكان معهُ في الدفن والدي فقط الذي رافق سعيد بك الى القبر وخدمهُ طول عمره بامانة وصدق وحب لا يوصف وقد اخبرني والدي انهُ حصل لهُ كدر لا يقدر وهكذا انتهت حياة سعيد بك الذي مات بموته كرم الشرق القديم وجميع عوايد حكامه القديمة بالاكل والشرب والضيافة وابتدأ النظام الجديد للبنان فعند ذلك رجع والدي الى بكاسين وبقي هنـاك وتوظف مامورًا لكمرك الدخان في الجبل

وقد تشكل مجلس مخصوص لاجل توزيع المسلوبات والمحروقات عَلى البلاد وابتدت الدولة العلية بتشكيل كومسيون مخصوص لاجل عمل نظام مخصوص للبنان وان يكون عليه حاكمًا عثمانيًا

اخيرًا اتفق الراي ان يقيموا حاكمًا مسيحيًا كاثوليكيًا لا يكون لهُ طائفة كبيرة في الجبل وان تعطى لهُ السلطة التامة في الاجرأت والتوظيف وان يكون هو المساول عن راحة الجبل يعين لمدة خمس سنوات او عشرة و يجوز تجديده وان تعفى لبنان من الكمارك الداخلية وان يدفع سبعة الاف كيس مالًا ميرية وعسكرية وان تساعده الدولة بخمسة الاف كيس حتى ان يصير كافيًا نفسه وان جميع المتوظفين وطنيين وان العساكر تكون منهُ بترتيب جندرمه وانهُ اذا لزم عساكر خلافهم بطلب المتصرف من عسكر

الدركون المقيم في بيروت والمقيمة فرقة منهُ في بتدين

وكان نظام لبنان محصوراً بثمانية عشر مادة معروفة وتاريخ فرمان هذا النظام في ١٤ ربيع اول سنة ١٢٨١ هجريــة فبهذا النظام استراح لبنان من كل فتنة داخلية وعرف كل انسان درجتهُ وتنفست الاهالي وتخلصت من استبداد المقاطعجين والمقاطعجيون انفسهم استراحوا من مزاحمات بعضهم وجبر الاهالي الى اغراضهم فاصبح لبنان شاكراً لفضل الدولة العلية ابدية القرار ولم يزل يموت ويحيي تحت حكمها واوامرها ولا يوجد في الدنيا بلاد لها مثل هذا الانعام والامتياز

فهكذا انتهت فتنة سنة ١٨٦٠ التي خربت البلاد وليس لهـا نظير في الدنيا ان الرجل وجاره ان كان في البيت او في القرية يعامل بعضهما هكذا معاملة فليس الذنب عَلَى الاهـالي بل كلهُ عَلَى مقاطعجية ذلك الزمن وليس اللوم عَلَى فيئةٍ واحـدة بما فعلت مع الاخرى لانهُ لو كانت انتصرت اهل الاقليم عَلَى اهل الشوف لفعلت معها ما فعلتهُ الاخرى فالحمد لله الذي بظل دولتنا عندما ابعدت المقاطعجين والغتهم حصلت الراحة التامة التى نحن فيها الان ومن الصدف المحزنة التي حصلت من ذلك الوقت هي قصة الخوري يعقوب واخوته وهي لم تزل مؤثرة في لليوم

الخوري يعقوب الخوري الحاصباني واخوته

ان من اغرب الاتفاق قصة هؤلاء المساكين وهم اربعة واختهم الذين ذهبوا من هذه الدنيا في مدة اربعة اشهر باسباب مختلفة وابقوا والدتهم ثكلى وحيدة في الدنيا

والخوري يعقوب من عايلتنا من فرع بيت لحيا فتوجه جدهم الاصلي خوريا عَلَى حاصبيا فخلف اولاداً الذي احدهم ارتسم خورياً محل ابيه باسم الخوري يوسف الحاصباني لانهُ قطن حاصبيا والثاني شاهين حضر لدير القمر في ايام الامير بشير واتخذها موطناً لهُ وقد توفي عن شاب يدعى ملحماً قتل ١٨٦٠ واربع بنات وقد حصل مالاً وجاهاً وافراً عند الامراء الشهابيين وقد كان كاخياً عند الامير قاسم ومن بناته حبوبه والدة

يوسف غنام ثابت صاحب مطبعة الاجتهاد في بيروت والثالث اسمه مارون خلف اولادا وهم الخوري يعقوب صاحب هذه القصة واخوته سليمان واسكندر وجرجي وثلاث بنات احداهن زوجة حبيب وهبي الحج من قيتولي والثانية متزوجة في مراح المكنونية والثالثة عزباء كانت في البيت وقد حضروا جميعاً مع عمهم ووالدهم الى قيتولي وتسموا بالحصباني لحضورهم من حاصبيا فقيتولي قرية من اقليم جزين لفظة سريانية معناها مصيفي فالخوري يعقوب المذكور تعلم في مدرسة عين ورقة وذكرنا انهُ اتى منها الى مدرسة مشموشة مع المطران بطرس وانهُ بعد الفتنة حضر مع المطران بطرس الى المعمرية عندما حضر قواس قنصلاتو فرنسا مع اثنين لاجل اخذ المطران وان البعض حذروا المطران ولم يذهب فارسل عوضه الخوري يعقوب مع اخيه سليمان وقبل وصولهم الى صيدا قتلا كما قلنا

ثم ان لهم اخت قتلت مدة الفتنة في جزين وان لهما اخ اسمهُ اسكندر تعلم عن عين طورا وعندما حضر بالفرصة لاجل مشاهدة والدته الحزينة الى صيدا في ١٥ اب مرَّ بحصانه على نهر الاولى عند مصبهِ وهناك تراب لزج غرق مع الحصان

ولهم اخ اخر اسمهُ جرجي كان نجارًا في بيروت ففي شهر تشرين اول ظهر لهُ سرطان توفي به فاصبحت الام الحزينة وحدها فقدت اربعة رجال وابنة مدة ثلاثة او اربعة اشهر بعد ما كانت تفتخر فيهم اصبحت وحيدة عن العالم وجميعهم ماتوا باسباب مختلفة ومحلات مختلفة في مدة قصيرة فهذه القصة من اعظم المصايب

قد ذكرت من هذه الفتنة التي عمت سوريا بامرها ما شاهدته عياناً في اقليم جزين والقصد من ذلك ليس تاريخ هذه الفتنة بل ما مرَّ عليَّ من مدتها كقسم لتاريخي وبسبب سن الولدنة ما كنت اشعر بخوفها وخصوصاً ما احتجت شيئاً من لوازم المعيشة بل كان كل التعب والخوف عند الاكبر مني سناً

فبعد ذلك اخذ والدي يفتش لي على مدرسة اتلقى بها العلوم مهما كلفهُ ذلك ان كان لي او لاخوتي لانهُ كان مستعداً ان يصرف جميع امواله لاجل ذلك وقد قال لي انني ساعطيك مالاً لا يمكن لاحد سلبه منك ولا انا ايضاً وهو العلم وهكذا عمل فانهُ توجه الى بيروت لايجاد محل في مدرسة عين طورا التي كانت اشهر المدارس وقتئذ

يوجد لها كراسي من قبل دولة فرنسا اي ان هذه الدولة الكريمة كانت تدفع مرتب المدرسة عن جملة تلامذة وذلك لاجل تعليم لغتهـا لانها تعتبر ان الذي يعرف لغتها يتاجر معها و يزورها ويحبها فتكسب من ذلك اكثر من مصروف تلميذ وكانت تعطي هذه الكراسي عن يد المطارنة الكاثوليكيين او عن يد من له وساطة عند القونصلاتو فسيادة المطران بطرس البستاني الذي كنت تلميذه في مدرسة مشموشة اوجد لي كرسياً في عين طورا فطلبني والدي الذي كان يومئذٍ في بيروت للحضور اليها لكي اتوجه الى عينطورا برفقته

ما شاهدت من بكاسين الى عينطورا

فسفرةٌ مثل هذه كانت تعدّ في تلك الايام من اعظم السفرات عَلَى الاولاد لان يقتضي لها مشي ثلاثة ايام من بكاسين الى عينطورا نظراً لرداءة الطرقات وعسر مسالكها فعند استعدادي للسفر استأجروا لي حماراً وصاحبه من جنسهِ ووضعوا لي فرشتي وثيابي بخرج فوقهُ وركبت كأنني ملكت البصرى وقد ودعتني الاقارب بالبكاء ومشوا معي نحواً من ربع ساعة كأنني ذاهب الى الصين وهذا من عدم العادة عَلَى الاسفارِ اخيراً وصلنا الى محل يسمى مرج بسري بعد مشينا مدة ساعة من الزمن نزولاً

مرج بسري

بسري لفظة سريانية معناها اللحم وربما سميت ذلك لانهُ كان يضحى فيها الضحايا للالهة الهيكل الموجود اثره فيها لحد الان وهي عواميد من الكرانيت لم تزل واقفة للان وحولها بساتين من التوت وفي هذه البساتين آثار اخرى كل ذلك يدل عَلَى وجود هيكل فينقي قديم بنى الرومانيون فوقهُ هيكلاً آخر وقيل ان اسم هذا الاله سرس اسم الهِ الحنطة وكان هيكله في هـذا المحل وكانوا يقولون عنهُ بيت سرس حسب اصطلاح السريانية

فصار مع الزمن بسري وربما هو الهيكل الذي ذكره تبنيت عازار الذي اكتشفوا جثته في صيدا ويذكر انهُ اقام هيكلاً في الجبل وهذا الهيكل موجود على مسبر الانهر المجتمعة في مرج بسري ومصبها بقرب صيدا تسقي بساتينها وسكانها وهذه الانهر هي نهر الباروك وخلافهُ من الشمال ونهر جزين وخلافهُ من الجنوب وعند اجتماع النهرين يكونان زاوية راسها الى الغرب وهناك هو الهيكل

وربما اذا حصل بعض حفر عن هذه الارض يجدون ما لم نعلمهُ فهذه هي النقطة المهمة في طريقنا وكان يسمى المرج بوادي العواميد وقد مرَّ بهِ الملك الظاهر لمحاربة اللذين كانوا محاصرين في قلعة طيرون وقد اخذ بوضع مواد نتنة في الماء النازلة الى القلعة وهذا الذي اوجب تسليمها وبعد تسليمها بنى الملك الظاهر برجاً بجانب القلعة وكتب اسمهُ على العتبة وقد سقطت هذه العتبة على الطريق بين جزين وباتر وكادت تسقط من على صخر الى بجنين فرفعتها عن الطريق مع رجال كانت معنا عندما كنا مع الاب لامنس اليسوعي الشهير في اثار لبنان نزور هذه الاماكن

وبعده توجهنا الى طريق بتدين بعدما صعدنا بمعبور المزرعة الشهير الذي هو عبارة عن سلم صخري لا يمكن الركوب فيهِ لا طلوعاً ولا نزولاً ما لم يكن الراكب كارهاً الحياة

وبعد ما صعدنا هذا المعبور على اقدامنا مدة ربع ساعة صعودا عموديا تقريبا دخلنا في غابة من الزيتون تخص مزرعة الشوف وما بلغنا نصف الغابة حتى وجدنا بركة ماء يحيطها الزيتون وكان الوقت ظهراً نظراً لبطء سير فارس وحماره فجلسنا واكلنا وبعده مررنا تحت المزرعة وهي بلد كبيرة بالنسبة للشوف السويجاني

الكحلونية

فوصلنا الى مزرعة تدعى الكحلونية تبعد عن بكاسين ثلاث ساعات والكحلونية لفظة سريانية معناها مكحلة وهي قرية صغيرة ذات ماء عذب وامام عينها فسحة عليها شجرة صفصاف يجلس المسافر تحتها للراحة وبيادر البلد ملتصقة بها وهي التي قتل فيها خوري بتدين اللقش ابتداء حركة سنة ٦٠ وبعد ان بعدنا عنها ثلاثة ارباع الساعة وصلنا الى قرية السمقانية

السمقانيه

(لفظة مأخوذة عن السريانية معناها الحمراء — وهي من الشوف) مررنا على عينها التي هي اشرف ماء في تلك الجهات موقع هذه القرية قمة شرحة فيها بناء عظيم كان لعائلة بيت القاضي ومن هذه القرية عائلة بيت ابو هرموش من مشايخ البلاد التي كان منها محمود باشا وهو الذي حارب اول امراء الشهابيين الامير حيدر

بعقلين

لفظة سريانية مركبة من باي اعو قلين اي بيت حزن المتعوبين وهي قصبة الشوف وهي التي تعمرت اولاً في الشوف وسكنها الامراء المعنيون الذين حضروا سنة ١١٢٠ الى لبنان بامر طغتكين صاحب دمشق لاجل اطلاق الغارة على الافرنج الصليبيين وسكنوا صحراء بعقلين بالخيام وبعد ذلك اخذوا المنازل وسكنوها

وهي الان مركز قائم مقامية الدروز الصيقي والعائلة المشهورة فيها هي عائلة بكاوات حمادي الدرزية والذي اشتهر منها علي بك حمادي الرجل الشجاع والسياسي العظيم وسأذكر الافراد الذين عرفتهم منها في مجرى تاريخي وعائلة بيت الغريب النصرانية التي هي من اصل عائلتنا من الكوارزة من بشري حضر جد هذه العائلة مع امرأته الى الشوف ونزل ليلاً خارج بعقلين وبينما هو نائم احس برجل داسه وهرب فاخذ بارودته واطلقها بالظلام فاصابت الرجل فقتل وبعد قليل تراكضت الناس بكثرة اليه وسألوهُ من هو ولاي سبب اطلق بارودته فخاف منهم جداً واخبرهم انهُ بينما كان نائماً شعر برجل داسه فرماهُ بالرصاص دون ان يعرفه فقتل وقال ها انا بين يديكم فتركوه وذهبوا الى المقتول فوجدوه انهُ من اعظم اعدائهم وكان اتى اليهم في ذلك الليل ليفترس احداً منهم فعندما عرفوه ركضوا وراءه فهرب وبينما هم سائرون سمعوا صوت البارود فتوجهوا لمحل الصوت ورأوا الرجل وكان هذا العدو من بيت الحر عائلة كانت ساكنة بعقلين فافنتها بيت حمادي وكانت الموقعة على بيادر القرية فالرجل الذي قتله غريب كان هارباً وكان يسطو ليلاً عليهم فعند ذلك اسروا منهُ لانهُ

خلصهم من عدوهم وسموه غريب للتحبب وادخلوه البلد وقطعوا معهُ عهداً واسكنوه معهم وهذه العائلة تفرقت الان في البلاد فمنها بيت البعقليني في الشوير وبيت الغريب في دير القمر الذين منهم عيد الغريب المتزوج بابنة ابن خالتي سليم بك طرابلسي اميرالاي العسكر اللبناني وهي السيدة حبوبة

وبعد ان قطعنا السمقانيه وطلينا عَلَى دير القمر التي هي امامنا للشمال عرجنا عَلَى بتدين الامير التي عمرها الامير بشير الشهابي وجاب لها الماء من نهر الصفا وهي الان مركز حكام لبنان وفيها السراية العظيمة ولها تاريخ مخصوص نذكره ونذكر بعض امور عَلَى الامير بشير بالاختصار لان تاريخ الاعيان يكفي عن كل شرح

بتدين

هي لفظة سريانية معناها بيت الحكم او الدين كانت اولاً خلوة للدروز غير ان الامير بشير عندما حضر مع جاريتهِ اليها حضر لعند ابي عَلِي صاحب الخلوة وكان يأكل عندهُ وقبلما اتصل الى حكم لبنان وكان مستخدماً عند الامير يوسف ارسلهُ الامير يوسف الى حاصبيا لاجل اختلاف وقع هناك بين امراة وورثة زوجها المتوفي وكانت هذه الامراة من الشهابيين وكان مراده الزواج بها قبل زواجها لحاصبيا وكانت غنية وتوفي زوجها بدون عقب فذهب الامير بشير لاجل تسوية الخلاف فتم الصلح بتزويجها للامير بشير المصلح فحضرت الى ابنان مع بعلها واشترت بمالها بيت الدين ومزرعة الجية التي هي عَلَى طريق صيدا جانب النبي يونس فلما حكم الامير بيت الدين شاد فيها السرايا وترك دير القمر التي كانت مركز الامراء المعينين من زمان قديم وسكنها الشهابيون وقد جلب لها الماء من نهر الصفا وبنى المقاصف للصيف واحيا تلك الارض واضحت جنة بعد القفر وقد وصف المعلم بطرس كرامه الشاعر المجيد النهر عند وصوله الى دار السرايا وقذف الماء من النوفرة وصبه في وسط الدار في بركة وهذه البركة مزينة بالصفصاف المكنى بالمستحى المتدلية غصونهُ كشعور الغيد

دار في دار الهنا مثل العريس ... يتلالا في رداء جوهر

حوله السرو كعشاق تميس في رداء من حرير اخضر
تبتغي لثم محياه النفيس والحيا يمنعها بالنظر
خلفهن قايمات خدماً حوله منطغات الروس
وعليه ساهرات تيما تلتوي اعناقها بالنعس

وقد انفق الامير كما له لاجل بناء هذه العمارات الفاخرة وكانت تشتغل فيها البلاد والاكل من دار الامير ولا تقدر المبالغ التي صرفت والاتعاب التي تضحت على هذه البنايات فبالعموم هو اعظم محل في سورية ويزيد هذا المحل رونقاً قناة الماء فبعد ذهاب عزها ورحيل الامير عنها وتوفيه في الاستانة ورجوع عائلته من النفي وتعين معاش لهم من الدولة العلية حضرت امراته الثانية وهي الست حسنجاه التي ولدت له ابنتين فقط وهما الست سعدا والست سعود واما اولاده الذكور ولدتهم له امراته الاولى الخاصبانية التي توفت في بيت الدين ودفنت في جنينة السرايا وقبرها هناك لحد الان والست حسنجاه كانت على جانب عظيم من الكرم فاعطت اكثر مالها للاديرة والرهبان والخوارنة والخدم وكانت سراية بيت الدين والمقاصف والقناة ملكها قد اعطاها اياها الامير فعند سنة الستين وتنظيم الحكومة المتصرفية في لبنان قد اشترى المتصرف الاول داود باشا السرايا وعماراتها بستة الاف ليره واشترى منها المطران بطرس البستاني المقاصف والقناة ونقل كرسيه من مشموشة اليها بعد حركة الستين بمال زهيد وعين لها قداديس ابدية عن نفسها فبهذا انتقلت بيت الدين من الملك الخصوصي الى العمومي فالسرايا للحكومة اللبنانية والمقاصف والقناة لكرسي المطرنية ولم يبق للامراء شيء من املاكها ولا دفن احد منهم فيها ولو لم تشتر الحكومة السرايا و يشتري المطران المقاصف لخربت بتدين من مدة مديدة

وسنتكلم عن حضور الست حسنجاه من مصر سنة ١٨٧٣ وعن حضوري معها وعند مروري في بيت الدين كان ابتدى الاصلاح فيها بعد سنة ١٨٦٠ وكان عمار بيت الدين خالياً بين سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٣٠

دير القمر

هي عاصمة لبنان تعلو عن البحر ثمانمائة متر على سفح جبل مقبه للقبلة. وقبل وصولنا اليها نزلنا بوادي وقطعنا على جسر هناك ثم صعدنا الى ان وصلنا اليها ونزلت ضيفاً على المرحوم الشيخ زيدان افرام البستاني زوج خالتي حدله ابنة ناصيف الجزيني وكان وصولنا عنده غروباً فلم تعرفني خالتي حتى عرفتها بنفسي فقبلتني وترحبت في وبت عندها تلك الليلة

وقد كانت الدير منذ القديم مسكن الامرآء ومحط الامال ونخبة الرجال والذي رفع شانها اولاً هم الامرآء المعنيين كانوا يقضون فصل الشتآء فيها كونها ادفى بالنسبة الى بعقلين ويوجد فيها الى الان بناية باقية من تلك الايام وهي المسماة بالمرج وهي من بنآء المعنيين وسكنها بعدهم الشهابيون والسرايا الموجودة الان هي من عمل الامير ملحم الشهابي وعندما تولى الحكم الامير بشير انتقل الى بيت الدين وكان عليها من جملة المقاطعجية مشايخ بيت ابي نكد

وبعد ذهاب الامير بشير اضحت بيد متسلم من قبل والي بيروت وبعد سنة الستين عينت عاصمة لجبل لبنان ومركز حكومتها في بيت الدين وقد اقام فيها داود باشا مدة اما الان فهي مديرية بذاتها واستئناف دعاويها لمركز المتصرفية رأساً قيل في تاريخها السمعي المتناقل ان احد الكلاب بينما كان يحفر في الارض هناك (لان الدير كانت احراش ومحل المواشي) وجد ماء ففرحت الناس بهذا الماء فحالاً نقلوا الى الدير وعمروها وعندما حكم الامير بشير واعطى الامان هرعت الى الدير كل العيال الشهيرة من المدن التي كانت متضايقة فيها ولذا ترى اسماء العيال في الدير يدل على اصلها مثل بيت طرابلسي والعكاوي وبعض عيال اخرى واما العيال الاكثر عدداً وشهرة بالدير هم بيت البستاني وبيت نعمه وبيت ابوشاكر وبيت ثابت من الموارنة وبيت مشاقه والدوماني وبيت الجاهل والصوصه من الروم الكاثوليك

اما عائلة آل مشاقه فقد ذكر لي العالم العلامة الدكتور ميخايل مشاقه عندما كنت في دمشق ان اصل عائلته من ادنو كانت تابعة حكم الانكليز واعطيت لليونان فحضر

جدهم الى سورية وكان يتعاطى بيع وشغل المشاقة الحريرية فغلب عليه اسم مشاقه وان احد اجداده كان ماهراً في الكتابة والحسابات فاخذه الجزار الى عكا وجعله من عماله وحكمهُ في بلاد بشاره وعندما عرف الجزار انه جمع مالاً كثيراً دعاه اليهِ وقتله وسلب امواله فهربت زوجتهُ الى صور وكان لها ولد عزيز لديها وهو وحيد فبلغ الجزار انها اخفت مبلغاً من الدراهم فارسل وامسك ولدها ونادى من يستفك هذا الولد من القتل بخمساية ليرة والمهلة ثلاثة ايام فاخذت والدته الخمساية ليرة ودفعتها للجزار وخلصت ولدها وبعد مدة اعيدت العملية ذاتها الى ان استفكتهُ بخمساية ليرة اخرى وقد عرفت ان في كل مدة يعمل هكذا عمل فاخذت ولدها وهربت الى دير القمر وهذا هو اصل العائلة فهذه العائلة كريمة الاصل ذات عقول عظيمة اتخذ افرادها العلوم والمعارف ونالت الشهرة وساذكر عند وجودي في دمشق الدكتور مخايل مشاقه لاني عرفته فيها

فعلى العموم عندما ساد الامن في لبنان بجاه امراه العظام ابتدأت النصارى تأتي اليه من كل المدن وقد حضر النصارى الى جنوبيه مدة الامير فخر الدين كما قلنا والى دير القمر في زمن الامير بشير والذي حاز اعظم شهرة منها هو جرجس باز مدبر اولاد الامير يوسف الشهابي الذي عمل لهم حزب عظيم في البلاد وبني سرايته الشاهقة في دير القمر ولم تزل للان وهي بالحقيقة دار امراء وبعد تولي الامير بشير اخذ اولاد الامير يوسف وسكن معهم في بلاد جبيل وبنى هناك قصره

ولاخيه عبد الاحد شهرة عظيمة ايضاً خصوصاً في بلاد جبيل وقد قتلهما الامير بشير قصد ان يخلص الدير من سيادتهما فلذلك ارسل اخاه الامير حسن مع التلاحقة الى جبيل لقتل عبد الاحد وقتل جرجس بالدير واتفقا على قتل الاثنين بيوم واحد وهكذا صار فسر بذلك الامير بشير وحكم دير القمر بدون معارض

فبالاجمال ترى ان دير القمر جمعت احسن رجال لبنان وحوت فيها كل اجناس الفضائل كالشجاعة والكرم والمروة وعزة النفس فلو مات احدهم من الفقر فلا يهمه وكلهم اصحاب اشغال وصنائع متفننة كالتجارة ونسج الاقمشة الحريرية والصياغة وخلاف ذلك ولهم على بعضهم غيرة عظيمة ويحبون الضيافة والنزيل عندهم والان لم تصب لبنان

عصبية الاويد نعونها عنهُ بكل شهامة الطباعهم حدة فلا يمكن ان ترى منهم مراء لان عزة النفس تمنع الانسان عن الغش ونسائهم افضل نساء بالعفة والطهارة وحب الزوج فلا تعرف المراة منهم سوى كنيسة التلة وزوجها وقد قال احد مختبري البلاد انهُ لا يوجد في دير القمر صبوراً لان كل اهاليها ذوي امزجة عصبية حدّي الطباع فلا يستطيع احد مازحتهم واذا حشرتهم يسبون لك دينك وادابهم العظيمة لم تزل محفوظة عندهم للان

اقاربي في دير القمر

ان خالتي الكبيرة المسماة حبوبه تزوجت بالمرحوم خليل الطرابلسي الشهير والد سليم بك طرابلسي الذي صار امير الاي متصرفية لبنان وله اولاداً منهم خليل بك الذي سلك مسلك والده واصبح الان صاقولغصي في لبنان وكذلك ابرهيم بك مستلم ادارة الاملاك وحليم بك وانيس بك والثانية هدلا زوجة الشيخ زيدان افرام البستاني ومنها ولدان امين افندي الذي هو افوكا مشهور الان في مصر والثاني شاكر بك الذي سمتهُ خالتي على اسمي وهو الان عضو في دائرة الجزاء في لبنان والاغرب من ذلك ان هذين الشابين علما نفسهما دون مدارس كل العلوم العربية بحيث اصبح امين اول كاتب فيها وشاعر وتعلم الافرنسية ايضاً وكذلك شاكر بك صاحب الشهرة بالذكاء والاقدام

المشهورون في دير القمر بزماني

ان الذين اشتهروا وعرفتهم في زماني من الدير هم احسن رجال الجبل منهم شاكر افندي شاول وبشاره افندي نخول وولده داود الصيدلي الشهير وكذلك اصدق اهل زمانه خطار افندي ثابت وابن عمه سليم افندي رئيس دايرة الحقوق وكذلك عمون بك عمون واخوه انطون بك واولاده وجرجس افندي صفا واخوه المرحوم ديب وولده اسكندر صفا وسعيد بوفياض ومخايل عيد روساء محاكم وجملة ضباط اشهرهم برتبة عباشي المرحوم اسكندر بك طرابسي ونمر افندي شمعون وكذلك افراد بيت مشاقه كالمرحوم جبران ورفول واولادهم هما الدكتوران داود وسليمان واذا ذكرت الجميع يلزم لي

عيلة خصوص وكذلك في الغنا والجاه المرحوم نقولا افندي الدوماني وولده حبيب
وترى بالدير بين من كل الرجال ان كان للسياسة او الشجاعة او الكرم او العلم او
المعارف او الصناعة او الثروة الى اخره

والذي تفتخر بهم الدير هم اولاد المرحوم انطون بك عون فسليم بك تقلد جملة
قائمقاميات في لبنان واسكندر بك في مصر مع اخوته اذكرهم عند سياحتي الى مصر
وكذلك رؤساء البنك العثماني في سلانيك يوسف افندي لطيف وفي دمشق غالب افندي
شاوول وابرهيم افندي ديب من الذين خدموا الحكومة بامانة وولده الشهير اوغست
اديب ومن التجار العظام سليم افندي عكاوي وولده المرحوم قائمقام زحله سابقاً
وجملة اناس الذين عرفتهم

فبارحنا دير القمر صباحاً مع رفيقي فارس وحماره ولم نكد نبعد عنها مسافة ساعة
من الزمان حتى وصلنا الى قرية بشتفين ومعناها بيت الشركاء تعلو عن البحر سبعماية متر
وتتبع المناصف من مقاطعة بيت ابو نكد

بيت ابو نكد

وهذه العائلة من مشايخ الدروز حضرت الى لبنان سنة ١١٢٠ لما قدم الامير معن
الايوبي الى الشوف وكانوا من اعوانه اصل هذه العائلة من قبيلة من عرب الحجاز
توجهوا لتتبع مصر وبلاد المغرب واقاموا في مملكة مراكش ومنها تسموا بني نكد
وعندما اختلف الامير حيدر الشهابي مع محمود باشا ابو هرموش سنة ١٧١١ كانوا
من اعوانه وشاركوه في حرب عين داره على محمود باشا ابو هرموش المذكور وهم علي
كبيرهم واخويه نجم ويوسف فاقطعهم الامير حيدر الناحية وما يليها وكتب الى علي الاخ
العزيز بذلك تسمى شيخاً

فهذه العائلة من اشجع عيال لبنان ولها مآثر حميدة ودير القمر والمناصف من جهتها
وقد كانت المناصف اولاً لبيت حمدان ثم اخذتها النكدية وقد كانوا في غناء عظيم وهم
الذين اعطوا الدير الناعمة ارضاً لبناه واشرطوا على الرهبان ان يكون صاحب الشام
يعلق فيه الكتيبة والدير على اسم مار جرجس راكباً حصاناً وحاملاً رمحاً ذابحاً

الدير وساعدوه واعطوه املاكاً وان شئت الاطلاع على تاريخ هذه العائلة فعليك بتاريخ الاعيان في جبل لبنان وساذكر من مجرى تاريخي من عرفت منهم واشتهر في زماني

جسر القاضي

ثم نزلنا الى نهر الصفا وهناك شاهدنا جسراً يدعى جسر القاضي لان القاضي التنوخي من بيصور بناه قيل انهُ عندما كان يشتغل في مطاحنه على النهر مرت امرأة وكشفت عن ساقيها لتقطع النهر فعندما رأتها الفعلة ضحكت فتكدر القاضي من ذلك فترك المطاحن وابتدى بعمل الجسر

انظر اداب هذا الرجل وما كانت اداب ذلك العصر ويخرج هذا النهر من تحت عين زحلته ويجتمع مع نبع القاع وينزلان سويةً الى هذا المكان ويصبان في البحر وهنالك يأخذ اسم الدامور

الدامور

وهي لفظة سريانية معناها العجب (واسم الاه للفينيقيين) وهناك يسقي اراضي المعلقة وسنتكلم عنهُ فيما بعد وهذا الجسر اي جسر القاضي يبعد عن دير القمر ساعتين قريباً ثم ابتدأنا نصعد علواً على طريق اشبه الشحار الى ان وصلنا الى

عيناب

فعيناب لفظة سريانية معناها عين الاب وهي من مقاطعة مشايخ بيت تلحوق

مشايخ بيت تلحوق

اصل هذه العائلة من جهة قبلة من الغرب من عائلة تسمى بيت عزيم من عرب جزيرة الفراتية اتوا مع الامير معن الايوبي الى الشام فاستدعاهم الامير عامر الشهابي اليه الى حوران واقاموا هناك ثم انتقلوا الى وادي التيم واقاموا بها مدة وجيزة وسنة ١١٤٤

انتقلوا الى بيروت لفتنة حدثت بينهم وبين الامراء الشهابيين واقاموا في راس بيروت فحدثت فتنة بينهم وبين احد امراء بني الحمراء فقتلوه ونزحوا الى ارض القيجنية بين الشويفات وكفرشيما وعمروها ثم حدثت فتنة فيما بينهم وبين الامراء آل جمال الدين التنوخية اليمنية فدهمهم هولاء فقتلوا منهم تسعة انفار ونجي ثلاثة وفروا الى حومال وتوفي اثنان منهم وبقي واحد اسمهُ احمد مكنى ابا جنبلاط الذي ذهب الى عيتات لطلب اهلها وتوطنها

ثم ان الامير حيدر الشهابي مكافأةً لمحمد وولده اللذان رافقاه في شر عين داره قاطعهما الغرب الاعلى بعدما نزعهُ من يد الامير يوسف الارسلاني واللذين اشتهروا في زماني هم سعيد بك تلحوق وملحم بك وفي زمان صغري حسين بك الذي اشتهر بفصاحته وشجاعته وكل من التلاحقة لحقهُ دور يكون فيه مديراً على عاليه

واذا اعتبرت المبدا الحسن فكل افراد هذه العائلة معتبرين ومن اهل العلم فمنهم الشيخ فريد صيدلي قانوني في بيروت ووالده حمد بك وعمه عبدالله بك مدير عاليه الحالي وعبد الحميد بك تلحوق بمباشي الجندرمة سابقاً وعلي بك تلحوق رئيس محكمة الشوف حالياً

فعيناب بلد شرحة ذات مياه عذبة باردة يقصدها المصطافون من بيروت لجودة مائها و بهجة منظرها لانك ترى منها بيروت و رمالها واحراشها وصحراء الشويفات وكل القرى باسفل منها والبحر المالح وهي تعلو عنهُ ثمانماية متر فجلسنا للراحة وشربنا من مائها العذب الكائن على الطريق وفيها يوجد خانات للمسافرين تخص المشايخ بيت تلحوق وبعد ان قطعنا عيناب اخذنا نتحدر في درج يسمى درج عينـاب وبعده وصلنا الى قرية عين عنوب وهي جنينة الشوف وللامراء الارسلانية دور شاهقة فيها ومنها توجهنا الى بسابا

بسابا

لفظة سريانية معناها بيت الشيخ وهي ملك الامير افندي الشهابي لها عين ماء عذبة

وكان امامهُ شجرة سنديان قديمة يستظل تحتها المسافر وكانت احسن مركز على الطريق

الشهابيون

اصل هذه العائلة من سلالة مرة الذي ولد لهُ ثلاثة اولاد كُلاب وتيم ويقظه فمن سلالة كُلاب قصي وعبد قنان وهاشم وعبدالمطلب وعبدالله ومحمد نبي العرب صلعم صاحب الشريعة الاسلامية

والثاني تيم من سلالة ابو بكر الصديق

والثالث من يقظه مخزوم بن عمر بن عبدالله ولعبدالله المغيرة وللمغيرة هشام ولهشام الحرث

ففي ٩ تموز الموافق اول صفر من سنة ٦٢٢ لما هاجر محمد بن عبدالله نبيّ العرب الهاجري صلعم آمن به الحرث وعُدَّ من الصحابة وحضر معهُ واقعة صُفين فاكرمهُ بماية ابل وفي سنة ٦٢٤ حضر معهُ يوم بدر وامن به ايضاً ولده مالك

ففي سنة ٦٣٣ ارسله ابو بكر مع ابي عُبيدة الجراح لفتح دمشق وامرهُ على بني مخزوم

ففي سنة ٦٣٥ حضر مع عشيرتهِ الى دمشق مع خالد بن الوليد وقتل الحرث وسنة ٦٣٦ امر عمر الخطاب ولده الامير مالك ان يقوم في حوران وسكن الشهباء

وفي سنة ٦٦٦ توفي الامير مالك بعمر ٥٢ وولايته ٣٠ سنة

وسبب تلقب مالك بشهاب ان امه كانت من ذرية شهاب القريشي من رهط امنة ام النبي صلعم وتسمت ذريته بشهاب تبركاً

وفي سنة ١١٨٢ توفي الامير عمر وتولى بعده ولده الامير منقذ وهو الذي ترك حوران بعد ان حكمتها عائلته خمسماية وست وثلاثون سنة وسبب ذلك وقوع الضغينة بين نور الدين ملك دمشق وصلاح الدين الايوبي ملك مصر وكانت بني شهاب من حزب صلاح الدين حين اتى البلاد الشامية فلهذا السبب خشي الامير منقذ من نور الدين ورحل مع عشيرتهِ من حوران واقاموا في صحراء الجسر اليعقوبي يرومون الذهاب الى

مصر وكانوا نحو خمسة عشر الفاً

وسنة ١١٧٣ لما بلغ نور الدين رحيلهم ارسل لهم خلعاً وهدايا وطلب منهم ان يرجعوا الى محلاتهم امنين فرفضوا فأمرهم على البلاد التي نزلوا فيها اي بلاد حاصبيا بعدما حاربوا الافرنج وطردوهم منها

وعندما عرف الامير يونس المعني بنجاح الشهابيين وطرد الافرنج فرح وحضر ليزور الامير منقذ ويهنئه بالنجاح فرد الامير منقذ مع ولده محمد الزيارة للامير يونس الذي استقبلهما في الباروك ثم توجهوا الى بعقلين ثم طلب الامير محمد خطبة ابنة الامير يونس وكذلك الامير يوسف ابن الامير يونس طلب سعدا ابنة الامير منقذ ومن ذلك الوقت جرى الزواج بين الشهابيين والمعنيين

ولما توفي نور الدين وملك صلاح الدين الايوبي انعم على الشهابيين بالامارة على البلاد التي افتتحوها

سنة ١١٩٣ توفي الامير منقذ وعمره ٦٨ سنة وتولى ٢١ سنة ثم ان احد الامراء المدعو بالامير نجم قد بنى له مصيفاً في قمة جبل الشيخ ولم يزل اثره للان والعامة تقول عنه قصر شبيب خطأً ونظراً لهذا المركز الذي يدرك سوريا بجمعها تقريباً وسهول حوران وما وراءها قال الامير فيه شعراً

ومنزلٍ فوق نن الشيخ بتُّ به ... ما بين البسط واللذات والطرب
اهدا لنا من صبا نجد معطرة ... ومنظراً من بلاد العجم والعرب

وبالحقيقة انهُ منظر وحيد في الدنيا وهو شرقي جبل طورا الذي اصيف به ويمكننا نقول عن جبل طورا ما قالهُ الامير عن جبل الشيخ

وسنة ٦٦٦ في شهر ايلول توفي الامير احمد المعني بدير القمر وانقطعت بوفاته السلالة المعنية وانتقلت ولاية جبل لبنان الى الامراء الشهابيين فتولى الامير بشير ابن الامير حسين ابن اخت الامير احمد المتوفي صاحب راشيا

وعندما ارسلوا يطلبون تثبيته من الاستانة اعترض على ذلك ابن الامير فخر الدين المعني الذي كان منفياً هناك وقال ان للامير احمد ابن بنت يحق لهُ الولاية وهو الامير

حيدر فاستفحصوا عن ذلك من والي طرابلس الذي كان يرغب الامير بشير فكتب ان الامير حيدر قاصر في السن فيكون الامير بشير وكيلاً عنهُ وتم ذلك سنة ١٧٠٦ وقد تولى الامير بشير تسعة سنين وتوفي مسموماً في حاصبيا وذلك انهم عملوا لهُ ملبس احمر وابيض فكان الاحمر مسموماً فاكل منهُ فتوفي في صفد ودفن في صيدا في تربة المعنيين

فحكم الامير حيدر الشهابي في لبنان وجرت بينهُ وبين محمود باشا ابوهرموش الحرب سنة ١٧١١ فانهزم الامير الى غزير فتبعهُ الباشا وحرق غزير وعمل تاريخها « ندمت غزير » فهرب الامير حيدر الى الهرمل وبعد رجوع محمود باشا ابوهرموش اليمني اجتمع في عين داره من لبنان مع حزب اليمنية للاشاة القيسية وكان مساعداً على ذلك والي دمشق وبينما هم في عين داره والا دهمهُ الامير حيدر الذي رجع الى المتن وجمع الرجال مع مقدمي ابي اللمع الذين كان يومئذ رئيسهم المقدم حسين وهجموا على عين داره وعملوا السيف في اليمنية حتى انقطعوا وامسكوا محمود باشا وقطعوا لسانهُ وفقأوا عينيه ومن ذاك الوقت انقطع حزب اليمنية في لبنان وبعد هذه الموقعة امرَّ الامير حيدر مقدمي بيت ابو اللمع

سنة ١٧٣١ توفي الامير حيدر الشهابي بدير القمر ودفن في مدفن المعنيين وعمره ٤٧ سنة وكانت ولايتهُ ٢٥ سنة وتزوج اربع نساء ومن هذه الاربع تكون سلالات بيت شهاب في لبنان الاربع ولهُ تسعة اولاد فالذي حكم بعده ولده الامير ملحم وبعد الامير ملحم الامير منصور ثم الامير يوسف ثم الامير بشير الشهير الذي نذكر عنهُ اكثر من الجميع وفيه انتهت امرية الجبل فكان يقول اولها بشير واخرها بشير فالامير بشير هو ابن الامير قاسم بن عمر بن حيدر الامير اللبناني الاصلي وقد توفي والده في غزير وارخه الشيخ احمد الغرّ مفتي بيروت شعر

ابا قاسماً قد فقتَ مجداً على الورى — وسرت الى العلياء حياً مسيرك

فمن بالشهابيين مثلك ارتقى — الى درج العليا ارخ نظيرك

سنة ١١٨٠ هجرية

ولد الامير بشير ابن الامير قاسم سنة ١٧٦٧ وتولى سنة ١٧٨٨ وتوفي في اسلامبول سنة ١٨٥٠ ودفن في كنيسة الارمن الكاثوليك تولى ٥٢ سنة وكان عمره ٨٤ سنة وقد زرت قبره في الاستانة مدة سياحتي ١٩٠٣ ولهُ ثلاثة اولاد الامير قاسم والامير خليل والامير امين الذي توفي بلا عقب وجميعهم توفوا في الغربة والذي عرفتهم من الشهابيين هم الامير سعد ابن الامير خليل الذي كان عفيفاً شفوقاً محباً للاصحاب عديم الضرر تقلب في كل وظايف لبنان العالية وفي جميع القائمقاميات ورياسة مجلس الادارة وتوفي عن الامير خليل والامير فايز والامير فواد والامير فايق الذي خلف والده بصفاته ووظيفتهُ في القايمقامية والامير خليل من متوظفي نظارة الرسومات في الاستانة

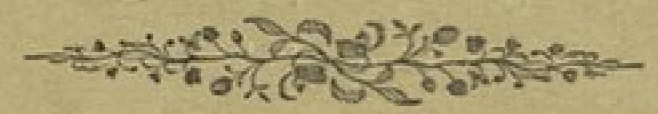
ومن العجب انهُ بعدما قرأت هذه المسودة ونظرت اسم الامير خليل قرأت جريدة لسان الحال اليومي المؤرخة الخميس في ٦ شباط ١٩٠٨ غربي ان الامير خليل توفي في بيروت

والامير فايز الذي تعلم الطب وتركه ودخل في سلك الجندرمه وهو فيها للان واما الذي عرفتهُ جيداً هو الامير سليم منصور الذي لهُ جملة من قصايدي التي سأذكرها وكذلك تعرفت بالامير سليم عبدالله واخيه الامير منقذ وسيأتي ذكرها في ظروف وحوادث جرت بيننا

تنصر الشهابيين

اول من تنصر من هذه العايلة الامير علي حيدر من وادي شحرور سنة ١٧٥٤ عن يد الخوري مخايل فاضل البيروتي من عائلة ابو كروز توفي هذا الامير سنة ١٨١١ ودفن في كفرشيما مورانيا وسنة ١٨٤ تولى الامير بشير ملحم بعد ذهاب الامير بشير وتوجهه الى الاستانة

وفي هذه السنة اي ١٨٤٢ قسم لبنان الى قائمقاميتين قايمقامية للنصارى تولوها بيت ابي اللمع ومركزها بوما نا وقائمقامية الدروز تولوها بيت ارسلان ومركزها الشويفات



الامراء بيت ارسلان

ففي سنة ٧٥٠ مسيحية لما قدم الامير جعفر المنصور العباسي الى دمشق قدم اليها من بلاد المعرة الامير المنذر بن مالك واخوهُ الامير ارسلان فاكرمهما الامير ولعلمهِ ان مردة لبنان قاطعين عليهِ الطريق وحامين الجبل وكل مدة يهجمون على بيروت امرهم بالتوجه الى جبال بيروت

ففي سنة ٧٥٩ قدم الامراء الى لبنان وتفرقوا فيـهِ فالامير محمود قطن الغرب والامير ارسلان سكن من الفيل وحدث بينهم وبين المردة وقايع مهولة في نهر الموت ومن تلك المواقع تسمى النهر بنهر الموت لانهُ جرى فيهِ الدم كالماء وهذه العايلة هي العائلة الدروزية الاميرية في لبنـان فلذا كانت جميع العيال طايعة لها ومقرة في تقدمها عليها فلذلك عندما انقسم لبنان الى قائمقاميتين كان القائمقام منها ولم يزل الى اليوم

قايمقامية الدروز

عندما انقسم لبنان الى قائمقامتين الشمالية للموارنة والجنوبية للدروز كانت العائلة الدروزية المختصة بالقائمقامية عائلة امراء ارسلان كما قلنا واول امير تسمى قائمقامها هو الامير احمد وبعده الامير امين الذي اخبرني عنهُ والدي لانهُ كان يحضر اليه من قبل سعيد بك الذي كان مقاطعجي تحت امرته انهُ كان من اعظم رجال العصر بالفطنة والشهامة والاقدام وكان الجبل بيده يديره كيفما يشا وكان من رجال الدولة العظام وعليه الاعتماد في كل سياسة الجبل وهو الذي جعل والدي مأمور الانفس في اقليم جزين لان الاقليم كان من قائمقاميته وكان الشيخ ناصيف اليازجي شاعره الخاص ولهُ فيه القصايد الغراء وقد توفى قبل سنة الستين وجلس محلهُ ولده الامير محمد الذي شاع ذكره بالعلوم والمعارف حتى استحق ان يكون من اعضاء الشورى في الاستانة فطلب وتوجه اليها وعند توجهه مرَّ بالقاهرة وزار مدرسة الطب قصر العيني وكنت يومئذ فيها وانا الذي استقبلته وعرفني بنفسه فجمعت جميع ارفاقي الشوام ومشينا امامه الى

المشرحة وخلافها وكان يستفهم عن كل شيء دليل حبه للمعارف وقد توفي في الاستانة بسبب لم يحدث لحد الان مع بشر ولا ذكر ابداً وهو تسمم بقطرة الاتروبين اي تسمم من القطر بعينه وقد نظرت ذلك في كتاب طبي للعين اتى به مثلاً لنوادر الاتروبين وعندما تشكل نظام لبنان اصبح قائمقام الشوف مدة داود وفرنكو باشا الامير ملحم ارسلان الذي كان مشهوراً بالسكينة وحب السلام وعندما حضر رستم باشا اقام بدلاً منهُ الامير مصطفى ارسلان اخو الامير محمد وابن الامير الامين وقهراً عن صغر منه فانه كان اول رجل مدة رستم باشا بالذكاء والاقدام وقد تعلم عند المعلم بطرس البستاني وعندما حضر واصا باشا اعطى القائمقامية الى نسيب بك جنبلاط ثم رجعت الى الامير مصطفى مدة نعوم باشا وفي اخر مدة نعوم باشا استعفى وجعل محله الامير شكيب

وعند حضور مظفر باشا ارجع نسيب بك الى القائمقامية الذي بعد مدة استعفى وجعل محلهُ الامير سامي ارسلان وبعده الامير توفيق ابن الامير مجيد ابن الامير ملحم

فالرجل العظيم الان في هذه العائلة واميرها وكبيرها هو الامير مصطفى فانهُ صاحب اقدام ومعارف وسياسة وعنده اول الرتب والنياشين ولم تزل همته وعزمه كانهُ في الشبوبية ومن اعظم توفيقاته باولاده الثلاث وهم اعظم خلف فالامير امين قائمقام السلط الان والامير محمد مستشار سفارة الدولة في السرب والامير عارف تلميذي في الطب وبالحق يقال عنهُ الامير العارف

ومن الشعراء الفطاحل الامير شكيب واخيه الامير نسيب وكذلك من اصحاب الاقدام الامراء اولاد الامير مجيد وهم الامير سعيد والامير امين قنصل جنرال الدولة في بلجيكا والامير فواد والامير توفيق قائمقام الشوف الحالي الذي ظهر منهُ من الاقدام اكثر من الامال وكذلك الامير سامي قنصل جنرال الدولة في واشنطون

وبالاختصار ان هذه العايلة الاميرية الدرزية ممتازة فهي التي حفظت مالها ومقامها للان بسبب ما عندها من الشبان الازكياء واصحاب العلوم والمعارف والجد والاشغال

احترامهم متفرقين في كل اقطار الارض لاجل التقدم فانها تستمر في هذا المقام الذي ورثتهُ من اجدادها واكرم شاب الان فيها هو الامير توفيق خليل ارسلان لطيف الخلق وكذلك الامير افندي

قايمقامية النصارى

بيت ابي اللمع

لم يذكر التاريخ قبل موقعة محمود باشا ابو هرموش وتأمير المقدم حسين الذي امره يومئذ الامير حيدر الشهابي شيئاً عن بيت ابي اللمع قهراً عما سالت من امرائها فلم يجبني احد بشيء قال البعض انهم كانوا امراء قبل الشهابين ولا اثبات لذلك وانهم من بني فوارس وغاية ما يعرفهُ التاريخ انهم مقدمين واظن ان لقب مقدم كلقب امير فقط ان المقدم يكون عسكرياً كقائد جيش والامير ملكياً يامر على القائد معما كان الامر فقد ذكر التاريخ عن هذه العائلة انها من العيال العظيمة ولها دائماً مواقع خطيرة فهي التي ساعدت الامير حيدر في شرعندارا وكان لها الحظ العظيم في الفوز وكذلك جملة مواقع تدل على اهميتها

وعندما انتزع حكم الجبل من يد الشهابيين كانت الامراء اللمعين من اعظم ورثاءها لان اول من تعين قائمقاماً على النصارى وهو الامير حيدر كان منهم ثم بعدهُ الامير بشير احمد الذي بقي لحادثة الستين وعند تنظيم لبنان كان دائماً قائمقام المتن منهم فالذين عرفتهم في هذه الوظيفة هم الامير يوسف علي الذي كان شهماً كريماً وقد عرفت الامير قبلان رئيس مجلس الادارة اليوم وهو رجل عظيم سليم الطوية كريم صاحب اقدام وصاحبٌ صدوقٌ لاصحابهِ وكذلك الامير يوسف اسماعيل الذي حاز جملة مناصب وقد عرفت الامير امين منصور الذي كان داهية ذلك الوقت في السياسة وعرفت جملة امراء منهم يضيق المقام عن ذكرهم

الشويفات

مركز قائمقامية الدروز بسبب سكن الامراء الارسلانين فيها سابقاً والان هي لفظة مرمانية

معناها السهل وبما تسمت بذلك باسم الصحراء الشهيرة امامها وهذه الصحراء من الزيتون قديمة جداً ولم تزل للان كما كانت من زمن الفينيقين والرومانيين

وعندما ابتدت متصرفية لبنان ابتدت تكون الشويفات مركزاً شتوياً لقائمقامية الشوف واحياناً لا تكونه واما الان فقد اصبحت رسمياً مركزاً شتوياً لوجود السرايا فيها التي انشاها نسيب بك جنبلاط على مصروفه الخاص وقدمها للحكومة فكلفته الف ليرة عثمانية وذلك مدة قايمقامته الاخيرة مدة مظفر باشا وقد انتهت في سنة ١٩٠٤

والعايلة المسيحية التي اعرفها جيداً فيها واعتبرها حقيقة لما ظهر منها من الرجال الكبار هي عايلة بيت شقير الذي منها اسبر افندي شقير واخيه المرحوم عبدو واخيه سعيد افندي ايضاً والمرحومين فارس وشاكر وساذكر كل منهم في تاريخي حسب المواقع ومن جملة ما خلقت لنا الشويفات عايلة المرحوم خليل افندي الخوري الشهيرة

فعدا عن الامراء الارسلانين يوجد رجال عظام خرجت من الشويفات

ومن الاغرب ترى بعض بقع مخصبة من الرجال كاخصاب خلافها في النبات فاذا تأملنا هذه البقعة التي فيها الشويفات وكفرشيما نراها من اخصب الارض في الرجال والعايلات التي اعرفها فيها كافيات لبرهاني فالارسلانيون من اعظم العيال التي اولدت رجالاً ولم تزل وكذلك عايلة شقير والخوري واليازجي في كفرشيما والشميل وتلا ويوجد خلافهم فلله در هذه الاراضي وربما العدوى بالعلم كالعدوى من الامراض لها تأثير هنا

دير القرقفة

معناها الجمجمة بالسريانية هو دير على قمة فوق قرية كفرشيما يخص رهبنة الروم الكاثوليك الشويرية والرهبنة مقسومة الى ثلاثة اقسام المخلصية التابعة دير المخلص الكائن في اقليم الخروب وهو اعظم دير لهذه الرهبنة والشويرية او الحناوية نسبة الى مار يوحنا الشوير وهو اول دير للروم الكاثوليك واول من استعمل المطبعة في بلادنا والحلبية التي انفصلت عن الشويرية سنة ١٨٢٨ وهذه الرهبانات بقانون واحد وهو قانون ديس باسيليوس وقد دخلت هذا الدير مرة في زمان رياسة الاب اغابيوس المعلوف

الذي صار فيما بعد مطراناً على بعلبك وقد بني هذا الدير سنة ١٧٦٥ وهو على اسم مار انطونيوس محاط بغابة من السنوبر ولا يبعد عن كفرشيما سوى ربع ساعة فبعد ان انتهينا من هذا السلم المبلط بلغنا قرية كفرشيما

كفرشيما

هي لفظة سريانية معناها قرية الفضة بلدة عامرة يسكنها بعض من الامراء الشهابيين اخصهم من الذين بعد ان تنصروا اتخذوا مذهب الروم الكاثوليك وقد اشتهر من هذه البلدة بزماننا هذا عائلة بيت شميل وهي عائلة مجيدة ذات عقول ثاقبة وقد احرز من هذه القرية الشهرة في العلوم والمعارف الشيخ ناصيف اليازجي اللغوي الشهير والشاعر المفلق وولده الشيخ ابرهيم امام اللغة والمرحوم ولده الشيخ خليل وساذكر ذلك متى وصلت لوجودي في المدرسة الوطنية لانه كان معلمي في العربية والمرحوم سليم بك تقلا صاحب جريدة الاهرام رفيقي في المدرسة ذاتها وعائلته التي بلغت اوج العلا باجتهادها. ومنها الاطباء الماهرون والتجار المفلحون والدياسيون العظام واهمهم بشاره باشا تقلا

فهذه القرية غنية بالرجال والمال مياهها غزيرة وموكزها الطبيعي على سفح جبل متجهة نحو الغرب وتحت اقدامها غابة من الزيتون تدعى سحرة الشويفات

وبعد ما مررنا بكفرشيما نزلنا في قناة نهر لا ماء فيه في ذلك الوقت يدعى نهر الغدير وهذا النهر شتوي وساذكر حادثة جرت لنا به ثم سرنا فبلغنا الى دكان الوورو وهناك يوجد بئر ماء

بير الوورو

يبعد عن كفرشيما بين ربع او نصف ساعة حوله مخازن للبيع والشراء وخان للمسافرين وفيه بيطار للماشية ومن فوق هذا البئر سطح على اربع قناطر لراحة المسافرين وعندما انفتحت طريق العربات اسفل منه لم يعد يمرّ عليه احد بالخراب تقريباً ومنه استلمنا سهل قرية الحدث وكانت الشمس اذ ذاك قاربت الغروب ولم يعد لنا غير ساعة تقريباً

وبعد مرورنا على بير الورور وعلى الحدث وصلنا الى بيروت وكان والدي ينتظرني في خان الاصفر فانزلني وبتنا تلك الليلة عند خالتي نجمه زوجة غالب افندي البعقليني الطبيب وفي اليوم الثاني تجهزنا للتوجه الى عينطورا واخذنا ورقة الكرمي من قونصلاتو فرنسا وقبل السفر نذكر شيئاً عن بيروت

بيروت

لا يمكن الخوض في تاريخ هذه المدينة القديمة التي وصلت الى اعلا الدرجات واسفلها مع تقلبات الايام انما نذكر فقط من هذا التاريخ قسماً بايجاز يفي بالمقصود ولا يملّ القارئ

قيل عن اسمها (وهو الاصح) ان باني هذه المدينة هو إيل اول ملك على جبيل كان لهُ امرأة تدعى بيروت واهداها اليها ودعاها باسمها ذكر هذا سنكونياتون فقرة ٢ الى ٨ وسنكونياتون هذا هو متشرع الفينيقيين وهو من بيروت نفسها ألف كثيراً واكثر تآليفه عن عبادات الفينيقيين الاصلية انما مع الاسف فقدت جميعها الا القليل منها ترجمها الى اليونانية فيلون الجبيلي في كتاب استحضارات الانجيل

وقالوا ان اسم بيروت مأخوذ عن الفينيقي بئرت جمع بئر نظراً لما فيها من كثرة الابار وان الجبليين هم الذين سكنوها اولاً

قال الاب مارتين اليسوعي في تاريخ لبنان فكيف ان الجبليين سكنوا فيها قبلما عملت الابار وسموها بهذا الاسم الدال على كثرة الابار فيها مع انهُ لاجل عمل الابار يلزم مدة طويلة وخصوصاً بانهُ يوجد فيها نبع ماء يكفي لمدينة كبيروت في ذلك الوقت واسم الماء الموجود فيها اليوم يدل على ان اسم هذا الماء فينيقي فبركة الدركي الموجودة الان هي لفظة فينيقية معناها (الماء) ذكره قوله

وكانت تتغير اسماؤها واحوالها تبعاً لتغيير الدول التي ملكتها فتشقى وتسعد معها وبها

انما على رغم تلك التقلبات فقد كانت محبوبة وممتازة امتيازاً خصوصياً من دولها واذا حققنا في تاريخها نراها تقلبت على ادوار شتى نوردها على الترتيب الاتي :

الاول الدور الفينيقي من اصل مجهول الى ٧٤٠ قبل المسيح

الثاني الدور الفارسي من ٧٤٠ الى ٣٠٠

الثالث الدور اليوناني من ٣٠٠ الى ٥٠ قبل المسيح

الرابع الدور الروماني من ٥٠ قبل المسيح الى ٦٣٥ بعد المسيح

الخامس الدور العربي من ٦٣٥ الى ١٠٨٩

السادس الدور الافرنجي الصليبي من ١٠٩٩

السابع الدور التركي من ١٥١٦ الى يومنا هذا

فينتج من ذلك ان بيروت سكنها وملكها كل فاتح وبقي فيها اثر من كل هذه الشعوب ودياناتهم وعوائدهم وعلى هذا فيكون اول من سكنها

١ اهل جبيل آراميون

٢ كنعانيون

٣ كلدانيون

٤ المادیدن هولاء ابقوا لها شرائعا

٥ الفرس ٦ اليونان ٧ الرومان وقد ضربت نقودًا باسمها بزمان اغوسطس قيصر ٨ العرب ايام عمر ابن الخطاب سنة ٦٣٥ ٩ الاكراد ١٠ الافرنج سنة ١١١٠ فتحها بالدوين الاول وقطع ادوات الحرب من حرش الصنوبر ١١ التركمان سنة ١٢٩٠ ١٢ الاتراك سنة ١٥١٧ ولم تزل آثارهم للان فاسماء المدن والبلدان والقرى المجاورة لها لم تزل للان على اسمها الاصلي خصوصًا لبنان الذي لم يقوَ جميع الفاتحين على تغير اسمه لما في لفظهِ من السهولة ولوجود احرفه في جميع اللغات

ولم ترتفع بيروت في جميع احكام هذه الشعوب المتعددة عليها الاَّ في حكم الرومان فقد اوصلوها الى اوج المعالي واعطوها حقوق البلاد الرومانية الاصلية ودعوها جوليا باسم ابنة اوغسطس قيصر امبراطور الرومان في ذاك الوقت

وكانت محطًا للعلم حتى ان الشرائع الرومانيـة كانت تعلم فيها فهذه هي المدة التي اشتهرت فيها ورغمًا عن تقدم صور وصيدا عليها في التجارة والعمران دامت محافظة على شهرتها بالعلوم والمعارف كما هي الان وفي اخر القرن ١٨ كانت تحت حكم جبل

جبيل لبنان خصوصاً في ايام الامير منصور والامير يوسف الشهابيين

موضعها عَلَى رأي الدكتور روفيه زميلي في مدرسة الطب الافرنسية وكان يشتغل بالعاديات هو محل المدينة الرومانية التي كانت تمتد من نهر الغدير الى وادي الشويفات ودكان القسيس تحت اسم لاذقية كنعان ارتأى ذلك بالنسبة الى ما وجده من الانتيكات وهناك يوجد محاجر اكتشفها ولكن لفظة دركي بالنسبة للماء الموجود فيها تدل عَلَى ان اصلها الفينيقي هو محلها الان ولا احب ان ادخل في هذا البحث انما اذكر فقط عن احوال بيروت في ايامي وتقدمها وكيف كانت سنة ١٨٦١ وكيف اصبحت الان سنة ١٩٠٨

كانت تجمع بيروت من السكان في ذاك الوقت نحو ٦٠ الفاً وكانت المدينة القديمة التي كانت في تلك الوادي المحاطة بسور من الجهة القبلية وهو المحل المسمى الان عصور اي عَلَى الصور بقرب بوابة يعقوب وعلى الارتفاع الذي هو غربي بوابة يعقوب بني هناك قشلة ومستشفى للعساكر الشاهانية لم تزل لليوم وكانت بعض بيوت متفرقة مثل شركاء في راس بيروت وفي راس المدور وكان لجهة برج الكشاف فسحة متسعة فيها شجر الزنزلخت وفي وسطها قناة ماء شتوية وكان برج الكشاف يعلو ٤٠ ذراعاً تقريباً يدخل اليه بدرج لولبي مثل المأذنة وكانت بجانبه خصوصاً لجهه الغرب بنايات منها دير راهبات المحبة الذي سنذكره فيما بعد وكان عَلَى البرج لجهة الغرب محل كومبانية المركبات بين بيروت ودمشق التي نشأت سنة ١٨٥٩ ولم تكن في ذاك الوقت وصلت الى الشام بعد وكانت طرقات البلدة رملية في الخارج ومبلطة في الداخل كما هي الان نظير باقي المدن الشرقية

واما بيوتها فلكل بيت تصوينة تعلو عن السطح لتحجب كل بيت عن جاره ولهذه التصاوين عيون من قساطل من الفخار لكي تنظر النساء منها ولا ينظرنَ وخصوصاً لاجل الهواء

وكانت الخانات محط الغرباء والخيول وغيرها وفي سنة ١٨٦٠ زادت سكانها ممن هاجروا اليها من الشام ودير القمر وحاصبيا وجبل لبنان وانشئت فيها جملة مدارس مثل مدرسة الاباء اليسوعيين التي كانت موجودة من قبل شرقي ساحة البرج التي

اشتراها رعد وهاني وسكنت في جوارها فهذه المدرسة كانت خارجية تعلم الافرنسية والعربية وبعض علوم فالمدارس التي زادت اليوم هي اولاً

المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٣

ثم مدرسة الراهبات اللعازريات للبنات

ثم المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك سنة ١٨٦٥

ثم مدرسة الحكمة لسيادة المطران يوسف الدبس للموارنة سنة ١٨٧٥

ثم المدرسة الكلية الاميركانية للعلوم والطب

ثم مدرسة راهبات الناصرة في البوشرية

ثم مدرسة البروسيانية في قرب ساحة السمك

ثم مدارس انكليزية مثل مدرسة مستر موت

ثم المدارس الاميركية للبنات قرب مطبعة الاميركان التي كانت قبل سنة ١٨٦٠

ثم المدرسة الكلية في اليسوعية ومدرسة الطب فيها سنة ١٨٨٣

ومدرسة الفرار الافرنسية والمدرسة السلطانية والمدارس الرشيدية للعسكرية مما جعل بيروت دار معارف وعلوم

وقد أنشئ فيها ايضاً مستشفيات للعازرية والبروسيانية والعسكرية وللروم الارثوذكس

ومما زاد في تقدم بيروت وعمارها هو انشاء قومبانية نهر الكلب التي كانت بيد الفرنساويين وباعوها للانكليز بسبب حرب بين فرنسا والمانيا وذلك سنة ١٨٧٠ وهي تبيع متر الماء بخمس ليرات فرنساوية في السنة وقد انشأت لها ثلاث احواض في مار متر اعلا محل في بيروت ومنها تتوزع على المحلات واصل هذا الماء من نهر الكلب جرته الكومبانية بقناة الى الضبية تمر تحت جبال دير مار يوسف البرج وباقي القناة مكشوفة الى الضبيه حيث يوجد هناك حياض متسعة لترويق الماء وآلة تدفق الماء بمواسير من حديد الى احواض بيروت فكثرة الماء في بيروت جعلت البناء فيها يمتد الى كل ناحية وقد اصبح من راس بيروت الى النهر نحو مسافة ساعتين غرب بشرق ومن البحر الى الحرش مسافة ساعة

ومما زاد في اتساع بيروت وتجارتها البور اي الميناء التي ابتدأ الشغل فيها سنة ١٨٨٤ وكان صاحب امتيازها يوسف افندي المطران الذي ساذكره فيما بعد وسكة الحديد الى الشام التي انتهت سنة ١٨٩٥ وامتدت الى حلب على طريق بعلبك وحمص وحماه وكان صاحب امتيازها حسن افندي بيهم وقد باع امتيازه الى الكومبانية الفرنساوية والترامواي اللبناني الذي ضمنا بكسروان وطرق العربات التي امتدت لها من البلدان المجاورة كالحدث وبعبدا وسكة النهر وجونية وجبيل والبترون وسكة الشام ودير القمر وسائر قرى جبل لبنان وصيدا

وقد فصلت عن ولاية سوريا سنة ١٨٩٨ واصبحت ولاية مستقلة واول والي عليها كان علي باشا الذي ساذكره فيما بعد وعند دخولي فيها لاول مرة سنة ١٨٦١ لم يوجد فيها سوى جريدة واحدة وهي حديقة الاخبار ولا مطابع سوى مطبعة الاباء اليسوعيين ومطبعة الاميركان ولا عربة واحدة

واما الان فاصبحت الجرايد كالجراد ولم تزل تزداد وقد ابتدى عمل الترامواي الكهربائي في سنة ١٩٠٧

ولما كانت اقامتي في بيروت اكثر من سواها فساذكر ما حصل لي فيها بالتفصيل ولنرجع الى مسيرنا في ٢ ت ١ سنة ١٨٦١ ركبت بغلاً وتحتي فراشي وخرجٌ فيه ثيابي وركب والدي فرسهُ وتوجهنا الى عينطورا وهذا ما نظرناه في طريقنا

نهر بيروت

وبعد سفر نصف ساعة من البرج الى الشرق وصلنا الى نهر بيروت فنبع هذا النهر شرقي دير القلعة وكان اسمهُ اولاً نهر ماغوراس طول مجراه عشرون كيلومتر يصب في البحر قرب خليج مار جرجس ولهُ جسر ذي قناطر ضخمة لم تزل للان وهو الحد الشرقي الفاصل بين بيروت وجبل لبنان وقد بنى رستم باشا المتصرف مخفراً فيه للمحافظة على الطريق اما عند مرورنا عليه فلم يكن هنالك اقل بناء

وبعد مبارحتنا عن الجسر بنحو نصف ساعة لجهة الشرق تحولنا الى جهة البحر شمالاً ومررنا على شاطئه الرملي الى ان وصلنا بعد ساعة تقريباً الى ارض صخرية في وسطها

يمرّ قرب البحر عليهِ سقف فوق قناطر وهو بمر الضبية التي هي الان جنة ذاك المكان وبعد الضبية بربع ساعة تقريباً دخلنا وسط صخور وقلعة طبيعية مرصوفة بالحجارة اصبحت على مرور الايام ملساء وهي درج نهر الكلب وهي عقبة يتعذر على غير الفارس المجرب ان يجتازها راكباً فنزلت مع والدي وقطعناها سيراً على الاقدام وشاهدنا هناك اثاراً قديمة نقشها الفاتحون من الملوك الذين اجتازوا هذا المكان منها صورة رعمسيس الثاني ملك مصر من نحو اربعة الاف سنة وتخاريب ملك اشور قبل المسيح ٧١٣ سنة والثانية بالافرنسية عن العساكر الفرنساوية التي حضرت سنة ١٨٦٠ وكتابة باللاتينية على الصخور لجهة الشرق من انطونيوس الحكيم تدل على بناء الجسر هناك سنة ١٤٧ بعد المسيح وبعد اجتيازها اجتزنا هذا الدرج وصلنا الى شاطيء النهر وعبرناه بخيولنا ولم نعبر على الجسر الموجود يومئذ الذي بناهُ الامير بشير الشهابي سنة ١٨٠٩ هـذا هو نهر الكلب وهذا الجسر يبعد عن هذه المخاضة قليلاً لجهة الشرق

نهر الكلب

هو الحد الجنوبي لكسروان وسبب تسميتهِ بذلك فهو على ما قالهُ البطريرك اسطفان الدويهي انهُ بعد ما اصلح انطونيوس المذكور الطريق في الصخور وضع تمثالاً من حجر كبير على هيئة الكلب وقيدهُ بسلسلة من حديد معلقة في الصخر وجعل لهُ نقيراً للطعام يقصدون بهِ ان ينبههم بعوائهِ اذا اتى احدٌ ليغزوا كسروان

وفي سنة ١٦٠٧ قدم بعض تجار الافرنج فقطعوا رأسهُ وحملوه الى البندقية لاجل الفرجة واليونان تسمي هذا النهر ليقوس ومعناه الذئب وطول هذا النهر ستة اميال ينبوعهُ من مغارة جعيتا وتجتمع اليهِ في ايام الشتاء جميع ينابيع جرود كسروان وخلافها

جسور نهر الكلب

في سنة ١٥٠ قبل المسيح بنى لهُ جسراً انطيوخوس ملك سوريا قرب مصبهِ

وخرب سنة ١٤٧ قبل المسيح ثم اقام انطونينوس الحكيم لهُ جسراً وقطع الصخور وبنى البرج وانشأ الطريق السالك الى بيروت على سيف البحر كما هو منقوش على الصخر الكائن امام الجسر القديم من الناحية القبلية وهذا نص الكتابة

الامبراطور قيصر مرقس اوديليوس انطونينوس السعيد اغوسطوس كبير البرث كبير البريطانيين كبير الجرمانيين الحبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليقوس ونهج الطريق مستسهلاً ولقبهُ بالطريق الانطوناني في سنة ١٤٧ بعد المسيح

في سنة ١٢٩٢ جدد بناه سيف الدين ابن الحاج في ايام الملك المنصور بكر ابن السلطان الملك الماجر محمد بن قلاوون (الدويهي)

سنة ١٧٩٣ بعد هدمهِ اقام الامير بشير الشهابي جسراً غيره وقد هدم

و في سنة ١٨٠٩ نقل الجسر الى مكان اعلى من مكانه ولم يزل للان وهو الجسر الوحيد الذي كان يوم مرورنا عليه

و في سنة ١٨٨٩ بنى لهُ واصا باشا متصرف لبنان جسراً عظيماً لمرور العربات على الطريق التي انشأها على شاطيء البحر فهو اول من سهل هذا الطريق اكثر من انطونينوس وغيره

و في سنة ١٩٠٠ انهدم هذا الجسر وجدد بناه نعوم باشا متصرف لبنان وانفق عليه خمسة الاف ليرا

وسنة ١٩٠١ انشأت السكة الحديدة اللبنانية جسراً حديدياً لمرورها عليه وهذه السكة اخذ امتيازها المرحومان رزق الله خضرا واخوه عبدالاحد من صربا كسروان وقد هدم هذا الجسر الحديدي في اليوم والساعة التي هدم فيها الجسر الاول واقيم مقامهُ آخر محله

قناة مائية

سنة ١٧٥٠ جرَّ الامير ملحم حيدر الشهابي ماء هذا النهر بقناة خصوصية الى الجانب الشمالي وغرس في الوطى اغراساً فكانت تروى املاكهُ منه مجاناً وضرب ميرةً على

باقي الاملاك وقد بني مطحنة تحت القناة · ثم بعد ذلك صعدنا شرقاً الى ان وصلنا الى الذوق

الذوق

لفظة كردية سمتها بذلك التركمان التي اتت وسكنتها

التركمان

قومٌ من التتر اتوا من بحر الخزر ورحل منهم قوم الى خراسان وسبوا نساء تلك البلاد فدعى الفرس نسلهم تركمان فهذه الامة عمرت الاذواق الثلاث ذوق مكائيل ومصبح والخراب

وسبب حضور التركمان الى هذه الديار هو انهُ بعدما ضرب جمال الدين نائب دمشق كسروان سنة ١٣٠٧ مسيحية جلب الى سواحلها تركمان الكورة مع امرائهم آل عساف محافظة على رجوع الافرنج الصليبيين واهم هذه الاذواق ذوق مكائيل المدعو باسم احد المقدمين كما ان الاذواق الاخر باسماء مقدميها ايضاً

ذوق ميكائيل

ان الذوق اخذت شهرة عظيمة في اشغال الاقمشة الحريرية والتصوير على القماش بالحياكة فاصبح اهلها متفردين بهذا الفن لم يجاريهم فيهِ مجارٍ

قد أنشئ فيها عدة أديرة اهمها دير البشارة للموارنة باسم الشيخ بشاره جفال الخازن الذي توفي بدون عقب ووقفت امرأته وشقيقته هذا الدير باسم راهبات زيارة مريم لاجل بنات عائلة بيت الخازن وكان له اوقاف عظيمة ذهبت من سوء الادارة وكرم المديرين وقد تأسس سنة ١٨٣٧ وكاد يصبح خراباً غير انهُ قد اخذت الغيرة حضرة الاباتي القس لويس الخازن رئيس عام الرهبنة الحلبية للموارنة بتجديد بنائهِ على نسق جديد فابتدى من سنة ١٩٠٦ وهذا الرئيس مثال الغيرة والمروءة فانهُ يعيد

شرف اجداده بعمل الميرات

وعندما مررنا على هذا الدير سنة ١٨٦١ كان رئيسهُ الخوري يوسف راجي الخازن انموذج الغيرة والكرم وهو خازنيٌّ حقيقة وكان صديقاً لوالدي وقبل الدخول الى كسروان نذكر شيئاً عن امرائهِ الحقيقيين المدعوين باسم مشايخ وهم بيت الخازن

وقبلما نذكر امرة بيت الخازن نذكر الامراء المعنيين الذين هم اول امراء لبنان الذين شرفوا بيت الخازن

الامراء المعنية

في سنة ١١٢٠ أمر طغتكين صاحب دمشق الامير معن الايوبي ان يقدم بعشيرتهِ الى البقاع ومنها الى لبنان المشرف على البحر لاجل غزو الافرنج في الساحل فحضر الامير الى الشوف الذي كان مقفراً من السكان ونزل بخيامهِ في مرج بعقلين الذي عمرها وسكن فيها وقد اتحد مع بحتر امير الغرب التنوخي

وفي سنة ١١٤٩ توفي الامير معن وقام مقامه ولده الامير يونس الذي في زمانه حضرت الامراء الشهابيون الى وادي التيم وقد أجرى معهم معاهدة وحصل زواج فيما بينهم

وسنة ١٥١٥ عندما فتح السلطان سليم العثمي البلاد ولى الامير فخر الدين عثمان الاول على الشام وجعله متقدماً على الجميع

وسنة ١٥٤٤ توفي الامير فخر الدين عثمان وقام بعده ابنه الامير قرقماز والد الامير فخر الدين الثاني الشهير الذي [illegible] حصلت مهاجرة النصارى من شمالي لبنان الى جنوبيهِ وسبب ذلك هو

تربية الامير فخر الدين

انهُ في سنة ١٥٨٤ عندما نهبت خزنة الدولة في جون عكار أمر السلطان ابراهيم باشا والي مصر ان يجمع العساكر من مصر وقبرص ودمشق وحلب ويحضر لاطاعة

آل سيفا وامراء لبنان ففر الامير قرقماز والد الامير فخر الدين الثاني مع ولديه الامير فخر الدين والامير يونس ووالدتهما السيدة نسب ومدبرهم الشيخ كيوان الى مغارة جزين وتوفي فيها سنة ١٥٨٤

فطلبت الست نسب من مدبر اولادها الشيخ كيوان ان يخبئ ولديها عند احد الامناء في كسروان فلبى طلبها وأخذها ليلاً مع اولادها الى بلونة عند ابي صقر ابراهيم ابن الشدياق سركيس الخازن لانهُ قيسي وامين وبعيد عن اليمنية ولعدم الشبهة في المكان لانهُ كان في ولاية بني عساف اليمنيين وأصل هذا الانقسام قيسي ويمني هو من انقسام علي ومعاوية فكان رئيس القيسية بيت معن ورئيس اليمنية بيت علم الدين وكان لبنان تابعاً هذين القسمين

بيت الخازن

اصل هذه الاسرة من جاج وقد حضر الى كسروان سركيس بن الياس الخازن الذي ولد ولدين ابا صقر ابرهيم وابا صافي رباحاً فبعدما بقي الامير فخر الدين واخوه الامير يونس مدة سنتين عند ابي صقر الخازن طلبهما خالهما الامير سيف الدين التنوخي من عبيه الذي سلم الامير فخر الدين ولايته على الشوف فتذكر الامير ابا صقر الخازن وطلبهُ اليهِ وجعله معاوناً له في الاحكام وأعطاه لقب شيخ

وفي سنة ١٦٠٠ توفي ابو صقر الخازن فأخذ الامير عوضاً عنهُ ابا نادر وبعد حرب الامير فخر الدين مع يوسف باشا سيفا ومنازعته اياه على كسروان وبعد تسليم الامير فخر الدين هذه المقاطعة الى الشيخ يوسف المسلاني أحد معتمدي آل معن سنة ١٦١٢ سلمها فيما بعد الى بيت الخازن وأقطعهم اياها وعندما تملك بنو الخازن كسروان حضرت النصارى اليهِ وبنوا لها الكنائس والاديرة وجعلوا لها اوقافاً

وعندما حضرت الاسرة الجنبلاطية من حلب اتفقت معها وحضنتها عند الامير فخر الدين

وعندما ارادت الدروز ان تدفع الى الامير حيدر الشهابي بدلاً عن الاملاك التي

كانت تخص الشيخ قبلان القاضي التنوخي الذي توفي بدون عقب ذكر وتزوج بابنته الشيخ علي جنبلاط فهذا البدل كان من اهالي الشوف دروز ونصارى ومن جملتهم بيت الخازن الذين دفعوا خمسة الاف غرش وبيدهم علم ان كل امرأة او رجل افتقر منهم له الحق ان يأكل من بيت جنبلاط وذلك لكي تتسلم هذه الاملاك الى الشيخ علي جنبلاط صهر قبلان القاضي وهذه الاملاك تسمى بمال السمية

فينتج من ذلك ان الاسرة الخازنية الكريمة ما زالت ولم تزل كريمة الاخلاق محبة للخير بعيدة عن الشر ولها فضل على الناس وعلى الاكليروس الكاثوليكي لان كل دير او مدرسة كانت ارضهُ هبة منهم وكانوا حامين اشخاص الاكليروس وكان لهم مداخلة فعالية في انتخاب بطرك الموارنة الذي كان يلتجئ اليهم فيحمونهُ من كل شر كما حصل للبطرك الدويهي

نرى كسروان بيوتاً متفرقة في البراري دليل الامن في تلك الجهات وكان لها الفضل على كل غريب حضر هذه البلاد خصوصاً اذا كان كاثوليكياً وكانت البابوات تحبهم وكانوا امناء نحو الدولة العثمانية الابدية القرار

وبالاختصار لهم الفضل على الديانة الكاثوليكية والانسانية وقد خدم بعضهم دولة فرنسا فجعلتهم قناصلاً لها

ارسال والدي الى بيت الخازن

كان والدي كما ذكرنا مديراً لسياسة سعيد بك جنبلاط حاكم الشوف والاقليم وكان سعيد بك من حزب واحد مع بيت الخازن وهذه الاتصالية بينهما من زمان الامير فخر الدين المعني كما قلنا وكان سعيد بك يرسل والدي بامور سياسية الى مشايخ بيت الخازن كما ذكر ذلك الاب المتوفي صفحة ٣٢٩ في تاريخ كسروان قوله وبهذه الغضون ارسل سعيد بك جنبلاط معتمداً من قبله كاتب يده يوسف الخوري البكاسيني المارونى ومعه احد عقال الدروز (وهو الشيخ علم الدين ابن الشيخ قاسم حسن الدين) يخاطب المشايخ الخازنيين قائلاً ان تحزبهم ضد قائمقامهم (وهو الامير بشير ابي اللمع)

هو آيل الى ضررهم وضرر كامل ذوي الاقطاع في جبل لبنان فالانكفاف عن هذا التحزب هو الاوفق والاجدر بهم ان يكونوا حزبًا واحدًا وغرضًا واحدًا ان كان مع الامير او ضده (لانهم كانوا منقسمين على بعضهم) فاجابهُ الخازنيون شاكرين معروفهُ حامدين ذكاء فهمه وانهم صاروا يتبصرون بما هو اوفق الخ

سبب سقوط بيت الخازن سنة ١٨٥٩ هو عندما انقسمت هذه الاسرة الى قسمين اصبح كل قسم يقوّي شريكه على ابن عمهِ حتى قل اعتبارهم عند شركاهم وكان الامير بشير احمد يحرك جماعة الذوق وطانيوس شاهين عليهم فجرى ما جرى وكل ذلك بسبب الانقسام فلو سمعوا قول والدي بان يكونوا حزبًا واحدًا مع الامير او عليه لما وصلوا لهذه النكبة وهذا على العموم السبب بسقوط اعيان لبنان وهو الانقسام على بعضهم لحد الان

فبعد ما جلسنا مدة في الدير رافقنا الخوري يوسف راجي الى عينطورا لاجل التوصية بي لانهُ كان لهُ صداقة مع الرئيس وعندما توجهنا الى عينطورا نظرنا دير البشارة للروم الكاثوليك الذي تأسس سنة ١٧١٩ ومحل آخر بناهُ بلو مانه القاصد الرسولي سنة ١٨٠٨ وقد باعهُ القاصد الرسولي لوديفيكوس يافي الى الخواجا اسعد عواد واقام مقامهُ محلاً في حريصا وعند وصولنا الى هذا المحل كشفنا مدرسة عينطورا التي كان لي ثلاثة ايام مسافرًا حتى وصلت اليها وذلك عند العصر

عينطورا

لفظة سريانية معناها عين الجبل ففي ١٦٥٢ أعطى الشيخ أبا نوفل نادر الخازن دير مار يوسف الى الرهبنة اليسوعية لاجل السكن فيهِ وسنة ١٧٣٤ في ايام البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي حصل المجمع اللبناني في زمانهِ سلم البادري بطرس مبارك تدبير مدرسة عينطورا الى الرهبنة اليسوعية

والبادري المذكور كان مارونيًا وهو الذي عمر مدرسة عينطورا من المال الذي جمعه من خدمتهِ لامير توسكانية ومن مدرسة بيزا الشهيرة وذلك قبل دخوله في الرهبنة

اليسوعية وقد دوَّن الاب فرنسيس رئيس علم الرهبنة اليسوعية حجتين احداها بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤ والاخرى في ١٠ ت ٢ ١٧٢٥ بها يوضح كيفية تسليم الموارنة هذه المدرسة في كسروان ومدرسة زغرتا في زاوية طرابلس لليسوعيين وكيفية ارجاعها للموارنة عند الاقتضاء والحجتان مذكورتان في آخر المجمع اللبناني ومطبوعتان فيهِ

وفي سنة ١٧٧٣ تلاشت الرهبنة اليسوعية وحلها البابا اكليمنضوس الرابع عشر بسبب الاضطهادات التي حصلت عليها اولاً من البرتوغال سنة ١٧٥٩ امن فرنسا في ٢ ت ٢ عام ١٧٦٤ ثم في اسبانيا في ٢ نيسان عام ١٧٦٧ فالبابا اكليمنضوس الثالث عشر لم يلتفت لتشكيات اخصامهم ولكن خلفهُ خوفاً من أن تمس الكنيسة بضرر الغى هذه الرهبنة ببراءة مؤرخة في ٢١ تموز عام ١٧٧٣ ولكنهُ أبقاها في مملكتين غير كاثوليكيتين لان ملكيهما تمسكا فيها وهما روسيا و بروسيا

فالبابا المذكور ابد اليسوعيين في هاتين المملكتين فعند الغاء هذه الرهبنة استولى بطريرك الموارنة على مدرسة عينطورا في كسروان ومدرسة زغرتا في زاوية طرابلس وفي عام ١٧٨٢ تحولت كل أديرة الرهبان اليسوعيين في الشرق الى الرهبان اللعازريين وذلك بامر البابا بيوس السادس الصادر في ٢٢ ت ٢ وامر لويس الخامس عشر ملك فرنسا الصادر في ٢١ ك ١ فدخلت عينطورا وزغرتا تحت هذه الاوامر

وعند الساعة التاسعة عربية في ٢ت ١ عام ١٨٦١ دخلت مدرسة عينطورا وقابل والدي وحضرة الاب الخوري يوسف راجي رئيس المدرسة واسمهُ ديبر Dupert واعطيا لي ورقة الكونسلاتو فدخلت المدرسة وودعتهما ورجعا

بناء المدرسة في ذلك الوقت

كان بناء المدرسة في ثلاثة دور فالسفلي فيهِ الى الشمال الكنيسة جنب البوابة والى الغرب الاقبية القديمة وغرفة المائدة والدار الثانية تقيم فيها الرهبان والرئيس والثالثة للتلامذة وعلى محل المائدة غرف الدرس

ترتيب المدرسة اليومي

نقوم من النوم على صوت الجرس صباحاً ونصرخ جميعنا Déogratia اي الحمد لله ثم نركع في الفرشة ونصلي صلاة مختصرة وهذه الصلاة نمره ١ ثم نلبس ثيابنا ونغسل اوجهنا وننزل الى محل الدرس العمومي وهناك نصلي صلاة الصبح الطويلة نمره ٢ ثم نجلس الى دروسنا وبعده نذهب الى الكنيسة لاستماع القداس وهناك نصلي نمره ٣ ثم منهُ نذهب للمائدة وقبل الاكل نصلي نمره ٤ ثم ناخذ الاكل بيدنا ونذهب الى الخارج لان هذا الاكل مكوَّن من قطعة من الخبز مع الجبن او قريشة بشراي ونكمل الاكل وقت لعب الصبح

ثم بعد هذه النزهة القليلة ندخل الدرس العمومي حيث يفرّق ناظر الدروس كل فرقة الى مدرستها ويكون معلم تلك الفرقة منتظرًا على باب الدرس فيأخذ التلاميذ بانتظام الى مدرستهم وعندما ندخل نصلي نمره ٥ فيسمع المعلم الدروس السابقة ويعطي الجديدة مع فرض الكتابة وقبل خروجنا نصلي نمره ٦ ثم نذهب الى محل النزهة نحواً من ربع ساعة ونعود للدرس العمومي لاجل الكتابة فنصلي في الابتداء نمره ٧ ثم نتوجه الى المائدة لاجل اكل الظهر فنصلي اولاً نمره ٩ فيجلس كل واحد في محله وامامه في الطاولة درجا فيه ملعقته وشوكته وسكينه وكل عشرة يفرّق عليهم واحد والخادم يحمل سلة من الخبز ويدور على التلامذة فيأخذ منهُ كل من خلص خبزه

واكل الظهر شكلين او ثلاثة مع فاكهة والجميع محافظون على السكوت يصغون الى القارئ الذي يجلس على محل عالٍ ويقرأ على العموم والتاريخ الذي كان يقرأهُ في زماننا هو تاريخ الرومانيين والمؤلف لوران وفي الايام المشهورة كالاعياد او لاعتبار شخص ضيف يعطون اذناً بالتكلم والعلامة هي دق جرس من يد الرئيس وفي آخر الاكل نصلي نمره ١٠ ثم نتوجه لمحل اللعب وبعد ساعة من الزمان نرجع الى الدرس العمومي ومنهُ الى المدارس بعد الظهر فاول المدرسة نصلي نمره ١١ وفي آخرها نصلي نمره ١٢ ثم ننتقل الى مدرسة أُخرى كالعربي او اللاتيني ابتداها نصلي نمره ١٣

وآخرها نمره ١٤ ثم تنزل الى المائدة ونأخذ العصرونية التي تكون من الخبز او التين او الزبيب او البلح وقبل اخذها نصلي نمره ١٥ ثم بعد الاكل نتوجه الى الدرس العمومي لاجل عمل الفروض المدرسية وقبل الابتداء نصلي نمره ١٦ وعند الانتهاء ١٧ ثم ننزل الى المائدة للعشاء وقبل العشاء نذهب الى درس التعليم المسيحي وفي ابتدائهِ صلاة نمره ١٨ وفي انتهائهِ نمره ١٩ ثم نذهب الى العشاء الذي يكون مثل الظهر في القراءة والاكل من شكاين والسلاطة الابدية وقبل الاكل نصلي نمره ٢٠ وبعده نصلي نمره ٢١ ثم نصعد لمحل النوم الذي نصلي فيهِ الصلاة الاخيرة نمره ٢٢

وكنت لاجل المزح اقول عندما خرجت من المدرسة انهُ اذا كنا ملزومين حسب تعليم الكنيسة ان نسمع القداس نهار الاحد فقط فاذا عملت حساب بالذي صليتهُ في عينطورا ان كل مرة توفي عن قداس فيكون باقٍ لي كثيرًا وهذا من باب المزح

لكن ملحوظاتي ان كثرة الصلاة تخفض الدين لان كل ما قلَّ أعتبر ولا تضجر منهُ النفس فلذلك حكمة الكنيسة جعلت استماع القداس كل نهار أحد او عيد ليكون الاشتياق موجودًا خصوصًا للاولاد ولحد الان ما نظرت قديسًا خرج من هذه المدارس قهرًا عن كثرة الصلوات

اوَّل ليلة دخولي

اوَّل قتـلةٍ اكلتها . اوَّل عبوركِ شممه بطوالكِ

ففي هذه الليلة قبل العشاء ذهبنا الى التعليم المسيحي واذ كنت لا اعرف شيئًا من الافرنسية توجهنا الى عند احد الاخوة المدعو فرار لامه الذي كان يعرف العربية مثل باقي الافرنج وكان يومئذٍ بسن السبعين وله صوت جهوري وكان قاسي الطبع لا يعرف الا الضرب بالكف على وجه التلميـذ او رقبتهِ وكان عنده كرباج يسميه حصاني الابيض وكان يرافقهُ في الدرس وعندما دخلنا المدرسة وجلست على الطاولة التي بقربه الباب والمعلم على كرسيهِ التي كان يعلوها بدرج وهي موضوعة بدائرة كأنها قنص فلم يعرـ

من المعلم سوى يداه وراسه وعند ابتداء الدرس خبط بيده على كرسيه وركعنا لاجل الصلاة فابتدا يقول باسم آب ابن روح كدس آمين بصوت جهوري مع اتساع فمه لاجل خروج الكلام منهُ فعندما سمعت هذا الصوت لم يمكنني ضبط نفسي عن الضحك بصوت عالٍ بحيث التفت الجميع اليَّ وعندما سمعني نزل اليَّ وضربني بالكف على وجهي فوقعت على الطاولة ووضعت راسي بين يديَّ مكبًا على الطاولة فصار يضربني على رقبتي كأني ذبيحة له واصرخ وانا مغطي وجهي وعندما تعب آمرني بالركع فركعت على البنك ورجع الى محله وعندما رجع قائلاً : باسم آب ابن صرخت ثانيًا اضحك اكثر من الاول فنزل ثانية وزاد ضربي وكنت لم اشعر بالضرب لانشغال فكري بصوته وضحكي الذي تغلب عليَّ وانا تحت الضرب وعندما رجع ثالثة الى محله وقال باسم آب راجعت الضحك اكثر من الاول فاخيرًا اخرجني الى الخارج واركعني على الباب فشكرت ربي على ذلك وبعدت عن الباب حتى لا يسمع صوتي من الضحك فكنت اضع يدي على فمي حتى لا يسمع ولكني كسرت اضلعي من الضحك عندما كنت اسمع الفاظه الملوقة والعربية المضحكة وكان صوتهُ يتنوع بالعلو والانخفاض حسب معاني الشرح وعندما يسكت قليلاً يسعل او يبصق او ينشق العطوس فكانت تلك الليلة عظيمة عندي قهرًا عن الضرب والركع وكانة بوليدون اي مدة ما كان يزول من اذني صوتهُ المضحك

فايٌّ منا المذنب في هكذا احوال التلميذ او الرئيس فلا شك الرئيس لان رجل مثل هذا لا يعرف اللغة العربية ولا لفظها فلا يلزم ان يعينهُ معلمًا في هذه اللغة وخصوصًا للتعليم المسيحي لان هذا المعلم لا يحتمل الضحك فكان الاولى بالرئيس ان يضعهُ محل النزهة فهناك يتعلم العربي على مهله ويضحك التلميذ بحريته فكيف التلميذ الذي حضر من الخارج ليتعلم يجد معلمه اجهل منه ولا يعرف يكلمهُ في لغته بالطبع يسخر به فوجود القراوله في هكذا مركز مخل والذنب على الرئيس فاخيرًا انصرفنا وفي اليوم الثاني ديرها البارى فانقسمنا الى قسمين وكنت في قسمة الاخ ميشال شيحا من الشام ابن عرب تكلم في التعليم المسيحي فقضيت تلك الليلة بكل انتباه وفي اليوم الثاني ادخلونا في مدرسة المعلم يوسف حسني الذي كان له عينًا من الزجاج نظرتها اول مرة في

عمري ثم بعد الدرس قسمونا وكنت في قسمة الاخ ميشال فكنت احفظ متائلي بدون ان افهمها وكان المعلم المذكور يعطينا احياناً بعض ترجمات وكنت دائماً اسأله عن الالفاظ العربية للترجمة لانهُ كان ينفعنا جداً لعدم وجود قاموس عربي وفرنساوي لاجل الاستعانة بهِ الاَّ قاموس بكتور الذي لا يستطيع اي من كان اقتناءه

الفتلة الثانية

او حادثة مسيح الدجال

وقد حدث لي حادثة اخرى وهو انهُ في يوم الاحد كان الرئيس يعظ عَلَى مجيء مسيح الدجال وانهُ يأتي في آخر الزمن ويحصل جوع ومصائب اخرى وكنت جالساً بين اثنين احدهما انطون حيدر ابن سمعان حيدر من الزوق والثاني انطون كتافاكو من عكا وعندما سمع انطون حيدر ماذا يعمل مسيح الدجال ابتدأ يبكي بشهيق كأن مسيح الدجال اتى وجوَّعه لانهُ كان يحب بطنه جداً فصار يبكي عَلَى الجوع سلفاً فعندما رأيتهُ بهذه الحاله شفقت عليه وسألته لماذا تبكي اجاب اما انت سامع فقلت له ربما نموت قبل مجيء مسيح الدجال ولا الرئيس يقول انهُ واقف عَلَى الباب لا تخاف ومع ذلك بقي يبكي فلاجل راحته قلت لهُ لا تصدق لا يأتي مسيح الدجال ومضت المسألة ففي ليلة وانا في الدرس وكان انطون كتافاكو بجانبي وكان في صفي في المدرسة وكان كسلاناً جداً ولم يعرف يعمل فرضه فكنت دائماً اعطيه فرضي لينسخه ففي أحد الايام تكدرت منهُ ولم اشأ ان اعطيهُ فرضي فرايته حالاً خرج من الدرس وكان ذلك ليلة الاحد فبعد مدة ناداني ناظر الدرس فتوجهت اليهِ متعجباً لماذا يناديني لاني لست طالب الاعتراف في هذه الليلة لانه لا احد يخرج من الدرس ليلاً الاَّ للاعتراف فقال لي الناظر انك مطلوب لعند الرئيس

الرئيس ديبار

كان هذا الرئيس دينًا جداً ذا اداب عظيمة عصبيًا قاسيًا جداً مهابًا ما نظرتهُ

ضاحكاً ابداً فكنا نرتعب منهُ وكان طويل القامة بسن الخمسين سنة فصيحاً وكان عند كدره يرتجف كله وكان من مدينة كركاسون من فرنسا وكان لهُ غرفتان الواحدة ضمن الاخرى وكانت تلك الليلة من ليالي شباط القاسية والممطرة فدخلت الغرفة الاولى فلم اره فيها ودخلت الثانية فوجدت الرئيس في وسط الديوان والمعلمين من حولهُ وانطون ابي حيدر البكا واقفاً مع جاري انطون كتافاكو وانا غير مفتكر بشيء وكان العادة عند دخولنا الى غرفة الرئيس نرفع طربوشنا ونركع لانهُ يكون واضعاً صليباً على الحائط

فعند دخولي عملت هذه الرتبة وتقدمت بكل اطمئنان فحينئذ وقف الرئيس وكان يرتجف كله وناداني بصوت عالٍ وبنغمة من الاوج عندما راني راكعاً تقرَّب يا شقي ما هذا ضروري انقول ان مسيح الدجال لا يأتي فها هو قد اتى وهو انت مسيح الدجال امدد يدك وكان الكرباج بيده وابتدأ يضربني عَلَى يدي وهما في حالة التجليد والبرد فابتدأت اصرخ نعم ياسيدي الرئيس ان مسيح الدجال يأتي نعم ياتي وانا اومن ايماناً ثابتاً بمجيانك أومن بمسيح الدجال يا موسيو يا رئيسي بحيات المسيح الصحيح خلصني وهو اصم ابكم وما اسمع منهُ الاَّ مدَّ يدك فكنت ارقص من الوجع فكل ضربة على يدي ارفع رجلي التي من جهتها واخبط الارض فيها واعوّج فمي واغمض عيني بحركة تشخيبه فكادت نفسي تذهب واعتقدت ان مسيح الدجال ما كان يعمل معي هكذا وانهُ اذا عمل هكذا فيؤمن بهِ كل الناس فبعد هذه الحركة آمنت بالدجال الى اليوم وبعد ما تركني رأيت كفي مزرقاً وورم في الحال فخرجت من هناك الى يفكري الرئيس والدجال سوية

فانظر هذه الطريقة للايمان فبدلاً من ان الرئيس يعظني او يسلمني الى واعظ آخر ويبرهن لي عن مسيح الدجال ويفهمني ان هذا الاعتقاد ضروري ابتدا يضربني بالكرباج فكيف اومن حينئذٍ بالدجال لابل ان هذه الطريقة تكفرني بالمسيح الحقيقي وبالرئيس لان جسمي ليس بمستعدٍ ان يكون شهيداً

وعندما دخلت الدرس ذهبت الى الناظر واخذت يده كعادة المعترفين حتى يظنوا الكل فيَّ انني معترف وبالحقيقة ان كتافاكو وحيدر اعترفا عني لانني كنت اخشى

جداً ان اذان امام التلامذة فحضر كتافاكو ضاحكاً فسكت ففي اليوم الثاني مدة اللعب حضر كتافاكو يضحك عليَّ فقلت لهُ من غيظي اسكت يا مقروق

الفصل الثالثة

دعوى مقروق

وعندما قلت الى كتافاكو هذه الكلمة توجه حالاً الى الرئيس الذي لم يعرف شيئاً من العربية وكذلك كتافاكو لم يعرف هذه الكلمة بالافرنسية فقال الى الرئيس ان شاكر الخوري قال كلمة سفيهة لا اعرف اترجمها لك فقال لي مقروق فقال الرئيس ما معنى ذلك فحينئذٍ جمع كتافاكو يده وأشار الى ما بين فخذيهِ وقال لهُ هنا شيء كبير فعندما نظر الرئيس الاشارة الى هذا المحل طار عقله وقال اطلبوا الاخ لامه الذي كان علمنا اول ليلة التعليم المسيحي فحضر وقال لهُ الرئيس استخبر من كتافاكو ماذا يتشكى

فسألهُ الاخ وقال لهُ ماذا تتشكى فاجابهُ ان شاكر الخوري قال لي مقروق فالاخ كذلك لم يعرف هذه الكلمة بالعربية فترجمها بانها كلمة عظيمة جداً فعند ذلك طلبني الرئيس فحضرت امامه وكان يرتجف كعادته وبيده كرباج البارح فقال لي يا شقي ماذا قلت الى كتافاكو فقلت لهُ قلت مقروق لانني لم اعتبر ان لفظة مقروق من الالفاظ الرديئة بل اعتبرها مثل اعور كاحتقار للغريب وليست كخطيئة مميتة فلذلك لم انكر ما قلتهُ فقال لي الرئيس ما معنى هذه الكلمة فاجبتهُ اني لم اعرفها بالافرنسية فقال اشر اليها فعملت مثل كتفاكو اي جمعت يديَّ وأشرت بها الى ما بين فخذيَّ وقلت لهُ ههنا يوجد شيء كبير بقدر البرتقانة فكان جوابهُ هات يدك وابتدأ يضربني وانا أقول لهُ ما في شيء بهذه الكلمة من السفاهة اسأل عنها فكان لا يسمع ولا يقتنع لان مركز الاشارة عنده كان مخطراً جداً فعند خروجي من عنده ابتدأت اشتم واسب في فكري والعن هذه العيشة التي بين مسيح الدجال وفرق كتافاكو وورمت يديَّ فحلفت ان لا اكلم كتافاكو ابداً ومن بعد هاتين الحادثتين صرت منظوراً من النظار

فكانوا دائماً يلاحظونني و يمنعوني من التكلم مع بعض تلامذة يشكون فيهم مثلي

انظر ايضاً الى هذا الذنب فعوض ما يعلمني بالافرنسية هذه اللفظة كان يضربني فاذا كانت معرفتها خطيئة فاعرفها بالعربي وما توجبت لعينطورا الاَّ لاتعلم الافرنسية ولا شارطهم على علمي فقط كلمات مخصوصة لا بل كل اللغة فمن الواجب ان يعلموا كل شيء حتى يعرف المتعلم ما يقول ان كان القول رزيلاً فلا يعيده او يعرفهُ متى قيل لهُ مع كل ذلك هذه الكلمة هي من جملة المشوهات كالاعور والاقرع لا تحتاج الضرب الا لانها واطية المركز

مرض الدوسنطاريا

مرضت في الدوسنطاريا مدة شهر فشفيت ولكن بقيت ضعيفاً جداً بالكاد يمكني المشي واول يوم طلعت الى الدرس وكان وقت الكتابة العربية قبل الظهر وكان عندي كتاب مجموع من الاشعار احضرتهُ معي من البيت وكنت اعرف العربية اكثر من ارفاقي لانني تعلمتها في المختارة ومشموشة وكان الكتاب ذا خطٍ جميل من خط والدي فاخذت اكتب بعض اشعار لاجل قاعدة الخط حتى يأخذ خطي عليه فكنت اكتب هذا الشعر

القلة الرابعة

او الشعر

أُحب من اجلكم من كان يشبهكم حتى لقد صرت اهوى الشمس والقمرا

أُمرُّ بالحجرِ القاسي فالثمهُ لانَّ قلبك قاسٍ يشبه الحجرا

وبينما انا اكتب حضر حضرة الاب كوكيل وكيل الطبشة (الطبشة هي قطعة من الخشب بسعة الكف من الاعلى ولها ذنب رفيع بقبضةُ الضارب) واخذ مني الورقة وطلع الى خارج الدرس فقرأها ولما رأى لفظة احب وشعر رجع واخذ مني الكتاب وذهب بي الى حجرته وانا خارج من المرض يومئذٍ ولم يمكني امشي كالعادة فأخيرًا مشيت يمكن

تعب وعناء حتى وصلت الى حجرته فمسك الطبشة التي قلت عنها وقال امدد يدك فقلت لماذا فقال انت تعرف فقلت ياموسيو انا مريض فاجاب لو كنت مت كان احسن اقله خلصت نفسك فاجبتهُ وبماذا اهلكتها اليوم اجاب انت تعرف قال من دون مجادلة هات يدك وامسكها بيده وابتدا يضربني فاشعرت مع ضعفي ان روحي خرجت من بدني وكلما ضربني يقول اول الشعر اخب اخب اخب عوض احب وانا اقول ما فيه شيء هذا الشعر فاخيراً تركني وقلت في نفسي هذا الذي قلبهُ يشبه الحجر فتأسفت على ذاتي به وهذه عيشتنا في ذلك الوقت

انظر هذا التوحش وهذه الطريقة التي تعلم التلميذ الشك فكيف حضرة الوكيل يضربني لاجل احب مع ان ابتدا العلم عنده بالافرنسية فعل احب لماذا لفظة احب في العربي خطية مميتة وبالافرنسية مقدسة ولا كنت افكر بلفظة احب انها خطية وعند تنبيه فكري صرت اخذها على معنى رذيل وهذا من فضل الطبشة

القتلة الخامسة

حبيبي ابيض اشقر

وفي ذات يوم كنا في الكنيسة وكان راكعاً بجانبي انطون ابي حيدر وكان معنا كتاب للصلاة عربي يوجد في هذا الكتاب بعض اقوال من نشيد الانشاد ومن جملتها هذه الاية حبيبي اشقر واحمر الخ وعندما كنت اقرأ هذه الجملة ضحكت واعطيت الكتاب لجاري انطون الذي ضحك ايضاً عند قرأتها فالاخ فانسان الذي كان مختفياً خلف كرسي الوعظ نظر هذه الحركة فاتى الينا وكان الكتاب لم يزل في يد انطون واضعاً اصبعهُ في المحل الموجودة فيه هذه الجملة فاستلم الاخ فانسان الكتاب ووضع اصبعهُ محل اصبع انطون فقرأ هذه الجمله واخذ الكتاب ومضى وبعد طلوعنا من الكنيسة دعونا لمقابلة الوكيل الذي طعمنا الطبشة كعادته فهذه هي المرة الثانية التي لما كنا على حساب انطون صحَّ المثل ان عدوك العاقل ولا صاحبك الجاهل فلو كان حضرته رفع اصبعه عن محل العلام واغلق الكتاب لما وجد الاخ غير كتاب صلوة

ملحوظاتي

ان كتباً كهذه مع جمل من نشيد الانشاد لا يلزم ان تعطى للاولاد لانهم لا يعرفون الاَّ معناها الدارج ولا يعرفون تفاسيرها اللاهوتية فجملة كهذه ضيعت الفكر لولد بسن الاربعة عشر سنة لا يعرف الاَّ الحبيب الظاهر ويتعجب من دخول جمل كهذه في كتب الصلاة اظن لو كان الاخ فانسان فسر لنا معناها اللاهوتي والرمزي لكنا تخشعنا وفهمنا الحقيقة اكثر ولكن قصاصه لنا اثبت ما في فكرنا ان هذا كلام معيب

والذي اقوله وانكت عليه في هذه المدرسة هي القساوة والضرب وشراسة المعلمين وعدم التعقل في قصاصاتهم وما كنت تسمع الا صوت الكرباج والطبشة واحياناً لم تعرف سببه بل يلزم الطاعة العمياء والخضوع المطلق فهذه الطريقة لا تصلح التلميذ ولا تجلعهُ يعرف اضرار ما يرتكبهِ فلو كان يؤخذ بالحكمة ويعرف الاضرار التي تنتج عن افعاله المغايرة لكان يصطلح اكثر ويحب معلميهِ اكثر

مدة اقامتي في عين طورا

قد دخلت السنة الاولى على حساب دولة فرنسا وكان مرتب المدرسة السنوي ٨٠٠ غرش وحيث اني لم اكن تقياً جداً حذف الرئيس عني الكرمي المعطاة لي ثم اقمت سنتين على حساب والدي واما العلوم التي تعلمتها في هذه السنين الثلاث ليست بشيء يذكر فاني وصلت الى الصف الثاني في الغراماطيق ودرست قليلاً من الحساب والجغرافيــة ودرست اللغة اللاتينية سنة واحدة ولا شيء تقريباً من العربية بحيث كل هذه العلوم ما كانت تنفعني شيئاً تخرجت من المدرسة سنة ١٨٦٤

تفكري الان في تلك الايام

كنت احسب قبلاً ان تلك الايام ايام الشقاء والتعب وعدم الراحة والتحكم

وهلمّ جرًّا من باقي التشكيات وكنت اخاف كل معلم من المعلمين وربما سببتهُ في قلبي فماذا حصل الان حتى انقلب كل شيء بالضد لانني عند كتابتي هذه الاسطر تذكرت تلك الايام فاغرورقت عينيَّ بالدموع وتأسفت عليها لاني كنت براحة الفكر لا افتكر بشيء وبالحقيقة لا يعرف الانسان قيمة ما هو عليهِ الا متى فقدهُ وعندما كنت ارى معلماً من المعلمين الذين كنت ابتعد عنهم اشعر بانشراح عظيم في لقيام الان وربما سأندم على هذا اليوم الذي اكتب فيهِ مثلما تأسفت على الماضي

ولا ألوم المعلمين الان على قصاص الذنب ولكن على طريقة القصاص لانني اعرف جيدًا انهم يعتقدون بما كانوا يفعلون ان كانوا يرون الخير يقولون خيرًا والشرّ شرًّا وان مثل هؤلاء الذين تركوا العالم وبلادهم واهلهم وتنعماتهم لاجل هذه المبادي لا يتركونها لاجل خاطري فانا لست افضل منهم حتى يفضلونني على انفسهم بل بالعكس كانوا يفعلون حسب اعتقادهم فلا لوم عليهم بل لهم الشكر منا وطلب الرحمة لانهم الان في عالم غير عالمنا

متصرفية لبنان

من اعظم انعامات دولتنا العلية ايدها الله اعطاؤها امتيازًا الى لبنان لم تنله بلاد غيره في اية دولة كانت ولذلك ترى اللبنانيين طائعين خاضعين ومتحملين في بعض الاحوال اخلاق وطباع متصرفيهم ولا يبدون ادنى حركة خوفًا على فقد نظامهم

فهذا النظام العادل هو اقوى سلاح لضبط وخضوع لبنان فترى منافعهُ لجميع الطبقات والحالات فللفلاح الحرية التامة في شغلهِ يفلح ويزرع ويحصد ويدرس ويحمل غلتهُ بدون ناظر الاعشار ويزرع دخانهُ بدون ادارة الرجي ويدفع صاحب الملك مبلغًا معلومًا على املاكه ومهما اشتغل فيها وزادها فالمبلغ نفسه

واصحاب المقاطعات التي افتكرت انها أُلغيت فهي كما كانت ترى القائمقام والمدير وكل هيئة حاكمة منهم كما كانوا ونرى الاكليروس متمتع بحرية دينية واعتبار وأمن على املاكه احسن ما لو كان في رومية مركزه الديني وهكذا في كل فئة وحال من

الاهالي فاية نعمة أعظم من هذه فلذلك نرى اللبنانيين متمسكين بدوانهم العلية يفدونها بدمهم واموالهم هذه هي حالتهم العمومية المعقولة واهمية هذه المنفعة بالخصوص الى الطوائف الغير مسيحية كالاسلام والدروز والمتاولة لان هذا النظام يعفيهم من البدلات العسكرية والقرعة العسكرية وخلاف نظامات

واما حالة الافراد من اللبنانيين فهي كباقي افراد البشر لا يهتمون الا بما ينتفعون و يقولون

اذا متُّ عطشاناً فلا نزل القطرُ

وقد كانوا كثيرون في الزمن الماضي وهؤلاء هم الامراء والمشايخ والاهالي اصحاب العيال الممتازة يطلبون الوظائف لعدم شغل آخر لهم فكانوا يسعون بالفساد ضد متوظف لينالوا مصلحته و يرمون الفساد بين المتصرف وقسم آخر لكي يأخذ المتصرف حزباً منهم ولا يستغني عنهم وهكذا حصل لحد الان لان عديم الشغل يفتكر في ثلاثة امور مضرة اولها اما يتوسوس بصحتهِ ثانيها يعمل فسادا لتسليتهِ ثالثها ينتقد على الدين بفلسفتهِ

فكانت هذه الاحوال تزداد وتنقص حسب الطباع المتصرف فمن المتصرفين من وصلت هذه الاحوال معهُ الى أعلى درجة وكل ذلك كان ضرراً على الاهالي وتعب على الاخصام والمكسب للمفسدين وقد شرحت هذه الاحوال في قصيدة دعوتها «وصية والد السيامي الى ولده» سأذكرها في القسم الشعري من هذا الكتاب

فينتج من ذلك اذاً قهراً عن الراحة التي أعطيت الى لبنان في نظامهِ تراها بدلت بتعب من غايات متوظفيه واخلاق متصرفيه ماذا ينفع النظام وحسنهُ اذا كان بيد غير نقية وحسنة المبدى ويعرف مدبر هذا النظام ان كل ما عمله الانسان من فلسفة ونظام وقوانين هو لاجل راحته فلذلك نرى حسن الحكم غير متعلق بعلوم وذكاء ومعارف الحاكم بل بحسن ادارتهِ التي هي جلب الراحة والسكينة الى من حكمهم ولذلك اذكر في تاريخي هذا ما ابقاهُ كل متصرف في لبنان من المنفعة والراحة بعد ذهابهِ منهُ ولا

اعترض ولا ادخل بتصرفهِ وانتخابهِ مستخدما سواء كان من حزبي او ضدي لان المسئولية على المتصرف فله ان ينتخب لخدمة مصلحته من يشاء فهذه ثقة في مستخدميهِ لا يمكن يعطيها لاي كان فله الحرية بانتخاب مأموره لكن على شرط أن لا يدع مأموره يستغنم فرصة في نفوذه وينتقم من خصمهِ لان هذا الخصم له فقط وليس للمتصرف او العموم ويكفي المستخدم قبض معاشه وقد فضله المتصرف على غيره فيلزم والحالة هذه ان تعطي الراحة الى خصمك عوض ماهيتك التي تقبضها و براحة خصمك يسكت عنك وتستريح انت في مأموريتك

فالغلط الوحيد من المتصرف هو انقيادهُ او غشهُ من مأمور يجعل لهُ خصمهُ خصماً لهُ نعم ان الذين يكونون باطناً ضد المتصرف هم اخصام متوظفيهِ وليس اخصامهُ لان اعظم ذنب للمتصرف هو أن يوظف خصمي ويقويه عليَّ ولذا كل متصرف عادل يوظف من الحزبين اولاً ليرضي الاثنين ويكتشف أسرار الاثنين ولا ينبغي ان يصدق الا بعد الفحص من الاثنين وليس من صالحهِ وصالح الحكومة ان يأخذ اعداء اقوياء اذا حاربهم يضر البلاد والراحة ويستعبد الى مأموريه ليعمل لهُ حزباً منهم فجميع هؤلاء الاعداء يصيروا خدماً لهُ عندما يتوظف احد اقاربهم او يبش بوجههم ولاجل راحة المتصرف والاهالي ينبغي أن لا يوظف احداً في مقاطعةٍ هو منها بل ينبغي ان يكون من مقاطعةٍ أخرى حتى يكون بلا حزب وغرض

وجميع ما ذكرته نتيجة اختبار لانهُ مرَّ عليَّ مدة طويلة (ولوما كنت مستخدماً في الحكومة

لان هنا كلنا والحمد لله نشتغل بالسياسة من المكاري الى القاري

الخص هذه الامور وكلها واحدة فاذا لاحظنا اول متصرف وهو داود باشا نراهُ أتى باستعداد عظيم لنجاح البلاد طوعاً لاوامر دولتنا العلية التي تعتبر كل مأمور نائباً عنها يفعل كما تفعل لراحة الاهالي لان الراحة هي سعادة الانسان في هذه الدنيا فمن كان يجلب القلق الى الرعية فيكون اول عاصٍ لدولتهِ لانهُ لا يوجد أبٌ في الدنية

يحب رجلاً يتعب اولاده فالذي يريد ان يكون محبوباً من ملكهِ ومن رعيته ومن الله والناس يلزم ان يسوسهم برفق ويجلب الراحة للبلاد ولنذكر الان اوَّل متصرف للبنان وهو

داود باشا متصرف جبل لبنان الاول

تعين داود باشا في ١٠ حزيران سنة ١٢٧٧ هجرية ومكث ست سنوات واحد عشر شهراً وهو ارمني كاثوليكي ومن رجال الدولة العظام لهُ الفضل العظيم في ترتيب لبنان تولى متصرفيتهُ لما كانت احوالهُ مضطربة والدم جارياً والعداوة متمكنة بين الاهالي فرتب المجالس وانتخب المتوظفين ومسح البلاد وقد احب البلاد جداً حتى انهُ تزيا بزي اهلها وقد رتب العسكرية واحضر ضباطاً افرنسيين وهم القبطانان فان والطاب وابتدأ بعين انفاراً من لبنان وارسل الى اقليم جزين لاجل تعين الانفار خالي يوسف بك ناصيف وقسم الجندرمة الى فرقتين خيالة ومشاة وكان رئيس الخيالة خالي يوسف بك ناصيف ورئيس المشاة الامير سعيد سعد الدين شهاب وقد البسهم لباس الزواف

وسنذكر فيما بعد الضباط الذين اشتهروا في العسكرية عند وصولنا الى مدة تنصيبهم واما داود باشا فقد اظهر العدل والهيبة وعندما حضر افتكر ان يعامل الاهلين كمعاملة البلاد الاوروبية وقد اخبرني والدي خبراً عنهُ وهو انهُ عندما حضر وجلس في بتدين كان عندهُ كلب افرنجي فكان كل يوم صباحاً وهو في ساحة السرايا يلعب مع الكلب ويركض امامهُ وعندما رأت اهل البلاد ذلك استخفت بهِ واخذت تتكلم عن خفته وعدم ادارته وقدم سمع هذا الكلام بعض المتوظفين وكان يحب داود باشا فاخبره عما يقال عنهُ وقال لهُ ان اهل بلادنا لم تتعوَّد ان ترى حكاماً بهذه الصفة فاجابهُ ماذا يلزم لنوال الهيبة فقال يلزم ان تكون رزيناً جليلاً في حركاتك امام الناس وتلبس لبساً مهيباً ففي اليوم الثاني لبس بدلتهُ وفروتهُ وملأ غليونهُ وعبس واذن لاكابر البلاد ان تزوره فكان عندما يدخل عليه شخص يعبس بهِ ويأمره بصرامةٍ ويخرج الزائر الذي كان يقول عند خروجهِ هذا رجل مهيب تجري اوامره بسرعة ومن ذلك الوقت دخلت الهيبة بقلوبهم

وحادثة اخرى جعلت الكل يرتجفون منهُ وهي انهُ راى حمارًا يعطل التوت حول الدرابا فاحضر الحمار وسال عن صاحبه فانكره الجميع خوفًا من القصاص فأمر بشنق الحمار فمن ذاك الوقت ما عاد رأى حمارًا ولا احدًا يتعدى على ملك غيره

وقد كان عند داود باشا كاتبًا ارمنيًا يترجم لهُ بعض الاحيان وفي الغالب كان يترجم حسب مرامهُ واغراضه فالحادثة الاتية تكشف عما كان يعمل

حادثة

مع والدي ويوسف بك مبارك والياس اغا وهبه

ان هؤلاء من المشهورين في اقليم جزين كان يعاكسهم احد الرؤساء في تلك الايام وهم في بيوتهم صدر امر داود باشا بدعوتهم الى المركز فحضروا وطلب اولاً الياس اغا لمقابلة المتصرف وعندما ساله الترجمان بعض مسائل وجاوب فكان امر المتصرف بحبسه ثم طلب يوسف بك مبارك وترجم لهُ الترجمان فلقي نصيب الاول وعندما طلب والدي ونظر الترجمان طلب من دولته ان يغير له الترجمان واعترض على الوشاية التي اصابتهم وانه اذا سمح له يزين اكثر لمقابلته يعرض لهُ كل شيء فاجابه انه نهار غد تحضر الى هنا فعند ذلك نزل والدي الى دير القمر وكان له معرفة بالامير افندي شهاب الذي كان يومئذٍ كاخية دولته فترجى والدي الامير ان يقابل الباشا عنده في السهرة فوعده بذلك وادخلهُ عليه فقابل والدي دولة المتصرف وعرض له عن جميع الحوادث التي جرت قبلهُ في لبنان وعن اخصامهِ المخصوصين فاجابهُ ان الذي تشكى عليهم هو احد الرؤساء فامر دولتهُ والدي ان يذهب الى بيت الدين نهار الغد وعندما حضر عينهُ في اليوم الثاني كاتبًا في مجلس المحاكمات الذي كانت تسمع فيهِ الدعاوى الحقوقية والجزائية معًا ثم بعد ذلك قابل والدي ذاك الرئيس وسالهُ عن سبب التشكي عليهِ فاجابه اخبروا بان مرادكم تغيروا مذهبكم الماروني فلذلك اخذت الغيرة الدينية سعادة دولته فحال ان يهلك اجسادهم في السجن ويخلص انفسهم وعندما عرف داود باشا عمل بعكسه خلصهم من الحبس ولم يلتفت الى قولهم لان خلاص النفوس ليس من وظيفة الحاكم

انتخاب مشايخ الصلح

فعلى حسب نظام لبنان كان للاهالي حق بانتخاب المشائخ وكان يحضر هذا الانتخاب مامور من قبل الحكومة وقد تولى هذه الوظيفة في اقليم جزين خالي حبيب بك ناصيف وكان انتخاب اعضا مجلس الادارة اللبناني مناط بالمشايخ فاول عضو لاقليم جزين كان المرحوم والدي وتكرر انتخابه حتى آخر مدة فرنكو باشا وانتخاب الادارة لمدة ست سنوات فبعد سنتين ابتدوا يغيروا الثلث

وعندما اجتمع مجلس الادارة في تلك السنة وارادوا ان يغيروا ثلثهم بعد سنتين حسب النظام فلاجل ذلك رموا قرعة وضعوا فيها اربعة اوراق سوداء وثمانية بيضاء وجمعوها سوية واخذت الاعضآء تسحب الاوراق فالذين سحبوا الاوراق السوداء أُبدلوا وقد جعل لهذا المجلس رئيساً ينوب عن المتصرف يسمى وكيلاً

واما مجلس المحاكمات فقد انتخب لهُ من كل الطوايف والذين اشتهروا مدة داود باشا هم عمون بك عمون وبشاره افندي نحول وشاكر افندي شاول وعيد افندي ابي حاتم ونعوم افندي فيقانو الذى تسمى قائمقاماً في المركز والمرحوم والدى والشيخ بشاره الخوري وقد رتب داود باشا القائمقاميات التي كانت تسمي يومئذ مديريات وانتخب متوظفيها واغلبهم من اهل المقاطعات الاصليين وقد ارسل قائمقاماً الى جزين في ١٧ ايلول سنة ١٢٧٨ موافقة ١٨٦٢

قعدان بك الخازن

هذا هو القائمقام الاول لجزين كان رجلاً كريماً لطيفاً ذا ادارة ثم ابتدل في اول ت٢ سنة ١٢٧٨ موافقة ١٨٦٢

عمون بك عمون

هذا هو الذي حضر لجزين وكانت الاهالي تحبه حباً فائقاً فكان دائماً عليه التشكي

من حزب آخر لم يرضه ولكنهُ ما كان يهتم بهذه الامور فكان شجاعاً جسوراً مهيباً عفيف النفس والذيل فكان الجميع يهابونهُ ثم انتقل الى رياسة مجلس الادارة وكان والدي عضواً فيه وكانا باتفاق تام وعندما حضر دولتلو المرحوم فرنكو باشا خرج من الخدمة وبقي الى ان ارجعه رستم باشا وكان مهيباً بحيث لم يدع احداً مدة وكالته يبدي ادنى حركة وقد توفي فجأةً في بعبدا ودفن فيها سنة ١٨٧٤

وقد احضر داود باشا فابوراً مخصوصاً باسم لبنان كان تحت امره وكذلك أمر بانشاء جريدة عربية وافرنسية سماها لبنان طبعت في بيت الدين وعندي اول عدد منها

وكان في نيته عمل ميناء الى لبنان فافتكر في معلقة الدامور وباشر بعمل جسر حديدي فوق نهر الدامور ثم أكمل في مدة رستم باشا ولم يزل حتى الان وافتكر ان يتبع المدن التي تحيط بلبنان كصيدا و بيروت وطرابلوس وقد قدمت اهل صيدا عرضحالاً بذلك الى الباب العالي وكان غرب البقاع تابعاً لادارة الجبل السياسية ويعين قائمقامه من قبل داود باشا واما الاموال الاميرية والاعشار فكانت للولاية وبالاختصار انه كان محباً للبنان وكريماً جداً وكان كلما زار بلداً ودخل كنيستها يدفع لها مبلغاً من المال ويهدي المامورين الامناء هدايا جزيلة وقد سافر الى الاستانة وغير بعض النظام بانتخاب المامورين في المحاكم والادارة وهذا النظام كان ان رؤساء الاديان تقدم الاشخاص حسب نظام الولاية اليوم وعندما راى ان هذه المسالة لا توافقهُ ولا توافق بعض المامورين عنده اجتهد في الاستانة ان يجعل اعضاء الادارة بانتخاب مشائخ القرى وان يكون هو المسؤل الوحيد في لبنان

محاكمة التاريخ

لداود باشا

(اعماله الحسنة) كان عفيف النفس كريماً محباً للعلوم والمعارف مجتهداً بتقديم البلاد فمن آثاره الحسنة المدرسة الدرزية الداودية في عبيه فهو الذي انشاها ولم تزل

الى اليوم باسمه وكان عادلاً كبير النفس

(اضراره) من عدم سياسته جعل لهُ اعداء اقوياء منهم البطريرك بولس مسعد كان الاولى بهِ ان يتصادق مع رئيس ملة قوية في لبنان لمساعدتهِ عَلَى اطاعة الاهالي لهُ وكذلك عدم ادارته بارضاء يوسف بك كرم الذي كان يتمنى قائمقامية كسروان فلعدم ادارته سبب تلك الاتعاب الى لبنان وخرب بلاداً كانت وفرتها سنة ١٨٦٠ ففعل بشمالي لبنان كما فعلت سنة الستين بجنوبيهِ فاصلاحهُ الجنوب لا يوازي خرابهُ للشمال ولم يبق اثر في لبنان سواء كان منهُ او قسراً عنهُ واخيراً مضى لا يمدحهُ التاريخ الصادق

ولو كنت ممن يلتفت الى صالحهِ الخصوصي لكنت مدحتهُ لانهُ يحق لهُ المدح مني لانهُ اول من وظف والدي وهو الذي ارسلني الى مصر لاتعلم الطب فله مني اطيب الشكر والذكر العاطر ولكني لست انا وحدي بلبنان فالتاريخ يتكلم عن العموم وليس عن الخصوص فهذا فكري

وكان أغاظ بعض البطاركة بكتابتهِ لهُ بطريرك افندي عَلَى غير اصطلاح لبنان فلاجل ذلك نذكر اصطلاح الكتابة في ذلك الزمن

اصطلاح الكتابة في ذلك العصر

كان الاصطلاح اولاً بقطع الورق وهو الكتابة عَلَى نصف طلحية او ربع او ثمن فهذا مهم جداً

ثانياً النعت والالقاب اذا كان بطريركاً يقال لهُ غب لثم مواطئ اقدامكم والامضاء ولدكم

للمطران غب لثم انامكم والامضاء ولدكم وللخوري غب لثم اياديكم والامضاء ولدكم او مستمد دعاكم

للحاكم غب لثم اياديكم والامضاء خادمكم او عبدكم وهكذا لكل من هو أعلى

واما من الاعلى الى الادنى من البطريرك غب اهداكم البركة الرسولية والمطران ايضاً غب اهداكم البركة والامضاء الفقير الحقير

والخوري يمضي الداعي لكم والامير يمضي المحب المخلص

وبين الاصحاب غب القبلة او قبلة الوجنات والامضاء اخوكم

واما الاوصاف المهمة هي في عنوان التحرير من الخارج وهي يشرف بلثم مواطئ او انامل قدس الكلي الشرف والاحترام او الجناب الاكرم والمقام الافخم

وأما الاسم فكانوا يرفعونهُ عن السطر وهكذا اصطلاحات عديدة لا نعلم كيف دخلت لغتنا لان كتابات العرب كانت مختصرة جدًّا تذكر فيها وظيفة الرجل او لقبهُ فقط

مثال ذلك

الى فلان الفلاني أمير الجيش الفلاني او حاكم البلد الفلانية

وكان لهم اصطلاحات عجيبة في الاختصار والبلاغة كما حرر احد الخلفاء الى أحد العمال يقول لهُ :

كثر شاكوك وقلّ شاكروك فان عدلت ابقيناك وان خالفت عزلناك

والحاصل ان هذا الاصطلاح دخيل علَى اللغة العربية

وكان كثيرًا ما يحدث خصامًا ونزاعًا بسبب هذه الكتابات فاخبرني والدي انهُ كان عندهُ دفترًا لاصطلاح الكتابة من سعيد بك جنبلاط الى باقي العيال والمشايخ والامراء وغيرهم وكانوا يحافظون كثيرًا عليها

فلنفحص الان في حقيقة هذه المسألة واهميتها فهل كانوا محقين بهذا الاصطلاح ام لا فاقول متى وجد الاصلاح صار الامر مهمًا ولا يمكن تغييره الا مع الزمن مثلاً كان ذلك الامير يكتب لي محب مخلص عندما كان حاكمًا عليّ ومعاشي وراحتي منهُ فكان اصطلاحهُ موافقًا لمركزه ومركزي واما الان بالعكس فلا يجوز لهُ هذا الاصطلاح

وقد جرت معي قصة وهي ان احد الامراء فقير الحال ولهُ ابنة مريضة في عينيها فنظرًا الى فقرها ادخلتها المستشفى مجانًا وعند شفائها حضر والدها واخذها فقلت لهُ ان يحرر لي عنها فذهب متشكرًا وبعد مدة وردني منهُ تحريرًا يقول فيهِ محبنا المعلم شاكر

لان الطبيب عنده كان يسمى معلماً لانهُ من الامراء :

بخصوص ولدنا الست شفيقه بغاية الصحة اذا جد شيء نبقى نخبركم محب مخلص

قرقماز

فاجبتهُ :

اننا انسرينا جداً من صحة الست المصونة ويلزم مداراتها حتى لا ترجع الى المستشفى

من حبكم خالص

المعلم غير شاكر

وقد حدث لي وانا في دمشق ان احد المطارنة حرر لي تحرير توصية بفقير وكان الامضاء الفقير الحقير المطران الفلاني فاخذت اتأمل هذه الكلمات الفقير الحقير كيف يكون فقيراً وعندهُ مدخول الوف من الليرات واذا ادعى انها ليست لهُ بل لغيره متى مات وانا ايضاً متى مت لم يبق لي شيئاً فالقصد من الغنى ان يتمتع الانسان بالمال الذي بيده وهو حيٌّ من يقدر أن يأخذ منهُ هذا الدخل او يمنعه ان يأكل منهُ ويتمتع بهِ فاذاً ليس بفقير

وبخصوص الحقير فهذا أغرب من الاول فكيف يكون حقيراً والناس تركع وتدفع لهُ فما هذا الاصطلاح بالامضاء فقلت في نفسي مرادي اجاوبهُ واضع لهُ الامضاء الذي كتبه لارى ماذا يقول فان اعترض احجهُ بكتابتهِ واقول لهُ فاذاً ان هذا الامضاء غير صحيح وان قبله يكون صحيحاً فكتبت لهُ العنوان :

الى حضرة الفقير الحقير المطران الفلاني دام بقاه

فقامت عليَّ القيامة والصرخة من كل ناحية بانني كافر هرطوقي لا اعرف الله ولا الدين وهلمَّ جراً

فاجبت هؤلاء انظروا هذا امضاءه فهو مقرٌّ بنفسه عن حالهِ وقد اجبتهُ حسبما وصف لي نفسهُ فاذا كان كذباً فلا يلزم ان يفعلهُ وان كان صحيحاً فلا يلزم ان يتكدر منهُ فاخيراً قالوا الحق معك

النتيجة ان جميع هذه الامور ليست بطبيعية والانسان العاقل لا يقبلها فالحمد لله ان هذه الاصطلاحات قد اخذت تزول بالتدريج مع الزمن الذي يصلح كل امر

وقد كان أحد المشايخ يريد ان يحرّر تحريراً الى أحد التجار في بيروت فاحتار في الكتابة فاستشار احد اقاربه عن كيفية الاصطلاح فسأله قريبهُ هل انت بحاجةٍ لهذا الرجل ام لا فاجابهُ بغاية الحاجة لانني اطلب منهُ دراهماً استدينها منه فقال لهُ اذاً اكتب له غب تقبيل كل شيء لكم فهذا رجل عملي يعرف الاحوال

فغاية العنوان ان يعرف الشخص المرسل له التحرير فان اصطلاحنا لا يعرفنا به لان هذا الاصطلاح يكتب للجميع مثلاً يكتب للكل جناب الاجل الماجد سني الهمم كريم الشيم صاحب السعادة فلان الفلاني ادام بقاه فكل هذه الاوصاف لا تهدينا لمعرفة شخصٍ مخصوص حيث لا يوجد شخصاً بهذه الصفات كلها ولا يمكن للموزع ان يعرفها الاَّ بعد اختبار كلي فالاحسن لاجل التعريف ان يقال يصل الى فلان الفلاني التاجر او النجار في محل الفلاني الاسمر الشاب الطويل (وخصوصاً لزيادة التعريف اذا كان به علامة) الاعور الاعرج الاقرع وهكذا فيصل التحرير بكل امن ويهتدي اليه موزع البريد اكثر فهذا الاصطلاح لا يكون مع انهُ الحقيقي ولكن لا يحب الشخص ان يقال له الحقيقة عَلَى نفسهِ لكن يحبها عَلَى غيره هذا ايضاً اصطلاح لا يمكن تغييره

الحاصل انهُ يلزم تغيير هذا الاصطلاح الممل الذي يقتل الوقت ولم يبق احد يلتفت اليهِ لا سيما وقد قلت المخاصمات لاجله فيكفي ان يقال عن وظيفة الرجل والقابهُ الرسمية مثلاً دولتلو متصرف لبنان فلان الفلاني سيادة فلان مطران المحل الفلاني غبطة فلان بطريرك الطائفة الفلانية وهلم جراً هذا فكري ولا اجادل فكر غيري اذا ارتأى غير ذلك فهذه الالقاب ترفع صاحبها في اعين الجمهور وفي اعين ذاته احسن ما يقال لهُ العفيف وهو يعرف حالهُ غير ذلك فاما ان يعدك حماراً لا تعرفهُ او كذاباً

ولنرجع الى داود باشا الذي اخذ لهُ خصماً لعدم معرفته اصطلاح كتابة البلاد



تشكيل حكومة لبنان

قد شكل هذه الهية داود باشا ثم اخذت تتنوع حسب الظروف والاحتياجات فقد زاد رستم باشا دايرة الجزاء وقد ادخل واصا باشا العدلية وبذلك اصطلحت المحاكم القضائية التي كانت مكونة من رئيس يدعى قـاض يكون من الطائفة الاكثر عدداً ومن نائب من الطائفة التي بعدها من الاهمية بالرجال او بالاملاك ولا وظيفة لهذا النائب بالحكم ما لم يكن القاضي غايباً و باقي الكتبة تكون من الطوايف الاخرى حسب الاهمية ايضاً وقد زاد دولة نعوم باشا المدعي العمومي وقد زاد دولة يوسف باشا مفتش العادلية فهذه الهيئة التي اذكرها الان هي هيئة سنة ١٨٩٧

هيئة المتصرفية سنة ١٨٩٧

المركز

المتصرف

١

العسكرية	عدد	المجالس	عدد	باقي المأمورين	عدد
امير الاي	١	الادارة	١٦	التلغراف	٣
بمباشي	٢	الحقوق	١٣	النافعة	٢
		الجزاء	١٠		
قولغصي	٥	القلم العربي	٧	الحبس	٤
يوز باشي	١٠	القلم التركي	٥	مأمور السرايا	٣
ملازم اول	١١	القلم الاجنبي	٦	مدعي عمومي	٣
ملازم ثاني	٢٠	قلم الاوراق	٦	مأمور تذاكر	٣
انفار وخلافهم	٩٥٠	مدراء الاقلام	٥		
	٩٩٩		٧٩		٢٢

هيئة القايمقاميات

	قايمقامون	مدراء	مستخدمون القضاء	قرى
١	كسروان ماروني	٩	١٢	٣٨٧
١	البترون ماروني	٧	١٣	٢١٣
١	الشوف درزي	١٢	١٤	١١٣
١	المتن ماروني	٦	١٢	١٧٨
١	جزين ماروني	٢	١١	١٢٣
١	الكوره روم ارثوذكس	٣	٩	٤٣
١	زحله روم كاثوليك	٠	١٠	٣
٧				

مديريات مستقلة

١	دير القمر ماروني	٧	٧
١	المرمل متوالي	٠	١
١	سمطار	٠	١

فيكون مجموع ذلك ٣٢ مديرًا و ٨٨ مستخدمًا في القضوات و ٩٩٩ جنديًا وموظفًا في العسكرية و ٧٩ في المجالس و ٢٢ مأمورًا في وظائف مختلفة ومجموع الجميع ١٢٢٧ مستخدمًا

لباس العسكرية

قدكان لباس العسكرية كما هو اليوم ما عدا الطربوش كان مغربيًا وكان لبس الضابط كالنفر يتميز فقط بالشريط وكان العلم العسكري بالعربي فاول من حولهُ

الى التركي واصا باشا وكان قبلهُ رستم باشا غيَّر الطربوش حتى اصبح الضابط اللبناني كباقي ضباط المملكة في اللباس وصار لهم معاش تقاعد مع الانفار حسب نظام المملكة

نظام المامورين

فجميع هولاء المامورين تحت ارادة المتصرف ما عدا مجلس الادارة فانهُ يعزلهم وينصبهم في ساعة واحدة وبكلمة واحدة وكذلك مجلس الادارة اذا شاء فان العضو الذي يخالف تعذل كل اقاربهِ من الوظايف ويكون الانتخاب حسب ارادة المتصرف فانهُ يحرر الى القائمقام انهُ يريد فلان فالمشايخ قبل انتخابها تشاور القائمقام الذي كان يعطي اسم المطلوب فينتخب وعلى العموم ان المتصرف ينتخب احسن من انتخاب المشايخ فقد صدف في بعض الاحيان توفي متصرف وتوكيل المجلس مكانهِ فاول جلسة عملوها هي ان يضرب الغفير لهم سلاماً عند دخولهم وهكذا اعمال وقد وكلوهم بعض الاحيان بامورٍ فكانت الناس تتاسف على ذلك لان صاحب الشغل يمكنه ارضاء واحد كالمتصرف ولا ارضاء ١٢ فعلى كل حال فان المتصرف افضل من الادارة وليس له غرض مثلهم وعند اعطاء الحرية للمشايخ بانتخاب العضو صارت الدراهم المنصرفة هي المتصرفة فخسر لبنان شانهُ

فصار من كان يرفع شانهُ قد شانهُ

انتهاء متصرفية داود باشا

قررت الدولة العلية ان تضع وزيراً مسيحياً من جملة الوكلاء فما وجدت لذلك الوقت سوى داود باشا وكان فواد باشا يريد اخراجه من لبنان فلذلك سموه ناظر النافعة فاستعفى من لبنان وبعد ما جلس في نظارة النافعة توجه الى اوربا لاجل قرض للدوله فظهرت منهُ الخيانة فهرب الى سويسرا وتوفي فيها ولم يخلف احداً وكانت امراته تركتهُ قبلما ياتي لبنان وهكذا انتهى

مأمورون داود باشا

المحاسبجي من جانب الاستانة العلية

حسين افندي من ٦ ك ٢ سنة ١٨٦٧ الى ١٨٧١

رئاسة المعروضـات

سعيد بك تلحوق من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٨

رئاسة دائرة الحقوق

الامير امين منصور ١ ك ١ سنة ١٨٦٤ الى ٢٥ ك ٢ ١٨٦٥

عبد ابو حاتم من ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٦٥ الى ١٠ ايلول ١٨٦٦

حنا بك ابو صعب من ١٠ ايلول سنة ١٨٦٦ الى ١ آب ١٨٦٩

مديرية دير القمر

عبدالله افندي نمور من اذار سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٨

وكلاء مجالس الادارة

الامير افندي شهاب كاخيه ايضاً من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٤

عبد ابو حاتم من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٦

نعوم قيقانو من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٦٧

عمون بك يوسف من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٩

مدير الاوض

عزة بك من ١٥ تموز سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٤

اكابك من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٧

ترجمان اول

فضول افندي البستاني من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٤

سركيس افندي من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٨

جرجي سبرتلي ١٨٦٨ الى اول تموز ١٨٦٨

رئيس القلم الاجنبي

دباب افندي ١٨٦١ ولم يزل الى سنة ١٩٠٧ التي توفي فيها

رئيس القلم التركي

سامي افندي من ١٨٦١ الى ١٨٦٣

خورشيد افندي ١٨٦٣ الى ١٨٦٤

اسعد افندي ١٨٦٤ الى ١٨٦٦

احمد بك ١٨٦٦ الى ١٨٧٠

رئيس القلم العربي

حنا بك ابو صعب ١٨٦١ الى ١٨٦٨

قائمقامية الشوف

الامير ملحم ارسلان ١٨٦٢ الى اخر متصرفية فرنكو باشا

قايمقامية جزين

قعدان بك الخازن من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٢

عمون بك يوسف من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٧

داود بك الخازن من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٨

قايمقامية زحله

الامير عبدالله شديد من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦١

سليم الصوصه من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٦

حنا افندي زلزل من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٦٨

قايمقامية المتن

الامير مراد ابي اللمع من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٥

الامير يوسف علي ابي اللمع من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٦

الامير بشير عساف ابي اللمع من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٦٨

قايمقامية كسروان والبترون

الامير مجيد شهاب من سنة ١٨٦١ ١٨٦٤

الامير افندي شهاب من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٧

الامير داود مراد من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٨

قايمقامية البترون

الامير امين منصور من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٧

الامير قيس ملحم شهاب من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٩

قايمقامية البقاع

اسعد افندي ١٨٦٥ الى ١٨٦٩

قايمقامية الكوره

الامير حسن شهاب من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٢

نقولا نوفل من سنة ١٨٦٣ الى ١٨٦٤

الامير علي منصور من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٥

خليل الجاويش من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٧

الامير حسن شهاب من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٨

المدرسة الوطنية في بيروت

انشأ هذه المدرسة سنة ١٨٦٣ المعلم بطرس البستاني في بيروت في زقاق البلاط

المعلم بطرس البستاني

ولد هذا الرجل في الدبية من اقليم الخروب في جبل لبنان سنة ١٨١٩ وقد تلقى

العلوم في مدرسة عين ورقة المشهورة وقد درّس فيها الى سنة ١٨٤٠ ثم تركها واتى بيروت وتعرف بالانكليز عندما حضروا الى سوريا فكان ترجمان عندهم وحينئذ تعرف بقسس الاميركان البروتستان فاعتنق مذهبهم وابتدأ يعلمهم العربية ويعرب لهم الكتب ففي سنة ١٨٤٦ انشئت مدرسة عبيه للبروتستان فعاون الدكتور فنديك على انشائها وعلم فيها والف كتابه في مطول الحساب وبقي على هذه الحالة بين تعلم وتاليف وترجمة الى سنة ١٨٦٣ حيث انشأ المدرسة الوطنية وهي اول مدرسة داخلية في بيروت ومن اراد معرفة ترجمته مطولاً فعليه بدائرة المعارف في لفظة دايرة لانهُ توفى عندما وصل الى هذه الكلمة في اول ايار سنة ١٨٨٣

معلمو المدرسة

الرئيس	المعلم بطرس	كان يعلم صفاً في اللغة الانكليزية
نائب الرئيس	ولده سليم	وكان يعلم الصف الاول في الانكليزي
الست ساره	ابنته كانت تعلم صفاً في الانكليزي ايضاً وقد توفيت تلك السنة	
الشيخ ناصيف اليازجي	الشاعر الشهير	الصف الاول في العربية
ولده الشيخ ابراهيم	كان يقوم مقام والده اذا غاب	
الشيخ يوسف الاسير	كان معلماً لصف الصرف	
الشيخ خطار الدحداح	الصف الاول في الافرنسية	
الشيخ قبلان الدحداح	الصف الثاني في الافرنسية	
المعلم سعدالله البستاني	الصف الثالث في الافرنسية	
المعلم اسبر شقير	وبعده المعلم سعيد شقير	الافرنسية
المعلم شاهين سركيس	الصف الثاني في العربية والحساب	
المعلم يوسف الباحوط	من كفرمتى	العربية والحساب
المعلم ابراهيم ناصيف	من سوق الغرب	العربية
المعلم خليل ربيز	الصفوف الابتدائية المعلم سليم نقلا للمبتدئين بالعربية	

فدخلت في الصف الاول في الفرنساوي والاول في العربي وكذلك في الحساب

المسألة الدينية

كانت تلامذة هذه المدرسة من ملل مختلفة فكان يرسل الرئيس كل واحد الى كنيسته مع معلم مخصوص نهار الاحد والاعياد وطول حياته لم يتكلم عن المذاهب وكان يوجد خادم مخصوص لاكل اليهود وكان يوجد اختلاف بين المطران بطرس البستاني مطران صور وصيدا وبين المطران طوبيا مطران بيروت بشأن هذه المدرسة فالمطران بطرس كان يجيز لاولاد ابرشيته الدخول فيها وبعكس ذلك المطران طوبيا

ففي ذات يوم ذهبنا كالعادة الى الكنيسة المارونية في بيروت صحبة احد المعلمين فبعد دخولنا حضر احد الكهنة واخرجنا منها عن امر سيادته ولهذا صرنا نذهب الى كنيسة الروم الكاثوليك

درسنا العربي

وكان معلمنا الشيخ ناصيف اليازجي الشهير يعطينا درساً في ارجوزته في النحو وهو من قرية كفرشيما خلق شاعراً وقد برز بالشعر والفصاحة فنال اعلى درجات الفضل بما وضعه من المؤلفات والقوانين المفيدة لدرس العربية وكان يقول لنا اول موال عمله وابتدي يعمل مطلع على المغنى وهو الذي علم ذاته وكان المعلم بطرس يعرض عليه تاليفه كقاموسه محيط المحيط وكان يعطيني الكراس المصلح لاعطيه الى المعلم بطرس وكان يقول لي عند ذلك انا القاموس السيار وعند غيابه كان يوكل ولده الشيخ ابرهيم بالدرس وكان لابساً عمامة سوداء مع قفطان وجبة وصرماية حمراء يحلق لحيته وهو بسن الشيخوخة وكان بيته قريباً من المدرسة وهو من المولعين بشرب القهوة والتدخين وقد كان يعهد الي باشعال سيكارته او غليونه فكنت اذهب الى خارج الدرس واشعل له الغليون بعدان ادخن فيه قليلاً وكان المرحوم اخي خليل معي في المدرسة وهو ذو ذاكره عظيمه يعتني

اكبر مني في العربية وكثيراً ما كنت اهمل دروسي ولا اجيب على السؤالات التي اسئل عنها فكان بعد جوابي يلتفت الى المرحوم اخي و يقول له

شعر

اخوك اخو مكاسلة وجهل　　فقل لي يا خليلي فكيف انت

وكان له صوت جرش ولسانه غير فصيح لا نفهم كلامه الا بصعوبة وخصوصاً هذا الشعر وهو مولع بفن الموسيقى وصوته لا يطابق النغمات وكان معنا احد التلامذة له صوت جميل كان الشيخ يغني امامهُ بعض تواشيح يتعلمها ومن جملة هذه التواشيح ما ياتي

توشيح

يا بدر في سعد السعود　　شفيت بي قلب الحسود
ترى ليالينا تعود　　حسب الزمان الاول
قد طال الحين يانور العين　　حتى انضنى بك حالي كل الضنى

دور

دارت بليل قد سجي　　فرأيت بدراً في دجي
ولثمت ثغراً افلجا　　يحكي ومنه مقتلي
كحيل العين رب الحالين　　قدرني وملالي كاس الهنا

دور

مدامتي من ثغرها　　والقل لي من نحرها
ويدي الوشاح لخصرها　　تحت الضفاير تنجلي
قدحان الحين وبان البين　　يا فرحتي بغزالي نلت المنى

لو كان بسمعنا الاب كوكيل من عينطورا لكسر يدي بالطبشه

رواية يوسف الحسن

وقد الفوا رواية لآخر السنة كنا نتعلمها قبل بشهر وهذه الرواية هي رواية يوسف الحسن وكان المشخصون التلامذة الآتين

يعقوب	ابرهيم راشد	
يوسف	وليم خياط	من يافا كان ذا صورة جميلة
فرعون	يوسف علام	وكان لهُ هيبة كاملة
رئيس الاميا عيلية	ملحم شكور	من عين زحلتا واليوم في مجلس الجيش المصري
امرأة فوطيفار	سليمان الجاهل	من دير القمر قائمقام زحله الان
فوطيفار	شاكر الخوري	من بكاسين (وهو مؤلفهُ)

وكان من جملة الرواية نشيد كان يندب بهِ يعقوب ولده يوسف وهو من نظم الشيخ ناصيف اليازجي وهو

شعر

يا يوسف الحسن قلبي عليك بالشوق ذابا
ما طاب بعدك عيشي لكنْ لي الموت طاب

دور

ويلي على حسن وجه قد فاق كل المحاسن
ونظرة منه عندي تسوى جميع الخزائن

دور

يا ايها الذئب هلاّ رحمت ذلَّ الغلام
قد صرت اشرف وحش اذ نلت اذكى طعام

دور

شربت دماً ذكيا سقيتني الموت فيه

ربيته لك حتى بُعت ما تشتهيه

دور

هذه القميص الموشى اتى بنقش جديد
كاتبه من دموعي بنظم در نضيد

دور

ياليتني مت قبلا ولا ارى ما اراه
من ذا يسلي فوادي وهل حبيب سواه

دور

يا يوسف الحسن ويحي متى تعود الليالي
هيهات ذلك يأتي وانت في الارض بالي

وقد تعلمنا هذه الرواية جيداً وكنا نتمرن عليها في المرسح الذي كان في دار المعلم بطرس وقد شخصناها قبل الفرصة امام دولتلو مخلص باشا والي سوريا الذي زار المدرسة وقتئذٍ وعندما كنا قريبين من الفرصة ومستعدين لتشخيصها وفد الينا الهوآء الاصفر وبسببهِ هربنا من المدرسة قبل الفرصة

الهواء الاصفر سنة ١٨٦٥

قد اتانا هذا الوبآء عن طريق مصر وقد سمعنا ونحن في المدرسة ان البعض في بيروت توفوا بهِ ولكن الذي زادنا خوفاً هو توفي مخايل بن متى فرح ابن المثري الشهير الذي توفي بهِ فجأة وكنت اعرف هذا الشاب عندما كان يتوجه الى مدرسة عينطورا في آخر السنة لجلب اخوته من المدرسة

وعندما بلغنا خبر وفاته ارتعبت جداً وخصوصاً لانني كنت اعرفه لان موت من

نعرفه له اعظم تأثير فحينئذٍ ذهبت الى المعلم بطرس واخبرته وقلت له ان مرادي اذهب الى الجبل فضحك وقال وماذا تعمل برواية يوسف فقلت نبقيها للسنة الاتية احسنَ ما نذهب ونشخصها عنده فقال اذهب (اعني الى الجبل وليس لعند يوسف) وكان اخي المرحوم خليل خرج في نصف السنة لضعفهِ وللازمة الحمى لهُ فاخذنا حوائجنا وتوجهنا

وفي اليوم الثاني ذهبنا الى دير القمر ومنها توجهنا الى بكاسين وقد اجتمعت كل اقاربنا في هذه السنة لوجود الهوآء الاصفر في المدن فكنا كل يوم نذهب للتنزه في محل دون الاخر وذلك لعدم الشغل وسبب الاجتماع ومحلات شم الهوآء هي اولاً

عري

عري قرية شرقي بكاسين على سفح الجبل المقابل لها وهي كلمة سريانية معناها الباردة وفيها ينبوع عظيم يأتي من اعلاها من تحت الصخور يسمى نبع الناصري نسبة الى الملك الناصر الذي جلس عليه عندما كان في تلك النواحي يسقي كل اغراس القرية والجبل الذي في اعلى القرية فيه صخر كبير محفورة فيهِ طوابق وغرف وابار تسمى قلعة تيرون اي الصخر الصغير كما قلنا وهي قلعة نيحا التي هي ساعة بكاسين وهي متجهة الى الغرب وعندما تصل الشمس الى وجهها الغربي فيكون حينئذٍ الظهر وهذا في كل الفصول بحيث كل الجيرة تنتفع منها كساعة عمومية

شم الهواء في ميشا

ميشا مقام بيد الاسلام من قرية بنواتي لفظة سريانية معناها بناتي مركبة من بنوتين التي كانت وقفاً لهُ وهو على ارتفاع يعلو عن سطح البحر الف ومائتي متر وهذا الارتفاع بشكل مركب ترى منهُ جميع الجهات وهو غربي بكاسين كمأنه شمسية وضعته بكاسين على رأسها وقد اختلفت الاراء بخصوص ميشا

قال البعض ان احد الفتيان الثلاث الذين رموهم في اتون النار وهم حنانيا

وعازريا ومشايل اللذين تسمو شدرخ وميشخ وعبدنغو دانيال الاصحاح ١ عد ٦ و ٧ لانه يوجد ثلاث ارتفاعات مقابلة بعضها على كل ارتفاع مقام باسم احد هؤلاء الفتيان الاول حنانيا لهُ اثر مقام فوق ارتفاع قرية بجنين التي هي شرقي ميشا والارتفاع الثاني فيهِ اثر مقام لعازريا و يدعى المحل باسم تلة عازور وهو غربي ميشا بحيث يرى ميشا المقامين شرقيه وغربيه

واقول ربما ان ميشا هو ارتفاع من ارتفاعات بني اسرائيل كان عليه صنم ميشا وميخا وهو الذي كان خادماً عند رجل في جبل افرائيم بصفة كاهن وكان عنده تمثال واتى بنو دان واخذوا الكاهن والصنم الذي معه وملكوا مدينة لايش وسموها باسم قبيلتهم دان وهي الان قرية تل القاضي التي لا تبعد عن محل ميشا اكثر من عشر ساعات وفيها نبع الاردن او فرع منهُ القضاة الاصحاح ١٨

واقول ايضاً ربما هو مقام النبي ميخا الذي كان في ايام آحاز وحزقيا ملوك يهوذا واسمه ميخا المورشتي كما انهُ على تل آخر جنوبي ميشا يوجد مقام للنبي صفنيا ابن كوشي المسمى الان بالنبي صافي

وحسب قول اهل بنواتي الخادمين لهذا المقام ان ميشا هو ابن يوسف وربما منسى وان مقام زليخه الى الجنوب مقابلاً لهُ وهي والدته فعلى حسب قولهم ان الله كافى يوسف واعطاه زليخه زوجة حتى لا يحرم منها فولدت لهُ ميشا او منسى وان احد اجدادهم الذي حضر الى بنواتي وجد في هذا المحل بلاطاً في الارض مكتوب عليها اسم ميشا وزليخا فجمع مالاً وبنى هذين المقامين وهما بناء عربي اسلامي هذا ما قالهُ لي احد اهالي بنواتي وهو خليل حسين اسعد من نسل مصطفى الشبل

ومن منا يزعم ان ميشا هو ابن ارآم بن سام بن نوح وان لارام اربعة اولاد وهم عوص وحول وجاثر وماش كما في الاصحاح العاشر من سفر التكوين عدد ٢٣ وباسم ماش تسمت مدينة ميشا التي كان يسكنها بنو يقطان وكان سكنهم ممتداً من ميشا الى سفار جبل الشرق اي جبل حرمون وقرية ميشا هي القرية المسماة الان بقرية ميش الكبيرة مع سلسلة الجبال القائمة فيها القرية المذكورة غربي بحيرة الحولة او (ميروم)

يعني المياه الواطئه وهي بحرة الحولة الان واثباتاً لذلك ان سوريا كانت تسمي باسم بلاد ارام وان اليونان سموها سوريا مختصر اشور بعد ما فتحوا بلاد الاشور بين ولنا دليل آخر وهو ان اخوة ميشا كانوا مجاورين لهُ لان بلاد عوص كانت بلاد حوران ومنها النبي ايوب فتجد الان مقاماً فوق نيحا يطل عَلَى مقام ميشا لانه شرقيه هو مقام النبي ايوب الذي ذكرناه ونيحا لا تبعد عن حوران ألا مسافة اثنتي عشرة ساعة وكان للنبي ايوب مقام في حوران كانت تزوره الناس في عهد مار يوحنا فم الذهب الذى ذكره

والثاني من اولاد ارام المسمي حول سكن الحولة وتسمت باسمه وحول معناها انخفاض

والثالث من اولاد ارام اسمهُ جاثر وهو الذي سكن جهة جاثور وهي بالقرب من شط الاردن الشرقي و بقي هذا الاسم محفوظاً باسم جاثروهو الذي التجا اليه ابو شالوم بعد قتل اخيه كما في سفر الملوك الثاني ٢ : ٣٠ و١٣ و ٣٧

واما الولد الرابع لارام وهو ماش او ميشا فلا بد من ان يكون لهُ املاك كاخوته حول ولا شك انها كانت ممتدة شمالي اخيه حول الذي منهُ اسم الحولة الان وهذه الارض هي اقليم جزين الان الذي فيها ميشا كما انهُ يوجد فيها عَلَى جميع ارتفاعاتها مقامات للانبياء كنبي صافي فوق جباع والنبي سجد والنبي يعقوب في قرية روم وجملة انبياء في تلك النواحي والنبي ايوب ايضاً

النتيجة

لماذا نترك الاسماء الواضحة الموجودة للان في بلادنا والتي تدل بصراحة عَلَى كلام التوراة ونفرض محلات اخرى لا دليل لها فكل من التقاليد والاسماء يدلنا الى الان ان مركز الفردوس الارضي وادم وهابيل وقايين وشيت ونوح وسام وارام واولادهم كلهم من جهة دمشق والبقاع ولبنان وجبل الشيخ وما حولهُ وانهُ بعد ما كثرت العائلة البشرية توجهوا جهة المشرق وصنعوا برج بابل كما في الاصحاح الحادي عشر للتكوين

العدد الثاني وقول التوراة انهم ارتحلوا شرقاً هو برهان قوي يدل على انهم وجدوا في هذه الديار وان الجبل الذي رست عليهِ سفينة نوح هو جبل الشيخ نفسهُ لانهُ بسبب علوه حفظ نوح والحيوانات من الغرق وخصوصاً ان الارض التي حولهُ قابلة للطوفان كما يحصل كل سنة وكذلك الحمامة التي اتت بغصن الزيتون كان سيرها قريباً لان حاصبيا وخلافها الموجود فيها الزيتون بكثرة هي قريبة من جبل الشيخ الذي يدعى باسم حرمون الذي معناه اللعنة وكذلك اسم اراراط الذي تقول التوراة ان سفينة نوح رست عليه ومعناه بدون حرفهِ الاخير اللعنة فربما ان التوراة تسمي جبل الشيخ اراراط لان المعنى واحد وهو اللعنة واثباتاً لذلك اولاً ان ارمينيا التي ينسب اليها اراراط لا تعرف جبلاً من جبالها بهذا الاسم ثانياً ان الزيتون الذي حملتهُ الحمامة لا يوجد في ارمينيا ولكن يوجد كما قلنا في حاصبيا قرب جبل الشيخ فيكون كما قلناه الان اقرب للعقل والنقل بان بلادنا هي مركز السفر الاول للتكوين وبالتاني كل اسفار التوراة واثباتاً لوجود آدم عندنا وهو وجود اشكال اكله فالكبه والمريسه هما اكلتاي ابينا ادم لانها اول اكلات للانسان الذي جمع اللحم والحنطة سويةً ودقهما او غلاهما ولا توجد في بلاد اخرى لا تضحك ايها القاري فهذا ينبه الفكر لان العوائد لها اصل تاريخي

حالة ميشا الان

ان هذا المقام لا يعرفهُ غير الاسلام آلان الذين يأتون لزيارته واما النصارى واليهود فلا يعرفون عنهُ شيئاً مع ان اليهود الى اليوم يزورون النبي سجد و يعتبرونهُ من اعظم الاولياء. وهو اهو لياب ابن اخيساماك من سبط دان الذي اشتغل في قبة العهد في الاصحاح ٣١ عدد ٦ الخروج

وقد اخبرني عنهُ حاخام باشي صفد لانهُ زاره و يعرفونهُ جيداً وهو عند قرية الريحان في جبل الريحان في اقليم جزين وقد كان لميشا املاكٌ عظيمة وقفاً عليهِ ومنها قرية بنواتي التي ادعت ان الملاك ملكها وليست بوقف فاكلت هذه الاملاك فبهذا يحق ان يقال عنها انها تلك الامة التي اكلت نبيها

وبما ان مركز ميشا من اجمل مراكز الدنيا منظرًا فالبحر تحت اقدامه والجبال تحت ايديه رافعًا رأسهُ الى العلاء يديره الى كل الجهات ويرى كلما فيها وكان محاطًا باشجار من السنديان قديمة العهد مثله كانت تظلل الزائرين الشمس ممتدًا في اسفلها وتحت ظلها مستنشقًا ذاك النسيم العاطر الرطب مدة الصيف فمن جملة مظالم اهل بنواتي ضمنوا هذه الاشجار لقصها وعملها فحمًا وكل ذلك بثلاثماية وخمسون قرشًا مع انني دفعت لهم هذا المبلغ لبقاء هذه الاشجار وبعد غيابي عنهم قطعوها واصبحت الارض قفراء بحيث ما امكن ميشا ولا امكن دراهمي ان توقف اهل بنواتي عن قطعهم الاشجار وبما ان هذا المحل اعظم المحلات وكاشف لجميع الجهات كنا نجتمع فيه عندما نريد التنزه ونصعد اليه لانهُ لا يبعد عنا اكثر من نصف ساعة صعودًا

واذ كان مركز هذا النبي كاشفًا الى بعد شاسع وان بكاسين مخفية حسب اسمها ولا يظهر فيها شيئًا من الزينة اذا صنعت فيها وقد افتكرت ان اعمل زينة في عيد الجلوس الهمايوني لسلطاننا عبد الحميد خان سنة ١٨٩٧ في هذا المحل فاخبرت الجبرة بذلك وخصوصًا اهل بنواتي اصحاب المحل فتوجهنا واحتفلنا بالزينة هناك فكان منظر بديع جدًا يمتد لصور وصيدا والساحل والشوف وعندما جاء نعوم باشا الجزين وزار بكاسين عملت لهُ ايضًا زينة هناك فسرتهُ كثيرًا

وعندما كنا مجتمعين في شهر آب سنة ١٨٦٥ مع جميع اقاربنا الذين غادروا المدن بسبب الهواء الاصفر وخصوصًا لا شغل لاحد في ذلك الوقت اتفقنا ان نصعد سوية في يوم معلوم الى هذا المحل وناكل اكل الظهر هناك فاكلنا خروفًا كخروف بني اسرائيل لا عيب فيهِ مشويا وتبعنا وصية موسى فيه ان لا نبقي منه شيئًا

دير مشموشه

ان مركز هذا الدير عظيم جدًا وهو على السفح الشمالي الغربي في جبل ميشا اوطى منهُ بمائتي متر فيكون علوه عن البحر الف متر محاطًا من الشرق بغابة من السنديان يسمى الشعره تمتد لقرب قمة ميشا ومن الجهات الاخرى بغابات من التوت والكروم وهو

ذو مياه عذبة باردة وذو منظر بديع لانهُ يكشف ما يكشفهُ ميشا لجهة الغرب وقد تسمى ديرًا سنة ١٧٣٦ في زمن الاب العام توما اللبودي الحلبي الذي تراس من سنة ١١٣٥ الى سنة ١٧٤٢ وهو الذي ارسل الى رومية بشان تثبيت المجمع اللبناني وقد كتب الشيخ علي جنبلاط الى البطريرك طوبيا الخازن ان لا يقبل في دير مشموشه الا الرهبان البلدية لذلك خرج منهُ الحلبيون وكان الدير لهم

واما محله الحالي الان فقد اشتراه البطريرك سمعان عواد من الحج ناصيف الحكيم والحج اشتراه من والدة الامير سيد احمد سنة ١١٤٥ هجرية بثمن عشرين غرش وباعهُ للبطريرك بخمسة وعشرين غرش هذا في روزنامة الدير واشترى قسم من ارض الدير من اولاد ابو عتمة من مشموشه فياض ونمر وصخر وشمعون من عين الجوزة التي هي الان عين الدير لحدود ميشا عندما كان مطراناً عَلى دمشق لان البطريرك المذكور انتخب بطريركاً سنة ١٧٤٣ بانتخاب البابا بنادبكتوس الرابع عشر لانهُ حصل اختلاف بين المطارين وانتخبوا بطاركة اثنين فابطلت رومية هذا الانتخاب وسامت المطران سمعان بطريركاً سنة ١٧٤٣ ثبت في ٣ تموز سنة ١٧٤٤ توفي ١٢ شباط سنة ١٧٥٦ واصل هذا البطريرك من حصرون من شمالي لبنان فاتى اقليم جزين زائرًا من قبل البطريرك لان الابرشية كانت تخص البطريرك وقيل من اضطهاد المتاولة الذين كانوا حكاماً في تلك الجهات وعندما حضر الى اقليم جزين اشترى نصف مزرعة الميدان من الشيخ محمد ابي هرموش لان تلك الجهات مثل الميدان و بتدين اللقش والحرف كانت تخص هذه العائلة وقد اعطى البطريرك نصف الميدان الى اقاربهُ الذين حضروا معهُ واما البطريرك سمعان بعدما عمر قسماً من دير مشموشه الحالي سلمهُ الى الرهبان بموجب حجة مصادق عليها ومن جملة الشهود المونسنيور السمعاني الشهير وهذه الحجة في روزنامة دير مشموشه ثم انتقل البطريرك المذكور الى الميدان مع اقاربهِ والميدان هو اسفل دير مشموشه يبعد عنهُ ربع ساعة فكانت تاتي الزوار الى دير مشموشه وتدفع نذورها ثم تنزل عند البطريرك الى الميدان وتاكل عنده وقد قال البطريرك كلاماً اصبح مثلاً وهو النذر للدير والخرا عَلى سمعان وقد توفي البطريرك المذكور في دير مشموشه ودفن هناك ولم يعرف قبره للان مع ان قبر والدته موجود قبلي الدير حيث توجد مدافن للعيال التي احسنت الى الدير

منها عائلة البطريرك عواد وعائلتنا و بيت ابي عتمة من مشموشه وقد اشترى جدنا قنطوس ابو خالد المدفن هناك بخمسمائة غرش في ذلك الزمن كما هو مذكور في روزنامة الدير وقد عمروا كنيسة الدير التي تكلف الان لحد مابين الف غرش بخمسماية غرش

وقد كانت هذه المدافن غربي الدير عَلَى الطريق ثم ابن عمنا القس عمانوئيل الخوري ابن فرنسيس الخوري الذي ترهب وصار رئيساً عَلَى جملة اديرة ومن جمتها دير مشموشه عمل لها صوراً منع الطريق عنها فصارت المقابر منصانة من الغريب ولكن انداست من اشغال الرهبان فصارت تضع حطبها واشغالها عليها وقصدهم نقلها من هذا المحل الى ابعد لان بعض عيال مثل بيت ابي عتمه لم تزل تدفن هناك فتضر بالصحة فالحق معهم بذلك لكن عَلَى شرط ان القبور القديمة لا تتلاشى ولو منع منها الدفن فعلى ذلك اعطيت ليرا افرنسية الى حضرة ابن عمنا الخوري اسطفان كي يجمع من افراد العايلة مثل ذلك وان يعمل درابزوناً من حديد و يعمر حجرة القبر وتبقى ظاهرة لان هناك عظام كل عائلتنا من مائتي سنة

املاك الدير

ان لهذا الدير املاكاً عظيمة بعضها وقفاً من المحسنين والبعض مشترى من الدروز لان الارض تخصهم ومن جملة الاملاك المشتراة من اسرة مشايخ ابي هرموش هي نصف الميدان و بندين اللقش والجرف ومحل الدير من عايلة ابي عتمة وقد وجدت صورة الحجة عند ابرهيم حبيب جبر ابو عتمة وهذه صورتها

وجه تحرير الاحرف هو اننا اخذنا من حضرة الست ارض فى مشموشه من عين الجوزة الى عين مشموشه واوقفناها الى دير سيدة مشموشة ومن حصة اولاد خالتنا بيت ابو عتمة اعطيناهم شقفة من عين مشموشة الى الحجر الكبير الذي عَلَى الدرب والحد من ساقية الماء الناطقة من الميدان الى الصخر الذي فوق الدرب و بقيت حصتهم في الارض المذكورة سمحنا فيها للدير تحت كل شيء يخصهم من الامر الزوجي بكون قيامة

على الدير ابدياً ومن الميرة تابعتهم ومن الحرش ما صار عليهِ بيع ولا وقف غير انهُ مشترك بين الدير ومشموشة وبعد ذلك كل منا يتصرف بحقهِ كيفما شاء حرر ذلك وجرى في سنة ١٧٣٥

المنسوب اليهِ   الحقير في الرؤساء

حاج نصيف حكيم   البطريرك سمعان

محل الختم   الانطاكي

شهد بصحة ذلك و بعمل بموجبها

ومن جملة املاك الدير مزرعة جبل طورا والبطيه الفوقى التي فصلت الان وعملت دير لحالها واول رئيس عليه القس موسى خرابب صباح وكذلك اصل دير بجنين من دير مشموشة وقد عمله القس ارسانوس النيحاوي واغلب روسائه من عائلتنا

وقد اشتروا الارض شرقي الدير مع الحرش العظيم بخمسماية وعشرين غرش ومن جملة الذين اوقفوا الى دير مشموشة جدنا ابو عساف

ابو عساف رزق الله الخوري

ان هذا الرجل من اجدادنا توفي عن ابنتين احدهما تزوجت بابن عمها يوسف الخوري جد بيت نصرالله والثانية تزوجت فرنسيس العازوري واخوه وهما الخوري ابراهيم جدنا وجد بيت ابي خالد والثاني انطون جد بيت شهيدان الذين منهم سيادة المطران شكرالله والخوري عبدالله كاتب غبطة البطريرك الحويك

وقد كتب وصيتهُ عند موتهِ على يد القس مبارك الديراني رئيس دير مشموشه ومن جملة الوصية انهُ وقف الى دير مشموشة مزرعة جوار السوس ليصرف ريعها في عمل مدرسة لتعليم اولاد بكاسين وهذه الوصية لم تزل عندي بخط الرئيس المذكور وتاريخها من سنه ١٧٨٧ وقد افسد هذه الوصيه المطران حنا الحلو الذي صار فيما بعد بطريركاً وسبب افساده لها اولاً انها ليست بخط الواقف

ثانياً ليس فيها شهود الاَّ الرئيس فهو شاهد وكاتب الوصية معاً وحيث لهُ جرّ غنيمة في الوصية فسدت شهادتهُ لانهُ شاهد واحد وفساد هذهِ الوصية بخط المطران المذكور ولم تزل معي واخيراً بعد ان توفي ابو عساف المذكور اتفقت الورثة واتفق الشيخ غنطوس ابو خالد ابن اخ ابو عساف مع الرئيس عَلَى ابقاء هذه الوصية للدير وحيث كانت مزرعة اسمها خرائب صباح بقرب الدير استبدلها بجوار السوس الموقوفة من ابي عساف وحجة البدل لم تزل عندي وموجودة ايضاً في روزنامة الدير وهي صورة الحجة

حجة جوار السوس

وجه تحريره

وهو انه بعنا حضرة ولدنا غنطوس الخوري حصتنا الذي اوصى لنا فيها المرحوم ولدنا ابو عساف وهي ثلاثة ارباع جوار السوس من جميع ما يكون واخذنا في الثمن المذكور ثلاثة ارباع حصة الشيخ علم الدين الذين اخذناهم من خرائب صباح وصارت مقاوضته وذلك برضانا وخاطرنا من غير كره وعن الثمن خمساية وخمسين قرش فصار المحل المذكور ملك ولدنا المذكور تحريراً في سنة ١٧٨٧

محل الختم	الحقير القس
رئيس دير مشموشة	مبارك ديراني
	لبناني

وبعد هذه المبادلة عينوا عوض فتح مدرسة ان يقدم الدير سنوياً عشرة قداديس عن نفس العائلة ولم تزل هذه القداديس الى اليوم وهي مقيدة في روزنامة الدير والخوري اسطفان ابن عمنا الان يأخذ كل سنة وصلاً في هذه القداديس التي تقدس نهار عيد مار مارون في ٩ شباط ونوصي كل من بعدنا ان يتبع ما يعمله الخوري اسطفان لان لا احد يرجع من هناك ليخبرنا اذا كان يقدس له ام لا فهذا من خصائص الاحياء

واذ كان هذا الدير يبعد عن بكاسين ثلاثة ارباع الساعة كثرت فيه الرهبان من بكاسين حتى وصل عددهم لحد خمسة وثلاثين راهباً وكان منهم رؤساء ومدبرون يحافظون عَلى هذا الدير كبيتهم الخصوصي وحيث الرهبنة كثيرة في بلادنا ويهم كل شخص معرفتها فلاجل ذلك نشرح بعبارات وجيزة ما هي الرهبنة وتاريخها في العالم

ماهية الرهبنة

الراهب يعني الخائف والرهبنة انما هي اعتزال الراهب عن الدنيا وامورها العادية لاشغال النفس بالعبادة وبالامور الدينية ·

وقد وجد اناس من ابتداء العالم في كل دين ومذهب يعتزلون وينفردون عن العالم فترى عند الهنود رهبنة وفي اغلب الاديان القديمة ايضاً

واما انتشار الرهبنة بكثرة كان في ابتداء النصرانية بحيث كان كل دير قائماً بذاته واما في القرن الثالث للميلاد عندما تكاثرت الرهبنة وملئت البراري والجبال في اسيا الصغرى وسوريا ومصر انضمت الى بعضها وفي آخر القرن الثالث اقيمت راهبات من الاناث

اول دير مسيحي ورهبنة

ان بولس الطيبوي وتلميذه بوخوميوس هما اول من انشأ الرهبنة ووضعا اساسها في جزيرة ناميا التي تبعد قليلاً عن اول شلالات النيل الى الجهة الشمالية وقبل هذا الدير كانوا يسكنون المغائر وقد نظرت في مصر مدة سياحتي في اسيوط التي سأذكرها فوق القرافة الحالية مغائراً من زمن المصريين القدماء كان عليها كتابة من اللغة الهيروغليفية يعني الخط المصري القديم فعندما سكنها السواح المسيحيين وضعوا طيناً عَلى هذه الصور ظناً منهم انها اصنام ولحد الان توجد هذه الطبقة من الطين

وفي سنة ٣٤٠ اكمل بوخوميوس تنظيمها وترتيبها واتحدت عدة اديرة تحت ادارته وانقسم كل دير الى عدة أسر كل منها يتعاطى اعمالاً آلية خصوصية تحت ادارة رئيس

مخصوص وكانت كل عائلة رهبنية مؤلفة من اربعين راهباً تقيم كل ثلاثة منها في صومعة ولما جاء القديس اثناسيوس الى الجزيرة المار ذكرها سنة ٣٥٦ لاقاه بوخوميوس في جيش من الرهبان يترنمون بالزبور ثم امتدت الاديرة فوق وادي النطرون في تخوم صحراء ليبيا اى بلاد البرابرة الان واجتمع بمدة قصيرة خمسة الاف راهب يبلغ عددهم سنة ٣٥٦ عشرة آلاف ذكراً وخمسة عشر الف انثى وكانوا يصلون و يتعاطون الصناعة والزراعة ويقومون بالاحسان وكانت تلك الاديرة عبارة عن مدارس كبيرة وكان لكل دير منها مكان مخصوص لنزول المسافرين مجاناً

الاديرة في فلسطين

في سنة ثلاثماية وثمانية وعشرين أسس القديس هيلاديون الرهبنة في فلسطين وفي السنة نفسها شاد اوستانيوس اسقف سباستيا الرهبنة في ارمينية وسنة ٣٦٠ اقام باسيليوس رهباناً في ساحل بحر الاسود الجنوبية وفي ايام يوحنا فم الذهب تكاثرت الاديرة في جوار انطاكية فزادها نمواً وفي سنة ٣٤٠ اخذ القديس اثناسيوس اثناء نفيه الثاني الى رومية بعض رهبان مصريين ثم التقى في القديس مرتينوس الطودي وكان لم يزل جندياً في مدينة تريق الامبراطورية فانخرط في تلك الرهبنة وهذا القديس مرتينوس هو ابو الرهبنات في اوربا ومؤسس الاديرة الاولى غربي جبال الالب

وانشأ القديس امبروسيوس ديراً في ميلان ونصر هناك اغوسطينوس الذي اسس الرهبنة في شمالي افريقية ووضع لها قانوناً فاصبح فيما بعد قانون الوف من الاديرة الاوربا وية ومن ذلك الوقت ابتدأت الرهبان تتقدم وتزداد وتارة كانت تضطهد لتكاسلها وخروجها عن محورها الاصلي والبعض منها تلاشت وظهر خلافها الى ان بلغ عددهم تقريباً ماية وعشرين الف راهب وماية وتسعة وثمانين الف راهبة بطقوس مختلفة

القديس انطونيوس الكبير

هو اب الرهبان الحقيقي الذي اسس العيشة الرهبنية المرتبة بقوانين ولد سنة ٣٥٢

وتوفي سنة ٤٥٧ وعاش سنة ١٠٥ وقصته طويلة وهو الذي زاره اثناسيوس وكان يطلب دعاه في ضيقاته من الاريوسين وكان الملك قسطنطين الكبير يراسله و يطلب دعاه و بركته وتلامذة هذا القديس هم الذين اسسوا الرهبنة في مصر وسوريا وفلسطين

الرهبنة المارونية

كان دير بقرب العاصي يسمى بدير مار مارون وهو اول الاديرة في سوريا الثانية وقد غار رهبانه غيرة للرب اضطهدوا واستشهدوا واول دير سكنوه في لبنان هو دير مار مارون في كفرحي الذي زرته سنة ١٨٨٤ مدة المطران يوسف فريفر وهذا الدير كان مدرسة يومئذ لابرشية جبيل والبترون من سنة ١٨١٢ وكانت هذه الاديرة في لبنان منفردة لوحدها يسكنها عباد وكل دير قايم بذاته

تأسيس الرهبنة المارونية

في اول شباط سنة ١٦٩٤ مثل بين يدي البطريرك اسطفان الدويهي العالم الشهير ثلاثة شبان خرجوا من حلب لزيارة الاراضي المقدسة وكان البطريرك المذكور في دير قنوبين

وهولاء الشبان الثلاثة هم جبرائيل حوّا وعبدالله بن عبد الاحد قراعلي والثالث ابن البتن موارنة ذوي ثروة وحسب وطلبوا من البطريرك مقابلته واظهروا له قصدهم في الذهاب الى القدس وطلبوا منه الاذن والمساعده على اقامة رهبانية يكون لها قانون واحد يجمعها على طريقة واحدة وان يكون لكل دير رئيس ورئيس عام للجميع

لبسهم الاسكيم

في اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ البسهم البطريرك اسكيم الرهبنة في كرسيه دير قنوبين على سبيل التجربة دون نذر وانعم عليهم بدير مار مورا قرب اهدن احدى قرى لبنان وكان خراباً فاصلحوه واقاموا عليه رئيساً جبرايل حوا وهو

رئيسهم الاول واقاموا هذه الرهبنة باسم القديس انطونيوس ولذلك يبتدي بجمعهم كل ثلاث سنوات مرة في ١٠ تشرين ثاني تاريخ لبس الاسكيم وقد انتهم الرهبان بكثرة وجمعوا قانونهم على قانون مار انطونيوس وتلاميذه وفي سنة ١٦٩٦ اخذوا دير مار اليشع النبي في سفح الوادي المقدس حذاء قرية بشري واقاموا عليه رئيساً عبدالله قرا علي وفي سنة ١٦٩٩ اقيم مجمع عام واقاموا رئيساً عاماً القس عبدالله قرا علي الذي فيما بعد صار اسقفاً على بيروت سنة ١٧١٦ ثم خلفهُ القس جبرايل فرحات الشهير الذي تبع المؤسسين بعد سنتين وترهب عندهم الى ان اقيم اسقفاً على حلب سنة ١٧٢٥ ودعي جرمانوس وكان اسم هذه الرهبنة اولاً حلبية لان موسسيها حلبيون وفي سنة ١٧٠٦ لقبها الاب عبدالله المذكور بزمن السيد البطريرك يعقوب عواد باللبنانية لانها انتشرت في لبنان

تثبيتها

ففي سنة ١٧٠٠ ثبتها البطريرك اسطفان الدويهي ونذرت رهبانها النذور الثلاث وهي الطاعة والعفة والفقر واما النذر الرابع التواضع فلم ينذروه الاَّ في سنة ١٧٠٥ وقد ثبت قوانينها الحبر الاعظم البابا اقليموس الثاني عشر سنة ١٧٣٢ بموجب براءة رسولية مدرجة باواخر كتاب القوانين والفرائض المقدم ذكرها

قسمتها

فبعد خمسين سنة من تاسيسها اي سنة ١٨٤٤ قسمت الى بلدية وحلبية عدد اديرتها سبعة عشر ديراً واربعة اناطيش وكان رئيساً عاماً للبلدية الاب عمونئيل الرشماوي وللحلبية الاب لويس الحلبي وقد جرى ذلك في دير حريصا فتعين ستة اديرة للحلبيين والباقي للبلديين وثبتت هذه القسمة ببراءة رسولية في ١٩ تموز سنة ١٧٧٠

الرهبنة الانطونية او مار شعيا

تأسست هذه الرهبنة في آخر الجيل السابع عشر وقد ثبتها البابا اكليمنضوس الرابع عشر ببراءة رسولية مورخة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٤٠ وهي خاضعة راساً للبطريرك

مؤسسوها

القس سليمان الحجي من قرية مشمش من بلاد جبيل
القس عطاالله كريكر من بيت شباب القاطع
القس بطرس مومي من بزغون من جبة بشري
القس مومي من بعبدات المتن

كان هولاء القسس في دير طاميش وكان الدير المذكور للمطران بلوداني مطران حلب وتحت تدبيره وكان رئيس القسس سليمان المذكور فامرهم المطران بالانتقال من هذا الدير الى مار شعيا برمانا الذي كان اسسهُ و بعد مجيئهم اتموه ثم اجتمع ثلاث قسس واختاروا قانون مار انطونيوس ولذلك تسموا بالانطونيين وعند العامة برهبنة مار شعيا

وهاك مجموع الاديرة والاناطيش والمدارس المارونية سنة ١٩٠٨

للبلدية	دير ٣٤	انطش ١٣	مدرسة ١٩

والرئيس العام عليها الاب يوسف رفول الاجبعي

للحلبية	دير ١٢	انطش ١٠	مدرسة ٦

والرئيس العام الاباتي القس لويس الخازن

للانطونية	دير ٢٠	انطش ٧	مدرسة ٣

ورئيسها العام القس عمانويل البعبداتي

رهبنة مار دوميط	دير ١

فيكون مجموع الاديار ٦٧ والاناطيش ٢٩ والمدارس ٢٨

حالة الرهبنة قديما

كان شغل الرهبان في الفلاحة والزراعة وهم الذين انشأوا الاملاك تقريباً وكانوا بسطاء النية يحافظون كل المحافظة على قوانينهم خصوصاً لقشف العيشة والزهد وعدم الخروج من الاديرة وقد عرفت راهباً من بكاسين اسمه الاخ ابرهيم البكاسيني بقي اربعين سنة في الرهبنة في دير مشموشة الذي يبعد عن بلده بكاسين نصف الساعة وفي كل هذه المدة اي الاربعين سنة لم يأت بلده مرة واحدة وكانوا يعيشون بكل اتفاق ولم يختلفوا الا في مدة المجمع لاجل الرياسة وذلك بسبب مداخلة غيرهم معهم لان الذي كان يتوكل على مجمعهم سواء كان من قبل الكرسي الرسولي او من قبل بطريرك الطائفة كان يقيم رئيساً عاماً من يراه موافقاً وليس من يوافقهم فتحصل من ذلك الاضطرابات وهذا الرئيس كان يوظف كل رؤساء الاديرة من حزبهِ ومشربهِ وهولاء الروساء لم يحسنوا الادارة بل كانوا يعاكسون من كان مضاداً لهم في الانتخاب وهذا كان سبباً للتشكيات

فالباري تعالى جعل لكل امر قانوناً متى خرج عنهُ بطل الامر فلننظر في الامور البسيطة فاذا شئت الكتابة يلزمك قلم وحبر وورق فان كان احد هذه الثلاثة ناقصاً لم تتم الكتابة فالسكة الحديدية اذا خرجت عن خطها تهلك ويهلك من فيها وهكذا كل هيئة اجتماعية وانسانية

فلا بد ياحضرة الراهب من انك عندما رضيت الدخول في هذه الرهبنة نظرت قانونها الاساسي واردت الخضوع لهُ فيلزمك حينئذ ان تكون خاضعاً لهذا القانون وبما ان الرئيس هو المحافظ على اجراء هذا القانون فيلزم الطاعة لهُ ولكن اذا خرج عنهُ وتبع قانون شهواتهِ فيسقط ويسقطك معهُ كالسكة الحديدية التي تخرج من محورها الاصلي وهكذا قل في كل عمل لان البشر تخضع وتحتاج لقانون هذا العمل وليس للاشخاص المسلمين هذه القوانين فاعتبار الاشخاص يتأتى من اعتبار القانون والمحافظة عليهِ

حادثة

قال لي احد القضاة المعزولين وكان يشتكي من قلة حفظ العهد في الناس لانهُ عندما كان في منصبهِ كانت كل الناس حولهُ وتزوره وتكرمهُ و بعد عزلهِ لم يرى شيئاً من هذا فاجبتهُ ياصاحبي ان الناس تكرم وتلتجي الى النظامات والشريعة التي هي محتاجة اليها وليس لشخصك لان كل من يستلم هذه الوظيفة يسلم اعتبارها واكرامها

لاي سبب يعتبر الراهب

اي شخص يسمع عن شخص اخر انهُ مجرد عن كل غايات الدنيا وتارك شهواتها وحابس نفسهُ في صومعة لا يخرج منها الا بامر غيره حاكم على شهواته تارك حطام الدنيا طائعاً لاوامر غيره وقد حلف يميناً معظمة امام الله والناس بان يكون فقيراً عفيفاً طائعاً متواضعاً فكيف لا تحب هذا الشخص وتعتبرهُ وتكرمه ألا تركع عند رؤيتهِ لمعرفتك بنذره بالفقر قد امنتهُ على مالك وعلى مال الفقير و بنذره للعفة سلمتهُ اسرار ابنتك وامراتك و بسبب نذره للطاعة آنست بهِ وامنت من شراسة اخلاقهِ و بسبب نذره للتواضع صرت تحبهُ وتتقرب اليهِ وتوانسهُ فمن اين اتى هذا الاعتبار والاكرام لهذ الشخص اليس من نذوره هذه الاربعة هي الفقر والطاعة والعفة والتواضع فاذاكان حافظاً هذه النذور اما تخضع لهُ قهراً عنك فالمعتبر عند الناس هو من لا يزاحمهم على الدنيا وحطامها فترى انهم لا يثبتوا قديساً الا بعد موتهِ واذا مات شقي سكتوا عنهُ وقالوا الله يرحمه وما ذلك الا من كون هذا الشخص خرج من الدنيا وما بقي يزاحم اهلها لاجل الحسد منهُ فصار يعتبره الكل ومثل ذلك كل من يزهد في الدنيا ولا يزاحم احداً ترى الجميع يعتبرونهُ و يكرمونهُ لانهُ لا يزاحمهم فترى اللصوص عندما يكونوا قاطعين طريقاً اذا راوا تاجراً ينهبونهُ و يقتلونهُ ومتى راوا رجلاً زاهداً حاملاً عصاه يتوكأ عليها هاملاً نفسهُ تتقرب منهُ وتقبل يده وتطلب دعاه وهذه نتيجة زهده

فاذا كنا نحن اهل الدنيا نزاحم على حطامها فنحن معذورون لان معيشتنا من المزاحمة ونرى لنا اعداء اكثر كلما زاحمنا اكثر ولكن انت ايها الراهب ليس لك حق بالمزاحمة

لان اسباب معيشتك موكدة وعندما تنذر الفقر وتدخل في الزهد كانك نذرت الغني لان الغني من استغنى عن الناس فمن هو غني عن الناس اكثر منك

ومتى خالف الراهب نذوراتهُ هذه الاربعة أما يزول منك كل اعتبار واحترام لهُ وهل يلام من يحتقره اويفضحه او يكشف جلد الحملان عنهُ

فانت ايها الراهب فى هذه الحالة تكرم لاجل المحافظة عَلَى نذورك وتحتقر لمخالفتك اياها وتهرّاً عما يخفي الانسان من المعاصي فانها تظهر لدى العموم واذا وجد بعض اناس يكرمون صاحب الرزيلة فما ذاك الا لانهم يستحسنون هذه الرزيلة والاشتراك فيها

فكل من العقل والتربية والخوف والضعف هي اسباب لحفظ كل نظام وترتيب فالعقل يعرف الشخص كما ان النظام الفلاني يحافظ عن غيري مني كذلك يحافظ عني من غيري مثلاً اذا كان النظام يمنعني عن قتل غيري كذلك يمنع غيري عن قتلي وكل شيء يجعلني ان اخرج عن هذا النظام يكون مراماً وشهوةً وغرضاً لان مع الغرض لا يتعقل الانسان والعاقل الحقيقي هو الذي يكون عاقلاً مدة مصائبه فقد خلق الانسان الفلسفة والعدل لغيره ليس لهُ فاذا توفي والد قريبك يأتي وتعزيه بكلام فلسفي عظيم تراه لا يسمعك ولا يتعذى ثم بعد ساعة من الزمان يحصل لهُ الامر نفسهُ ويأتي جارك و يعزيك بالكلام نفسه الذي قلتهُ لهُ فتعمل مثله لا تقبل فلسفة ولا تعزية كما انك تعدل بين اثنين غريبين عنك ولكن بينك و بين خصمك لا تحب العدل عليك فالرجل الفيلسوف الحقيقي والعادل الحقيقي هو من حكم على نفسه وتفلسف مدة مصيبته فينتج مما قلنا ان الشهوة تدوس العقل والعاقل الحقيقي من يدوسها قبل ثلاثة لا عقل لهم المجنون والعاشق وصاحب الغرض

الثاني لحفظ النظام هي التربية الادبية والدينية والعلمية فالتربية الدينية تولد الضمير والتربية الادبية تولد الشرف والحياء والتربية العلمية تولد الاعتقاد بالحقيقة فاذا كان شخص خاليًا من هذه التربيات فماذا يكون . يكون ادنى من الحيوانات لان من جملة الامتيازات بين الانسان والحيوان الحياء والبرهان عَلَى ذلك هو انهُ يوجد افعال حيوانية مشتركة بيننا و بين الحيوان ولكن يوجد اختلاف بيننا في كيفية عملها فالحيوان يبول مثلنا ولكن الفرق انهُ يفعل ذلك امام اي كان ونحن نستتر عن الغير عند فعله

والذي علمنا هذا العمل هو التربية وكل من لا يستحي ليس بانسان فالتربية الاصلية تكون في البيت لان كل من لا يتربى في بيتهِ لا تربيهِ المدارس ولا الرهبنة لانهُ لا يدخلها الا في الخامسة عشرة من سنه فيكون في هذا العمر انغرست فيهِ الخصال القوية سواء كانت حسنة او رديئة فكل تربية فيما بعد لا تكون الا كطلاء غطى خشباً نخراً او حمرة غطت وجهاً شنيعاً حيث عند الامتحان او باي سبب كان يزول هذا الطلاء وينكشف الاصل

والثالث من اسباب حفظ القوانين هو الخوف من القصاص والاسباب الاخرى هي الفقر والضعف

فاذا لاحظنا الراهب المخالف قوانين رهبنته يكون جامعاً جميع الاسباب المضادة للاسباب التي ذكرناها في حفظ القوانين ويوجد حجتان يحتمي فيهما الراهب والحاكم ضد الشاكين فاذا شكوت حاكماً يقول عنك انك عاصي الدوله واذا شكوت رئيساً دينياً يقول انك بلا دين مع انك امين لدولتك ومحب لدينك اكثر من هذا الحاكم او الراهب وقد حصل لي ذلك كما ساقوله فيما بعد فالبعض يظنون امكان الاصلاح ولكن لا اصلاح عندي الا بطوفان نوح حيث ينقرضون ونوحاً معهم ايضاً والاضر من ذلك هو اعتبار اهل بلادنا لاناس لم يروا فيهم اسباب الاعتبار فانهم يعتبرون الغني ولو كان اصل غناه سرقةً فلو كانوا يمدحون الفضيل لفضيلته والرزيل لرزيلته لكان كل منهما يسير سيرة توافق افكار معاصريه بحيث يكون الرزيل او السارق منفرداً لا يعاشره احد ومتروكاً من الجميع فهذا ربما يمنعهُ عن تكرار افعالهِ السيئة

الرئاسة في بلادنا

لا شيء اصعب من موت الرئاسة في بلادنا لان الكل خاضعون لرئيسهم امالنفعهم منهُ او لخوفهم او لفقرهم فاذا كان الرئيس ذا مال فانهُ لا يموت

التربية الدينية

هي جعل الناس اصحاب فضيلة ليستحقوا رحمة الخالق ويلزم معلم هذه الفضيلة

ان يمارسها و يجعل تلميذه معتقداً بهِ فكل السلطة تأتي من اعتقاد المؤمن بصلاح الشخص الديني ومحافظتهُ على كل امور الدين فهذا هو اصل السلطة الدينية ومتى ابتدا الشك في المتسلط الديني سقطت سلطته والسلطة تسقط عند احتقار صاحبها وصاحبها لا يحتقر الا متى خالف قانون سلطتهِ وهذا الاحتقار هو اصل فساد الهيئة ورمي الفتن وانقسامها فالقساوة والظلم يخوفان و يمكن زوال تأثيرها واحيانا يمكن ان يكون لها عذر فالدم المهروق قد يمكن ايجاد عذر فيه لصالح عمومي او لغرض نافع واما الفساد والفسق لا يمكن زوال تاثيرها فالشعب يعتبر الفاسقين ادنياء وعادمي الاحساسات القلبية و بالاختصار بليدي الفكر قريبين من الحيوانات فالعامة تخاف «الظلم» ولكن تحتقر الفسق

ولا اضر على السلطة الدينية من الفسق لان الرئيس الفاسق محتقر في اعين الجميع لا يسمع ولا يطاع وليس لهُ عذر بذلك مثلما يعذر الظلم والقساوة كما قلنا ان ضرر الدين يكون بالاكثر من فسق الرئيس لا بل هو الاصل واصل الانشقاقات والبدع وتتأثر من ذلك اكثر عندما يعمل عكس ما يامرك بهِ فلو فرض وكان امامك مسحوق ابيض ناعم خلتهُ سكرًا وشئت اكله وبالصدفة كان عندئذٍ طبيب وقال لك لا تأكل من ذلك لانه سم فمثل طبيب يعرف السم اطعته ولم تأكل وبينما انت ملتفت الى جهة اخرى وجدت ان الطبيب الذي نهاك عن اكل هذا المسحوق يأكل هو منهُ فماذا تقول عنهُ حينئذٍ فلا شك انك تقول عنهُ انهُ غشاش كذاب ولا تعود تعتبره بل تحتقر صنعتهُ مع ان ذلك غلط لان غلطة الصانع لا تمس الصنعة فيوجد اناس اكثر ديناً من روساهم واكثر حباً لقوانينهم واكثر محافظة عليها من مستمليها

اصلاح هذا الخلل في الرهبنة

يكون هذا الاصلاح بان يؤخذ المبتدئين بسن صغير ويضعونهم في المدارس لاجل العلم والدرس والتهذيب الى ان يبلغوا سن الخامسة والعشرين من عمرهم ومتى تعلموا وارادوا ان يساموا كهنة يلزم قبل كل شيء ان يفهموهم علو هذا المقام وان لبس

يحفظ اعتبار هذا المقام الا الفضيلة فقط لان الاعتبار لا يحلّ الا محلها واسباب حب الفضيلة فعل الخير فالانسان يميل قهرًا عنه لمن يعمل معه احسانًا لان الانسان عبد الاحسان وكذلك الحيوان وما من فضيله الاّ فيها خير ونفع للقريب وكل شيء محبوب في الدنيا يُحب لنفعه فلو كان الدين والسياسة ليس فيهما فضيلة لا يُحبا ولا يُطاعا فبالاولى ان يكون الكاهن فضيلاً فيصبح محبوبًا من الله والناس لان من احبته الناس احبه الله ومن ابغضته الناس ابغضهُ الله فالباري تعالى جعل كل الشرايع لاجلنا وليس لاجله فاذا قال لنا لا تقتل فما هو خائف عَلَى حياته منا بل جعل وصيته رحمةً لنا ولحفظ حياتنا فبالاختصار ان كل علم وذكاء ووجاهة وغنى وكما يبهج العيون ظاهرًا لا يعتبر حقيقة ما لم يكن مقرونًا بالفضيلة وعمل الخير

تأثير الوسط الادبي

لا شك ان للوسط تأثيرًا عظيمًا سواء كان ادبيًا او طبيعيًا فترى في الشاب تتغير اطباعه وعيشته اذا كان في الوسط الفلاني او الفلاني كما انهُ تتغير صحته حسب المناخ واثباتًا لذلك نرى ان شبان بلادنا الذين ولدوا في بلاد واحدة وتربية واحدة يتغيرون حسب المحل الذي يدخلون فيه فترى شبانًا منا دخلوا الرهبنة اليسوعية كالاب جبرايل اده فانهُ اكتسب نشاطًا وانتظامًا وغيرة الاباء اليسوعيين حتى استحق ان يكون رئيسًا لمدرسة بيروت الكلية اليسوعية مدة سبع سنوات وهكذا جملة اباء من بلادنا دخلوا في هذه الرهبنة الفاضلة وكذلك الاب قيصر الخوري الذي هو ابن عمنا دخل مع الاباء اللعازريين واكتسب فضائلهم حتى استحق ان يكون رئيسًا عَلَى اديرتهم في الاسكندرية

وقد لاحظ هذا الامر الاب مبارك المتيني رئيس عام الرهبنة البلدية سابقًا وعمل مدرسة في بيروت للرهبان يتعلمون في المدرسة اليسوعية ظنًا منه انهم يكتسبون فضايل هذه الرهبنة نعم انهم اكتسبوا العلوم ولكن لم نرَ منهم ما كنا نأمله

وكذلك غبطة البطريرك الياس الحويك الحالي فقد اعتنى في ادارة الرهبنة وجعل

ديراً مخصوصاً للمبتدئين وجعل معلمين ومدبرين من الرهبان الافاضل ولكن لبس املي كامله
وقد قلت لاحد الرؤساء العام ان الرهبان في حاجة يعلموا بعض الرهبان ثلاث صنائع
تلزمهم جداً وهي

اولاً ان يعلموا راهباً لكل دير علم الزراعة لكثرة املاكهم التي يعيشون منها
تلزمهم لهكذا علم

ثانياً تمريض المرضى يعني ان يعلموا احد الرهبان خدمة المريض وكيفية اعطائه
الادوية وربط الجروح وخلافها وذلك يكون بوضع بعض رهبان مدة سنة في
مستشفى راهبات العازرية كما فعله العازريون في هذا المستشفى

ثالثاً ان يعلموا بعض الرهبان صنعة الطبخ وذلك لا يكلفهم زيادة عما يصرفون
لان لا يمكن لمعدة ابناء هذا العصر ان تستحمل او تهضم الغذاء الرهباني القديم فبهذه
الكيفية يمكن للراهب ان يؤمن على نفسه اذا وقع في مرض او تلبك معدة ان يرى
نفسه منصاناً مخدوماً لانهُ اذا كان نذر الفقر فلم ينذر ان يموت جائعاً مهاناً اذا مرض
فهذه الامور هي التي تجعل الرهبان تحفظ الدراهم بجيبها حتى تستعين بها مدة المرض
وتغيير الغذاء مدة تلبك المعدة واخيراً والامر الضروري لضبط الرهبان وتمشيتهم على
القانون هو قصاص المذنب وطرده من الرهبنة ان لم يصطلح فالرجاء من الرؤساء الذين
بيدهم الحل والعقد الانتباه الى مقالتي هذه الناشئة عن غيرة على رهبنة يمكنها ان
تعمل اعظم خير مع طائفتها لانها غنية جداً ومتى وجد الغنى واستعمل في طرقهُ
الخيرية يعمل عجائباً خصوصاً متى كان هذا الرب الثاني الذي جعله المسيح رباً
خاضعاً للرب الاول

ومن اعظم الفضائل للانسان ان ينقل الفضيلة الى غيره ويعلمهُ اياها وبذلك
تدوم الفضيلة وتدوم المبادى الحسنة وتصبح الدنيا جنة وبدون التعب لا تكون الراحة
وبدون الشقا لا تكون السعادة فنحن الموعودون في السماء ومحل الراحة لا يمكن ان
نصل اليها ما لم نمت ونبلى وهذا حقيقي ويثبت لنا سعادة الاخرة لان من منكم نظر
رجلاً غنياً او عالماً او طبيباً او صاحب جاه ما لم يكن مرّت عليهِ امور امرّ من الصبر
وقهر نفسهُ وحريتهُ وصرف وقتهُ وزمنه لاجل راحته في المستقبل فيلزمه ان يموت لكي

يحي كما قال الانجيل الطاهر فحبة الحنطة ان لم تمت لم تنم وتحي

وفي سنة ١٩٠٨ حضر فاحصون من قبل الاب الاقدس بسبب تشكي الرهبان على بعضهم فقلت ما ياتي

ايتها الرهبنة المارونية

ما لي ارى صوت تشكيكم اقلق الاب الاقدس في رومية العظمة وانصل الى ما بين النهرين والقدس واتى على نغمته الاياتي بناديكتوس غار يارور والاب فرنسيس القرن وخلافهما يرون تشكيكم و يفتشون سيرتكم و ينظمون احوالكم لماذا هذا التشكي وهذه القلاقل التي اسمعها منذ وجودي في العالم هل ذلك من قوانينكم لماذا لم نسمع برهبنات اخرى في الدنيا تفعل هكذا افعال فقانون رهبنتكم امامكم اذا ما كنتم تقدرون تمشوا عليه فاتركوه اشرف لكم ولا تدعون كل يوم مفتشاً يطلع على اعمالكم واموركم ويعرف ما بينكم من الحقد ومن الادعاء الباطل على بعضكم لانهُ لا بد من الاخ مارون او الاب حنا ان يقدم ذنوباً ارتكبها ابونا فيليبوس او اقليموس ماذا يكون مقامكم عند بناديكتوس حينئذ لقد سئمت منكم روسائكم وكل هذه التشكيات ما هي الا طلب للرياسة التي هي نير على عاتق الراهب الفاضل

فاين مدارسكم اين مستشفياتكم اين اسعافاتكم للفقير وخلاف ذلك فلا شيء منها فعوض ما تفعلون هذه الاحسانات تمضون عمركم بالتشكي على بعضكم

فما هو عذركم الان فان روساء العام الذين عليكم الان هم افضل رهبانكم ان كان للبلدية او الحلبية او الانطونية فكل هذه المدة لم نسمع تشكي عليهم ولا كانت الرهبان في راحة مثل هذه ومع ذلك نرى الان طغمة من الفاحصين يطلعون على ما ليس نعلمه فلنسترحم من الاب الاقدس ان يحل لنا هذه الرهبنات ويجعل غيرها بقوانين نافعة لهم وللانسانية اويجعل الرئيس لا يستلم دراهماً وان متى شاء عمل شيء من المصروف لا يصرفه الا بمشورة مجلس ديري مكون من اربعة رهبان من الدير نفسه وان انتخاب الروساء يكون من الاصوات العمومية وليس من المديرين و رئيس العام اللذين ينتخون

من غرضهم وحذبهم والاهم ان لا تخرج الرهبان من اديرتها لا ننا نراها في الاسواق اكثر من الاديرة وعلى حسب فكري لا يمكن عمل اصلاح كما قلت وانهُ اتى الوقت ان نطلب نحن اولاد الطايفة منافعاً عمومية من هذه الاوقاف كالمستشفيات وخلافها فليفتكر الروساء بذلك و يدبروه من الان

هذا ويوجد في الرهبنة رجالاً أفاضل حسني السيرة ذوي جدٍ واقدام عمروا الاديار التي ترأسوها وخدموا الديانة والاداب منهم الروساء العام وحضرة المدبر الوام الديراني الحلبي الطائر الشهرة بالاعمال المبرورة والاثار المشكورة ومن مآثره انهُ اكمل بناء دير مار عبدا في دير القمر وجعلهُ مدرسة والاب غسطين ابو عياش الذي عمر دير الناعمة في هذه السنة على طرز جميل ويوجد غيرهم كثيرون سنذكرهم بعد

جدي الخوري ابرهيم

سأذكر قصة جدي ليس كتاريخ له يهم العالم ولكن لاذكر تاريخ السقوسية عند الموارنة واوامر روسأها واصطلاحهم وكذلك مثال الكاهن الحقيقي

ومن جملة مصائب هذه السنة وفرصتنا المدرسية هو مرض المرحوم جدي ووفاته

ولد المرحوم سنة ١٧٩١ وكان اسمهُ خليلاً سامه المطران حنا الحلو وكيل البطريرك في تلك الابرشية شماساً برتبة مرتل وقاري في اول شباط سنة ١٨٠٥ في قرية بكاسين

و بعد خمس سنوات على سيامتهِ تلك رقاه الى درجة الكهنوت المطران الذي اقيم فيما بعد بطريركاً وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة وهذه صورة اعلام ترقيته

سبب تحريره

انهُ قد قبل وضع اليد عليه ولدنا خليل ابن الخوري اسطفان البكاسيني ورقيناه الى درجة الشمعداني في ٨ اذار ثم رفعناه من درجة الشمعداني الى درجة الرسايلي والانجيلي على مذبح القديسة تقلا في قرية بكاسين وتم ذلك نهار الاحد عيد الشهداء الاربعين في كنيسة دير الكرسي قنوبين في ٩ اذار ثم انهُ ثاني يوم نهار الاثنين

رفعناه الى درجة القسوسية على مذبح القديسة تقلا في قرية بكاسين وتمت سيامتهُ في ١ اذار سنة ١٨١٠

الختم   الحقير يوحنا
بطرس البطريرك
الانطاكي

وقد تزوج بسن الثاني والعشرين قبلما قبل سر الشماس الانجيلي وكانت جدتي بديعة الصورة من عائلة عطيه من بكاسين منها المقدام فارس اغا عطيه احد ضباط العساكر اللبنانية واول من ادخل فيها ومنها اولاد شيبان عطيه منهم اسكندر الذي فتح تجارة في المكسيك وهو معتبر في التجارة وقد ولدت عمتي شاة سنة ١٨١٤ التي عاشت الى ٢٥ تموز سنة ١٩٠٠

ولد والدي في ٩ ايار سنة ١٨١٨ وولد آخر اسمه حبيب في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٢١ وتوفي صغيراً وفي سنة ١٨٢٣ في ١٥ تشرين ثاني ليلة السبت توفاها الله وعمرها ٢٦ سنة وعمر جدي ٣٣ سنة وهذه كانت مصيبة عظيمة على الخوري لانهُ لا يمكنه بعد ذلك الزواج وحيث كانت اولاده صغاراً طلب اختهُ المسماة نجمة زوجة ربيا من مزرعة الشوف ولها ولد اسمه معوض لاجل تدبير الاولاد

ملحوظاتي على زواج الكهنة

فاتعب عيشة هي عيشة الكاهن المتزوج الذي يصبح صاحب عيال ولا يمكنه عمل لاجل معاشه مثل باقي البشر ولا له معاش من قبل الحكومة او المطران او هيئة اخرى فيبقى تعباناً ما لم تكبر اولاده وتعينه فيلزم الصبر الجميل لهذه المدة ولكنني اشكر هذا الامر لانه لولا زواج جدي لما كنت موجوداً وربما بعض القراء يقول يا ليتهُ ما تزوج واسترحنا من هجوه والبعض يشكر زواجهُ وهكذا بحيث الانسان الواحد يكون شيطاناً عند حزب وملاكاً عند حزب اخر فالكاهن المتزوج يتعب نفسهُ ويريح فكر الغير ولعدم الحرية في الشرق بأخذ خادمة تخدمهُ حلل لهم الزواج

وكان المرحوم جدي متعلماً الشريعة المدنية بحيث كان يصرف جميع دعاوي

القرية بدون ان يتوجه احد الى المحكمة وقد اقيم وكيلاً بطريركيًا في ابرشية صور وصيدا واعطيت له امتيازات كما في الاوامر التي بيدي من البطريرك يوحنا الحلو

ثم ان البطريرك يوسف الحبيشي ارسل لهُ اعلاماً مخصوصاً يعرفهُ به بحل المعترفين من خطاياهم والخطايا المحفوظة لسلطانه ولسلطان المطارين وان يحل جميع الحرومات والرباطات وكل مانع وتأديب او حكم كنائسي مهما كان حتى ان المحفوظ لشخص البطريرك او المطارين ما عدا المحرومين لمخالفتهم منشوره ضد البابليشيين البروتستنت او المخالفي منشوره المانع دخول الرهبان لحوش الراهبات ثالثًا بان يحل من موانع الزيجة

رابعًا من النزورات ولو مثبتة بيمين ما عدا النزورات التي فيها كمية دراهم للبر

خامسًا ان يفسح للاكليركي جميع الاعجاز الساقط فيها الصادرة عن ذنب جميعها مهما كانت واما الاعجاز الصادرة عن نقص ليس لهُ ان يفسح عنها سوى من العجز الصادر من نقص الحنية والعجز الملتحق بمن اقترن بابنة مفضوحة او بمن من الاكليريكيين باشر سر الزيجة مع قرينته مع علمه بفسقها وما خلا ذلك لا نأذنه بالفسح واخيرًا نقول ان جميع ما ذكر اعلاه سوى كان من حلّ الخطايا والحرومات والرباطات وكل منع وحكم وتأديب كنائسي وحلّ موانع الزيجة والنذورات والايمان قد فوضنا ولدنا المذكور بالحلّ منهُ بمنبر التوبة فقط وذلك بكل مكان واي كان من طغمات الاكليروس العلماني والقانوني وطغمات العوام رجال ونساء واولاد واخوية ورهبنة او جمعية كانوا وان يقدس بعد نصف الليل في البيوت والمعابد والكابلات والاماكن اللايقة حتى ولو تكررت القداسات بها بيوم واحد فلهُ ان يقدس بعد ذلك ومن يسمع قداسه بيوم احد او عيد واجبة بطالته يفي الزام وصية الكنيسة ما عدا ايام الفصح التي ما عداها يقدر تناول سر الاوخارستيا لمن يطلبه في هذه الاماكن المذكورة ثم اذناه بان يبارك الكنائس والمذابح حينما توجد مدنسة كما انهُ يحل المذابح والمعابد والكابلات والبيوت حينما توجد في رباط او منع ناموسي او شخصي ما عدا اذا كان هذا الرباط او المنع

مبرزاً بوضع خصوصي من الرئيس المألوف ثم اذناه بان يكرّس الاواني والملابس البيعية وان يمنح غفراناً كاملاً للمشرفين على الموت وان يشرك بشركة الوردية المقدسة وان يعظ في اي محل كان

تحريراً في ٩ ايار سنة ١٨٣١

الحقير

يوسف بطرس

البطريرك الانطاكي

وفي السنة المذكورة وكله المطران عبدالله البستاني في زيارة الرعية عنه وذلك بموجب امر بيده يعلم بهِ الاهالي لزوم الخضوع والطاعة والاكرام للخوري ابراهيم الزائر مثل الطاعة لهُ

والتحرير في ٢٥ تشرين اول سنة ١٨٣١

وكان يكلفه الامير خليل الشهابي حاكم اقليم جزين بتوزيع التركات وعندي امر من الامير خليل يكلفه بهِ ان يتوجه الى وادي جزين لتوزيع تركة رجل اسمهُ ابراهيم

وفي سنة ١٨٣٥ في ١٥ تشرين ثاني ارسله المطران عبدالله يزور الرعية وفي اذار سنه ١٨٣٥ صرّفه البطريرك يوسف حبيش بتحليل اوجه الزيجة الدموية او النسبية قبل عقد الزواج عدا الوجه الرابع كما هو موجود بامر عندي

وقد وجد في دفاتر الكرسي البطريركي في بكركي انهُ مرسوماً بردبوط اي زائر وهو اول كاهن اخذ هذه الرتبة في اقليم جزين

في ٢٠ حزيران سنة ١٨٣٧ اقامهُ البطريرك يوسف حبيش وكيلاً لانشاء مدرسة مشموشة

وفي السنة ذاتها زار الرعية عن المطران عبدالله بموجب امر محرر في ٢٠ ايلول سنة ١٨٣٧ وكان يومئذ سمي بردبوطاً اي زائراً

ثم انهُ في السنة الثانية اشترك بثلاثة قداديس مع الرهبنة اللبنانية وقد ارتسم عن يد حضرة الاب ارسانيوس النيحاوي الذي كان وقتئذ مدبر الرهبنية اللبنانية وهذه صورة تحرير الاب ارسانيوس

بعد الترجمة وصلنا عرضحالكم للمجمع العام وبحسب مرغوبكم قدمناه وقد حصل تعليل من نحوكم انكم فتم سن الاربعين وقانون ذلك ان يدفع حسنة قداسات للذين توفوا قبل هذا السن ولكن حيث ابوتكم معدودين من جملة آباء هذه الرهبنة ولكم ولابائكم ولاجدادكم اتعاباً وافرة واحسانات متكاثرة ومجملون بالاوصاف الحميدة فقد قبلت شركتكم حسب مطلوبكم معافاً من كامل المجمع العام من الثلاثة قد امات وتقيد اسمكم الكريم بعرائض هذا المجمع العام من جملة الاباء والاخوة المشتركين في ٢١ تشرين ثاني سنة ١٨٣٨

القس ارسانيوس
نيحاوي

وفي السنة الثانيه توفي والد جدي الذي اتصل الى عمر كاف وذلك في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٣٩ وقد وجدت قائمة القداسات المتوزعة عن نفسه واسماء الكهنة الذين حضروا الجناز وكان اجرة القداس يومئذٍ غرشاً واحداً وقد رفعهُ الى هـذه الاجرة البطريرك يوسف حبيش في منشور فيه قانون تهذيب الكهنة وصورته عندي وكان القداس قبلاً بثلاثين فضه

وقد بلغ مجموع القداسات المتوزعة عن نفسه اربعمائة وخمسة وعشرين قداساً

وكان المرحوم جدي ايضاً وكيل كنيسة القرية وهو الذي اقام لها قبة الجرس الان ومكتوب اسمهُ عليها وقد وجدت قائمة بخط يده ان كافة تكاليس الكنيسة وسكب الجرس وعمل القبة ٢٧٣٢ غرش واربعة عشر باره

عيشته

كان جدي الخوري ابراهيم تقياً جداً ذا هيبة عظيمة لا يجسر احد من الشبان

عَلَى شرب الدخان امامه حسب عوائد عصره ولا ان تجلس امراة في الساحة العمومية كان جميل الصوت جدًا ولذلك رافق المطران عبدالله البستاني صاحب الصوت الجميل ايضًا في بتدين عند الامير بشير الشهابي اما مقامهُ السياسي فكان من يعتمد عليه في فض المشاكل لمعرفته بالشريعة وكان يرسله سعيد بك جنبلاط الى غبطة للبطريرك بولس مسعد في امور سياسية كانت تعود عَلَى طائفتهُ في اقليم جزين بالخير وكان كريمًا حريصًا عند اللزوم ومحافظًا عَلَى ما هو تحت يده بحيث ان هذه الاوراق التي بيدي من منذ مائة سنة تقريبًا حفظت بعنايته رغمًا عن الحريق والسلب الذي جرى في الحادثات الثلاث في اقليم جزين

اوصافه الطبيعية

طويل القامة معتدل الجسم عضلي قوي البنية اسمر اللون ولم اعرفه الا بلحية بيضاء ذا هيئة عظيمة نظيف اللبس محتشمًا في كلامه وجلوسه وكل هذه الاوصاف لم يزل اهل القرية يرددونها الى الان

مرضه الاخير

ان الساعة الاخيرة من حياة هذا الشيخ الجليل كانت هي الساعة الاولى التي عرفت فيها الحزن في الدنيا ولم ازل اتصورها ودموعي تجري عند كتابتي هذه الاحرف واتصور ذلك الشيخ الجليل عَلَى فراش الموت وانا ووالدي واخوتي بجانبهِ يودعنا الوداع الاخير يوصي كلاً منا بالاخر وبالتقوى آه ما امر تلك الساعة يريد الانسان ان يكون فيها حيوانًا عديم الاحساس وكما يدعيه الانسان بتمييزه عن الحيوان من معارف ولذة عقل لا يوازي ساعة فراق من يحبه فأي وجع اعظم من هذا الوجع يضيع العقل والفكر لذع النار اخف من عذابهِ فهذا ما جرى لي في تلك الساعة الهائلة من الحزن الذي نزل عَلَى قلبي ولم اكن اعرفه قبلاً وقد كنت جاثيًا امامه وعيناي لا تنفك عن النظر اليه لكي ترتسم تلك الصورة في فكري حتى لا انساها ابدًا وكم انا متحسر عَلَى صورتهِ ولعدم وجود

المصور بن في بلادنا في ذلك الوقت لان رؤية صورة من تحبه وقد فارق الدنيا تخفف ألم الفؤاد لا سيما اذا تصور وهو في عزه وقوته فتنفرس فيه لخيالهُ امامك ولكن اذا كانت صورته على حسب الساعة الاخيرة حزيناً كئيباً متألماً تتأثر تأثيراً عظيماً فهذه هي الحالة التي انصور بها جدي الذي كنت احبهُ فوق كل شيء لانهُ هو الذي علمني ورباني وما امكني اكافئه بشيء ولم ازل لحد الان اقدس لهُ بعد وفاته باربعين سنة لانهُ هكذا كان يحب وعليه فيرتاح فكري بعد القداس بانني وفيت بعض فروضي وانني تذكرت ذلك المحب الحقيقي لي لانهُ كان يحبني مثل ذاته وانا احببته كالعبادة تقريباً وربما هذه القصة لا تهم القارئ ولكنها تهمني جداً وتهم من اخلفهم بعدي لمعرفة اجدادهم واكون وفيت جزءًا من واجباتي واتمنى ان اكون صينياً كي اعبد اجدادي بعد الاهي وكان مرضه بالمثانة كعادة الشيوخ ولسوء الحظ لم يكن اطباء في ذلك الوقت فكان الداء يزداد دون معارض وعندما شعر بيومه الاخير ارسل وطلب والدي من بتدين لحضر حالاً لانه كان يحبه محبة تفوق العقل فاعطاه وصيته الاخيرة واوصاه بان لايخالف منها شيئاً ولم تزل الوصيه عندي

وربما احد القراء يقول ماذا يهمنا موت جده وحزنه فيكون هذا القاري بلا قلب فهذا الحزن وهذا الكدر على جدي يعلم ولدك ان يحن عليك وانت تحزن على من رباك فلابد من نتيجة اذا كان لك قلب والا فانت معذور في لومك

وقد انتشر منعاه في كل اقليم جزين حتى اجتمع نحو خمسة الاف نسمة ودفن في كنيسة القديسة تقلا تحت المذبح الثالث لجهة الشمال وهذا مدفن الكهنة

القداسات

فالمبلغ الذي دفعهُ المرحوم جدنا عن والده اجرت قداسات كما ذكرنا هو اربعماية وخمسة قروش وكان القداس يومئذ بقرش واحد واما المبلغ الذي دفعهُ والدنا عن نفس المرحوم جدنا هو الف وثمانمائة وواحد وستين ونصف وكان القداس يومئذ بغرشين ونصف وقدست عن نفس والدي بخمسة الاف غرش وكان القداس بثلاثة غروش

اما انا فلا اظن احداً يقدس عن نفسي فاترك ذلك الى قراء كتابي الذين منهم بطاركة ومطارين وقسس وكهنة وسائر الطبقات الدينية ان يقدسوا عن نفسي او يقولوا الله يرحمه

وقد انتهت هذه الصيفية المنحوسة بوجود هواء الاصفر فيها الذي عم مصر وسوريا ما عدا لبنان وبتوفي جدي وحزني عليه وبعد انتهاء هذه الصيفية وانتهاء الهواء الاصفر من بيروت ورجوع اهلها اليها وفتح مدارسها رجعت الى المدرسة الوطنية ولكن لست تلميذاً بل كنت معلماً وتلميذاً في آن واحد

رجوعي الى المدرسة الوطنية معلماً

كنت اعلم الصف الرابع في اللغة الافرنسية وكنت معدوداً بين المعلمين وعائشاً مثلهم وكنت تلميذا باللغه الانكليزية والعربية عند الشيخ ناصيف اليازجي بحيث كنت لا اخذ شيئاً ولا ادفع شيئاً

تعليمي في الانكليزية

فكان لي ساعة كل يوم يعلمني فيها صديقي العزيز ملحم بك شكور الذي كان بسني وكان تلميذاً في المدرسة وساذكره فيما بعد ولكن كنا نقضي وقت العلم بالضحك واللعب بحيث ما تعلمنا شيئاً سوى تصريف الافعال الانكليزية التي لا تتعب احدا وتصريف الاوقات المدرسية وفيما بعد صرت احضر صف المعلم سليم البستاني ابن الرئيس ولكن كان علمي كالعدم ان كان في اللغة العربية اوالانكليزية غير اني كنت مجتهداً على صفي بالتعليم والذين كانوا يتعلمون عندي اشتهروا جداً فيما بعد ولست ادعي ان سبب شهرتهم مني وبسبب تعليمي لهم ولكن لاقول انهم كانوا تلاميذي ومنهم الشهير العالم العلامة سليمان افندي البستاني نزيل مصر الان ومتمم دائرة المعارف ومترجم اليازة هومر الى الشعر العربي عمل تعجز عنهُ الجبابرة الذين ترجم حياتهم والثاني المرحوم سعيد البستاني محرر جريدة لبنان سابقاً والثالث تامر افندي البستاني طبيب في الشام والرابع بشاره افندي البستاني علم في مدرسة اليهود سابقاً وكذلك الاستاذ البارع الشهير عبدالله البستاني سيبويه هذا العصر وغيرهم كثيرون

وكنت ممتزجاً بالخصوص مع المعلم سليم تقلا الذي كان مثلي يعلم و يتعلم والذي باجتهاده اصبح صاحب جريدة الاهرام بمصر واكتسب مالاً عظيماً وجاهاً اعظم منه حتى لقب بسليم بك تقلا اجعله مثالاً لكل مجتهد اذكر تاريخه الادبي بالاختصار حتى يقال:

انما اصل الفتى ما قد حصل

المعلم سليم تقلا

حضر سليم المذكور من بلده كفرشيما الى المدرسة وكان يتوجه عند الشيخ ناصيف اليازجي يتعلم عنده خصوصي وكذلك في المدرسة وهذه هي السنة الاولى وفي السنة الثانية اصبح يعلم و يتعلم وكل ذلك بالعربية وكان محبوباً جداً لطيف المعاشرة حيث كنت اعاشره دائماً وفي اواخر سنة ١٨٦٦ طلب الى المدرسة البطركية التي انشاها سعيد الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف الذي لهُ الفضل الاول على طائفتهِ بفتح المدارس وعلم الاكليروس فقد طلبت هذه المدرسة المعلم سليم ليكون معلماً فيها وكنت ازوره هناك وتركته وذهبت الى مصر لاجل علم الطب وبعد انتهائي من علم الطب في السنة ذاتها انشا جريدة الاهرام في الاسكندرية واتصل الى ما اتصل اليه وبعد خمسة وعشرين سنة من مقابلتي الاخيرة لهُ قابلته في بيروت في لوكندة انكلتره وكانت علة القلب متزايدة عليه وقصد يومئذ بيت مري لاجل تمضية فصل الصيف فما كمله بل توفي في القرية المذكورة ودفن في بلده كفرشيما وهو رأس عائلة بيت تقلا وكل نجاح اعضائها الاخرين كان منهُ

اول شعر قلته

وكنا نجتمع مع المعلمين ونعيد اشعار المتقدمين وكل منا يروي اشعاراً عن فلان من فلان وكنت اجتهد ان انظم شعراً ولم اعرف بعد وزنه ولا اصولهُ ولم اذق لذة معانيهِ وكنت غير مكترث بهِ لانهُ لا يتهيج الفكر للشعر ما لم يتاثر من امور يستحسنها او يكرهها فالحادثة التي اصابتني هي الاتية

سبب اول شعر قلته

انهُ حسب ترتيب المدرسة كان يصحب التلامذة عند خروجهم معلمين او ثلاثة لحفظ ترتيبهم في الطريق وحيث كنت في هذه السنة من جملة المعلمين كان يمر عليَّ دور لاجل هذه الخدمة ففي ذات يوم ونحن متوجهون لجهة الرمل الذي هو غربي المدينة وكانت طريقنا بالقرب من حارة جدي المشهورة والوحيدة في ذلك الوقت وقبل الوصول الى الحارة المذكورة ونحن بين البيوت المبتدية اخر بساتين التوت لجهة الجنوب وجدت احد التلامذة واقفاً تحت الشباك فتقرب الي وطلب اذنا ليكلم اختهُ الجالسة في الشباك لان الشباك قريب من الارض فعند ذلك نظرت الشباك وعندما رايت هذه الغزالة خفق قلبي واصبحت مثل السكران ضائع الفكر ولم انتبه الا لصوت رنان يحيني بالسلام الافرنجي بونجور موسيه فانتبهت حينئذ وتاملت بصورة بديعة ذات تقاطيع عجيبة ووجه بشوش وتبسم محتشم وشعر اسود وعيون سود ولون ابيض محمر بسن السابعة عشر تقريباً فرديت السلام براسي وحركات جسمي وعيوني اكثر من لساني فطلبت مني ان اسمح لاخيها بالتكلم دقيقة معها ولا شك ان هذا الاذن لا يلزم لهُ رجاء طويل وكان الاذن بالاكثر لاجلي كي اطيل الوقوف وعندما نظرت الى التلامذة ابتعدت قليلا عني انتبهت الى الواجب ورجع لي عقلي وطلبت الرخصة منها للذهاب فاوصتني باخيها هذا فودعتها وودعتها عقلا وقلباً

ولما كان مزاجي عصبياً سريع التاثير كنت اتاثر من كل شيء بشدة عظيمة ولكن كان عندي حب الواجب اعظم كل شيء فما كان شيء يلهيني عن واجباتي وخصوصاً متى كان يمس شرفي وكنت اعطي لكل شيء وقتهُ احب المزح جداً ولكن لا اخلطه بوقت الجد ولا اخلط الجد بوقت الهزل فاخيرًا توجهنا الى الرمل محل النزهة ولكن بقي فكري متعلقاً بتلك الفتاة فسالت اخاها في اي مدرسة تعلمت اختك اللغة الافرنسية فاجاب في مدرسة العازرية فتركته حتى لا يشعر بشيء فعند رجوعنا مررنا بالطريق نفسها وكان نظري يراقب الشباك من مسافة بعيدة وعندما وصلنا الى المحل المذكور

نظرتها واقفة ايضاً فتقدم اخوها وكلمها وعندما وصلت اليه اوصتني بهِ فانحنيت اطاعة للامر ومشيت ولكن بكل خطوة التفاتة الى الوراء والذي زادني التفاتة هو بقائها في الشباك وان عند كل التفاتة اليها تحني راسها كانها لم تزل تراقبني وهذا مما كان يزيد اشواقي لاعتقادي انها احبتني كما احببتها وعند الالتفاتة الاخيرة ورجوعي للمدرسة اشعرت بظلمة في عيني واخذني الجمود وما عدت انا ذلك الشخص الذي كان دائماً ضاحكاً بشوشاً خالي الهم والكدر بحيث كانت ارفاقي الاساتذة تكلمني وانا كالسكران وصرت احب الانفراد وحدي واغمض عيني لكي ارى صورتها امامي وصرت عندما ارى اخاها افرح جداً كانني رأيتها وار يد افتح الحديث عنها لهُ ولكن كان شرف نفسي يمنعني حتى لا يظن الولد بشيء وقد اتفق فرصة للتلامذة القاطنين ببيروت ان يزوروا اهلهم مدة عيد الفصح فبعد رجوع التلميذ اخيها من الفرصة اعطاني تحريراً باللغة الافرنسية مكتوباً بحبر احمر تشكر بهِ افضالي بالاعتناء باخيها وبه عبارات لطيفة ظريفة او بالحري بالنظر لحالتي كنت اري كلما يفعله المحبوب محبوبا فطلب التلميذ جواب التحرير فعند ذلك تجرات عَلَى الكتابة لان الرجل اضعف واجبن من الامراة في مثل هذه الظروف ولم يتجاسر عَلَى ابداء فكره ما لم يرَ اشارة من الامراة تجرّه عَلَى ذلك فاخيرا جاوبت عَلَى التحرير واردت ان يكون مصحوباً ببعض الشعر اولا لاظهر احساساتي العشقية شعرا ثانياً لاريها انني من الشعراء والعلماء لتزيدني اعتبارا لان لا محبة حقيقية الا لمن تعتبره ولا يمكن ان تحب شخصاً لم يكن معتبرا واخيرا نظمت الاشعار الآتية وتعجبت من نفسي كيف قدرت ان انطق بالشعر ولكن ما كان في قلبي يجعل الاخرس ناطقا والبليد شاعرا وهذا هو بالحقيقة السحر المبين

وهذه الاشعار

يا ظبيةً أسر الفؤاد بحبها ... كفي القتال فان طرفك ساحرُ
اخفيت حبك عن فمي حتى غدا ... لم يدر فيهِ وهو فيك الشاعرُ
والآن أبدي ما كتمت من الهوى ... فلك الرضا بقبوله والخاطرُ

ان تنكري او ترتضي او ترفضي فانا انا في كل حال شاكرُ

فبعد ارسالي هذا بقيت مدة مفتكرًا زائغ الفكر في هذه الابنة ففي احد الايام جمعت عقلي وشرفي وادابي وتربيتي وديني وقلت لهم عينوني عَلَى هذا الحب العظيم الذي غيرني وغلبني وغلبكم جميعاً من منكم يساعدني عَلَى قهره فحضر العقل وقال لي هل مرادك تتزوج بهذه الابنة وهل انت في مركز وسن ووقت موافق لذلك فاجبتهُ كلاَّ فاجاب فاذاً ماذا يهمك الافتكار بها فالاحسن تنساها وبعده حضر شرف النفس وقال لي انت في مقام معتبر في هذا السن ومكرَّم فكيف اذا اشتهرت بانك تحب الهوى وتغرق في كاس ماء أما يزول عنك هذا الاعتبار الذي أنت عائش منهُ ثم حضر الدين وقال لماذا تضرُّ هذه الابنة بصيتها حيث لم يمكنك الزواج بها لانهُ اذا عرف انك تحبها وتعاشرها يتأخر عنها كل من يريد الاقتران بها واذا بعد الناس عنها بسببك فانك تضرها أعظم مضرة وبعدئذٍ قهراً عن هذه البراهين الاكيدة جميعها وجدت ان السحر لم يزل في قلبي وكنت اغتاظ من تصوري كل ما يضاد ميلي وبقيت في هذا الامر معذبًا مدةً الى ان قال لي اخيها ان اختي انخطبت وزواجها يكون الجمعة القادمة الى فلان القاطن مصر فعند ذلك اشعرت بفك القيد وعلمت انها صارت تخص واحداً غيري وانها مالت اليه وتركت كل من يعرفها وكانت هذه الحادثة سنة ١٨٦٦ وربَّ قارئ يقول ان هذا معلم ام عمر الذي سمع المغني يقول :

يا أمَّ عمرو جزاكِ الله مكرمة ردّي عليَّ فؤادي اين ما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين بهِ فكيف يلعب في الانسان انسانا

فعشق ام عمرو لاجل ذلك

اللقاء بلا ميعاد

وفي سنة ١٨٨٨ كنت زائرًا لاحد المرضى والاَّ وجدت امرأة في ذلك البيت سلمت عليها كباقي الجالسين فكنت استحسن كلامها وهيئتها و بشاشتها وبقيت محتارًا

لمعرفتها واخيرًا خرجت من البيت فسألت صاحبة المنزل من هي هذه السيدة اللطيفة فاجابت انها زوجة فلان الفلاني من مصر ابنة فلان الفلاني فحالاً خطرت على فكري تلك الغادة التي لاجلها نظمت اول شعري فتعجبت في نفسي كيف ان الاحساسات التي شعرت فيها منذ ٢٢ سنة لم تزل هي ذاتها عندما حضر اسباب ظهورها

خروجي من المدرسة

وعندما تممنا هذه السنة المدرسية توجهت الى بكاسين مستنظرًا اي شغل واي صنعة يريد والدي ان اتعلمها فبعد تمضية فصل الصيف كان فكر والدي ان يدخلني الحكومة وكان مستنظرًا فرصة لذلك وكنت اناظر املاكنا هناك واذ كان يوجد امام بيتنا في بكاسين قطعة من الارض متسعة امرني والدي ان اشتغل هذه القطعة كجنينة امام الدار بعدما ابقي عشرة اذرع

شغل الجنينة امام الدار في بكاسين

استأجرت عددًا من الفعلة ووكلت عليهم احد اقاربنا يسمى انطون جدعون بسن الستين وذلك لاجل هندسة الحيطان وهندسة النصب وكان ذا طبع حدّ لطيف المعاشره مسخنًا في هذا السن وكان عندما يعمل حائطًا لا يعجبني كنت آمر الفعلة بتغييره فكان يتكدر ويغضب ويسب وينط ويحرك ايديه وعيناه تقدحان نارًا وكانت هيئته وقتئذٍ مضحكة لي جدًا فكنت كلما اضحك يزيد نطًا وسبب الاختلاف بيننا هو اختلاف هندسة الحيطان فهو يريد ان ينظم الحيط كما يوافق الارض بحيث يكون الحيط معوجًا كريه المنظر وانا اريد ان يكون الحائط جالسًا واساوي الارض على حسبهُ حتى يكون المنظر جميلاً لان هذا امام البيت ونراه كل ساعة نعم ان ذلك يكلف اكثر ولكن للظرافة تلزم الكلفة واما انطون لا تهمه الظرافة بل يهمه التوفير وربما ان اختلاف السن بيننا جعل الاختلاف في الذوق فان كبير العمر لا يلتفت الا للمنفعة والتوفير واما حديثهُ فلا يلتفت الا للظرافة ولا يعرف التوفير

حادثة غريبة مدة هذا الشغل

وعندما كان الفعلة يشتغلون كنت اجلس امامهم وآخذ خارطة الجغرافية لاجل التسلية لاني كنت مولعاً في علم الجغرافية وكثيراً ما كنت آخذ الجائزه الاولى فيها بمدرسة عين طورا وكان يوجد عدة الوان في الخارطة لاجل تمييز البلدان عن بعضها فكان منظرها مبهجاً للفعلة الذين لا يعرفونها

ففي مساء احد الايام تقدمت الفعلة لجيئي لكي اقيد اسماؤهم فنظر احدهم المسمى طنوس نوفل المكنى بابي فتولة هذه الخارطة فسألني ما هذا الكتاب وما هذه الالوان التي فيهِ فاجبتهُ مازحاً ان هذا الكتاب يدل على عمر الانسان وانهُ يعرف الشخص في اي حين يموت فاجابني ارجوك ان تنظر عمري واي متى يكون موتي فتأملت في الكتاب مدة كأنني اريد فحص عمره ثم قلت لهُ بعد ثمانية ايام وكان ذلك على مسمع من الفعلة وانما قلتهُ على سبيل المزح

فاتفق ان احد المغاربة الذين يطوفون في القرى لاجل التطبيب وصل الى بكاسين وكان ينادي طبيب للجسم للعيون للحبل وهلم جرًّا وبينما كان ماراً امام بيت طنوس المذكور وسمعه ينادي دعاهُ اليهِ وشكى لهُ امساكاً في معدتهِ فاعطاه المغربي حباً مسهلاً الهب امعاءه وكان سبب موتهُ فبعد توفيهِ وكانت الفعلة لم تزل تشتغل عندي اخبروني عن هذه الحادثة فسألت عن المغربي اذا كان لم يزل في البلد لكي اسلمهُ الى الحكومة ولكن هولاء لا يمكثون الا يوماً واحداً في كل بلد يدخلونها لكي لا يشاهدوا ما فعلت ادويتهم

وحيث كنت مداوماً الشغل واطالع دائماً في خارطة الجغرافية فعند المساء تقدم الي احد الفعلة المدعو حبيب السنيور وكان جاراً لطنوس المتوفي وحيث ان حبيباً المذكور خدم عند احد الاوربيين في بيروت وكان يسمع منهُ تكراراً لفظة سنيور تعلمها بسهولة وعندما رجع الى بكاسين كان يكررها فسموه حبيب السنيور فسألني حبيب هذا عن عمره لانهُ كان سامعاً عندما قلت الى جاره عن عمره وانا غير منتبه لذلك فقلت لهُ

مازحاً ايضاً انهُ بعد خمسة عشر يوماً تموت فذهب وفي اليوم الثاني لم يعد للشغل وعندما كنا في فرصة الظهر اتت امرأتهُ الى والدتي وقالت لها ان زوجها طريح الفراش وقد قالت لها انهُ سيموت بعد خمسة عشر يوماً لان شاكر اخبره بذلك ويعلم هذا من كتاب عنده يدل على العمر وقد اخبر جارنا ابو فتولي انهُ بعد ثمانية ايام يموت وقد صح هذا فعلاً كما قال فهذه المرأة ترجت والدتي ان تسألني عما اذا كان ذلك حقيقياً فعندما اخبرتني والدتي تكدرت جداً وعرفت ان مثل هذه الامور مع سخيفي العقول تؤثر جداً وافتكرت انهُ اذا قلت لها ان هذا الامر مذح ولا صحة له وان لا احد يعرف تلك الساعة الا الاب وحده كما يقول الانجيل فلا تصدقني لان ذلك اثر في عقل زوجها وخصوصاً لانهُ شاهد قصة جاره فلم يمكن زوال هذا التاثير من فكره الا بنفس العمل ذاته فاجبت حينئذ امرأتهُ انني ساعيد نظري في الكتاب اجلسي هنا لارى ذلك فحينئذ اخذت الكتاب وتاملت فيهِ وقلت لها قولي لزوجك انني غلطان فليس خمسة عشر يوماً بل خمسة عشر سنة اذهبي وقولي له ان يحضر حالاً يشتغل مع الفعلة فرجعت المرأة فرحة وبعد خمسة دقائق رجع الرجل حاملاً معولهُ يشتغل مع الفعلة تامل ماذا يفعل الوهم في قلوب السذج وكم من الاضرار تفعله بهم المبصرون والعرافون فبعد ذلك اخذت اتكلم امام الفعلة وامام السنيور ان كلما كنت اقولهُ لكم هو لاجل المزح ولا صحة لذلك ولا عدتم تصدقون كلمن يكلمكم بالغيب لانهُ لا يعرف الغيب الا الله وكنت ابذل جهدي لازيل الوهم من عقول هؤلاء ولكن السنيور بقي معتقداً بذلك حيث شاهد حادثة جاره ومن الغرائب ايضاً انهُ بعد رجوعي من مصر وغربتي عن بكاسين مدة طويلة رجعت اليها ورأيت بين الجمهور الذي اتى للسلام عليَّ كعادة البلاد زوجة السنيور فسألتها عنهُ فاجابت انهُ توفي بعد خمسة عشر سنة كما قلت لهُ وانهُ كان يردد ذلك دائماً انهُ بعد خمسة عشر سنة كما قال لي شاكر ساموت فسألتها عن اسباب موتهِ والمرض الذي مات فيه قالت انهُ سقط على راسهِ من محل عال وتوفي فارتاح فكري حينئذ ان سبب موتهِ ليس من الوهم الذي توهمه مني ولكن بالصدفة مثلما حدث لموت جاره مع المغربي

فليحترس كل ذي علم او من يعتقد فيه ان يزرع اوهاماً في مستشيريه متى كانوا ضعفاء العقول اوعقلاء. وكانوا مصابين لان المصاب لا عقل لهُ ولو كان عاقلاً

مدرستي في بكاسين

وعندما دخل فصل الشتاء، وآيست من كل مصلحة او وظيفة في تلك السنة وكان طبعي يابى القعود بدون شغل ففكرت بامر يلهيني في ذلك الشتاء، فخطر ببالي ان اعمل مدرسة واجمع فيها اولاد القرية لكي اعلمهم اللغة الافرنسية وكان اخي المرحوم خليل يومئذ موجوداً في البيت وكان ماهر في اللغة العربية فجعلتهُ ان يعلم معي الصفوف العربية ولهذا المشروع كانت القرية في غاية الاحتياج لعدم وجود مدرسة ليس في بكاسين فقط بل في كل تلك النواحي تعلم فيها الافرنسية اونحو العربية فابتدات اولا بجمع اولاد العائلة ثم بعض اولاد من اهالي القرية وجعلنا الراتب عن كل واحد ثلاثين غرشاً شهرياً لاجل علم الافرنسية والعربية وقد جعلت الاوضة الشمالية من بيتنا مدرسة حيث لا لزوم لنا فيها وهذا المحل كان كافياً لصف ابتدائي

وقد كنت اعلم الافرنسية قبل الظهر والمرحوم اخي خليل يعلم العربية بعد الظهر وقد اشتهرت هذه المدرسة وكان يحضرها اناس من جزين يقيمون عند اقاربهم في بكاسين ومن اولاد العائلة الذين تتلمذوا لي اذ ذاك هم :

نعمان بك ابن يوسف بك مبارك وهو اليوم قنصل دولة فرنسة في ماغدور في مراكش

فرح آغا ابن الخوري اسطفان وهو اليوم مدير فتوح كسروان

سليمان بن شهدان الخوري خيال القضا سابقاً

سليم بن مرعي ريشا الخوري مستنطق ادارة البوليس في بيروت سابقاً

رشيد بن فرنسيس الخوري وهو اليوم القس عمنوئيل رئيس دير الناعمة سابقاً

حبيب ابن الخوري اسطفان تاجر في بكاسين

يعقوب ابن الخوري اسطفان توفي راهباً

ملحم بن يوسف بك ناصيف مدير دير القمر

درس هؤلاء التلامذة

كان مبادئ القراءة الفرنسية وتصريف الافعال العربية ومبادئ الحساب وكل ذلك بمدة ستة او سبعة اشهر وهذه المدة وفرت عليهم سنة مدرسية في المدارس العالية التي دخلوها في بيروت وغيرها

ولما وفد ايار واقبل الربيع مللت من الاقامة وضجرت من هذه الحالة فحررت الى والدي وكان عضوا في مجلس الادارة في بيت الدين استأذنهُ بالتوجه الى بيروت لاجل تدبير مصلحة لان حالة المدرسة ما هي الا وقتية لا اعتمد عليها للمستقبل

طلبي رفيقاً لمهندس لبنان

عندما حررت لوالدي هذا التحرير أمرني ان ارفع عرضاً بالافرنسية لدولة داود باشا متصرف لبنان يتضمن طلب مصلحة ففعلت كما امرني وصرت انتظر الجواب ولما طال الوقت ولم ارَ نتيجة طلبت الاذن من والدي بالتوجه الى بتدين فذهبت بعدما أذن لي وسألتهُ ماذا صار في العرضحال اجابني ان كان مرادهُ ان يضعني عند مهندس المتصرفية لدراسة هذا الفن لانهُ ذو فائدة كبرى ولكن حال دون ذلك ان نعوم افندي قيقانو وكيل المتصرفية وضع احد اقربائه في هذا المحل وهو المهندس الشهير انطون افندي قيقانو الذي خدم المتصرفية كمهندس مدة ثم عُزل ثم أُعيد ثم عزل وهكذا بحيث شكرت الله الان لعدم توفيقي في الاستخدام في لبنان واخيراً طلبت الاذن من والدي وتوجهت الى بيروت لافتش عَلَى مصلحة

مستخدم الحكومة في لبنان

ما من عيشة امر ولا اخرة محزنة مثل مستخدمي لبنان وسبب ذلك ان كل الوظائف

متعلقه بارادة المتصرف كما قلنا ولا يعرف مايعجب دولتهِ ولا من يفسد عليه لديه ولا اي قنصل او مطران يرضى وكل متصرف جديد يريد ان يبدل المتوظفين القدماء ويعمل طقماً لحالهِ فجميع هذه الاحوال تجعل المتوظف لا ينام ليلاً ولانهاراً وكنت عندما احضر الى عند والدي لي دير القمر اراه يمض لياليه مع بعض مستخدمين من اصحابهِ بالسهر والاستفهام عما قال الباشا اليوم واية حركة عملها وهل تبسم بوجه فلان او عبس وما قال خادمه الخصوصي وكيف المسالة الفلانية وهكذا كنت انام وكذلك ينام المرحوم اخي خليل فكان والدي بيقظهُ لكي يتعلم المباحث السياسية ويقول لهُ ان اخاك لا يهمهُ ذلك واما انت فني السلك يلزم تعرفهُ

فكانت اول نعمة لي من عدم الاستخدام هو نومي مرتاحاً حاصلهُ كنت ارى نفس المتصرف بهموم واشغال مثل خادميه فحدث لي ان ازور هو نعوم باشا في بتدين عندما كنت ماراً عليها لاجل مدة الصيف في شهر تموز متوجهاً الى مصيفي في جبل طورا فدخلت عليه في اوضة معتمة وكان يوم بوسطة والحر شديد فجلست فقال لي اصبر حتى انهي هذا التحرير فبقيت نصف ساعة اخيراً طلبت الرخصة بالذهاب لان الحر كاد يخنقني فقال لي اصبر فصبرت الى الانتهى فقلت لدولته والله لو اعطي لي مركزك على شرط اصيف في هذه الغرفة لا اقبل وانا متوجه الى محل مرتفع ١٣٠٠ متر متفرعاً من ثيابي استنشق الهواء اريد انام او اقوم او اذهب وعندي فلاحون في ارضي كل منهم يخدمني بصدق وامانة وارى نفسي سعيداً اكثر من متصرف اقله انام مرتاح الفكر فتبسم وقال الحق معك فاية عيشة اقهر من عيشة مستخدم الحكومة يلزم يكون دائماً لابساً رسمياً يتكلم رسمياً اذا ضحك قالوا مهزاراً وان عبس قالوا متكبراً وهو في حالة لا يرتاح فكراً محبوساً اكثر من مجرم واما احواله المالية فهي عدم فاذا مشى باستقامة لا يكفيه معاشهُ وان مشى بخلاف ذلك انفضح وراى منه اكبر منهُ شلحة كلما جمع فالانتهاء واحد ومع هذا اذا عذل تكدر ومات عنقاً فالسعيد كما قال هارون الرشيد عندما سال احدى جلسائه من اسعد رجل فصار يقدم لهُ من جميع الطبقات وهارون يبين لهُ مصائب كل واحد اخيراً قال لهُ السعيد من لا نرانا ولا نراه واقول السعيد

من يستغني عنها معاشاً

دخولي في معمل الحرير في القرية

ففي يوم وصولي الى بيروت توجهت الى سوق الطويلة فقابلت المرحوم الشيخ قبلان الخوري الذي كان وكيلاً لمحل القرية في بيروت فسألني عن سبب مجيئي الى هناك فاخبرتهُ انني آتٍ لافتش عَلى شغل فقال لي اننا نحن ايضاً نفتش عَلى شخص نظيرك لكي يكون مدة مسواق الشرانق في معامل القريه ووظيفتهُ قيد وترجمة (الرجع) اي الوصولات بالشرانق التي ترسلها السماسرة الى المعامل وتسليمها للمكاربة وقبل التكلم عن معامل حل الحرير نذكر الموسيو فرتوني بورتاليس الذي ادخلهُ لبلادنا

فرتوني بورتاليس

الذي ادخل حل الحرير لبلادنا

هو ان اتيان بورتاليس الفرنساوي من مدينة اكس وكان والده وزير العدلية في عهد نابوليون الاول وهو الذي سن شرائع نابوليون او كود نابوليون المشهورة وعندما انقرض حكم نابوليون وعاد حكم الملكية سقط من منصبه واضطهد كثيراً وتوفي ولهُ خمسة اولاد

الاول اتيان باسم ابيهِ والثاني نقولا والثالث فرتوني والرابع روبر والخامس يوسف جاءوا بعد موت والدهم الى مصر ثم الى سوريا سكن اتيان حلب وتوفي فيها عن ولد اسمهُ ادوار الذي كان قنصل صيدا ولهُ ابنة تزوج بها الخواجه نخله زباني الشهير في صيدا

واما نقولا فعند حضوره الى سوريا وجد ان الحرير رخيصاً جداً وان لا تعرف اهل سوريا تحله فاعتمد ان يعمل كرخانة للحل فمنعهُ الامير بشير فاخيرا طلبهُ الشيخ عبد الملك الذي كان عدوا للامير بشير وباعه قطعة ارض في بتاتر باثني عشر الف غرش وهي محل الكرخانة اليوم وقد لامهُ الناس عَلى هذا المشترى الغالي ولكن عندما

عرفوا السبب عذروه واخيراً توجه نقولا راجعاً الى مصر واخبر اخوته عن الغنى الحقيقي في سوريا وهو الحرير فحضر مع اخوته الى سوريا وباع محل الكرخانة الى اخيهِ الخواجا فرتوني وعاد الى مصر ثم رجع الى سوريا وولد فيها ولداً اسمه ادوار وهو الان في يافا وابنة من اجمل البنات عرفتها جيداً وقد تزوج بها صديقي المسيو روسو عندما كان ترجمان اول في بيروت في قونصلاتو فرنسا والان قنصلها في بالرم بايطاليا

فرتوني او فورتينه

هو الذي اسس محل الكرخانة وعملها وابتدأ بحل الحرير فيها فهو اول من ادخل حل الحرير لبلادنا كما قلنا فكم من الجميل لهُ عَلَى هذه البلاد التي اصبحت زاهية بسبب الحرير لانهُ هو الصنف الوحيد الباقي لمعاشها وسنشرح ذلك فيما يلي

ولد فرتوني في فرنسا في آكس ١٨١٥ بعد وقعة واترلو واتى الى مصر ١٨٢٧ والى سوريا ١٨٣٨ وسكن بيروت وفيها استقبل الاخت جلاس رئيسة الراهبات اللعازريات وهي اول راهبة من جنسها دخلت سوريا وقد اعطاهنَّ بيته واخبرتني هذا الرئيسة جلاس نفسها

وقد سكن بتانر سنة ١٨٤٧ وابتدأ يشتغل بالحرير وكان لا يعطي الدراهم لاجل المواسم سلفاً بسند او كمبيالة بل بالامانة وقد كان يتفق في بعض الاحيان ان بعض السماسرة او اصحاب الاملاك ينكرون المبلغ فعندئذٍ كان يرتضي منهم باليمين فقط وذلك بوضع يدهم عَلَى الانجيل الذي كان عنده عَلَى طاولتهِ وحلفهم بعدم اخذهم الدراهم

فكان يشعر المنكر عند حلف اليمين ووضع يده عَلَى الطاولة بارتعاش عظيم ويقرّ بساعتهِ وسبب ذلك ان فرتوني كان صاحب عقل وجد ان التشكي والدعاوي متعبة وطويلة وتخسر اكثر وحيث اشغاله كثيرة لا يوجد وقت لهكذا امور وملزوم ان يسلف عَلَى الشرانق اخيراً جهز جهازاً كهربائياً ووضعهُ تحت الطاولة وانفذ الطيار الى الانجيل بحيث كل من لمس الانجيل يشعر بالتيار الكهربائي ويرتعش بدون ان يعرف السبب الا نكرانه للدراهم فيقر وبهذه الطريقة زاد ايمان الناكرين بالانجيل وفرتوني

ارجع دراهمه

هذا وله جملة نوادر واحاديث يضرب بها المثل في بلادنا وكانت وفاته فجأة في بتاتر في ايام كثيرة الثلج فتوجه الدكتور سنس بطلب له فلم يدركه فاحضروهُ الى بيروت ودفن في تربة اللاتين وذلك في ١٠ شباط ١٨٨٢ ومعهُ وسام الجيون دونار وله ولد وجملة بنات

بروسبر بورتاليس

هو ابن فرتوني ولد في بتاتر ١٨٥٥ وتخرَّج في فرنسا وبعد ان خدم مدته العسكرية عاد الى بلادنا ووسع شغلهُ وفاق والده في المهارة والشغل والعفرتة حتى صاروا يترحموا عَلَى الوالد

فبالحقيقة ان بروسبر هو امهر رجل بين ارباب المعامل وقد فاق والدهُ لان والده عندما كان يشتغل كان وحده اما الان فقد كثرت المعامل ورغماً عن ذلك فبروسبر لا يزال يزاحم معامل كثيرة من الحرير امتدت عندنا بكثرة وذلك كعادة اهل بلادنا متى عمل جارهم شيئاً تزاحموا وتراكضوا عليه ومع ذلك لم يزل معمل بروسبر اول معمل متقن وقد وصل الى ٢١٠ دواليب وحريزه دائماً يعد من الطبقة الاولى ومسواقهُ سنوياً ١٣٠ الف اقة شرانق

وقد تزوج بابنة اخته ابنة بانال وهي لينة العريكة ذكية لطيفة دمثة الاخلاق وبالاختصار من أحسن سيدات بلادنا وله منها ابنة وولد ذكر ولم يبق في بلادنا من عائلة بورتاليس الا بروسبر وقد اشترى سراي عبد الله باشا في راس بيروت وهي من اجمل المراكز يمضي فيها فصل الشتاء

واما الاخ الرابع لفرتوني فهو روبر وقد كان قوي البنية توفي مطعوناً في باتر لان خادمهُ مات بهذا المرض ولم يوجد من يدفنهُ فاخذه ودفنهُ ومن هذا سرت اليهِ العدوى فقضى شهيد المروءة

واما الخامس وهو يوسف فهذا هو الذي ادخل جمعية مار منصور الى سوريا وكان بتاجر مع أخيهِ نقولا في بيروت وتوفي عزباً وغاية ما أقصده بهذا الفصل هو تخليد

مآثر هذه العائلة الكريمة وشكرها على ما نفعت بهِ بلادنا وخدمتها بتقدم هذه الصناعة التي احيت البلاد وكذلك انوه هنا بالمساعـدات التي اظهرها الشهم الهمام بروسبر لكل ضعيف وفقير فهذا الشهم هو صديق صديقهِ يعتمد عليه في الاحوال الحرجة

معامل القرية

ان هذه المعامل انشئت في لبنان لاجل نسج الحرير وهي تخص محل بلوا وتستنوار في ليون وهو اعظم محل تجاري للحرير ولهُ وكيل من قبلهم يسكن القرية محل المعامل ولهم محل وكالة في بيروت كان فيها المرحوم الشيخ قبلان وهو تحت ادارة الوكيل الاصلي الذي كان اسمهُ يومئذ الخواجه كروزه فاخبرني الشيخ قبلان ان اتوجه لعنده الى المكتب وهناك يقدمني للخواجـه كروزه و ينظر ترجمتي من العربية للفرنساوية ومن الفرنساوية للعربية فتوجهت بعد الظهر فاعطاني الشيخ قبلان مقاولة بين المحل و بين سمسار من السماسرة الكبار اسمه غنطوس ثابت من بحمدون لترجمتها من الفرنساوي الى العربي فترجمتها حالاً فاعجبت الترجمة الشيخ قبلان الذي اخذني وقدمني للخواجه كروزه الذي عيني بمعاش خمسة ليرات افرنسية وان ابقى حينئذ في بيروت حتى يصير المسواق في الجبل وحينئذ اطلع الى القرية واخبرني ان هذه المصلحة وقتية في المسواق واذا وافقتهم يمكن ان يعينـوني في المحل وكنت انام في محل براس النبع في بيت الحداد وكانت هناك عمتي شات التي حضرت لاجل تطبيب عينيها وكنت اتوجه كل يوم الى المحل وكان عند العصر يامرني الخواجه كروزه ان استاجر حصاناً على حساب المحـل واتوجه لقرب معـامل الحرير الموجودة في بيروت لاجل الاستخبار سرّاً عن اسعار الشرانق بدون ان يعرفني احد من المحل فكنت اتوجه من جهة الى اخرى واستخبر من المكار بهِ واطلع على الوصولات التي بيدهم لاعرف اسعار الشرانق وعندما كنت اخبر الخواجه كروزه بما فعلته كان ينشرح جداً من ادارتي وكذلك الشيخ قبلان

وكان دخولي في محل القرية في ١٧ ايار سنة ١٨٦٧ فبقينا في بيروت الى اول حزيران وتوجهنا الى القرية وقد وضعنا الخواجه كروزه في بيت الخواجه سماران مدير

احد المعامل المسما بمعمل ت لان هناك يوجد جملة معامل يسمى كل معمل بحرف من الاحرف

الخواجه ساران

كان هذا المدير بسن ستين سنة وكان لهُ ولدان الاكبر اسمه اغوستوس وكان معي في الشغل ووظيفتهُ تقييد الشرانق الداخلة بعد وزنها واعطاء الرجع الى المكار بهِ بعد ان اترجمها لهم وهذه وظيفتي وكان له ولدًا صغيرًا جدًا وكان اسم زوجتهِ دالفين فكنت اكل مع هذه الاسرة وادفع كل يوم ثمانية غروش وانام في حجرة لوحدي في البيت ذاته الذي هو ملك المحل

اكلنا لحم الكلب الصغير

ففي ذات يوم ونحن على المائدة تقدم لنا شكل لحم مع صلصه بذوق افرنجي فبعد انتهاء الاكل سألني مسيو اغوستوس اذا كان هذا الشكل لذيذًا فاجبتهُ نعم فاجابني اتعرف لحم اي شيء هو قلت أليس هو لحم غنم فاجابني كلا بل هو لحم جرو كلب مولود من خمسة اشهر وهذه اخوته الصغار وأشار اليها فعندما سمعت هذا الكلام انقلبت نفسي وجاشت وكدت ان استفرغ وقد اجتهدت ان اغالط فكري معتقدًا انهُ يمزح معي ولكني رايتهُ يضحك ويوكد المسالة فعندئذٍ رجوتهُ ان لا يخبرني في المستقبل عما اكلهُ

التوجه الى بيروت

وعند خلاص الشغل طلبت الرخصة من مسيو كروزه ان اتوجه الى بيروت فاعطاني اجرتي بزيادة عما كان شارطني عليها بحيث كلما دفعتهُ للخواجه ساران قيمة اكل اي ثمانية غروش كل يوم (واكل لحم الكلب خمسة عشر غرش) كان ذلك زيادة عن كل شيء، فودعنا الجميع وتوجهنا حالاً الى بيروت وقد وصلناها ليلاً وكان وصولي في ٤ تموز مساء

ملحوظاتي على شغل الشرانق

فمن سوء حظ لبنان وخصوصاً جرده انهُ لا ينمو فيه سوى التوت والزيتون والكرم فمحصولات الزيتون كل سنتين مرة على الغالب ولا يمكن تصريفها دفعة واحدة فلهذا لا يشعر الفلاح بلذة دخله وناهيك عن الاضرار والاخطار الاواني التي يوضع فيها الزيت ككسر وحريق وغيره

ومن اسباب عدم النجاح في زراعة الزيتون في اعالي واواسط لبنان هو ما يفاجئه من طوارئ البرد والثلج والهواء اذ يتكسر او ييبس او ينفرط حمله وكذلك اطالة المدة لنموه واستغلالهِ

واما الكرم الذي يعطي اثمارًا جيدة في لبنان فقد قل من يحسن استثماره جيدا وذلك لان اكثره يؤكل عنباً فيباع رخيصاً جدا ولا يوجد معامل متقنة لعمل النبيذ والعرق و باقي الاستحضارات واذا افترضنا وجود المعامل فتصريف الاستحضارات يكون باسعار دنية لان البلاد حارة والاهالي غير معتادة على شرب النبيذ

واما التوت الذي يعيش في كل انحاء لبنان فان محصوله يقبض دفعة واحدة فيشعر الفلاح او صاحب الملك بلذة اذ يقبض مبلغاً كبيرا من الدراهم غير انهُ يوجد آفة عظيمة للتوت وهي استحلال سرقته فتبتدى سرقتهِ من السمسار للفلاح ومن صاحب المعمل للسمسار ومن الاوربيين لصاحب المعمل والاشتغال بتجارة الحرير كمن يشتغل في لعب القمار فهو لا يعرف اي متى يكسب او اي متى يخسر فمكسبهُ عظيم وخسارتهُ اعظم بحيث اغلب اهل بلادنا الذين اشتغلوا في هذا الصنف خسروا اموالهم واحوالهم حتى ان هذا المحل الشهير محل القرية ابطلتهُ اصحابهُ نظرًا لسنين حصلت لهم خسائر عظيمة

والخسارة الاعظم في هذه الايام لاصحاب التوت في لبنان هي الاكلاف العظيمة التي يتكبدونها فغرست التوت تكلف في الجبل نحو من عشرين غرشاً لنقب الارض وعمار الحيطان وبنيان البيوت

اما في الاراضي السهلة كالبقاع مثلاً او في ساحل بيروت وصيدا فلا يكلف

غرس النصبة اكثر من عشرين من الفضة اي جزء من اربعين لما تكلفه النصبة في لبنان فاين المزاحمة من اغراس لبنان بالنسبة لسواحلها فلذلك يسهل على اهل الساحل ان يبيعوا شرانقهم بارخص الاثمان بالنسبة لاهل الجرد

واما الضربة القاضية على التوت في لبنان فهي المهاجرة التي لم تبق فلاحاً في الجبل لاجل تربية الحرير بحيث بادت اكثر الارزاق

رجوعي الى بيروت

ففي ثاني يوم وصولي اليها توجهت لمقابلة الشيخ قبلان صاحبنا وسالتهُ اذا كان يوجد لنا محل حيث انتهينا من القرية فوعدنا متى وجد شيئاً يخبرنا

وكان الشيخ قبلان مع اخويه المرحومين الشيخ افندي والشيخ لويس من اعز اصحابي ورفاقي في مدرسة عين طورا فكنت دائماً معهم وبقيت في بيروت حتى اصبت بداء الدوسنطاريا

مرضي في بيروت

وكنت انام في راس النبع وعندما علم والدي ارسل اخذني الى الدير ومنها الى بكاسين وفي احد الايام توجهت الى جزين وقابلت اسكندر المعوشي الذي كان مستعداً للذهاب الى مصر لعند اخيه الدكتور سليم المعوشي فقال لي تعالى معي لنتعلم الطب في مصر فحررت حالا الى والدي ليطلب لي تحريراً من داود باشا لاتوجه الى مصر لاجل الدخول في المدرسة الطبية وقد اخبرني فيما بعد انهُ عندما وصله تحريري هذا اضطرب فكره

وفيما هو في هذه الحالة مر بجانبهِ داود باشا الذي كان في بعض الاحيان يمزح معهُ فلما راه في هذه الحالة ساله عن انشغال فكره فاجابهُ انني محرر له ان مرادي ان اتوجه لمصر لاتعلم الطب وانهُ اذا حسن لديهِ ان يامر بتحرير توصية فحالا امر دولتلو احمد بك رئيس قلم التركي ان يحرر تحريراً بهذا الخصوص و يسلمه لوالدي وعندما استلم والدي التحرير ارسل يخبرني لكي استعد للسفر لمصر فحينئذ حررت الى

اخينا اسكندر المعوشي واخبرته بذلك وان يلاقينا الى بتدين لاجل السفر سوية وبعدئذ توجهت الى بتدين وقد لاقاني هناك اسكندر افندي ومنها توجهنا الى بيروت وصورة التحرير الذي ارسله داود باشا لمصر لم تزل محفوظةً عندي للان وهذا نصهُ :

صورة تحرير داود باشا لداخلية مصر

لادخالي في المدرسة الطبية

ان يوسف افندي الخوري من اعضاء مجلس الادارة الكبير من جبل لبنان قدم عرضحالاً يستدعي بهِ وقوع الالتماس من طرف هذا العاجز لمقامكم السامي بقبول ولده شاكر في المدرسة الطبية بمصر كونه متعلم اللغتين الفرنساوية والانكليزية وبما ان هكذا اشخاص عندهم رغبة لاكتساب الصنائع والمعارف وان كافة الحكومات السنية فاتحة ابواب لطفها لقبولهم وكما انهُ عارٍ من الشك والاشتباه ان مدينة القاهرة العالية هي جامعة كافة العلوم والمعارف وهي الوطن الحقيقي لكافة الاداب فبناء عَلَى هذا الاعتقاد صار ارسال الولد المرقوم بهذه المدة الى طرفكم العالي وعَلَى هذه الصورة مساعدة واسعاف آمال هذا العاجز منوطة بامر مكارمكم وبكل حال الامر لحضرة من له الامر

في ٢ ت ١ سنة ١٨٦٧	الامضاء	متصرف جبل لبنان داوود

وهذا التحرير كان بالتركية الى وزير داخلية مصر

ساعة الوداع

لم ارَ شيئاً كانت رؤيتهُ مهولة في عينيَّ اشدّ من هذه الساعة التي هي رمزٌ عن فراق الدنيا فكنت انظر وجه والدي فاراهُ عبوساً يبتسم بالرغم عنهُ وعندما كان يوصيني كنت ارى عيونهُ غائصةً بالدموع ولكنهُ كان يكتم ذلك خوفاً من

ان اتأثر ففي ذلك الزمن ما كنت اعرف ما عند الوالد للولد مثل اليوم اما اليوم فاقيس عَلَى نفسي لان لي اولاداً ولكن نظراً لعقله كان يفضل صالحي المستقبل عَلَى احساساتهِ الابوية

وآخر ما قال لي ان مدتك ستكون طويلةً في مصر فمن يعرف اذا كنت اراك او تراني وعند هذا الكلام لم يمكنهُ ان يضبط نفسهُ عن البكاء ولا انا ايضاً واخيراً تفارقنا وعيوننا تلتفت كل دقيقة الى الوراء ورفيقي يشجعني وقد كنا واضعين نصب عيوننا البلاد الجديدة وما سنراه فيها فوصلنا الى بيروت ومنها ركبنا البحر ووجهتنا مصر القاهرة

سفرنا الى مصر

السبت في ١٩ ت ١ سنة ١٨٦٧ في الفابور المسكوبي

ففي اليوم الثاني توجهنا الى المدينة وجهزنا ما نحتاجهُ للسفر وكان مع رفيقي اسكندر تبغ لاجل اخيه في مصر فمن بعد ان دفع رسوم الجمرك يومئذٍ توجهنا الى الفابور

وعندما دخلنا الفابور مساء واخذنا محلنا وابتدأنا ننظر اخر نظرة للبلاد ولكن كان فكرنا مشغولاً في البلاد الجديدة و بعد غروب الشمس ابحر الفابور و بعد خمسة دقائق من سيره ابتدأت حركات القيء معي وشعرت بدوار لم يمكني من قعودي جالساً ولا التمدد عَلَى ظهري بل تسطحت عَلَى وجهي ويدي كابسة عَلَى معدتي فبقيت طول الليل في هذا الحال وفي اليوم الثاني صباحاً اردت ان اجرب نفسي بالنهوض ولكنني شعرت بقيء اشد من الاول وكنت اتمنى لو دام الليل لان النوم كان يريحني جداً واما رفيقي فعندما رآني في حالة القيء ابتدأ يضحك

ولكن في اليوم الثاني وجدتهُ في الحالة نفسها التي كنت فيها و بقينا عَلَى هذه الحالة الى ان وصلنا الى يافا التي هي اخطر مينة في البلاد ورغماً عن خطرها نزلنا الى البر املاً بانهُ يمكننا الاكل والشرب وعندما نزلنا الى الفلك الصغير كانت كل موجة من

البحرانية علينا نظنها جبلاً مقبلاً منغرق باسفله اما الزورق فكان يعلو فوق الامواج ثم ينزل الى اسفل فنبقى كاننا في واد بين جبلين من الماء وقد تصورت في فكري بني اسرائيل عند مرورهم في البحر الاحمر ورغماً عن هذه الحركات القوية ذهب عني القيء والدوخة وكل شيء فحالاً طلبت السيكارة واطمئنيت من رواق البحرية وعدم اكتراثهم في هذه الامواج بل كانوا يضحكون ولا يغفلون عن قبض العملة من المسافرين وويل لمن لا يشارطهم قبل النزول لانهم ياخذون منهُ ما يستطيعون من الدراهم لان المسافر عندما يرى نفسهُ في هذه الحالة يدفع لهم ما يطلبونه واحياناً برجوعهم للمسافرين من البر يقون لقرب سفر الفابور ويبتدأون بالتأخر في المسير حتى يتهيج الراكب ويدفع لهم مقداراً عظيماً حتى لا يفوتهُ الفابور وقبل الدخول في البر وصلنا الى بين صخور ضخمة بحيث كانت الامواج تقذفنا نحوها لولا مهارة البحرية فبالحقيقة انهم من امهر البحرية ولولا ذلك لما امكنهم الخوض في هذه المينا

ولياقا منظر جميل من جهة البحر في انها مبنية على تلال و بيوتها فوق بعضها بحيث يمكن لكل سطح ان يكون داراً لبيت آخر وهذا المنظر الخارجي بعكس منظرها الداخلي كما سنرى من تاريخ يافا

يافا

لفظة سريانية معناها الجميلة

ان هذه المدينة قديمة جداً وقد ذكرها التاريخ المقدس بهذا الاسم في سفر الايام الثاني الاصحاح الثاني عدد ١٦ حينما ارسل حيرام ملك صور ارز لبنان الى سليمان لبناء الهيكل ومنها نزل يونان النبي كما في الاصحاح الاول عدد ٣ ليونان وفيها راى بطرس الحلم واقام طابيطا من الموت اعمال الرسل اصحاح العاشر والخامس عدد ٢٤ وفيها جرت قصة اندروماد رواها القديس جوروموس ومنها توجهت مريم العذراء مع يوحنا الى افسوس وفيها تحارب قلب السبع ايام الصليبية مع صلاح الدين الايوبي وقد عمر اسوارها ثانية مار لويس وفيها ولدت ابنتهُ بلانش وفيها بلغهُ خبر موت والدته

وفي سنة ١٧٩٩ فتحها نابوليون الاول وقد فتحها ابراهيم باشا الخديوي المصري ولها تاريخ قديم جداً و يوجد فيها نحو اربعماية او خمسماية بستان واهمية مركزها بالماء الموجودة في البساتين ويمكن اصلاح ميناها ومن قرأ سفر المكابيين الثاني الاصحاح الثاني عشر والثالث عدد ٨ يعرف عوائد بحريتها وما لهم من سوء المعاملة مع الزوار وانهم اشطر والعن بحارة الدنيا

فهذه المدينة هي ميناء القدس ويوجد بعدها سهل سارون اي المشقوقة وهو السهل الذي حرق فيهِ شمشون زرع الفلسطنين و بعد هذا السهل توجد الرملة

وكان لي معارف في يافا وهم ارفاقي في مدرسة عينطوره ومدرسة البستاني وعرفت لما كنت في مدرسة البستاني وليم خياط وهو الانَ في كونسلاتو انكلتره في القدس

وكان اول اهتمامي بدخولي يافا هو الاكل حيث ما امكنني الاكل في الفابور وبقيت في المدينة مدة ليتمَّ الهضم عندي قبل النزول الى الفابور الذي نزلت اليهِ قبل ميعاده خوفاً من ازدحام البحرية الذي لم ارَ منهم الا كل معاملة حسنة وعند سفر الفابور مساء عاد اليَّ دوار البحر واصابني كالاول وبقينا هكذا الى ان وصلنا في اليوم الثالث من سفرنا من بيروت الى مدينة بورت سعيد التي هي اول مدينة من مصر لجهة بلادنا

جغرافية مصر

واسمها

ان اسم مصر على حسب اللغة القديمة واللغة القبطية خيم اي الارض السوداء و بالحقيقة هكذا لان كل ارضها سوداء والعبرانيون يسموها مصرائيم ومعناها المصران وفيها علامة الجمع التي هي الميم في العبرانية ربما يعنون فيها مصر العليا والمتوسطة والسفلى وربما تسمت بذلك لهيه الاقنية التي كانت كالمصارين والاسم اليوناني ايجيبتيس يدل على ذلك لان اليونان كانت دائماً تترجم معنى الاسم الى لغتها

وقبل تسمت بذلك باسم مصرايم بن حام بن نوح واليونانيون سموها ايجيبتس

اي بلاد الاقنية ربما بسبب الترع التي فيها وقيل باسم احد الملوك

(واما مركزها الجغرافي) فهي عبارة عن واد تحيط بها الجبال شرقاً وغرباً وتنقسم الى ثلاثة اقسام العليا وتسمى بالصعيد وهو الوجه القبلي والوسطى والسفلى الذي هو الوجه البحري الذي كان من قديم الزمان مغموراً بالماء وكل دولة قسمتها الى اقاليم بعضهم اوصلها الى اربع وعشرين واليونان اوصلتها الى سبعة وخمسين وتمدنها مشى مع النيل اي من الجنوب الى الشمال

سكان مصر

فالاستكشافات المصرية هي التاريخ الحقيقي لمصر وهي الاثباتات لصدق هذا المورخ او لتكذيب غيره فلاجل معرفة اصل المصريين نذكر ما قاله هيرودوتس انهم اتوا من شواطي بحر العجم بسبب زلازل وحضروا مع الفينقيين اللذين توجهوا الى سوريا والذي يثبت قول هيرودوتس ما قاله مسبرو في كتابه عن اصل المصريين صفحة ١٦ وقلنا ان المهاجر لا بد ان يأخذ معهُ ثلاثة امور لغتهُ ودينه واسمه فاذا فحصنا كما قال مسبرو عن اللغة المصرية نجدها لغة سامية تشبه الارامى والعبراني في اصولها وتركيبها الغراميطيقي واحد فاحد ازمان افعالها الاقدم والابسط مركب من الضمير المتصل المشابه اللغتين المذكورتين

وان لا شك ان اللغة المصرية والسريانية من اصل واحد تكونا في الاصل ثم مع الزمن والبعد ابتعدا فلننظر الان ان كانت هذه اللغة تشبه اللغة الهندية المسماة بالسنكري لانهُ يظن ان المصري والفينيقي اتيا من الهند وسكنا شاطىء بحر العجم ولاجل اثبات ذلك نذكر اولاً شيئاً ما عن الهنود وعن عوايدهم وديانتهم ولننظر في اذا كانت تشابه المصريين وقبل الدخول بذلك نذكر اكتشاف اللغة المصرية الهيروكليفية لاجل البحث والنظر في قواعدها

ذكر بعض المؤرخين ومن جملتهم هيرودوتس ان المصريين اتوا من جهة خليج العجم بسبب زلازل وكذلك سكان فينيقيا اتوا من هناك والاصل من الهند

فقبل الابتدى بتاريخ مصر نذكر شيئاً عن الهند وعن لغتها وعوايدها واسباب

مهاجرة اهلها لكي ترى حقيقة ما رواه هيرودوتوس المؤرخ

كشف اللغة الهيروكليفية

حجر رشيد

ان هذا الحجر الموجود الان في المتحف البريطاني وقد رأيته مدة زيارتي لوندره في ايلول سنة ١٩٠٣ قد اكتشف مدة نابوليون الاول بقرب رشيد سنة ١٧٩٩ وعلى هذا الحجر ثلاث كتابات الاولى في اللغة الهيروكليفية والثانية في اللغة العامية الديموتيقية والثالثة في اللغة اليونانية

والذي كشف هذا الحجر هو ضابط فرنساوي اسمهُ بوسار Boussard واهداه الى مجمع العلوم الفرنساوية في القاهرة ولما خرجت الجنود الفرنساوية من مصر وضع الجنرال هتشونسون الانكليزي يده على ذلك الحجر واهداه الى المتحف البريطاني في لندن ولم يزل هناك الى اليوم طوله ثلاثة اقدام وقيراطان وعرضه قدمان وخمسة قراريط وفي سنة ١٨٠٣ رسمت جمعية العاديات صورته ووزعتها على جمهور العلماء فترجمتها اليونانية تدل على تشكر من كهنة ممف الى بطوليمايس الابيفانس سنه ١٩٤ قبل المسيح لانهُ انعم عليهم واما القراءة الهيروكليفية فلم يعرفها احد وبقي كشف اسرار هذه اللغة الى سنة ١٨١٨ الذي تمكن منهُ الرجل الفرنساوي شمبولون الذي درس اللغة القبطية التي هي لغة المصريين القدماء

ومن ذلك الوقت امكن كشف تاريخ مصر الحقيقي فكان شرف وجود هذا الحجر واكتشاف لغته محفوظين للفرنساويين ولو كان في لوندره

الهند مركز الجنس البشري

قال بعضهم ان الهند مركز الجنس البشري ومهده ومن هناك تفرق على كرة الارض ولاجل معرفة اسباب هذا التفريق يلزم ان نعرف عوائد الهنود وترتيبهم

ولغتهم

رتب الهنود

كانت تنقسم الهنود الى اربع طبقات الاولى البراهمة اي ارباب الدين الثانية الحكام الثالثة التجار الرابعة الصناع ولكل من هذه الطبقات قوانين ونظامات لا يمكن تجاوزها فكان حاجز عظيم بين كل رتبة بحيث لا يمكن انتقال واحد من رتبة الى رتبة اخرى

وعندما كان احد يتجاوز و يخالف قانون طبقتهِ كان يعاقب باشد القصاص واعظم قصاص لهُ كان طرده من الهيئة الاجتماعية بحيث لا يكلمهُ ولا يقبلهُ ولا يطعمهُ ولا يسقيه ولا يساكنهُ احد فلاجل ذلك كان يهرب الى البرية و يأكل الاعشاب و يصطاد الحيوانات

وقيل انهم كانوا يغيرون لهُ كل عوائدهِ وخصوصاً الكتابة التي كانت من اليسار الى اليمين صارت من اليمين الى اليسار وكان بسبب تركه تكثر عليه الاوساخ والامراض واخصها امراض القلفة التي كانوا يلتزمون لقطعها وهذا هو ابتداء الختان

وعندما كثر هولاء المحرومون واجتمعوا من كل طبقة رحلوا من الهند لجهة الغرب واتوا الى خليج العجم حيث التاريخ ابتدا فيهم من هناك

اما القسم الاخر من الهند الذي دخل لجهة اوروبا كان من الهنود الاصليين الذين بقوا حافظين لغتهم وعوائدهم ودياناتهم التي تنوعت مع الزمن

لغتهم

ان اللغه الاصلية للهنود هي السنسكريه التي فيها دياناتهم المقدسة والتي اثارها باقية للان في اللغات الاوربية وخصوصاً اليونانية

دين الهنود

كانت الهنود تعبد الهاً واحداً تعطي لهُ جميع صفات الالوهية ولكن كانوا مثل باقي الوثنيين يشخصون الصفات مثلاً من صفات الخالق القوة فكانوا يجعلون صنماً يسمونهُ اله القوة وهكذا لكل صفة وان هذه الالهة ثانوية خاضعة لاله اصلي واحد فالاله الاصلي الذي كان عند الهنود هو الزمن لانهم كانوا يقولون اله سرمدي لا ابتداء لهُ ولا نهاية وهو الخالق والحافظ والملاشي والمحيي والمميت وكل شيء يظهر يكون منهُ وقد قسموا الزمن الى ثلاثة ماضي وحاضر ومستقبل فالماضي سموه الخالق وهو برا لانه زمن الخلقة مضى

والثاني الحاضر وسموه الحافظ لانهُ يحفظ الهيئة الموجودة واسمه فيكنو

والثالث المستقبل وهو الملاشي لان كل شيء يتلاشى في المستقبل واسمهُ سليفه وهذه الثلاثة هي واحد وهو الزمن ومن ذلك اتى التثليث والتوحيد عند الهنود وهم المدعوون بالدهر بين الذين قيل عنهم وما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر

وأما المشرع العظيم عندهم يدعى مانو اي الرجل الطاهر وكانوا يعتقدون ان هذا الاله يغضب و يقاصص وُينعم ولذلك كانوا يردون غضبهُ او يستمطرون نعمهُ بالهدايا والضحايا والصوم والصلواة والتقشف فاصبحت البراهمة الوسيط الوحيد بين الالهة والبشر فكانوا يقدمون الذبايح و يرتبون الاعياد باحتفالات ولا يخفى ما كان لهم من السلطة والغنى والاكرام

براهين مهاجرتهم

من المعلوم اذا تغرب الانسان الى بلاد اخرى يأخذ معهُ ثلاثة لغتهُ وعوائده ودينهُ ومتى كان فاتحاً متسلطاً يعطي هذه الامور الثلاثة الى الذين تحت سلطتهِ فاذا فحصنا شعوب اوروبا واسمائها واسماء آلهتها نرى انها آتية من لغةٍ غريبة عن لغتهم

الحالية التي لا معنى عندها في هذه الاسماء مثلاً لفظة المانيا ليس لها معنى في لغتها الالمانية ولكن لغة السنكري الهندية تفسر معناها الذي هو (آلي ماني) اى الرجال الاشداء وكذلك لفظة (بلجيك) فان معناها سكان الغابات ولفظة (هلان) التي هي عبارة عن اصل اليونان فان هذه اللفظة سنسكريه معناها القمر لانهم كانوا يعبدون القمر وعلمهم الذى اخذته الاتراك كان عليه رسم الهلال و بينما كان احد السلاطين العثمانيين ليلاً في الخارج راى نجمة في وسط هلال القمر فامر ان تضاف الى هلال العلم وهذا هو العلم العثماني آلان

اسماء الالهة

ان اسماء الالهة عند اليونان هي سنسكريه فالاله الاكبر عندهم اسمهُ جو بتر الذي لا معنى لهُ في لغتهم واما في السنكرية هو مركب من زابس باتر Zeus Pater اي الاله الاب ومنهم اخذت اللاتينيون لفظة Deus فالاله الاول عند الهنود كان لهُ اسمان اسم قبل الخليقة وهو zeus pater و بعد الخليقة اسمهُ (برا) وربما ان تكون لفظة برا بالعربية ماخوذة من هناك وكذلك اسم Hereu الذي معناه الاه القوة وهكذا في باقي الالهة اليونانية وفي لغتهم ايضاً التي لم تزل العلماء تبحث فيها وتثبت اصلها السنكري

فلنرجع الى المصريين ونبرهن عن اصلهم الديني وقد قلنا ان الهنود كانت تعبد الزمن كما قلنا فالمصريون وجدوا ان ميزان الزمن هو الشمس لانها كانت تقسم الزمن الى ليل ونهار شتاء وصيف ولها تاثير على حياة النبات والحيوان والمعدن فعبدوها وثلثوها وسمتها اليونان عند الشروق هرمخيس اي شمس الافقين الشارقة والغاربة وسمتها المصريون هرمخوتى وعملوا ابو الهول تمثالاً لها وعند الظهر سموها را وعند الغروب سموها اوزوريس

وهي عبارة عن الشمس المغربه وهذه الثلاثة هي واحد فهذا هو التثليث المصري و يوجد تثليث آخر يسمى بتثليث مانف وهو عبارة عن الاب والام والابن وإذا

قرأة في الكتب الدينية قوانين الذبايح تلقاها واحدة في الهند ومصر حتى اسماء المشرعين هي واحدة مانو عند الهنود ومانس عند المصريين ما هو الا بعض تحريف فاذا حصلت دراسه جديده وقوبلت لغات وديانات وشرائع الهنود والمصريين ربما يرون براهين جديدة اقوى

ديانة المصريين القدماء

قد أخذت هذه الديانة عن عبادة الشمس وللشمس تاثير عظيم عَلَى ديانة وافكار المصريين وحياتهم فعندما نظروا الشمس تشرق وتكون باعظم قوتها عند الظهر ثم تغرب وتختفي في البحر و بعد ١٢ ساعة تولد ثانية قسموا حياتهم واعتقادهم عَلَى ذلك ان بعد ولادتهم ينمون ثم يموتون ثم يقومون وعملا لكل قسم في هذه الادوار الهة وقسموها الى ثلاثة اقسام الهة سماوية والهة ارضية والهة اموات

فالسماوية هي الشمس اورا والارضية هي سيب الارض ثم النيل

والهة الاموات ازيريس وخلافه وكان لكل اقليم الاه فالمكرم في منفيس محتقر في اقليم اخر ولكن الجميع يقرّون بالشمس

وكما قلنا ان الهنود كانت تعبد الزمن وتقسمهُ الى ثلاثة الهة والثلاثة واحد كذلك عبدت المصريون الشمس التي هي مقسمة الزمن الى فصول ونهار وليل فعبدوها عند شروقها باسم هور وعند الظهر باسم را وعند الغروب باسم ازوريس والثلاثة واحد وهي الشمس فهذا هو التثليث عندهم و يوجد تثاليث اخرى وحيث ازوريس هي الشمس المغربة اعني عند موتها سموه الاه الاموات وعنده ٤٢ قاضٍ ليدينوا الاموات و يحكمون عليهم بالهلاك او بالسعادة بالهلاك اعني الموت الثاني الابدي و بالسعاده انهُ يصبح ابن الالهة

وقد تنوعت الاعتقادات بهذه الالهة تنوعات عديده وخصوصاً عبادة الحيوانات فكانوا يعتقدون اولاً انها الهة قايمة بنفسها وفيما بعد قالوا انها مركز الالهة لان كل هذه العبادات كانت مؤسسة عَلَى المنفعة او الخوف فعبادة الاسد والتمساح وخلافهُ

كانت للخوف لانهم اقوى من الانسان واما عبادة ابيس وخلافها كانت لنفع الاراضي وتسهيل عيشة الانسان ومن العجب ان الانسان يصل وينحط الى هذه الدرجة ويعبد ما هو ادنى منهُ لان المعبود هو اعظم من العابد فاذًا بقي الثور والهر والفار والبصل والثوم اقوى واعظم من الانسان فاين العقل للانسان

وقد قال أبو العلاء المعري عن مذهب زردشت الذي كان يكرم البقر ومن غسل وجهه ببولها غفرت خطاياه

عجبت لكسرى واشياعه وغسل الوجوه ببول البقر

ومن الاعجب ايضاً كيف ان هذه الالهة الحيوانية كانت تمنعهم عن فعل الشر وكانوا اعظم شعب في الدنيا في حفظ الاداب فاذا نظرنا الى الفقرة في كتاب الاموات التي يقولها الميت امام مجلس ازوريس عند دينونته تتعجب كيف ان الثور والقط والخنفسة منعت هذه الشعوب عن فعل المنكر وهذه القطعة هي خطاب الى ازوريس يا سيد الحقيقة والعدل انني اعترف بك فلاجلك لااشيت الكذب ولا زورت ولا سرقت ولا أحزنت ارملة ولا كذبت امام العرش ولا خنت ولا ارتكبت امرًا محرمًا ولا اشغلت فاعلاً زيادة عن وقت شغله ولا اهملت شيئًا ولا كنت كسلانًا ولا خفت ولا ارتخيت ولا عملت شيئًا لا يرضي الالهة ولا هربت عبدًا عن سيده ولا تكبرت على عبدي ولا سببت الجوع لاحد ولا ابكيت احدًا ولا قتلت ولا امرت بقتل احد بخيانة ولا كسبت بغش ولا تلفت ميزان الحبوب ولا تعديت على ارض احد ولا اختلست من كفة الميزان ولا قطعت الحليب عن فم الرضعان ولا قطعت الماء عن سيرها فانا نقي وانا نقي وانا نقي

انظر عابدي الثور وانظر حالنا الان فبالحقيقة ان بلاد مصر هي بلاد العجايب وقد خرج منها كل شيء ادبي وعلمي

وكان المصريون القدماء يعبدون الهًا واحدًا فقط وان الاصنام لم تكن الا صفات مشخصة تلتهي العامة بها وكان دينهم مقسوما الى قسمين قسم فلسفي معقول تحفظه الرؤساء والعلماء والثاني قسم مادي يتاثر منهُ الجاهل و يعتبره اكثر من القسم

الاول

فمنظر الصنم كان يؤثر بنفس الجاهل اكثر من المعنى الذي لاجله جعل هذا الصنم والقصد من كل ذلك وجود طريقة تربط الانسان عن فعل الشر فاذا اعتقد احد الوثنيين ان هذه الخشبة تضره اذا عمل بك سوءا فتكون هذه الخشبة مانعة عنك الضرب ونافعة لك فلا يلزم ان تبعد شخصاً عن فكره الديني اذا كان دينهُ يحرم عليه ضررك ولكن متى افسدت عقيدتهُ الاصلية وقصدك تعليمه عقيدة جديدة لا يؤمن بها فيكون خالصاً من هذه وتلك ولا عاد يمنعهُ شيء عن ضررك

وكان يعتقد المصريون باله واحد وهذا الاعتقاد كان عند الرؤساء سريًا بحيث كانت جمعية سرية مخصوصة لاجل كشف هذا السر الى بعضهم وكان اسم هذه الجمعية جمعية ايزيس ويقال انها اول جمعية سرية ظهرت في الدنيا وغايتها الاعتقاد باله واحد وان يبقى ذلك محفوظاً عن العامة وهذه الجمعية قرات عنها في بعض كتب وقد ذكرت في كتاب اسمه الجمعية السرية كنت استعرته من بعض اصحابي لاجل قرائته وارجعتهُ لهُ ولا اعلم اين هو وشرح هذه الجمعية هو كما يأتي حسب الكتاب المذكور

جمعية ايزيس

ايزيس هو اله من آلهة منف وهو المؤنث من تثليثه لان هذا التثليث مكوَّن من اوزوريس وهو الرجل وايزيس فهي الامرأة وهوروس فهو الصبي ويعنون بازيس القمر ويصورونهُ بصورة امرأة عَلَى رأسها طاقية تشبه النسر ومن فوقها تاجا مصر العليا والسفلى وبيدها الواحدة مفتاح والاخرى صولجان واحياناً يكون عَلَى رأسها قرنان بينهما قرص الشمس وفوق القرص ما يشبه تاجي مصر

وكان لكل الاله كهنة مخصوصة تخدمهُ ويكون عددها مناسباً لعدد العابدين وحيث كانت عبادة ايزيس عظيمة جداً فكان عدد كهنته عظيماً وقبل دخول الكاهن في هذه الجمعية كانوا يصنعون لهُ امتحانات عظيمة

امتحانات الداخل في صف كهنة ايزيس

كانت هذه الامتحانات جسدية وعقلية تجري بالنار والماء والهواء والتدريب والشجاعة والثبات والجلد والصبر وكان محل هذا الامتحان الاهرام فعلى حسب مؤلف كتاب الجمعيات السرية كان يوجد بين هرم الجيزه الكبير وهيكل ابي الهول طريق مخفية كانوا يلزمون المبتدي ان يمرّ فيها وحده وفيها يقضي أشد الامتحانات

الطريق السرية من الاهرام لابي الهول

ان الذي كان يريد الدخول في صف الكهنة يلزمه ان يقدم طلباً الى رئيس الكهنة فيأخذه الرئيس ويوكل فيه شخصاً آخر ليعلمه ماذا ينبغي فعله وهذا الرجل الموكل فيه يسميه عرابه الذي يأخذه بيوم معلوم الى الهرم الشمالي الموجود في وسط وجهه الشمالي طاقة ينزلون منها بدهليز ينحدرون فيه الى مسافة تحت الارض بحيث الجالس في قعر هذا الدهليز ينظر السماء من الطاقة في مدة الليل يرى منها نجم القطب الشمالي الذي تأسست الاهرام على حسبه ثم يصعدون الى اعلى حجارة غير مقتربة ببعضها ويجدون هناك غرفاً قيل انها محل الدفن لان هذه الاهرام كانت مدفناً كما سنذكره فيما بعد وقد دخلت هذا الدهليز وهذه الحجرة عندما كنت في مصر وقد ذكر كتاب الجمعيات السرية انه قبلما تصعد الى الحجرة وانت لم تزل في قاع الدهليز تجد هناك حجارة ضخمة غير مرتبة يوجد بينها شقوق بحيث اذا أراد الانسان يدخل بينها يمكنه ذلك فهذه الشقوق كانت ابتداء الطريق

فالعراب الذي يأخذ المبتدي الى هذا المحل يوصله الى هناك ويعطيه مصباحاً ويقول له ان من هنا طريقك الى الهيكل فاذا قطعت هذه الطريق ودخلت الهيكل ترانا نحن هناك نستقبلك وتكون كاهناً مثلنا واما اذا كان لا يمكنك ذلك ووجدت صعوبات لا يمكنك مقاومتها يمكنك الرجوع ولا لوم عليك فاذا كان الرجل مستعداً معتقداً من كل قلبه يأخذ المصباح من يد عرابه وينزل بين هذين الصخرين وعند

نزوله يصل الى بئر خالٍ من الماء فيقف ويتأمل في البئر فيجد على جوانبه من الداخل محطات لوضع الرجل او اليد فيفتكر ان لا بد لي من النزول في هذا المحل فينزل الى أن تنتهي هذه المحطات فيجد عند انتهاءها بابًا يدخل فيه ويخرج منهُ الى فسحة متسعة ولا يزال المصباح في يده فيجد في هذه الفسحة رجلاً واقفًا يقول لهُ ان جلوسي هنا ليس لمنعك عن المسير الى الامام ولكن لاعلمك ان اخطارًا عظيمة امامك ويمكنك الرجوع لئلا تقع في خطر فاذا كان يخاف ويرجع لا يدخلونه في درجة الكهنوت ولكن يعطونه وظيفة خادم في هيكل ويلهونه حتى لا يبوح في السر واما اذا بقي مداومًا المسير فانهُ يصل الى ترعة ماء قوية كانت تمر بين الاهرام وابي الهول مقبية وكانت هذه المياه تأتي بانحدار قوي وعندما كان يصل الى حافة هذه الترعة يتأمل في جهتيها فيرى في الجهة التي هو فيها قطعة من حديد واقفة وقطعة اخرى في الجهة الثانية ولكنها ليست مقابلة للاولى بل اسفل منها بمسافة فيعلم من ذلك انهُ يلزمه أن ينزل من عند الحديدة التي من جهته ويسبح الى ان يصل الى الحديدة في الجهة الثانية لان طيار الماء القوي يسحبه الى هذه المسافة ومع كل هذا فهو ملزوم ان يحافظ على قانون مصباحه فاذا كان ممن يحسنون السباحة يخلص والاَّ اذا رمى نفسهُ في الماء بدون ان يعرف السباحة ووجد في خطر فالخفير الذي هناك ووظيفته ان يخلص من كاد يغرق ينشله مع ان الغفير لم يخبره انهُ اذا غرق يخلصهُ وعندما يخرج من هذا الخطر ولو لم يكمل الطريق ويرجع من هذا المحل يحسبون ذلك له لانهم يستنتجون من ذلك أن رغبته للدخول في الكهنوت جعلتهُ أن يخاطر بنفسه ويشهد لهُ الغفير بذلك ولكن الرتبة التي يعطوها لهُ تكون رتبة صغيرة

واما اذا قطع الترعة بدون خطر وقطع الى الجهة الثانية فانهُ بعد أن يمشي قليلاً يصل الى محل يرى فيهِ نارًا قوية على الجانبين نار ذات لهب يحركهُ ريح ويجرهُ الى الوسط من الجانبين وفي هذا الوسط يمر المبتدئ وخلاف ذلك انهُ يوجد في الارض قضبان من حديد بهيئة مصبع بحيث ان كل فتحة بين القضبان تكون قدر رجل الانسان وهذا الحديد محمي في النار جدًا فيلتزم الرجل ان يضع رجله في هذه الخليات بحيث أنها لا تمس الحديد وان يستقبل اللهيب الاتي من كل جهة من الجوانب فقل

سيره في هذه الطريق يرى رجلاً في هذا المحل ينبهه على الاخطار ووظيفة هذا الخفير ان يخلصهُ اذا وقع في خطر فاذا خلص من هذه الطريق يدخل في محل مظلم جداً لا يعرف اين يتوجه ولكن بينما يكون سائرًا والمصباح في يده يرى لمعانًا في اخر الدهليز لان هناك صحيفة من نحاس اصفر تلمع متى قابلت الضوء وعندما يرى هذا اللمعان يعرف ان هناك سرًا فيتجه لجهته وعندما يصل اليه يرى بابًا والصحيفة عليه واعلى هذا الباب حلقة عالية عن الارض فيقفز الى اعلى كي يمسك الحلقة وعندما يمسكها يرى الارض خارت من تحته وظهر طيار هواء شديد يرفعه و يخبطهُ على جدران الباب فيبقى معلقًا بالحلقة مدة خمس دقائق فبعد ذلك يرى الارض رجعت الى ما كانت عليهِ لانها من خشب و ينفتح الباب و يرى نفسهُ في الهيكل بين صفين من الكهنة وعلى العرش الرئيس الذي يناديه قائلاً لهُ اهلاً يا بني الحبيب فانت الان تستحق ان تكون منا فيتقدم و يركع و يقبل يد الرئيس الذي يسلمهُ ثوبًا ايضًا مع زنار و يسلمهُ الى عرابهِ الاول الذي يسمح لهُ بدخول الهيكل الى المحل المسمى قدس الاقداس لاجل درس العلوم وقراءة الكتب المقدسة فيبقى في الهيكل مدة يتعلم

وفي اليوم المعين لسيامتهِ يصنعون لهُ وليمة فاخرة و يطوفون بهِ في الاسواق والجميع تحضر وتقبل يده و يتباركون منهُ والحكومة تعفيهِ من العسكرية والاموال الاميرية وتعطيه ارضًا كافية لمعاشهِ فيطلع على جميع الاسرار و يدخل اي محل كان في الهيكل واهم هذه الاسرار المسمى سرابزيس وهو الايمان بالله واحد لا غير

وعندما خرجت هذه الجمعية القوية عن حدودها تلاشت كباقي الجمعيات التي حادت عن قوانينها فاخيرًا اخذوا الدين لكسب الدنيا فزاحموا الفقير على الغني وجعلوا كل شيء لهم ولا شيء يفسد الاخلاق مثل كثرة المال وعدم الشغل

قيل ان البوهوميان في اوروبا اي النور في بلادنا هم بقايا هذه الجمعية لان لغتهم لن تعرف لحد الان ولهم اسرار عظيمة في اجتماعاتهم واغلب العلماء ينسبونهم الى هذه الجمعية

التفكر بالموت عند المصريين

لا يوجد شعب في الدنيا اهتم بالموت مثل الشعب المصري فكان الملك عند جلوسه على العرش يفتش على محل لدفنه وطالما هو حي يشتغل فيه ولذلك ترى عظم القبر يدلك على طول حكم الحاكم فاصحاب الاهرام عاشوا مدة طويلة كملوك فلذلك ترى قبورهم التي هي الاهرام من عجائب الدنيا

تحنيط الاجسام (اي تصبيرها)

كان المصريون يعتقدون ان لكل انسان روح وجسد ان الروح تفنى اذا فني الجسد ولذلك يلزم حفظ الجسد وعلى هذا الاعتقاد كانت قبور المصريين محلين واحد للجثة والثاني للزوار الذين يأتون الى هذا المحل ويقدمون هدايا للميت لاجل الاكل وحفظ الجسد ولذلك وجد في قبورهم القمح والارز والبيض وخلاف اشياء.

واذا ما قدموا لهم تأتي هذه الارواح وتدخل في اجسام الاحياء فتمرضها وان بعد ستة الاف سنة ترجع الروح للجسد فيلزم ان يكون محفوظاً كي لا تتعب الروح في جمعه ولهذا اخترعوا التحنيط فكانت عملية مهمة جداً في مصر فانهم يسلمون الميت الى المحنطين وبعده يستلمونه منهم واذا كان الميت مديوناً تعطى جثته الى اصحاب الدين مع الولاية على قبره حتى ان أولاده واقاربه تفي الدين عنه وتستلم جثة والدهم وكانوا يحاكون الميت قبل دفنه ومن محاكمتهم يمنعونه من الدفن اذا كان مذنباً واذا ادعى عليه احد ولم يثبت دعواه فيقاصص بالقصاص الذي كان واجباً على المدعى عليه

وكان فكر الموت لا يفارقهم ابداً حتى في افراحهم فكانوا في عز الوليمة والافراح يدخلون تابوتاً للمحضر وذلك لاجل توقيف افراحهم وتبذيرهم وشهواتهم

ملاحظاتي

وعندما نظرت في المتاحف جثث هولاء الملوك وخلافهم قلت بفكري انهُ صح

اعتقادهم برجوعهم الى الدنيا بعد ستة الاف سنة لان بسبب تحنيطهم وحفظ جثثهم على هذه الحالة خلد ذكرهم الى اليوم وقد اخرجوهم من قبورهم واجلسوهم على عروشهم في هذه المتاحف لاني لا اظن ان قصورهم الاصلية كانت بعظمة هذه المتاحف وبالحقيقة انهم قاموا من بين الاموات

ابتداء تاريخ مصر

من سنة ٥٠٠٤ ق م

قد اعتمدوا في تاريخ مصر اولاً على تاريخ هيرودوتس وثانياً على تاريخ الكاهن مانيتون وثالثاً الاعتماد الصحيح على كشف الحفريات والفضل في ذلك لكاشف اللغة شامبليون ولنذكر للقاري تاريخ هذا الكاهن مانيتون الذي يستندون عليه كثيراً

مانيتون الكاهن

مانيتون الكاهن (Manèton)

كان هذا الكاهن بعد هيرودوتس المؤرخ بنحو جيلين تقريباً وقد وضع بطوليمايس فلادلف تحت سلطته جميع ما يلزم من سجلات الهياكل لعمل تاريخ من سلف من الملوك في مصر وقد ابتدأ هذا الكاهن الوطني بتكذيب هيرودوتس مع ان كتاباته التي كانت ثلاثة مجلدات وقد اهداها الى بطوليمايس مملوءة من الغلط ومع ذلك فقدت جميعها والذي ذكر شيئاً عنها هو جيليوس الافريقي الذي كان كاهناً مسيحياً سنة ٢٣٠ بعد المسيح حتى وجيليوس ايضاً عندما رأى سني مانيتون لا توافق سني موسى فانه قدم واخر فيها لاجل المطابقة فتلف الاصل ومن سوء الحظ ان كتابة افريكوس ذاتها ضاعت ايضاً ولم يتصل لنا منها شيء الا من الراهب جورج المكنى بالسينسال كما ان هذا الاخير بدل وغير حسب ذوقه واعتقاده ايضاً ومن المصيبة ان كل منهم يدعي ان هذا هو تاريخ مانيتون مع ان كلاً منهم مختلف عن الاخر ولائحة ملوكه مختلفة ايضاً وقد صدق مانيتون بترتيب ملوك الدولة الثامنة والتاسعة عشر وقد قسموا

التاريخ المصري الى ثلاثة ادوار الاول الوثني والثـاني المسيحي والثالث الاسلامي ويقول المصريون ان الالهة حكمتهم قبل البشر واسباب ذلك انهُ عندما خرج الانسان من بدئهم كان جاهلاً الصنايع الضرورية للحياة حتى لم يكن لهُ لغة بل كان يتقلد الحيوانات بصوتهِ فتكفلت الالهة بتعليمهِ وكانت تنزل الى الارض بالتتابع كل واحد بدوره وهذا التتابع بالنزول كون الممالك الالهية التي ابتدأت في هليوبوليس اي اون الشمالية التي هي الان المطرية هذا ما ذكره مسبرو صفحة ٣٣ في التاريخ القديم ولكن اول ملوكهم البشرية هو منس

واذا لاحظنا تاريخ كل امة وابتداها نراها تدعي ان اول معلم لها هي الالهة لانهم اخذوا تاريخهم وتاريخ حياتهم الشخصية مثلاً عندما خرج الانسان من حضن والدته كان لا يعرف شيئاً كما تقول المصريون وليس لهُ لغة ولا صنعة لمعاشه فلا بد ان اول انسان الذي خلق من دون اب وام ان تكون الالهة علمتهُ هذا اذا كانت خلقته كما نخلق نحن الان وما خلقتهُ رجلاً كاملاً ومع خلقته رجل كامل لا بد من الهة تعلمهُ حتى ينقل علمها الى نسله

حتى اذا نظرنا في التوراة نرى ان الله علم ادم كل شيء وهكذا

الدور الوثني

فضل مصر على العالم القديم

يحق لهذه البقعة من الارض ان تدعى مقدسة في ذلك الزمن فاذا نظرنا ما علمتهُ للبشر منذ الابتداء نرى حقيقة ما نقوله فلاجل ذلك نعيد على ذهننا رجال مصر وما عملت من زمن الفراعنة الى دخول الدين المسيحي اليها وننظر هذا الدور الوثني الذي هو أعظم ادوارها وكم اتى من العجائب والمنافع للعالم القديم

فاول من حول النيل الى غير مجراه وبنى هيكلاً هو منس(Mênès)الذي كان من العائلة الاولى التي ابتدأت من سنة ٥٠٠٤ الى ٤٨٥١ ق م

اول من كتب في التشريح والطب هو اطوت (Atot) من العائلة الاولى

اول من بنى اهرماً لاكرام الحيوانات المقدسة هو اونفس (Onefés) العايلة الاولى

اول من جعل عبادة الثور ابيس وباقي الحيوانات عبادة رسمية هو كاكو Kakouh من العائلة الثانية التى ابتدأت ٤٨٥١ ق م

اول من اعطي حقوقاً للنساء بالملك عندانقطاع الذكور وجعل الملوك خليفة الالهة ولهم نسبة معها بينوتريس Binotris من العائلة الثانية

اول من وضع كتاباً في الطب بقي لاول جيل للمسيح هو توزورتس Thosorthus من العائلة الثالثة التي ابتدأت ٤٤٤٩

اول من اشتغل في المعادن في جبل الطور هو سنغرو Segouris من العائلة الثالثة

اول من عملوا العجائب في بناء الاهرام هم كيوبس Khéops وكفرع Kafri ومنكورع Menkeri من العيلة الرابعة التي ابتدأ حكمها ٤٢٣٥ ق م

اول من درس الفقة والفلك وامر برهن مدفن الانسان المدبون هو شوميسكاف Shopseskof من العائلة الرابعة

اول من فتح الشام هو ماديراع Madira من العائلة السادسة التي حكمت ٣٧٠٣ ق م

اول ملكة اخذت بثار زوجها وعملت سرداباً يصب فيه النيل اذا افتتحت احدي ابوابه وعملت عزيمة ومن جملة المدعوين قاتل زوجها وفتحت الباب فاغرقتهم وقتلت نفسها بالرماد الحار وهي الملكة نيتوكريس Nitokris من العائلة السادسة

اول من فتح طريقاً لبلاد العرب ومنها الى الهند لاجل التجارة هي سنخكاريع من العائلة الحادية عشرة التي حكمت ٣٠٦٤ ق م

اول من عمل المسلات وكتب عليها التاريخ هو اوسيرسن Ousersen الاول من العائلة الثانية عشر التي حكمت ٢٨٥١ ق م

اول من عمل بحرة موريس لجمع الماء الزائد من النيل مدة الفيضان والتي منه مدة القحل هو امنحت الثالث من العائلة الثانية عشر

اول من طرد الرعاة من مصر وحكم مصر كلها هو اموزيس من العائلة الثامنة عشر

التي حكمت ١٧٠٧ ق م

اول من امتد حكمه الى ارمينيا والجزيرة والشام هو طظموس الثالث من العائلة الثامنة عشر وهو على حسب حساب التوراة هو فرعون ابراهيم الذي عندما جاع ذهب الى مصر مع زوجته وسنبين ذلك فيما بعد

اول من عمل الصنم الرنان الذي تتعجب منه العالم لليوم هو امنوفيس الثاني من العائلة الثامنة عشر

اول من ادخل عبادة البعل الى مصر هو ساتي الاول من العائلة التاسعة عشر التي حكمت ١٤٦٢ ق م

اول شجاع ظهر واول صاحب حروب عديدة واول من عمر ورمم الهياكل هو رعمسيس الثاني اول ملوك مصر بالشهرة ومن يريد روياه فهو الان في الانتيكخانه وقد نظرته وبقيت اتأمل بتاريخه وانظر بداه وراسه وان هذا هو رعمسيس الثاني الذي كتب اسمه على نهر الكلب وحارب وحده الحثيين الخ الخ وهو من العائلة التاسعة عشر ويقال عنهُ انهُ فرعون مضطهد الاسرائيليين سنبحث بذلك

اول من لحق الاسرائيلين وغرق في البحر هو منفتاح الاول الذي جثته اليوم في الانتيكخانه من العائلة التاسعة عشر

اول من نهب هيكل سليمان واسر رجعام هو شيشاق من العائلة الثانية والعشرين التي حكمت ٩٨٠ ق م

واول من ابدل القتل بالاشغال الشاقة هو ساباق من العائلة الخامسة والعشرين التي حكمت ٧١٥ ق م

اول من ادخل اليونان في مدارس مصر وحضر اليها يومئذ سولون وفيثاغورس وافلاطون هو بسماتيك من العائلة ٢٦ التي حكمت ٦٦٥ وقد حاصر اذوف في سوريا مدة ٢٥ سنة

اول من اوصل ترعة من النيل من بسط قرب الزقازيق الى بركة التمساح للبحر الاحمر هو ناكأو الثاني من العائلة السادسة والعشرين

اول من انخدع وغلبته عساكر القطط التي عملها كامبس ودخل فيها الى مصر هو بسماتيك الثالث وفيه انتهى الحكم الوطني واما الدولة الفرسية لم تفعل شيئاً من الحسن مع المصريين ولكن الدولة اليونانية هي التي جددت عزيمة مصر ودامت تنشر علومها ومعارفها وحكمت من ۳۲۳ ق م الى ۳۰ قبل المسيح وهي العائلتان الثانية والثالثة والثلاثون فالاسكندر بني الاسكندرية وبطليموس الاول عمل الفنار بجزيرة فرعون بعلو مائة ذراع وهو اول من اخترع الفنارات للمراكب وقد جمع كل العلماء واقام مكتبته المشهورة وكذلك بطليموس الثاني ترجم التوراة الى اليونانية المسماة بالسبعينية بالنسبة لسبعين عالم ترجموها وقد زاد المكتبة واما بطليموس الخامس فهو الذي بواسطته فكت اللغة الهيروغليفية لان حجر رشيد الذي فكت بواسطته كان مقدماً له من الكهنة شكراً منهم له واما بطليموس السابع فانه الف ۲٤ كتاباً معظمها في علم الحيوانات واما الدولة الثانية اليونانية التي اولها الموسيقي باراتيس والذي خلف الكليو بترات لم تستقم مدة طويلة ولا كليو بترا افادت احد وقد علمت العالم الغش والخيانة والخلاعة وانتهت فيها دولتها ودخلتها الرومان الذي يقسم دورها الى قسمين وثني ومسيحي فالمسيحي هو الدور الثاني لمصر

فضل مصر في دورها الوثني على بلادنا

من اهم هذه الافضال هو سد الجوع الذي كان يحصل في بلادنا ومصر تدفعه عنا فالنذكر

جوع ابراهيم

اولاً الجوع الذي حصل من زمن سيدنا ابراهيم وذلك حسب التوراة قال الكتاب المقدس ان ابراهيم عندما خرج من بيت ابيهُ واتى ارض كنعان كان عمره ۷٥ سنة وزوجته ساره ٦٥ لانها اصغر منهُ بعشر سنوات وذلك في سفر التكوين الاصحاح ۱۲ العدد ٤ ثم انهُ حدث جوع في الارض فانحدر ابراهيم الى مصر

يتغرب هناك التكوين الاصحاح ١٢ عد ١٠ واخذ ساره وعلمها ان تقول انها اخته فاخذها فرعون لتكون زوجة لهُ لان روساء فرعون مدحوها لهُ فاكرم ابرام واعطى لهُ البقر والغنم والحمير والاماء والاتن والجمال على شان ساره ثم ضرب الرب فرعون بسبب ساره فاحضر ابراهيم وعاتبهُ على قوله انها اخته فقدم عذره وقبل فاعطاه امرأته وشيعهُ مع عبيده فكم من الفضل لهذا الفرعون وكم هو عظيم وصاحب دين وانسانية فانهُ عندما عرف حقيقة الامر ترك ساره وابقى كما اعطاه من المال والحمير وخلافه الى ابراهيم وشيعه محروساً خوفاً من ان احد يتعدى عليه فصرت محتاراً لمعرفة هذا الفرعون الذي يجب لهُ الاعتبار فابتدبت الفحص حسب التوراة وحسب التاريخ الحديث لمصر حتى وصلنا بالتقريب الى هذا الرجل العظيم وانشاء الله ساذكر نتيجة فحصي عسى ان بعض العلماء تعيد الفحص وتعرف الحقيقة وما قلناه عن ابراهيم مذكور في الاصحاح الثاني عشر للتكوين فلا ادخل في الاعتراضات على كل ذلك لان هذا لا يهمني ولا لهُ منفعة لان مهما كان اعتراضي فهذه القصة هي واحدة ولم تزل قهراً عن المعترضين والذي يعجبنا هو جمال ساره في سن الـ ٧٥ من عمرها بحيث كل الملوك اخذتها زوجة

جوع اسحاق

قال في سفر التكوين الاصحاح ٢٦ العدد الاول وكان جوع في الارض غير الجوع الاول الذي كان في ايام ابراهيم فذهب اسحاق الى ابي مالك ملك الفلسطينيين في جيرار وظهر لهُ الرب وقال له لا تنزل الى مصر كأن والده اخبره عن جيرار لانهُ عمل العمليه ذاتها فانكر امرأتهُ ومع ذلك اعطاه ابي مالك ما اعطى الى والده ولا نعلم اذا كان ابي مالك اسحاق هو نفس ابي مالك ابراهيم ومع ذلك شكراً لهُ لانهُ رجل عظيم وخايف الله وعاتب اسحاق على غشه لهُ انها امرأتهُ فله الثناء مثل فرعون ابراهيم

جوع يعقوب

تكوين الاصحاح ٤٢ عدد ١ فلما راي يعقوب انهُ يوجد قمح في مصر

قال لبنيه ان تذهب اليها وكان ما كان مع يوسف واخوته حتى ان اتى يعقوب الى مصر

هذا ما حصل من جهة الجوع واما ما حصل من جهة الالتجاء والتأمين اولها

قصة يوسف

الذي حضر الى مصر وبيع كعبد وكيف امنهُ معلمهُ فوطيفار على بيته وكيف طلع امينًا ولم يمس امرأة معلمه وانهُ حبس سنتين لاجل ذلك ولم يبح بكلمة من هذا لا الى السجان ولا الى رفاقه

وكيف تقرب من فرعون ووكلهُ على جميع اعماله وكيف احترس وجمع مال الخصب وابقاه الى زمن القحط وكيف باع القمح الى المصريين وخلافهم ثم اخذ مواشيهم ثم ارضهم واعطاهم بذارًا لزرع الارض واخذ خمس الحاصلات الى فرعون فجميع هذه العملية برهان عظيم على ان يوسف اسرائيلي لا شك فيهِ

ثم لما حضرت اخوته كيف عرفهم وكيف طلب اخاه ووالده واحضر الجميع الى مصر وكيف كرم اباه ورحم اخوتهُ ولم يتكبر ولا انتقم منهم وكيف حفظ وصية والده ودفنهُ في ارض كنعان وكيف كان جوابه الى اخوته عندما استغفروا منهُ عن عملهم الردي بحقه وكان جوابه ان الله اراد ذلك لاخلصكم من الجوع او انني اصل لهذه الدرجة وكيف عندما والده بارك اولاده تكدر عندما قدم افرايم على منسى لان منسى الاكبر وكيف انهُ عند موته اوصى اخوته بان تأخذه متى رجعت الى ارض كنعان وتدفنهُ مع قومه الذين لم ينساهم قهرًا عما جرى لهُ منهم وانهُ ترك عز الدفن في مصر حتى ينضم مع ابائه فاية قصة اعظم واطهر من هذه لا يمسها شيء، فهي القصة الوحيدة الخالية من كل كذب وغلط وسقطة

فلنفحص الان عن الفراعنة الذين كانوا في ذلك الزمن بعدما نذكر قصة موسى يوسف انزل والده حسب امر فرعون في ارض رعمسيس المخصبة جدًا واحسن ارض مصر وذلك في التكوين الاصحاح ٤٧ عدد ١١ وعاش يعقوب في مصر ١٧ سنة وتوفي وعمره ١٤٧ وعاش يوسف ١١٠ سنوات

موسى

اي المنتشل من الماء

لشلتهُ ابنة فرعون من الماء ولولا ذلك لكنــا الان بدون توراة وارضعتهُ والدته ثم احضرتهُ الى ابنة فرعون عاش في دارها تعلم علوم المصريين ثم راى مصرياً ينازع يهودياً فقتله ودفنهُ في الرمل ولما عرف بهِ فرعون طلب قتله فهرب فلا نعلم اذا كان هذا فرعون والد محضنته ام خلافه وربما خلافهُ لان لوكان مربيه لما طلب قتله واذا كان بالحقيقة هو فرعون نفسهُ فيكون اول عادل في الارض بحيث طلب ان يقتل موسى مربيه بكونه قتل رجلاً ولو كان فقيراً ولكن ربما غيره

فاخيراً هرب موسى الذي كان متنعماً في دار فرعون بالرفاهية التامة وصار بعد ذلك يرعى الغنم في برية مهولة الحر فاخيراً قال لهُ الرب ارجع الى مصر لان الذي يطلب نفسك قد مات وامرهُ ان يكلم فرعون الجديد بان يخرج بني اسرائيل فيكون الفرعون الثالث لموسى واخيراً ان فرعون طالب قتل موسى او الجديد سخر بني اسرائيل وعملوا لهُ مدينتين مدن مخازن وهما فيثوم ورعمسيس الخروج ص ١ عد ١١

واخيراً بعد ما عمل موسى جميع العجايب خرج بني اسرائيل من مصر من رعمسيس الى سكوت ٦٠٠ الف مقاتل ما عدا النساء والاولاد بعدما سكنوا في مصر ٤٢٠ سنة فيكون حسب التوراة من دخول يعقوب الى خروج بني اسرائيل ٤٢٠ سنة الخروج ص ١٢ عد ٣٧

من هم فرعون ابراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى

فلنأخذ نقطة الابتداء بالفحص حسب التوراة من يوسف الذي قالت التوراة عنهُ انهُ اسكن والده واخوته في رعمسيس فلنفحص الان عن اول من تسمى بهذا الاسم ومن هو الذي حسب تاريخ مصر بنى مدينة اسمها رعمسيس في ارض جسان

رعمسيس الاول

ذكر ماسبرو في الصفحه ٢١٤ من كتابهِ التاريخ القديم لشعوب الشرق ان التاريخ لم يذكر اي متى اتصل الحكم الى رعمسيس الاول وانهُ جلس على كرسي الفراعنة وهو متقدم بالسن وانهُ حارب الحبش وسوريا وعمل معاهدة مع الحثيين وبعد سبع سنوات توفي وجلس مكانهُ ولده

ستي الاول

فرعمسيس الاول هو الذي كانت تعتبرهُ المصريين مختلساً الحكم لانهُ ليس من عائلة ملوكية واما ستي الاول الذي حكم زوج ابنه رعمسيس الثاني الى امرأة من العايلة الملوكية فصار يعتبر رعمسيس باعين المصريين انهُ الحاكم الشرعي ولذلك كان يساعد والده ستي منذ حداثة سنهِ فانهُ فتح حرب مع سوريا وهو ابن عشر سنوات ثم ان ستي بعدما حكم وشاخ تنازل الى ولده رعمسيس الثاني

رعمسيس الثاني

هذا هو الذي انتشر اسمهُ في الدنيا وسميت الارض والمدن باسمهِ ومن جملة مبانيه مدينة رعمسيس شمالي مصر

وقال ماسبرو انهُ قوى القلاع التي تحمي مصر من هجمات البدو وان الضرورة احوجتهُ ان يسكن شرقي الدلتا وانهُ بنى جملة مدن على الحدود واهمها تسمت باسم بارعمسيس اناختو اي مدينة رعمسيس الشجاع جداً التي سكنها والتي كانت مخزناً للتجارة فاذاً ان الارض ما تسمت باسم رعمسيس الا بعد رعمسيس الثاني وعلى حسب التوراة ان هذه المدينة بناها بنو اسرائيل فكيف يوسف اعطى ارض باسم رعمسيس الى والده قبل تسخير بني اسرائيل فيكون رعمسيس الثاني هو رعمسيس يوسف وليس فرعون بني اسرائيل فلا يوجد رعمسيس غيره فمن اين اتى به يوسف واذا كان ما بين يوسف وخروج بني اسرائيل ٤٣٠ سنة وكان لا شك رعمسيس هو

فرعون يوسف من العائلة التاسعة عشر فيكون فرعون موسى بعد ٤٣٠ فاذا كانت العايلة التاسعة عشر حكمت سنة ١٤٦٢ وكان رعمسيس الثاني فرعون يوسف وحذفنا من ذلك ٤٣٠ سنة التي قضتها بني اسرائيل في مصر فيكون خروجهم ١٠٣٠ فتكون حينئذٍ الدولة الحادية والعشرين وهي التي ابتدأت بملكها بينوتمو Pinotmou الذي كان كاهناً واختلس باسلوب دني الحكم كما هو منقوش عَلَى هيكل خونسو في طيبة وانهُ نفى اسرة رعمسيس الى الصحراء وتولى بعده ابنه وعائلته الى سنة ٩٨٠ قبل المسيح وهذا يوافق كلام التوراة التي تقول. ثم قام ملك جديد عَلَى مصر لم يكن يعرف يوسف الخروج ص ١ عدد ٨ فابتدأ بظلم بني اسرائيل لان العائلة التي كانت تعرف يوسف هي العائلة الرعمسيسية وكانت تقدر اتعابه وهذه العائلة الحادية والعشرين نفت عايلة رعمسيس ونكرت كل من خدمها ومن الجملة يوسف

وبثبث ذلك ما كانوا يفتكرونه عن منفتاح الاول ابن رعمسيس الثاني انه فرعون موسى وغرق في البحر مع ان جثته الان محنطة وموجودة في الانتيكخانة واسمه مكتوب عَلَى اللفايف

فعلى حسب حساب التوراة وذكر يوسف لرعمسيس فيكون فرعون يوسف رعمسيس الثاني خصوصاً لانه صاهر الحثيين وعمل معاهدة معهم وفرعون موسى هو بينوتمو او احد اولاده وحيث عرفنا نقطة يوسف فلنبحث الان عن فرعون ابراهيم ولنرجع الى الوراء ٢٠٥ سنوات لان ابراهيم عندما حضر من حاران كان عمره ٧٥ سنة تكوين ص ١٢ عدد ٤ ودخل مصر بعمر ٨٥ سنة وولد اسحاق بسن مئة تكوين ص ٢١ عدد ٥ فيكون بين زيارته مصر وولادة اسحاق ١٥ سنة ثم ان اسحاق عندما ولد يعقوب كان عمره ستين سنة تكوين ص ٢٥ عدد ٢٦ وعندما حضر يعقوب الى مصر كان عمرهُ ١٣٠ تكوين ص ٤٧ عدد ٩ وبقي ١٧ في مصر فيكون عمرهُ كله ١٤٧

اذا حسبنا ١٥ لابراهيم وستين لاسحاق ومائة وثلاثين الى يعقوب فيجمعون ٢٠٥ سنوات اذا جمعناهم مع ١٤٦٢ ابتدي العايلة التاسعة عشر فيكون الجمع ١٦٦٢

سنة ق م ففي هذه السنة كانت العائلة الثامنة عشر حاكمة مصر ومنها تحتمس الاول الذي وسع ملكه من الجنوب الى جبل أثبات في الحبش وشمالاً الى اقصى اسيا ومن ضمنها فلسطين وبابل وحيث ان فلسطين من حكمه وكان ابراهيم الجايع من رعاياه حضر لمصر وكان هذا الفرعون غنياً جداً لانهُ حصل اعظم ثروة من بلاد نوبيه لان نب معناها الذهب فلذلك تكارم على ابراهيم

هذا ما ارتأيته حسب كلام التوراة وحيث تعريف الفراعنة ليس من قانون الايمان لاجل ذلك دخلت في البحث ولم اتعرض لشيء عما قالتهُ التوراة عن ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى ومعجزاته ولا معجزة ستناساره التي كانت بن الثمانين وتخاطفها الملوك لجمالها في هذا السن وهذا لا يمكن ان يكون الا باحد الامرين اما ان الله أعمى قلب فرعون ورأى ساره جميلة او انهُ ارجعها الى صباها واذا كان احد يعترض على بحثي هذا فليقل قبل كل مماحكة من اين اتت ليوسف ارض رعمسيس وكيف هذا الاسم فليجادل فيما بعد

ومن جملة من احتموا في مصر من بلادنا هي العائلة المقدسة قال متى الاصحاح الثاني عد ١٣ منها قال الملاك ليوسف قم خذ الصبي وامه واذهب الى مصر

فترى مصر في هذا الدور الوثني اشبعت ابراهيم ويعقوب واولاده ورفعت يوسف وحكامتهُ مصر ادبياً وتلمت موسى من الماء لان معنى موسى المنتشل من الماء لانهُ لوما كانت ابنة فرعون في تلك الساعة على النيل لكان موسى ذهب ولم يكن توراة في الدنيا ثم انها حضنت العائلة المقدسة وامنتها ولا نعلم ماذا عملت العائلة هناك حاصله ان مصر لم تزل لحد الان تنفع اهل بلادنا لان كل السوريين الموجودين فيها الان دخلوها بحالة غير حالتهم اليوم فاغنتهم ورفعتهم ولم تزل تفعل جيلاً مع كل من اتى اليها ان كان للعلم او للغنى ومن جملتهم هذا المؤلف وساذكر كل شيء أنلتهُ منها بعد ما ينتهي تاريخ مصر القديم

الدولة الرابعة والثلاثين الرومانية

كان سقوط مصر في ابتداء هذه الدولة وآخر الدولة اليونانية وبالصدفة وجود اثنين

كانا واسطة لسقوطها احدهما من اخر تلك الدولة اليونانية وهي كيلوبترا الشهيرة والثاني من ابتداء الدولة الرومانية وهو انطوان فكما انهُ يوجد طرق للنجاح كذلك يوجد طرق للخراب فكل من السهر واليقظه وعدم الالتفات للملاهي طرق للنجاح وعكس ذلك طرق الخراب فلا عجب من نجاح ذاك وخراب هذا اذا كان كل منهما مشى على حسب الطريق الفلانية او الطريق الاخرى

فمن عرف قصة كليوبترا وخلاعتها وان مرادها تحكم بجمالها وفسقها وخيانتها ومن عرف قصة انطوان معها واندهاشه في جمالها وخضوعه لاوامرها وعدم الالتفات لشيء الا للخلاعة وما ماثلها لايعجب من خراب مصر ونزولها عن درجتها بعد ما علمت العالم كل فن ادبي وكانت ملجا لكل جائع وخايف فليس با للخلاعة والفسق والاهمال والملذات يمكن احد يتسلط لان الانسان يخضع للسلطة لكي تزيل هذه المعاصي التي تخرب النظام الانساني فكيف يتسلط من يفعلها واذا ذكر التاريخ بعض امثال لنجاحها فهذا نادر جداً حتى ان التاريخ يرزل هولاء الناجحين بهذه الطرق حاصله ان من نحس مصر في تلك الايام وجود كليوبترا وانطوان

وعندما حضر قيصر وامر كليوبترا وانطوان قتل نفسه اصبحت مصر ولايةرومانية ولم تعد مملكة قائمة بذاتها فبالطبع تنحط وخصوصاً لم تعد حكامها من اهلها بل رومانيون من قبل رومية كان مثلهم كمثل ماشية تاكل عشب ارض داستها وتذهب يقسم زمن المملكة الرومانية في مصر الى قسمين قسم وثني وقسم مسيحي

القسم الروماني الوثني

ابتدأ من ٣٠ سنة قبل المسيح الى سنة ٣٨١ ب م وسمي هذا الدور دور الاضطهادات الدينية لان به ابتدأ الاضطهاد على المسيحيين ليس فقط في مصر بل بكل المملكة لان دخول الدين المسيحي اوجب هذه الاضطهادات لانهُ لا يمكن دين يزيل ديناً ولا سلطة تزيل سلطة الا بسفك الدماء فاذا لاحظنا الدولة الرومانية نرى اثبات ما قلناه فالدور الوثني كان يسفك دم اصحاب الدين الجديد ولما تقدم الدين الجديد صار يسفك دم الدين القديم فاضطهاد ديوقليطوس للنصارى كان مشهوراً وخصوصاً

مذبحته لهم في ٣ حزيران ٢٨٤ للمسيح التي تسميها القبط مذبحة الشهداء ومنها يبتدي التاريخ عندهم يسمونه تاريخ الشهداء

ولا يوجد دين في الدنيا سفكت فيه الدماء مثل الدين المسيحي فانه بقي في اضطهاد منذ ابتداه الى سنة ٣٨١ يعني اربعة اجيال تقريباً واول ما ابتدأ بسفك دم المسيح نفسه وتلاميذه وهلمَّ جرًّا وبقي الوثنيون يضطهدونهم الى ان جلس على عرش المملكة الرومانية الامبراطور تيودوسيوس وفي سنة ٣٨١ اعلن ان دين المملكة الرسمي هو الدين المسيحي وابتدأ باخذ بثار المسيحيين من الوثنيين

الدور الروماني المسيحي من ٣٨١ الى ٦٤٠ م

ابتدأ الامبراطور تيودوسيوس بمنع عبادة الاصنام ويخرب هياكلهم ويكسر اصنامهم ويضطهدهم حتى انه حرق مكتبتهم العظيمة اي مكتبة اسكندرية وغلطاً تهموا في حرقها عمر بن الخطاب لان تيودوسيوس لم يبقِ وثنياً الى زمن عمر ولا كتباً وثنية وعندما انتهت عبادة الاصنام وخربت هياكلها ومكتبتها ولم يعد للنصارى عدوّاً اجنبياً رجعوا يضطهدون بعضهم لمسائل فلسفية في دينهم فكان كل يوم يظهر مذهب متعلق بشخصية المسيح فظهرت الانقسامات وسار كل منهم يحسب الاخر هرطوقياً ضالاً كوثني وعشار وابتدأ الحرب بينهم ومن جملة الانشقاق الذي استولى على المصريين بالخصوص وقسمهم الى اقباط واروام هي بدعة يعقوب البرادعي الذي قال ان للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وقد تبعته مصر والحبش وجرى اضطهاد بين الروم والاقباط وكذلك بدع اخرى كبدعة اريوس وخلافها من يريد الاطلاع عليها فليطلع على تاريخ البطاركة فهذه المنازعات الدينية كانت تدخل فيها الحكام الذين كانوا تارة يتبعون هذا وتارة ذاك حسب سياستهم وتارة يعملون مجامعاً وتارة يصرفوها وبقوا على هذه الحالة بالاضطراب واضطهاد بعضهم وانشغال الحكام في هذه المسائل واهمالهم المملكة حتى رحمهم الله وأوقف اضطهادهم عن بعضهم بارساله الاسلام الذين أوقفوا هذه الاختلافات ولم يعد بعد الاسلام يظهر منهم بدع وفلسفة وهذا هو الدور

الدور الاسلامي من ٦٤٠ ب م الى يومنا هذا

ولد نبي العرب محمد صلعم سنة ٥٦٩ مسيحية في مكة المكرمة وهاجر الى المدينة في ١٦ تموز ٦٢٣ وهذا هو ابتداء تاريخ الهجرة الذي هو اضبط التواريخ

وقد فتح عمر بن العاصي مصر ٦٤٠ سنة م موافقة ١٨ هـ في زمن عمر بن الخطاب ولم تزل لليوم تحت سيطرة الاسلام فحكمها كل من الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والدولة الطولونية والعباسية الثانية والاخشيدية والفاطمية والايوبية والمماليك الاولى والثانية والدولة العثمانية وقد مرَّت عليها هذه الدول بالحروب مع بعضها وخراب عمالها بحيث انحطط مصر الى اخر الدرجات حتى بعض عمالها اراد خراب ما كان تفتخر فيه مصر من زمن الوثنيين كالاهرام والتماثيل البديعة

فالملك العزيز بن يوسف من الدولة الايوبية الذي حكم ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م امر بهدم الاهرام وابتدى بالوجه الشمالي للاهرام الصغيرة فكانت جميع الفعلة لاتقلع حجراً واحداً باليوم فتركها واراد كذلك ان يبطل افراح قطع الخليج ولم يقدر وهكذا امور كانت تحصل حتى تقسمت الممالك الاسلامية الى ثلاث خلفاء واحد عباسي في بغداد وفاطمي في مصر واموي في الاندلس وقد ضر هذا الانقسام جداً في الاسلام من ابتداء انقسام الامام علي مع معاوية وهذا الانقسام منع الاسلام عن تملك الدنيا لان عند ظهوره لم يجد ممالك قوية في الدنيا الا الرومان والفرس فكسرهما فلو بقي ماشياً على خطته الاصلية لكان ملك العالم بامره ومن عرف فلسفة التاريخ يقدر ما لخالد بن الوليد من الفضل على الاسلام وليس ذلك من فتوحاته وشجاعته لكن من طاعته عندما امره عمر بن الخطاب بان يخلع ويجر بعمته فخضع لهذا الامر وبذلك حفظ الاسلام لانهُ لو عصى لكان اخذ قسماً عظيماً وانشقت الاسلام ورجعوا الى بعضهم وتوقفوا عن كل تقدم فبطاعتهِ عمل فتوحات اكثر من حروبه

فلنرجع الى مصر التي كانت تأنّ من هذه الانقسامات التي شتت القوة الاسلامية حتى ان الله رحمها ورحم الاسلام فارسل الدولة العلية العثمانية التي ضمت الى هيئة واحدة جميع هذه التفرعات وجعلت مملكة واحدة وانقطعت الخلافات العباسية

والفاطمية واخذت الدين والسياسة وابطلت كل ادعاء وكما ان الاسلام سكنت منازعات النصارى كذلك الدولة العلية العثمانية سكنت المنازعات الاسلامية

والذي دخل مصر وفتحها هو السلطان سليم الذي حارب الغوري والسلطان سليم ابن بيازيد جلس سنة ٩٢٣ ـ ٩٢٦ هـ ١٥١٧ ـ ١٥٢٠ م ومن بعده ولده السلطان سليمان اول من نظم الدواوين والترتيب في مصر وكانت الدولة العلية تولي على مصر من قبلها والي يسمى باشا ثم ولت الامراء المماليك ثم باشاوات اخرى لم تنجح الى ان ولت محمد علي وانعمت على عائلته بوراثة الولاية تحت رعايتها

فحينئذ تنفست مصر واخذت بالتقدم وحيث انني اتيت لمصر في ايام هذه العائلة وكان في ذلك الزمن حاكماً اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي وكان اخذ لقب خديوي وجعل وراثة الحكم في نسله بخلاف ما كان اولاً ان يحكم من هو اكبر سناً من العائلة وساذكر ما قد عرفت ونظرت في مصر بمدة تسع سنوات قضيتها فيها

فلذلك نبتدئ بتاريخ جد هذه العائلة وهو محمد علي

العايلة الخديوية

محمد علي ١٨٠١

ولد محمد علي سنة ١١٨٢ هجرية او ١٧٦٩ مسيحية في مدينة قواله في مكدونيا وطن اسكندر ذو القرنين واسم والده ابراهيم اغا كان رئيس غفر الشوارع توفي والده وعمره اربع سنوات وكان له عم يدعى طوسون آغا متسلم قواله توفي قتلاً فرباه بعد عمه احد اقاربه جربنجي براوسطا احد اصدقاء والده وفي سن ١٦ دخل العسكرية وكان يجمع الضرايب في سن ١٨ اصبح بلوك باشي وازوجه احد اقاربه

ولما كانت الحملة الفرنساوية في مصر ارسل الباب العالي يطلب عسكراً من قواله فجهز جربنجي ثلاثمائة مقاتل رأس عليها ابنهُ وجعل محمد علي وكيله وعندما حضروا مصر وانكسروا رجع ابن جربنجي وسلم الانفار الباقية الى محمد علي

ثم حضر امر بتولية محمد علي على مصر وكان ذلك في ١١ ربيع اخر سنة ١٢٢٠

هجرية موافق ٩ تموز سنة ١٨٠٥ وقرئ الفرمان في بيت محمد علي بحضور كل الاعيان والمشايخ

قصة غريبة عن كنعان شكور

سمعت عندما كنت في مصر قصة غريبة حصلت عند تولية محمد علي وهي انه عندما كان قائداً لعساكر الارناووط احتاج الى مبلغ خمسة الاف غرش لاجل توزيعها على عسكره فكان له في ذلك الوقت صديق يتردد عليه كان صاحب قهوة فكان يجلس عنده في اكثر الاوقات حتى تمكنت الصداقة بينهما وكان هذا الرجل سوريًّا لبنانيًّا اسمه كنعان شكور من عائلة بيت شكور المارونية من عين زحلته في لبنان ففي احد الايام اتاه محمد علي طالبًا خمسة الاف غرش لانها ضرورية فاجابه الرجل ان مرادي اشاور والدتي ووعده الى اليوم الثاني فذهب كنعان المذكور واستشار والدته لدفع المبلغ لمحمد علي فاجابته اعطهِ من كل بد ربما اذا لم تعطهِ راضيًا يأخذ ذلك منك مكرهًا فعلى هذا الرأي اعطى كنعان المبلغ المذكور في اليوم الثاني لمحمد علي الذي بواسطته كسب محبة العسكر وبعض المشايخ الذين طلبوه ليكون حاكمًا على مصر فعندما محمد علي وصل الى هذه الدرجة وتولى مصر ارسل بطلب كنعان شكور اليه وقال له اطلب مني ما تريد

زواج كنعان شكور

وقد حدث لكنعان انهُ عندما كان في خمارتهِ طلب ابنة ليقترن بها فرفضت ذلك نظرًا لصنعتهِ وعندما وصل الى هذه الدرجة كانه لم يزل يتذكر الابنة فطلب من محمد علي ان يأمر والد الابنة بان يزوجه بابنته فصدر الامر حالاً للرجل الذي افتكر ان ذلك سعادة له وكذلك الابنة فاجاب الطلب حالاً فحينئذٍ أمر له محمد علي ببيت مفروش وكما يلزم لامور العرس وبعدما تم العرس وتكلل الرجل على امرأته وضعها في بيت وحدها مقدمًا لها كل لوازمها من الاكل والشرب والخدمة ولكنه لم يقربها وعمل ذلك قصاصًا لها لعدم قبولها الزواج به وهو في الخمارة فقهرًا عما حصل من الوسائط لم يرضَ

بالقرب منها وبقي على ذلك ثلاثين سنة تقريباً ومات بدون نسل نتيجة عناده

واما امرأته فقد بقيت حية وكانت ساكنة جهة شبرا قد اخبرني هذه القصة الشيخ ابو منصور حنا شكور ابن عمه الذي عرفه عندما توجه مع الامير بشير الشهابي الى مصر وكان كنعان عرض عليه السكن في مصر وترك الامير وانه يورثه كما له فرفض ابو منصور ذلك لانهُ لم يشا ترك الامير بشير ولبنان

وبقينا نتعجب من هذا العناد الى ان حدث قصة اعظم منها في بيروت وهي ان احد الوجهاء المعروفين تزوج بابنة كريمة الاصل غنية فبعد ثمانية ايام من زواجها نفر منها من دون ان تعرف الاسباب وبقي معها عشرون سنة في بيت واحد ولم يكلمها ابداً وبقدم مصروف البيت وهي تحاول جملة امرار لتكلمهُ ولم يجاوب وقد سهرت عندهُ في احدى الليالي وكنا نلعب للتسلية لعبة البازيك فجلست بجانبهِ وابتدأت تعلمهُ وتقول ارمي الورقة الفلانية او الفلانية وبقينا قريباً من ثلاث ساعات في السهرة وما غلط ابداً برد الجواب والاغرب ان خبرها سمع الى اقصى البلاد واذا سألت السيدة عن سبب الزعل تنكر كل شيء وانها منشرحة جداً

والاغرب ان هذه الزوجة غنية وليس لها اولاد ولم ترضَ تبعد عنهُ بل صابرة الى المنتهى حتى توفي بعد عشرين سنة وقبل خروج روحه قال لها باردون بالافرنجي

من هذا الرجل محمد علي

ان هذا الرجل من اعظم رجال الدهر والعصر ولد يتيماً وعاش فقيراً جاهلاً العلم والقرأة والكتابة التي تعلمها وهو والي مصر عاش بين المماليك والارناووط محاطاً بالاعدا من كل ناحية ومتهدداً بالقتل في كل ساعة كيف امكنهُ ان يتصل الى هذه الدرجة وكيف حفظ حياتهُ الى هذا الزمن دخل بلاداً لا راحة فيها ولا امان بل عيشتها بالقتل والنهب والامراض ومع كل ذلك تخلص من هذه الافات وعندما اصبح الزمام في يده قلب مصر بالكلية انقلاباً ادبياً وسياسياً وكما تحتاج اليه مصر فانهُ ابدل الجهل بالعلم والظلم بالعدل والفقر بالغنى ومن جملة فضائله حفظ الجميل لانهُ طلب الرجل الفرنساوي الذي رباه في قواله والذي لم يقدر ان يكافيئهُ فكافأ اختهُ وارسل لها مبلغاً

من الدراهم تعيش به وكذلك التفاته الى كل اهل بلده واقاربه وكان يلتذ جدًّا بمعاشرة من كان يعرفهُ في حالة الفقر كما عمل مع كنعان شكور وخلافه ونظف البلاد من المماليك وحارب الوهابيين وكسرهم وفتح المدارس ورتب مدرسة الطب وفتح السودان ونظم الحربية على نظامات جديدة الى اخره مما قاله التاريخ عنهُ وفي ٢٠ اب سنة ١٨٤٩ توفي في الاسكندرية في سرايا راس التين واخذ الى مصر ودفن في جامعه في القلعة

منجد محمد علي

ان احد المنجدين الذي كان ينجد الفرش الخصوصية لمحمد علي بعد ما انتهى منها وضعها على التخت وحيث كان وحده طلع وتسطح عليها وقال هنيئًا لك يا محمد علي على هذه النومة فبالصدفة عند وجوده في هذه الحالة دخل محمد علي وسمع ما تكلم فعند دخوله نهض المنجد واراد النزول عن الفرشة فامره محمد علي بالرجوع مسطحًا مثلما كان فابتدأ الرجل يرتعش خصوصًا عندما طلب سيفًا فكاد يغيب عن الوجود فأخذ محمد علي السيف وعلقهُ بخيط رفيق ووصلهُ بسقف الناموسية ووجه رأسه على قلب المنجد وأمر ان يهزوا السرير

من يقدر يتصور حالة المنجد في هذه الدقيقة وبعد لحظة امره ان يقوم وقال له انظر يا رجل حالة محمد علي في نومهِ فما عدت تحسده

فلا شك ان هذه الحالة هي حالة كل ذي سلطة فكان محمد علي لا يرتاح في نومه بل يتقلب عند كل دقيقة بحيث يسقط الغطاء عنهُ فكان يضع خادمين لاجل تغطيتهِ ليلاً وبالاختصار ان هذا الرجل من اعظم الرجال لانهُ نهض من الطبقة الاخيرة الى الطبقة الاولى وهو اقرب شيئًا في نابوليون الاول ومع ذلك عدم وجوده في مدارس وجهله العلوم تجعل لهُ فضل اعظم فمنذ ذهاب دولة البطالسة لم ترى مصر مثل محمد علي لانهُ احياها وجددها

وقد تولى ولده (ابراهيم باشا) وتوفى قبل محمد علي وهذا هو بطل العائلة فهو الذي حارب الوهابيين وحارب الموره وهو الذي ركز وراثة

الحكم في عائلته توفي سنة ١٨٤٩ ودفن في جوار الامام الشافعي وحكم اقل من سنة

عباس باشا ١٨٤٨ — ١٨٥٤

وهو ابن طوسون بن محمد ولد سنة ١٢٢٨ هجرية او ١٨١٣ مسيحية وكان فرمانه في ٢٤ كانون اول سنة ١٨٤٨ وكان محباً لركوب الخيل وقد نالت مصر في زمانه اعظم الجياد ومن مشروعاته سكة الحديد بين مصر والاسكندرية والمدارس الحربية في العباسية التي سميت باسمه والتلغراف وقد وضع الحجر الاول لجامع السيدة زينب في مصر توفي في بنها العسل ودفن في مدفن الاسرة الخديوية في القاهرة وذلك في شوال ١٢٨٠ الموافق تموز سنة ١٨٥٤ فتولى بعده عمه

سعيد باشا ١٨٤٨ — ١٨٥٤

هو ابن محمد علي ولد في الاسكندرية سنة ١٢٣٧ وقد تعلم اللغات الشرقية والعلوم الرياضية ومسلك البحار ومن اعماله اكمال الخطوط الحديدية والتلغراف وتعديل الضرائب واسترجاع الاطيان من المتعهدين ومن اشهر ايامه هو تتميم معاهدة ترعة السويس الذي نشط اعمالها كثيراً واقام على طرفها الشمالي لجهة البحر المتوسط مدينة سماها باسمه بور سعيد وفي السنة الثانية لتوليه أسس القلعة السعيدية بين القناطر الخيرية وقد ثارت في ايامه مديرية الفيوم فارسل قوة اخمدتها وفي سنة ١٨٥٩ زار سوريا ومكث ثلاثة ايام في بيروت وكان ينثر الذهب فيها عند مروره في الاسواق والشوارع وقد توفي في الاسكندرية ودفن في مصر يوم السبت في ١٦ رجب ١٢٧٩ الموافق ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٦٣

النديم

ان المزح للفكر كالرياضة للجسم فلا شك ان عقول الملوك والرجال العظام في الدنيا يحملون هموماً لو لم يكن تركيب دماغهم عظيماً او متعوداً على ذلك لما امكنهم احتمالها

فلذلك ان الملوك خلقت ملوكاً فمن الضروري ان يغير الكبير افكاره او يريضها باستماع شيئاً مزحياً في الظاهر ولكنهُ جدياً في الباطن يشرح النفس وهذه وظيفة النديم ان يسر ملكه بامور ادبية بطريقة هزلية ويلزم ان النديم يخلق نديماً ايضاً لان ليس كل انسان يمكنهُ يجد كلمة اوحركة تغير السامع من حالة الى حالة اخرى مضادة لها مثلاً عندما يسمع هذا الحزين او المتكدر كلمة من شخص اخر يضحك وينشرح فما هذه القوة في هذه الكلمة وما هذه القوة في مخترعها حتى غيرت هذه الحالة وخصوصاً عند ملوك لا يعجبهم كل شي. ويقل من يتجاسر على اخذ حريته امامهم بالكلام بكل موضوع فالنديم هو نادرة زمانه ويلزم قبل كل شي. ادابه وعلومه فابي النواس مثل النديم في عقله ونوادره ومعارفه وهارون مثل الظرافة والحلم ومكافات اصحاب الزكا. والشهامة

اخبروا هارون الرشيد يوماً انهُ يوجد رجل في بغداد يشبههُ كل المشابهة بحيث عند مروره يتاخذه الناس انهُ هو فقد احضروه لديه فتأمل به فوجد صدق المشابهة فقال لهُ يا عرابي هل أنت والدتك الى بغداد فاجابهُ كلا يا امير المؤمنين بل ابي فضحك واجازه ويوجد امثلة عديدة لذلك فترى على العموم ان لكل شخص من العظام واحد مخصوص لمسايرته ويستدعيه عند همه واشتغال فكره كما ان له شخص مخصوص يوثر على فكره فترى ان اعظم رجل له رجل اصغر منه يديره كما يشا وهذا له اخر اصغر منه ايضاً يديره وهكذا الى اخر واحد فيكون الاصغر هو مدير الجميع وذلك من ثقة الكبير في هذا للصغير فالهيئة الاجتماعية كالبنيان لا بد من حجر كبير يسنده حجر اصغر يرتكز عليه فمن جملة الندما نديم سعيد باشا الذي سمعنا عنهُ الروايتين الاتيتين

كان من طبع سعيد باشا اذا تكدر لا يمكن لاحد التكلم امامه ما لم يتكلم ويبش فاتفق في احد الايام انه دخل على مجلسه الخاص في هذه الحالة وطالت مدتها بحيث كانت الوزراء اصناماً لا يمكن لاحد ان يتحرك وكان لسعيد باشا نديم كما هي عادة الكبار والملوك كان يسليه في بعض الاوقات وكان اطلق له الحرية التامة ولكن هؤلاء الندماء يعرفون اوقات الحرية لانهم يدرسون اطباع ملوكهم ويعرفون كيف

يتصرفون كان آذنا له بالتكلم متى شاء وصدف حضور النديم والباشا في هذه الحالة فلم يشا ان يفعل شيئاً بل خرج صامتاً فتتبعهُ احد الوزراء وقال لهُ اذا اضحكت افندينا في هذه الساعة خذ من كل منا عشرين ليره فكانوا اثنى عشر فوجد هذا الرجل الجائزة جزيلة فقبل وقال لهُ قالوا الى الفاره من تحت شنب القط وخذي رطلين من اللحم فاجابت ان الجايزة عظيمة لكن الطريق مخطره ومع ذلك سادخل عليكم وابتدي ان اسأل كل واحد منكم سؤالاً اجيبوا عليه ومتى وصلت اليك اطردني بحنق فقال لهُ الوزير نفعل ما تريد ورجع الى مجلسه فبعد مدة دخل هذا النديم لابساً لباس كتبة قدماء الاقباط اي غنباز اسود وزنار اسود وعمامة سوداء والدواية في زناره وشك العوينات في عمته ومسك قلم وورقة ووضع العوينات ودخل وسأل اول جالس في الديوان لجهة الباب ما اسمك اجابه احمد واسم والدك مصطفى ثم انتقل الى الثاني كذلك وهكذا الى ان وصل الى الاخير بجانب سعيد باشا الذي لم يزل عابساً ولم يلتفت لهُ فسألهُ مثل الباقين ما اسمك فقال لهُ الاخير بالتركي (سكتر) بازونك فكتب حالاً النديم وقال وابوك فعندذلك ضحك الباشا مقهقهاً لهذه النكتة وزال كدره فجازته الوزراء كما وعدته

(حادثة اخرى) ثم جرت مع هذا النديم حادثة اخرى وهو انه كان جالساً مع سعيد باشا على المائدة وكان من جملة الوان الاكل باذنجان فذاقه الباشا ولم يستطيبه فابتدى يزم الباذنجان فاجابه النديم نعم يا افندينا ان الباذنجان سويداء معكر المزاج عسر الهضم واوصاف اخرى كهذه فصدف مرة اخرى وجود هذا النديم على مايدة الباشا وكان بالصدفة لون الباذنجان الذي وجده يومئذ الباشا لذيذاً او كما هي العادة لم يعرف الانسان لماذا يستطيب هذا اللون احياناً واحياناً يكرههُ فكهذا حصل وعندما نظر النديم ان الباشا يمدح الباذنجان اخذ يمدحهُ باوصاف عكس الاولى فلاحظ الباشا ذلك وقال لهُ كيف انك تلك المرة عندما لعنت البازنجان لعنته والان لما مدحتهُ مدحتهُ فاجاب يا افندينا انني لست على مزاج البازنجان بل على مزاج افندينا كيفما يقول اقول فضحك الباشا منهُ

وبخلاف هذه الاخلاق الحسنة التي كانت عنده كان محباً للعلوم والمعارف وبكرم الغرباء ويعتني بهم لانه كان يقول ان مصر محتاجة الى الغريب لاجل تعليمها وبذلك تتوسع التجارة بها والمعارف ومتى دخل الغريب دخل المال معه بالحقيقة ان المكسب لا يكون الاّ من الغريب وكل ارض اذا لم تكسب ارضاً جديدة من خلافها لا تصلح وكذلك البلدان مدخولها من الخارج

اسماعيل باشا ١٨٦٣-١٨٧٩

هو ثاني اولاد ابراهيم باشا ابن محمد علي ولد سنة ١٢٤٦ هجرية او ١٨٣٠ مسيحية فتعلم العلوم والهندسة والتخطيط والرسم وجال في اوروبا واختبر احوالها وعوائدها وفي سنة توليه شرف الديار المصرية جنتمكان السلطان عبد العزيز خان وكان اسماعيل باشا يحب ذي المدن الاوروباوية فاعتمد ان يعمر البلاد على هذا الزي وسنة ١٢٨٢ او سنة ١٨٦٦ مسيحية نال من الباب العالي خطاً شريفاً موذناً له بالارث الصريح لبيته اي كل بكر من اولاده واولاد اولاده يكون خديوياً وفي السنة التالية نال لقب خديوي وهو اول ما ناله وفي هذه السنة ١٨٦٧ دخلت مصر فيمكني ان اذكر ما شاهدت عياناً من اعمال اسماعيل باشا الخديوي الاول وموسس الخديوية لاولاده ونسله ورافع مصر الى درجة اعظم مدن اوروبا فلنرجع الان الى مسيرنا من بيروت الى مصر ووصولنا الى اول مدينة منها لجهة سوريا وهي

(بور سعيد) قد قلنا ان هذه البلدة تسمت باسم سعيد باشا عندما ابتدأت اشغال ترعة السويس وهي مدينة اوروباوية تقريباً وهي محل بلوز القديمة واسمها دلبسبس . وهي ابتدى ترعة السويس شمالاً فبعدما جلسنا فيها مدة استئنافنا السير الى

(الاسكندرية) قد ذكرنا ان بانيها الاسكندر وتسمت باسمه وقد كان لها اهمية عظيمة للتجارة قبل فتح بوغاز السويس واكتشاف رأس الرجا الصالح فكانت النقطة الوحيدة بين الشرق وافريقيا واوروبا فاتصلت الى اعلى الدرجات وخصوصاً في زمن البطالسة خلفاء الاسكندر وكان فيها المكتبة الشهيرة التي انشأها بطليموس

الاول كما ذكرنا وهي التي انارت اول مركب في الدنيا بسبب منارتها الشهيرة وفيها تشرح اول انسان لعلم الطب وفيها تمت الترجمة السبعينية اليونانية للتوراة وفيها دفن اسكندر ابو القرنين الذي اتى بجثته من بابل وقد فتحها نابليون الاول وبالاختصار كانت اول مدينة تجارية في افريقيا وكان دخولنا اليها عند الظهر تقريباً وبعد ما خلصنا من قوانين الكمرك توجهنا نسأل عن بطركخانة الموارنة

(بطركخانة الموارنة في الاسكندرية) كان وصولنا اليها قبل المساء فاستقبلنا الريس بوجه عبوس وقهراً عن معرفته اننا من طالبين العلم لم يزل كما كان وعندما نطمن اننا اكلنا في الخارج رأينا اسنانه المقدمة ورأيناها جميعها عندما عرف اننا مسافرون نهار غداً واخيراً توجه معنا لزيارة الشيخ يعقوب حبيش الذي كان غائباً فقابلتنا السيدة التي بشاشتها انستنا عبوسة الاب وغربتنا وفي اليوم الثاني ودعنا الاب الذي كان باعظم درجة في البشاشة وزودنا الدعاء لان هذا لا يكلفه شيئاً فكان يكثر لنا منهُ وتمكنا من منظر اسنانه

ولاجل تفسير عبوسة الاب هو كثرة الواردين اليه من بر الشام خصوصاً من الطبقة السافلة الذين يكلفون الاب مصاريف اكل وتعب في تدبير مصالح لهم فكان يفتكر ان كل من حضر اليه هو بهذه الصفة فتعود العبوسة وحفظ المثل القائل ان بشاشة الوجه تجلب ضيوف الهوا وفي اليوم الثاني صباحاً سافرنا الى مصر

(سكة الحديد من الاسكندرية الى مصر) كان اكثر عجبنا من سرعة السير كاناس نظروا اول مرة السكة الحديدية وكان منظر الارض كمنظر البحر سهول واسعة وفيها بعض بقع مسودة قالوا لي انها قرى يسكنها الفلاح فتعجبت لاول مرة وقلت كيف يعيش الانسان في هكذا عش اخيراً وصلنا الى القاهرة

(القاهره) ففي سنة ٣٥٩ بنى جوهر القاهرة وكان جوهر مملوكاً رومياً رباه المعز لدين الله ثم استوزره سنة ٣٤٧ وجعله قائداً للجيوش ففتح له فاس ومصر وقد قال ابن نباته فيها

تقولوا بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الامر

وهو الذي بنى الجامع الازهر وعند وصولنا الى القاهرة كانت هيئتها تقريباً مثل ايام جوهر توجهنا الى بيت سليم افندي المعوشي الذي كان في حارة القبط وبعدما اعطيته تحرير والدي واخبرته عن غاية حضوري وعدنا ان نتوجه الى احد اصحابه المسمى الياس افندي

(الياس افندي) ان هذا الرجل من بلادنا كان معاون في الضابطة وعندما توجهنا لعنده في السهرة استقبل سليم افندي بكل بشاشة وعرفه فينا وكانت بجانبه زوجته اكبر سناً منه وبالجانب الاخر ولدها من زوجها الاول بسن الياس افندي تقريباً فعندما نظرت هذا المنظر سقط الياس من عيني وعرفته انه رجل دني محب للمال الذي فضله عَلَى لذته واولاده وحريته وربما افتكر انها تموت قبله ويتزوج ونسي ان الجديدة تأخذ بثار القديمة ومن قصة الاصمعي يعرف طبع النساء ولكن ابقيت ذلك بفكري وما كنت في حالة تجعلني اقول فكري لان الفلسفة في غير وقتها تضر فالاحسن للانسان ان يتجاهل في هكذا ظروف لان معرفته تضره اكثر من جهله

قصة الاصمعي والامرأة

كان الاصمعي مسافرًا الى احدى الجهات فالتقى في طريقه بامرأة ملتفة فاراد ان يحادثها لان بمثل هذه الظروف يتمنى الانسان محادثة اي كان لاجل التسلية فمثله كمثل جيعان يأكل كلما وقع تحت يده بقطع النظر عن صفاته فاجابته الامرأة اتركني لانني شائبة فعندما سمع خبر شيبها تركها وتوجه فذهبت هي بطريق قريبة الى ان وصلت الى ماء كان الاصمعي ملتزمًا ان يمرّ فيها فجلست عَلَى هذه الماء وكشفت رأسها وابتدت ان تمشط شعرها فعند ذلك وصل الاصمعي وعندما رآها في هذا الشعر الاسود الجميل قال لها لماذا تقولين ان شعرك شائبًا فقالت لهُ لكي تعلم انَّ ما تكرهه فيَّ اكرهه فيك وكان الاصمعي شائبًا

فاخبراً كم سليم افندي الياس افندي عن شغلي وما هو رايه اجاب ان نهار غداً نتوجه للداخليه سوبتا وانشأ الله ننال المرام ففرحت ولو كان الوعد كذباً لان المحتاج يصدق كل شيء، وقد حضر في اليوم الثاني فتوجهنا الى الداخلية التي كانت في القلعة يومئذ وركبا في عربية تخص الياس افندي فقدمنا التحرير الى ناظر الداخلية الذي كان يومئذ اسماعيل راغب باشا فطلبني لمقابلتهُ فقابلتهُ واحالني الى وكيله ثابت باشا الذي امرني ان ارجع نهار الاربعا القادم وكانت العربة التي معنا مُلك الياس افندي يستعملها للاجرة وعند رجوعنا سألتهُ كم ادفع الى العربجي لانهُ صار لنا ساعتين معهُ اجاب ادفع له ليره فرنساوي فدفعتها حالاً امام سليم افندي فقال لي بعد الدفع ان العربة تحت امرك كلما توجهت الى محل اخبرني وانا ارسلها لك فشكرت فضله ولكن وضعت بفكري ان لا اراها ابداً لان اجرة ساعتها بنصف ليره فرنساوي فلو كانت مركبة مار الياس بيه الذي صعد فيها الى السما لكانت ارخص فثبت حينئذٍ ما في فكري من جهة حبه للدراهم

(قلعة مصر) ان باني هذه القلعة صلاح الدين الايوبي الذي كان حاكماً مصر من سنة ٥٦٧ الى ٥٨٩ هجرية او من ١١٧١ مسيحية الى ١١٩٣

وقد وكل صلاح الدين عَلَى بنأها بهاء الدين الخصي وكان المصريون ينسبونه للاستبداد وكان بهاء الدين اسود فسمته المصريون قراقوش اي الطير الاسود ومن ذاك الوقت كانوا يسمون كل حاكم مستبد قراقوش وقراقوش يضرب بهِ المثل للاحكام الخارجة عن كل تعقل وعدل ومن جملة احكامهِ ما يأتي

(احكام قراقوش) ان احد اصحاب الدين استحق لهُ مبلغ عَلَى مديونه فشكاه لهُ فارسل قراقوش بطلب المديون الذي حضر فاجاب سيدي ان الدين حاضر ولكن كل مرة اتوجه افتش عَلَى صاحب الدين فلم اجده فاجاب قراقوش الى صاحب الدين يلزم ان تبقى هنا حتى يأتي المديون ويعطيك دينك وهكذا بقي محبوس مدة ولم يرجع المديون حتى انهُ ترك الدين وخرج

(طماطم) وعندما كنت مستجداً في مصر كنت اجهل اصطلاحاتها

الخصوصية في الكلام والاسماء فدخلت في احدى الايام لوكندة الاكل سألت صاحبها عما يوجد عنده فسمى لي اسماء جملة الوان ومن جملتها طماطم فهذا الشكل والاسم لم اعرفه في بر الشام فظننت اكلة مصرية خصوصية شئت تجربتها فطلبت منها صحناً فاذا بها بندوره فقلت لهُ مـا هذا ظناً مني انهُ غلطان فقال طلبت طماطم فعرفت حينئذٍ ان البنادوره اسمها طماطم وكنت لا احبها ومع ذلك دفعت ثمن الصحن اجرة معرفة اسم الطماطم ومن ذلك الوقت مـا عدت اطلب شكلاً لا اعرفه مالم اظنره اولاً

(اليزبكية) كانت في ايام الحملة الفرنساوية بحيرة ماء يأتيها من النيل بواسطة ترع مدة الفيضان وكانت الناس تذهب اليها بقوارب للنزهة والانوار ليلاً مع الطرب فاحتفر محمد علي ترع بجانبها لاجل تجفيفها فنشفت الماء منها وغرس حولها الاشجار واصبحت ايام سعيد باشا محل الاجتماعات والقهاوي وعندما حضرت لمصر كانت متروكة على هذه الحالة وفي مدتي انشا فيها اسماعيل باشا الحديقة العظيمة وجرّ لهـا الماء وجعل فيها جبلاً صناعياً مع مغاير صناعية واجرى فيها الترعة بقطع عليها بجسور وهي محل القهاوي والتياترات ومنتزه المدينة وعمل لها صوراً من حديد ورسماً للداخل من احد ابوابها الاربع والاكثر الباب الشمالي حيث كانت المخازن ومحلات اللوكندات والرستورانات والقهاوي الاوروباوية المغنية مع جوق من النمساويات لاجل الموسيقى الافرنجية وهذه المحلات هي محل النزهة وقد ابتدى بعمل الارصفة في مصر عند اليزبكية وكان اول ابتدا الاصلاح فيها وكانت البوسطة الافرنسية هناك وكان فيها مأموراً رفيقنا في مدرسة عينطورا انطون اكوب اسود لكنه افرنسي وكان اكثر تحاريرنا لسوريا تذهب فيها ونأتي نزورها كل جمعة

(القهاوي) وكنا لعدم الشغل نجلس في القهاوي في اليزبكية لانها مجلس الكسالى وكما كانت القهاوي خاصة في الناس يكون علامة على الكسل وقلة الشغل فكان رفيقي اسكندر يطلب الدومينو لنلعب بها بشرط ان المغلوب يدفع ثمن القهوة وحيث انه ادرى مني باللعب كان دائماً يكسب الشرط ولاجل المكسب في هكذا ظروف يلزم ان تكون لذة مخصوصة للاعب امابحب المال او الخوف من الخسارة فمن طبعي ان لا

احب هذه الالعاب ابداً واذا لعبتها يكون قهراً عني لمسايرة رفيق لي وكل من لا يكترث بشي وينتبه لهُ يخسر فانا كنت في هذه الظروف بحيث ان رفيقي كان في كل مامن من الخسارة حتى بلغ بهِ الامر ان لم يعد يحمل دراهماً متى توجهنا للقهوة

ففي احد الايام غلبته وكان المبلغ وصل الى ريال لاننا اخذنا جملة حلويات فما كان معهُ يدفع اخيراً دفعت عنه وحرر لي كمبيالة وندم عَلَى اللعب الذي لا امان له ويحير العقل لانك مثلاً في هذا اليوم تغلب رفيقك وفي اليوم الثاني يغلبك مع انكما انتما فيقال اناه الزهر وكيف الزهر ياتي اليوم الى واحد وفي الثاني الى آخر لا نعرف وحيث لا نعرف لا يلزم نلعب بشيء لا نعرفه وقد كان لاسكندر ثم قديم ذهب الى السوق وباعه لاجل يفي الكمبيالة

فبينما هو راجع وجد رجلاً يلعب عَلَى الطريق بثلاث اوراق بينها الزّبا بحيث ان الشخص الذي يضع مبلغاً عَلَى احدى هذه الثلاثة اوراق وتكون الزّبا فانهُ يكسب و اما اذا وضعها عَلَى احدى الاثنتين الاخرتين يخسر فوجد اسكندر هذا الرجل مع رجل آخر كان شريكه سراً يلعبان فكان كل ما يضع هذا الرجل دراهم عَلَى الزبا يكسب فحركت اسكندر الغيرة وابتدا يلعب فكسب اول مرة ريالاً وبعده ريالاً آخر فطار من الفرح ثم ابتدأ يخسر بالتدريج حتى ذهب بثمن الطقم فوقف مبهوتاً صامتاً وعرقه كعبيط الدم فكان يتأسف ويتنهد عند كل كلمة يخبرني اياها وانا بالعكس كنت اضحك وسنذكر هذه الالعاب وضررها وكل ذلك من عدم الشغل والطمع

المماطلة

ففي اليوم الثاني وكان نهار الاربعا توجهت الى الداخلية لارى شغلي ولكن لبس في عربة الياس افندي لانني سألت عن اجرة الساعة قيل انها بفرنك ونصف فاذا كان بقيت ساعتين يكون ثلاثة فرنكات يعني سبعة عشر فرنك انقص من عربة الياس افندي ومبلغ مثل هذا لواحد مثلي غريب ليس له شغل ولا يعرف احداً ولا يعلم اي متى ينتهي

شغله مهم جداً فاخذت عربة وتوجهت عند دولتلو ثابت باشا وعرضت له ان هذه الاربعا الثانية المنتظر فيها جواب دولتكم فاجاب الاربعا الثانية ايضاً فرجعت وابتدأت افتكر يا ترى لماذا هذه الماطلة كأن ليس لي نصيب في هذا المحل لماذا لم يخبروني لادبر شغلي لانني احتمل مصاريف وغربة بغير فائدة واذا كان لي محل في طلبي هذا لماذا لم يخبروني عنه وبقيت في هذه الافكار بين الامل واليأس فكنت دائماً اسال بعض المصريين الذين عرفتهم هل هذه الماطلة هي ذات خير او عديمة النفع فاعظم رجل في الدنيا لايمكنه الجواب عَلى هذه المسألة فكان البعض يطمني فكنت انفرج وانشرح ولو كان وهماً وبالعكس كنت انزعج عندما يقطع لي الامل وخصوصاً عندما كنت اسمع ان المحلات انسدت لانه لا يوجد اكثر من عشرة محلات للشوام وهؤلاء عَلى مصروف الجيب الخاص للخديوي وقد تحمل عَلى هذا الانعام رئس بطرخانة الموارنة وهو

القس ارميا نجيم من الرهبنة الحلبية

لان هذا القس كان من القسوس العظام ذا غيرة وحماسة ومحبة نحو طائفته بحيث لم تفته فرصة يمكنه بنفع فيها طائفته فعندما جلس اسماعيل باشا عَلى التخت الخديوي توجه القس المذكور كنائب بطريرك ورئس طائفة لتهنئة خديويته فاستقبله بكل بشاشة فالقس المذكور نظراً لغيرته استغنم فرصة من هذه البشاشة وهذه الظروف وطلب من جنابه العالي دخول عشرة تلامذة في مدرسة الطب من الشوام كما كانت العادة قديماً فاجاب جنابه العالي طلبه وأمر بدخول عشرة شوام في المدرسة عَلى حسابه الخاص فحالاً ابتدى القس ارميا بالتفتيش عَلى تلامذة من طائفتهِ لدخولهم في المدرسة فطلب ابن اخته فارس افندي نجيم والشيخ شيبان خازن وميلاد افندي صنير وابراهيم افندي صافي من بيروت وسليمان افندي ابي نحول الذي كان بالصدفة هناك وجملة أخري وعندما تممت هذه العشرة دروسها وارادوا دخول غيرهم محلهم تسابقت الطوائف الاخرى لاخذ هذه المحلات بحجة ان العشرة المنعم عليهم هم من الشوام وليس من طائفة مخصوصة فهذا الذي سهى عن فكر الاب ارميا بتخصيص العشرة من طائفتهِ فلذلك كنت اسمع كل يوم اخباراً ان الطوايف الاخرى اخذت ستة محلات

بحيث على ماسمعت انه لم يبقَ لي محل وكنت ارجع دائماً الى الداخلية واخبر دولة ثابت باشا بكل هذه الاخبار فيطمني فارجع مطمئن البال ولكن هذه السفرات كنت اقطعها على ظهور الحمير لانني وجدت لنها اوفر من العربية والراكب يمكنه يكون بحريته وينظر ماحوله بكل تدقيق اكثر وخصوصاً ان حمير مصر من اعظم المراكب

حادثة الارناؤوطي

ان هذه الحادثة افادتني كثيراً وهو انني مثل شاب ولدت في بلدة كنت شامخ الانف فيها بسبب وجود والدي عضو الادارة وسبب رئاسة امرتي في هذا المحل نشأت شرس الطباع بحيث ما كنت اجد احداً يصدني من اهل البلد فكنت اضرب واشتم واهين بدون معارض وذلك نسبة لخاطر والدي وعندما حضرت الى مصر سكت عن هذه الشراسة نظراً لغربتي او لعدم وجود اسباب لها فيوماً ما بينما كنت راكباً حماراً ومارّاً في الموسكي وهناك ازدحام عظيم مرّ بجانبي ارناؤوطي راكباً حماراً ومسرعاً في المشي فصدم ركبتي فتألمت فقلت بلافرنسية (سابرستي) كلمة تقال عند الحمق وليس فيها شيء مهين فعندما سمع الارناؤوطي هذه الكلمة رجع وابتدا يسب ويلعن ولكن بلغته التي لم افهمها ولكن فهمت ذلك من فتح عينه واحمرار وجه وهيئته الهائلة فدرت وجهي عنهُ واريته انني غير منتبه له ولكن كنت اموت غيظاً في فكري ولكن حسبت اذا كلمتهُ فهو اقوى مني وحيث انني غريب ولا احد يساعدني فاكون انا الخسران فرأيت السكوت اولى ولكن جنابهُ ما كان يسكت بل مشي وكل مدة يلتفت الى الوراء ويقول (سبرستي) فاخيراً التزمت اذهب بطريق اخرى لابعد عنهُ وبعد خلاصي من هذه العركة شكرت الغربة وقلت كم لها من الفضل على تهذيب الاخلاق واخفاء الغيظ وجعل الانسان لطيفاً بشوشاً وانها تعطى علامة لمعرفة الرجل المتغرب وهي اذا كان الرجل في غربته وديعاً هيناً خجولاً متيقظاً سكيتاً فهذا دليل على شرفه واصل منبته وبالعكس متى كان متكبراً فشاراً مدعياً فهذا دليل على اصله المنحط

حادثة ضرب الرب

يقول المثل المصري المحتاج اهبل فهذا صحيح وقد جرى لي فانني عندما كنت في حالة انشغال الفكر بطلب مصلحتي كنت اشرح قصتي لاي كان واظن انه يهتم لها مثلي فكان الذي يجيبني على حسب افكاري انشرح منهُ جداً والعكس بالعكس مسكين الانسان المحتاج لانهُ يكون العوبة الدهر والعصر وقد حدث لي في احد الايام فبينما كنت قبل المساء متوجهاً لجهة سكة الحديد وجدت على الطريق رجلاً امامهُ منديل عليه مقدار من الرمل يقولون له الرمال فانا الذي لم يعتقد بهذه الامور فعندما رأيته وانا في "حالة التفكر واليأس" والرجا قلت فلنذهب عند هذا الرجل ونرى ماذا يقول فبالحقيقة ان الحاجة هي اساس الخرافات فتقدمت الى هذا الرجل ودفعت له عشرين باره فوضع يده على الرمل فبقي رسمها عليه ثم ابتدى بقطع الرمل باشكال أخر وابتدأ يقول كلاماً غير مفهوم ثم فتح كتاباً كل ورقه ابيض وعندما كان يقلب الاوراق فتح امامي بغتة محلاً فيه صورة كصورة الشيطان وربما صورة الرمال ولذلك لم ترعني ثم قال لي انك احضرت معك تحريراً من جبار الى جبار وهذا الاخير يماطلك ولكن لابد من الانتهاء على خير فتعجبت من هذا القول واعجبني جداً فذهبت من عنده مسروراً فما اقل عقل الانسان وما اخضعهُ عند المصيبة والاحتياج فاخبرت بذلك سليم افندي الذي ما كان يعتقد بذلك واخيراً ذهبنا سوية عند الرجل وطلبنا منه ان يعرف اسباب مجيئنا عنده فاجاب بخرافة لم تصب شيئاً فتحققنا حينئذٍ انه من الكذابين ولكن الوهم الذي طبعه بفكري البارح كان يسرني وندمت على رجوعي اليوم بازالة هذا الوهم عني لانني كنت منشرحاً مطمئن البال فماذا افادتني معرفتي ان هذا الرجل كذاب فحقيقة امره ازالت عني انشراح البارح وراحة فكري فما كان يهمني ان اعرف حقيقته لان وهمي به كان انفع لي فمن الغلط ان يزيل الانسان وهماً لا يضرّ به ادبياً او مادياً فهذه حالة الانسان مدة المصيبة وحيث لا يخلو في اغلب الاحيان من مصيبة تراه دائماً يخل بالتعقل الحقيقي عندها فلذلك يلزمه استشارة غيره لان غيره خال من المصيبة فيكون رأيهُ احسن والاحتياج الزم الانسان للاعتقاد

بمثل هولاء الدجالين كضاربي الرمل وكشافي الكنوز واعظم برهان عَلَى كذبهم هي حالهم الفقرية لانهم لو كانوا يعرفوا محل الكنوز والمستقبل والسارقين لاصبحوا اعم الملوك واستغنت الحكومة عن البوليس وعن كل شي مع ان هوءلاء يفعلون كما تفعل اللصوص اي يسلبون المال لانه قبل ان الذي يفضل عن اللص بأخذه المبصر ومع ذلك يتراكض الناس اليهم

صدور الامر لدخولي في مدرسة الطب

واخيرًا بعد عذابي مدة شهرين تقريبًا وصعودي مرارًا الى القلعة التي اصبحت مثل بيتي مع اني اول مدة دخلتها كنت لا أتجاسر عَلَى السير في الدار لان الارض كانت مفروشة بالبسط الافرنجية والعسكرية والياورية دائرة فيها ولم ارَ ذلك في بلادي ابدًا فكنت لا اتحرك ولا اضع رجلي في محل قبلما ارى غيري يمشى امامي خوفًا من ان ادوس محلاً ليس لي الحق بدوسهِ حتى لا اتعرض الى الاستهزاء بي او التوبيخ وهكذا كنت افعل في كل حركة وعندما داومت المسير لهذه المحلات صرت صديقًا للكل وامشي دون ادنى وهم

وعند ما كنت مفتكرًا يومًا ما بهذه العاقة افتكرت انه ربما الباشكاتب ينفعني بالعجله لان عليهِ مدار كل العمل فتصورت بفكري ان ادفع لهُ اربع ليرات انكليزية واعطيها لهُ لاجل مساعدتي بسرعة الامر وليس شبهِ رشوة لان ليس هناك دعوة فتوجهت حالاً واخذت معي الدراهم ودخلت اوضة الباشكاتب الذي كان غير منتبه لي لكثرة شغله فكنت افتكر وافتش عَلَى فرصة لاكلمه وادفع المبلغ وانا في هذه الحالة حانت منهُ التفاتة لي وعندما رآني قال اهنيك يا مسيو قد صدر الامر لدخولك في المدرسة وهذا هو الامر ولم يبق الا ختمه من دولته الذي لم يحضر في هذا النهار لانزعاجه الصحي وانشاء الله نهار غد ان حضر او لم يحضر نرسله لهُ ويكون خالصًا نهار غد تأتى وتأخذه فمن يقدر يصف حالي وفرحي لهذه البشرى التي كنت في انتظارها من مدة شهرين والتي لاجلها تركت وطني وأهلي ومتحملاً التعب والمصاريف واليأس والمداراة فلا يقدر احد ولا انا ذاتي ان يشرح ما شعرت بهِ عند ذلك الحين

شكراً وما امكن لساني يترجم كما في قلبي فخرجت من اوضة الباشكاتب كالسكران او كشارب الحشيش الذي يرى كل الناس اوطى منهُ فكان الذي قبل بساعة يكلمني بكبرياء وانا متواضع لهُ صرت لم التفت اليهِ وكنت امشي بجسارة وحديث بكل حرية فكانني خلعت قيد الاحتياج وصرت حرًا في افكاري واعمالي آه ما اقبح الانسان في اي حالة كان ان كان ذليلاً يتدانى اكثر مما هو لازم وان كان شبعانًا لم يرَ قيدًا ورباطًا لافعالهِ فلذلك لا بد للانسان من شريعة او رباط يربطهُ ولذلك الباري تعالى لم يعطنا كل احتياجاتنا حتى نكون دائمًا محتاجين اليهِ وقد قلت في بعض قصايدي ما باتي

لولا ثلاث لم يكن دين ولا ذكر من الانسان للرحمانِ
موت وافلاس وضعف كلها عنه نأت يدنو الى الكفرانِ

ومع ذلك كل هذا الانشراح لم ينسيني شكر الذين ساعدوني وخصوصاً هذا الباشكاتب الذي لم ازل اتذكره لليوم واتأسف من نسيان اسمه لانهُ واجب عليَّ ان اذكر رجلاً مثل هذا للاقتداء بهِ واخيرًا قبلما اتوجه تقدمت سرًا الى الباشكاتب وقلت لهُ ارجوك قبول هذا مني لاجل هذه البشارة التي استنظرها من مدة وليس هذا برشوة او ضياع حق الغريب ولا انت طالب ذلك بل من كل قلبي فاجاب بكل لطف اشكر احساساتك لذلك ولكن انا رجل غني وانت في غربة تحتاج لهذه الدراهم اكثر مني وما انا عملت شيئًا في مسألتك بل دولته عمل وانا تحت الامر ابقِ هذه الدراهم لك ويكفيني ما اظهرتهُ فخرجت من عنده منشرحًا من كل جهة وكان قسم من فرحي ايضاً وهو ابقاء الدراهم بجيبي لانهم لازمون لي جدًا في ظروف كظروفي فعند وصولي اخبرت سليم افندي عن ذلك الذي انسر جدًا وفي اليوم الثاني رجعت الى الداخلية فوجدت الامر مختوماً ومغلقاً باسم رئيس المدرسة محمد علي فشكرت الباشكاتب من كل قلبي ورجوتهُ ان يقبل عني ازيال دولة راغب باشا الذي كان لم يزل في بيتهِ فدخلت على دولتلو ثابت باشا وشكرتهُ فقال لي ان عاقتي كانت مسببة عن انتهاء دروس فوج الشوام الذي كان في المدرسة لانهُ عند وصولي لمصر كان باقي لهم شهرين لخلوصهم وعندما خلص الامتحان الذي هو في اواخر شعبان اعطوني محل احدهم فشكرت فضله بتوضيحهِ لي

الاسباب ولا اعلم لماذا لم يقل لي اولاً لكي ارتاح من كلما جرى لي ولكن الرجل السياسي لا يسأل عن شيء

ومن غرائب الاتفاق ان في سنة ١٩٠٤ حضر لمدرسة الطب الافرنسية التي انا معلم فيها شاب مصري ليتعلم الطب وكان في صفي فسألت من هو اجاب انهُ ابن ثابت باشا فتعجبت كيف ابن ذاك الذي كنت ارجو العلم بواسطته يطلب العلم مني الان ففرحت به جداً واعتمدت عليَّ مساعدته لان والده ساعدني ولكن لسوء الحظ لم يداوم ورجع لمصر

اعطائي الامر لرئيس المدرسة محمد علي البقلي

في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ الوافق غرة كانون الثاني سنة ١٨٦٨ فهالها الان اربعون سنة توجهت الى المدرسة الطبية فوجدنا الرئيس في اوضة الرئاسة فوق بوابة المدرسة في محل متسع محاطاً بالكتب والكتابة وكان وحده فدخلنا عليه وسلمنا واجاب عَلَى سلامي وبعد مدة اعطيناه الامر الذي قرأه وقال انه لا يمكن اجابة هذا الامر لان عندي اوامر ان لا اقبل احداً من العشرة الشوام الا بامر افندينا الخديوي فيا لها من دقيقة مرت عَلَيَّ لحظتني من اعلى الى اسفل واظلم النهار في عيني ثم قال بعد ذلك اطلبوا الباشكاتب مصطفى افندي درويش لانه كان عارفاً بكل شيء في الاوامر لان الباشكاتب في الدوائر المصرية مهم جداً وهو المسؤول ولا يمكن للناظر او للباشا ان يختم تحريراً او امراً ما لم تكن علامة الباشكاتب عليه

فحضر الباشكاتب فاعطاه محمد علي الامر فاخذه وقرأه وقال لهُ لا تخالف امر راغب باشا فاقبله وبعد ذلك اخبر راغب باشا عن الامر الذي عندنا وهو يدبر الحال فقال عظيم فاذاً اقبلوه وقيدوا اسمهُ بين التلامذة

فيالها من ساعة رفعتني من الجحيم للنعيم وكل قارئ ذلك يحس عني ويترجم الحالة التي كنت فيها فتقدمت وقبلت ايدي الرئيس ونزلت الى الدار وقال لي ان اليوم فرصة اتريد تكون هنا او تذهب وترجع بعد رمضان اجبتهُ ان ليس لي احد هنا ابقى هنا واذهب وقت الفرصة الى المدينة فقال الآن نقيد اسمك بين التلامذة

وهكذا كان دخولي في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ موافق غرة ك ٢ سنة ١٨٦٨ مسيحية

المدرسة الطبية المصرية

هي اول المدارس الطبية في الشرق في ايام الدولة العثمانية وهي من مآثر محمد علي وقد أسسها كلوت بك الفرنساوي الذي نذكر قسماً من تاريخ حياته تاسست اولا في ابي زعبل وهي بلدة حقيرة على مسافة اربعة فراسخ من القاهرة وكان هناك مستشفي للعساكر وكان تأسيسها في شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٢ هجرية الموافقة سنة ١٨٢٧ مسيحية وفيها درس الفوج الاول من اطباء مصر وسنة ١٢٥٣ هجرية انتقلت الى قصر العيني بالنسبة للشيخ العيني الذي له مقام بجانبها الجنوبي للان هناك وهناك تعلمت فيها العلوم الطبية

كلوت بك مؤسس المدرسة الطبية المصرية

ولد هذا الرجل وهو انطون بارثلي كلوت في مدينة كرنوبل في فرنسا في ٧ تشرين الثاني سنة ١٧٩٣ مسيحية من عائلة فقيرة كان والده ضابطاً في الجيش الايطالياني فاستعفى ومرض ومات سنة ١٨١١ وكان يعالجه الدكتور سابه الشهير حيث عرفهُ في الجيش الايطالياني وعندما عرف الدكتور سابه الذي كان مقيماً يومئذ في مدينة برنيتونيول في Brignoles Hôtel Dieu مالكلوت من الرغبة في علم الطب الحقه بوظيفة مساعد له واخيرًا انتقل من محل الى محل مقاسي الم الفقر والذل حتى توصل الى اسمى دكتور واشتهر في ارائه في الجراحة حتى انه في الصدفة ارسل محمد على حاكم مصر يطلب اطباء للجيش فارسل تاجرًا افرنسياً كان في مصر لاجل ذلك تعرف بكلوت بك وطلب حضوره الى مصر بشروط فحضر سنة ١٨٢٥ وعندما ابتداء بتنظيم الجيش عمل مستوصفاً لاجل المرضى في ابي زعبل وابتدأ يعلم خادمي المرضى وظيفة كل منهم بالتغير عن الجروح وخلافها واخيرًا ابتداء بفتح مدرسة رغماً عن المعاكسة له بحيث انه يجعل في مصر اطباء يستغنون بهم عن اطباء اوربا وكان يصنع امتحاناً كل

شهر للتلامذة يدعو محمد علي باشا وبعض الكبار للحضور اليه لاجل مشاهدة الاعمال واخيراً امره محمد علي باشا ان يأخذ تلامذة الى باريس لاجل فحصهم فاذا كانوا من الناجحين استمر على ذلك والاَّ يبقى كالاول وكان قاسى صعوبات عديدة لاجل الوصول الى العلم لان لا يوجد في مصر شخص يعرف اللغة الافرنسية لاجل الترجمة فوجد رجلاً سورياً يعرف الايطليانية فكان يترجم له من الافرنسية الى الايطليانية وهذا يترجم منها الى العربية ويوجد مجلس من العلماء لاجل تصحيح اللغة وهذا الرجل السوري هو من اسرة بيت العنحوري من دمشق

وخلاف هذه الصعوبات في اللغة كانت مسألة التشريح صعبة جداً حتى ان احد التلامذة يوماً ما قدم عريضة الى كلوت بك فبينما كان يقراها هجم عليه وضربه بالخنجر في راسه فاخطاه ثم رجع وضربه في صدره فتلقاه في زنده واخيراً مسكوا هذا الخاين وذلك بسبب التشريح وقيل ان معلم التشريح في ذلك الوقت كان رجلاً نمساوياً فمات احد الخصيان من دائرة احمد باشا في الاسبتالية فاشهروا الخبر ان المعلم شرحه فابتدوا يترصدون معلم التشريح لاجل الحاق الضرر به ففي ذات يوم وهو راجع ليلاً الى منزله ماراً بقرب السرايا وجده اثنان من الخصيان فسألاه اذا كان يعرف معلم التشريح الذي شرح رفيقهما فاجابهما نعم اعرفه ماذا تريدان منهُ فقالا انه شرح رفيقنا مرادنا ان نشرحه مثله فقال اتبعاني وانا ادلكما عليه فمشى الى ان وصلا الى داره فدخلها وعرف اسماهما وقفل الباب وراه وفي اليوم الثاني اخبر عنهما فعوقبا وكذلك كان المصبرون زمن الفراعنة عند المصريين مكروهين وكانوا يرجمونهم بالحجارة ويخلصوا من القتل بصعوبة مع انها عملية دينية

مستشفى قصر العيني

هذا هو المستشفى الوحيد الذي كان يومئذ في القطر المصري وكان يسع لحد الف فرشة وتدخله جميع المرضى من جهادية وملكية وتطبب فيه جميع الامراض مجاناً وكان يعيده المعلمون والتلامذه صباحاً ويبقى طبيب نوبتجي ليلاً ونهاراً لمداواة الحوادث الطارئة على المرضى وادخال ما يستجد منها ولهُ ادارة خصوصية مؤلفة من ناظر

ووكيل ومجلس كتبة ومجلس استشارة وكان يصرف مع المدرسة ٣٥ الف ليره سنوياً ولم يزل مركزه للان شمالي المدرسة وعلى ترعة النيل

الرئيس محمد علي البقلي

كان هذا الرجل ماهراً في الجراحة فصيح اللسان تهابه التلامذة ذا الطباع حدة لا يبالي باحد اذا غضب كثرت اعداه عزل عن الرياسة ثم رجع لها ثم عزل واخيراً توجه في حملة مصر على الحبش وكان بسن السبعين املاً منه ان ادى هذه الخدمة يرجع للرياسة فانكسرت مصر يومئذٍ وقد قتله عبده وهو هربان فعرف ذلك وشنق العبد

(التلامذة) وكان عدد التلامذة لحد مايتين للطب وللصيدلة وكان لبسهم لبس ضباط عسكريين ولهم كل سنة طقم جوخ واخر كتان وكلما يلزم من الطربوش الى السرماية ولهم خرج للاكل من اللحم والارز والخضرا والخبز بستلمها العشي وكانت تعطى الكتب المطبوعة مجاناً للمدربين وبثمن الى الشوام وكان ماهية لكل تلميذ حسب صفه للمبتدي ٣٠ غرشاً صاغاً وللمنتهي ١٢٠ ما عدا الشوام وكانت المدرسة داخلية لا نخرج الا نهار الجمعة صباحاً ونرجع مساء والفرصة مدة شهر رمضان وثمانية ايام في العيد الاضحى وكنا بعد النوم يسكر علينا واذا احتجنا شيئاً نطلب اذناً من الباشجاويش

(كشف سارقي الماء) كنت في بعض الاحيان استيقظ من النوم واطلب الماء فاجد قلتي فارغة وما تمكنت من معرفة سارق الماء ففي ذات يوم خطر لي ان اضع في قلة الماء قليلاً من الطرطير المقيء الذي يسبب القيء ولا يضر ففعلت هذا الامر ولما استيقظت من نومي طلبت الماء فلم اجده كالعادة فخرجت من غرفتي افتش في محلات النوم فوجدت ثلاثة من التلامذة يتقاوئن فقلت لهم عرفتكم يا سارقي الماء فصاروا يترجوني ليعرفوا ما كنت واضعاً في القلة فطمنتهم واخبرتهم انني وضعت قليلاً من الطرطير لاعرف بواسطته لص الماء فاطمأن بالهم ولم يعودوا الى فعلتهم بعد ذلك ومن الشهادة تعرف الدروس وترتيبها والمعلمين ووظايفهم

الشهادة

بعد الامتحان النهائي اى بعد درس ست سنوات تعطى الشهادة الى تلامذة الشوام فقط ولا تعطى للمصريين لان هولاء يبقون في المدرسة بعد اخر فحص فتخبر عنهم عمدة المدرسة مجلس الصحة وهذا يعينهم بالمأموريات اللائقة بهم ولو لم تكن بيدهم الشهادة وذلك لاجل حصرهم في مصر بحيث لا يمكنهم مغادرتها لان الحكومة عليهم مثل عسكرية فلو هرب احدهم الى البلاد الغريبة لا تمكنه المعيشة بلا شهادة وهذا هو القصد من عدم اعطاء الشهادة للمصريين اما شهادة الشوام فهي كما ياتي على الختم

ابدء بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنهُ فانت حكيمُ

شهادة نامه طبية خديوية مصرية

حمداً لمن اعاد الى مصر رونقها الاول بهمة عالي الهمة الالمعي النبيه من اقتدى بنشر المعارف والمنافع بجده وابيه افندينا ولي النعم ذي الفضل الجزيل خديوي مصر وعزيزها اسماعيل حفظه الله وابقاه وادام توفيقه وشكر مسعاه فانهُ جدد فيها انواع المدارس واحيي كل علم رميم دارس فمن جملة هذه المدارس الجزيلة واعظمها نفعاً المدرسة الطبية التي اشرق في المشرق نورها حتى اهتدى بها كل قاص ودان واتاها القاصدون من اقصى الاقطار والبلدان وكان ممن سعى الى هذه المدرسة المنيفة رغبة في تعلم صنعة الطب الشريفة الفطن اللوزعي الاديب والشاب النبيل شاكر افندي الخوري ابن يوسف افندي الخوري احد اعضاء المجلس الكبير في جبل لبنان من بكاسين من اقليم جزين من جبل لبنان من اعمال بر الشام ارسله دولتلو داود باشا متصرف جبل لبنان ووفد الى هذه الديار لاجل التحلي بحلية الفضل ونيل الاوطار وانتظم بسلك تلامذة هذه المدرسة التي هي على نشر المنافع مؤسسة فتعلم بها العلوم الطبية احساناً من المراحم الخديوية وكان دخوله في ٤ رمضان المعظم سنة ١٢٨٤ هجرية الموافق غرة كانون ثاني سنة ١٨٦٨ مسيحية ففي السنة الاولى درس كلا من علم الطبقات الارضية وعلم المعدنيات والكيميا المعدنية وغير المعدنية والجزء الاول من علم الطبيعة

وعلم النباتات وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام في هذه الفنون التي درسها وتلك العلوم التي اتقنها ومارسها فاحسن فيها الاجابة وظهرت عليه لدى الحاضرين اشارات النجابة وفي السنة الثانية درس كلا من علم الكيميا النباتية والحيوانية والجزء الثاني من علم الطبيعة وعلم الحيوانات وفي اخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فاجاب واحسن الجواب وفي السنة الثالثة درس كلا من علم المنسوجات واركان البدن والقسم الاول من التشريح الخاص والتشريح العملي وفن الاقرباذين اي علم تركيب الادوية والعمليات الجراحية الصغرى وفن التعصيب وفي اخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فسر الحاضرين واقر اعين الناظرين وفي السنة الرابعة درس كلا من القسم الثاني من التشريح الخاص والجراحة العامة والفسيولوجيا اي معرفة افعال الاعضاء في حالة الصحة والباتولوجيا العامه وفن العلاج وفي اخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام وكانت اجابته مرضية شافية وفي السنة الخامسة درس كلا من جراحة الانسجة والجزء الاول من العمليات الجراحة الكبرى والتشريح الجراحي والقسم الاول من الباتولوجيا الخاصة اي علم الامراض الباطنة والتشريح المرضى وقانون الصحة والمادة الطبية مع اعادة فن العلاج وامراض الجلد وامراض النساء والاطفال وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فاجاب الاجوبة الفائقة بالالفاظ المفيدة الرايقة وفي السنة السادسة وهي السنة الاخيرة من المدرسة درس كلا من جراحة الاقسام والجزء الثاني من العمليات الجراحية الكبرى وفن الكحالة اي امراض العين وعملياتها والقسم الثاني من الباتولوجيا الخاصة والطب الشرعي وفن الولادة وعلم السموم والاكلينيك الجراحي والباطني والرمدي وفي اخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام الواقع في يوم الاثنين المبارك لواحد وعشرين خلت من شهر شعبان سنة ١٢٩٠ وكان مجلس الامتحان متشرفا بحضرة دولتلو محمد توفيق باشا ولى العهد الخديوية المصرية وحضرة دولتلو طوسون باشا نجل جنتمكان سعيد باشا وسعادة مصطفى رياض باشا ناظر عموم المدارس وسعادة محمد راغب باشا مستشار المجلس الخصوصي وسعادة عبدالله باشا مستشار الداخلية وسعادة ابي بكر راتب باشا وسعادة عبداللطيف باشا ناظر البحرية وجم غفير من حضرات العلماء الاعلام والذوات والتجار الفخام ورؤساء الملل الاجنبية من

ذوي الاحترام وارباب الامتحان فاحسن الجواب والقول المستطاب واعترف له الحاضرون بجودة العلم والتعليم وانه يستحق ان يتسمى باسم الطبيب والحكيم وفضلاً عن هذه الامتحانات المذكورة كان يمتحنهُ كل منا امتحانات اسبوعية وشهرية وكان يجيب عن كل ما القيناه اليهِ من الاسئلة الاجوبة الجلية فاتقن الافندي المذكور العلوم الطبية كل الاتقان وكان اول اقرانه عَلَى حسب نمره في كل امتحان وكان قدوة لاخوانهِ التلامذة في تهذيب الاخلاق وحسن السلوك والاجتهاد والمواظبة عَلَى تحصيل العلوم المذكورة اعلاه وقرن العلم بالعمل واتقنه من غير خلل حيث كان مواظباً عَلَى الحضور معنا في معالجة الامراض والعلل عَلَى اختلاف انواعها في الاسبيتاليه العمومية متلقياً بالرغبة والنشاط فوائد الدروس السريرية ومجرباً ذلك بنفسه احياناً امامنا وقد اجرى اشهر عمليات الجراحة والرمد من استخراج حصاة وبتر واستئصال اورام ظاهرة وباطنة وعمليات كتاركتا وحدقة صناعية وشعرة وتجبير كسور ورد خلوع وغير ذلك فبالعناية الربانية وبالمساعي الخيرية الخديوية قد صار الافندي المذكور طبيباً ماهراً وحكيماً آسياً بصح الاعتماد عليه في كل رأي وعمل والرجوع اليهِ في كل مرض اشتكل جعله الله نافعاً للانام ومسنداً للخاص والعام ولذا حق علينا ان نشهد بفضله ونقر بمعرفتهِ وعلمهِ وان نجيزه بالعلم والتعليم والعمل والتحكيم فاجزناه بالعلوم السابق نشرها والفنون المتقدم ذكرها وكل ما يفعلهُ الاطباء الحكماء بحيث لا يمانعهُ ممانع ولا يعارضه اي معارض كان باى مكان اقام وباي بلدة استقام وبناء عَلَى ذلك قد اعطيناه هذه الشهادة لتكون بيده سنداً مؤيداً وشاهداً معضداً وحرر ذلك في مجلس اطباء القصر العيني الكائن في المحروسة

رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية ومعلم الجراحة الكبرى والاكلينيك الجراحي محمد علي

معلم امراض العين وعملياتها حسين بك عوف

معلم الباتولوجيا الخاصة والتشريح المرضي والاكلينيك الباطني سالم بك سالم

معلم الكيميا العضوية والجزء الثاني من علم الطبيعة يوسف بك جاستنيل

معلم التشريح الخاص والعام حسن بك عبدالرحمن

معلم الفسيولوجيا وقانون الصحة عبدالرحمن بك هراوي

معلم المواليد الثلاث احمد بك ندى

معلم الولادة محمد بك عبد السميع

معلم المادة الطبية وفن العلاج وامراض الجلد محمد افندي بدر

معلم العمليات الجراحية الكبرى محمد افندي فوزي

معلم الباتولوجيا العامة محمد افندي قطاوي

معلم الجراحة العامة والتشريح الجراحي والجراحة الصغرى وفن التعصيب احمد بك حمدي

معلم الكيميا المعدنية وغير المعدنية والجزء الاول من علم الطبيعة صالح افندي علي

معلم امراض النسا والاطفال مصطفى افندي ابي زيد

معلم الاقرباذين علي افندي رياض

معلم اكلينيك الرمد محمد افندي بهجت

معلم الطب الشرعي وعلم السموم ابراهيم افندي حسن

معلم التشريح العملي محمد افندي درى

اشهد ان الافندي المذكور كان حسن السير والاخلاق . ضابط المدرسة الطبية ابرهيم افندي شوقي ان شاكر افندي الخوري المذكور اعلاه كان في مدة اقامته في الاسبيتالية حريصاً على اسعاف من كان يعالجهُ من المرضى بالاسبيتاليه المذكورة وكان يودى وظيفة نوبتجي في غاية الاتقان

ناظر عموم اسبيتاليات مصر	وكيل نظارة اسبتاليات مصر
احمد بك كمال	محمد افندى حافظ

شاكر افندي الخوري من اهالي بكاسين من اقليم جزين من جبل لبنان من بر الشام صار الحاقه بمدرسة الطب احدى المدارس الخصوصيه بالديار المصرية في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ من العشرة الشوام الجاري تعليمهم العلوم الطبية من الاحسانات الخديوية ثم تم دروسه وتعليماته الطبية بظل الذات العلية الخديويه في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٠ كما اتضح من نتائج امتحانه وكتبت له هذه الشهادة من رئيس المدرسة

الطبية وخوجاتها بانهُ يستحق ان يكون طبيباً وحكيماً ويعتمد عليه بكل راى وعمل ولا يمانعهُ ممانع في اي محل اقام ولاجل الاعتماد لزم التصديق من الديوان تحريراً في ١٤ رمضان سنة ١٢٩٠

مدير المدارس والاوقاف

رياض

نظرت هذه الشهادة الممهورة باختام حضرات خوجات المدرسة الطبية بمجلس عموم الصحة المصرية مصدقاً عليها من سعادة ناظر ديوان المدارس والاوقاف ولاجل اعتمادها بمحل اللزوم لزم الشرح منا

في ١٧ رمضان سنة ١٢٩٠

رئيس مجلس عموم صحة مصرية

كلوتشي

(اسفي على الماضي) من الامر العجيب تعلق الانسان بالاوهام فالحقيقة تزعجهُ وتكدره والان عندما اتذكر تلك الايام اتاسف عليها واطلب رجوعها مع انني في ذلك الوقت ما كنت اصدق ان اتخلص منها بسبب التعب والحكم والذل ترى للانسان ثلاث حالات

الماضي يتاسف عليه ولو كان انحس وقت صادفهُ واحياناً يكون فيه فقيراً ومع ذلك فانهُ يتكدر على زواله

الحاضر يكرههُ مع انهُ خير وقت وكفاه فضلاً ان الانسان لايزال فيه حياً

المستقبل يتامل فيه مع انهُ شر من الحاضر لان فيه الموت ويمكن ان تمر فيه على الانسان كل المصائب ومع هذا كلهُ ربما ندم الانسان على الماضي ولعله يكون مصيباً لان ماضيه كان بعز الشبوبية او الولدنة او الطيش او الجهل الذين لا يبالون بالمصائب ويكره الحاضر لان كل احساس مكدر يحزنهُ بكون شاعراً به ويتامل في المستقبل لانهُ يعيش بالامل والامل اصل العبودية لانهُ متى قطع الانسان املهُ من شخص لا يعود يهتم به وهذا مبداء السياسة للخضوع وهو ان يجعل الحاكم كل انسان متاملاً فيه فاذا طلب منهُ امراً لا يصده بل دائماً يعللهُ بقوله نتبصر نتدبر وهذه الكلمة هي التي تجعلهُ يصبر على

المفض

ولنعد الى سياقنا الاول وكنا في بعض الاحيان نخرج ليلاً نسمع المنشدين في الافراح ولذلك نذكر

افراح المصريين

لا يوجد شعب في الدنيا اكثر احساساً للصوت من المصريين اذا كان رجل ذاهباً بامرٍ مهمٍ وسمع رجلاً يغني فلا بد له من الوقوف ليسمع محط النغمة فاذا اعجبتهُ يضرب عمته في الارض ويصرخ اه اه والاَّ يشتم المغني جهاراً ويذهب ولقد كثرت عندهم المنشدون وكان لصاحب الصوت الحسن مقام عظيم ودخل اعظم فالذين اشتهروا في زماننا من المنشدين في الحفلات الدينية هم محرم والشنتوري واخيراً الشيخ يوسف الذي فاق الجميع ومن المغنين اولهم ورئيسهم عبده الحمولي الذي كان يغني لنفسه ولبس لغيره اعني انه كان يشعر بكل نغمة يقولها ويظهر لها احساس في حركات جسمه فكان يهيج السامع بهذه الحركات اكثر من الصوت اصله من طنطا والتي اشتهرت من العوالم هي السيدة المز الاهة الفن لا يمكن لصوت بشري ان يكون الذ من صوتها

وكان تخت الالات مكون من الرق يحمله الريس المغني ثم العود الذي اشتهر فيه جداً محمد الليبسي الذي بقي حياً لسنة ١٩٠٧ وكذلك القانون والمشهور فيه هو الكمركجي والكمنجه اشتهر فيها الجاهل والناي الشيخ احمد وكان لكل تخت مطيب اي الذي كان واسطة بين اصحاب التخت والسامعين ويهيج المحضر وكان يوجد ايضاً المنكتون وهم اظرف من الغنا والذي اشتهر منهم رجل اسمهُ الصدفجي كان ينكت مع المز وخلافها وكان مضحكاً جداً

والذي كان يسهل علينا السمع هو عادة مصر التي تسمح لاي كان ان يحضر الفرح سوا كان مدعواً ام لا وكان اذا حضر وقت الاكل يأكل فهذه عادة كريمة جميلة كانت تسمح لاي كان بالسمع ويستفيد منها الغريب اكثر

ولولع حب الغنا كانت الفعلة التي تشتغل في بناء البيوت تجتمع سوية لانهم كلهم من الاولاد ذكور واناث وتنزل وتصعد بالغنا ينتخبون ابنة ذات صوت جميل وتنشد

امامهم وهم يردون عليها بحيث الذي كان بجانبه ورشة كان ينشرح جداً وبهذه الطريقة كانوا يخففون اتعابهم وينسون حر النهار وعرقه وقد كانت عادة حسنة واليوم بكل اسف قد أُبطلت

(شم النسيم)   ومن جملة مواسم مصر هذا النهار الذي يكون عبارة عن الناروز عند الفرس وهكذا لكل بلاد كاثنين الراهب في بيروت فتخرج جميع الاهالي مع عيالها الى البرية و يمضون النهار بالافراح والاكل وهكذا امور

وكذلك قطع الخليج الذي هو عادة قديمة فيه يزينون مركباً يسمونه عروسة النيل عوض العادة القديمة التي كانوا يرمون في النيل ابنة تقدمة له ليجود بالفيضان عادة وثنية ابطلها الاسلام فهو يوم هرج ومرج وزينة والعاب تمر العروس عند العصر ويقضون الليل بالاعمال التي ذكرناها وكان بجوارنا مدرسة الولادة وحيث لم تطل على النيل كانت تأتي التلميذات لمدرستنا و يشغلن الطابق العلوي ونبقى نحن في الطابق السفلي وكنت اعرف منهن تلميذة احسنهن وكانت صداقة بيننا وقد نظمت في ذلك اليوم لها الابيات الآتية وكان بيدي مرآة كنت انظر وجهها فيها

مالي ارى النيل في ذا اليوم مضطرباً ... وماوه بعد صفو صار في كدرِ
والسفن في هرب فيه وفي مرحٍ ... والشمس في خجل والنار في هدرِ
والقلب في شغفٍ والناس في فرحٍ ... منهم على سكنٍ منهم على سفرِ
يأتون من كل فجٍ يسجدون على ... تلك الشواطي بلا هم ولا ضجرِ
الى النجوم التي من فوقهم جلست ... وبينها قمرٌ ناهيك من قمرِ
ابصرت صورته من كان في فلكٍ ... فوقي ولاح بمراتي الى نظري
محجب برداء اصفر ملسٍ ... يلفه دائماً من اسود الحبرِ
ابدي جبيناً صبوحاً خلتهُ ملكاً ... وثغره يزدري ان لاح بالدررِ
له سهام عيون كم يصيب بها ... قلب الشجي بلا قوس ولا وترِ
لما رايت فوادي صار في شغف ... واصفر وجهي ورشدي ضاع مع فكري
ايقنت اني بدار الخلد منتقل ... ومن اراها امامي ابدع الحورِ

الشحاذون او السوالون في مصر

كان السوالون في مصر يقلقون المارين و يزعجونهم بمطالبتهم حتى وصلت بهم القحة ان يقدموا استدعاء الى الخديوي اسماعيل وهو مار بعربته للنزهة فصدر امره وقتئذ بالقبض على كل شحاذ وارساله الى المستشفي ليفحصه الاطباء فكان يرسل السليم منهم الى العسكرية والعاجز الى دار العجزة وفي ذات يوم بينما كنت نوبتجيا في المستشفي اذ حضر جمهور غفير مصحوبا بالجند ومعهم امر من المحافظة فارسلت خبرًا للرئيس فحضر مسرعاً فوجد هذا الجمهور البالغ نحو ثلاثماية شخص فامر حينئذ بخلع ثيابهم والبسوهم ثياب المستشفي فعصوا و بدأوا يصرخون طالبين ابقاء ثيابهم عليهم وصارت العساكر تضربهم حتى تمكنوا من تقليعهم ثيابهم وبعد ما وضعوا الثياب اكداسا امر الرئيس ان تجمع هذه الثياب وعند ما اراد احد الخدم ان يرفع ثوباً من الارض وجده ثقيلاً ووقعت يده على شيء مستدير فجسه واذا فيه دراهم واخبر الرئيس بذلك فامر بتفتيش ملابسهم فوجدوا فيها مبلغاً من الدراهم بين طيات الثياب مخاطاً عليها وقد بلغ مجموعها نحو ثلاثة الاف ليرة استولت عليه الحكومة فهذا بعض فعل الشحاذين ايضاً وهو عند ما كنا نمر في شارع الموسكي كنا نرى رجلاً مصاباً بفتاق او بقيلة مائية او بمرض الفيل لابساً سروالاً كبيرًا يمشي متماهلاً متمايلاً لكل الجهات لثقل الورم الذى بين فخذيه وكانت الناس تحن اليه لاجل عاهته ففي احد الايام بينما هو سائر غير منتبه صدمته عربية القتةُ في الارض غير انها لم تؤذه وعند ما انطرح بالارض اسرع الناس من كل جهة ليرفعوه عن الارض ولكنهُ ابى القيام واخيرًا حضر البوليس وانهضهُ رغماً عنهُ وعند نهوضه تساقطت الليرات الصفراء من ارجل سرواله وزال الورم بالكلية لانه لم يكن سوى دراهم التي بلغت نحو ثلاثماية ليرا وكان الناس يرونهُ بهذه الصفة فيحسبونهُ مريضاً وهذا من بعض حيل المتسولين ايضاً فاعمال كهذه ترفع الشفقة من القلوب وعلى العموم كل من يشحذ جهارًا لا يكون محتاجاً ولا تجوز عليه الحسنة واما الفقير المسطور هو المستحق كل شفقة فالشفقة تكون على من يستحي و بالعكس

بطركخانة الموارنة في مصر ورئيسها القس جبرايل

كنا نزور البطركخانة عندما نكون مفلسين وفي خلاف حالة كنا نذهب للقهاوي وكان القس جبرايل صفير بشوش الوجه وقد حضر سنة ١٨٦٨ وكان جميل الصورة وهذا نادر عند الرهبان وعمل اعمالاً عظيمة فانه بنى كنيسة درب الجنينة ثم عمل كنيسة وكرسي في شبرا وكنيسة اخرى في الزقازيق واخيراً اخذ محلاً في الخرطوم مجاناً وكان مراده يعمل فيه كرسياً وكنيسة وكان يستحق ان يسمى مطراناً على مصر وعندما علم ان غيره اخذ هذه الوظيفة تأثر وربما هذا سبب موته في الخرطوم في ٣٠ ك ٢ سنة ١٩٠٥

وعندما كنت في المدرسة كنت ازوره وقد قال لي يوماً يزعمون انك شاعر فانظم لنا شيئاً فقلت

ياسائلي عن جنة في ارضنا   هل لي الى ذاك المقام سبيلُ
ان شئت رويتها فرج باكراً   واقصد حمى دير بهِ التبجيلُ
وامرر على درب الجنينة واستمع   نغمات تسبيح الاله تطولُ
فهناك جنة ارضنا موجودة   فيهـا ملائكة الاله تميلُ
وبها يقيمون الصلاة لربهم   ورئيسهم وامامهم جبريلُ

فضحك عند ذلك وقال ان هذا الشعر ركيك ويلزم ان تنظم لنا احسن منهُ فقلت له اغيره حالاً قال افعل فارتجلت

ان كان شعري في المديح خسيسا   فاعذر لاني مادح قسيسا

فاغرب من الضحك وقلت لهُ هل اكمل قصيدتي اجاب كفاني هذا القدر

(نكتة اخرى معه) عندما نظرتهُ في بيروت وزرتهُ وكان عنده الخوري يوسف العلم فقلت الى الخوري يوسف ان هذا الرئيس هو رجل فاضل عمل كذا وكذا من الاعمال الحسنة في مصر ولذلك اعرفك بهِ فاجاب القس جبرائيل الذي يمزح معي احياناً وقال يا ابونا اعرفك باشطن واحد عرفتهُ لا يخلي احداً من شر لسانهِ فالتفت حينئذٍ الى الخوري يوسف و قلت له الصحيح يا ابونا اننا كذابون

لا تصدق احد

وكان مع القس جبرايل قس اخر اسمه مكاريوس عجلتوني وكان جاهلاً بسيط القلب يزورني بعد ما خرجت من المدرسة

ففي احد الايام اتاني زائرًا وكان الوقت بعد الظهر والحرّ شديد فتعجبت من مجيئهِ في ذلك الوقت وسالتهُ السبب فاجاب انهُ كان يدفن ميتًا من طائفة الارمن الكاثوليك وانهُ مرّ عَلَى منزلي ليزورني فسألته مازحًا عن الاجرة التي قبضها اجاب انها ابرة فرنساوية فقلت لهُ هذا قدر عظيم فاجاب ببساطة بلغتة الطبيعة (هذا يصلح له) يموت وليس هو نظير النوَر الذين يموتون ولا يخلفون شيئًا للقسيس

وكان نظرًا لحبه لي يلج عليَّ بالزواج وكنت ارفض طلبهُ مبينًا لهُ ان ليس هذا وقتـه لانني كنت خارجًا حديثًا من المدرسة ولست معدًا ذاتي لهُ ان كان ماليًا او ادبيًا ولا اعتمد عَلَى مستقبل حسن فاجابني انني ادبر لك ابنة تغنيك عن الدراهم الان قلت لهُ ماذا يكون مقامي عندها اذا كنت محتاجًا لها لان الامرأة لا تحب زوجها ما لم تكن تعتبره وهي محتاجة اليه وتكون بالعكس اذا احتاجها لانها لا تنتظر ذلك منهُ قال ان الابنة التي اعرضها عليك لا تفتكر هكذا افكار فقلت لربما تكون في المستقبل سالكة مسلكًا غير حسن فتتعبني فعندئذ اجاب ببساطته المعروفة ان لم توافقك في المستقبل تبقى في كيسي كانهُ ظن الامرأة فرسًا يعرضها للشرآء فاجبتهُ وانا يا ابونا خائف من كيسك

وكان في الدير قس اخر اسمه اقليموس احرز شهرة عظيمة في طرد الشياطين وقد كنت في احد الايام موجودًا بالبطركخانة واذ سمعت بغتة صراخًا قويًا في الكنيسة فنزلت ووجدت الاب اقليموس ماسكًا حذاءه وفي لغته مداسه وهو الاصح لانه اتى من الدوس بيده ويضرب به راس جارية سودآء ويقول اخرج منها يا ملعون فما كنت اعرف من اين اتت عادة ضرب المداس لخروج الشياطين فالمسيح والرسل كانوا يخرجونهم بالصلاة والامر وهذه العادة جديدة يفتكرون فيها كسر كبرياء الشيطان اذا ضرب بالمداس فيحمق حينئذ ويخرج فيكون الشيطان بهذه الطريقة شريف النفس احسن كثيرًا من جملة بشر يأكلون ضرب المداس ويقولون ضربك شرف (ياسيدي)

ثم يستريح ويصلي ويرجع الى العمل ذاته وله جلد عظيم لاجراء هذا العمل فعند ما رآني تبسم فقلت له ارجوك ان تخرج الشيطان من هذه الفتاة وتأمره ان يدخل فيّ قال هذا لا استطيعه لان فيك شيطان اكبر منه . وكنت متعجباً من جلد الاب اقليموس فخطر ببالي قصة تروى عن احد المقسمين

قيل انهم احضروا احد المجانين الى راهب ليقسم عليه وكان هذا بليداً نظير القس اقليموس فامره بالركوع واخذ كتاب الانجيل ووضعه على رأسه وابتدأ يقول ب . س . م . بسم ١٠ . لا ٠٠ ب . الاب فقال له الشيطان ماذا تريد ان تعمل قال له مرادي ان اتلو عليك كل الانجيل بهذه الصفة فقال له الشيطان ها انا خارج ولكن خروجي ليس لقداستك بل لبلادتك . ما اظرف هذا الشيطان والطفه فانه احسن من اناس كثيرين اذا جلسوا عندك يعطلونك عن اشغالك ولو قرأت الانجيل والتوارة تهجية لا ينصرفون عنك . فالاب اقليموس كان يستعمل هذه الطريقة الاخيرة اكثر من الاولى وكان يعتقد بذاته ان الشياطين يطيعونه لانهُ كان يصوم صوماً طويلاً وكان كثيراً ما تهجم عليه المجانون وتضربه وقد كادوا مرة يخنقونه واخيراً توفى فعسى ان لا يكون في مكان تاخذ الشياطين منهُ ثارها

قصة بشاره مع الرئيس محمد علي البقلي

ففي احد الايام بينما كنا في درس محمد علي واذا بشهيق حمير اسكت المعلم عن الشرح فكلف احدنا بشاره ان ينظر هذه المسألة فخرج ورجع وعندما سألهُ المعلم عن ذلك اجابهُ ان سعادة حمارك عندما راى دابة مصطفى افندي ابتدى بالنهيق فعند ذلك نظر اليّ الرئيس وقال يا شاكر هل تمنحون الرتب والالقاب في بلادكم الى حميركم فاجبتهُ نعم يا سيدي ولذلك سميناه بشاره افندي فضحك الرئيس وانسر من هذا الجواب

اعتبار الرياسة

باعتبار الرياسة نجاح الهية قيل لا تسكن بلاداً لا تعتبر رئيسها لانها تكون

فالتةً بدون نظام ومهما كانت حال الرئيس يلزم لهُ الاكرام والاعتبار لان من علا ورفعته الهيئة الاجتماعية هو كل شيء . فالصورة التي يصورها الرسام يرميها في الارض واحياناً يبصق عليها لاجل صناعتها ويكون لها كل شي وعند ما يرفعوها فوق المذبح ترى ان مصورها ذاته يسجد امامها ويصلي لها ولا يمكنهُ مسها لان الهيئة الاجتماعية رفعتها وتكرمها فوالحالة هذه ان الرئيس هو كل شي لانهُ حامل النظام والقانون النافع للهيئة فعلى هذا المبداء كنت اسير واكرم جميع اساتذتي ادقق السير على موجب النظام اذ تيقنت ان خروجي عنهُ يخرج باقي التلامذة وهذا الامر ربما اضرهم فلا احب ان اعلمهم العصيان وكنت افتكر انني اذا خالفت النظام ولم يسألني عن عملي احد اعتاد على مخالفته حتى اذا شاء صاحب النظام مقاصصتي على ذنبي كان قصاصهُ بحق وان عفى عنه كان عفوه كرماً منهُ وذلاً لي وباي حالة كانت ليرتاح الانسان في معيشته ويحافظ على شرفه وراحة ضميره يجب عليه ان لا يحيد ابداً عن القانون والنظام وحينئذٍ يرى الانسان نفسهُ حراً ليس مذلولاً بذنب او مخالفة فهذه هي الحرية وليس بالخروج عن القوانين لان عقل كل واحد لا يشبه الاخر فيسن كل واحد قانوناً لنفسهِ فتخرب الهيئة فلذلك يلزم ان يتبع القانون العمومي لبلد الذي ترتب حسب احتياج السكان وعوايدهم ومناخ بلادهم وبالاختصار لا توجد راحة الا بطاعة القوانين والروساء ولا يلزم ان تلومهم اذا نظرت منهم عملاً تظنهُ خارجاً عن دايرة العدل بحسب فكرك ربما فعلوا ذلك لغاية نافعة لا تدركها لانك لست من ارباب السياسة لتعرف او تدرك اسرارها فلومك هذا كلومك طبيب جراح يستاصل ورماً مضراً بحياة مريضه فلا تفتكر في العمل الا بالذي تشاهده اي صراخ المريض وسيلان الدم ولكن متى عرفت الغاية التي لاجلها اجرى الجراح هذه العملية تشكره حينئذٍ وهكذا عن بعض عمليات سياسية لا شك يكون فيها نفع العموم ولو ضرت بالافراد ويلزم للحاكم ان يراعي في بعض الظروف اهمية الشخص وقد حدث ان احد شركا نسيب بك جنبلاط ادعي على ارض يد نسيب بك انها له وكان ذلك زوراً فعتب الشريك على القاضي بكونه حكم لنسيب بك فقلت له لو كنت انت القاضي وحضرت دعوى بين نسيب بك وشريك لهُ خصوصاً انها كذب الى من تحكم ضحك وسكت علامة الاقناع

وكان لي رفيق اسمه مصطفى شكري وهو الوحيد الذي كان يطلع على شعري ومعظم نظمي كان يكلفني بهِ وهذا الذي كان يجعلني انظم واتعب بالنظم لاجل ان امسره وكنت التذ عندما اراه ينشطني ويطلب مني شعراً اذ لا شيء اقوى للشاعر من استحسان سامعه لقوله واعظم شعراء الدنيا كان سبب حبهم القاطع تنشيطهم خصوصاً اذا كان للنساء ضلع بهِ ولكن وا اسفاه اين نجد تلك النساء العالمات اللواتي ينشطن العلم والعلماء. فاذا فحصت ترى اعظم عالم كانت تنشطهُ النساء فالنساء الفاضلات وجدن منشطات في كل الفنون والفضائل كالشجاعة وخلافها ولكن لعب القمار لم يبق واحدة لذلك لانهُ يحط العقل والفكر الى ادنى من الحيوانات وكنت في ذلك العمر وتلك الظروف شديد الهوس بهذه الاشعار ومن التي قلتها في ذلك الحين هذه القصيدة

روحي فدا من لا ابيح باسمها ... اضنت فؤادي من زيادة هجرها
فشكوت طول بعادها ودلالها ... وشكايتي منها غدت من شكرها
لما رأت سقمي بكت من شفقة ... وانت تعود عليلها في امرها
لم انسها لما اتت في عيدها ... عيد الصغير فكبرتهُ بكبرها
سمح الزمان بليلة من عمره ... فشفى فؤادي ليتهُ من عمرها
فيها ظلام قد كست اثوابهُ ... كبد السما في حين غيبة بدرها
ناديتها يامنيتي ومنيتي ... في ليلة شهدت برفعة قدرها
فتبسمت ورأيت من تبسيمها ... ثوب الظلام ممزقاً من ثغرها
فخشيت من واشٍ يرى ما بيننا ... فرقعتهُ حالاً بظلمة شعرها

وقد نظمت قصيدة اخرى عندما سافرت احدى معارفنا بالسكة الحديدية الى المنصورة منها هذه الابيات

لما مشى الفابور وهي بقلبهِ ... وبقلبي النيران عز مثيلها
سكبت دموعي حسرة وصبابة ... في مصر حتى فاض منها نيلها
فحكى نواحي والبكاء هديره ... وصفيره للروح كان عويلها
اخذوا مياه بخاره من ادمعي ... واعرتهم نار الفؤاد تحيلها

اما الدهر فشيمتهُ الغدر فلا يبقي لذة ولا راحة لاحد ولقد اصيبت تلك المسكينة

بالسل قبل زواجها وكان حزن خطيبها عليها عظيماً لانها كانت محبوبة من الجميع نظراً لذكائها ورصانتها وفطنتها وهذه على الغالب صفات المسلولين

رفاقي الشوام

وكان الحسد زائداً بين رفاقي الشوام كعادتنا في كل محل نوجد فيه ولذلك نرى انهُ اذا تقدم رجل على رفاقه يكثرون من بغضه ويعملون كل شي لاسقاطه خصوصاً لاننا كنا نختلط مع بعضنا وقد قيل الاختلاط سبب الاختلاف لان قد تتباعد الافكار ويتولد الحسد ومتى رفع التكليف حصل الاختلاف فمن رفع التكليف تكلم كل شي ولربما ان الكلام الذي يسر صاحبك اليوم لا يضحكه غدا اذ لربما كان في ظروف لا تسره لذلك يجب على الانسان مراعاة ظروف الحال مع صديقه كي لا يزعجه ولا يطلق لذاته الحرية التامة لانها تمنع الاعتبار ومتى قل الاعتبار كثر الكلام وهذا الامر يتم بين الشخصين مهما كانا متفقين ومن شروط الاتفاق ان يكون الواحد خاضعاً للاخر ولكن متى كان كل منهما مترأساً ومديرا فسد الصلاح المرغوب وكنا في المدرسة من طوائف مختلفة والحسد مشتد بيننا وصدف في ذلك الزمن ان قسماً كبيراً كان من غير طائفة ومن بلاد اخرى وكنت رئيساً لحزب ثان اقل عدداً وكان الحسد متهيجاً عليَّ اكثر لانني كنت اكثرهم علماً وتقدما وهذا هو السبب الوحيد لتوجيه حسدهم اليَّ لان الرجل مهما كان عاقلاً لا بد ان يكون عرضت للحمق من ادنى الاسباب فيكون كالاولاد وكنا في المدرسة نختصم مع بعضنا ولو بلا داعٍ موجب كذلك الانسان يصغر عقله في بيته وقريته فترى انه اذا حدث حادث في قرية اخرى واهتم اهلوها بذلك تضحك منه لصغره ولكن اذا جرى هذا الحادث نفسه في بلدك تهتم به ذات الاهتمام وهذا ما يقال عن بيت الانسان وقد نظمت في هذا المعنى شعراً

يزداد عقل الفتى جوهراً   في خارج البيت وفي غربته
وينقص العقل بلا شبهة   في داخل البيت وفي بلدته

ان انقسام بلادنا واهلها الى طوائف مختلفة هو سبب خصامهم المستمر وحسدهم بعضهم وقد كانت التلامذة العشرة الشوام يومئذٍ من طوائف متعددة وكل منا يذهب

وقت العطلة الى بطركخانته وكان وكيلها يقول لجماعته لا تدعوا رفاقكم الشوام خيراً منكم وهكذا يوجه افكار التلميذ للحسد من قريبه بحيث انهُ كان اذا تقدم عليه المصري لا يتأثر من شيء ولكن اذا فاقهُ رفيقه الشامي يموت غيظاً ولا يكتم غيظهُ بل يعمل اسباباً تدعو للعراك والخصام فمثلنا كمثل رجل صاعد سلماً ورفيقه بعده فاذا كان سوريّاً فترى الذي اسفل يشد برجل الذي اعلا ليسقطهُ واذا كان افرنجياً ترى الاعلى يمد يده للاسفل ويرفعهُ او يعينهُ على الصعود وهذا سبب تأخرنا وتقدمهم كفانا قصاصاً ما نحن فيه من الانحطاط عنهم

(غرق المدرسة) انهُ في سنة ١٨٦٩ في شهر آب زاد النيل زيادة هائلة واخذ الماء بالارتفاع الى المدرسة من نوافذ غرفها الغربية التي تعلو عن ترعة النيل كثيراً فصعدنا الى الطابق العلوي وعندما كنا نريد الخروج من المدرسة كانت تأتي الزوارق الى دار المدرسة فننزل من الدرج الى الزورق وكنا في شهر شعبان الذي نستعد به للفحص الذي اخرناه تلك السنة خمسة عشر يوماً لكي يحضره علماء اتوا من اوروبا لاجل تدشين فتح ترعة السويس وقد جرى فحصنا يومئذٍ امام جماعة من اطباء اوروبا ووزير المعارف في فرنسا وكانت هذه سنتنا الثانية المدرسية

فتح ترعة السويس

طالما اشغلت هذه المسألة افكار المصريين وحكام مصر منذ نشأتها فقد ذكر التاريخ ان جملة من الفراعنة جربوا فتح هذه الترعة ولم ينجحوا ولكن لكل زمن رجال ولكل دولة اقبال ولكل فلاح وسائط وظروف ولسنا بحاجة لذكر تاريخ هذه التجارب لان التاريخ ذكرها قبلنا غير اننا نذكر مسألة واحدة وهي الصعوبة التي كانوا يتصورونها بفتح هذه الترعة اذ كانوا يزعمون ان البحر الاحمر اعلى من البحر المتوسط ويخشون من اتصال مياه هذين البحرين ان تغرق مصر من جهة البحر المتوسط وبقي شرف فتح هذه الترعة الى زمن الخديوي سعيد باشا الذي ساعد في اجرائها وقد تولى عملها فرديناند دليسبس المهندس الفرنساوي العظيم وبدأ الشغل من جهة البحر المتوسط وهناك بنوا

مدينة دعيت بورت سعيد تيمناً باسم سعيد باشا

ولم يسعد الزمان سعيد باشا لاتمامها بل بقي المجد محفوظاً الى اسماعيل باشا الذي دعيت باسمهِ مدينة اخرى مبنية في منتصف مسافة الترعة وعندما كانوا يبنون هذه المدينة وجدوا بالقرب منها مدينة قديمة اسمها رعمسيس وهي التي ورد ذكرها في التوراة وان بني اسرائيل كانوا يشتغلونها وهي من ارض جسان

واذا لاحظت الاعمال العظيمة التي جرت على وجه الارض تراها محصورة في بلاد العبودية اذ لولا القوة لما ظهرت تلك الاعمال الجسام فالاهرام وترعة السويس لا يمكن وجودهما بغير مصر وقد كان يستحيل نجاح فتح هذه الترعة التي كان مهندسها دليسبس الشهير رغماً عن معارفهِ السامية وعلومهِ العالية لولا مساعدة اسماعيل باشا الخديوي له فانهُ ضيق على الفعلة وقبض عليهم بيد من حديد للحضور الى الشغل كما كايوبس في بناية الاهرام

فمن اراد ان ينظر فعلة الاهرام فلينظر الى المراكب التي كانت تأتي بهم من كل نواحي مصر وصعيدها آتين في النيل على سقالة واقفين كالاغنام بحيث لم يكن يوجد محل كافٍ ليجلس فيهِ الرجل والفرق بين باني الاهرام وفاتح ترعة السويس عظيم لان الاهرام عملت لشخص واضعها واما فاتح ترعة السويس فابقاها للعالم اجمع وقد كلفت نصف ما كلف بناء هرم واحد فكلفت الترعة مايتي مليون فرنك مع ان هرم كيوبس حسب هرودوتس المؤرخ كانت تشغل يومياً مائة الف فاعل مدة خمسين سنة قدر بكم الفاعل مهما قدرت ترى الترعة نصف اكلاف ولهذا فان ذكر اسماعيل باشا سيبقى مخلداً وقد اهتم اهتماماً عظيماً ليجعل يوم تدشين هذه الترعة لا مثيل له ولم يذكر التاريخ مثله وكانت العملة تقبض اجرتها من الكومبانية بكل تدقيق ومن اراد الاطلاع على اشغال هذه القناة عليهِ بكتاب مور بس فونتان الذي هو مستوفٍ شرح ورسومات اشغال القناة لو رسموا باني الاهرام لما حصل فرق البتة في لبسهم وهيئتهم

(المدعون لتدشين الترعة) اولاً : الامبراطورة اوجني زوجة نابوليون الثالث التي استقبلناها في محطة سكة الحديد ونزلت في سرايا الجيزة وعملوا لها

زينة ثلاثة ايام وقبل يوم التدشين ذهبت الى سرايا الاسماعيلية مع المدعوين

ثانياً : الامبراطور فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا والمجر وهو الوحيد الباقي مثل امبراطور من تلك الحفلة واليوم يوبيله ١٩٠٨

ثالثاً : فيكتور عمانوئيل ملك ايطاليا وجد الملك عمانوئيل الثاني الحالي

رابعاً : ولي عهد انكلترا الذي هو اليوم ادوار السابع ملكها

خامساً : ولي عهد روسيا اسكندر الثاني والد الامبراطور نقولا الثاني الحالي

سادساً فريدريك ولي عهد المانيا ووالد الامبراطور غليوم الثاني الحالي

سابعاً معظم اشراف وعلماء اوربا خصوصاً من الفرنساويين وكانت جميع مصاريفهم من حين خروجهم من بيتهم الى حين رجوعهم اليها على حساب الخديوي بحيث كان يمكن ان تفتح بهذا المصروف ترعة اخرى

وقد شاهدت جميع هولاء المدعوين من ملوك وخلافهم الذين كان استقبالهم عظيماً وخصوصاً شاهدته في الاوبرا التي عملها الخديوي اسماعيل وكلفت ٣٥ الف ليره مع لبسها ومشخصيها التي كانت تأخذ الاولى منهن الف ليره شهرياً وشخصوا فيها اول مرة رواية عايدة التي تشخص زمن الفراعنة وكانت بالايطاليانية وكانت ليلة لم يعدها الدهر خلدت ذكر اسماعيل باشا صاحب الدعوة وقد زارت الامبراطورة مدة اقامتها في مصر شجرة العذراء وهي شجرة جميز يقول التقليد ان تحت هذه الشجرة استراحت العايلة المقدسة حين مجيئها لمصر وتوجد في المطرية المسماة قديماً اون الشمالية اقدم من منفس وان العرب بنتها وسمتها اليونان هليوبوليس اي مدينة الشمس وفي سنة ١٩٠٦ سقطت هذه الشجرة ومن المطرية توجهت الامبراطورة الى جبل الجيوشي لاجل رؤية الغابة المتحجرة راكبة حماراً وقبل اليوم المعين للتدشين ذهبت الى الاسماعيلية

(الاسماعيلية) بني اسماعيل باشا سرايا مخصوصة لاجل يوم التدشين فكان فيها بالو تلك الليلة وبعد فطور الظهر نزلت الامبراطورة اوجيني في وابورها وسارت بالترعة متقدمة الجميع ويتبعها الملوك في وابوراتهم ومن هناك ذهب كل واحد الى مملكته وكان تاريخ التدشين في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ وفي اليوم الحادي

والعشرين من الشهر ذاته بدات الشركة بوضع الرسم عن كل راكب وكل طن عشر فرنكات

وكانت هذه الحفلة اخر سعادة الامبراطورة اوجيني لانها بينما كانت منهمكة بالافراح اتاها تلغراف من زوجها الامبراطور نابوليون الثالث يطلب به سرعة عودها الى فرنسا وقتئذٍ بدات التجهيزات الحربية بين فرنسا وبروسيا ولا يخفى ما حدث لهذه الامبراطورة من المصائب بعدئذٍ اهمها نزولها عن العرش بعد انكسار فرنسا وموت زوجها في بلاد غريبة واخيرًا قتل ولدها الوحيد في حرب الزولوس وما قاست في عينيها من الامراض بسبب الاحزان والاكدار التي تكبدتها وهي ليست منفية من فرنسا بل يمكنها السكن فيها وقد بلغنا عند كتابتنا هذه الاسطر اي سنة ١٩٠٥ انها حضرت لمصر في طريق بورسعيد وساحت في النيل فيجبًا لجرأتها وقساوة قلبها الذي اطاعها على روية هذه المحلات التي كانت فيها منذ ٣٥ سنة كآلهة نازلة من السماء وصرت افتكر في حالتها اليوم التي آلت اليها وكل ذلك يعلمنا ما للدهر من الغدر

امراضي في مصر

في اول المدة التي دخلت بها الى المدرسة اصبت بالدوسنطاريا وهي مرضي المعتاد في عينطوره وبيروت وكان لي طقم افرنجي من الكتان البسه مدة الصيف غير اني كلما كنت ارتديه اصاب بهذا المرض فلاحظت ذلك وجربته مرارًا فاخيرًا اعتقدت في البنطلون عفريت يحرك هذا الداء وبعد ما تقدمت في الطب ووصلت الى درس هذا المرض عرفت ان الرطوبة اعظم اسبابه وعلمت ان البنطلون الكتاني يسبب لي رطوبة كانت داعية لهذا المرض فتحققت من ذلك ان العلم ومعرفة الحقيقة تزيلان الوهم لان كل شي نجهله ولا نعرف نواميسه الطبيعية ننسبه الى العفاريت او المردة او لقوة غريبة فائقة الوصف فانه كان حسنًا نقول ان ذلك من صلاحنا وان كان مضرًا نزعم انه من الشيطان مع انه يكون بريئًا منه كما حصل للراهب الذي كان يشوي بيضا على الشمعة في يوم صوم فعرف به الرئيس وساله عن عمله فاجاب ان الشيطان جربني فقفز الشيطان من الزاوية وصرخ بوجه الرئيس قائلاً وحياتك يا رئيس ان علمي

وفكري دون مهارة هذا الاب

وكان هذا المرض المتسلط عليَّ منذ الصغر قصير المدة اشفي منه حالاً اما المرض الذي اتعبني وطالت مدته فهو

الالتهاب البلوراوي

اشكر الله اذ اعتراني هذا المرض قبل ان درستهُ اذ لو كنت اصبت بهِ وانا طبيب وعارف اعراضه لكان زاد عليَّ علتي مرضاً آخر اقوى منهُ وهو مرض الفكر الذي هو اصل الامراض او علة شفائها واسباب هذا المرض هو دخولي لحمام المدرسة اذ هناك حمام يستحم فيهِ التلامذة متى ارادوا في احد الايام وهو اليوم الثاني لعيد الاضحى دخلت الحمام وفي الغد ذهبنا لحضور الانشاد ومشاهدة الاجتماعات فقضينا النهار سيراً على الاقدام و بعد رجوعي للمدرسة عند المساء اشعرت بتعب وقشعريرة ووجع في جانبي الايسر الزمني لعدم الخروج من المدرسة وبعد مدة اخبرت معلمي حسن افندي عبد الرحمن بحالي وكان مدرس اكلينيك الامراض الباطنة الملكية ومعلم التشريح وكنت يومئذٍ في سنتي الثالثة فبعد فحصي وجد معي انسكاباً في البلورا وكانت حينئذٍ جمعة الالام عند المسيحيين فبقيت في المستشفى مدة عشرين يوماً وكان يستعمل لي حراريق ودهان مركب من :

صبغة اليود ٤ كرامات صبغة الارنيكا كرامين دهان كل يوم مرة

ثم حبوب من سلفات الكينا ١٥ حبة ديجيتالا ٤ حبات بصل العنصل ٤ تربداس ٤ زيبق حلو حبتين تعمل عشر حبات يأخذ منها كل يوم خمسة

و بعد عشرين يوماً من هذه المعالجة امتص السائل واخبرني الطبيب انهُ يمكنني الخروج من المستشفى وكنت في مدة وجودي فيهِ اتعزى نهاراً بزيارة رفاقي وفي الليل افتكر بغربتي و بالحالة التي يصير اليها والدي الذي كنت احبهُ ويحبني جداً لو اصابني سوء ولكن فكر الموت لم يكن يخطر لي ببال لانني لم اكن اشعر بوجع ولا حمى وكنت اجهل اعراض المرض ولكي انسى احزاني واسلي ذاتي كنت انظم الاشعار والشعر الذي تسلط على افكاري هو الشعر المناسب لحالتي لان الغريب لا يعرف قيمة وطنه ما لم يصبهُ

داء الافلاس او المرض وقد نظمت القصيدة الآتية

ان كان يا رب ذنبي موجباً اجلي فليس ذنب لامي لا ولا لابي
رفقاً بحالها وارحم لاجلها من لا يهون عليه ان يموت صبي
اذكر فضائل اجدادي الأُلى سلفوا افنوا حياتهم بالصوم والتعب
رفقاً بحالة اخوانٍ لهم امل بان اخفف عنهم وطأة النكب
ان كان كلهم في ذنبي اشتركوا لا شك رحمتكم اقوى من الطلب
اذكر عنا من فداني واشترى بشراً بموته وهو بين الارض والسحب
حاشا لوالد ابن ان يميت فتىً لاجله مات ذاك الابن في الكرب
لولا السماح لما ايقنت عن ثقة بانك الله باري المرء من تربِ
ما من الهٍ والا العفو شيمتهُ ما من عبيد والا زلَّ وهو غبي
ان كان ربي لم يغفر مخالفتي فمن يسامح ان خليت بالادب
فيا الهي ويا ذخري ويا املي ويا رحومي ويا عوني ويا اربي
اغفر لمن قد اتاكم تائباً وبكم مؤملاً عفوكم عن كل مرتكبِ
وقائلاً مثل يسوع تشا كرماً ذا الكاس ابعد عني رحمة يا ابي
ان كان لا بد من موتي فروحي خذ واجعل لها راحة من بعد ذا التعب
ان كنت اوجدتني يارب من عدم ما القصد مني تخبرني عن السبب
ان كنت في جنة عللتني فانا افضل الوطن المحبوب مع صحبي
ان كنت اوجدتني للنار منتخباً للان ما جئت ذنباً موجباً لهبي
ان كان قصدك تسبيحي لكم فانا للان ما قلت تسبيحاً ولم اجب
لان عمري مضى في الدرس مجتهداً في البحث عنكم وانتم ما ورا الحجب
لا العلم قد فادني عنكم ولا بشر يبدي باثبات شخص غير منتسب
واذ غدوت مريضاً لم اجد احداً يفيد في اليوم من اهلي ومن صحبي
ايقنت ان يداً اقوى محجبة هي الوحيدة في أثلي من الكرب
فلا تخيب آمالي بكم ابداً فانت ربي وحسبي انت مكتسبي

فهذه هي افكار الغريب المريض وعندما يقال للمريض في عيادته افتقاد الله رحمة

يظنون ان الله يفتقد المريض بمرضه والحال عكس ذلك فان المريض يفتقد الله لانهُ بذلك الوقت يفتكر فيهِ

اخيرًا بعد اقامتي عشرين يومًا في المستشفي طلبت رخصة لا نزل الى البلد واغير الهواء مدة ثمانية ايام فسمحوا لي بها و بعد ثمانية ايام رجعت واريت ذاتي لاستاذي حسن افندي فقال لي ان الانكساب قد عاد فافتكرت بان لا بد لي من طلب رخصة للذهاب الى بر الشام فاستأذنت من الرئيس وسمح لي بها وحرر الى ديوان المدارس وهذا خابر نظارة الداخلية فاذنت لي وسافرت وصلت الى بيروت ومنها لدير القمر ومضيت الفرصه في بكاسين التي مناخها سبب شفاءي تمامًا بدون اقل معالجة وكان ذلك سنة ١٨٧٠ وعندما كنت ازور والدي في بتدين ورد لنا خبر وفاة خالي حبيب بك ناصيف من جزين

(اسرة ناصيف) استوطنت اسرة ناصيف في جزين من زمن مديد واصلها من بلاد جبيل تفرقت في انحاء البلاد فقسم منها سكن جزين ومن نسله جدي والد والدتي المسمى ناصيف الجزيني

كان ناصيف المذكور حاكمًا من قبل الامير بشير قاسم الشهابي عَلَى جبل الريحان وكان الامير يحبه جدًا لانه رافقه الى مصر مدة ذهابه الاول و بعد مغادرة الامير بشير من هذه البلاد توفي جدي سنة ١٨٤٢ عن ثلاثة ذكور وخمس اناث فالاناث هن حبوبة زوجة خليل طرابلسي ووالدتي نور ومريم زوجة طنوس كرم من جزين ونجمه زوجة الدكتور غالب البعقليني وهدلا زوجة الشيخ زيدان فرام البستاني واما الذكور فهم حبيب بك ناصيف ويوسف بك ناصيف والشيخ امين ناصيف

(حبيب بك ناصيف) هو رجل الاقليم الكريم المضياف وكان الاقليم تقريبًا بيده لان المتصرف كان يكلفه قضاء بعض اشغال عمومية وهو الذي انتخب مشايخ الاقليم عند ابتدا سن النظام في جبل لبنان وولد له ولدان ذكران احدهما اسمه فرحات والثاني سليم الذي توفي عزبًا و بنات رحيل زوجة عبده ابو زخم وحواء المشهورة بالذكاء واللطف تزوجت عبدالله الخوري مارون من بكاسين الذي سكن جزين ولها منه ولدان نسيب وعزيز اللذان ذهبا الى المكسيك وفتحا محلاً تجاريًا ونجحا نجاحًا

عظيماً وقد حضرا الى جزين واظهر اكرم اخلاق وفتح بيت بالحقيقة يليق لهما الغنا وقد تزوج احدهما نسيب بك بالسيدة زبيده كريمة خليل افندي سركيس الشهير والثاني عزيز بك لم يزل عازباً ونهني سلفاً من تكون زوجة له والثالثة دخلت برهبنة مار انطونيوس في جزين ودعيت انجليك وهي رئيسة الراهبات هناك وقد توفت هذه السنة ١٩٠٨ وليا زوجة داود الخوري كرم من جزين

(فرحات بك ناصيف) ان هذا الرجل كان داهية في السياسة تقلب في اهم المناصب ابتداء خيالاً في القضاء ثم صار ضابطاً وبعده انتخب ثلاث مرت عضوا للادارة في لبنان عن جزين وتوفي بمرض القلب وهو بوظيفته وله ثلاثة اولاد ذكورهم نجيب بك باشكاتب محكمة جزين سابقاً وهو من المهمين والثاني حبيب بك وهو طبيب في جزين ولهُ شهرة في الطب ومن المعتبرين في القضا وطبيب قضا جزين سابقاً ورئيس الجمعية الخيرية الجزينية والثالث فيليب بك صيدلي في جزين ولهُ ثلاث بنات هن ادال زوجة يوسف الخوري طانيوس في بعبدا رجل اشتهر بالنزاهة والعلوم وكان رئيس دائرة الحقوق في المركز وتوفي بمرض القلب سنة ١٩٠٣ والثانية مريم زوجة بشاره نمور والثالثة لبيبه تزوجت الياس صبرا

وقد نظمت قصيدة ارثي بها خالي في ذلك الوقت وهي هذه

مابال لبنان مهتز وفي ضجر ... وعيشه بعد صفو صار في كدر
والطير في روضه بعد السرور غدا ... مجدلاً عن غصون البان لم يطر
والشمس في افقهِ بعد السناء غدت ... مخسوفة وسناها غير منتشر
والناس في ارضهِ تبكي وقد لبست ... ثوب الحداد بدمع فاض كالمطر
ياطود لبنان لم تهتز مضطرباً ... ارفق بحالي وقل لي صادق الخبر
ماذا جرى لحبيبي البيك من نوب ... هل اثبتت ظفرها فيهِ يد القدر
ام هل قضى نحبهُ مستبقياً كدراً ... يفنى الزمان ولم يبرح من الفكر
ابكيهِ يا عين يا قلب احترق اسفاً ... افديهِ بالروح بل بالسمع والبصر
تبكيك ياخال بيض الهند نائحةً ... تبكيك سمر القنا ما زلت في الحفر
الجود والخيل والاقلام قاطبة ... وشهرة الكتب والقرطاس والحبر

اصبحت ياقبر مأوى فاضلٍ لسنٍ بل خير ميتٍ ومولود من البشرِ
رفقاً بحالة من كانت منازله ملجا الضعيف وامن الخائف الحذرِ
اكرم ضيافة من كانت كرامته تجري على الضيف جري النوم في البصرِ
ياخال خلفت لي الاحزان عن صغرٍ علمت جفني ابتدال النوم بالسهرِ
اصبر القلب مني وهو منكسرٌ فكيف صبري ونار الغم في اثري
اروم اطفاءها والحزن يضرمها والصبر يكتمها عن اعين البشرِ
الحزن من بعدكم وافى على صغرٍ وسوف يبقى معي دهراً الى الكبرِ
لا شيء في الكون عزاني سوى سمعي صوت الملائك في الافلاك في السحرِ
وقولهم يا حبيب الله صرت لنا فادخل جناناً بلا خوف ولا حذرِ

وقد سلمت هذه القصيدة الى ولده فرحات وودعته لان وقت رجوعي الى مصر كان قريباً

(يوسف بك ناصيف) هذا الرجل من اشجع رجال عصره شاهد كل مواقع لبنان وعندما اتى فؤاد باشا سنة ١٨٦٠ منحهُ لقب بك وسلمهُ محافظة الطريق وعين له جملة خيالة نجحت ادارته ولما حضر داود باشا كان يعين عساكر لبنان وهو فيها برتبة صاغ قول اغاسي ثم تعين ضابطاً لقضاء جزين واصيب بالبول الزلالي وتوفي في الملالية قرب صيدا وعمره ٤٨ سنة ودفن في دير مار الياس فوق صيدا وتعرف بقناصل انكلترا ولهذا السبب صارت قناصل هذه الدولة تساعد عائلة بيت ناصيف في كل امورها حتى اليوم وله ذكران واربع اناث

(سليم بك ناصيف) ابتدا كاتب تحريرات قائمقامية جزين بسن الرابعة عشر من عمره ثم تعين ضابطاً لقضا وانعم عليه بلقب بك ثم نايباً عن الطايفة المارونية في قضاء الشوف ثم عضواً لمجلس الادارة ثم مديراً لجونية ثم مديراً لجبيل وقد نال الرتبة الثانية ونيشان القبر المقدس ومحامي القديس بطرس وخدم الحكومة ٣٤ سنة ابتداءها ١٨٦٨ وأسس الجمعية الخيرية في جزين والان متقاعداً بين املاكه معتبراً بين أقرانه

(ملحم بك ناصيف) ابتدأ باشكاتباً لدائرة الجزاء ثم لمحكمة جزين وقد تزوج سيدة

نبيلة وهي ابنة عبدالله الخوري املي واخت نسيب بك وعزيز بك وهي التي وصفها امير خبير بالنساء عندما سئل عن افضلهنَّ فاجاب ان افضلهنَّ من كانت ودوده ولوده ثم صار مديراً في عبيه وبعد شهرين مديراً في بشراي وبعد ثلاثة اشهر مديراً في الزوق وبعد اربعة اشهر رئيساً لمحكمة البترون وبعدها مديراً لدير القمر وكل هذه الوظائف مدة مظفر باشا بحيث ان احد الاصحاب تقابل مع اخيهِ سليم بك آتياً الى بيروت فسأله الى اين متوجه فاجابهُ انني حضرت لافتش على اخي لانني لا اعلم اين مقره لكثرة تنقله . اما بنات يوسف بك فكبيرتهن آسين تزوجت مرعي رحيم الذي توفي فجأة وكان قد ارسل قبل وفاتهِ احد اولاده من امرأته الاولى المدعو شكري لمحل رحيم في نيويورك فنجح هناك وبعد وفاة مرعي ذهب اولاده عند اخيهم ونجحوا نجاحاً باهراً اما الثانية فهي المازة زوجة الدكتور اسكندر الطرابلسي من مشغره وهي مشهورة بجمالها وقد توفي زوجها سنة ١٩٠٤ بمرض البول الزلالي ودفن في مشغره والثالثة ليزا زوجة الخواجا حبيب الخوري طانيوس كرم والرابعة تدعى ماتيلد تزوجت حبيب الشويري من كفرحونه

هذه هي عائلة بيت ناصيف في جزين صاحبة السطوة والحزب العظيم عن ابائهم واجدادهم ولم تزل اولادهم مقتفية اثر الجدود اما امين ناصيف الذي كان شيخ جزين فقد توفي فجأة بعد سنة لوفاة اخيه يوم جنازه في ٧ آب ٨٧١ الفرط حزنهِ على اخيه حبيب ولم يخلف عقباً

نزول كليتي

في احد الايام بينما كنا نجري عملية جراحية كان يعملها محمد بك فوزي وكان الازدحام عظيماً وبالصدفة كنت واقفاً بعيداً عن العملية ومنحنياً للجهة اليسرى ويدي على جانبي من جهة الخاصرة اليمنى ففي اثناء هذا الوضع وضغط يدي على خاصرتي شعرت بجسم كبير الحجم زلق تحت يدي فوقفت منتصباً واعدت الضغط فلم اشعر بشي ورجعت لوضعي الاول وضغطت فحسيت بذلك الجسم يزلق تحت يدي فحالاً ذهبت الى غرفتي واستلقيت على سريري وصرت اضغط فلا ارى شيئاً وكنت اقف فلا اشعر بشي غير

اني حين انحرف قليلاً احس به فشغل بالي جداً وصرت اقرا في امراض الكبد وكل مرض كنت اقرآء عنه لا اجد فيه تلك العلامات التي كنت احس بها اخيراً اريت نفسي الى معلمنا حسن افندي عبد الرحمن فقال لا بد ان يكون عندك كيس مائي في الكبد والاوفق البذل فلم اقبل معه ثم اريت ذاتي لسواه وكان الجميع يشخصون لي امراضاً مهلكة كورم الحويصلة المرارية وما اشبه فكنت لذلك مضطرب الفكر جداً لكنني لم اكن اشعر بجسمي ولا بالم ومتى كان المريض بهذه الصفة لا يلتجي الى طبيب لان الالم والحمى هما رسولاه اما اضطراب الفكر فلم يفارقني وسئمت المعيشة وكنت لما ارى احد رفاقي منشرحاً مسروراً اقول هنيئاً له سيعيش ويصير طبيباً اما انا فسينفتح الورم وينشق البريتون وهلم جرا وبقيت على هذه الحال مدة سنة كاملة ولكن حيث لم يطراء عليّ عوارض مكدره كنت اؤمل خيراً

وفي ذات يوم اشتريت بعض كتب طبية انكليزية وكنت اقراها باجتهاد وتمعن ولما وصلت الى امراض الكلي رايت من جملتها مرض سقوط الكلي ومن جملة اعراضه ورم كحبة اللوبيا يتحرك لجميع الجهات غير مولم واذا استلقى المريض على ظهره لا يظهر لهُ اثر واعراضه غير مخيفة ويمكن ان يعيش الانسان وهو مصاب به او يعالجه بحزام لاجل سنده ولا اقدر اصف الفرح الذي شملني عند تحققي ان مرضي غير خطر فاشتريت حالا حزاماً من الفلانلا كنت استعمله حتى سمنت فكان شحمي اقوى من حزامي

لا شي يكدر الانسان كيأسه لان الامل حياة الانسان كما قيل

اعلل النفس بالامآل ارقبها   ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

والامل هو اعظم هبة منحنا اياها الباري لانه مسكن اوجاع المصائب ومقوي ومنشط اضعف جبان وصاحبه يقدم على اعظم الاعمال وبه يحتمل الانسان الاخطار والاضطهاد آملاً بالثواب في حياة اخرى فالسعيد في هذه الحياة من تامل ولو وهماً

(رفيقي الشاعر حسن حمة) كنا نتبادل بالاشعار وقد كان خطب ابنة وتركها وبعد تركها احبها فتركتهُ فقال :

يا شاكِ عزيني بطول شجوني   واحزن فهاتيك الظبي اسروني
هم عرفوني بالدلال وتارة   يا جاهلين عن الدلال سلوني

ان الدلال من البدور اولى الجما ... ل مصيبة قد زاد منهُ جنوني
ومن العجائب كنت قبلاً سيداً ... والان من فرط الجوى سلبوني
بعدوا فشط مزارهم فنأيتهم ... ودنوا فزاد تلهفي وشجوني
سلبوا فؤادي بعد سلب فؤادهم ... واستعبدوني بعد ما عبدوني
ياليتني ما كنت شمت جمالهم ... وعدمت من قبل الرنو عيوني

فاجبتهُ على ذلك

يا من شكوت صبابة فلمن انا ... اشكو مصابي في الهوى وشجوني
لله كم لاقيت من الم الهوى ... لله دري ودر دمع عيوني
كم من عذول لامني في حبهم ... فازداد وجدي كلما لاموني
دعني اذوق المرّ في حبّ الظبي ... حتى اعود الى الثرى والطين
احببت ثم هجرت يا حسن فلم ... تشكو لشاكٍ انهم هجروني
وغدت لواحظها تفتت مهجة ... كانت سلتها بعد مرّ سنين
فالحب كالسرطان يأتي ثانياً ... من بعد ما ينقص بالسكينِ
فاصبر على جورِ الاحبة مثلما ... صبروا على جورٍ لكم بانينِ
واذكر اذا تمّ اللقاء لعلني ... احظى بمن خلقوا لفرط جنوني
وانا قتيل جمالهم وهم الأُلى ... ادموا فؤادك بعد ما ادموني

ولي غير ذلك عدة قصائد منها قولي لهُ

يا من يعذب قلبي وهو مالكه ... عجبت من مالكٍ شيئاً يبدده
انت الوحيد الذي ملكتهُ كبدي ... ما بالك اليوم نار الهجر توقده
وكلما طاب جرح من جوارحهِ ... اسياف لحظكم قامت تجدده
انسيتني في هواكم منيتي وطني ... والان انسيتني طباً اجده
وما بقي لي من الدنيا سوى حسنٍ ... هذا نصيبي وحسبي ان اوحده
فان اتاني حبيب غيره ابداً ... ارى فؤادي لهذا الحب يجحده
قال العذول سلوّاً في محبتهِ ... وكيف اسلو وقلبي بات يعبده
وهمتي في هواه زدتها شغفاً ... والصبر من بعده اصبحت افقده

وهو بتعذيب قلبي زاد همته   لله دربي فكم سقم اكابده
ارجع فؤاداً جزاك الله مكرمةً   الى فقير بقرب منك تسعده

وقد توفي مسلولاً وهو تلميذ ولم تزل صورتهُ عندي من اربعين سنة وهو احد اولاد معلمنا عبد السميع

قصة الخروف والطب الشرعي

ان فن الطب الشرعي لمن اجل العلوم وانفعها بحيث اصبحت كل الدعاوي الجنائية ترجع اليه وتتكل عليه اتكالاً عظيماً لكشف حقائقها وهو مؤسس عَلى علوم حقيقية فيرفع النقاب عن الدعاوي الغامضة ولولاه لكان الظلم يقع عَلى ابرياء كثيرين والحادثة التي ساذكرها وشاهدتها تكفي لاظهار فضل هذا الفن ومنافعه وهي القصة آلاتية

رات الحكومة ضرر ذبح الاغنام امام البيوت في عيد الاضحى فمنعت هذا العمل وامرت ان يكون الذبح محصوراً في المسلخ وفرضت عَلى المخالف جزاءً نقدياً وحدث ان رجلاً خالف هذا النظام فقام قبل الفجر واخذ خروفه الى امام بيت اخر وذبحه في الظلام ثم ذهب الى بيته ليأتي بماء يغسل به الدم وعندما رجع لم ير الخروف بمحله فخرج من العطفة الى الشارع ليفتش عَلى الخروف وكانت السكين لم تزل في يده وعندما وصل الى الشارع صادفته فرقة من الجند كانت مارت من هناك وكانت قد رات عَلى بعد عشرين متر قتيلاً مضرجاً بدمائه وملقى في الارض ووجدت هذا الرجل والسكين بيده ملوثة دماً فلم تشك بكونه القاتل وان السكين التي معه هي التي استعملها للقتل فالقوا القبض عليه وابتداء يقسم ليبرى ذاته ويذكر قصة ذبحه للخروف ولكن لم يكن من يصدق ذلك اخيرًا وصلوه للضابطه حيث يوجد دائماً طبيب فاخبر الرجل قصته للضابط والطبيب الذي اخذ منه السكين وثيابه الملوثة بالدم وارسلها الى مدرسة القصر العيني لفحص الدم بالنظارة المعظمة وقد كنت يومئذٍ من عداد فاحصيه فاخبرنا الاستاذ عن الفرق بين دم الحيوان والانسان وان دم الانسان مكون من كرات حمراء عدسية الشكل مبعوجة من النصف ودم الحيوان عَلى غير هذه الهيئة واجابت عمدة المدرسة بما رات وان الدم الذي عَلي السكين هو دم خروف ولا اثر عليها من دم الانسان

حينئذٍ اطلقوا سبيل الرجل بعد ان دفعوه جزآء نقدياً جزآء مخالفته لقانون الذبح

اما سبب هرب الخروف فهو ان الذابح قطع لـه الحنجرة فقط ولم يمس الشرايين السباتية التي حول الحنجره والتي قطعها يسبب الموت اما الحنجرة المقطوعة لوحدها فلا تسببه لان الخروف يمكنه ان يتنفس منها ولذلك عندما ترك الرجل الخروف وذهب ليطلب المآء قام ومشي هارباً وهذه الحادثة تكفي برهاناً علَى فضل الطب الشرعي في كشف الحوادث الجنائية الغامضة

الابوان وكنز المغربي

ان احد الابوين كان معتبراً مهاباً يبلغ الخمسين من عمره وله شهرة عظيمة في مصر وكان صديقاً حميماً للاب الاخر وكانا من افضل اكليروس مصر في ذلك الوقت بالنسبة لعقولهما الذكية وسيرتهما الحميدة

ولا شك ان العقل لا يكون مع الشهوات خصوصاً متى كانت الشهوة بغير محلها كحب المال الذي كان عند هذين الابوين فانه اوصلهما الى درجة حطت من قدرهما واضاعت كرامتهما وصيرتهما احدوثة بقلة العقل والادراك

فالسحر الحقيقي هو القوة التي تغير الانسان من فكر الى آخر ومن عمل الى سواه وتجعل المسحور طوع ارادة الساحر ولو كان اقل منهُ معرفة وجاهاً ومقاماً فاي ساحر يفعل ما عمله المغربي مع هذين الابوين الجليلين وكيلي البطاركة ومستلمي الدين فالحادثة الاتية تثبت ما قلناه

كان احدهما يتردد علَى امرأة متقدمة في السن كان لهُ بها ثقة تامة فهذه الامرأة كانت تعرف رجلاً مغربياً تداخل معها وزعم ان في خرابة البيت الذي يجاورها كنز عظيم وانهُ يستطيع استخراجهُ بفك الرصد عنهُ وهذا العمل يقوم بوضع البخور وتلاوة بعض قطع واستحضار اشياء معلومة وزهيدة الثمن لا تكلف خمسمائة غرشاً ولكثرة ما كرر عليها هذه المسألة اعتقدت بصحة قوله وتحققت وجود الكنز واخيراً اخبرت الاب فطلب المغربي وسألهُ عن حقيقة ما زعمهُ للامرأة فأكد لهُ قوله وطلب منهُ ان يذهب معهُ ليريه بعد منتصف الليل الكنز الذي ينكره وهو عباره عن اواني

مملوءة تبرًا الذي هو مسحوق الذهب واعاد عليهِ قوله بان هذا الاستخراج لا يكلف اكثر من خمسماية غرشًا

فعندما سمع الاب كلام المغربي وعرف ان المصروف زهيد لا يهم ولو ادى بهِ الامر الى خسارته خصوصًا وقد كان بمخاطرته بهذا القدر يؤمل الاكتشاف عَلَى كنز عظيم فاخيرًا اتفق مع المغربي ان يذهبا سوية في الليل و بعد ان دفع لهُ خمسمائة غرشًا اتفقا عَلَى يوم وساعة يجربان فيها هذا العمل العظيم وفي اليوم المعين ذهبا الى الخرابة (وانا اعرفها وهي واقعة في درب الجنينة) واخذا معهما الاب الاخر الذي كان اخبره الاب كل شيء. فابتدأ المغربي يطلسم ويحرق البخور و يعمل حركات خفية لان الظلام كان يستره و بقوا عَلَى هذه الحال الى الصباح ولم يظهر لهم شيء واعادوا عملهم في اليوم الثاني والثالث الى العاشر فحفر المغربي في احدى الزوايا واخرج تسع جرات تسع الواحدة نحو اثنتي عشر اقة محكمة السد ثقيلة الحمل وقال لهما انهُ لا يجوز تفريغها ولا مسها الا بعد استخراج الكنز كله الذي هو عبارة عن الف جرة نظير هذه وانهُ يمكنهما لاجل الامتحان ان يأخذا من كل جرة كمية قليلة و يريانها للصاغة لمعرفة الحقيقة وفتحوا الجرات فاخذ المغربي كمية قليلة من كل واحدة ثم ختمها واخذوا ما استخرجوه الى صائغ فقرر لهم بعد فحصه انهُ من الذهب الصافي . فجن الكاهنان عند ذلك من الفرح وصدقا قول المغربي ووضعا الاواني المملوءة ذهبًا في قبو بحارة الست وكتما الامر حتى يتم استخراج الكنز

وكان المغربي يأخذ منهما كل مدة مبلغًا من الدراهم لكشف الكنز واستمرت هذه حالهم مدة سنة كان يخرج لهما كل شهرين ثلاث او اربع جرات وكان الاب قد صرف في هذه المدة نحو خمسة الاف ليرا كان سلمهُ اياها احد التجار لتبقى وديعة عنده وكذلك اخذ من الاب الثاني مبلغًا استدانهُ عَلَى حساب الوقف ولما طال بهما الامر الحا عَلَى المغربي بان يخرج لهما باقي الكنز لوفاء دينهما فوعدهما وكلفهما ان يصبرا شهرًا ثانيًا و بعد هذه المدة فتشا عَلَى المغربي في مصر ونواحيها فلم يجداه ولما يئسا منه توجها الى القبو وفتحا الجرار المستخرجه من الكنز فلم يجدا فيها سوى تراب لان المغربي كان قد وضع برادة الذهب عَلَى وجه التراب الذي كان في الجرار العشر المستخرجه اولاً

وفحصها الصائغ وقرر انها ذهب صاف

افتكر بحالة الابوين حينئذٍ لا شك ان كل منهما نتف لحيــة الاخر وما بقي عن رفيقه اكملها بيده وكانت حالهما مزعجة خصوصاً حين ظهر السر للعموم وطالب اصحاب الدبون بمالهم وحين علمت بطاركتهما بذلك عزلتهما واخرجتهما من مصر وعرفت منهما الاب الاول الذي اصيب بفالج وقد شاهدته سنة ١٨٨٤ وتوفى بعد ذلك

اما الاب الثاني فحصلت له سكتة مخيــة توفى بها وقد اخبرني عنه ابن اخيه الذي حضر اليَّ من دير الزور سنة ١٨٩٨ لاجل معالجة عينيه

عفاريت مصر

لا اعلم سبب كثرة اعتقــاد المصريين بالعفــاريت والاغرب ان تلامذة الطب يعتقدون بهم مع انهم متعلمون ومتفقهون والحادثــة الاتية التي جرت لرفيقي علي افندي رسمي تثبت هذا الاعتقاد عندهم وقد سميت هذه الحادثة

(عفريت رسمي) حدث لي مــع علي رسمي احد رفاقي الاطباء الظرفاء ما ياتي

وهو انه في احد الايام كنت طلبت رخصة لابقى في محل النوم الذي كان يقفل مدة النهار ولا يفتح الا الظهر لمناولة التلميذ طعامه والساعة الثانية عربية ليلاً لدخول التلامذة الى النوم وفي المساء كنت بالعنبر الذي عَلَى النيل وكان له كشك من الخشب يسع فراشين وهواحسن محل في المدرسة لانه يكشف عَلَى النيل والمنيل وكان الليل قد ارخى سدوله وحيث كنت لوحدي استلقيت عَلَى الفراش وفيما انا عَلَى هذه الحال سمعت صوتاً عَلَى الباب يقول خش (اي ادخل) فاجابه الثاني انني اخاف من العفاريت قال الاول لا تخف فانا واقف لك عَلَى الباب فدخل الثاني وتأملته فاذا هو علي رسمي ورفيقهُ الذي بقي قرب الباب هو محمد فريد وكان مرادهما الذهاب تلك الليلة الى المدينة فاتى علي ليغير ثيابه وعندما وصل الى فراشه وخلع ثيابه ليلبس ملابسه النظيفة وكنت ناظره فوقفت عَلَى السرير ولقيت الارض بضجة فحين راى عَلَى الشيخ وكنت لابساً قميص نوم وسمع تلك الضجة صرخ عفريت عفريت وترك ثيابه وخرج اما رفيقه الذي كان معتمداً

عَلى مساعدته ضد العفريت فكان اسرع منه عدواً وهرب قبل رفيقه حتى وصلا الى الطابق الاسفل حيث التلامذة والخدم اما انا فاسرعت واتيت الى غرفة الشوام وعند وصولي سمعت ضجة عظيمة في المدرسة ورايت الخدم حاملين المصابيح فصعدت مع التلامذة الى محل الحادثة واختلطت معهم لارى ماذا تكون النتيجة وكان عَلى رسمي قائد الجيش وهو عارٍ فدخلوا المحل وفتشوه فلم يجدوا اثراً للعفريت عندئذ ابتدأ عَلى يخبرهم اوصاف العفريت ويقول لهم كان راسه في السقف ورجلاه في الارض وعيناه تقدحان ناراً هبط بضجة عظيمة واراد ان يتبعني لو لم اسرع بالهرب وكان يوكد لهم كل التاكيد ان صورة العفريت كانت مخيفة جداً مع انهُ لم يرَ له صورة وقد هرب لمجرد سماعه الضجة وكنت حين اسمع قوله اهزأ عليه سراً وفي اليوم الثاني رايت علي رسمي واخبرته انني انا العفريت الذي راه بالامس واعدت عليه القصة من اولها لاخرها وحدثته مع محمد فريد قبل دخول محل النوم مع ذلك لم يصدقني ونسب لي الكفر لعدم اعتقادي بالعفاريت

(عفريت المشرحه) يعتقد التلامذة المصريون ان لكل ميت عفريت وحيث ان المشرحة محل الموتى فكانت ملأى بالعفاريت وما كان يدخلها ليلاً الا الكافر

وقد قلت انه في شهر شعبان قبل الفحص تعطي لنا حرية الدرس فيجتمع كل اربعة او خمسة سوية ويختارون لهم محلاً للدرس وحيث انني كنت استعد لدرس التشريح فرايت ان اكون في المشرحة حتى اذا اغمض عَلَيَّ شي من الكتاب ارى امامي القطع التشريحية او الميت ذاتهُ ولما راني بعض التلامذة اتخذت هذا المحل لدرس اطمان قلبهم وصاروا ياتون الى المشرحه ويدرسون اما كيفية درسهم فكانت تقلقني لانني كنت احب العزلة لذلك لم ارَ واسطة لابعادهم الا تخويفهم من العفاريت وهاك الطريقة التي عملتها كنت اخذ معي قليلاً من البلح فاكله وابقي النوى فارميها من اعَلَى فتسقط عليهم وقبل سقوطها كنت اصرخ من الذي يرمني بالبلح والنوى فيقولون ونحن ايضاً وكررت هذا العمل جملة مرات ثم اجتمعنا وتشاورنا بالامر فحكمت ان هذا الامر من صنع العفاريت وصادقوا عَلى حكمي وبالحقيقة انه عمل عفريت ولكن غير

الذي يعتقدون وغير عفاريت الموتى وقر القرار على ترك المحل فتركته معهم مدة يومين ثم اخذت المفتاح من الخادم ورجعت ادرس وحدي في المشرحة وشكرت حينئذ العفاريت التي اراحتني من صحبة العفاريت

(حركة الميت) ففي احدى الليالي بينما انا مستلق على سجادتي وامامي كتبي والضوء رفعت راسي لاشعل سيكارتي فوقع نظري على ميت كان في المشرحة ورايته يحرك راسه فاضطربت وافتكرت ان حركة النظارات ارتني هذا الامر فثبت نظري واحدقت بالميت وبعد مدة شاهدت الحركة ذاتها فتوجهت لقربه لارى هذا الامر واتحققه واذا بفارة كانت تنهش اذن الميت وتهز راسه هربت حين قربي فهذه المشاهدة كانت هائلة جداً لمن يعتقد بالعفاريت ولكن عدم اعتقادي بهم جرأني ان اتقدم الى الميت لارى سبب حركة راسه وبالحقيقة ان الانسان هو ما يعتقد

بعض اشعاري في مصر

وقد كنت في هذا الدن اكثر النظم بلا غزال وكنت احب الشعر وانظمه عن لسان غيري وكما كلفني صديق بموضوع كنت انظمه له ومن جملة ما تغزلت به القصيدة الاتية واحسبها جيدة لان الشاعر يأخذ من كل العلوم وشرطه معرفة كل شيء لان كل تصور خاضع له وجعلت في هذه القصيدة تصوراتي بالسوائل الحيوية وهي الدم الوريدي والدم الشرياني فالدم الوريدي يكون اسوداً والشرياني احمراً وكذلك الصفراء واللينفاء التي تكون بيضاء والكيلوس الذي هو هضم الماكولات يكون ابيض وبهذه الكيفية تتكون في سوائل الانسان الالوان السوداء والحمراء والبيضاء والصفراء وبها تتم الحياة فانظر تصوري في ذلك

يامعشر العشاق من بعدي انقلوا ... وتحدثوا بصبابتي وبنودها
وتعلموا مني المودة واحفظوا ... فانا الامام لامها وجدودها
ان المليحة مريما قد قيدت ... قلبي وقد ابقته ضمن حدودها
وغدوت ابكي بالدموع فما ارتضت ... ماء الدموع بل ارتضت بصديدها
فهي التي منها حياتي كلها ... اضنت فؤادي من عظيم صدودها

مرضي عضال من مريض جفونها ودوائي موجود بضم نهودها
فهي التي منها اصول معيشتي واصول تعذيبي برمح قدودها
كتبت كتاب السحر في قلبي الذي صادتهُ اذ جعلتهُ ضمن قيودها
واستعملت قلماً سيوف جفونها وسواد عينيها مداد بريدها
وتلفتت نحو الشمال بدهشة كي ترقب الواشين بعد حسودها
من خوفها عند الكتابة بغتةً للحبر مرت نقطة بخدودها
لمست لحمرتها فاحمرت كما اخذت بياضاً من محاسن جيدها
فرأت يراقبها الحسود بفعلها فاصفرت الوجنات عند شهودها
فاتت لقلبي بعد الوان لها محمرة مسودة كعبيدها
مبيضة مصفرة من خوفها فكانها في لبس ليلة عيدها
فتكونت منها حياتي كلها فسوادها المحيي دماء وريدها
وكذاك حمرتها دماً شريانها وبياضها للنيفا حين نفوذها
وكذاك للكيلوس بعض بياضها وصفارها من صفرة بكبودها
هذي حياتي كلها من نقطة من محجر جفنيها ولون ورودها
كيف التباعد عن هواها ساعة وهي التي للروح نحو وجودها

وقد كتبت ما يأتي الى احد الاصحاب

هذا الكتاب بياضه من مقلتي من ذوب قلبي قد جعلت سواده
يمشي على قدم الحيا يبغي الرضا منكم وقد جعل النسيم جواده
زودتهُ فكري لذلك ما ارتضى بل انهُ اخذ الحشاشة زاده
ولقد اضاع بهجركم آماله ورقاده ودموعه وفوءاده

وقد كنت مودعاً عند احد اصحابي المسافرين امانة فعند ما رأيت حزم الاحمال وتزويد الماء نظمت ما يأتي

قفي قبل الفراق وزودينا بنظرة مقلة تشفي العليلا
فعيني لن ترى ابداً جمالاً لهذا الوجه او طرفاً كحيلا
خذي شريان قلبي او وريدي كاحبال بها زمي الحمولا

وان خليت عن بيت لسهو ... فقلبي قد يكون لك الدليلا
خذي ماء الدموع بديل ماء ... عساه يغسل الخد الاسيلا
ولا تخشي نفاذ الماء منها ... فعيني تذرف الامواه نيلا
ولا تنسي اللقا ذاب شوقاً ... اذا طال النوى يمسي قتيلا

وقلت في مليحة اسمها هانم

ان التي سلبت عقلي محاسنها ... قد بحت في اسمها قصدي اكرمها
حاكت حروف اسمها بالحسن صورتها ... اياك يا عاذلي باللوم تظلمها
فالهاء نهد لها والهمز قامتها ... والنون حاجبها والميم مبسمها

وقلت في مريم

اهديك قلباً محرقاً ومجرحاً ... ومخضباً من سهم لحظك بالدما
لو شرحوه وجدت مكتوباً على ... جدرانه هذي الديار لمريما

وكان لي ديوان في الشعر سميته ديواني المصري كان كله على هذه الحالة حسب السن بالغزل بدون غزال فالحمد لله فانهُ كان يلهيني عن الكرّ من ورى الغزال فانتخبت منهُ هذه الاشعار والباقي تركتهُ لان لا اهمية لهُ فهو خلاف شعري الاتي الذي اقدر اقول انهُ مني لا مستعار عن افكار غيري واذا لامني احد لهذه الاشعار فليلم سن العشرين ولا يحاكمني عن الستين الان

زواج اولاد الخديوي اسماعيل باشا

اولهم ولي العهد توفيق باشا

كانت تزين مصر عموماً مده ثلاثة ايام لكل عرس اما مركز الافراح فقد كان في قصر والدة اسماعيل باشا وهو القصر العالي الكائن شمالي مدرستنا وهو اعظم القصور مركزاً

ان هذا القصر الموجود على النيل وشرقيه كان ممتداً الى مسافة ربع ساعة شمالاً وجنوباً وهو عبارة عن جملة قصور داخل بعضها ببعض ولا يدخله احد من الرجال سوى الاطباء وقد دخلتهُ مرتين مثل طبيب نوبتجي فادخلوني اولاً عند خليل اغا رئيس

اغوات القصر الذي كانت ترتعش منهُ فرائص كل ذوات مصر لانهُ كان اكبر الجميع وعندما دخلت عليهِ طرحت السلام فامرني بالجلوس لانهُ كان يداري الاطباء كثيراً ثم امران يعدوا لي طريقاً اعني ان يجعلوا النساء في حجرهن ليثما امرّ

كانت قطعة الارض الشرقية الجنوبية التي شرقي القصر متسعة جداً صونوها بالاخشاب وجعلوا لها اربعة ابواب كبيرة في كل جهة باب وفوق كل باب كشك تقف فيهِ الموسيقى العسكرية وداخل الفسحة كانت الصواوين في كل جانب وفي وسطها كشك تجلس فيهِ العوالم والمغنيات وكانت الناس تجتمع حول المغنيات والموسيقى والمراقص الافرنجية تقام داخل القصر وكانت جميع هذه المحلات مزدانة بالشموع بعلو ثلاثة اذرع موضوعة بفوانيس ملونة لا تقل عن خمسمائة الف شمعة داخل القصر وخارجه وكانت هذه الفوانيس معلقة عَلَى تخشيبات موضوعة كالصفوف وفي كل صيوان دائرة من دوائر الحكومة لها خدم وقهوة وتحت الاتية كانت تدخل من خيمة الى اخرى وفي داخل القصر كانت مقامة زينة للنساء نظير هذه ومغنيتهن الماز الشهيرة بحيث ان جميع المغنيات والالاتية والمطربين من عرب واتراك وافرنج كانوا موجودين في هذا الاحتفال الذي كان مرتباً كما يأتي

(لعب السكاكين) كان يجري في محل مبني بالاخشاب وكيفية اجرائهِ كما يأتي :

يتجه الواحد نحو الحائط ويمد عليهِ يديه كالمصلوب ويفتح اصابعه اما الثاني فكان يقف بعيداً عنهُ مسافة بعض امتار ويأخذ سكيناً طولها عشرة او خمسة عشر سانتي ويضرب فيها الرجل الواقف امامهُ فتغرز السكين بجانبه في الحائط ويثابر عَلَى عمله حتى يخرج الرجل الواقف عند الحائط ورسمهُ عليهِ بالسكاكين من الراس حتى القدم وما بين الاصابع وهذا المنظر المخيف كان يرجف قلوبنا وعند كل ضربة سكين كنا نظن انها ستصيب الرجل فنضطرب وحتى الظهر تجري العاب جمناستيك او سواها

وبعد الظهر يبتدي العاب البهلوان العربي والافرنجي فيقف الواحد عَلَى حبل معلق في الفضاء ويذبح خروفاً ويجلس عَلَى الحبل وقبل المساء بساعتين تقريباً يبداون الاكل الذي يقدمونه لكل الحضور في صاليا متسع لاولاد العرب والاتراك وكان يوجد

في هذا المحل ثلاثة صفوف من الصدورة وفي كل صف خمسين صدرًا يسع كل صدر عشرة رجال فتأكل الفئة الاولى وتقوم ثم الثانية والثالثة وهكذا الى الساعة الثانية عربية وكان في كل صدر عشرة اشكال من الطعام وخروف محشي ويقدمون لكل فئة طعامًا جديدًا

واما الافرنج فكانت تقدم لهم مائدة مخصوصة على طريقتهم مع المشروبات وعند الساعة الثانية عربية ليلاً تبدأ المغنيات والموسيقات بالعزف من كل ناحية وكيف ذهب المتفرج كان يرى شيئًا جديدًا

في الساعة الرابعة ليلاً كان يحضر الخديوي ويزور القصر العالي ويدخل بين هذه الجماهير بعجلته فعند ذلك تبتدي تعزف الموسيقات العسكرية والبلدية والمغنيات والشيخ احمد يعزفون بالسلام الخديوي فيفتكر السامع ان الارض تهتز بهِ وانهُ في غير عالم الوجود وكنت اتخيل ان لو احضر فلاحاً لبنانياً وهو نائم ووضعناه فجأة في ذلك المكان فلا شك انهُ كان يظن ذاتهُ في الجنة او انهُ يجن لان هذه الافراح لم ترَها عين ولم تسمع بمثلها اذن وكانت تدوم ثلاثة ايام لكل عرس فان الخديوي زوَّج اولاده الذكور الثلاثة وهم توفيق وحسن وحسين وابنتهُ تفيدا هانم وبقيت الافراح متواصلة مدة اثنى عشر يوماً ومصر قائمة قاعدة

وبينما كانت المغنية المزترف تفيدا هانم التي كانت مكللة باكليل ملوكي من الجواهر مع باقي الحريم اللواتي كنَّ مزدانات ومزينات بافخر الجواهر فكانت الانوار تعكس اشعتها على هذه الجواهر وتحيلها الى الوان مختلفة تخطف البصر دخلت الخصيان يصرخون اخرجن حالاً لان الجسر قد انقطع فصارت النساء تتراكض ويسقطن فوق بعضهنَّ وكان الالماس يتساقط كالبرد غير انهُ بحمد الله لم يحدث ادنى ضرر

النتيجة ان هذه الافراح كلفت مصر نحو مليون من الليرات وكان هذا من جملة الشكاوى عن تبذير اسماعيل باشا مع هذا كله فهو الذي جعل مصر بلاداً اوروباوية وحبب فيها المتمدنين من اقاصي الارض

سياحتي الاولى في النيل

لهذه السياحة طريقتان في ذلك الوقت اما بالذهبيات او بالمراكب البخارية النيلية اذ لم تكن سكة حديد الى هناك

(المراكب البخارية) تسمى قومبانية هذه المراكب الكومبانية الخديوية كانت تقبل السياح على الشروط الاتية وهي ان مدة السياحة تكون واحد وعشرين يوماً ويدفع كل مسافر ليرتين انكليزيتين يومياً ويقدمون لهم المأكل وترجماناً ودواب للبر والنبيذ المعتاد ما عدا المشروبات التي فوق العادة وطبيباً وقد اتفقت الكومبانية مع المدرسة على ارسال تلميذ من الصف الاول حتى لا يتعطل الطبيب عن وظيفته

وكل من كان يتوجه لهذه المأمورية كان يسر جداً واغلب الذين يسافرون من الشوام لانهم يعرفون اللغات الاوروباوية وعندما كنت اسمع عن هذه السياحة اتشوق لها وابتدأت افتكر بها واستعد لها وكنت في سنتي الثالثة ومدة السياحة كانت في شهر رمضان وهو شهر العطلة اخيراً اخبرت كاتب الرئاسة احمد افندي القديم وطلبت منهُ ان يقدمني لهذه المأمورية لانني اعرف اللغة الفرنساوية وقليلاً من الانكليزية وليس في الصفوف التي قبلي من الطلبة من يعرف لغة اوروباوية

وبعد يومين طلبت الكومبانية تلميذاً فاخبرني حينئذٍ احمد افندي بذلك وذهبنا سوية الى بيت الرئيس الذي كان يومئذ حسن بك هاشم فاخبره احمد افندي عن العادة بهذا المطلب لانهُ كان حديثاً بهذا المنصب وقال له لا يوجد احد سوى شاكر يعرف اللغة الفرنساوية وبسبب الفرصة لا يوجد تلامذة من الصفوف العليا فاعطاني امراً بالتوجه وتحريراً الى مدير الكومبانية الخديوية شعبان بك فذهبت اليه واخذت معي صندوق الادوية فاعطاني غرفة في الوابور الذي كان مزمعاً ان يسافر عصاري ذلك اليوم ولا اقدر اصف الفرح الذي شملني لنوالي هذه الامنية التي لولا تيقظي وافتكاري بها لما نلتها

في ٣٠ رمضان سنة ١٢٨٨ هجرية الموافق ١٢ كانون اول سنة ١٨٧١ مسيحية توجهنا صحبة الوابور المسمى بنها وكان برفقتي ١٢ سائحاً ٤ انكليز و ٤ امريكان وشخص

فرنساوي وآخر روسي وواحد نمساوي والاخير سويسري وكنا نتكلم اللغة الانكليزية لان الكل كانوا يعرفونها سوى السائح الفرنساوي . وكان توجهنا من بولاق الى بني سويف وهي المحطة الاولى ولا اذكر هنا تاريخ هذه البلاد القديمة لان كثيرين غيري قد سبقوني الى ذلك غير اني اذكر ما صادفته خصوصاً وما اثر عليَّ محطات الطريق اول محطة كانت بني سويف ثم المينا واسيوط وجرجا وقنا ودندرا المشهور فيها دايرة البروج المرسومة في هيكلها ثم الاقصر وزرنا رمسيوم او الصنم الرنان وكذلك مامنون صنم رعمسيس الثاني الذي سقط بسبب زلزلة طوله ٢٦ متر وزنهُ مليون كيلوغرام وطوله من رجله الى ركبته ستة امتار وقدمه متران من حجر الكرانيت ثم زرنا الكرنك ثم قبور الملوك ثم اسنا ثم اصوان وهنال اول شلال واخيراً قصر انس الوجود وهناك شاهدنا اولاد البرابرة لانها اول بلادهم

(اولاد البرابره) عند ما وصلنا الى الشاطي اتت قوارب لتاخذنا الى الجزيرة وكانت اولاد البرابره يسبحون حولنا في النيل بايديهم وارجلهم وتحت بطونهم قطع من النخل ليعوموا بواسطتها وكان اكبرهم لا يتجاوز السنة العاشرة من عمره وهم يطلبون البخشيش اخيراً وصلنا الى الجزيرة التي تقسم النيل الى قسمين شرقي وغربي وهي مثل المنيل ممتلئة من البناء وفيها محل مسقوف للان وفيه كتابة تدل ان عساكر نابوليون الاول لحقت المماليك الى هناك وكذلك كتابةٌ من احد الرهبان الفرنسيسكان وكانت هذة الجزيرة هيكل قديم اقامته كليوباطرة فاكنا في الجزيرة وبعد الطعام ذهبنا الجهة الغربية على شاطي النيل فتبعنا اولاد البرابره وطلب احدهم منا بخشيشاً وانه مقابل ذلك ينزل في الشلال بين الصخور سابحاً فاجبنا الى طلبه وكانت المياه ترفعه الى الاعلى وتهبط به بين هذه الصخور وكنا نظن في كل هبوط ان الصخور ممزقه واخيراً خرج ظافراً حاملاً قطعة النخل التي كان يسبح عليها وطلب البخشيش ثم رجعنا الى اصوان وبتنا تلك الليلة في الوابور واعتمدنا على العود الى مصر وكنا ليلة راس السنة امام اسيوط فبقينا سهرانين الى منتصف الليل وامامنا الساعة والمشروبات والبنادق والمسدسات وعند الساعة الثانية عشرة صرخنا جميعاً بصوت واحد (بون انه) اي سنة مباركة وابتدانا باطلاق البنادق والمسدسات والشرب واكل الفاكهة وكان ذلك ابتداء عام سنة ١٨٧٢

ثم اخذنا بنزول النيل الى مصر

في عصاري اليوم الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٨٧٢ وصلنا الى مصر فاستقبلنا شعبان بك رئيس القومبانية وشكر له السياح حسن معاملتي لهم وقالوا انني لم ارافقهم بصفة طبيب فقط بل كمعلم افهمنا عن احوال البلاد وتاريخها وبعد ذلك ودعناهم وذهبوا بحال سبيلهم فاخذني شعبان بك الى غرفته وقال لي يلزم ان ترجع للوابور المسافر غداً صحبة اسرة اميركانية معتبرة وغنية جداً استاجرت الوابور على حسابها الخاص فطلبنا طبيباً من المدرسة وارسلوا لنا شخصاً يجهل اللغات الاوروباوية فقدمته للسائح ورفضه لجهله وحتى الان لم نزل حيارى بهذا الامر والحمد لله لقدومك تعال لاقدمك الى هذا السائح فتوجهت معه وكلمت السائح باللغة الافرنسية واخبرته انني قادم من سياحتي الاولى فسر بي وقال مخاطباً شعبان بك عن طيبة خاطر اقبل هذا الطبيب لانني افهم عليه ما يقوله خصوصاً وقد خبر كل اماكن السياحة وبعد خروجنا من عنده كلفني شعبان بك ان استعد للسفر يوم غد فقلت لهُ ان ذلك منوط بالرئيس ولا استطيع ان اجزم شيئاً بلا امره اجابني ان هذا الامر ليس من شانك ولا تهتم فالمصلحة تخابره رسمياً بطلبك فسافرت في اليوم الثاني وقبل السفر بخمس دقايق اخبر شعبان بك التلميذ المرسل من قبل الرئيس اولاً لانه كان من اقاربه انه لجهله لغة السائح لا يمكن سفره بل انا توجهت عوضاً عنهُ فبلا شك لا يرجع شاكراً

سياحتي الثانية في النيل مع عائلة روزفلت الاميركانية

وهي عائلة رئيس مشيخة الولايات المتحدة حالياً سنة ١٩٠٨

كان خروجنا من مصر في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٧٢ فاتبعنا في سياحتنا الخطة الاولى وهذه العائلة مؤلفة كما ياتي

اولاً مدام روزفلت والده	Mme Roosevelt mère
ثانياً كرنيليوس روزفلت ابنها الكبير	Mr Cornéluis Roosevelt
ثالثاً فرنك روزفلت ابنها الثاني	Mr Frank Roosevelt

رابعاً ج واست روزفلت ابنها الثالث	Mr G. West Roosevelt
خامساً مس ليلى ماتشل من بروكلن	Miss Lilla Mitchel Broklyn
سادساً مس الّا روسل من نيويورك	Miss Ella E. Russel New-york
سابعاً مس سارلويس فيلادلفيا	Miss Sarah Louis Philadelphia
ثامناً مس ماري جان وتس ايرلانديه خادمه	Miss Marie Yean Watts
تاسعاً احمد عبدالله ترجمان مصري	Ahmed Abdula Drogman
عاشراً علي ابو خضرا خادم مصري	Abou Kadra Domestique

كرنيليوس روزفلت

هو رئيس السفر عمره ٢١ سنة سمين الجسم ذو لحية شقراء وكان يلبس الطربوش مدة السفر لطيف المعاشرة كريم النفس وكنت اقضي اغلب اوقاتي معهُ لان اخوته كانوا صغاراً وكان مع احدهم اطلس تشريح ادرسه فيه مدة السفر

التقاؤنا في وابور ثان بالنيل

بينما نحن راجعون في النيل قبل وصولنا الى المينا التقينا بوابور فيهِ سياح كان مسافراً مثلنا فحين رأى القبطان ذلك الوابور وقف فتوقف الوابور الثاني حالاً ونزلت اليهِ فوجدت طبيبه محمد فريد وسألتهُ عن احوال المدرسة اجابني ان حسن بك هاشم الرئيس مستعد لك استعداداً عظيماً ولا اعلم ماذا ينوي اجراءه معك فتكدرت لهذا الخبر جداً وعند رجوعي الى وابورنا جلست عَلَى سطحهِ كئيباً متأملاً وعندما شاهدني الموسيو روزفلت بهذه الحال سألني عما بي فقلت له ان طبيب الوابور اخبرني ان الرئيس حانق عليَّ جداً لانني حضرت معكم وعطلت عَلَى الطبيب الذي رفضتهُ لجهله لغة يكلمك بها واكثر حنق الرئيس مني لان ذلك الطبيب قريب له ولست اعرف ماذا يصيبني فقال لي ماذا تريد ان اعمل لمساعدتك اجبتهُ هل يمكنك مقابلة الخديوي واخباره حقيقة المسألة اذا تصدى لي الرئيس بشر واراد ظلمي قال اني افعل ذلك دون شك وسانزل في لوكاندة نيو اوتل (التي كانت يومئذٍ جديدة وهي اول اللوكاندات)

وهي الان لوكندة كونتيننتال وسابقى مدة هناك لانظر ماذا يتم معك وحيث انتهى سفرنا ماذا تريد ان نبقي لك تذكاراً منا لانهُ اعطى للقبطان ثلاثين ليرة انكليزية ليوزعها على البحرية قال لي ان مراده ان يرسل لي هدية عندما يصل الى باريس وطلب مني ان اذكر له نوع الهدية التي اريدها فاجبتهُ مع التشكر وطلبت منهُ ان تكون الهدية آلات للعيون وعند وصوله الى باريس ارسل لي تحريراً باسم والدته مع علبة كاملة فيها آلات للعيون وحيث وجدت هذه العلبة عندي وانا تلميذ صرت استعملها لاعرف وظيفة كل آلة منها ولهذا ملت الى تطبيب العيون ولم تزل عندي للان سنة ١٩٠٨ فاشكر فضل المسيو روزفلت اذ لولا هديته لما ملت الى تطبيب العيون ولما وصلنا الى مصر ذهب الموسيو روزفلت الى اللوكاندة وكلفني ان ازوره في الغد واخبره ماذا يحدث لي وانهُ يبقى اربعة او خمسة ايام لاجل ذلك فودعتهُ شاكراً وفي اليوم التالي حضرت ازورهم وتصورنا جميعاً سويةً مثلما كنا وقت السياحة مدام روزفلت جالسة في كرسيها السفر التي كان لها اربع زوايد لاجل حملها لانها ما كان يمكنها الركوب والستات راكبات جمالاً وموسيو روزفلت بطربوشه وانا بجانبهِ واخوتهُ راكبون الحمير وكذلك في الصورة الترجمان والخادم ولم تزل هذه الصورة معي لحد الان ١٩٠٨ من ٣٦ سنة وقد اعطاني مسيوروزفلت الكرت ورجعت الى المدرسة

خصامي مع رئيس المدرسة

في اليوم الثالث من رجوعي للمدرسة بينما كنت في درس التشريح حضر باش جاوش المدرسة وطلبني لمواجهة الرئيس في الاستشارة الطبية فدخلت عليه ووجدته مع الاساتذة جالساً على ديوان مرتفع فوقفت في الوسط امام طاولة عليها كتب والباش جاوش بجانبي وبعد ما حييت الرئيس والاساتذة قال لي الرئيس بوجه عبوس ان الباش جاوش قيدك غائباً فاين كنت ليلة امس اجبته انني كنت مرخصاً بها وقد ذهبت الى الكومبانية وقبضت راتبي فقال انني نبهت عليك بواسطة البواب ان لا تخرج من المدرسة فلمَ لم تطع الامر اجبته انني بعد التنبيه لم اعد اخرج فدعا البواب وساله فصادق على قولي ولم يتمالك عندئذٍ الرئيس من الحمق وقال مغضباً لما سافرت المرة الثانية

بلا اجازتي اجبتهُ ان رئيس الكومبانية كتب لسعادتك يخبرك بسفري فلولم تسمح لما كنت سافرت ولكنت رجعت الى المدرسة قال ولما لم تنم ليلة امس بالمدرسة اجبته اني اخبرت سعادتك بكل ما توقع معي غير اني لم افهم قصدك من كل هذه الاسئلة قال قصدي مجازاتك على مخالفتك هذه كلما اجبت امرك وما يكون قصاصي قال اضربك فلق (قد اخبرت في تقدم عن الفلق وهو الضرب على الرجلين) فاجبته انني رجل شامي اتيت لاتعلم الطب بارادتي وليس لاتعلم ضرب الفلق وافندينا انعم علي بذلك فانا حر متى شئت اترك هذه المصلحه وان شئت اعتبر انني مستعفٍ منذ الان وساكتب لديوان المدارس ومتى سالوني عن سبب استعفائي اذكره لم قال لا بد لي من ضربك اجبت اذا كان ضربي بتم بالقوة فاستعمل جهدي لامنعه عني او اموت عندئذٍ التفت الى الباش جاوش وبعض الخدم وامرهم بمسكي فلما تقدموا اليّ ليمسكوني ضربت الباش جاوش على صدره ضربة ابعدته عني والقيت الطاولة والكتب التي عليها بالارض واصابتني نوبة كنوبة الجنون غير انهم اغلوني وامر الرئيس بسجني في احدى غرف المدرسة

لما دخلت الحبس حررت الى الموسيو روزفلت حالاً كتاباً ذكرت لهُ فيه حالتي مع الرئيس وخيانته وغدره لي وانهُ حبسني وان شاء يأتي يزورني

وارسلت هذا التحرير مع يوسف كرجي الذي كان تلميذاً خارجياً وابقيته مفتوحاً وسلمته اليه فذهب به ولما لم يجد الموسيو روزفلت اعطاه الى صاحب اللوكاندة وبقيت طول تلك الليلة منتظراً ومتكدراً لعدم حضور احد وفي اليوم الثاني صباحاً حررت لهُ كتاباً ثانياً ارسلته مع يوسف ورجوته بهِ ان يزورني بعد الظهر لان في ذلك الوقت يكون الرئيس متغيباً وكلفت بعض رفاقي ان يقفوا قرب الباب حتى اذا اتى الموسيو روزفلت يدلونهُ على حذراً من ان البواب يحجبني عنه وفي عصارى ذلك اليوم حضر الموسيو روزفلت ودخل الى غرفتي وراى الحديد في رجلي فصرخ بحنق قائلاً ما الذنب الذي جنيته حتى يعاملوك هذه المعاملة وما الذي تريد ان افعله لك وادمعت عيناه قلت ارجوك ان تاتي الى هنا غداً صباحاً نحو الساعة التاسعة افرنجية فترى الرئيس وتخبره انني رافقتك بسياحتك وانك اتيت لزيارتي ووجدتني بهذه الحال فحضرت

المتشفع بي عنده ومتى خرجنا من المدرسة يدبر كل منا شغله اجابني لم اخبرك ما حصل بنا في الامس فانني مع والدتي واخوتي وسائر اصدقائنا قرانا تحريرك الذي ذكرت فيه انك محبوس وخرجنا حالاً من اللوكاندة نسال عن الحبس فدلونا على سراي الضابطية وسالنا عنك فلم يكن من يرشدنا اليك وبقينا حتى الساعة العاشرة ليلاً نبحث عنك فلم نعثر بك ومن تحريرك اليوم علمنا انك باقي في المدرسة فاتيت اليك وعند روبتك بهذه الحال طار عقلي فهل هذه هي معاملة الاطباء في بلادكم اجبته لكل بلاد اصطلاح وعوائد

وفي اليوم الثاني نحو الساعة التاسعة صباحاً حضر الى الباش جاويش يطلبني لمقابلة الرئيس فتقيدت بحديدي وذهبت معهُ فدخلت الى غرفة الرئيس ووجدت عنده المسيو روزفلت وعند دخولي قال لهُ الرئيس انني احبه وهو تلميذي وامدح جداً من شطارته ولذلك ارسلته مع السياح غير انهُ عصى الاوامر ولكني اكراماً لك اسامحه فشكره الموسيو روزفلت وخرج وبعد ما خرجت انتظرت الموسيو روزفلت بدار المستشفي وقلت لهُ ان نهار غدا اتوجه لزيارتك لاننا نعطل يوم الجمعه فقال لي ان والدته واخوته سبقوه الى الاسكندرية وهو باقٍ لاتمام شغلي ودعاني لمناولة الطعام معه في الغد باللوكاندة وفي اليوم الثاني توجهت الى اللوكاندة فقابلت صاحبها وسالته عن الموسيو روزفلت اجاب انه يحضر بعد ساعة فاردت الخروج غير انه استوقفني فتاملته واذا هو رجل مهاب طويل القامة ممتلئ الجسم مائل الى السمره ذو شارب اسود عريض اصله ايتالياني و يدعى

(يوسف بنتاليني) فسألني هل انت الطبيب الذي ضربت في المدرسة قلت نعم فادخلني الى غرفة وقال لي اكتب لي قصتك كما توقعت بالافرنسية فكتبت له ما طلب فاخذه مني وقال لي اصبر فعن قريب يحضر الموسيو روزفلت ولم تمر نصف ساعة حتى حضر فاخذني الى غرفته وقال لي ما الذي تريد ان اصنع لك قلت له حيث انك مقيم في هذه البلاد مدة وجيزه فلا يمكنك ملاحقة دعواي فضلاً عن ان الخديوي يقضي فصل الشتاء من السنة في المينا فارجوك ان تعرفني بالجنرال ستون وهو رجل اميركاني استخدم في العسكرية المصرية وقد احضره الخديوى لتنظيم الجيش المصري

ومعهُ ضباط اخرون وكان الخديوي يعزه كثيرًا وطلبت منهُ ايضًا ان يعرفني بقنصل اميركا ويرجوه ان يخبر الخديوي بهذه الحادثة وان يلاحق دعواي الى نهايتها فقام حالاً وكتب تحرير الى قنصل الولايات المتحدة وهاك صورتهُ

سيدي القنصل العام

استحلفك بشرف الولايات المتحدة ان تعرض على مسامع الخديوي ما يخبرك بهِ الدكتور شاكر الخوري طبيبي في سياحتي بالنيل · انهُ صديق لي حميم وكلما تفعله معهُ اعتبره عمل لي وان اتخذتهُ صديقًا فترى بهِ في المستقبل ما يسرك والسلام

الداعي

روزفلت

وقال لي خذ هذا التحرير سلمهُ للقنصل وارجع لنتناول طعام الظهر سوية ولعل يكون هنا الجنرال ستون فاعرفك بهِ وبالحال اخذت التحرير الى بيت قنصل امركا فلم اجده فيه ورجعت الى اللوكاندة فلقيتهُ مع الموسيو روزفلت والجنرال ستون فاستقبلني امامهم احسن استقبال وعرفها بي واخبرهما قصتي وطلب منهما مساعدتي في اشغالي الحاضرة والمستقبلة وفطرنا سويتًا

وحيث ان الموسيو روزفلت شهير في اميركا وله اعتبار عظيم فصار كل من الجنرال والقنصل يعدني بالمساعدة وانهما سيعرضان هذه الحادثة الى الحضرة الخديوية عند مقابلتها اول مرة وفي واليم والثاني حضر الموسيو روزفلت الى المدرسة ليودعني وطلب مني بالحاح ان اخبره كل شيء يجد معي وسافر

(قنصل دولة انكلترا) كان المستر روجس قنصل دولة انكلترا في مصر قنصلاً لها في برّ الشام وعند سفري الى مصر اخذت له تحرير وصاة فاخبرتهُ قصتي وان مرادي تبليغها للمسامع الخديوية فوعدني ان يخبر قنصله الجنرال بذلك عند حضوره ويرجوه اخبار الخديوي بها فرجعت بعد ذلك الى المدرسة كأن المسألة لم تكن

وفي احد الايام طلبني وكيل المستشفى محمد افندي حافظ فتوجهت اليهِ ووجدت عنده خيالاً فقال لي انك مطلوب للمحافظة (المحافظة في مصر عبارة عن الضابطة لا

يدخلها الا اصحاب الدعاوى الجنائية) وكان المحافظ يومئذٍ عمر باشا لطفي فسألت حافظ افندي عن سبب طلبي اجاب انهُ لا يعلم شيئاً واراني الامر فاخذتهُ وقرأتهُ واذا فيهِ ما يأتي :

« ان شاكر الخوري يلبس على عينيهِ كوزلك اي عوينات تلميذ عندكم ارسلوه لهذا الطرف »

فرجعت الى المدرسة واخذت اربعة من رفاقي الشوام الخارجين وهم حبيب افندي جبور والمرحوم الياس الزند والمرحوم يوسف كرجي وشخصاً آخر نسيت اسمهُ فاركبتهم حمير وذهبت معهم للمحافظة فابقيتهم قرب الباب واخبرتهم اذا امر المحافظ بحبس او بامر آخر فيذهب احدهم الى الجنرال ستون والثاني الى قنصل انكلترا والثالث الى قنصل اميركا والرابع الى محل يوسف بتتايني واخيراً دخلت الردهة الموجود فيها المحافظ وسلمتهُ ورقة حافظ افندي وكيل المستشفى فسألني اذا كان حسن بك ضربني حقيقة وحبسني فاجبتهُ بالايجاب عند ذلك نهض وذهب الى طاولة اخرى قرب الحائط الغربي فتبعتهُ ورأيتهُ يقرا تلغرافاً مكتوباً فيهِ :

« اطلبوا التلميذ شاكر الخوري واسألوه عن ضرب وحبس حسن بك هاشم له واذا كان ما ادعاه صحيحاً ارسلوه لهذا الطرف »

وبعد برهة ناولني المحافظ تحريراً وقال لي اذهب الى المنيا ففرحت ورجوته ان يعطني تحريراً لمدير السكة الحديدية واخر لمدير المدرسة كي لا يعتبرني متغيباً فاعطاني ما طلبت فاخبرت رفاقي وطلبنا عربيه ولكن قبل ذهابي الى المدرسة احببت ان استكشف الخبر واعرف كيف بلغت قصتي مسامع افندينا الخديوي فتوجهت الى قنصل اميركا والانكليز والجنرال ستون وسألتهم فاخبروني انهم لم يقابلوا الخديوي بعد اخيراً توجهت الى اللوكاندة وسألت الموسيو يوسف بانتايني واخبرته انني مطلوب من افندينا اجاب انني اخبرته قصتك كما توقعت معك وكما رويتها لي فاذهب ولا تخف واقصص عليه ما توقع معك فتجرأت عند ذلك وذهبنا الى المدرسة وعند وصولنا اليها اجتمع حولي التلامذة يسألوني عن سبب طلبي للمحافظ فاجبتهم ان افندينا ارسل طلبني تلغرافياً من المحافظ فكان لهذا الخبر ضجة عظيمة في المدرسة وتراكض التلاميذ

لتقبيلي مع انهم قبل ساعتين كانوا يتجبون مكالمتي وكلفوني ان اخبر افندينا عن سوء تصرف حسن بك معهم واخيرًا اشار عليَّ احد اصحابي ان اذهب تلك الليلة الى الجيزه وانام فيها حتى استطيع لحاق السكة الحديدية قبل سفرها فتوجهت حالاً بعد ما قطعت النيل وكنت لابسًا ثوب المدرسة الرسمي وبالصدفة كانت تلك الليلة ممطرة وقبل نزولي في النيل قابلت مصطفى افندي رضوان ترجمان المدرسة وهو من حزب محمد علي الرئيس المعزول فاخبرته عن طلبي من الخديوي ووعدته باني سامدح محمد علي الرئيس السابق امام حضرته

كانت الليلة التي سافرت بها ممطرة وعند ما وصلت الى الجيزة توجهت الى احدى القهاوي وسألت اذا كانت توجد هناك لوكاندة للمنامة فاجابني احد الحشاشين ده ده ياسيدي لوكاندة ايه ومتاع ايه فعلمت من قوله ان اسم اللوكاندة مجهول عندهم وسألت اذا كان احد من الشوام قاطنًا تلك البلدة فاجابني احدهم يوجد هنا شخص شامي يدعى الخواجه انطون وهو دخاخني ولكنه اقفل دكانه فقلت لهُ ان يصنع معي جميلاً ويهديني الى بيته فذهب معي وبعد ما قرعنا الباب سألوا من الداخل عن الطارق اجبتهم انني اريد مقابلة الخواجه انطون ان شاء النزول لمقابلتي حينئذٍ فتح الباب رجل وسألني من انا اجبتهُ انني تلميذ بمدرسة الطب في القصر العيني وانا رجل شامي لي شغل بالمنيا وقد نصحوني ان انام في الجيزه لالحق الوابور وحيث لم اجد محلاً للمنامة الاَّ منزلكم مضيفًا اتيت ارجوكم قبولي هذه الليلة انام فيها عندكم اجابني انني ضيف نظيرك وصاحب البيت متغيب عنهُ وساسأل الحريم قبولك قال هذا وتوجه ثم عاد بعد قليل ودعاني فدخلت الى ردهة الاستقبال وطلبت فراشًا للنوم فعرضوا عليَّ الطعام غير اني ابيت بشكر لانني كنت اكلت قبل حضوري وفي صباح اليوم الثاني توجهت باكرًا ولم ارَ صاحبة البيت ولا صاحبه انما عرفت انهُ يدعى انطون وحين وصولي الى محطة السكة الحديدية سلمت تحرير المحافظة الى القومسير فاخذه مني واعطاني محلاً في الدرجة الثانية وفي اثناء سفري قابلهُ شعبان بك مدير قومبانية الوابورات الخديوية فدعاني الى قربه بالدرجة الاولى!

وعندما سار بنا قطار السكة الحديدية اخبرت شعبان بك ما توقع لي مع حسن

بك هاشم وقلت له انني سافرت بالسياحة الثانيـة مستنداً عَلَى اذنك ومعتمداً عَلَى مخابرتك معهُ فهل لك ان تشهد بما توقع امام الخديوي فاجابني بالايجاب وفي الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا الى المنيا وكانت سكة الحديد لا تعدى في ذلك الوقت تلك المحطة فتوجهت تواً الى السراي وسلمت تحرير المحافظة الى خيري باشا مهردار الخديوي يومئذٍ وكنت مرتدياً ثياب المدرسة الرسمية فبعد ما قراه سلمهُ الى شخص كان بجانبه فتلاه هذا والتفت اليَّ قائلاً قد حسبناك طبيباً ونرى انك لست الا تلميذاً فاجبت هل تتنوع معاملة الطبيب عن معاملة التلميذ بالاحكام وهل يجب ان يبقى عرضة للاهانة فضحك وقال حسناً ادخل الان واطلب وكيل السراي وامرهُ ان يعد لي غرفة واخبره اني ضيف افندينا اما هذا الرجل فكان

(اسماعيل باشا المفتش) مصري الاصل وهو لم يتخرج في مدرسة بل انتظم في خدمة الاملاك الزراعية الخديوية بطنطا وحين عرف مشرب اسماعيل باشا اجتهد بعمل كل الطرق لاكتساب رضاه بحسن الاراضي وزاد ايرادها حتى ترقى الى درجة مفتش عمومي واحبهُ الخديوي ورقاه حتى تعين ناظراً للمالية وكان مثله معهُ كمثل البرامكة مع هرون الرشيد وقد اتصل الى غنى فاحش حتى انهُ في كل محل كان توجد فيهِ سراي خديوية كان له قصر اسمه قصره الكائن قرب سراي عابدين وكانت تتوارد اليه الضيوف والهدايا من الغنم يومياً وقد اخبرني وكيل مصروفه انهُ كان يذبح خمسين رأساً من الغنم يومياً لاجل الطعام ولم تكن فخامته تقل عن فخامة الخديوي وكان في آخر مدة وجودنا بمصر قد بدأ بانشاء سراي في شارع قصر العيني

وعندما تشكلت المراقبة المالية الفرنساوية الانكليزية في مصر وجدوا عليها ديوناً باهظة جداً وكان اسماعيل باشا المفتش حين ذاك ناظراً للمالية فسئل عنهُ اجاب ان الافراح كلفت مليونين وفتح ترعة السويس كذلك وقدم بعض تقريرات بلغت الخديوي فلم ترُق لهُ ومن بعد ذلك لم نسمع له خبراً وكان لهُ ولد احدب هو وريثه الوحيد ابقوا لهُ شيئاً لمعاشه وكان لهُ ابن اخت اسمهُ نشأت بك تعرفت به يومئذٍ في المينا

مقابلتي مع الخديوي اسماعيل باشا

كان اسماعيل باشا الخديوي الحاكم في مصر بامره يغني و يفقر يميت ويحيي يحب العز والجاه كريماً مهيباً ولم يكن يمكن التلفظ باسمه في كل مصر دون الالتفات يميناً وشمالاً كي لا يسمع احد وكان الناطق باسمه يذكره وجلاً حاسباً ان للحيطان اذاناً فهذه الاهابة التي اكتسبها جعلتهُ يعمل ما يشاء في القطر المصري بل كان هو القطر

وكان يراعي سمعته امام الاجانب كي يجعلهم يقبلوا الوراثة الخديوية في نسله فكان عادلاً جداً اذا عرف ان المسألة عرف بها الاجانب وهذا ما ساعدني في مسألتي مع حسن بك هاشم وكنت تراه مرة كريماً جداً الى حد التبذير واخرى بخيلاً الى حد التقتير غير انهُ هو الذي اظهر رونق مصر وجعلها مطمعاً للدول الاخرى وكانت مصاريفهُ باهظة جداً بحيث قدروا ان ثلث اراضي مصر كانت ملكاً لهُ ولهُ ثلث اسهم ترعة السويس وكراخين سكر ومراكب وكانوا يعدونهُ اغنى شخص في العالم ويقدرون مدخوله السنوي اثني عشر مليون ليرة كان يصرفها عدا مالية القطر التي كانت تحت امرته . وكان يحتاج احياناً للدراهم فيسأل اسماعيل باشا المفتش عن حالة الفلاح وهل يمكنهُ احتمال ضرائب جديدة فيجيبهُ المفتش ان افندينا هو الفقير لان الفلاح مهما كان غنياً لا يغير عوائده ياكل اللبن والنوم على الارض فالدراهم لا تنفعهُ اما افندينا فمحتاج للدراهم لان عنده مهمات واشغال وعمليات واستقبالات يلزمها المال فكان كلامه يقع عند الخديوي موقع القبول

وكان يستدين الديون الباهظة يصرفها عدا هذه المداخيل لكنهُ كان يصرف منها قسماً للمنافع العمومية في مصر وهو الذي اوصلها الى هذه الدرجة بالسكك الحديدية والترع والمدارس وبالاجمال قد صرف كثيراً وعمر كثيراً وهو الذي كان الموت والحياة بين يديه بلا معارضٍ ولا محاكم وترتجف منهُ كل اهالي مصر فكيف تكون امامهُ حالة تلميذ شامي غريب مثلي

وعندما دخلت غرفتي في سراي المينا واسترحت قليلاً صرت اتقرب من الياورية

والمأمورين وكان كل واحد منهم يسألني عن قصتي ويقول لي ربما افندينا يطلب مقابلتك وقد رأيت اسماعيل باشا المفتش وهو يتنزه بحديقة السراي فقال لي ان مسالتك غريبة لان افندينا عند استيقاظه من النوم امر بان يطلبوا الحكيم الذي ضربهُ حسن بك هاشم ولا نعلم من ابن علم هذه المسالة وسالني هل قدمت استدعاء بذلك اجبتهُ كلا وهذه القصة قد انتشرت في مصر انتشارًا عظيماً حتى بلغت مسامع افندينا

وفي الساعة الثالثة عربية ليلاً حضر ياور وقال لي ان افندينا يطلبك وعند ما سمعت ذلك شعرت بطنين في اذني وخفقان في قلبي واحمرار في وجهي واصبحت كأنني في عالم اخر ولكن بشاشة وجه الياور وتبسمه طمناني نوعاً فنهضت حالاً وتبعته وقد كنت في النهار استخبرت عن كيفية الوقوف امام افندينا فقيل لي اذا كان عسكريًا يقف ولا يبدي ادنى حركة حتى يكلمه اما اذا كان لابساً الثوب المدني فينحني ويقبل الاذيال وحيث كنت لابساً زي تلميذ عسكري عرفت ان اكون اخرساً بالكلية لان ذلك يوافق حالتي واخيرًا تبعت الياور ودخلت بين صفوف العساكر والضباط والامرآء والبشوات والكل يلتفتون اليَّ ويتعجبون من تلميذ يحصل على شرف هذه المقابلة اما انا فما كنت اسمع الا طنين اذني وخفقان قلبي ولم يكن نظري يفارق قدم الياور حتى وصل بي الى باب مغطى بستار عظيم لانه كان فصل الشتاء فرفع الياور الستار وقال ادخل ووقف خارجاً

عند ما دخلت وجدت الخديوي وقتئذٍ يتمشى وكان ظهره موجهاً للباب وحيث انه لم ينظرني تقدمت خطوتين فالتفت وراني وسالني بصوت لطيف سكن روعي وقال لي هل انت الطبيب الذي ضربه حسن بك هاشم اجبت نعم قال اخبرني قصتك فعند ذلك انصرف عني الخوف وزال كل وهم فاخذت هيئتي المعتادة وابتدات اتكلم كأن اسماعيل باشا احد رفاقي ولما انهيت كلامي قال لي حرر كل ذلك بورق وادار ظهره فخرجت عكس ما دخلت رافعاً راسي ولا اسمع في اذني سوى صوت الموسيقى الخديوية اما خفقان قلبي فلم يفارقني غير ان السبب كان مختلفاً عن الاول وهو الخوف اما الان فالفرح وكان الكل ينظر الي وانا اسلم على العساكر كاحد الضباط مع اني عند

دخولي لم اكن التفت الى احد

عندما رجعت الى غرفتي اخذت القلم والورق لاكتب وكنت مفتخرًا لمقابلتي الخديوي المعظم وانه بش في وجهي وافتكرت اني اقوى الناس فكنت ارتفع عن الكرسي واقوم ثم اعود واجلس وافرك يدي وارى كل شيء امامي كلا شي واتصور انتقامي من حسن بك الذي اهانني وصرت ابحث في مخيلتي عن عبارات فصحى لاكتبها ظنًا من انها تهيج الخديوي ضد خصمي وبينما انا في هذه الحال خطر لي فكر وهو انهُ لعل الخديوي لا يعمل شيئًا مع رئيسي حسن بك سوى توبيخه فيبقيه في مركزه وماذا تكون حالتي معهُ عندئذ وانا تلميذ تحت امره فانه ينتقم مني ويجعل طردي اقل جزآء استحقه وبعد ما اكون قضيت ايامي في الدرس واغتربت لاجل الحصول على نتيجة تذهب اتعابي كلها بلا جدوى وارتأيت ان اعتدل في كتابتي واخبر قصتي كحادث بسيط بدون ان امس بشيء كرامة الرئيس حتى اذا بقي في منصبه اعتذر له بانني لم اشكوه باستدعاء مخصوص بل الحادثة بلغت مسامع افندينا من الخارج فطلبني وسالني عنها فلم استطع نكران الحقيقة وكنت افتكر ايضًا ان الخديوي لم يطلبني ولم يظهر هذا الاهتمام بامري الا لقصد سياسي ولعله لا يرضى عني اذا كنت لا اسرد له الحقيقة على علاتها وبقيت مدة مترددًا بين هذين الفكرين اخيرًا تسلط على الفكر الثاني وانه لا بد من قصاص حسن بك حتى يظهر عدله لاهل اوربا وعلى فرض بقي حسن بك رئيسًا واراد الانتقام مني بطردي فاسافر حالاً الى اميركا واخبر الموسيو روزفلت بامري واني طردت من المدرسة بسببه وهناك اكمل دروسي او انه يجد عملاً اخر لانه قادر على ذلك فاعتمدت على تقديم التقرير الاتي لان الشجاعة هي فكر والجبانة مثلها

افندم

بعرض عبد سموكم شاكر الخوري التلميذ في مدرسة الطب الشامي الاصل ان عظمتكم التي تمضي لياليها وايامها بالسهر والتعب لكي تمدن مصر وتنزع عنها جميع عوائدها القديمة لها اعداء من نفس خادميها يرجعون بها الى حالتها الاولى

واهم اعدائها هو حسن بك هاشم رئيس مدرسة الطب الذي يجتهد ان يبقى عادة الفراعنة وهي الضرب على اقدامهم كالحيوانات في حين ان سموكم امرتم بمنع هذه العادة

القبيحة خصوصاً للغرباء الذين هم مثلي القادمون من اقصى البلاد لتلقي العلوم والمعارف في البلاد المتمدنة التي بظللها عدلكم الشامل فيعاملون كما كان يعامل الفراعنة اسراهم وقد جرى لي ما هو كذا وكذا (وذكرت الحادثة كما توقعت معي) كل ذلك لاجل خدامات قدمتها لسموكم لانني توجهت مع السياح الذين عرفوا بي انه يوجد في مصر اطباء وطنيون يحسنون لغاتهم وقد كان الرئيس يريد ارسال احد اقاربه فرفضه السياح لجهله لغتهم واننا في مدة محمد علي بك الرئيس السابق لم نرَ قط مثل هذه المعاملة هذا ما اعرضه لمقام خديويتكم والامر لمن له الامر افندم

وفي اليوم الثاني قابلت اسماعيل باشا المفتش واخبرته امر افندينا واعطيته التقرير ليقراه وقلت بفكري متى استشرت شخصاً واطلعته على حوادثك وطلبت رايه فلا بد له من مساعدتك حتى يكون الفائز خصوصاً متى كان الشخص قوياً لذلك يلزم المرء ان يبدي رايه الصحيح لاي كان استشاره باي امر

وبعدما قرأ اسماعيل باشا التقرير امرني ان اسلمه للياور الذي في ثاني يوم صباحاً قبل ذهابي بسكة الحديد الى مصر حضر لعندي وقال لي قد امر افندينا ان نتوجه سوية الى مصر فسرنا وحين وصولنا الى المحطة حضر ياور آخر وامرنا بالرجوع الى السرايا فعدنا اليه وهناك سلمني ياور ثالث تحريراً من الخديوي الى المحافظ عمر باشا لطفي فسالت الياور الذي كان ذاهباً معي عن سبب عدم مجيئه معي وكان قد قابل وقتئذ الخديوي فاجابني ان افندينا افتكر ان لربما لا تحصل حقوقك في المدرسة نظراً لعداوتك مع الرئيس وامر ان تنظر دعواك في المحافظة فتوجه حالاً قبل ذهاب السكة الحديدية التي استنظرتنا بزيادة عن ميعادها وارفقني بياور فدخلت في الدرجة الاولى وبينما انا في هذا المحل حضر مفتش التذاكر وسالني عن تذكرتي فقلت انني اتٍ بمامورية فذهب وارسل المفتش العمومي الذي كان صديقي فحين رآني فرح وسالني عن نتيجة سفري لان التلاميذ كان ينتظرون عودتي بفروغ صبر فاخبرته ما جرى

وفي اليوم الثاني وصلت الى المدرسة صباحاً عند شروق الشمس فوجدت التلامذة مصطفين لاجل الدقة (اي لقراءة اسمائهم ليعرف الحاضر من الغائب) فعند ما نظروني خرجوا جميعهم من الصف ومعهم الضابط وصاروا يسالوني عما

توقع لي

في هكذا ظروف يجب عَلَى الانسان ان يظهر من الضعف قوة لياخذ لهُ حزبًا لان البون بيني و بين خصمي كان عظيماً فافتكرت انني اذا تكلمت بالتعقل يظنون انني لم انجح ويبقى الجميع ضدي لان الضعف في هذه البلاد يعد اعظم ذنب للانسان خصوصاً متى كان الرئيس خصم تلميذه فقلت لهم افرحوا هاكم امر عزله واريتهم التحرير المرسل من الخديوي الى المحافظ ففرحوا جميعًا وابتدوا يقبلونني لانني نجحت ولو اتى الامر بخلاف ذلك لما كان احد كلمني ولكان اصابني ما اصاب الاسد والثعلب

قيل ان الاسد مرض ذات يوم فحضرت اليه جميع الحيوانات يعودونه عدا الثعلب الذي افتكر بان المرض اذا كان قويًا وقضي عَلَى الاسد بالوفاة يكون قد تخلص من ثقل الزيارة وان شفي يذهب لتهنئته بصحته ولما شفي السبع من مرضه فرأى الثعلب ان لا بد لهُ من الزيارة فذهب الى مغارته وبقي رابضاً بعيداً عن الباب فحين رآه الاسد بدا يعاتبهُ لعدم عيادته حين مرضه فاجابه هذا انني لم ارضَ ان اثقل عليك كباقي الحيوانات وانت مريض احضر لتناول طعامك او ان آتي بلا هدية فصرت ابحث عنها حتى وجدتها فجئت اليك

وحين ما سمع الاسد ذكر الهدية سكن غضبه وبش بوجه الثعلب وسالهُ اين هي قال في روضة قريبة منا حمار سمين ممتلئ الجسم حين رأيته اشتهيته ماكلاً لسيدي فان امرت فنذهب اليه فتوجه الاسد مع الثعلب حتى وصلا الى الحديقة ورأى الحمار كما وصفه الثعلب يرعى ورأسه بالارض فاشار الثعلب عَلَى الاسد ان يأتيه من الوراء ويضرب به عَلَى كفله يلقيه بالارض قبل ان يراه ففعل غير انه نظرًا لضعفه لم تكن ضربته قاضية ورفسه الحمار عَلَى راسه فسقط الى الارض من عظم الضربة وعند ذلك تقدم الثعلب وصار ينهش الاسد فقال لهُ ما هذا شرط المرافقة تنهشني وانت الذي اتيت بي فقال ياسيدي ان الدنيا مع الواقف ولو كان حمارًا

ثم غيرت ملابسي وتوجهت للمحافظة وسلمت التحرير الى المحافظ ورجعت الى المدرسة

وكان الباش جاويش عدونا فبدا يحزّب التلامذة المصريين ضد الشوام بحيث اذا صادفوا احداً منا في الصف او الدرس او على مائدة الطعام يهينونه واخبرني رفاقي بذلك فنصحتهم ان يتجنبوهم حتى نرى عاقبة الامر ولا يخالطوهم فاتبعوا رأيي وكان الباش جاويش يقيد اسماءهم متغيبين وفي ذات يوم حضر الرئيس الى غرفة الشوام وقال لهم اراكم تعصون قوانين المدرسة فافندينا قد طلبني الى حضرته وامرني بضرب وحبس من يخالف الاوامر فاجابه انطون افندي الشعراوي وهو احد التلامذة الحلبيين ان افندينا لا يامرك هكذا اوامر خارجة عن تمدن العصر

عندما عرفنا افكار الرئيس من نحونا قلت لرفاقي لعله يشكونا لرئيس ديوان المدارس علي باشا مبارك فالاوفق ان نسبقه ونعرض ظروف احوالنا ونوقع نحن العشرة على الاستدعاء فصادقوا على رأيي وكتبت الاستدعاء الاتي

دولتلو افندم حضرتلرى

بعرض عبيد دولتكم العشرة شوام تلامذة مدرسة الطب انه الحادثة التي جرت مع الرئيس واحدنا شاكر الخورى قد تسلط علينا الباش جاويش وبعض رفاقه فهم يشتموننا كلما رأونا في درس او صف او محل اكل حتى التزمنا ان نبقى في غرفنا لانخرج منها واذا لم تتداركونا لا نعلم ماذ يجرى علينا

ووقع على الاستدعا العشرة شوام وارسلناه مع التلميذ الخارجي المرحوم الياس زند وفي عصارى ذلك اليوم اتانا وكيل ديوان المدارس وهو اسماعيل باشا زهدي

عند حضوره قرع الطبل لاجتماع التلامذة فاصطففنا في الدار وقال اين هم الشوام اخرجوا من الصف فخرجنا واخذنا بعيداً عن المصريين وقال لنا هل هذا الاستدعاء متقدم منكم اجبناه نعم قال وما هذا العمل الذي صنعتموه وانتم اناس غربان (اراد ان يقول غرباء لانه كان يجهل اللغة العربية) ولا يلزم ان تعملوا فتناً في المدرسة فلم ادعه يتم كلامه وقلت لهُ اننا طلبنا مساعدتك لتخلصنا من الباشجاويش لا لاجل ان توبخنا وماذا يستطيع ان يعمل عشرة تلامذة من الشوام مع مائتين من المصريين منهم الرئيس والباش جاوش قال لي من انت اجبته انني صاحب الدعوى مع الرئيس فقال حسناً ارجعوا الى صفكم فامتثلنا امره وطلب الباشا الباش جاوش وقال

قد تقرر لي ان كل هذا الهيجان الحاصل في المدرسة مسبب منك فانت من هذه الساعة معزول واقام اخر خلافه كنا طلبنا تعيينه ثم امر ان تكون ادارة الشوام لوحدهم ويعين عليهم اونباشي منهم ولا يتداخل احد من المصريين بشؤونهم وطلب مني ان اكون اونباشيا عليهم فرفضت وعرضت عليه انطون الشعراوي فسره جداً طلبي وجرى تعيينه اما سبب رفضي فهو ان وظيفة الاونباشي تقضي عليه بذكر اسماء المتغيبين عن الدرس او المدرسة فلم اشأ اكتساب عداوة رفاقي في حين نحن محتاجون للانضمام والمعاضدة وصار فيما بعد اذا حصل اختلاف مع احد اصلحه فكان انطون اونباشياً وانا مصلحاً وبقينا على هذه الحال حتى اتانا طلب من المحافظ توجهت الى المحافظة فوجدت هناك الياور الذي كان يريد الحضور معي فسلمت عليه ثم التفت واذا بحسن بك هاشم عند المستنطق مع احمد افندي القديم كاتب المستشفي والاستشارة الطبية فتقدمت الى المستنطق وقلت له اذا كان الرئيس ينكر فعله فعندي شهود عليه فلم يجب حسن بك بشيء وخرجت انتظر الياور حتى اتى فسألته قال ان حسن بك اعترف بالضرب والحبس ولكنه زعم انك هجمت عليه قلت هل يعقل ان تلميذاً غريباً نظيري يهجم على رئيس مدرسة قال ان كلامك مصدق فكن مرتاحاً وحيث انه اعترف بالضرب والحبس فسيلقى جزاءه فرجعت وتاخرت الدعوى لسبب دخول عيد الاضحى وبعده نفذ الامر بالعزل

كان حسن بك هاشم من الاطباء الماهرين جداً تلقى دروسه في باريس ونال شهادتين في الطب والصيدلة وكان طبيب النساء في قصر الخديوي ومدرس علم الفسيولوجيا في المدرسة

وفي احدى الليالي الساعة واحدة عربية حضر اليَّ موسى الترجي وقال لي تعال معي يا موسيو شاكر فلي حديث اسارك به فذهبت معه واخبرني سراً انه كان عند محمد علي وفي المساء حضر ياور افندينا الخديوي وسلمه امر الرئاسة بدل حسن بك هاشم فاعطاه ليرتين اكراماً لهذه البشرى ولما تيقنت صدق قوله فتشت جيوبي فرايت معي نصف ريال اعطيته له وذهبت حالاً الى الطبل وابتدأت اقرعه فاستفاق التلامذة لان الساعة كانت واحدة وغير معتاد قرع الطبل في مثل هذه الساعة وظنوا جعفر

الموكل عليه هو الذى يقرعه ولما اتوا ورأوني سألوني عن سبب عملي فاخبرتهم بعزل حسن بك هاشم فعلا الصراخ في كل المدرسة وبدأ التلامذة يلعبون الى الصباح

وتوجهت عند الصباح الى الكاتب احمد افندي القديم وسألتهُ عن الامر فقال صدق مخبرك وهاك الامر فاخذتهُ وقرأتهُ وهو كما يأتي وقد حفظت نسخة بين اوراقي

صورة الامر العالي الصادر الى المحافظة

بعزل حسن بك هاشم

بناء على ما اجراه حسن بك هاشم الحكيم مع شاكر افندي الخوري التلميذ في مدرسة الطب بقصر العيني من المعاملات غير اللائقة والمخالفة للاصول والقواعد والاوامر اقتضت ارادتنا رفع حسن بك المومى اليهِ من وظيفته برئاسة المدرسة والمستشفى وباقي وظائفه بالمصلحة المذكورة واحالتها لعهدة محمد علي بك الحكيم وصدر امرنا بتاريخهِ لنظارة الداخلية لارساله مع جورنال تحقيق القضية المذكورة واحالتها الى مجلس الاستئناف للحكم بها حسب الاصول واصدرنا هذا الحكم للمعلومية واجراء رفت حسن بك من تاريخهِ واحالة وظيفته الى محمد علي بك كما ذكر (وبهذا الامر حاشية ورد ما فيها) اننا نامر محمد علي بك ان ينتخب من يراه من اطباء المستشفى الماهرين ليقوموا في الوظائف التي كان يؤديها حسن بك

وبينما نحن في المستشفى حضر حسن بك لانهُ لم يعلم شيئاً ودخل بعجلته لدار المدرسة فصرخ التلاميذ معزول معزول ولما سمع هذه الكلمة طلب احمد القديم وسألهُ فاخبره ما توقع فرجع توًا بعجلته بين صفين من التلامذة كانوا يهزأون به وبعد ساعة حضر محمد علي بك

(رجوع محمد علي) حين رجوع محمد علي رئيساً للمدرسة جمعت رفاقي الشوام وقلت لهم قد تخلصنا المرة الاولى ولكن لا تسلم الجرة كل مره خصوصاً اذا كان

محمد علي ضدنا نخير لنا ان نسير عَلَى موجب القوانين باقي هذه السنة وعَلَى الله التدبير واتفقنا عَلَى ذلك وبعد حين اتى محمد علي الى المستشفى ليرى الدروس فشاهد جميع التلامذة يتكلمون ويكلمون الا انا فطلبني وقال لي لمَ لا تتكلم شيئاً قلت كفاني ما جرى لي مع حسن بك هاشم وصرت اخشى كل رئيس يأتي بعده قال انت كاولادي ولا تخشى من سواه وكان بعد ذلك يحضرني معهُ في كل عملية جراحية يجريها ويرسلني الى المرضى في الخارج وعشت حتى اخر السنة كمعلم لا كتلميذ

بناء عَلَى امر الخديوي الصادر بملاحقة الدعوى صار طلبي الى ديوان الاستئناف وسألوني عن دعوى حسن بك هاشم فقلت في ذاتي كفاني ما اصاب هذا الرجل بسببي واذا لاحقته للنهاية لربما كرهني الاساتذة وقالوا عني اني متعنت متطلب منتقم فاعلنت اني استوفيت جميع حقوقي من عدل افندينا الخديوي واكتفيت بعزله فما عاد لي عليه حق واسقط جميع حقوقي الشخصية وقد عرفت فيما بعد ان الخديوي امر بتغريمه جزاء نقدياً عوض اهانتي لكنني اكتفيت بالجزاء الادبي

من يفتكر او يطرأ عَلَى باله ان تلميذاً غريباً في مدرسة طبية لسبب ضربه وجلده في المدرسة وهي امور معتادة في سائر المدارس اتصل خبره لمسامع الحضرة الخديوية فلاحقت دعواه الى اخرها وطردت رئيسه العامل العلامة وحرمتهُ راتبه البالغ ماية ليرا مصرية شهرياً وصدرت عليهِ دعوى جنائية فليعلم الانسان ان الظروف هي التي تعمل كل شيء فالانسان الناجح هو الذي يوجد في ظروف تساعده يستغنم فرصتها بمهارتهِ الشخصية

(ظروف هذه المسألة) كان نجاح هذه المسألة صدفة وهذه الصدفة هي ارسال تحريري الى الموسيو روزفلت مفتوحاً وقرأة صاحب اللوكندة الموسيو يوسف بنتالبني له الذي كان يخبر الخديوي كل ما يقال عنه في لوكندة النيواوتل فعند ما اطلع عَلَى تحريري وراى تقريري في اليوم الثاني ارسله الى الخديوي وجرى ما ذكرناه فتكون الصدفة هي التي فعلت كل شي ومن ذلك الوقت بقيت اتردد عَلَى الموسيو بنتاليني ازوره واشكر له ما فعله معي الى ان حضرت من مصر اما حسن بك رئيس المدرسة

فانه توفي بعد خمس سنوات متأثرا من هذه الحادثة ولم يرجع الى وظيفته وقد حررت الى موسيو روزفلت حسب وعدي له جميع هذه المعاملات العادلة من الحضرة الخديوي وكيف عزل حسن بك وحاكمه الى اخره

(الوفاء لانطون الدخاخيني) وفي السنة الاخيرة لدرسي بينما كنت لوتنجيا في احد الايام واذا برجل شامي اتى يطلب فوزي افندى استاذنا في الجراحة فسألته ماذا يريد منه اجابني انه يدعى انطون الدخاخني ساكن بالجيزه ويرغب في عملية جراحية فعرفت انه هو الرجل الذي ضفته في منزله ليلة سفري الى المنيا غير اني كتمت عنه هذا الامر وقلت له خير لك ان تعمل العملية هنا وابقى ازورك يومياً في منزلك فتوفر عليك اجرة طبيب مهم فاستصوب رايي وحالاً ذهبت الى فوزي افندي واخبرته قصتي مع هذا الرجل ورجوته ان لا ياخذ منه اجرة وانني ابقى ازوره في منزله وطلبت منه ان يكلف المريض بارسال الاجرة معي فبعد اجراء العملية وزيارتي له مدة سبعة ايام تم شفاءه واعطاني خمس ليرات اجرة الزيارات والعملية فاخذتها منه ثم قلت له مرادي الان اخبرك قصة جرت لي هنا في هذا البيت واعدت عليه ما توقع معي وشكرت له فضله وفضل اهل بيته الكرام ورجوته ان يقبل هذا المبلغ جزاء معروفه لضيافتي تلك الليلة عنده ولرب معترض يقول ان نوم ليلة لا يوازي هذا المقدار فاجيب ان هذا الحساب لا يعمله الا التجار الذين يحسبون راس مالهم ومكسبهم اما ذو الاحساسات الشريفة اللذين يتأثرون من المعروف لا يمكن عندهم هذا الامر وقد افتكرت ان هـذا البيت عمل معي معروفاً في ليلة كنت محتاجاً ولو كلفني اكثر من ذلك لكنت دفعته فضلاً عن كونه صنع معي هذا الجميل دون سابق معرفة بي والرجل القوي هو من لا يسأل على ماله ولا على حياته والعكس الدليل هكذا انتهت هذه الحادثة وبعد سنتين من حصولها خرجت من المدرسة وكان الامتحان الاخير في ١٤ تشرين اول سنة ١٨٧٣ لذلك تراني مخصصاً هذا النهار الطبب فيه مجاناً الغني والفقير وهذا هو يوم ولادبتي وعمادي بين الرجال واخذ اسم شغلي دوكتور اعني هذا هو اليوم الذي به ابتديت اكل من تعبي وتركتي ابي ومدرستي وهو اول ظهوري في عالم الاشغال فبقيت ٢٦ سنة وشهرين وعشرين يوم اكل واكتسي واتعلم على حساب والدي فلو

كنت فلاحاً لسعفته من سن ٥ سنوات لكنت اوفر عليه اقله رعاية المواشي

(سكني في مصر) لما انهيت دروسي وخرجت من المدرسة كنت افكر اني اتخلص من كل الهموم حين انال الشهادة وهذا الفكر بطرآء على مخيلة كل تلميذ ولكن عندما انقطعت رواتبنا المدرسية والوالديه وخرجنا منها ازددنا هماً على هم وصرنا ناسف على حالتنا الماضية اذ ذاد علينا هم طلب المعاش واجرة محل النوم وهذه متاعب كنا براحة منها وبعد ما انقضت افراح الشهادة فتح لنا باب الهموم وكان مثلنا كمثل عريس الذي يفرح جداً يوم عرسه لكثرة الاعتبار له وفي اليوم الثاني يبتدي يهتم في تدبير السيدة وبعد سنة بالاولاد وهلما جرا

فعرسنا كان يوم نوال الشهادة وفي اليوم الثاني ابتدي الهم وكنت في الاسبوع الاول من خروجي احضر عمليات اساتذتي الثلاثة محمد علي باشا وحسين بك عوف وسالم باشا سالم وازور المرضى نيابة عنهم واساعدهم في اجرآء العمليات واكتسبت في ذلك الاسبوع اربع ليرات وحالاً استاجرت محلاً

وكنت اجلس في صيدلية مصطفى افندي ابو زيد احد اساتذتنا الكائنة في اخر شارع الموسكي تسمى بذلك باسم رجل اسمه الموسك اول من عمر فيه قرب سوق الكانتو وكان الصيدلي المعين فيها يدعى انطون افندي قرا الى الذي سنذكره فيما بعد وكان بالقرب منها مجتمع ماسحو الاحزية وقد اشتهر بين هولاء ولد اسمه احمد كان ياخذ اجرة ذيادة عن رفاقه لانه كان يتقن صناعته جداً وكانت الناس تزدحم عليه وتدفع له اجرة مضاعفة وفي اخر النهار يجمع نحو ليره وعند ما تاملت هذه الحال قلت بذاتي ان غنى الصناعة هو شهرة صاحبها واذا كان ماسح الاحذية يكسب ليره يومياً نظراً لشهرته فماذا تكون حال الطبيب لو اشتهر ومن ذلك الحين اعتمدت على اتقان صنعتي وتخصيصي بفرع منها لانه نظراً لكثرة العلوم الطبية وتفرعاتها لا يمكن الطبيب ان يشتهر فيها كلها ولاجل شهرته وكسبه وافادة مريضه يجب ان يخصص ذاته بفرع منها وحيث كانت توجد عندي الات العيون التي اهدانيها الموسيو روزفلت كما قدمت وكنت قد الفت خصوصاً طبيب العيون حسين بك عوف وجدت سهولة عظيمة لاتباعي هذا الفن خصوصاً لكثرة امراض العين في مصر وقلت بذاتي اذا

كان احمد ماسح الاحذية يكسب ليره يومياً فلا بد ان تكون قيمة العين اغلى واعلى من الاحذية فهذه الحادثة تعلم الانسان ان لا يترك شيئاً مما يشاهده لان اغلب الاكتشافات والاختراعات والاجتهادات كانت صدفة وكثيراً ما نتعلم ممن هم دوننا لذلك لا يلزم احتقار شي او النظر اليه دون اهمية

وقد اخذت بيتاً عند مريم القبطيه التي كان لها زوجاً متوظفاً في الحكومة يبتدي بالشرب عند رجوعه حتى يسكر فاذا كان منشرحاً منها ابتدى يمدحها والاَّ يسبها حتى ينام وهو سكران ويفيق عند نصف الليل يجد الاكل بجانبه يأكل وينام وكان له جار اسمهُ تادرس يجلس مساءً على باب داره ومتى مر شخص امامهُ ان كان يعرفه ام لا يعزمه للاكل ويحرّج عليه واذا دخل المعزوم يبتدوا بالشرب وعندما يتخمر تادرس يقفل الابواب ويمسك عصا ويبتدي بضرب الضيف الذي يصيح ويخلع الابواب ويهرب وهكذا كل يوم له ضيف

وعندما نظرت هذه الجيرة وكنت اكتسبت بعض دراهم اخذت بيتاً في شارع كلوت بك الذي فتح جديداً وكان ذو طابقين سكنت الاعلا وسكن معي في الدور الثاني قواص قنصل اسبانيا

قنصل جنرال اسبانيا في مصر مسيو رامو

كان لهذا القنصل قواس من بلادنا تغيب احد الايام عن القونصلاتو فسألهُ قنصلهُ عن السبب اجاب ألم ضرسه واني جاره وطببت لهُ الضرس فشفي وكان للقنصل ضرس يألمهُ من مدة مديدة فارسل يطلبني لعلاجه فعملت لهُ عجينة من حمض الارسنيك والمرفين وضعتها في الخرق واعطيتهُ حبوباً من سلفات الكينا وعند نصف الليل ارسل يطلبني لكثرة القيء فنزعت العجينة ومنعتهُ عن اخذ الحب وكان اخذ حبة واحدة فتوجهت الى الصيدلية لارى الرشتا فوجدت مكتوباً فيها عوض سلفات الكينا سلفات الاتروبين فتهددت الصيدلي لان وظيفتهُ ان يرجع غلط الطبيب فتواقع عليَّ لكتم سره فوعدتهُ اذا لم يحصل ضرر واخيراً كان هذا القيء سبباً لشفاء القنصل لان الصفراء كانت تهيج لهُ هذه النوب فاخيراً من غلطة كانت شهرتي عند القنصل وصرت طبيب

البيت متى اراد الباري نجاح امر يخلق لهُ اسباباً لا يعلمها الا هو

ولي في هذا المقام ما الاحظهُ عَلَى هذا الحادث وهو نسبة الطبيب الى المريض وصاحب هذه الصناعة يجب ان يكون رائقاً غير مضطرب لا يتأثر من حالة المريض اما الحديث فيها نظيري فيظن ان القناصل الهة عَلَى الارض وحين يطلبونهُ يضطرب من عظمتهم وقوتهم ويكثر خطاوه ولهذا يجب عَلَى عظيم القدر ان يلاطف طبيبه و يعوده عليه و يمازحه حتى لا يعود يرهبهُ ولا يؤثر عليه فيحصل كما جرى

(ابنة القنصل) كان لهذا القنصل ابنة لطيفة المعشر تبلغ الثامنة عشرة من عمرها نحيفة الجسم ولكنها فاقدة شهية الاكل بالكلية وزرتها في احد الايام فقالت لي بلهجة السرور ان شاهيتي في هذا النهار عظيمة وما ذلك من دوائك ولكنني جلست في غرفتي المقابلة لغرفة المائدة فرأيت القواس ياكل باشتهاء عظيم وسرعة كلية وكل اعضائه تتحرك فاثر بي هذا المنظر وجاب لي الشاهية فطلبت الطعام لغرفتي وصرت كما اراه ياكل ازداد اشتهاء للطعام وكان اعظم دواء لي

و بالحقيقة ان الانسان اذا كان جالساً عَلَى طعام ورأى رفيقهُ ياكل باشتهاء وكان اكولاً تزيد شاهيته ولذلك ترى كبار البطون يتخطفون الطعام من بعضهم و بالعكس اذا كان الواحد قليل الاشتهاء او اكله بطء وكسل فتفقد الشهية و يضطر الانسان ان يترك طعامهُ قبل الشبع حياء واعظم ضرر لفقد الشهية هي عبوسة وجه صاحبة المنزل لان مهما كان الرجل صديقاً لك و بشوشاً وكانت صاحبة المنزل عبوسة تقرف الضيافة لان البيت للامرأة وهي صاحبت المحل

(نادرة) اتفق لي ذات يوم ان اكون مدعوًا عند احد اصحابي في مصر وكان له امرأة عبوسة خلقاً فجلسنا عَلَى المائدة وكان معنا جملة مدعوين وقد جال الحديث عَلَى الاطعمة واستحسانها فصار كل واحد يذكر لوناً يفضلهُ عَلَى غيره اخيرًا سألتني صاحبة المنزل لما لا تبدي رأيك في ذلك فاجبتها ان الذي يهمني جمعية الاكل ولبس الاكل واحسن جمعية للاكل هي وجه سخن وماء بارد واذا كان الوجه باردًا والماء سخناً لا تكن جمعية حسنة فقهرًا عن برودة وجهها ضحكت وتفتر قليلاً

(جاري المفلس) كان جاري هذا مفلساً عندما اتى مصر فاشتغل فيها مدة ثلاثين سنة فاكتسب غناءً عظيماً فاخيراً ابتدى (يتمضرط) كما يقال وكانت اولاده تقتدي بهِ بالمصروف والتبذير حتى انهُ بعد مرور مدة شعر بقرب زوال نعمته وكان وصل الى عمرٍ لم يمكنهُ فيه مداومة الاشغال فابقى عنده مبلغ اشترى به عربتين سلمها لعربجيين يحاسباه عند المساء ففي احد الايام كان جالساً على بابه وانا بمعيته ينتظر العربيات لقبض ما اشتغلا والا نفدت احداهما ودفع لهُ العربجي نصف ريالٍ قائلاً ان هذا شغلنا اليوم فكفر الرجل بالسب والشتم حتى نفدت الثانية وكان عربجيها يطالب بثمن العليق لان العربة لم تشتغل في ذاك النهار لان الحصان كان مريضاً فعندئذٍ طار عقل الرجل وبعد مدة راق بسبب التعب من الشتم والمسبة وكان في مدة رواقه لطيفاً ظريفاً مسخناً فسألتهُ عن احواله المالية واني سمعت انهُ غني ولماذا يعمل هذا العمل وانه صار لهُ مدة في مصر فكيف لم يجمع شيئاً لاخرته فاجابني ان مثلهُ كمثل فارة ضعيفة نحيفة دخلت اذن حمار ميت فلضعفها امكنها الدخول وعندما وصلت الى المخ وجدت نخاعاً طرياً ابتدت تاكل فسمنت وعندما انتهى النخاع ولم يبقَ لها اكلاً ارادت الخروج فما امكنها ذلك لسمنها فمكثت قهراً عنها وحيث لا يوجد غذاء ابتدت تبرز وتاكل برازها وتضعف وبقيت في هذه الحالة حتى صار جسمها رفيعاً يمكنهُ الخروج من ثقب الاذن فخرجت وعند خروجها سالتها جارتها انشاءالله توفقتِ في هذه السفرة وجمعتِ شيئاً لاخرتك اخبريني فاجابتها ان مثلما دخلت خرجت وزيادة اكلت خرأي

شراكتي مع محمد بك عوف

كان استاذي حسن بك عوف يحبني كثيراً وقد وعدني باشراكي مع ولده ففتح لنا محلاً في اخر شارع الموسكي واول السكة الجديدة بسوق الكانتو وكان محمد بك متزوجاً امراة فرنساوية قطنت مصر مع ابيها وامها واراد حموها حسين بك ان يغير عوائدها ويلبسها حبرة وبرقعاً فلم تقبل ذلك وفي احد الايام اشترى حسين بك حصاناً افرنجياً فمرض واتوا له بطبيب بيطري فبعد ان عاينه امر ان يقوه على عوائده

في الطعام كي لا يموت فاضطروا ان يستعملوا لهُ كل العوائد الافرنجية وكانت كنته حاضرة اذ ذاك فقالت له يا عماه اذا كان الحصان وهو حيوان قد مرض واوشك ان يموت بسبب تغيير عوائده فماذا يصير بي اذا غطيت وجهي وسترته وغيرت عوائدي فضحك لجوابها وابقاها كما كانت ولها من زوجها ولد اسمه حسين عرفته هذه السنة ١٩٠٧ في المنصورة وهو يعيش مع والدته لان والده تزوج بغيرها

وكان لهم صديق سويسري الاصل يدعى راول بيكنه من اسرة معتبرة وقد حضر لمصر معلماً في مدارس الحكومة علم الطبيعة وكان صديقاً لاسرة مادام عوف بك يأكل معهم يومياً طعام الظهر وهو عالم زكي وقد استعفى وعاد الى بلاده وقد قرأت مؤخرًا في احدى الجرائد الطبية انهُ اكتشف على طريقة لسيلان الهواء وقد دعيت باسمه وعند ما توجهت الى باريس سنة ١٩٠٣ رايت محلاً باسم بيكنه وسالت عنهُ لازوره فقيل لي انهُ لا يوجد هناك بل ان المحل باسمه

(اسعد الذيب) تاجر اصله من حاصبيا كنت طبيب اسرته وكانت له ابنة عمرها سنتين وحيدة لهُ وعاشت بعد ان توفى له اربعة اولاد وكان كل ولد يأتيه يتوفى حين يدرك هذا السن فتحصل له تشنجات وحمى بسبب الاسنان يتوفى بها وكان اولاده لينفاوي المزاج لانه وامراته كانا بهذا المزاج وكانت يومئذٍ ابنته الصغيرة تدعى شفيقه بهذا السن فاصابها هذا التشنج وعند ما راى الاب ابنتهُ بهذه الحال ذهب الى مخزنه وهي بحالة يأس شديدة وقال دبروا الكفن لفتاتي وارسل يستدعيني وعند ما دخلت البيت سمعت نواحاً عظيماً والكل آيسون من شفائها ويقولون هذا مرض اخوتها فطمنتهم قدر الامكان واعطيت الابنة مسهلاً خفيفاً مع كمية من سلفات الكينا فتوقفت الحمى وزال التشنج ونحو العصر رجعت لعيادة الفتاة ووجدتها مرتاحة نوعاً فتوجهت الى خان الخليلي لاطمن اباها وعند ما رآني هذا مقبلاً اليه اصفر لونه غير اني تبسمت له فاطمأن نوعاً وسالني عن صحة ابنته فاخبرته بزوال التشنجات فتعجب وقال ان كل اولادي توفوا بهذا الداء قلت له ان المعالجة هي التي اماتت اولادك لا التشنجات لانهم كانوا يستعملون لهم مدة التشنجات الاستفراغات الدموية وهي تزيد الاعراض عند ذوي المزاج اللينفاوي مع انها ناشئة عن حمى يجب معالجتها لاجل ازالتها

فهنا اعطي ملحوظات عن المعالجة بوجه العموم

قد قلت واقول دائماً انه يجب عَلَى الطبيب ان يدرس حالة المريض قبل المرض لان هذا يتنوع حسب المزاج وتركيب الجسم فالجسم ارض تزرع فيها البزور فان كانت جيدة نمت وان كانت عاطلة فيفسد الزرع فالجسم ارض والمكروب زوانها والمزاج الليمفاوي احسن ارض تساعد لانماء هذه المكروبات فلذلك يجب عَلَى الطبيب ان يفحص مزاج المريض قبل كل شي

ثانياً ان يعرف الزمن الموافق لاعطاء الدواء لانه اذا لم يكن الوقت مناسباً فالدواء لا يفيد شيئاً وربما اضر بدل نفعه فمثله مثل الطعام في غير وقته وهذه الاوقات لا يعرفها الا الطبيب المجرب وبهذه المهارة يفضل طبيب عَلَى اخر

فالمرض الذي هو من اصل ميكروبي يكون كالانسان ذا معيشة يلد ويشب ويشيخ ثم يموت فيلزم في كل دور من هذه الادوار ان يعطي الغذاء المخصوص فان تناوله المريض بغير وقته اضر به ولنفرض ان مولوداً حديثاً اطعمناه انواع المحاشي او الكبه ام الكشك او الخبز فلا شك بانه يموت اذ يلزم له في هذه الحال الحليب وقد نوعت الطبيعة الحليب حسب سن الطفل فحديث الولادة يكون طعامه ماءً ثم يتكاثف كلما كبر الولد سناً وهذه الماكولات تتنوع حسب سنه ويجب استعمال هذه القاعدة بالامراض لان المرض في ابتدائه لا تستعمل لهُ الادوية القوية القابضة بل الملينة وبالاختصار ان لكل دور من ادوار المرض علاج كما انه لكل سن من عمر الانسان غذاء وهذا ما قصر المؤلفون بذكره في كتب الطب اذ يجب عليهم ان يعينوا الاوقات التي يجب ان تؤخذ فيها ادوية كل داء فالطبيب الحديث الذي لم يكن قد مارس صناعته بل درسها في الكتب وتلقيناً عن اساتذته يحتار في امره ويخبط في علاجه خبط عشواء

ثالثاً يلزم اعتبار مقدار الدواء لان قوته متوقفة عَلَى مقداره ولنفرض عَلَى ذلك مثلاً ان الخبز اعظم المغذيات لنا فلو تناولنا منه كمية قليلة لا تفيدنا وان اكثرنا منه ضرنا وما النافع لنا الا الكمية المعتدلة التي يمكن الجسم احتمالها فمعرفة هذه الامور الثلاثة اى مزاج المريض وزمن الدواء ومقداره هي التي تكسب الطبيب مهارة ونجاحاً

وهذا لا يعرف الا بالتجارب ولذلك نرى ان الرجل الشهير هو المجرب الخبير المحنك وليس المتحنك وكلما تقدم الطبيب او الصانع في عمره زادت خبرته وشهرته

عصاة الفرن

كل شيء في بلادنا لهُ اصطلاح ولكل جديد عند اهليها اعتبار وقد ضربوا بذلك الامثال فقالوا لكل جديد رهجة ولكل قديم دهشة فمثل الطبيب او سواه عندنا كمثل عصى الفرن التي تكون طويلة وكلما حركوا فيها النار يحترق جزء منها حتى لا تصلح في اخر الامر لشي كذلك الطبيب او الصانع فانه ينحط كل يوم وهو لا يشعر بذاته ولا يعرف ان ذنبه تقدمه في السن وترى الامر عكس ذلك في البلاد العظيمة فان الصانع كلما تقدم في عمره زاد اعتباره فيستشيرونه بكل امر عضال لانه مجرب خبير ونرى الكثيرين يتركون اوامر الطبيب الماهر ويتبعون اراء الدجالين ولكنهم لا يسلمون كل مرة ومع ذلك فان مهارة الطبيب متوقفة على اعتقاد المريض به لان الاعتقاد يفعل عجائب ولهُ تاثير عظيم ولكنه سريع الزوال فلو اتفق ان مريضاً اعتقد بطبيب ذي المهارة والمقدرة وعالجه هذا بمرضه وتمكن من شفائه في اكثر من المدة التي كان يظنها المريض لقل اعتباره له بالتدريج حتى يضمحل مرة واحدة لان لا يحسب ان الشفاء خصوصاً السريع ليس بيد الطبيب

اسرة شكور

اصل هذه الاسرة من عين زحلتا من اعمال لبنان وهي من اصل ماروني لم يزل باقياً منها فرع في مصر استوطنها مدة حكم محمد علي باشا ومنهُ يوسف باشا شكور رئيس بلدية اسكندرية سابقاً واما الفرع الثاني فانشأه حنا شكور الذي دخل في المذهب البروتستاني لاختلاف بينهُ وبين المطران طوبيا عون ولعله اول من انتظم في هذا المذهب بهذه الجهات وربى اولاده في مدرسة عبيه البروتستانية وهم منصور ويوسف وملحم

(منصور) حضر لمصر واتفق مع مسز هوبتلي على فتح مدارس واخذا ارضاء من

اسماعيل باشا مجانياً وعمرا مدارس المحالة ثم توفي بعد ما تزوج بالسيدة فريدة ناصيف من اقاربه وقد تبنتها مسز هو يتلي التي هي انكليزية انت مصر لفتح مدارس مجانية ثم اصبح اخوه يوسف رئيساً محله تزوج بالسيدة كرس من ايرلندا لم يبقَ من نسله احد سوى انيسة زوجة سليمان بك ناصيف وبعد يوسف اشتملت كل شيء السيدة فريدة وخصوصاً بعد توفي مسز هوتيلي التي لم تترك شيئاً للمدارس فاستلمتها فريدة ودفعت من جيبها الخاص اربعة الاف ليرة لاجل مداومة المدرسة والان اجرتها للامريكان وكانت احضرت اخاها امين ناصيف وجعلته رئيساً فملحم ذهب مع ارملة اخيهِ يوسف الى برّ الشام ثم تزوج انكليزية ورجع الى بر مصر واستخدم في الجيش وهو اول من عرفتهُ من عائلة شكور وهو اعز اصحابي وهذه ترجمته الحربية

(ملحم بك شكور) ذكرت عنهُ مدة وجودي معهُ في المدرسة الوطنية والان اذكر ما اتاه من الاعمال وانا بعيد عنهُ وهو في القطر المصري فارقتهُ بعد زواجهِ بمدة ورجع الى مصر ١٨٨١ ثم دخل الحكومة ١٨٨٤ ودخل في القسم الحربي فمن يعرف ملحم بك ونحافة جسمه ورقة مزاجه ولطافته ويقول ان هذا الرجل يفعل افعالاً حربية كالتي نذكرها فلو كان قالها لي اي من كان لما كنت اصدق ولكن هذا العمل في نظارة رسمية لا يخفاها شيئاً ومواقعهُ هي

اولاً واقعة جنس الذي كان فيها بجانب الجنرال كرانفيل سر دار الجيش تحت نار العدو يحذره من اماكن العدو القوية ويخبره عن الضعيفة حتى انتصر وقد كتب ذلك كرانفيل في النشرة العسكرية في ٢٠ يناير ١٨٨٦

ثانياً واقعة الجميزة في سواكن ١٨٨٧

ثالثاً واقعة توشكي ١٨٨٩

رابعاً واقعة طوكر ١٨٩١ وسنة ١٨٩٦ رافق حملة دنقلا لكنهُ مرض ورجع فكافأتهُ الحكومة بالمجيدي الثالث والعثماني الرابع ومدالية النيل مع مشبك النيل والجميزة وتوشكي والنجمة المصرية مع مشبك طوكر والرتبة الثانية الممتازة ومع نيشان النمسا والمجر لمساعدتهِ في تخليص سلاطين باشا فلو كان اقوى من ذلك فماذا عمل ولم يزل في

الحربية الان مفتش القرعة ومعاشه ٨٧ جنه في الشهر وقد شاهدتهُ هذه المرة في سياحتي لمصر بعد غياب عشرين سنة واول ما وصلت الى القاهرة طلبتهُ بالتليفون فما كان يصدق انني هناك وانشرحت جداً من مقابلته ومن اخبار ولده منصور الذي هو مهندس في الحكومة بعمل الكبرى

وكنت مع ملحم الذي كان من عمري كاخوة لا شيء يكدرنا واغلب الليالي اسهر عندهم كواحد منهم وكنت كثير المزاح معهُ ففي احد الايام كنا مدعوين الى الجمعية الفلكية وكان شهر نيسان وكان رئيسها في صدر المحفل فقال لي ملحم ان الرئيس هو الشمس ونحن السيارات حسب علم الفلك قلت صدقت لانها دخلت هذه الليلة في برج الثور فضحك وسرّ الجميع

وقولنا برج الثور لان الشمس تدخل هذا البرج في شهر نيسان فهذه الابراج تسمت عند الكلدانين لانهم اعتنوا جداً بعلم الفلك لعبادة الشمس والكواكب وبرهان ذلك اسماء الابراج لانها موافقة حالة البلاد مثلاً قال ان شهر نيسان تدخل فيها الشمس ببرج الثور يعني ان في هذا الشهر يبتدئ الثور بفلاحة الارض كذلك اذار برج الجدي اعني يولد الجدي وآب برج السنبله اي يجمع سنبل القمح فيه وهكذا لكل شهر ولا توافق هذه التسمية الاّ لارض الكلدانيين التي هي بغداذ اليوم ولا توافق مصر لان في آب لم يعد سنبل ولا في شباط برج الحوت بسبب كثرة الامطار وهكذا باقي الاشهر

(نادرة اخرى) كنا مرّة نتناول طعام العشاء وكان معنا رفيق يأكل بسرعة ونظراً لنحافة وجهه كان يرى طويلاً وكان يحركه بسرعة على المائدة فطلب مني ملحم ان انظم له شعراً فقلت ارتجالاً

لو كان مع شمشون فرعي فكه   افنى من افلسطين كل نفوسها

فضحكنا جداً من ذلك فشمشون هو الذي قتل الف فلسطيني بفك الحمار قضاه الاصحاح ١٥ عد ١٥



نجيب منصور شكور والان منصور باشا شكور

وهو ابن منصور مؤسس المدارس الانكليزية في مصر كما قلنا وان الست فريده ناصيف صاحبة الاعمال العظيمة وعندما ترملت صبية وهي بغاية الجمال والغناء لم تشاء ان تتزوج مع انها كانت بعزّ الشبيبة فاخذت تربي اولادها نجيب ولويزا فبعد ما تعلم نجيب العلوم في مصر اخذتهُ الى كليات الانكليزية في انكلترا فتخرج فيها حتى تعين مهندساً في السكة الحديدية المصرية وتقدم فيها حتى صار رئيساً لقلم الاشارات والكهرباء ثم استعفى واسس جملة شركات شهيرة وتزوج سيدة عظيمة من عائلة بيت شميل المشهورة وهي انموزج اللطف والذكاء وخلاف توفيقه الحالي الزايد تقدم في الرتب والنياشين حتى تلقب بلقب باشا وحيث يوجد في العائلة ايضاً باشا آخر وهو يوسف باشا شكور من الفرع الماروني والتفرنج يسميهِ شكور باشا فصار يقع التباس بينهما ان كان في التحارير والتلغرافات فقدم نجيب باشا تقريراً الي الحكومة كانت تنشره في الجرائد بانهُ اخذ اسم ابيهِ منصور وصار يقال عنهُ منصور باشا شكور

هذا اسمه الان ولا اقدر اشرح ما نالني من الفرح عندما قابلته في سياحتي الاخيرة ١٩٠٧ لمصر وهو بهذا العز والغنى والجاه متواضع النفس كريم الاخلاق والايدي تليق له الثروة واما السيدة لويزة فتزوجت الامير فائز افندي شهاب قائمقام جزين وهو من انجب الامراء وذو مودة وزمام واستقامة من الاعمال

يوسف زامر وملحم طراد

ان لهذين الرجلين خبراً عجيباً واتفاقهما مع بعضهما اعجب لم يشاهد نظيره ابداً لانهما غريبا الوطن فيوسف حلبي ماروني وملحم بيروتي ارثوذكسي والاول متزوج والثاني اعزب وكانوا يقطنون سوية في منزل واحد

وقد اخبرني يوسف قصة اتحادهما قال : انني من حلب وكنت في بداية نشأتي فقيراً مهنتي الصراع فاتيت من حلب الى بيروت لاذهب الى مصر وحيث لم يبقَ معي ولا بارة الفرد جلست في احدى القهاوي متأملاً محتاراً امري وبينما انا في هذه الحال

يكاد يقضي عليَّ من حزني تقدم اليَّ رجل مسن وقال لي يظهر يا ابني انك رجل غريب قلت نعم انني حلبي اقصد الذهاب الى مصر قال مالي اراك ساكتاً مفكراً اجبتهُ قد نفذت دراهمي ولم يبقَ معي شيء لاسافر بهِ او اتعيش هنا قال لا تتكدر يا ابنيَ تعال معي الى منزلي ولا تيأس والله يدبر الامور فذهبت معهُ وابقاني عندهُ تلك الليلة وفي اليوم الثاني اعطاني جواز السفر وناولني بيدي ليره لمصروفي ولا اقدر اصف لك ما اشعرت بهِ من الامتنان لهُ فانحنيت عَلَى قدميهِ لاقبلهما وبكيت فمنعني بلطف فقلت لهُ اعلم انني عبد لك ما حييت وكان هذا الرجل هو بولس طراد

حضرت الى مصر وبدأت امارس صناعتي في المصارعة وفي سنة كان سوق القطن رابحًا اخذني احد السماسرة معهُ وقال لي اشترِ عَلَى حسابي بسعر كذا وما تكسبهُ فهو لك ففعلت وتوفقت ثم صرت تاجراً

وفي احد الايام بينما انا جالس في الازبكية باحدى القهاوي رأيت شاباً ظريفاً اديباً خرجه بجانبهِ فافتكرت انهُ غريب وكنت اشفق عَلَى الغرباء نظراً لما قاسيته فتقدمت اليهِ وسألتهُ عن اصله ووطنه فقال لي انهُ ملحم بن بولس طراد من بيروت فلما سمعت هذا الاسم نهضت عن الكرسي كأن تياراً كهربائياً دفعني عنها واخذت الخرج عَلَى كتفي وقلت له تعال معي الى البيت وعند وصولنا قلت له هذا بيت ابيك وكل ما فيه هو ملك لك واخبرتهُ قصتي مع والده وعرضت عليهِ مساعدتي في كل ما يريده من الاعمال ونحن الان في منزل واحد منذ خمس وعشرين سنة وقد عرفت ملحم طراد هو رجل ظريف لطيف ذو معروف تاجر ومحله بمصر باخر السكة الجديدة تعرفت عليهِ حين كان والدي يرسل لي الدراهم بواسطتهِ وكنت كثيراً ما آخذ منه قبل ان يأتيهِ تحويل والدي لانهُ كان يحب الخير وعمل المعروف وقد سكن مع يوسف زامر حتى وفاته ثم تزوج احدى بناته وعال جميع العائلة وفي السنة التي حصلت بها حادثة عرابي اتى الى بيروت وقابلتهُ مع امرأة عمه التي كانت طبيبها في مصر وقد توفي ملحم مؤخراً ولست اعلم اذا كان اعقب ذكوراً ام لا وكان يوسف وملحم مثال الزمام والوفاء والاستقامة

سرقة مخزن باسكال في الموسكي وجواهره

ان محل باسكال هو اشهر مخزن في مصر لمبيع المجوهرات كان مركزه في شارع الموسكي بالصف الشمالي ففي احد الايام بعد الظهر نحو ساعتين بينما كنت ماراً في الموسكي رايت اجتماعاً عظيماً عند مخزن باسكال فسالت عن سببه قيل لي ان المخزن قد سرق وكيفية حصول هذه السرقة انه حضر الى مصر منذ نحو خمسة اشهر جماعة من الاروام وطلبوا استئجار محل كساحة صغيرة خلف مخزن باسكال بالجهة الشمالية يفصله عنها عدة مخازن فبنوا في هذه الفسحة دكاناً كبيرة من الخشب كانوا يضعون امامها كراسي كقهوة ويقدمون فيها المشروبات وسواها وكانت مملوءة من البراميل فعند نصف الليل كانوا يحفرون الارض ويملأون البراميل تراباً ويشحنوها كبضاعة الى رفاقهم في الاسكندرية وعندما وصلوا في الحفر الى اسفل المخزن حضر منهم قبل الظهر رجل يطلب شراء قطعة الماس من مخزن باسكال وكانت هناك طاولة كبيرة يجلس امامها صاحب المخزن ويقف مقابله الشاري ويعرضون عليها البضاعة فصار هذا الشخص يقلب البضايع ويقرع الارض برجليه ثم خرج بدون ان يشتري شيئاً وعند الظهر ذهب صاحب المخزن الى منزله كعادته وقفل الباب واخذ المفاتيح معهُ وبقي الخادم البربري خارجاً ولما رجع صاحب المحل وجد البربري في مركزه فدخل والتفت يميناً وشمالاً فلم يرَ في مخزنه شيئاً فحسب ان بصره قد انخطف فصار يفرك عينيه ثم دعا البربري فدهش ايضاً حين راي المخزن خالياً خاوياً واتى المستخدمون فاعلموا الحكومة بما جرى واتى المامورون وتحققوا ان الابواب والنوافذ والجدران غير ممسوسة ولكنهم لما تاملوا الارض وجدوا بلاطة مرتفعة قليلاً عن سواها فرفعوها واذا اسفلها دهليز اناروه بالشموع ومشوا فيه واذا هو عميق متعرج الى ان وصلوا الى القهوة وهي دكان الخشب فراوها خالية من السكان

وفي الحقيقة ان اعظم المهندسين يعجز عن عمل هندسة نظير هذه اذ في كل مسافة كانت توجد زاوية في الدهليز تسنده كعامود وقد تحققوا ان اللصوص خرقت عشرين جداراً قبل ان وصلوا الى المخزن وسرقوا ما فيه وهربوا فاستحضرت الحكومة صاحب ارض القهوة وسالته عن الذين استاجروها منه فذكر لم عدة اسماء ولكن من يعرفهم وقد

ارسلت الحكومة تلغرافات الى جميع الجهات تذكر بها علامات الجواهر وقبل ان قد القى القبض على احد اللصوص في ايطاليا وارسل الى مصر ولكن في ذلك الحين ورد تحرير بدون امضا للموسيو باسكال يهدده بالقتل ان ادعى على اللص فالتزم ان يتنازل عن دعواه ضناً بحياته وهكذا انتهت هذه السرقة العجيبة

اهل سوريا في مصر

لا شك بان الذكاء والعقول الثاقبة والشغل والعمل مختص باهل سوريا وكل بلدة دخلوها نجحوا فيها كما قال عنهم سنك بانهم يدخلون البلد كصناع او خدم وبعد مدة تراهم اصبحوا كالاسياد يدخل السوري بيتاً كخادم فيه وبعد برهة يصير صاحب البيت فان توفى السيد تزوج الارملة وقام مقامهُ وهذا ما يقال عنهم في التجارة لذلك تراهم قد ترقوا في اي بلدة سكنوها . وكان المهاجرون يومئذٍ الى مصر بغير هذه الحالة التي هم عليها الان فبعد مدة وجيزة اصبحوا اغنياء وتداخلوا في الرتب الوطنية والاجنبية وقصة سيدنا يوسف تثبت مهارة السوري فانهُ دخلها عبداً فاصبح وكيل فرعون وبعملية واحدة ملك مصر فاذا كان يوسف واحد عمل هذه الاعمال فكيف الان وفيها الوف من اليوسفات فلا عجب من ذلك لان الغني الكريم لا يلتفت الى ما يذهب منهُ فمصر هي ذاك الغني ولكنها لا تسمح بخروج غناها منها فيبقى كل شيء فيها

اعظم بخيل في مصر

ان الصدفة جعلتني اتعرف برجل غني جداً ولكنهُ كان لا يستفيد من غناه ولا يفيد اما اولاده فكانوا دارسين مهذبين ظرفاء كرماء النفس ولكنهُ كان يعاملهم معاملة الخدم وقد حكى لي احد اولاده البالغ من العمر نحو عشرين سنة ان والده ارسل الكاتب الى بولاق واعطاه الحمار ليحمل عليه حطباً وامر ابنهُ هذا ان يذهب مع الكاتب ويسير خلف الحمار حتى اذا وقع شيء من الحطب يلتقطهُ فخنق الولد من هذا الامر ورفض اجراءهُ فعدهُ والده عاصياً وطردهُ من منزله فاتى يشكو لي امره وطلب مني بعض دراهم لقضاء حاجة لهُ فاعطيتهُ ما طلب وعرفت ان اعدى اعداء البخيل اهل بيته وبالعكس

حال الكريم وقد قال لي ولده لو كنت عالماً ان آخرتي ستنتهي بالسير خلف الحمير والتقاط الحطب المتساقط عن ظهره لما كنت تعلمت ودرست اذ لو كنت جاهلاً لامتثلت امره · وبعد مدة تصالح مع والده وارجع لي الدراهم التي كان استدانها مني وقد حضر مرة يدعوني لعيادة طبية في منزله ورجاني ان اخبر والده بان اجرتي ريالاً واحداً وذكر لي ان عندهم جارية سوداء قديمة العهد يحبها والده لحرصها على المنزل لان امرأته كانت قد توفت منذ مدة وقامت مقامها هذه الجارية فحين مرضها اخبرتهُ عنك ومدحت له مهارتك فسألني عن اجرتك ولما علم انها ريال مجيدي وليس ريالين كعادتك سرّه رخص الاجرة فطلبك

(شربة هذا البخيل) عندما توجهت الى البيت وقابلت هذا الرجل وعدت المريضة وصفت لها مسهلاً فسألني عن نوع الدواء وثمنه كعادة البخلاء وقد خبرت هذا الامر فكل بخيل يسأل عن ثمن الدواء حين كتابة الوصفة فقلت له انهُ مسهل وثمنهُ زهيد جداً فاجابني هل تعرف المسهل الذي اتناولهُ قلت كلا قال لي انظر الى هذه النافذة الشمالية فحين يكون الهواء متسلطاً مدة الصيف واشعر بلزوم اخذ مسهل اخلع لباسي واوجه باب بدني الى الهواء وبعد مدة احس بمغص فازيل ضرورتي واستريح فتعجبت منهُ ومن بخله · وبعد ان حضرت الى بيروت وجدت في مجلس ضم بخيلاً نظير بخيل مصر وجرنا الحديث فاخبرت قصة مسهله وانصرفنا وفي اليوم الثاني تقابلت مع بخيل بيروت وقال لي اني اجريت العملية التي اخبرتنا عنها بالامس فلم تنجح معي قلت له وكيف ذلك فاخبرني كيف جلس امام نافذة غرفته ووضع رجليه خارج الحديد وهكذا الى النهاية فضحكت منه وقلت لهُ ان الهواء الشمالي في بيروت يختلف عن هواء مصر الذي يتسلط في الصيف · فهذه قصة من نوادر بخيل مصر واعماله التي لا تعد فتأمل

وكان الوالد يدفع لي ريالاً اجرة عيادتي ويدفع لي الولد الريال الثاني ولست اعلم ماذا جرى بهذه العائلة غير اني انبئت ان اولاده بعد وفاته ذهبوا بتركته الطائلة التي كانت تقدر بنحو مائتي الف ليره وصدق المثل القائل ما يجمعه البخيل يصرفهُ ولده المبذر

حسنجهان ارملة الامير بشير قاسم الشهابي

في شهر ايار سنة ١٨٧٤ بينما كنت جالساً في منزلي بشارع كلوت بك واذ دخل عليَّ رجل من بلادنا وبعد السلام اعطاني التحرير من المرحوم اخي خليل يخبرني عن زيارة الست حسنجهان لمصر وان اكون تحت امرها والذى سلمني اياه هو عبد الله افندي البستاني شقيق المطران بطرس

(تاثير اسم الامير بشير) لا شك ان للتاريخ وللاخبار تاثير عظيم على فكر الانسان فكنت دايماً اسمع من والدتي وجدي عما شاهداه من العز والاجلال والمهابة من الامير بشير وكنت اتقابل مراراً مع الشيخ فرحات العازوري الذي لم يزل حياً الى هذه السنة ١٩٠٥ وهو من الذين خدموا ذلك الامير في بيت الدين وربى احفاده فكان يعيد علينا قصة طفولية الامير كما كان يرويها الامير لاحفاده وكما سمعها من فيه وقد سافر فرحات المذكور مع الامير ورافقه في منفاه الى الاستانة وزعفران بول ولم يتركه حتى وفاته وكان الشيخ فرحات يخبرني كلما عرفتم عنه وحيث ان قصة طفولية الامير لم يروها احد من المورخين احببت درجها حسب ما رواها لي الشيخ فرحات العازوري لاني اعتبره من اعظم الصادقين وتصديق الرواية يكون من مجراها الطبيعي المعقول ويبتدي الشك فيها متى خرجت عن دايرة العقل فطفولية الامير بشير من ابسط الاخبار واقنع الروايات في مجراها الطبيعي

توفى والده الامير قاسم سنة ١١٨٠ هجرية الموافقة سنة ١٧٦٨ مسيحية وكان عمره سنة واحدة واخوه الامير حسن اربع سنوات وكأن لم يكفهما موت والدهما من المصاب حتى تزوجت والدتهما بالامير سيد احمد بالحدث وتركتهما بهذه الحالة ولما بلغ الامير بشير السنة الخامسة عشرة من عمره حضر الى البرج وكانت معهُ الخادمة التي ربته من صلبها من بيت المشعلاني وكان الامير بشير يتردد على والدته ولكن لا يمكث عندها اكثر من يومين لضيق عين زوجها وكان مولعاً بالصيد جداً فتارة يكون في البرج حيث له عودة هناك وطوراً يذهب الى بشامون ليصطاد وبقي على هذا الحال مدة غير وجيزة حتى خطر له ان يذهب الى دير القمر فحزم امتعته على جمل واركب عليه خادمته وسار معها حتى وصل

الى دير القمر واذ لم يمكنه ان يستاجر محلاً هناك ذهب الى بيت الدين حيث كان يوجد خلوة للدروز وهي محل الكنيسة اليوم وكان موكلاً عليها رجل اسمه ابو علي فطلب منه الامير ان يضيفه فاجاب بكل ترحاب وكان دأب الامير الصيد

ولما طلب الجزار مالاً جديداً من البلاد وكان الامير يوسف الوالي مساعداً له على تحصيلها ضجت الاهالي وصارت تتوامر على طلب تبديل الامير يوسف من الدولة العلية خصوصاً الطائفة الدرزية التي كانت تحرضها الاسرة الجنبلاطية

وفي احد الايام قال ابو علي للامير بشير ان شيخ العقل القاطن الخلوات الزنبقية قرب كفرنبرخ يرغب في مقابلتك فاذهب اليه سراً او بينما تكون تصطاد بين الخلوات لانه يريد اخبارك امراً مهماً فلا تدع احداً يشعر بك وكان هذا الشيخ يدعى حسن ماضي من العبيديه من عايلة ابو عز الدين

وفي احد الايام بينما كان الامير بشير يصطاد بتلك النواحي مرَّ على الخلوات وتقابل مع الشيخ الذي ساله اذا كان يكتم السر فاجابه حسب العادة بمر عميق قال الشيخ ان الطائفة الدرزية متكدرة جداً من الامير يوسف وتريد تطلب من الدولة تنصيب سواه من العائلة وقد مدح لي ابو علي حسن صفاتك وشهامتك ومرؤتك ومحبتك للبلاد فهل لك ان تكون حاكما وقد استشرناك لنعرف رايك قبل ان نفعل شيئاً فاجابه الامير انني دون شك استطيع ادارة الحكم ولكن من اين لي القوة للحصول على هذا الامر خصوصاً انني محتاج للدراهم التي لا يمكن ان يحصل شي بدونها قال الشيخ ان الله يدبر كل الامور فارجع الى محلك وابق على ما كنت عليه وانتظر مني خبراً اخر وبعد هذه المقابلة توجه شيخ العقل الى الشيخ قاسم جنبلاط واخبره بما توقع لهُ مع الامير بشير واتفقا على ارسال الامير اليه ليلاً وعينا يوم المقابلة وبعد مدة اخبر ابو على الامير بشير عن لسان شيخ العقل ان يذهب سراً ويقابل ليلاً الشيخ قاسم جنبلاط وفي احدى الليالي توجه الامير بشير فوصل نحو نصف الليل الى بيت الشيخ قاسم وقرع الباب فاتى البواب وسالهُ ما يريد اجابه قل للشيخ ان الذي طلبته ان يحضر ليلاً قد اتى فقال البواب ان الشيخ نائم ولا استطيع ايقاظه اجاب الامير انني اتيت اليه بشغل غاية في الاهمية ولئن لم تسرع بايقاظه فتكون كل مسؤلية عائدة عليك فتوجه البواب وايقظ الشيخ واخبره

عن الرجل فنهض مسرعاً من سريره وقال ان غرفة الاستقبال فسآتي حالاً ورجع البواب وادخل الامير اليها وبقي متجسساً ليعرف من هو لان حب الاستطلاع غريزة في الانسان ولما حضر الشيخ وقبل يد الامير واجلسه في محله الخصوصي عرف انه ذوشان عظيم وانه تاخر بادخاله فلربما عد ذلك عليه ذنباً لا يغتفر فدخل الغرفة وخرَّ على قدمي الامير سائلاً عفوه لتقصيره الاول فطمنه الامير وقال له انك عملت واجباتك ولما خرج من الغرفة وخلا الشيخ بالامير بداء يحادثه كما فعل شيخ العقل ويجب لهُ تولي الحكم فاعتذر عن نفسه لقصر ذات يده والضيق الذي هو فيه فقال الشيخ هذا الامر مطلوب مني ودعى في الحال صرافه وهو والد سلوان القهوجي وطلب منه خمسة الاف غرشاً دفعها للامير وقال لهُ متى احتجت لغير هذا القدر فتجد عندي مطلوبك والان استعد بالمال والرجال وانا اوفق الطائفة الدرزية معك وبعد ان رجع الامير الى الخلوة بداء يجمع الرجال حولهُ فكثرة الاقاويل وتحدث الناس بذلك وبلغت الامير يوسف فتوسوس من الامير بشير وارسل وطلب اخاه الاكبر الامير حسن الذي كان من حزب الامير يوسف وقال لهُ ان اخاك الامير بشير بداء يفتن في البلاد فاذهب واقنعه وتهدده فسمع هذا الكلام احد رفاق الامير بشير في الصيد وهو فارس نصيف من اهالي دير القمر الذي صار فيما بعد مدبراً لهُ رغماً عن رعانته فاتى واخبر الامير بشير ان اخاه الامير حسن آتٍ اليه ليقتله بامر الامير يوسف فاخذ عندئذ بارودته وحشاها وتقلد سيفه وجلس على مصطبته وبعد قليل راى اخاه صاعداً الى الخلوة فلما اقترب منه تناول بندقية وقال له بصوت جهوري ارجع من حيث اتيت لانني عالم سبب قدومك ولئن تقدمت فاني قاتلك قبل ان تقتلني وعبثاً حاول اقناعه بسلامة نيته فلم يقتنع واخطر الامير حسن ان يرجع من حيث اتى فرجع فوجد الامير يوسف نائماً وقابل الشيخ سعد الخوري الذي كان مدبراً للامير يوسف واخبره ما توقع له مع اخيه فقال لهُ الشيخ لا يلزم ان تطلع الامير على هذا الامر بل اخبره انك قابلت اخاك وعنفته على الفتن التي يلقيها في البلاد فتعجب من هذا الامر وقال هل يستطيع اجراوها رجل فقير مثلي وانني ما اتيت هذه البلاد الا املاً بمساعدته ولي مدة من الزمن هنا ولم يلتفت الي مع انني من اقاربه ومستعد لخدمته بكل ما يطلبه مني واوصاه ان يكتم عن الامير مقابلتهما فشكر لهُ

الامير حسن هذه النصيحة وبعد مدة استفاق الامير يوسف من نومه وطلب الشيخ سعد الخوري وساله هل قابل الامير حسن اجابهُ كلا فطلبه ولما حضر اعاد عليه ما علمه الشيخ سعد فعند ذلك هداء غضب الامير فلما رأى الشيخ سعد هذا التغيير قال الى الامير انني ارى الامير بشير محقاً في قوله فلماذا تسمح لهُ باثارة الفتن وهو بقبضة يدك ولعل الفقر هو الذي دعاه لهذا العمل فالاحسن ان تسكتهُ ونعينه في خدمة الامير وهنا كثير من الخيل فارى ان نرسل لهُ فرساً ونطلبهُ فياتي ونستفيد من خدمته فاستصوب الامير يوسف رأيهُ وامر بارسال فرس للامير بشير وان يستقدموه اليه فاخذها احد السياس وعند ما وصل الى الامير بشير ساله عن الفرس اجابه ان الامير يوسف ارسلها اليك وانه عينك في خدمته فقال له ان هذه الفرس وعدتها ليست من مقامي فارجعها الى الذي ارسلها فتردد السائس في تنبيه امره عندئذٍ تناول بارودته وقال له ان لم ترجع فاني اقتلك فاخطر السائس ان يعود و يخبر الامير يوسف بما سمع من الامير بشير وكان حاضراً عنده الشيخ سعد الخوري فقال للامير يوسف اني ارى الامير بشير محقاً برفضهِ هذه الفرس لانهُ يوجد عندنا خيل وعدد خير منها فلنرسل له فرساً من خيار الخيل ووافق الامير يوسف على راى مدبره وارسلوا له حصاناً نجيباً وعدة من افخر العدد فحضر الامير بشير وقابل الامير يوسف واستخدم عنده

(زواج الامير بشير) قد قلنا عن توجه الامير بشير بامر الامير يوسف الى حاصبيا لاصلاح الامر بين ارملة وورثة زوجها وانتهى الامر بزواجه بها وكانت غنية جداً فتزوجها واحضرها الى بلاده واشترى بدراهمها بيت الدين والجيه وهي والدة اولاده الذكور الامير خليل والامير قاسم والامير امين وقد دفنت في سراي بيت الدين والقبر العظيم الموجود هناك هو قبرها . وبعد رجوع الامير بشير من حاصبيا بقيت الفتن على حالها ثائرة من كل جهة ويئس الامير يوسف من حكم البلاد لان الجزار كان لا ينفك عن طلب الدراهم وكاد الاهلون يعجزون عن الدفع فجمع اليه الاعيان وقال لهم انهُ يريد الاستعفاء وكلفهم ان ينتخبوا سواه فاجمعوا على انتخاب الامير بشير الذي كان قد تخابر سراً مع الجزار بهذا الشان ولما رأى الامير يوسف ان كل الافكار مجمعة على انتخاب الامير بشير خلفاً لهُ دعاه اليه وكلفهُ ان يذهب الى عكا لمقابلة الجزار مفتكراً

الهُ بلقي القبض عليه لحين وفاء الاموال ولم يدر في خلده ان الدسائس بين الامير بشير والجزار منصوبة عليه منذ مدة طويلة فاطاع الامير بشير الامر وطلب ان يذهب معهُ خمسة عشر رجل ويكون منهم فارس نصيف وان يعطيه خمسة الاف غرشاً ليسلمها الى الجزار فاجاب الامير يوسف طلبه وتوجه الامير بشير الى عكا واتفق مع الجزار عَلَى مال معلوم والبسه الخلعة واعطاه عسكرًا ليذهبوا معه ويطردوا الامير يوسف من منصبه وقد صدق الامير بشير في ما قاله للامير يوسف قبل ذهابه لعكا انني اذهب من هنا وانا ابنك وارجع وانا ابن الجزار فاجابه الامير يوسف عندئذٍ ليأكلها السبع ولا الضبع ومن اراد الاطلاع عَلَى تتمة حياة الامير بشير فليطالع كتاب الاعيان في جبل لبنان

ولنرجع الان الى حسنجهان وهي جركسية الاصل ارسل الامير بشير الى الاستانة جوهرجيه واشترى له ثلاثة جوار فاعطى واحدة الى الامير منصور وواحدة الى ولده الامير قاسم وتزوج الثالثة وهي حسنجهان وعلمها العربية احد كهنة الارمن ولدت ابنتين الست سعدا تزوجها الامير سليم عبدالله والثانية الست سعود تزوجها الامير خليل ابي اللمع وقد ملكها الامير سراي بتدين مع المقاصف وباعتهم كما ذكرنا وقسمت الجبة الى ابنتيها وصرفت اموالاً لا تحصى ظناً ان تربي بذلك شهرة وتحكم لبنان محل زوجها وبعد ما صرفت هذه المبالغ الباهظة شاروا عليها ان تذهب الى مصر وتقابل خديويها اسماعيل بن ابرهيم باشا الذي كان الامير بشير من اعز اصدقاء والده وعَلَى ذلك توجهت ونزلت في بطرخانة الموارنة مع ذويها الذين كانوا عشرة منهم صهرها الامير سليم وعبدالله البستاني وابو ضهر من صيدا وخلافهم وعندما ضج الاب جبرائيل صفير من هذه الضيوف عملنا طريقة الخواجه يوسف شكور وانا بواسطة رياض باشا بان تنزل في المضيفخانة عَلَى حساب الخديوي فصدر الامر بذلك وبقيت خمسة اشهر في مصر ولم يقابلها الخديوي اخيرًا مرضت وطلبت السفر الى بلادها فاعطاها الخديوي خمسماية ليرة مصرية وسفر عشرة من ارفاقها وسفرها عَلَى حسابه الى بيروت وحينئذٍ طلبتني ان اتوجه معها نظرًا الى مرضها

(منسى) لا اعلم كيف تعرف الامير سليم بمنسى واخبره عن شغله فكان يعده الوعود الحسنة وانهُ سيقضي لهُ كل اشغاله وكانت نارجيلة الامير بشير مع صهره الامير سليم وهي عظيمة جداً زجاجتها وباقي ادواتها من الفضة المشغولة وحين ما كان يحضر منسى عند الامير يقدمون لهُ هذه النارجيلة ليدخن بها غير ان منظرها كان يدوخه اكثر من التنباك اخيراً طلبها من الامير بكل دناءة وبحيلة شيطانية دعاه ان يسمح لهُ بها ومعلوم ان افراد الاسرة الشهابية مصابون بداء الكرم واخصهم الامير سليم فاعطاه النارجيلة آملاً ان يقضي لهُ اشغالهُ بمصر غير ان امله قد خاب فقد اختفى منسى ولم يعد يراه وحين اخبرني الامير سليم هذه القصة لمتهُ لعدم اعلامي بالذين يتعرف عليهم بمصر لكي لا يقع في هكذا احابيل واخيراً لاجل تعزيته بفقد نارجيلته التي عز عليه فراقها جداً نظمت الابيات الاتية مزاحاً عن لسانه

اركيلتي ما ذا البعاد وذا الجفا ... اين الوداد واين حبي والوفا
عشرون عاماً اين كنت رفيقتي ... وشربكتي اوقات غم او صفا
قد كان تغريد الصباح يهزني ... طرباً ويقلق طرف انس قد غفا
سلب المنسى القلب منك وليتهُ ... فيما مضى من قبل ذاك قد اكتفى
قطع المخاطر قلبها ومعاركاً ... وعفى ومن نصب المنسى ما انعفى
فرعون ما ظلم الرعية مثلما ... ظلم المنسى شيشتي ثم اختفى

(سبب عدم مقابلة الخديوي الست حسنجهان) ان احد رفاق الست كان يلقي على بيت منصور باشا يكن صهر الخديوي بسبب ان احد ابناء بلده وهو الشيخ اباظا كان هناك ومن جملة الاحاديث قال ان الست حضرت لاجل ترمي امام الخديوي سندات مالية كانت على والده الى الامير بشير مدة وجوده في سوريا وتطلب منهُ ان يتصرف بها كيفما شاء فعندما سمع الخديوي بذلك سأل عن غاية مقابلتها فلم تجب بشيءٍ سوى قصدي التشرف بالمقابلة فعند هذا الجواب تحقق الخديوي الخبر الذي بلغهُ من جهة بيت منصور باشا فانكر مالي وهذه المقابلة فابتدا يمدنها حتى ضجرت الست ومرضت وطلبت السفر

فهذا هو فضل (ماق حنك) الخدامين وضررهم لان لا شي اضر على الرجل السيامي

من كثرة كلام مستخدميه لان كثير الكلام يحب احيانًا يخترع كذبًا ليرضي سامعه واذا كان السامع يظهر الانشراح لهُ او المدح يزيد هذا الثرثار في الكلام ويفرغ جرابه فلذلك يلزم ان ينتبه رجل السياسة الى خادمه او لا يتكلم امامه شيئًا او اذا عرفه بهذه الصفة لم يستخدمهُ وهو الاحسن لان ولو ما تكلم امامه شيئًا فانهُ يخترعه ان كان الكلام لهُ او عليه ولهذا السبب كانوا يسمون المستخدم كاتم اسرار فكيف يكون كثير الكلام كاتم اسرار

اذا كان صدر المرء بالسر ضيق فصدر الذي يستودع السر اضيق

(سفرنا الى بر الشام) وفي اليوم الثاني سافرنا الى الاسماعيلية ونزلنا في ترعة السويس الى بورسعيد وفيما انا في بورسعيد حضر لي تلغراف من مصر بحضور والدي مع اخي امين وان ارجع من كل بد فاخبرت الست بذلك فما قبلت لانها مربضة فارسلت تحريرًا الى والدي بعدم امكان رجوعي بسبب مرض الست وان بعد عشرة ايام اكون عنده وفي اليوم الثاني توجهنا بالفابور النمساوي الى حيفا حيث لم تشا ان تنزل في بيروت وبعده توجهنا الى صور ومررنا عَلَى راس العين راكبين البنال وعملنا للست محارة عَلَى بغل ومقابل لها صانعتها

(راس العين) لما وصلنا الى راس العين لم اعرف كيف نزلت عن البغل وكنت اشعر كأنني باقٍ عليهِ وقابلنا الخواجا حبيب نجار الذي كان ضامنها وله معرفة بالامير سليم واول عمل اتيتهُ هناك انني نزعت حذاءي وكساتي ووضعت رجليَّ في قناة الماء وشربت كثيرًا حتى ارتويت وغسلت وجهي ورأسي الذي كان محترقًا من حرارة الشمس ونسيت اني طبيب اعرف مضار هذا العمل ولكن من كانت حالتهُ كحالتي عندئذٍ يفقد عقله والذي زادنا ضررًا اكلنا الخيار التشريني الذي قدمهُ لنا الخواجه نجار

تسمي الافرنج هذه المياه مياه سليمان ظنًا ان سليمان الحكيم هو الذي اجراها ولا يعلم لها اصل ويقال انها آبار ارتوازية لا يعرف لها عمق تدفع الماء من اسفل الى اعلى كانها نوفرة بقوة غريبة وكمية عظيمة حتى تساوي نهرًا فتنصب في اقنية تدير مطاحن

وتسقي تلك الاراضي وترويها حتى البحر وقد نظرنا القسم الاكبر منها وهي تخص الحضرة العلية السلطانية وتسمى جفتلك راس العين وكان مشتريها الاول درويش باشا اوصي بها لكل سلطان يتولى خلافة العرش العثماني الانور و يبلغ ضمانها من الحرير والمطاحن وخلافها نحو مائتي الف غرش وهي التي يقال عنها صور القديمة لانها كانت مدينة كما يذكر التاريخ عن صور الاصلية وهذه المياه لوحدها تكفي مدينة كصور الاولى اما مياه صور الحالية فيقال انها متسربة تحت الارض من مياه راس العين ومياه صور من العجائب لانها صنعة انسان ولم تعلم كيفية صنعها

وفي اثناء ذلك رأينا السيدة حسنجهان متجهة من اسفل راس العين قاصدة صور بدون ان تمر من هناك فركبنا حالاً وتبعناها فوصلنا الى صور نحو الغروب

صور امبراطورة البحار سابقاً

لست اذكر تاريخ صور لان كثيراً من المؤرخين قد تقدموني الى ذلك بل اقول انهُ كفاها شرفاً انها ابنة صيدا ومعناها الصخر وقد فاقت الابنة بجمالها وقوتها والدتها وهي التي كانت امبراطورة البحر وبحارها اكتشفوا اوروبا وخلافها ولفظة اور وب هي فينيقية معناه الغروب وان الاله هرقل الصوري الذي كانوا يعبدونهُ ويذكرون سياحاته لليونان واوروبا وافريقيا ليس هو الا رمزاً للفتوحات التي اجراها اهل صور . ولا اتعرض لذكر ما كانت عليه من الغنى التجاري بل اذكر ثلاثة امور سبقت العالم اليها ولم يزل الناس ينتفعون بها الى اليوم وهي اولاً اختراع الكتابة والثانية صبغة الارجوان التي كانوا يستحضرونها من صدف مخصوص في البحر وكان يلبسهُ ملوك ذلك الوقت ثالثاً الزجاج فهم الذين اكتشفوا صناعته ومن العجب ان هذه المدينة التي علمت العالم الكتابة ولبس الارجوان وصناعة الزجاج وسير المراكب في البحار ليس فيها الان ما يستحق الذكر ولا يأتيها مركب . وقد ذكر حزقيال في نبواته عن غناها اما عن قوتها في ذلك الوقت فحدث ولا حرج وهي التي قاومت سنحاريب ملك اشور وحاربت اسكندر المكدوني ذا القرنين وجهزت لقتاله اربعمائة الف محارب وكانت مقسومة الى قسمين الاول في الجزيرة والثاني

في البر وصلب الاسكندر اهلها في الجزيرة ومن ذلك الحين اخذت في الانحطاط ولما افتتحها الصليبون اخذت لها شيئاً من الاهمية وقد نبغ منها المؤرخ كليوم الصوري وكانت تابعة لابرشية صيدا عند الموارنة ففي سنة ١٩٠٦ قسمت لحالها وكان اول مطران عليها من قبل رومية لانها هي التي تنتخب اول مطران لابرشية جديدة ابن عمنا المطران شكرالله الخوري الذي عملت له قصيدة لاجل ذلك ساذكرها فيما بعد وقد كان قبلاً يرسلون لها خورياً يسمى نائب مطران ومن الجملة خوري اسمهُ يعقوب زاد مصائبها وقد قلت بذلك

ومن عدد المصائب لاهل صور وحزقيال انبأنا عليها
بانّ يزورها يعقوب يوماً ويبقى نائب المطران فيها

وفي صباح اليوم الثاني ركبنا وتوجهنا بطريق صيدا وهي سهلة جداً وعند الظهر وصلنا الى محل يسمى عين القنطرة تناولنا فيه طعامنا واتى لاستقبال السيدة جمهور من صيدا اكثرهم من بيت ابي ظهر وبعد ان جلسنا معهم مدة توجهنا الى الهلالية وهو مركز جميل كان لما فيها دار جميل واليوم خراب وفي اليوم الثاني توجهت الى بكاسين بعد ما دفعت لي السيدة حنجهان ماية ليرة انكليزية انظر هذا الكرم وصلت بكاسين وشاهدت والدتي وكان توفى يومئذٍ ابن عمنا فرنسيس الخوري وله اربعة اولاد ولم يترك لهم ما يعيشون براحة فاخذت معي اكبرهم المسمى رشيد وسافرنا الى بتدين لروية اخي خليل الذي كان كاتب مجلس الاداره ثم توجهنا الى بيروت وفي اليوم الثاني نزلنا البحر فاشعرت ببرد وحمى قوية بقت معي الى يافا ثم رجعت وسخنت في بور سعيد وبقت معي الحمى الى ان وصلنا مصر اول الليل فقرعت الباب ففتح لي اخي امين فقبلته وقبلت يدي والدي وانطرحت على الفراش لا اعي شيئاً سوى قلت لهم ارسلوا اطلبوا لي معلمي سالم باشا سالم فبالصدفة كان اخي عرف اسعد افندي ابو نحول رفيقنا في المدرسة توجه معه سويتاً لطلب سالم باشا

(حالة والدي وقتئذٍ) كان والدي يحبني جداً ليس فقط بالنظر لحنوه الوالدي بل لانهُ كان يرجو مني كل راحة في المستقبل وقد حضر مع اخي امين من برّ الشام ليدخله في مدرسة الطب وكانت قد مرت عليه خمس سنوات لم يرني فيها وعند حضوره

لمصر كان مؤملاً روبتي فرآني مسافراً ولم يكن يعرف احداً ولما رجعت الى مصر وقابلني كنت مصاباً بالحمى ومعي ولد يتيم اخبره وفاة والده ابن عمه لحبين اتى سالم باشا لعيادتي وساله عن حالتي اجابه اني بخطر شديد فتصور حالة والد غادر وطنه ليرى ابنه في الغربة آملا منه المساعدة فرأى عكس ذلك وشاهده على سرير الموت وكان بحالة يرثي لها وبقي مدة اربعة ايام لا يعرف طعاماً او مناماً حتى ذهبت عني الحمى في اليوم الرابع وبعد ان شفيت من الحمى بقيت مدة من الزمن ضعيفاً وهذا المرض اتاني عندما غسلت ارجلي ووجهي وشربت بسرعة وانا عطشان من ماء راس العين ولو كانت اصابتني هذه الحمى في غير مصر لكنت في عالم اخر (ويمكن البعض يقول للتورد)

رسامة بطريرك الاقباط الارثوذكسي

(كيرلس الحالي) وعندما فارقتني الحمى وارتاح فكر والدي اخبرني ان مراده يحضر رسامة البطريرك لان البطركخانة كانت بقربنا ولد غبطته سنة ١٨٢٤ ارتسم بطريركاً سنة ١٨٧٤ ولم يزل حياً الى اليوم ثم بعد ذلك ادخلت رشيد في مدرسة بيت شكور في الفجالة خارجياً وكذلك دخل اخي امين من المدرسة الطبية وانشرحت جداً من ذلك لان صار لهُ مصلحة مستقبله

واعظم مساعد كان لي دولتلو رياض باشا ناظر المدارس يومئذٍ وكذلك الخواجه يوسف شكور وعند ما قرب اول الحر في مصر وكان اول نيسان طلب والدي الرجوع الى البلاد وكان اخي خليل حرر لهُ من قبل عمون بك عمون الذي كان يومئذ رايس الادارة للمرة الثانية وكان اخي كاتم اسراره و يحبه جداً ان يحضر ليكون عضواً في دايرة الجزاء التي شكلها رستم باشا لانها كانت مع دايرة الحقوق ولكثرة الاشغال فصلت عنها وعندما توجه والدي وكنا ننتظر اخبار وصولهُ وفد علينا منه تحرير يخبر عما اصاب لبنان وصابه بالخصوصي بتوفي عمون بك فجأة سنة ١٨٧٥ وان اخاه انطون بك جلس محله و باقي محافظاً على اصدقاء اخيه وانه تعين عضو في دايرة الجزاء فيكون اول عضو عين عن جزين في مجلس الادارة واول عضو عن الطايفة المارونية في

دايرة الجزاء فعند ما سافر والدي الى مصر كان بدون مصلحة لانه مدة فرنكو باشا تعين بعد عضوية الادارة عضواً في الدفترخانة التي عند ما حضر رستم باشا القاها واصبح والدي بدون شغل ولذلك امكنه الحضور الى مصر وبعد توجه والدي الى لبنان ودخول اخي في المدرسة بقيت وحدي في مصر مع رشيد الذي كان يتوجه نهاراً الى المدرسة ويرجع مساء فكنت اخذه معي اذا سهرت خارج البيت واقفل البيت واعطي مفاتيحه الى الدخاخني الساكن بجواري

(الرومي الدخاخني) وكان جاري شيخ اللصوص كان مستأجراً دكاناً يبيع فيها الدخان اسفل منزلي وكنت اشتري دخاني منهُ وحين اتوجه للسهرة ليلاً واخذ معي رشيد اقفل الباب واسلم له المفتاح لاعتقادي ان اللص لا يخون متى اؤتمن وبالحقيقة لم يكن يفقد لي شيء ففي احد الايام بينما كنت امزح معهُ قال لي انك شيطان رجيم اجبتهُ لماذا قال لو لم تسلمني مفتاح بيتك لكنت سلبت ما فيهِ قلت له لو حوى منزلي شيئاً لما سلمتك مفتاحه لان طعامي اتناوله من الخارج والدراهم مودوعة في غير محل قال الا يوجد فراشك قلت بلى قال اسرقه قلت انه لا يساوي تعب حمله قال كل ما اخذه السارق ينفعه اذ لا يكون قد دفع ثمنه وكان قصده بذلك ان يفهمني انه محافظ عَلَى منزلي

(جمال الدين الافغاني) في اثناء المدة التي وجدت فيها بمصر اتاها الشيخ جمال الدين الافغاني وبعد برهة وجيزة اكتسب شهرة عظيمة واخذ له عدة تلامذة وكان يتردد عَلَى بيت الخواجات شكور وقد حضرت احدى جلساته وتأملت ما كان يقوله فلم اسمعه اجابني عَلَى سؤال علمي عند مباحثتي واياه وها اني الان اصوره كما عرفته في ذلك الحين

هو فصيح النطق جداً ذو براهين يسردها بمهارة كلية ولو كانت مخالفة الحقيقة فان السامع يتوهم الحق بجانبه وفي الغالب لا يكون سامعوه من العلماء وقد رأيته يجهل كثيراً من العلوم الحديثة غير انه يسرد عنها البراهين كما تلقنه عن العلوم القديمة في اليونانية او العربية وكانت سياستهُ تنقلب طوع افكاره فكان يطعن بالانكليز طعناً شديداً لانهم اثروا عَلَى بلاده ويتنبأ بقرب زوال دولتهم قائلاً فيما قاله ان هذه

الدولة التجارية القديمة كصور وقرطاجنة وخلافها ، وكان سهل العبارة طلقها يطعن باضداده طعناً شديداً ولعله بعد ذهابه الى فرنسا وانكلترا والاستانة العلية وبطرسبرج قد درس علوماً حديثة اما سبب شهرته ففصاحته وقد توفي بداء السرطان في لسانه وهو مقيم في الاستانة العلية منذ خمس سنوات

(سليم افندي البستاني) عندما حضر الى مصر لاجل عمل دايرة المعارف نظمت له قصيدة انت حسب افكاري في ذلك الحين وهي افرنجية الافكار

قف يا اله الحسن كم من عابدٍ ... اضحى شهيد جمالك الفتانِ
في مصر انت امون والباعال في ... سوريا ايضاً زهرة اليونان
لا تخشى ان عبادك انقرضوا وان ... عنك استمالهم اله ثاني
لا بل لك العباد اعظم طاعة ... ممن مضوا في سالك الازمانِ
قد كان يهدى فوق مذبحك العلى ... من كافة الاثمار والحيوان
والان ضحى فوقهُ بتشوقٍ ... قلب الذي يهواك من انسان
فاقت مذبحك الخدود لانها ... نار الوقود لكافة القربانِ
لما رأى زردشت ساطع نورها ... فغدا يبيح عبادة النيرانِ
قربت قلبي قبل كل مقربٍ ... فغدوت اول عابد الاوثانِ
طمعاً بنيل القرب من تقربيه ... او نظرة تطفي لظى الظمآنِ
او سعفة في شكوتي تلك التي ... ثبتها علناً بكل مكانِ
انت الذي في بعض شعرك قائل ... بفصاحة فاقت على سحبانِ
لو كان في دول الاحبة رتبة ... كنت الجدير برتبة النيشان
واقول لو جعلوا بحبك رتبة ... لحظوت في تاج من التيجانِ
ابكي دموعاً ليلتي ونهارها ... حتى تبدى الدمع احمر قاني
لم ادرِ ذنباً غير اني مؤمن ... كلا ولا سبباً الى هجرانِ
حتى واسباب الهوى لم ادرِها ... يا هاجري لا والذي ابكاني
لم استفد من تي الشكاية لا ولم ... اسمع حديثاً في الهوى عزاني
فعرفت اني اليوم محتاج الى ... نطق السليم وليس نطق لساني

حتى ابين حالتي بلسانه ... بفصيح اقوال وجل بيان
ولأخبرن ما ناله من كلمة ... وبلاغة فاقت على الاذهان
واجيد فيه وصف عقل ثاقب ... شبهته بملائك الرحمن
قالوا ملائكة الاله للطفها ... لم تخرجن من جنة وجنان
لكنني لما رأيت سليمهم ... في الارض لاح بصورة الانسان
ايقنت ان الحارسين بغفلة ... واليوم هز به لنا البستاني

(طلبي سوريا لمرض والدي) عند ما كنت احرر كتابي صحة المتزوج كنت اتوجه الظهر الى مدرسة الفجالة لبيت شكور واجلس في الغرفة التي فوق الدرج لان صاحب البيت الخواجه يوسف كان لم يزل في مصيفه يومئذٍ بلبنان في عين زحلتا ولم يكن في المنزل سوى اخيه ملحم وكان وقتئذٍ معي اخي امين لانه كان باجازة شهر رمضان وذلك في شهر تشرين الاول سنة ١٨٧٥ وبينا انا وحدي في غرفتي دخل عليَّ اخي امين وبيده تلغراف من بيروت فيه والدكم بخطر كلي احضروا

وكان هذا التلغراف صاعقة سقطت عليَّ فتركت الكتابة وذهبت الى منزلي لابحث عَلى علم سفر الوابورات فرايت ان بعد ثمانية ايام يتوجه وابور الى سوريا فاضطررت ان انتظر مكرهاً وكنت لا انام ليلاً ولا نهاراً افتكر بذلك الوالد الذي قضى عمره بالتعب والمصاريف عليَّ وحين قرب وقت اسعافي له وتخفيف اتعابه يموت عني بعيداً فلا استطيع اراه المرة الاخيره لاودعه وانال بركته وكنت اطلب من ربي اذا كان لا بد من وقوع قضائه ان يمهله حتى اصل اليه واودعه الوداع الاخير وكانت هذه الثمانية ايام كجحيم قضيتها فيه وارسل يومياً التلغرافات للاستعلام عنه وادفع اجرة التلغراف ذهاباً واياباً غير اني لم احصل عَلى نتيجة رغماً عن صداقتي مع مدير التلغراف يومئذٍ

(سلامه باشا) وهو من الذوات المعتبرين شفوقاً ذا احساس رقيق وشعور شريف فحين راى حالتي امر المامورين ان يخابروا غزه كل ساعة ويطلبوا منها جواباً عَلى تلغرافاتي لانها حدود مصر ففعلوا غير اننا لم نحظَ بجواب فقال له سلامه باشا ان التاخير من سوريا فنزلت الى بور سعيد مؤملاً ان احظى هناك بجواب واخذت معي

رشيد وبقي امين في المدرسة

ولما وصلت الى بيروت اسرعت الى احد عملائنا المواطنين وسالته بلهفة عن صحة والدي وهل لم يزل في قيد الحياة وكنت انتظر حكمه كمن يتلقى حكم الموت فاخبرني انه بخطر لكنه لم يزل حياً فتركته وذهبت استاجرت خيلاً لذهابي مع رشيد الى بيت الدين لان العربات لم تكن قد وصلت الى هناك واشرفنا على بيت الدين الساعة الواحده ليلاً وقبل ان ادخل غرفة والدي دخلت على والدتي وقبلت يديها ورجوتها ان تخبر والدي تدريجاً بقدومي كي لا يتأثر ففعلت وكنت اتكلم بصوت عالٍ ليسمع كلامي وبعد ذلك دخلت عليه وانكبيت اقبل يديه وقبلني وكنت امنع نفسي عن البكا كي لا يخاف ويحسب ذاته انه بخطر ولما رايت ضعفه العظيم كاد عقلي ان يطير وكان لا يستطيع الحركة ولكنه مالك كل حواسهِ وتحققت انهُ مصاب بالدوسنطاريا التي كانوا يعالجونها في ذلك الوقت عكس معالجتها الطبيعية

(نظريات المعالجة) فليعلم الطبيب ان الطبيعة هي المحامي الاعظم عن الجسم لانها متى اشعرت بمرض دخل في جسم الانسان تقاومه وتجهد ذاتها لطرده ولهذه المقاومة علامات كالقيء مثلاً الذي يشعر به الانسان اذا احس بعسر هضم فالطبيعة تعمل جهدها لاخراج المواد المضرة بالجسم ان كان بالقيء او الاسهال وما اشبه

فالطبيب الماهر يجب ان يقتدي بالطبيعة لانها اعلم منهُ بالجسد فان وجد شيئاً طبيعياً بالمريض كالقيء يلزم ان يساعده بالمقيئات لا كما يفعل بعض الاطباء باعطائه ما يسكن القيء واذا عملت الطبيعة اسهالاً بالمريض يجب ان تمنع عنه الادوية القابضة التي تحفظ هذه المواد المضرة في الجسم مع ان اخراجها منه يكون اعظم راحة له بل سبباً لشفائه وكان والدي مصاباً بالاسهال والاطباء تامر لهُ بالادوية القابضة التي توقف الاسهال وتبقى المواد في الداخل فتتهيج الاعضاء وتلتهب فعالجته عكس المعالجة وكان يتدرج بالشفاء والذي ساعد على شفائه حضوري لانه سر جداً حين رآني واطمأن فكره وقد اخبرتني والدتي انهُ كان دائماً يطلبني بمدة مرضه وكان لو راى طيراً طائراً يقول حبذا لو طار الى مصر واخبر ولدي بحالتي

وكان يومئذٍ عضواً في الجنايات وقد قربت مدة عطلة المركز الشتوي فقابلت دولتلو

رستم باشا واستأذنت منهُ بان اتوجه بهِ الى بكاسبين عَلَى ان يعود متى تم شفاءوه فامر بذلك

وفي اول كانون ثاني اي راس سنة ١٨٧٦ بينما نحن في بكاسبين ورد لوالدي امر بتعيينه قاضياً في جزين

وكان الامير ملحم حمود شهاب يومئذ قائمقاماً في جزين وقد قضى فصل الشتاء تلك السنة في قيتوله ولما شفي والدي استأذنت منه للرجوع الى مصر فلم يسمح لي بهِ مطلقاً وقال لي لو كنت خديوياً في مصر وبعيداً عني ابقى حزيناً لفراقك فلما رايت ارادته الحاتمه عليَّ بالبقاء وكنت مقسماً ان لا اكدره ولو مهما تكلفت اضطررت ان اطيعهُ رغماً عن املي العظيم بالنجاح في مصر ومع هذا كله لست نادماً عَلَى ذلك لان فكري استراح من جهة رضى والدي وانني لم اكدره ورضاه كان عندي خيراً من كل نجاح ومع هذا كله نلت في بلادي ما لم ينله طبيب سواي ان كان بالعلم او الشهرة او المال او الشرف وما ذلك الى من رضا والدي اخيراً حررت الى اخي امين وطلبت منه ان يبيع امتعة البيت لانني ساقطن سوريا امتثالاً لامر والدي

تأثير مصر عليَّ وما اكتسبته من العلوم والاداب

ان للبقاع تأثير في الطباع واذا فحصنا هذه الحقيقة نرى اخلاق كل شعب حسب طبيعة بلاده وكما ان البلاد تؤثر في الجسد والصحة كذلك تؤثر في الاخلاق اقتضاء للمعاشرة فالارض اللينة الخصبة التي يتناول فيها الانسان معاشهُ براحة تولد فيه اخلاقاً لينة سهلة وبالعكس البلاد الجبلية الصخرية الشديدة البرد والعسرة الحراثة فانها تولد فيه الصلابة والثبات والاخلاق السيئة والنشاط فمصر هي الارض الوحيدة في الدنيا بسهولة حراثتها وخصبها لان الفلاح لا يجد حجراً مدة حراثة ارضه وعيشه سهل جداً وما عليه الا ان يحرك يده او ثوره او حماره حتى تعطيه الارض خيراتها وما عليه الا ان ينحني عَلَى النيل فيروي ظماءه ويسقي حيواناته لذلك اعتاد عَلَى اللين والخلق الرضي واصبح ذا طباع حسنة ومنهُ تنتقل هذه الطباع الى كل من جاوره او عاشره فالمصري كريم النفس قليل الحسد لان الغنى سهل عليهِ لخصب ارضهِ وحيث ان مصر ذات

سهول لها منظر واحد لا يتنوع فلا تلتهي افكار المصري بغير شغله في الحراثة حتى اذا كان ليس عنده ما يعمله اضطر ان يعاشر سواه ولكي يستأنس بهِ اضطر ان يدمث اخلاقه وان يبتدع اموراً مضحكةً تلهيهِ ولذلك ترى المصري رقيق الطبع يحب التسلية كريم النفس لا يحمق ولا يتكدر بسرعة وكل من عاشره وسكن بلاده يكتسب اخلاقهُ

وحين حضرت الى مصر كنت كما قلت لم ازل شرساً وقصتي مع الارناؤطي التي ذكرتها حسنت اخلاقي واضعفت كبريائي خصوصاً حين كنت ارى اعيان مصر ووجهاءها العظام يسايرون من هم ادنى منهم بكل لطف وبشاشة ولما رجعت الى سوريا كانت اخلاقي قد تهذبت وثقفت كل ذلك لعدم وجود ما يدعو الى الشراسة وسوء الطباع في مصر

وترى المصري يهزأ دائماً بالشامي ويقول ان لهُ خلقاً غير معروف في مصر وهو النفرة التي يستعملها السوري متى سمع شيئاً لا يوافقهُ ويذكرون عن ذلك نوادر عديدة منها ان رجلاً سوريّاً اراد مشترى كعكة محشوة بعض حلويات كانت باهظة الثمن في مصر بالنسبة الى سوريا اسيء اربعة اضعاف ثمنها المعروف وسأل هذا الشامي بائع الكعك عن ثمنها اجاب قرشين فنفر الشامي منهُ وقال : قرد والله لو كانت محشوة انبياء واولياء لما ساوت هذا الثمن . هذا هو الخلق الذي يولد في السوري ولا يعرفهُ المصري

قلنا ان منظر البلاد المصرية لا يلهي احداً فيلتزم المصري للتسلي مع غيره او بذاته ان يستعمل الوسائط الداعية لهُ فانتقل اليهم فن الموسيقى واحبوه فاتقنوه وابدعوا فيهِ حتى ان الفاعل كما ذكرنا وهو يشتغل بالبناء يترنم بالغناء ومتى اراد احدهم ان يتسلى بذاته يستعمل الحشيش الذي يرى الانسان كانهُ ملك على عرشه ويسمعهُ انغاماً لم يسمعها ويريه مناظراً تخطف الابصار وتجعل الدنيا امامه كلا شيء ويضحكه من كل شيء وتأثير الحشيش على الجسم كتأثير الحرارة اي ان يجعله خامداً كسلاناً لا يهيجه شيء فيوافق طبيعة البلاد بعكس المشروبات الروحية التي تهيج الانسان وتولد فيه حرارة اذا اضيفت لحرارة البلاد اضرت لذلك ترى اغلب سكان

البلاد الحارة كالهند ومصر يستعملون المخدرات واهالي البلاد الباردة كاوروبا يستعملون المشروبات الروحية المهيجة لانهم يحتاجون الى حرارة لمقاومة البرد

(شغلي العلمي) كنت اطالع الكتب الطبية الافرنسية مع العلوم التي اكتسبتها بالمدرسة وتلقنتها باللغة العربية حتى اني عرفت الاصطلاح الطبي بهتين اللغتين وصارت تسهل عليَّ الترجمة بهما

وبما اني تلقيت دروسي باللغة العربية وكانت العلوم التي تلقنتها مطبوعة في كتب عباراتها فصيحة جداً تمرنت على التكلم باللغة الفصحى وسهلت عليَّ اللغة بعد ان كنت اجهلها ولا اعرف منها الا الفاعل والمفعول ونثري كان ركيكاً جداً بعكس النظم لانه سليقة عندي وميزاني سمعي

وكنت لاجل تمضية وقتي مدة الاجتماعات بارفاقي اجتهد بان انظم شعراً واشتهرت بين رفاقي بكوني شاعراً وما ذلك الا لعدم وجود بينهم من هو نظيري واما اليوم يقولون لي انني شاعر ولي ميزان واحد لشعري وهو جعله بدرجة يفهمه الكل لان هذا هو الميزان اللازم لان ما الفايدة من نظم شعر لا يفهمه الا الشعراء او طبقة العلماء فماذا يعلم ولكن اذا فهمه الجميع يكون لهُ فايدة اعظم فلاجل ذلك جعلت ميزان فهم شعري وكيلي امين مخايل ناصيف من بكاسين الذي هو بالحقيقة امين ولكنه بسيطاً جداً ولم يعرف القراءة والكتابة ولكن اتخذتهُ لامانته وكنت عند ما انظم شعراً اقولهُ فاذا فهمهُ ابقيه والاَّ اغير تركيبه لانني اعتقد متى فهم امين شعري يفهمهُ الكل وكان انتخابي لهُ كانتخاب احد المطارنة الذي كان بسيطاً لكن تقياً فطلبتهُ الرعية ان يكن مطراناً عليهم فرفض لعذره انهُ لا يحسن الخطابة والوعظ اللازمين لمطران فاجابتهُ الرعية اننا منتخبينك للتقاوة وليس للفصاحة اخيراً قبل وبعد سيامته علا المنبر ووعظ وقال يا اولادي لست فصيحاً لاطيل الشرح فقط اقول كلمة واحدة الذي عنده مروءة يطلع للسما ومن دونها لا سماء لهُ بالحقيقة ان المروَّة هي اساس كل فضيلة فهذا كان انتخابي لامين وهو ميزان فهم شعري

(خروجي من مصر) خرجت منها عكس بني اسرائيل لم املك شيئاً سوى علومي فقط ولم استعر شيئاً من جيراني وقد ابتدى تنظيمها عند دخولي فاول رصيف للطرقات

ابتدى من اليزبكية وشاهدت فتح شارع كلوت بك وشارع محمد علي وعابدين والفجالة وفتح ترعه السويس وبناء الاوبراوالنيواوتل وشارع البنايات ذباني وكل حركة جديدة واهمها كبري قصر النيل وابتدى البنايات في شارع قصر العيني وساذكر ما جدّ في غيابي عند سياحتي الاخيرة سنة ١٩٠٧

اسماء تلامذة الطب في صفي

مصطفى افندي شكري	محمد نديم
محمد افندي حلمي	السيد حسن
محمد حليم	محمد نسيب
احمد حقي	احمد فوزي
حسن نصره	ابراهيم عساف
محمد فتحي	الياس مدور ونخله مدور
عثمان واصل	سليم الياس
مصطفى سامي	اسعد نحول
احمد نظير	حسين عوره
ابو العينين علي	سعدالدين سعدى

وكان طنوس الخوري وانطون الخوري ونقولا لويس وانطون الشعراوي في صفوف قبلي ولكن كنا سويتاً وكلهم افندية حتى لا يعتب احد

فهولاء هم رفاقي في صفوفي مدة ست سنوات كنا فيها نجتمع سوية اما الآن فلا اعلم اين هم ولا مقرهم ولا ادري ان كانوا في قيد الحياة او توفوا وهل هم اغنياء ام فقراء متوظفين او بلاوظيفة اعزآب او متزوجين عقيمين او ذوي اولاد غير انهم باي حالة كانوا فيها اهديهم اشواقي واذكر زمن مساواتنا ايام التلمذة رغماً عما عملهُ الدهر بكل منا وانني اهدي سلامي الى الاحياء ورحماتي للذين سبقوني الى الاخرة

(غالب الخوري البعقليني) هو اول طبيب خرج من مدرسة قصر العيني

من بر الشام وكان ارسله الامير بشير مع ابراهيم النجار ويوسف الجلخ ويوسف مرهج والمملوك خورشيد الى مصر لعلم الطب ولد غالب في بعقلين سنة ١٨١٨ ارسله المطران عبدالله البستاني الى مدرسة مار عبدا هرهريا سنة ١٨٣٢ ثم ارسله الامير بشير الى مصر سنة ١٨٣٧ ورجع منها سنة ١٨٤٥ مع الشهادة وخدم البطريرك يوسف حبيش ثم بقي عشرة سنوات طبيب سعيد بك جنبلاط ثم توجهُ الى الشام وخرج منها سنة ١٨٦٠ وخلصهُ الامير عبدالقادر ثم حضر بيروت وبعده تعين طبيباً في مركز لبنان ثم في جبيل. ثم رجع سنة ١٨٩٣ الى دير القمر وتسمى طبيب بلدية فيها الى سنة ١٨٩٦ التي توفى فيها ودفن في دير القمر وهو زوج خالتي نجمه وقد عاش ٨٨ سنة قضاها في العلم والطب وخدمة المرضى ولم يكتسب في حياتهِ سوى ممنونية الفقراء اذا كانوا ممن يذكرون المعروف ومضى ولسان حاله يقول

احمل نفسي كل يوم وليلة ... هموماً عليَّ من لا افوز بخيره
كما سودّ القصار بالشمس وجهه ... مجداً على تبييض اثواب غيره

ولم يترك الا ابنة وهي السيدة حواء ارملة الدكتور سليمان افندي ابي نحول ولم يترك شيئاً من الاموال كما قلنا وكان شاعراً وله جملة قصائد عظيمة ادوباً وكان من زمرة ظرفاء دير القمر اللذين كانوا دائماً يجتمعون سويتاً في سهراتهم وهم مارون لطيف اول ظريف وبعده يوسف عيد والمرحوم والدي وبشاره ابو نحول وغالب افندي فكان يضرب بهم المثل في الالفة والظرافة

فرنكو باشا متصرف جبل لبنان الثاني

من ١٨٦٨ : ١٨٧٣

هو اول متصرف وطني للبنان حلبي الاصل من اسرة كوسا ولد في الاستانة العلية ١٨١٤ وتعلم اللغات حتى اصبح يتكلم بستة منها دخل الحكومة وكان اول دخوله مديراً للكتبة في نظارة الخارجية ثم ناظراً للبوسطة والتلغرف ثم رافق فؤاد باشا مأمور فوق العادة في سوريا ١٨٦٠ وكان اول مساعد لفؤاد باشا وعمل خدامات

عظيمة وعند رجوعه الى الاستانة تعين ناظرًا للكمارك ومنها تعين متصرفًا الى لبنان في ١٤ حزيران سنة ١٢٨٤ هجرية و٢٧ تموز ١٨٦٨ مسيحية وبقي في المتصرفية اربع سنوات وسبعة اشهر وتوفي بسن ٥٩ سنة في بيروت ١٨٧٣ في حارة جدي بمرض القلب ودفن في الحازمية لانهُ اختارها لدفنهِ مدة حياته لانهُ كان يجلس فيها للنزهة وهو اول من شهرها وله ستة اولاد والذين منهم زاروا قبره وحضروا الى لبنان المرحومة ماري مدام نعوم باشا متصرف لبنان الخامس مع اخيها فؤاد بك الذي توفي ودفن بجانب والده في الحازمية واخيرًا ولده دولتلو يوسف باشا المتصرف السابع للبنان وهو المتصرف الحالي بحيث قد اصبحت هذه العائلة عائلة لبنانية فلذاك تراأف على لبنان وتحكم فيه كحكم اب بعائلته وترى فيهم صفة واحدة جامعة الكل وهي حب السلام وراحة الاهالي والامانة العظيمة لدولتهم وهذا كل السياسة

محاكمة التاريخ لفرنكو باشا

حضر الى لبنان بعد خراب شماليه واضطراب جنوبيه من حوادث داود باشا وكرم وانقسام اهليه وسخط اكليرسه على داود باشا فمهد بحكمته كل شيء فسكنت الخواطر وعندما عرفت الاهالي نياته الصالحة وحلمه ومحبته للفقراء وعدم تكبره ورفقه في الاهالي اطاعتهُ بكل ارادة فصار معها بفعل ينسبون فعله لقصد صالح بدون تغرض وقد جمع بين الاحزاب ووظف من الحزبين واسكت الجميع بعدله وحسن نواياه وقد قصد تعليم صنعة السجاد في لبنان فدعى معلمين لذلك وعمل معملاً ودخل فيه تلامذة ومن جملتهم ابن عمي حبيب الخوري اسطفان ولم يزل عنده سجاد من عمله في بيته من ذاك الزمن وكان يحب تشجير البلاد فزرع الزنزلخت على الطرقات والصنوبر وامر بزرعه في كل المحلات العمومية

وعندما رأى ان لبنان وكيل مسخر على غربي البقاع بحيث كان يدير سياستهُ والولاية تاخذ ايراده تركهُ للولاية

وكان يخبرني عن هذه الصفات العظيمة والدي لانهُ كان عضو الادارة عن

اقليم جزين في مدته ثم صار عضواً في الدفترخانه ولم يحدث للبنان ادنى حادث مكدر لا داخلي ولا خارجي في مدته فلذلك يشكره التاريخ وخصوصاً لبنان وقد عرفتهُ مدة رخصتي من مدرسة الطب ١٨٧٠ لانهُ تعين وتوفي وانا في مصر

مأموري فرنكو باشا

(المحاسبجي) اسماعيل افندي ١٨٧١ : ١٨٧٥

(كومسيون المتأخرات) سعيد بك تلحوق ١٨٦٩ : ١٨٧٣

(رئاسة المعروضات) قاسم بك نكد ١٨٦٨ : ١٨٧٣

(رئاسة الحقوق) اسكندر بك حبيش ١٨٦٩ : ١٨٧٠

الشيخ رشيد الدحداح ١٨٧٠ : ١٧٧٣

(مدير دير القمر) داود بك باز ١٨٦٨ : ١٨٧٣

(وكلاء مجلس الادارة) الشيخ عيد ابو حاتم ١٨٦٨ : ١٨٧٤

(ترجمان اول) اسكندر بك توبني ١٨٦٨ : ١٩٠٢

(رئيس القلم الاجنبي) فرنسوا دياب افندي

(رئيس قلم التركي) اسكندر افندي الحداد ١٨٧٠ : ١٨٧٣

(رئيس القلم العربي) بشاره افندي ابو نحول ١٨٦٨ : ١٨٧٤

(رئيس الدفترخانه) حنا بك ابو صعب ١٨٦٩ : ١٨٧٣ وكان والدي عضواً فيها بعد الادارة

(قائمقام الشوف) الامير ملحم ارسلان ١٨٦٢ : ١٨٧٣

(قائمقام جزين) الامير سعد شهاب ١٨٦٨ : ١٨٦٩

الامير رشيد شهاب ١٨٦٩ : ١٨٧٠

الامير مجيد شهاب ١٨٧٠ : ١٨٧٣

الامير داود ابي اللمع ١٨٧٣ : ١٨٧٣

(قائمقام زحلة) فارس افندي زلزل ١٦٦٨ : ١٨٦٨

خليل الجاويش ١٨٦٩ : ١٨٧٣

(قائمقام المتن) الامير يوسف علي ١٨٦٨ : ١٨٧٣

الامير سعد شهاب ١٨٧٣ : ١٨٧٣

(قائمقام كسروان) الامير رشيد شهاب ١٨٦٨ : ١٨٦٩

الامير سعد شهاب ١٨٦٩ : ١٨٧٣

(قائمقام البترون) الامير ملحم حمود ١٨٦٩ : ١٨٧٣

(قائمقام البقاع) اشرف افندي في ١١ ك ١ سنة ١٨٦٩ وفي آخر شباط للسنة المذكورة رجعت الى الولاية

(قائمقام الكورة) يوسف افندي بشير ١٨٦٨ : ١٨٧٤

وفي مدة فرنكو باشا دخل المرحوم اخي خليل في قلم المحاسبة ثم كاتب في الادارة

متصرفيَّة رستم باشا

من سنة ١٨٧٣ الى ١٨٨٣ الموافقة ٩ مايس ١٢٨٩ مدة عشر سنوات وشهرين وهو ايطالياني الاصل تربى في الاستانة العلية مع والدته وخدم الدولة بكل امانة وقد كان سفيرها في بطرسبرج لما تعين متصرفاً على لبنان ولما انتهت مدتهُ انتخب سفيراً للدولة العلية في انكلترا و توفي هناك عازباً سنة ١٨٩٤ وقد عمر كثيراً

(اوصافهُ) كان عصبي المزاج طويل القامة نحيف الجسم سريع التأثر عادلاً محافظاً جداً على حقوق الجبل وكرامته لانهُ كان يشعر ان مخالفتها تمس كرامتهُ متسلطاً ذا هيبة وطباع قاسية عفيف الذيل جداً بالرشوة جعل للبنان مقاماً عظيماً لا يذكر لمأمور فضلاً ولم يسمع منهُ مديح لاحد بل كان اذا اظهر التفاتاً لاحد يقول انهُ عمل الواجب عليه ولما اتى الى لبنان كان بلا غرض كعادة كل قادم حديث او رئيس لم تمس كرامته ولكنهُ حين مست احساساته وعرف ان فريقاً من الاهالي يشتكي عليه وان المطران بطرس ترأس الحزب المضاد له وجرى ما جرى في ابعاد المطران بطرس البستاني الى القدس ورجوعه الى كرسيه اصبح ذا غرض حتى لو قيل له ان فلاناً من حزب المطران او يميل اليه ينتقم منهُ بالعزل ان كان مأموراً او باقامة

دعوى عليه ان كان غير مأمور وقد كان الجبل قبله مقسوماً الى عدة طوائف وكل طائفة الى قسمين اما هو فجعل سياسته تقسيم كل عائلة على ذاتها وكيفية ذلك انهُ كان اذا عزل مأموراً يعين خلفاً له اخاه او ابن عمه فتحصل العداوة بينهما لان اغلب العداوة في لبنان تنشأ عن المزاحمة في التوظيف وكان يستخدم كل من يجاهر بعداوة المطران وحزبه وله عمال يحسب انهم صادقون بخدمته وقد عرفت منهم اناساً كانوا يأتون باخباره وكتاباته واعماله كل ليلة ويخبرون بها كاهناً كان خادم كنيسة مار يوسف في الحدث ليوصلها الى حزب المطران وآخر كان يوصل الى هذا الحزب كتاباته السرية ومع ذلك كان يعتقد بهم الصدق اما عيبه الوحيد فكان اصغاؤه للمفسدين بحق المأمورين الامناء فكان يعزل بدون فحص وينتقم بلا ترو ولربما كان يفتكر ان يرهب الاهالي ويجعل طاعتهم عمياء وذلك لانه رأى ان هذه الاعمال المخيفة تهدئ البلاد مع انها عملت معهُ عكس ذلك بالتشكيات عليه وكان التحزب ضده عظيماً جداً لان ابعاده للمطران بطرس البستاني جرح جرحاً عظيماً للاهالي لم يمكن التئامه

(محاكمة التاريخ لرستم باشا) اما لبنان فلم ينتفع منه شيئاً بل تضرر مادياً وادبياً فانه سلط العداوة بين الاهل والاقارب وخفض الرواتب مبتدئاً بذاته فقد كان راتبه خمسين الف غرش شهرياً فجعله خمسة وعشرين الفاً ولما رأى المأمورون ان رواتبهم لا تكفيهم تضايقوا بخلاف ما كانوا مدة اسلافه وليس لهُ اثر من المنافع الا شيئين عملهما يوافقان لطباعه المنتقمة فانهُ انشا سجن بيت الدين بشكل يضر صحة المسجونين الثاني بناؤه الجسر المعروف باسمه وقد كلف البلاد خمسة آلاف ليرا ولا فائدة منهُ الا ان يوصل الى حديقته التي كان يجتمع فيها الناس خصوصاً السيدات والادهش انهُ بعد عزلهِ وهب هذا المحل الى صديقتهِ زوجة عبدالله باشا الانكليزي عوض ما يتركهُ الى لبنان ومن الغلط ان يسمى متصرفاً عاذباً لان لا شيء يعيقهُ عن اميالهِ الخصوصية وتنفيذها فاكثر اضطراب لبنان نشا من داود باشا ورستم باشا لانهما عازبان وقد اصبح سيء الظن بحيث ان خلا ادنى انسان بالواجبات نحوه يضره لفكره انهُ يحتقره وقد كان احد الخيالة من اقليم جزين راكباً في بيروت فمرّت عربة رستم

باشا فرآه وحيث ان الخيال لم يقف للسلام كالعادة رفته وكذلك الحادثة الآتية :

(حادثة) كانت امراة ارملة قبيحة المنظر جداً شائبة الشعر سوداء اللون وجهها مرقوش بالجدري نحيفة الجسم ثقيلة الذات قد حوت كل الاشكال التي تكرّه الانسان بها لها ولد شقي وقع بيد الحكومة لانهُ تخاصم مع صاحب قهوة بالحازمية وكانت اتت ترجى احد المامورين الذي كان من بلدها ليساعدها بمسالة ولدها فنصحها الرجل ان تقدم استدعاء لدولته وان تحضر معها فتاة تعرف اللغة الافرنسية لتكلمهُ وكانت لهذه الارملة جارة تلقت علومها بمدرسة اليتامى في اللعازرية وتعرف قليلاً من الافرنسية فلا تعلم اصطلاح الكبار والذوات بالكلام فحملت الاستدعاء واخذتها معها وذهبتا حتى وصلتا الى الحدث ووقفتا امام دار الحكومة حتى اتت عربة دولته واراد النزول منها فتقدمت اليهِ الجارة وسلمت عليهِ بالافرنسية كما تسلم على مثيل لها وقالت لهُ بونجور موسيو رستم فلما سمع هذا القول التفت وراى قباحة منظر رفيقتها فاخذ الغضب منه كل ماخذ ومزق الاستدعا وامر بطرد الامراة ظاناً انها قصدت احتقاره بهذا السلام ولما رجعت سالها الذي اشار عليها بتقديم الاستدعاء عن نتيجة امرها فاخبرتهُ ما جرى فضحك الرجل وهو الذي روى لي هذه الحادثة

فينتج من ذلك ان اعمالهِ كلها عادلة كانت او ظالمة واوامره بالسماح او العقاب كانت تبعاً لاهواء نفسهِ اما غايتهُ فكانت حفظ الراحة العمومية ومنع التعديات داخل لبنان وخارجه ولما انتهت مدتهُ قام الاهالي كلهم ضده وبقيت المذاكرة مدة شهرين دائرة لانتخاب خلف لهُ ولما اتى المتصرف الجديد واصه باشا وتلي فرمان تعيينهِ كان رستم باشا حاضراً تلك الحفلة يامر وينهي حتى تمت تلاوة الفرمان فسلم مركزه الى خالفهُ وسافر الى بيروت وبعد اسبوع سافر الى الاستانة

مأمورون رستم باشا

(المحاسبه‌جي) جمال بك ١٨٧٥ : ١٨٧٩ رشاد افندي ١٨٧٩ : ١٨٨١ هاشم افندي ١٨٨١ الى اليوم ١٩٠٦

(قومسيون المناظرات) ميخائيل افندي مطانيوس ١٨٧٣ ثم الغيت هذه الوظيفة
(دائرة الجزاء) اشاها رستم باشا قاسم بك ابو نكد ١٨٧٦ : ١٨٨٣ وكان
والدي عضواً عن الطائفة المارونية فيها وبعد تعيينه قاضي
على جزين اصبح اخي خليل باشكاتباً بها
(دائرة الحقوق) الامير نصوح شهاب ١٨٧٣ : ١٨٧٧ الامير نجيب شهاب
١٨٧٧ : ١٨٧٩ بطرس بك كرم ١٨٧٩ : ١٨٨١ رشيد
الدحداح ١٨٨١ : ١٨٨٣
(مديرية دير القمر) راشد الدحداح ١٨٧٣ : ١٨٧٥ مجيد شهاب ١٨٧٥ :
١٨٧٨ عثمان شهاب ١٨٧٨ : ١٨٧٩ قيس قعدان شهاب
١٨٧٩ : ١٨٨٢ قيس ملحم شهاب ١٨٨٢ : ١٨٨٣
(وكلاء مجلس الادارة) عمون بك عمون ١٨٧٤ : ١٨٧٤ انطون بك عمون
١٨٧٤ : ١٨٧٧ عبد ابو حاتم ١٨٧٧ : ١٨٧٧ الامير
امين منصور ١٨٧٧ : ١٨٧٩ الامير سعد شهاب
١٨٧٩ : ١٨٨٣
(ترجمان اول) اسكندر بك تويني كل مدته
ترجمان غطاس لبكي ١٨٧٦ : ١٨٧٧ ابرهيم ديب ١٨٧٧ : ١٨٨٤
رئيس القلم الاجنبي مورل بك ١٨٧٣ : ١٨٨٣
رئيس القلم التركي اسكندر الحداد ١٨٧٣ : ١٨٨٤
رئيس القلم العربي حنا بك ابو صعب ١٨٧٤ : ١٨٧٨ غطاس لبكي ١٨٧٨ :
١٨٨٤
قائمقام الشوف الامير مصطفى ارسلان ١٨٧٣ : ١٨٨٤
قائمقام جزين الامير ملحم حمود ١٨٧٣ : ١٨٧٦ وفي مدته اصبح والدي قاضي
جزين وهو ثاني قاضي وطني وكان الاول سرابيون ابو رزق
الشيخ رشيد الخازن ١٨٧٦ : ١٨٧٦ الامير سعد شهاب ١٨٧٦ :

١٨٧٩ قسطنطين بك الخازن ١٨٧٩ : ١٨٨٤

قائمقام زحلة الامير مجيد مراد شهاب ١٨٧٣ : ١٨٧٦ حبيب بك عكاوي ١٨٧٦ : ١٨٨٢ ملحم افندي شميل ١٨٨٢ : ١٨٨٥

قائمقام المتن الامير يوسف علي ٨٧٣ : ١٨٧٩ الامير خليل مصطفى ١٨٧٩ : ١٨٨٠ الامير يوسف علي ١٨٨٠ : ١٨٨٤

قائمقام كسروان الشيخ رشيد الخازن ١٨٧٦ : ١٨٨٠ الامير نجيب شهاب ١٨٨٠ : ١٨٨٣

قائمقام البترون عمون بك عمون ١٨٧٣ : ١٨٧٤ الامير قيس شهاب ١٨٧٤ : ١٨٧٩ الامير نجيب شهاب ١٨٧٩ : ١٨٨٠ الامير ملحم حمود ١٨٨٠ : ١٨٨١ الامير قيس ملحم ١٨٨١ : ١٨٨٢ الامير ملحم حمود ١٨٨٢ : ١٨٨٢ الامير قيس قعدان شهاب ١٨٨٢ : ١٨٨٣

سكني في سوريا

لما اعتمدت عَلَى سكني في سوريا ارتأيت ان اسيح في معظم بلدانها قبل ان اعتمد واستقر في بلد منها وحيث ان اقاربي الذين في عكا كانوا طلبوني اليهم وكان الوقت فصل الشتاء فاخترت سكني الجهات الساحلية وتوجهت من فيتولة بعد ان ودعت والدي وكان يرفقني ابن خالي فرحات بك نصيف الذي كان متوجهاً الى صيدا وحين علم الاهالي هناك اني طبيب اتاني رجل من بيت الحداد يطلبني لعيادة ولده الذى كان يومئذٍ بسن الثانية عشرة ففحصته ُ ووجدته ُ مصاباً بحصاة بولية واخبرت والده بلزوم اجراء عملية له لاستخراج الحصاة وان لا دواء له سواها وكلفته ان يعتمد عَلَى راي لانني مسافر الى عكا فذهب وعاد بعد قليل يخبرني ان طبيبه الذي كان يداويه حتى ذلك الحين لم يذكر لهُ شيئاً عنها فقلت لهُ تعال مع هذا الطبيب لاروبه الحصاة وسبب جهله وجودها انه حين كان يجسه بالمجس ويصل به الى عنق المثانة تتشنج وتنسد فتحتها ولا يعود في الامكان ادخال المجس وعوضاً عن ان يبقيه في محله لحين زوال التشنج كان يستخرجه مسرعاً خصوصاً حين ما كان يرى الدم واخبر الرجل طبيبهُ

بذلك وحضر معه الى المنزل الذي كنت فيه ولما تحقق وجود الحصاة اعتمدنا على يوم لاجراء العملية واجريتها بحضور معظم اطباء صيدا واستخرجتها وكانت ذات حجم عظيم نظراً لسن الغلام وانط الخواجه فاعور الحاج من قيتوله بالسهر عليه تلك الليلة وفي اليوم الثالث استخرجنا له الانبوبة ونال الشفاء التام

وفي احد الايام كنت في مدرسة عين طورا فرايت شاباً تقدم اليَّ وسلم علي واخبرني انه هو شكري الحداد الذي عملت لهُ العملية في صيدا

(خطبتي في صيدا) واذ اقمت هذه المدة في صيدا كان ابن خالي فرحات بك يشور عليَّ بخطبة فتاة من اقارب زوجته كانت جميلة الصورة لا تتجاوز الرابعة عشر من عمرها فتوجهنا لنراها فوجدتها جميلة المنظر حسناء بسيطة القلب بالاختصار خطبتها وفي اليوم الثالث من خطبتي توجهت الى عكا ووضعتها في المدرسة

عكا

هي مدينة قديمة العهد جداً كانت تدعى باللغة الفينيقية اكو اي الاحتراق وقد اشتهرت في زمن الفينيقيين بعمل الزجاج وكانوا يستخرجون رمله من شواطئ نهري النعماني والمقطع وزادت شهرة في زمن دولة البطالسة بمصر وقد دعاها احد ملوك هذه العائلة باسمه اي بطولمايس وبقيت على حالها الى ايام الصليبين حتى حاصروها وافتتحوها وسموها مار يوحنا عكا وكان الاسلام يستولون عليها مرة والصليبون اخرى وهي البلدة الوحيدة التي بقيت بيدهم الى ان اضمحل امرهم من هذه البلاد واشتهرت ايضاً بمقاومتها لنا بوليون بونابرت الذي قال عنها لو افتتحت عكا لملكت الدنيا والذي اعاقه عن فتحها هو الطاعون الذي اصاب عساكره كما هو مذكور في التاريخ وثورة الوطنيين على جنده في مصر اما الذي اشهر عكا بعد الصليبين فهو

ضاهر العمر

اول من اظهر والده عمر للوجود هو الامير بشير شهاب الاول الذي جعله نائباً في صفد لانهُ كان متوليًا عليها وبعد وفاته حارب عمر البلاد واستولى عليها ومن

جملتها عكا وحيفا وبعد وفاته تولى ابنهُ ضاهر وهو نابغة ظهر في الجيل الثامن عشر كان حاكماً صفد فتنازع مع إخوته واستولى عَلَى عكا واستفحل امره جداً حتى هابه الجميع ولما عصى الجزار عَلَى الامير يوسف في بيروت استنجد الامير بضاهر العمر وطلب منه محاصرة بيروت بحراً وهو يحصرها براً فاستاجر ضاهر مركبين روسيين واتى الى بيروت محاصراً ولما راى الجزار نفسه غير قادر عَلَى المقاومة سلم ذاته وسنذكر فيما بعد ما الذي اجراه مع ضاهر العمر والامير يوسف وكان قبطان المركبين الروسيين الكونت جواني الذي بعد ان اخرج الجزار من بيروت سلمها الى الامير يوسف وطلب منه المصاريف فدفع له نصفها وبقي النصف الاخر فاقام الكونت جواني وكيلاً عنه حاكماً عَلَى البلد يقال لهُ اسطفان حتى استوفى النصف الاخر وقد ذكر ذلك بعض الشعراء بقوله

ذهب الجزار عنا جانى الكنت جواني
ماخلصنا من سهال فوقعنا في التعني

وكان عمر ضاهر العمر نحو تسعين سنة حينما اتت مراكب من قبل الدولة العلية لقصاصه جزاء عصيانه وكان اسم القبطان حسني باشا قبودان وكان لضاهر عسكر من المغاربة فحين حوصرت عكا اشار رئيس المغاربة عَلَى ضاهر العمر ان يرضي القبطان وكان يدعى احمد اغا الدنكزلي فاتفق مع القبطان عَلَى تسليم ضاهر العمر والعفو عنه وكان لضاهر مستشار نصراني غني جداً ولكنه بخيل اتخذه طبيباً له ايضاً فاشار عَلَى ضاهر بمداومة الحرب وان لا يطيع رئيس المغاربة فامتثل لرايه عندئذٍ انفصل المغاربة عنه ولم يعودوا الى الحرب وحين راى ضاهر انه متروك من اعوانه خرج من المدينة وهرب الى الجبل غير انه افتكر اثناء هربه بحظية كانت باقية في السرايا فرجع لانقاذها وبينما هو عائد تبعه احد المغاربة فاطلق عليه رصاصاً قتلهُ فقطعوا راسهُ واخذوه الى القبطان باشا وسلمت المدينة فعند ذلك مسكوا مستشار ضاهر العمر وكان اسمهُ ابرهيم الصباغ وهو جد ابرهيم الصباغ المقيم اليوم في بيروت فضربوه ضرباً اليماً ليقر بالدراهم فلم يعترف وبعد طويل العذاب تركوه وقيل انهُ اودع الدراهم في دير الفرنسيسكان الذي كان ترجمانهُ وهذا المال هو عبارة عن خمسة وعشرين صندوق ملآءي وعند رجوع القبطان الى الاستانة

شنق ابرهيم الصباغ في صاري مركبه قبل وصوله الى الاستانة وقتل الدنكزلي ليخفي ما اخذه من اموال ضاهر العمر وكان ذلك في ايام السلطان عبد الحميد الاول ثم امر فقتلوا اولاد ضاهر ولم ينجُ منهم الا شخص واحد كان شاعراً وبعد ضاهر حكم الجزار

الجزار

اصل هذا الرجل من بشناق اتى الى مصر ودخل في خدمة المماليك بايام علي بك الذي كان يومئذ اكبر المماليك واعظمهم سطوة فكان يرسله لقتل من يشا واشتهر بضرب السيف لذلك سموه جزاراً

وفي احد الايام امره علي بك ان يقتل احد البكوات اخصامه فلم يفعل لانهُ كان صديقاً له غير انهُ في اليوم الثاني قتل البك فخاف الجزار من رئيسه وهرب الى سوريا وكان وقتئذ الحاكم في لبنان الامير يوسف الشهابي فرأسه عَلَى بعض الخيالة ثم جعله حاكماً عَلَى بيروت التي كانت خاضعة لهُ فحصنها وبنى لها سوراً في المحل الذي يسمونه الان عصوراعني عَلَى عصور وعندما اخرج منها كما ذكرنا سلم عن يد ضاهر العمر الذي ارسل لهُ رجلاً من خواصه يسمى يعقوب السيقلي ليسلم عَلَى يده ثم جعله ليجمع لهُ الاموال الاميرية من البلاد ففعل حتى اذا امتلأت جيوبه فرَّ هارباً الى الاستانة وهناك ضمن البلاد كما كانت تفعل الولاة في ذلك الوقت ورجع والياً عَلَى عكا التي كان تابعاً لها جبل لبنان وبدا. يظلم الناس كثيراً حتى ضرب فيهِ المثل فكان تارة يرضى عَلَى الامير يوسف وطوراً يغضب عليهِ واخيراً لما ولى عَلَى الجبل الامير بشير كما قلنا وهرب الامير يوسف حضر الى عكا برفقة غندور الخوري بن سعد الخوري ومعهما رجل من بيت عزام

قصة الامير يوسف وغندور الخوري وعزام معه

كان من عادة الجزار ان ينزل ضيوفه في محل ويقيم الجواسيس في جواره ليخبروه بما تقوله ضيوفهُ وعند ما وصل غندور الخوري والامير يوسف وعزام الى عكا انزلهم في هذا المحل فبعد نصف الليل استفاقوا من نومهم وبدوا يتشاورون بماذا يعملون ويقولون

حين مقابلتهم للجزار فقال الامير يوسف انني افعل كما يطلبهُ مني الجزار وقال غندور لو طلب وزن جسمي ذهباً لاعطيهِ اما عزام فقال والله لا ءقطعن عنقهُ بهذا السيف لو كلمني شيئاً مهيناً وفي اليوم الثاني طلبهم الجزار وقال لهم من منكم يريد ان يقطع رقبة الجزار فوضع عزام يده عَلَى قبضة سيفه وقال انا الذي قلت ذلك وان امرت بشيء يؤذيني فقبل ان يطلع صوتك اقطع راسك وكان الجزار سياسياً محنكاً فقال له آفرين (عفارم) وحيث انت شجاع لهذه الدرجة فانا اعفو عنك ولكنك لا تبقى في عكا اربع وعشرين ساعة فخرج عزام من امامه حاسباً الموت وراءه وغادر عكا حالاً غير انه افتكر اذا سار عَلَى الطريق المعتادة يرسل الجزار اناساً خلفه ليقتلوه فغير الطريق وذهب للجهة الجنوبية وبينما هو سائر التقى بقوم من العرب البدو ارادوا تشليحه فقاومهم وابتدات المعركة بينهم واخيراً قتل منهم واحداً وكان قريباً من الخيام فلما كلّ من التعب وضع يده عَلَى اطناب خيمة وقال كعادة العرب يا خيمة انا مستجير بكِ فخرجت من الخيمة امراة عجوز وقالت للعرب انه استجار بي فاتركوه وارجعوا عنه وكانت هذه العجوز والدة الرجل الذي قتله عزام

(مروءة البدو) ولما رجع العرب عنه افتكروا ان لا بد لوقوعه في ايديهم لان صاحبة الخيمة لا تجيره اكثر من ثلاثة ايام وحيث انه قاتل ولدها فهي لا شك تبذل جهدها لعدم هربه فتركوه مطمئنين غير ان الامراة ايقظت عزام نصف الليل وقالت له انت قاتل ولدي ولكنك استجرت بي فانا اصفح عنك قم واذهب هذه الساعة لان القوم عنك غافلون واعطته مؤنة الطريق ورجع الى بلاده

فاين توجد هذه المروءة واي قوم يفتخرون بهذا غير البدو الذين دابهم القتل والنهب وما هذا الامن تأثير الشهامة التي تصاحب دائماً ساكني البراري وقد حدث اعظم منها في بلادنا في البرجج وهو ان لمحمد العرب من البرجج اولاد وقد بلغه ان احدهم قتل والقتل خطاء وبينما هو في هذا الاضطراب دخل عليه قاتل ولده مستجيراً به ففعل كل جهده حتى هربه من وجه اخوة المقتول وخاص القاتل فهذه شهامة لا تنسى ولم يزل ذكرها في بلادنا ومحمد العرب كان من اكابر البلاد وعضواً عن الاسلام في مجلس ادارة لبنان فلنرجع الى عزام

اما الجزار فانــه ارسل اربعين خيالاً يطلبون عزام ليقتلوه في الطريق وظنوا انه توجه لجهة صور وصيدا فتعقبوه ولما لم يعثروا به رجعوا خائبين اما الامير يوسف وغندور الخوري فابقاهما الجزار بعكا

« انتهى الامير يوسف وغندور » في السنة التالية اراد الجزار ان يحج الى مكة المكرمة فذهب حتى وصل الى المزاريب فافتكر ان يشنق الامير يوسف وغندور الخوري كي لا يهربا في غيابه ويفتنا الجبل فارسل امراً الى وكيله بعكا ليشنقهما ثم ارتأى ان لربما تكون عندهما دراهم وان شنقهما يخسر ما يؤملهُ منهما فارسل بعد ساعة امراً ثانياً يقول فيه سبق امرنا لكم بشنق الامير يوسف وغندور الخوري والان نامركم بابقائهما لحين رجوعنا من الحج ووعد الرسول الثاني انه اذا وصل الى عكا قبل الاول يكافئه ففعل ما امره الجزار ووصل قبل الرسول الاول وكان كاتب الديوان يومئذٍ رجلاً من اسرة سكروج من طائفة الروم الارثوذكس واليه كانت ترد الاوامر

« اسرة سكروج » ان هذه الاسرة من طائفة الروم الارثوذكس وكانت تكره جداً غندور الخوري لانه كان يحامي عن الروم الكاثوليك ويضطهر الارثوذكس في جبل لبنان فعند ما وصله الامر الثاني اخفاه حتى وصل الرسول الاول فسلم الامر الى الوكيل الذي شنقهما حالاً وقيل ان غندور مات قبل الشنق

(مظالم الجزار) لما عاد الجزار الى عكا وعرف شنق الامير يوسف وغندور فحص سبب مخالفة امره فاطلع على الغش الذي جرى امر بقتل كل افراد اسرة سكروج ولم يبق منها الا امرأة حاملاً هربت الى مصر وولدت ذكراً هو جد العائلة السكروجية المصرية وقد عرفت منهم شخصاً كان ترجمان قونسلاتو انكلترا وهو الذي اخبرني قصة اسرتــه وفي سنة ١٨٨٧ اتى تلميذ الى مدرسة الطب الفرنساويــة في بيروت من هذه الاسرة ودرس الطب وهو الان الدكتور سكروج المعروف وفي سياحتي الاخيرة في مصر تعرفت في دمياط بالخواجه الياس سكروج من بواقي العايلة وهو رجل من التجار يحب المعارف

اخبرني الدكتور ميخائيل مشاقه الشهير حين كنت في الشام ماذا عمل الجزار بجده وكيف هرب والده الى دير القمر وقد ذكرنا ذلك في اسرة مشاقه واخبرني ايضاً

ان الجزار رأى يوماً فلائك بالبحر تقل ارواماً بقرب المدينة فامر بمسكهم وحبسهم فقالوا لهُ بعد مسكهم ان السجون ملأى لا محل فيها لمولاء فامر بقتل المسجونين الذين كانوا اولاً وان يدخلوا مكانهم الاروام

كان لرجل في عكا حجرتان واحدة عليا والثانية سفلى فكان الابُ يقطن العليا والابن السفلى فاراد الولد ان يتزوج وطلب من والده ان يسمح له بحجرته مدة الفرح و بعده يرجعها له ففعل ولما انتهى الفرح طلب الاب غرفتهُ فتمنع الولد عن تسليمها واضطر ان يشكوه للجزار فدعاه اليهِ وقال لهُ ما دينكِ قال اني مسيحي فامره ان يفعل اشارة الصليب التي هي شعار المسيحيين ففعل ورفع يده الى راسه وقال باسم الاب ووضعها على صدره وقال والابن فقال لهُ كفاك ان الاب من فوق والابن من تحت يلزم ان يكون ابوك في الغرفة العليا وانت في السفلى فخضع الولد لهذا الامر وذهب

وللجزار قصص غريبة ونوادر عجيبة لا تنطبق على عقل ولا نظام ولا عدل ولا شهامة بل كانت تخوف البلاد والعباد وقد كان يقتل ويشنق ويضبط الاملاك وضبطه مستريح ومع ذلك كله كان يتظاهر بالتقوى والدين فلا يترك صلواته قط وقد حج وبنى جامعاً عظيماً في عكا لم يزل قائماً الى اليوم وهو فريد في صناعتهِ ولما توفي الجزار فرح الناس لموتهِ وأرَّخهُ بعض الشعراء. ومن الذي قيل فيهِ هذا التاريخ

وافى السرور وصح ترجيح الامل ... بهلاك غاشم لا يعادله مثل
عين المظالم والمآثم والردى ... شرّ العوالم ان تفكر او عمل
احمد ولكن ليس يحمد في الورى ... قطعاً وفي ثوب المساوئ قد رفل
جزار لكن للفضائل جاذر ... يهدي ولكن بالرذائل قد حفل
بحياته كان الغلا ثم الوبا ... والقحط والجور الذي لا يحتمل
وبموته زال العنا يا حبذا ... هذا المنى غاب التعدي والوجل
حاز المقدر عند مالك محسراً ... قبض المهالك في جحيم لم يزل
لله درك يا منون فقد بدت ... منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

فاز الانام وارخوه بمقصدٍ هلك الشقي والى جهنم قد رحل
سنة ١٢١٩ وفاة الجزار

فعكا الان مركز متصرفية ولم يزل سورها للان ولا يمكن البناء بجانبه وفيها اللبمان الشهير الذي يدخله المجرمون المحكوم عليهم من خمس سنوات وصاعداً

«بهاء الله» اتي هذا الرجل العظيم من بلاد العجم منفياً وهو زعيم فئة البابيين الذين ظهروا في العجم وحين كنت في عكا كان بهاء الله قاطناً منزل الخواجه خمار ولا يراه الا المقربون منهُ ولا يخرج من منزله الا لزيارة اخصائه فيخرج ويرجع ليلاً وهو محتجب عن الجميع

قيل انهُ الف كتاباً في مذهبه ودينه لم نطلع عليه وكان الاعجام يأتون من كل ناحية ويخضعون له وكان الذي يستقبل الجميع نائباً عنهُ ولده

«عباس افندي» هو بكر انجاله فصيح الكلام كريم النفس لطيف عالم اديب مجلسه مجلس احترام ووقار وكان يستقبل الجميع من غريب وقريب ويتباحثون معهُ في كل علم وقد جلست معهُ وحضرته عدة مرات وكنا نتباحث في بعض مسائل فاراه قوي الحجة ولما توفي بهاء الله دفن في محل مخصوص خارج البلد يزوره اصحاب هذا المذهب وجلس عباس افندي في مقام ابيه وخلفه وحتى الان يزور الاعجام وسواهم قبر بهاء الله زيارة دينية وقد سمعت ان احدى السيدات الامريكيات دخلت في مذهبه وهي تنشره الان في امريكا وقيل ان عدد اتباعه والداخلين في دينه صار عظيماً جداً ولم اعلم شيئاً من مذهبه حتى اقول عنهُ ويستدل من سير اتباعه انهُ ذا اداب عظيمة

اشغالي في عكا

كنت في عكا اتعاطى صناعة الطب خصوصاً امراض العين ومن جملة الذين كنت اعودهم القاضي زِوَر افندي الذي كان على عينيه بياض وتمكنت من شفائه اراد مكافأتي فاخرج لي مضبطة من مجلس الادارة لاكون طبيب بلدية وراتب هذه الوظيفة خمسة عشر ليرا عثمانية شهرياً وكان يومئذٍ طبيب بلدية عكا جوستي الايتاليان

الذي كان هرماً وعاجزاً عن اداء وظيفته ولما استلمت المضبطة قالوا لي يلزم التصديق عليها من مركز الولاية في الشام و بالصدفة حضر عثمان بك مردم الشهير بالغنى وعضو مجلس الادارة في الولاية الى عكا لزيارة املاكه تعرفت به وكلفني اذهب الى الشام ونكفل بالتصديق عَلَى مضبطة مجلس الادارة بلواء عكا فذهبت حسب وعده اليها

دمشق الشام

هي اقدم مدينة في الدنيا نظراً لتاريخها وموقعها الطبيعي لان الانسان بعد حالته البدوية ارتأى ان يسكن محلاً فاختار ما جاور الماء وخصب التربة لمرعاه ومرعى مواشيه ولم تجمع بقعة في بلادنا هذه الشروط نظير دمشق وذهب بعضهم انها هي الفردوس الارضي حسب التوراة وان بعد خروج آدم منها وطرده عاش في الارض المقفرة الكائنة غربيها واستدلوا عَلَى ذلك من الاسماء التي فيها نظير ابيلا وهي مدينة قديمة . قبل ان قاين قتل اخاه هابيل فيها . وان لم تكن دمشق الفردوس الارضي فانها دون شك مثال الجنة فيها الانهار والعسل واللبن ومن كل فاكهة زوجان وحور العين ومن رأى دمشق وانهارها وفاكهتها ولبنها وعسلها وحورها لا يشك بانها مثال الجنة المستقبلة او هي الجنة الحاضرة ولا اتعرض لذكر تاريخها فقد تقدمني الكثيرون غير ان منه ما لم يزل غامضاً وذلك لعدم الحفريات عَلَى الاثار القديمة التي فيها لان تربتها كثيفة وسببها الاتربة التي تتساقط عليها كل سنة من الاعلى لانها واقعة في سهل ولو ارادوا الكشف عن حفرياتها للزم عمق عظيم ولا اذكر شيئاً عن قدمها اذ هو معلوم ان في ايام ابرهيم الخليل كانت عامرة وانهُ اخذ خادمه اليعازار الدمشقي منها ولا اقول الا ما رايته فيها فقد شبهتها من الصالحية بمركب سائر في بحر اخضر وقد ذكرت وعن اهلها ما هو كافٍ بكتابي صحة المتزوج وزواج العازب ولما وصلت اليها سألت عَلَى بيت عبدالله افندي غسطين عضو مجلس ادارة الولاية وهو زميل عثمان بك مردم وقهراً عن مساعدة هذين الذاتين العضوين ما امكن المصادقة عَلَى المضبطة ولما رايت دمشق وفرقها عن عكا لم اعد الحق المضبطة فاكتريت محلاً في حارة باب توما خاصة الحموي الذي كان اعمى وصاحب لوكندة

شغلي الطبي في الشام

لما اكثرت محلي في الشام وعزمت عَلَى الاقامــة فيها كتبت اعلان ونشرتـه في المدينة وهذا نصه

قد حضر الى هذه المدينة الدكتور شاكر الخوري وهو تلميذ مدرسة القصر العيني بمصر ويعاين المرضى بمحله الكائن بباب توما في لوكاندة الحموي ومن اختصاصاتـه مداواة امراض العين عَلَى اختلافها ولا يطلب اجرة الا بعد شفآء المريض

وجعلت هذه الجملة الاخيرة رواجاً عظيماً عَلَى وفي اليوم الثاني كان ازدحام المرضى لا يقدر وهم يزيدون عَلَى المائة اعمى تقريباً فصففتهم بالدار وابتدأت بمعاينتهم وكنت الذي ارى داءه غير قابل الشفآء اخرجه من الصف وارسله من حيث اتى اما الباقون فكلفتهم ان يعودوا الى منزلي لاجرآء العملية لهم واشترط عليهم ان يبقوا في منزلي بغرفــة مخصوصة لينالوا الشفآء التام واجريت منها خمس عمليات لحدقة صناعية وكتركتا «ماء زرقاء» وبعد ثمانية ايام شفي الخمسة عميان وكانوا من الذين يمشون امام الاموات ومشهورين بعمائم فابقيتهم عندي الى يوم الجمعة وكلفتهم ان يذهبوا الى الصلاة في الجامع الاموي وان يعودوا الى منزلي وابقيت عصيهم رهناً عندي وبعد الظهر رجعوا اليَّ ومعهم جم غفير يتعجبون من شفائهم ورايت فتــاة تتسول بالمحلات العمومية وعينها شطراء فاعطيتها ليرة فرنساوية لتقبل معي ان اجري لها عملية وابقيتها عندي حتى نالت الشفآء وعادت الى صنعها فكان كل من يراها يعجب من شفائها وهذا العمل هو الذي سبب لي النجاح لان اطبآء دمشق المخصوصين لامراض العين كانوا من الدجالين من عائلة بيت صخر وعائلة اخري تدعى عائلة الكنفاني وبعد مدة خرجت من منزلي الاول واستاجرت محلاً شرقي البطريركخانة المارونية ملك السغبيني واضطررت ان اشتري اثاثاً وامتعة لان المنزل الاول الذي كنت استاجرته كان بامتعة من صاحبه

«بشاره» كان يتردد علي رجل بهذا الاسم بليد بارد فكان يمسك الثلج في يده ويبتلعه ويفتخر بعدم احساسه بالبرودة فقلت له

لمس الثلج بليد صاح احاً للحرارة

نطق الثلج ونادى حوحوحوحو من بشاره

وكان في البيت بئران يستخرجون ماءهما بواسطة دواليب وحيث ان انف بشاره كان طويلاً تصورت هذا المعنى ونظمت له ما يأتي

سكنت داراً لها بئران اولها ستين باعاً وتسعين الى الثاني
بئران لم الق حبلاً مثل طولها كي استقي منهما ماء لعطشان
لكنّ انف بشاره جاء طبقهما والحمد لله عن حبلين اغناني

وقد وجدتهُ سكيراً فطردته

« صيدلية سوق الخيل » كنت ساكناً في الشام بحارة باب توما اما الذوات والاغنياء فكانوا يقطنون الجهة الاخرى مثل باب سار وجا والقنوات فارتأيت ان انشئ صيدلية في تلك الجهة اكون فيها بعد الظهر وقبله ابقى في جهة باب توما واتفقت مع شاب اسمه سلمون فارحي اسرائيلي من عائلة معتبرة وادخلته شريكاً معي في الصيدلية وبواسطته اكتسبت ثقة هذه الطائفة وصار معظم ذواتها يترددون عليَّ يزورونني وازورهم وكان اهالي هذه الطائفة في ذلك الوقت من اغنى والطف واعلم الشعب وفيها اسرات عظيمة غنية كآل استامبولي وشمعايا وهراري وفارحي واسبونا وجملة اسرات اخرى وكان الحاخامباشي صديقاً لي ويرسل فقراء طائفته اداويهم مجانا لهذا كان كلما حصل فرح عندهم او داع لهم اكون اول المدعوين

المغنيتان ليلى وساره

في احدى الليالي دعى حايم الحكيم الموسيو لوتيكه قنصل المانيا في الشام وكانت هاتان المغنيتان بهجة تلك الليلة التي دعيت اليها وحين ابتدأ الغناء وعزف الآلات جلست في احدى زوايا المقعد صامتاً مسروراً لانني كنت ولم ازل اعتبر صنعتي فلا اظهر خفة ولا طيشاً حين اسمع اصواتها الرخيمة ولا انشغافاً بجمالهما وكانتا مصنعتي الوجه بالاحمر والابيض والكحل وتجلبان انتباه الحاضرين بلطفهما فضلاً عن جمالهما وصوتهما وكانت تلك الليلة زاهيـة زاهرة وكنت مسروراً جداً لانني احب استماع الصوت الحسن غير اني تضايقت من كتم احساساتي فشفقت على المرائين الذين يخفون شعورهم

واتصور ما يكابدونه من العذاب وهذا العذاب هو قصاص المرائين لانه كم يلزم للمرائي من العناء والتعب والقهر حتى يخفي ما يشعر به فمثله كمثل جائع ينكر جوعه والم معدته يقطعه نعم ان هذا الالم قصاص اخفاء احساساته وكان الحضور متهيجين يصيحون آه ياستي لان هذا الهياج والصراخ يزيد المغنيات تحمساً اما السكوت فيخجلهن ولذلك ارى انهُ من الضروري وجود البعض من السامعين يفعلون هذه الحركات اذ ما افبح السامع اذا كلمهُ شخص وبدا يتثاءب ويتمطى او لا يبدي اشارة تدل على فهمه ما قيل له لان هذه البلادة تعد قلة ادب وسوء تربية اما انا فبدلاً من ان اتهيج كالباقين او اظهر بلادة تسأم السامعين والمغنين اخذت قلماً ونظمت شعراً بهاتين المغنيتين ساره وليلى وهاك ما نظمتهُ

وليل مظلم اجابتهُ ليلى ... يبدر جبينها فغدا نهارا
وارخت شعرها فبدا ظلام ... طلبت البدر قالوا البدر سارا
ابو الاباء ابراهيم قبلي ... بها قد هام عن صغرٍ وحارا
وفرعون له فيها مقال ... على ابرام كالحساد غارا
فتي ام اليهود رأت لموسى ... على الخدين في العليق نارا
لقد قال اليهود بصلب عيسى ... كما قد جاء في كتب النصارى
على اولادنا وكذا علينا ... دم المصلوب طول الدهر صارا
ارتني بالخدود دما مسيحي ... فزادتني برؤيتها وقارا
هممت بان اتمم فرض ديني ... بتقبيل فاظهرت النفارا
ولما ان رأت تقوى فؤادي ... اتد سمحت بتقبيل العذارا
فرحت ولا اشك بعفو ذنبي ... لو اني للمسيح اخذت ثارا

وصيدلية سوق الخيل كانت ملك امين افندي الجندي الذي هو من اسرة الجندي التي اصلها من حماه وكان من اعظم سراة دمشق لانه كان مفتيها سابقاً وقد اقامه بهذه الوظيفة فؤاد باشا سنة ١٨٦٠ ثم تعين عضواً في مجلس شورى الدولة ثم ارسل الى اليمن لاجل تنظيم محاكمها ومجالسها وكل شيء علي فيها ثم عاد الى دمشق وقطنها بعز وجاه وغنى واعتبار وكان كل اهل دمشق يقبلون يده ومحله قرب المستشفى العسكري

وهو منزلان متسعان جداً

اما عدم توفيقه بالاولاد فامر مستغرب وقد قال لي انه ولد له سبعة عشر ولداً زوّج معظمهم فاولدوا غير انه لم يبقَ من نسله الا حفيده امين

بما ان سكني كان في باب توما والصيدلية بسوق الخيل اضطررت ان اشتري حماراً لينقلني من جهة الى اخرى وكان هذا الحمار ينهق دائماً ولما كنت اربطه على باب الصيدلية كان يقلق الجيران بصوته المزعج ويقلقني ولما اذهب الى منزل امين افندي الجندي كنت اربطه قرب الباب غير انه كان يبدأ بالنهيق الى ما لا نهاية حتى يضطر الافندي الى السكوت احياناً والنظر اليّ بلطف فكنت اخجل منه وفي احد الايام بينما كنت اقرا كتاباً افرنسياً اسمه تذكار الحمار رايت به فقرة ذكرت ان اللصوص اذا ارادوا سرقة حمار ربطوا ذيله ليمنعوا نهيقه وقرأت سيرة عنترة بن شداد فرايت بها ان متى اراد اخفاء صوت الجره ربطه بذيله كي لا يصهل فصرت اعلل هذه المسألة طبياً وعرفت ان الحمار متى اراد النهيق يحرك ذيله خصوصاً الى الاعلى ولربما هذه الحركة تسعفه على النهيق اما اذا اثقل ذنبه فيبطل نهيقه لذلك ارتايت ان اجرب لان التجربة اقوى الادلة العقلية والنقلية فاخذت معي عياراً نحاسياً من الصيدلية وربطته بذيله وبعد برهة بدل ما اسمع نهيق الحمار سمعت نهيقاً اخر يشتم الحمار وصاحبه فنهضت لارى سبب ذلك وشاهدت رجلاً من الاعيان يقول لمن هذا الحمار الذي يرفس كل من مر بجانبه وما هذا الثقل المعلق بذيله فاخبرته قصته ضاحكاً قال ان نهيقه لا يضر كرفسه فارفع عنه هذا الثقل ودعه ينهق ما شاء ولا تدع المارين تنهق ضدك

(ناكر المعروف) في احد الايام بينما كنت ذاهباً الى الصيدلية فلما وصلت الى الجهة الشمالية من الجامع الاموي سقط الحمار بي لان ازقته دمشق كلها مبلطة فاخذت الارض بيدي وبقيت رجلي معلقة بالركاب فمر بي رجل كنت اداويه مجاناً مدة ثلاثة اشهر نظراً لفقره وراني بهذه الحالة وبقي ماشياً دون ان يلتفت بي واخيراً اتى شخص اجهله ومسك الحمار فخلصت رجلي منهُ ولما نهضت قائماً رجوته ان يمسك الحمار قليلاً واسرعت خلف الرجل الاول ولما وصلت اليه تناولت الكرباج وضربته به على راسه ضرباً اليماً وكنت متهيجاً جداً فاتى اصحاب الدكاكين المجاوره وكانوا يعرفونني وسالوني

عن سبب ضربي الرجل فاخبرتهم حكايتي معه وكادوا يسحقونه من الضرب لنكرانه معروفي اخيرًا تركته واخذت حماري وسرت

(مصطفى السباعي) كنا نجتمع سويتًا مع هذا الذات فذكرت له هذه القصة قال اني اذكر قصة تنسيك هذه الحكاية وهي اني ذهبت في احد ايام رمضان للافطار في بيت باشكاتب مجلس الادارة ولما رايت ان وقت الافطار لم يحن بعد دخلت احدى القهاوي ورايت فيها رجلاً مسندًا راسهُ بيده ومطرقًا بالارض فتقدمت اليه وسألته عن سبب كدره اجاب انه غريب اتى من ديار بكر وتعين خيالاً وان راتبه لا يكفي لاطعام حصانه فاخذته معي وافطرنا سوية ثم ذهب واتي بحصانه وخرجه الى منزلي وافرزت له فيه محلاً فكان ياكل ويطعم حصانه عَلَى حسابي ويدخر راتبه وكان اميًا فعلمته القراءة والكتابة وبعد خمس سنوات عينته كاتب في الادارة وصار يترقى مع الزمن الى ان صار باشكاتبًا فاغتنى واقتنى القصور والجواري والسراري والمفروشات واصبح بعد من اعيان البلاد وكنت كلما اراه يتقدم نحو المعالي ازداد سرورًا وفي ليلة ذهبت لزيارته فوجدته وحده متقابفرونه وشبقة (غليونه) ممدودًا الى امامه وبعد ان طارحت السلام وجلست رايته حزينًا مكتئبًا ينفخ من جهة فسألته عن سبب كدره وقلت له يجب ان تشكر الله الذي رقاك واوصلك الى هذه الدرجة من السعادة لا ان تتكدر لاقل الاسباب فقل لي ما يغيظك اجاب انني اخجل ان اقول لك سبب كدري لئلا تتأثر قلت قل ولا حرج عليك اجاب انني اتكدر حين اراك واشتهي لك الموت لاتخلص من الذل اذ كلما رايتك اتذكر حالتي الاصلية واخجل منها قلت اني اشكر لك حرية ضميرك واعدك بان لا تراني فيما بعد قلت هذا وانصرفت من امامه متأثرًا غير انه لم يمضِ عليه وقت طويل حتى مات شرّ موتة ٠ وبالحقيقة يجب عَلَى الانسان ان يصنع المعروف غير مؤمل بمكافاة من البشر بل من الله الذي لا يضيع له ثوابًا ولهذا ترى ذوي الاحسان والمعروف في نجاح مستمر لان المعروف يجد ذاتهُ كالترخون تزرعه في محل وينبت في محل اخر والمعروف هو الجوهر الكشاف للرجال فلاجل معرفة اخلاق الرجل اعمل معه معروفًا فاذا ذكره تأمل به وعده معه والا اذا نكره اجتنبه واتبع قول الحديث الشريف اتقِ شر من احسنت اليهِ لان لكثرة شره ومن جملتها ان لا يطيق جميلك ولكن

انت ابتدي دائماً في المعروف فقد وجدت ان اللذين يعملون معروفاً ولو ما تكافوا من المعمول معهم المعروف يرون اناساً لا يعرفونهم يجدوهم مدة احتياجاتهم فهذا مبدئ طبيعي

ترددي على امين افندي الجندي

(طبيب امين افندي الجندي) وصرت اتردد عليه كما وعدته واصبحت بعد مدة وجيزة طبيب منزله وكان وقتئذ متزوجاً حديثاً وهو في سن الخامسة والستين وقد ولد له ذكر وهو بهذا العمر لكنهُ لم يعش طويلاً اذ أُصيب باسهال اودى بحياته وفي احد الايام دعاني لعيادة جارية سوداء كانت مصابة بسعال قديم مع حمى تصحبها كل ليلة ففحصتها وسألني عن حالها وهل يمكن شفاؤها قلت يلزم لزوال هذا الامر معالجتها مدة شهر بلا انقطاع فامرني ان اتولى هذا الامر فصنعت لها مركباً تتناول منهُ ملعقتين في اليوم مؤلفاً من كرام من سلفات الكينا و٢٥٠ كرام ماء قراح وكرامين خلاصة الكيا وكرام من حمض الكلور بدربك وبعد شهر شفيت تماماً وذهب عنها السعال وعادت الى حالها الاولى فسر من هذا الشفاء امين افندي جداً وقال لي ان سبب سروره ان الطبيب الاول الذي عاينها اخبره انها مصابة بالسل قلت قد يجوز ان يشتبه الطبيب بهذا المرض اذا لم يجرِ فحصاً دقيقاً لانها مصابة بالحمى الدورية التي تشبه باعراضها السل في السعال والحمى والعرق الليلي غير ان الفرق بينهما ان الطحال والكبد يكونا متمددين في الحمى الملاريا كما اصاب هذه المريضة ولعل الطبيب الاول اغفل في فحصه هذا الامر ومن ذلك الوقت اكتسبت ثقته فكان يدعوني لكل حادث وبواسطته تعرفت بذوات الشام لانه كان يمدح من مهارتي امامهم . وفي احد الايام كنت في غرفتي وكان الثلج يتساقط بكثرة والبرد قارصاً فحضر اليَّ خادمه وطلبني ان اذهب بسرعة لان سيده بينما كان داخلاً الى دار الحريم سقط بالارض وغاب عن الوعي ولم يزل على حالهِ للان فتوجهت سريعاً ورأيتهُ مصاباً بسكتة دماغية وفي اليوم الثاني توفي وخلف تركتهُ العظيمة الى حفيده امين بك الذي تزوج امرأتين لم يأتهِ منهما اولاد واشغله السكر والملاهي فبدد تلك الثروة العظيمة واخيراً توفي بلا عقب وهكذا انقرض ذلك البيت العظيم الذي نتعلم منهُ كيف ان الابناء يهدمون ما

عمرة الاباء

الخوري موسى معلمي الهجو

كان هذا الخوري آية في الفصاحة والمهارة والعلوم والعفة والاستقامة لكنهُ مصاب بداء البخل فكان يجمع كثيرًا ولا يصرف شيئًا وقد شهد واقعة سنة ١٨٦٠ وانعمت عليهِ الدولة العلية بمبلغ وافر تعويضًا للخسائر التي لحقتهُ وقتئذٍ فبنى ببعض هذه الدراهم محلاً للبطريركخانة وكنيسة عظيمة عوض القديمة وكان عنده خادم من قريته وكان الخوري متعصبًا جدًا بحب ابناء بلده لكن هذا التعصب لم يكن يدعوه للتكرم عليهم بشيء ولا اضاف احدًا بزمانه الا لغاية او لخدمة او لجر مغنم وكنا نجتمع عند بعض الاصحاب واخصهم شخص قاطن باحد بيوت الوقف لان للوقف منازل ايرادها خمسة وعشرون الفًا سنويًا عدا ايراد الكنيسة والنذورات وكانت اجتماعاتنا تسر جدًا وكنت التذ بمسامرته لكونه كان ماهرًا اديبًا ظريفًا ويسر بوجودي لانني طبيب وتأصلت بيننا المودة حتى كنت اظن انهُ لا يرفض اي طلب ارجوه به كما اني لم اكن اتأخر عن المداواة المجانية لمن يوصيني به وصدف ان امرأة فقيرة وذات اولاد صغار طلبتني ازور ولدها المريض فزرته مجانًا مع اعطائي الدواء من جيبي وعندما طلبت اكل ارسلتها مع ورقة مني الى الخوري موسى لاعطائها كم رطل من الطحين فمزق الورقة ولم يعطها شيئًا فاخبرتني فتكدرت جدًا وعند اجتماعنا في السهرة كدرتهُ وتخاصمنا وابتديت بعمل عرضحال ضده للبطريرك فحين بلغهُ عزمي وعرف انني عامل على السعاية به لدى رئيسه صار يشيع اني كافر بلا دين كعادة روساء الدين مع الذين يخالفونهم في تنفيذ مآربهم . وكان فاتحًا دكانًا لشماس عنده يبيع فيها طحينًا فكان الشماس يغش الناس ويبيعه الطحين ناقصًا في وزنه وحين يذهب هذا ويراجع الوزن بدكان اخرى ويرى الفرق يعود الى الشماس يخاصمهُ على عمله وحين يسمع الخوري موسى ان احدًا خاصم الشماس يقول عنهُ انهُ بلا دين وقتل ابن الطبيب البياجي في قرية بجانب دمشق فاستدعى والد القتيل حبيب خالد الحلو وطانيوس ابو ناصر للمحاماة عن دعواه وصار كل من مدح حبيب خالد او فضله على طانيوس

ابو ناصر امام الخوري موسى يقول انهُ بلا دين لان طانيوس من بلده · وحين بلغني ما اشاعهُ عني قلت ان للخوري قانون ايمان مخصوص والذي يخالفهُ يكون بلا دين وهذا القانون هو

قانون ايمان الخوري موسى

نؤمن بخوري واحد ضابط وقف الموارنة كل ما يرى وما لا يرى وبشماس واحد ابنهُ الوحيد لا ينقص ولا يزيد في بيع ونؤمن بطانيوس ابو ناصر المنبثق من الخوري والشماس الذي هو مع الخوري والشماس وبكنيسة واحدة بسكنتاوية وبخوري واحد يبقى لدهر الداهرين ليكفر الاحياء والاموات امين

فكان لهذا القانون رنة عظيمة في دمشق ولما اتصل اليهِ ضحك رغماً عن غيظهِ ولكنهُ ظل يقول عني اني بلا دين اخيراً نظمت له قصيدة مثلت فيها بخله بكل صفاته وهذه القصيدة هي : وهي ابتداء هجوي والذي يتكدر من هجوي فليقل ما يقولهُ عني الى الخوري موسى لانهُ هو السبب

لا تعجبوا ان رأيتم بعض طائفةٍ ... في البخل قد شهروا سرًّا واعلانا
لانهم قبلوا عند السلام يداً ... للاب موسى فاعداهم كما كانا
لو مسَّ حاتم طي كف حضرته ... لكان البخل خلق الله انسانا
ولو حوت داره ماء الفرات وقد ... تملك النيل اكراماً واحسانا
وفي الصليب اتى يسوع سيده ... وقال يا ابني موسى بت عطشانا
ما جاد عن كرم في بلّ اصبعه ... وقال متْ ان فضل الموت ظمآنا
مع كل هذا لهُ من نسبة كرم ... فلا ارى مثل ذا زوراً وبهتانا
تفاؤلاً نسبوه مثل ما ذهبوا ... حب المبارك للزهري عنوانا
ما بين محذوف واوٍ من وظيفته ... وحذف آخر حرف لاسمه شانا
قد اصبحت ذقنهُ تبدي لحيته ... قولاً كما قيل في حانا وفي مانا
قد سنّ موسى عهوداً في شريعته ... وقبة العهد للايمان اعطانا
من جسها كان منقاداً الى عدمٍ ... يموت في الحال محروماً ومنهانا

قبة الاب موسى بيت مونته رغيفها بات كالاندلس منصانا
عزريل يحرسها من كل ناحية ان حضرة الاب عنها بات غفلانا

وفي شهر آب سنة ١٨٩٨ توفي الاب موسى ولكن ذكره باق لا يزول

(ناشد باشا) حين اتيت الى الشام كان واليًا عليها صاحب الدولة الحاج ناشد باشا وبعد مدة عزل وتعين محله ضيا باشا

ضيا باشا

هو احد الولاة العظام تلقى علومه في اوربا وكان متمدنًا جدًّا عفيف النفس ذا حمية وغيرة وقد اخبرنا ان اوربا ليست كما نظن فيها وان المعارف سائدة بكل نواحيها بل فيها من هم في حال من الجهل عظيمة وقد اخبرنا القصة الآتية

قال كنت مسافرًا بالسكة الحديدية وكان فيها عدة نساء يتكلمن عن الشرقيين ويقلن لبعضهن ان لاهل الشرق قرونًا تنبت في رووسهم فعند ذلك تقدمت اليهن وكشفت عن راسي وقلت لهن اسمعن لي ايتها السيدات ان اغالطكن في ما تقلنه فها انا شرقي وراسي لا قرون فيه فلم يصدقن انني شرقي بل قلن لي لو كنت من هذا الجنس لكان براسك قرون فانظر الى هذا الجهل السائد في بلاد المعارف

واهم ما فعله ضيا باشا في الشام هو

حجرة صلاح الدين الايوبي

عند ما زار ضياء باشا قبر صلاح الدين الايوبي وراه بحالة دارسة قال لمن حوله اهكذا تفعلون بمحافظ الدين والاسلام والمدنية الا تذكرون انه هو الذي اعاد هذه البلاد الى الاسلام بتعبه وجهاده ولولاه لما كنتم فيها الان فيلزم ان نصلح هذه القبة ونقيم له مقامًا لائقًا به فادعوا عدم وجود الدراهم قال اني اوجدها لكم وعمل لائحة ووزع بها على بعض الذوات قدرًا معلومًا حتى جمع مبلغًا غير يسير واقام حجرة عظيمة باقية حتى اليوم

وصلاح الدين الايوبي هو الذي حكم سوريا ومصر وكان اعظم حاكم بالعدل

والانصاف وقد حفظ له التاريخ ذكرًا مجيدًا وحسنات وشهامة لم يذكرها لسواه حتى ان اعداءه الصليبين يشهدون له هذه الشهاده وكان عدوه الاكبر ريكاردوس قلب الاسد ملك الانكليز فكانا عند انتهاء المواقع يجتمعان ويأكلان سوية وفي الحرب يعودان الى العداء ولما تهادنا رجع ريكاردوس الى مملكته وبقي صلاح الدين في بلاده وتوفي بدمشق ولم يخلف شيئًا من المال فدفن في القلعة الاول ثم نقل الى الصالحية ثم الى جانب الجامع الاموي الشريف حيث لم يزل هناك

وقد اناط ضيا باشا هذا العمل بصاحب الدولة احمد عزت باشا العابد الذي كان يومئذٍ رئيس الاقلام بدمشق والذي بنى الحجرة رجل نصراني من دمشق اسمه الوردي وهو من النحاتين المشهورين

(حالة صلاح الدين) قد اخبرني يومئذٍ دولتلو احمد باشا والوردي الذي كان نحاتًا مسيحيًا انهما حين ارادوا نقل التابوت الى الحجرة وجدوا الجثة على حالتها الطبيعية كانها دفنت حديثًا وليس من ستمائة سنة وكان لم يزل شعر راسه وشاربه ولحيته

ولم تطل مدة ضيا باشا حتى نقل الى ادرنه وتوفي فيها وخلفه دولتلو

(جودت باشا) ان الشهرة التي اكتسبها صاحب الدولة جودت باشا لتاليفه تاريخ الدولة العلية ولعلومه الشرقية وتبعه في ترتيب المجلة والنظامات كانت عظيمة جدًا وقد اتى معه احد مواطننا الدكتور الياس افندي مطر وجعله طبيب بلدية الشام بدلاً عن الدكتور كوسيني

(مستشفي نور الدين) كان في دمشق مستشفي قديم جدًا بناه نور الدين واوقف له اوقافًا عظيمة وعين فيه اطباء ومستخدمين عديدين منهم فئة وجدت اسماهم في دفاتر قديمة في هذا المستشفى كانت تدعى المطمنين ووظيفة المطمن ان يجلس في غرفه قريبة من محل المريض بحيث يسمع صوته ويقول ان الطبيب اخبرني عن فلان النائم في الفراش الفلاني ان مرضه بسيط جدًا وسيشفى عن قريب فحين يسمع المريض هذا القول يتنشط ويكون النشاط سببًا لشفائه فانظر الى هذه العاده الجميلة التي غفلت عنها مستشفيات عصرنا

اما حالة هذا المستشفي الان فهي عبارة عن بناء قديم من تلك الايام واوقافه

قليلة جداً تكاد تفي راتب الناظر والكاتب والمصاريف التي يتطلبها خمسة او ستة مرضى وقد خصوه للمجانين ومن واجبات طبيب البلدية زيارته وعيادة المرضى كل اسبوع على الاقل

في احد الايام ذهب الياس افندي مطر الى حاصبيا بمامورية ووكلني محله لرؤية اشغاله في البلدية ومن جملتها عيادة مستشفي نور الدين ففي اليوم الثاني توجهت اليه فرأيت الناظر وهو مدير الادارة والكاتب الذي يحرر كل المصاريف والمدخول ويكون كصيدلي للطبيب اي ان يقيد كل الادوية التي يامر بها ويطلبها من صيدلية البلدية وبعد ان اجريت العيادة اجتمعنا سوية وصادقنا على مصاريف الادوية والطعام وختمنا اللائحة وارسلناها للبلدية وكان اسم الكاتب متري فارس وهو من رفقائي بمدرسة عين طورا عالم اللغتين العربيه والافرنسية من اسرة معتبرة ولكنه محتاج للعمل

(عزل متري فارس) بينما كنا جالسين سوية وقد وفد امر يحمله خيال وسلمه للناظر فاعطاه هذا للكاتب ليقراه غير انهُ لم يكد يتلو سطره الاول حتى نفز عن كرسيه وصرخ ها اني لا ازال حياً فسألناه عن سبب اضطرابه قال انظروا الى هذا الامر فانهُ مذكور به بناء على وفاة متري فارس كاتب مستشفى نور الدين قد صار تعيين فلان خلفاً له فتكدرنا لكدر متري ولكن استغربنا اعظم فكلفناه ان يذهب الى مجلس الادارة الذي اخرج مضبطة وفاته بناء على استدعى المعين جديداً فلم يشأ لانه دخل في خدمة كومبانية طريق الشام واظن لم يزل حياً

سرقة الخادم لنا

عندما رأيت المصروف كثيراً علينا والخدم يترددون عند محاسبتي اياهم بذكر بعض ما يجلبونهُ لذلك صرت اشك بهم اخيراً لكي اكون منهم امينا ارتايت طريقة وهي ان لا اسلم الخدم دراهم بل اتفق مع البائعين وما احتجت اليه ارسل به ورقة الى البائع فتبقى عنده الى آخر الاسبوع واحاسبهُ على موجبها وهكذا كنت افعل مع الدخاخني وبائع التنباك والخضرة والجزار ففي احد الايام وكانت جمعة عيد الفصح

حضر اليَّ بائع التنباك وقال لي سرًّا ارجوك مسامحتي وان يحسم عَلَى حسابي اربعين غرشًا لانني اشتركت مع خادمك بسرقتك وحين كنت ترسل لي ورقة بطلب ثلاث اوقيات كنت ارسل لك اوقيتين ونصف ونصف الاوقية اقتسمهُ مع خادمك وفي هذا الاسبوع اردت ان اعمل اعتراف الفصح فلم يرضَ الكاهن ان يمنحني السماح الا اذا ارجعت اليك ما اختلستهُ بالتواطؤ مع خادمك فاضطررت ان آتي اليك وارجع لك ما اخذتهُ منك ولما عملت حسابي رايت ان لك بذمتي اربعين غرشًا ومثلها لك عند خادمك وكان هذا البائع كاثوليكيًا فقلت لهُ اني اسامحك بالاربعين غرشًا واظن انك لن تعود الى هذا العمل لانني اعتقدت بك صحة الدين وكنت فكرت ان آخذ الاربعين غرشًا التي اختلسها البائع من الخادم لانهُ اقوى ذنبًا بل هو الخائن الحقيقي وبعد مدة سالت الخادم هل اعترف في الفصح فاجاب سلبًا فقلت لهُ اذهب واعترف حالاً فتولى عليه العجب لاهتمامي غير المعتاد باعترافه اخيرًا توجه للكنيسة ورجع ولم يعمل نظير بائع الدخان فسالتهُ هل اعترف اجاب بالايجاب قلت وهل اجازك الكاهن قال نعم قلت كانك لم تخبره بما كنت تفعله مع بائع التنباك فتغير لونهُ ولكن نظرًا لمهارته بهذه الصناعة لم يظهر عليه ادنى تاثير بل تجاهل المسالة وسالني عن الذي كنت اعنيه بقولي فلما رايت منهُ هذه القحة اخبرتهُ ما سمعته وخصمت عليه ثمانين غرشًا وصرفته من خدمتي

ملاحظاتي على السرقة

يجب ان ينتبه صاحب البيت او صاحب المال الى الخدم الذين يكونون ابدًا يقظين للسرقة لان السرقة تكون من الادنى الى الاعلى اذ لا يخطر قط بفكر سيد ان يسرق خادمهُ ولكنه يكون بالعكس وكل ما يمكن تصوره يستطيع الكبير ان يصنعه مع الصغير الا السرقة وقد حصلت لي حادثة في الاملاك تؤيد هذا القول وهو ان احد الفلاحين كان مجاورًا لملكي فتقدم بالحدود عَلَى ارضي والتزمت للتشكي عليه وكان من جملة الادلة التي سردها لتاييد دعواه انني رجل مسكين لا استطيع التعدي عَلَى فلان فاجبته امام القاضي ان الاقوياء يتعدون عَلَى الضعفاء بكل شيء ماعدا السرقةوقد

فحصت هذه الدعوى وكان الحق بجانبي

(ترك خطيبتي) في احد الايام ورد لي تحرير من رجل معتبر في صيدا وهو قريب لخطيبتي يذكر فيه انه منذ مدة لم ترسل تحريرًا الى خطيبتك وهذا ناشئ عن رغبتك بتركها على ما قيل فأن كان هذا رأيك ارجوك ان تخبرنا الحقيقة فاجبته ان هذا الامر لا صحة له واما تاخري عن مكاتبتها فكان لانشغال فكري في تدبير احوالي بالشام لانني قدمت اليها حديثًا وبعد مدة اتاني كتاب ثانٍ فيه ان خطيبتك لا تستطيع ان تداوم على المدرسة لانها تستحي ان تتلقى دروسها مع الاطفال فان كنت تحبها وتريد الاقتران بها فرأيي ان تتزوجها وان اردت ان تكون متعلمة فيمكنك ان تستحضر لها استاذًا يلقنها دروسها في منزلك اما اذا كنت لا ترغب ذلك فانا نعد رفضك رغبة بتركها لذلك نرجوك ان تعرفنا رأيك صراحة حتى نجري الامور الكنائسية فاجبته انني رغبت ان تكون امرأتي متعلمة متهذبة لخيرها في المستقبل والعلم لا حياء به وان خجل امرؤ فيجب ان يخجل من جهله لا من طلبه العلم وبما انني انا الذي ادفع مصاريف العلم ولست مضطرًا الان الى الزواج فلا يمكنني اجراؤه الا بعد ان ارتب ذاتي واتخذ مركزًا لي واما تركي لها فهذا امر لم يخطر قط بفكري وقولكم انكم تريدون اجراء القوانين الكنائسية فاذكركم ولستم بحاجة للذكرى ان خطبتي لم تكن كنائسية قط ولم يحضرها كاهن ولا قسيس وهب انها كانت كنائسية واراد الخطيب ترك خطيبته فانهُ يجبر في هذه الحال ان يتنازل لها عما يكون اهداه اليها وهذا الامر افعله عن طيبة خاطر ولا ابالي به اما الحكم على زواجي فيستدل منهُ ان الفتاة اتاها خاطب خير مني او انكم تخشون تأخري في الزواج فانا اهبكم حريتكم المطلقة في كلتا الحالتين اذ لا استطيع الزواج الا متى كنت على تمام الاستعداد له . وبعد بضعة ايام اتاني من ذات الشخص تحرير يقول فيه اتعجب كيف انك تذكر بمكتوبك ان الخطبة لم تكن كنائسية ولم يحضرها كاهن فهل لم اكن حاضرًا انا وهل لم اقل ذات الكلام والصلاة التي كان على الكاهن ان يقولها فلما قرأت كتابه قلت ان هذا الشخص ام انهُ يستجهلني او انهُ يخيفني باقاويله وتهديداته فاجبتهُ انني اعتبرك اميرًا مكرمًا وكيل دولة (لانهُ كان قنصلاً) لا وكيل الاب الاقدس وانك اذا اعدت اقوالها فلا تمنح السلطة التي تخدمها ولا اذا قلت الكلام الجوهري يستحيل

الخبز والخمر الى لحم ودم اذ للوصول الى هذا الامر يجب وضع الابدي فان احببتم ادراك هذه المنزلة اطلبوا وضع الايدي ومتى قبلتموه نخطب ثانية بمعرفتكم خطبة توافقكم اما الان فاني مضطر لترك هذه الخطبة اكراماً لكم ويمكن الخطيبة ان تعتبر ذاتها حرة محلولة من كل عهد ولا اسألها شيئاً مما كنت قدمته لها وهكذا انتهت خطبتنا وهكذا كل خطبة يطول امرها لان الفساد يظهر بين الحساد فالاحسن الزواج بدون خطبة واذا شاء اختبارها فليختبر بدون خطبة

وكنت في الشام اتردد على بيوت كثيرة وكل بيت فيه بنات يظنون انني اريد زواجهن ومن البيوت التي عرفتها لمرض في عين احد اعضائه وصداقتي مع احد شبانه منزل عظيم فيه ابنة كانت بديعة الجمال بل هي الوحيدة التي اشتهرت في جمالها بذلك الوقت وكانت متعلمة متهذبة تتكلم اللغة الفرنساوية اديبة لطيفة المعاشرة حتى انني صممت ان لا اتزوج سواها اما الذي اعاقني عن تاخير الزواج فهو عدم انتظام احوالي المالية في دمشق كما انها كانت لا تمتلك شيئاً فافتكرت ان حبنا يزول سريعاً عند فقد المال خصوصاً لانها ظريفة الشكل يلزم الاعتناء بها ومداراتها اكثر من سواها لان الانسان اذا امتلك جوهرة ثمينة يحرص عليها او ثياباً جديدة يعتني بتنظيفها او فرساً كريمة تركبهُ اكثر مما يركبها لذلك ترى العاقل لا يقتني لخدمته من هو خير منه اذ يكون في هذه الحال خادماً لا مخدوماً ومن اراد اقتناء الاشياء البديعة يجب ان يكون في حال تمكنه من المحافظة عليها فالجمال هو من الاشياء الثمينة جداً المحتاجة الى المدارة والخدمة والكلفة التي لا يمكن لكل انسان ان يقوم بها فجميع هذه الملاحظات كانت تعيقني عن طلب الزواج وانني احمد الله اذ منحني عقلاً منعني عن التهور وكنت في بعض الاحيان اناثر من لطفها وجمالها واطرز اسمها بالابيات الاتية

حمدت لاجلك عامنا الاعوامُ ‏ ‏ ‏ ‏ وتزينت بوجودك الايامُ
سجدت لطلعتك الانام جلالة ‏ ‏ ‏ ‏ وجثت لعزّ جمالك الاصنامُ
يا من عبدت وكنت اول عابد ‏ ‏ ‏ ‏ شهدت بصدق عبادتي الاسقامُ
بلغت محاسنك الملائك في العلى ‏ ‏ ‏ ‏ فغدا لهم مثلي هوى وغرامُ
هتفوا ونادوا كلهم بتخشع ‏ ‏ ‏ ‏ يا زينة الدنيا عليكِ سلامُ

وفي احد الايام كنت في بيروت مع ارمل غني فسالني هل تعرف فلانة في دمشق قلت نعم قال بلغني انك كنت تريد زواجها فلمَ لم تفعل قلت هي التي رفضت طلبي اذ يقتضي لمثلها رجل اعظم مني واغنى قلت ذلك لاسهل عليها امر الزواج وبعد مدة ذهب الى دمشق وتزوجها

شندين آغا

ان شندين آغا من عائلة معتبرة من قبيلة الاكراد وهو رئيس قبيلة الدقوري اتت من جهة ماردين وقد كان كريم النفس جداً فتح محلاً للضيافة حتى انهُ كان يوجد في كل يوم عنده عدد عظيم من الضيوف يأكلون ويشربون على مائدته وكان منزلهُ في الصالحية يجلس امامه على مقعد مخصوص وله عدة اولاد احدهم سعيد باشا الذي بعدما تقلب في مناصب عديدة اتصل ان يصير امير الحج وقضى حياته بهذه الوظيفة واصبح غنياً جداً وكان له ابنة وحيدة تزوجها احمد باشا اليوسف وتوفت في حياته وقد خلف معظم تركته الى حفيده الذي تعين مكانه في امارة الحج رغماً عن صغر سنه وهو باقٍ في امارة الحج حتى الان ويدعى عبد الرحمن باشا اليوسف وهو اغنى واكرم رجل في سوريا وقل من يكون غنياً كريماً وقد كان سعيد باشا اول متصرف تعين على البلقاء وتوفي بغنى عظيم

(شندين آغا والبدوي) امر احد ولاة الشام بشنق بدوي لذنب ارتكبه وبالصدفة كان شندين آغا حاضراً فتوسط لدى ولاة الامر حتى عفي عنه وبعد بضع سنوات تغيب شندين آغا عن دمشق لاسباب لا نعلمها وترك عائلته في الشام وكان كل سنة يأتي الى منزله شخص يدعي انه آتٍ من قبل شندين آغا ومعه كل مؤونة البيت من قمح وشعير وسمن وارز وما شاكل وظل على هذه الحال نحو اربع سنوات حتى حضر شندين آغا وعاد الى دمشق فساله اهل بيته عن الشخص الذي كان يرسل لهم معه مؤنتهم السنوية فتعجب من كلامهم وقال لهم انه في مدة غيابه لم يرسل شيئاً فاندهلوا لقوله وفي آخر السنة اتى ذات الشخص ومعه المؤنة المعتادة وقال لهم انها مرسلة من شندين آغا فخرج عندئذٍ لقائه وحين رآه عرفه فساله عن سبب عمله اجابه ارجوك

عتقي لانك من حين توسطت لي وخلصت حياتي اوقفتها لك واقسمت يميناً ان ثمرة اتعابي تكون كلها لك وها قد مرَّ عليَّ خمس سنوات اقدم لمنزلك كل ما اجنيه فعتقه شندين آغا شاكراً له هذه المروءة التي دعته ان يتذكر ما اجراه معهُ من المعروف فللهِ اين توجد هذه المروءة وهذا الكرم والوفاء

شندين اغا والسايح المسكوبي

في سنة ١٨٥٣ اتى الى دمشق سائح روسي وكان برفقته ترجمان عرّفه كل المحلات التي يؤمها السياح وبينما كان ماراً من امام منزل شندين آغا راه جالساً قرب باب بيته وحوله خلق كثير فسال السائح الترجمان عنه قال انه من اعيان البلد يتفرج السياح على منزله حين يأتون هذه الجهات فطلب ان يزوره وتقدم الترجمان يستأذن شندين آغا فسمح له بذلك واشترط عليه ان يتناول طعام الظهر عنده فقبل السائح هذا الشرط ولما احضروا الطعام جلس شندين آغا مع السائح في جهة وباقي الحضور في جهة الاخرى وكان السائح مسروراً جداً لرؤيتهم ياكلون بهذه الصفة ولما انتهى طعامهم وقاموا ودع شندين آغا وخرج فراى قرب الباب حصاناً عربياً مسرجاً بعدته الكاملة وهو من خيار الخيل فسال عنه قيل له انه هدية من الاغا لكم ويستحيل رفضه فتعجب السائح من هذا الكرم وشكر فضل شندين آغا ودوّن اسمه عنده ذكراً لهذه الحادثة

في سنة ١٨٥٤ اشهرت الدولة العلية بالاتفاق مع فرنسا وانكلترا الحرب على روسيا وحاصرت قلعة سيبستوبول وكانت الجنود العثمانية تجتمع من سائر انحاء المملكة وقد وقع بعض اسرى عثمانيين بيد الروس فاخذوهم الى داخلية البلاد وجمعوهم في محل ليفرقوهم على المدن وكان مديراً على التفريق احد القادة العظام رتبته جنرال فكان ياخذ اسم كل واحد وبلده واهله ولما انتهى الى رجل وطلب منه اسمه واسم ابيه قال له انه يدعى عبدالله آغا ابن شندين آغا من الشام فعند ذلك اخرجه القائد من الصف وقال له ابقَ هنا لوحدك فاضطرب عبدالله جداً وخاف خوفاً شديداً وبعد نهاية التفريق

احضر اليه القائد واخذه بعربته الى منزله وقال له هذه هي غرفتك وهذه العربة والمنزل والخدم كلهم تحت امرك ومصروفك تاخذه مني كل يوم عشر ريالات مسكوبية فانذهل عبد الله من هذه المعاملة غير المنتظرة وبقي على هذه الحال مدة شهرين حتى تم الصلح واعيدت الاسرى الى بلادها فاحضر له القائد اثنى عشر بدلة من سائر الاشكال واعطاه مايتين ريالاً مسكوبياً وودعه وقال لهُ اقرِ والدك شندين آغا سلامي وقل له ان السائح الذي اهديته الحصان لا زال يذكر معروفك وهو انا

وهنا يحق لنا العجب لاننا لم نستطع الحكم على ايهما اكرم ولكن هذه الصفات الممتازة من كليهما محبوبة جداً وتهز النفس طرباً وتسر السامع ولو بعد الف سنة لان الحادثة هي التي تؤثر في النفس ان خيراً او شراً

(محيي الدين) كان يرى هذا الرجل في الاسواق وهو شبه عارٍ من ملابسه وفي عنقه المسابح ويدعى الجذب ويطوف المدينة من محل الى محل اخر ياخذ ما يشآء من الخبز والفاكهة دون ان يتعرض لهُ احد وكان شهيراً جداً في المدينة ففي احد ايام الشتآء كنت جالساً في منزلي منفرداً واذ دخل حلاقي على غير ميعاد حلاقتي فسالته ماذا يريد على غير عادة اجاب اني اتيت اليك بمريض وهو محيي الدين الذي تراه في الاسواق متجولاً قلت ماذا افعل به وهو معتوه اجاب انه مصاب بعينيه ولا تظنه معتوهاً فترى منه ما يدهشك انما لا يقابلك الا منفرداً قلت ادخله عليَّ فدعاه ودخلا الى الغرفة وقفل الباب وراءه فقال لهُ اهداء وقل للطبيب مرضك فسالته عن مرضه واسبابه فاخبرني عنه وكان يملله لي بكل تعقل فوضعت له علاجاً وكلفته ان يرجع في اليوم الثاني ففعل وبعد اربعة ايام تم شفاؤه واراد ان يدفع لي اجرتي فابيتها لانني علمت ان بواسطته سانتفع كثيراً فسألته هل يوجد من يعتقد بك قال ان كثيراً من الناس يعتقدون بي الصلاح ويكرمونني وسالته هل يعرف منزل محمد بك الذي توفي منذ مدة قال اني اعرف كل من هناك فماذا تريد منهم قلت اسمع حكايتي معه

عندما قدمت الى الشام واعلنت انني طبيب درست في مصر اتاني كل ذوي العاهات اخصهم المزمنة الذين كانوا جربوا الاطباء الوطنيين وهم يأملون بكل طبيب

بجديد خبيراً على ظن انهُ يكون عارفاً دواءٓ جديداً فيرى الطبيب كثرة زبائنهُ فيظن بنفسهُ اغتنى ولكن لا يلبث ان يضمحل امله ويصبح كالاخرين ومن جملة من داويتهُ كان محمد بك دعيت لعيادتهُ ففحصتهُ ووجدتهُ مصاباً بالسل الرئوي فعلمت استحالة شفائهُ واخبرت اهلهُ بذلك فرجوني ان اصف لهُ علاجاً ليتسلى ولا يقطع املهُ فيعز به فكر الموت قبل حصوله قلت اما على هذا الشرط فلا باس ووضعت لهُ جرعة مسكنه وفي اليوم الثاني دعوني ايضاً وقالوا لي ان البك طلبك لانهُ ارتاح على علاجك ونام فاعدت لهم كلام الامس وان شفاءه يستحيل فقالوا لي هذا الرجل غني جداً وسيترك كل غناه ويموت ولا يهمه لو اخذت قليلاً من كثير من هذه التركة فامتثلت وصرت اكرر زياراتي الى ان توفي وبعد مدة ارسلت لورثته قائمة الحساب ولكن لم يكن من مجيب ومضت مدة طويلة وانا اطالب بمالي عندهم ولكن كنت كالكاتب على صفحات الماء اخيراً تركت هذه المساله ولم اعد اطالب بها ولم اشتكِ عليهم كي لا يقال اني طبيب وتشكيت على مريض عالجته ولما يئست من كل طرق الانسانية والسياسية ارتأيت ان التجيء الى الطريقة الدينية التي ساعدتني حين كان يسرقني خادمي مع الدخاخني فقلت لمحيي الدين هل يعتقد بك اهل هذا المنزل قال نعم قلت ارجوك ان تعمل طريقة تنولني حقي وتفي عن ذمة محمد بك ما عليه فقال لي غداً ان شاء الله يكون مالك عندك

وفي اليوم الثاني نحو الظهر حضر الى منزلي وكيل محمد بك يبلغني سلام عائلته ويطلب مني الحساب الذي لي عندهم قلت اني اترك هذا الحساب للاخرة والله يفعل ما يشاء فعندما سمع ذكر الاخرة ارتعب وقال سندفع لك حسابك حالاً غير اني ارجوك ان تخبرني عن المقدار الذي تطلبه قلت اربعين ريالاً فاستكثره وحاول تخفيض شيء منهُ فلم اقبل وقلت لهُ او ان تعطني المبلغ كلهُ او اتنازل عنهُ فذهب ورجع بعد ساعتين واعطاني ما طلبت

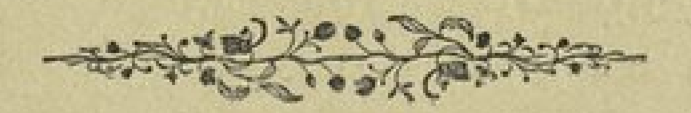
وفي اليوم الثاني حضر محيي الدين يسالني عن وصول المبلغ اليَّ فاجبته بالايجاب وسالته عن الطريقة التي عملها حتى نلت حقوقي فقال انني ذهبت قبل الفجر الى منزل محمد بك وصرت اقرع الباب بشدة حتى ذعر من في البيت وقاموا بدهشة وفتحوا الباب

وحين راوني سالوني عما اريد فطلبت مقابلة اصحاب المنزل ولما رايتهم قلت لهم ان محمد بك مديون لشخص قبل وفاته وان لم تفوا الدين الذي عليه يؤخذ منه دينه في الاخرة بدل دينه والرجل قد خلف ثروة عظيمة فلماذا لا تفوا الدين الذي عليه لطبيب وهو زهيد جداً فحالاً امروا الوكيل ان يأتي ويدفع لك مهما طلبت فشكرت فضله واردت اعطاءه خمس ريالات فرفض قبولها

افتكاري بالدين

بقطع النظر عما نعلمه بل ما استنتجه فكري

فمن الان وصاعداً صرت شاكر القائم بافكاره وابتداء هذه المباحث كنت بسن الثلاثين بعد هاتين الحادثتين الاولى مسيحية وهي قصة خادمي مع بائع الدخان والثانية اسلامية وهي حكاية محي الدين ابتدأت افتكر بمنافع الدين مع انني كنت كفرت بكل دين بعد حادثة الخوري موسى وصرت افتكر واميز بين الدين وخادمه وقلت بذاتي اذا كان الخادم فاسداً او شريراً فما ذنب المخدوم واعمال الخوري موسى ليست من الدين ولا هو يامره بها بل من شخصياته الخارجة عن وظيفته الدينية وحيث ان دمشق هي من البلاد التي تخول الانسان راحة الافتكار والتامل لقلة الشغل فيها خصوصاً في فصل الشتاء حيث يلازم بيته فنظراً لوحدتي دون امراة ولا عائلة كنت اتسلى اما بالقراءة او بالكتابة خصوصاً بالافتكار في كل الامور الدينية فكنت تارة اشك بها وطوراً اصدقها حسب العوامل والتاثيرات التي كانت تطرأ عليَّ اخيراً ارتأيت ان ادع المجال لافكاري الخصوصية واقدم البراهين من نفسي لنفسي بصرف النظر عما كنت اقراه في الكتب الدينية والتي ضدها كمؤلفات فولتير وروسو وخلافهما لانني في مدة وجودي بالشام كنت اطالع كل هذه الكتب لان كما قلت قلة الشغل تعمل هذه الامور فارتايت ان افتكر وابرهن لذاتي باصل كل دين وعلته وقلت ان اساس كل دين هو



الله

قالت الاديان ان الله هو اول كل اول ومبدع كل شيء المنظم والمحافظ المحيي والمميت القادر المطلق فهذه الصفات الالهية بعقل كل انسان قد اختلفوا في تمثيلها فالبعض اتخذ صنماً واعطاه هذه الصفات والبعض جعله ثورًا او قطًا او حيواناً من الحيوانات واخيرًا قالوا ان لا صورة ولا مثال لهُ كل فئة قالت عنه حسب ما ارتأته ولكن اوصاف الاله العمومية واحدة

وحيث ان الصانع بعرف من صنعته قالوا ان الطبيعة صنعة الخالق وبما اني درست الطب الذي هو عبارة عن درس الطبيعة ارتايت ان اقابل الطبيعة بالصنائع التي اخترعها العقل وارى المشابهة التي بينها فتبقى المشابهة بين فاعلين

فالعلوم التي اخترعها الانسان من عقله دون ان يشارك بها اشغال الجد هي

اولاً   القرآءة والكتابة

ثانياً   علم الشعر

ثالثاً   علم الموسيقى

رابعاً   علم الحساب

وبعض علوم اخرى

كيف اخترع الانسان القرآءة والكتابة

لاجل وصول الانسان الى هذه الدرجة ابتدا باختراع وضع الاحرف الهجائية التي هي عبارة عن مخارج الصوت فقال عن صوت اس علامة دعاها سيناً وعن صوت بب اشارة سماها با، وجمع من هذه المخارج علامات حسب اختلاف اللغات بعضها اربعة وعشرين وغيرها ثمانية وعشرين واصبح كل حرف من هذه المخارج يدل على صوت دون الدلالة على معنى ولاجل دلالة المعنى وجب اجتماع حرفين على الاقل مثلاً اذا اجتمع حرف الالف بالبا، تكونت منهما لفظة اب وهي تدل على حيوان متزوج له امرأة وولد واذ اضفت الى هذه الكلمة لفظة اخرى زاد المعنى مثلاً لو زدنا على كلمة

اب لفظة ضرب تصورنا هذا الحيوان الكبير رفع يده وسقط على آخر وهو فعل الاب ولو اضفنا على هاتين الكلمتين كلمة ثالثة وهي ابن نعرف ان الاب ضرب الابن ولكي نعلم اي ابن ضرب نزيد عليه حرف الهاء التي تنسب هذا الابن الى ابيه فنقول ان الاب ضرب ابنه وهكذا كلما اضفنا كلمة الى اخرى تزيد المعاني التي تحد البشر بالفهم بحيث ان هذه الاحرف اذا اضيف لبعضها مع قلتها يؤلف منها ملايين من الالفاظ والمعاني . هذه هي اول صنعة العقل تكونت من البسيط وترقت الى المركب ومن الفرد الى الجملة ومنها تألفت صنعة القرآة والكتابة

(الشعر) مؤلف من اسباب واوتاد وفواصل متى ربطت ببعضها صارت شعراً ومن الشعر القصيدة ومنه الديوان والمبداء واحد من البسيط الى المركب

(الموسيقى) مؤلفة من سبع طبقات اعتبارها في الموسيقى اعتبار الاحرف في القراة والكتابة وهي في الموسيقى الافرنجية دو ري مي فا سو لا سي وفي الموسيقى العربية الرصد والدوكا والسيكا والجهاركا والنوى والحسيني والماهور وكلها اسماء فارسية الاصل الدوكا المقام الثاني السيكا الثالث وهلمّ جرا ومن اجتماعها ببعضها تتكون الانغام والالحان

(الحساب) يتكون من تسع مقامات وهي من الواحد الى التاسع ١٢٣٤٥٦٧ ٨٩ فانتقال كل رقم الى يسار اخر يزيد عشرة اضعاف وهكذا الى ما لا نهاية له هذه هي بالاختصار الصنائع التى اخترعها العقل البشري فلننظر الى الطبيعة

(صنعة الطبيعة) فلنفحص صنعة الطبيعة ولنرى اذا كانت تشبه في تأليفها الصنائع العقلية لنبداء بتحليل الطبيعة المكونة من ثلاث ممالك وهي المملكة الجامدة والمملكة النباتية والمملكة الحيوانية فنراها مؤلفة من احرف هجائية كصنعة الكتابة وهذه الاحرف هي الاجسام البسيطة التي عرف منها حتى الان ٧٢ جسم كالاوكسجين والهيدروجين والازوت وكل من هذه الاجسام لا منفعة له بذاته ولكن متى اجتمع مع رفيقه كوّن معنى فالاوكسجين بحد ذاته محرق والهيدروجين مطفي فلو اتحدا مع بعضهما يتكون الماء الذي هو اصل كل شيء حي وكذلك لو اختلط الاوكسجين بالازوت يتولد الهواء الذي هو حياة النبات والحيوان وكما انه باجتماع بعض الحروف يتولد ملايين من

الالفاظ والمعاني كذلك باجتماع هذه الاجسام يتولد ملايين من الكائنات فينتج من ذلك ان الطبيعة هي صنعة كصنعة الكتابة والقراءة وحيث ان هذه اخترعها العقل لذلك وجب ان يكون مخترع الطبيعة عقل عظيم لا يمكن ادراكه كما لا نستطيع ادراك صناعته وهذا الصانع ندعوه الله

وحيث ان الطبيعة محفوظة للان بقوانينها ونواميسها ولا يمكنها ان تحيد عنها فلا بد ان يكون الذي اوجدها محافظاً عليها كي لا تخل بوظائفها اذ لو تركها لكانت تلاشت كما تتلاشى الصنائع العقلية لو اهملت هذا ما ارتأينا اثباته برهاناً على وجود الخالق الحافظ

الدين

هو خضوع الانسان لقوة اوجدته وتحييه وتميته وقد خلق الانسان ليكون ديناً لان الاسباب التي جعلته يفتكر بقوة اعظم منه مغروسة فيه وهذه الاسباب هي الموت والمصائب والمؤذيات اذ يعتقد ان موته صادر عن قوة عظيمة تقضي عليه بذلك فيسترحم منها خاضعاً متواضعاً ان تبعد عنه زمن الموت مدة من الزمن واذا سقط في مصيبة لا يستطيع النجاة منها او ينقذ ذويه منها يرتفع عقله حالاً الى قوة غير منظورة لهذا نرى الانسان لا يذكر الدين الا في ابان الشدائد ولذلك يقولون استفقاد الله رحمه في هكذا ظروف ولكن هنا الشطط لان ليس الله يفتقد المصاب بل هو يستفقد الله اذ يرفع نفسه اليه ومن جملة الاسباب التي تدعو الانسان لاعتبار الدين هو حبه لراحته وتجنب تعبه فلما راى نفسه عاجزاً عن هذا الامر بذاته التجأ لقوة اعظم منه طلب منها راحته وابعاد تعبه ولذلك قسم اعماله الى قسمين قسمي ما نفعه واراحه خيراً وما ضره واتعبه شراً ولهذا اوجدت بعض الاديان كمذهب رزدشت عند قدماء الفرس الهاً للخير والهاً للشر وكل دين مؤلف من ثلاثة امور

الاول الاعتقاد بقوة عامة قادرة على كل شي تجازي او تعاقب

الثاني الوسيط بين هذه القوة والبشر

الثالث الشريعة

وتنقسم الشريعة الى ثلاثة اقسام

الاول واجبات الانسان نحو خالقه

الثاني واجباته نحو قريبه

الثالث واجباته نحو نفسه

وحيث تكلمنا عن الخالق واثبتنا وجوده فلنتكلم عن القسم الثاني وهم المتشرعون اللذين ظهروا قبل الاديان المنزلة

(المتشرعون) لا يخفى انه منذ ابتداء العالم ظهر كثير من المتشرعين ففي الهند والصين بوذا و كنفوسيوس الذي هو اعظم القدماء بادييانه العظيمة ومن جملة اقواله انسى الاسى ولا تنسى الجميل . امنع الشرّ كي لا تتعب في قصاصه . لا يمكن تحكم عائلتك ما لم تعطها المثل وهكذا جملة حكم وفي العجم زردشت وفي اليونان سولون وفي مصر منس وكذلك عند باقي الامم القديمة ظهر متشرعون وكما قلنا ان الصفات التي اعطيت للخالق واحدة فكذلك الصفات التي اعطيت لكل متشرع واحدة ولو اختلفت الاسماء لان كل من سن شريعة موافقة للهيئة الاجتماعية تمنع الضرر عن القريب وتنفع الغير انه ممتاز من الله عن باقي البشر بعقله السامي وكذلك لما خصه به الله من الهبات وظروف الزمن فكيفما كان الحال فهو رجل خير مني ميزه الله عني يلزم اعتباره وقد ظهر كل منهم في زمن مختلف وسن كل شريعة توافق زمانه وبلاده واحتياجات اهل ذاك الزمن فينتج من هذا ان كل متشرع صنع ما يوافق احكام زمانه ولو فحصنا ما امر به كل منهم تراهم متفقين في المبدا فلو سمعنا عظة صينية او هندية او يابانية نراها واحدة لا يمكن تمييز واحد عن آخر وحيث كلامهم وشرائعهم لجهة الخلق وعبادة الخالق واحدة تصور عندهم الاعتقاد بالتقنض مثلاً ان المتشرع الفلاني ظهر من الف سنة وقال كذ وكذا ثم بعد الف ظهر اخر وقال مثل الاول فيكون هذا ذاك اي روحه وانه لبس قميصاً جديدة وهو الجسد وكذلك نقول اذا كان شخص عنده مبادي شخص اخر ان هذا من روح ذاك اعتباراً ان كلمة فلان او مبداه هي روحه وهي هو لان اذا صدر امر سلطاني الذي هو كلمته يلزم الخضوع له كالخضوع لآمره لان امره هو نفسه اما جعلهم اختصاصات لكل مذهب فهذا لا يمس الجوهر

(خلفا المتشرعين) حيث ان كل انسان معرض للموت لا يمكنهُ الخلود وكان المتشرعون قد سنوا شرائعهم واحبوا ان يبقوها بعدهم وجب ان يقوم مقامهم بعد وفاتهم من يامر باوامرهم وينهي بنواهيهم فسموا هولاء خلفاء واناطوا بهم المحافظة عَلَى شريعتهم لذلك يجب اعتبار الخلف كالسلف او كاعتبار الشريعة التي يحافظ عليها ويتلاشى المذهب عندما تتلاشى الجمعية المحافظة عليه فهكذا كانت تتلاشى عبادة الثور عندما تلاشت كهنته وهكذا كل مذهبٍ وتتلاشى المحافظون عند منع تعليم هذا المذهب الى الصغار لانهم يشبون عَلَى غير افكار وغير مذهب ولذلك اعظم شيء للاشاة دين هو عدم المدارس لتعليمه

(الشهداء) هم المحافظون عَلَى الشريعة والمحامون عنها المائتون لاجلها وباعتقادي ان اول معجزة اتوها هي محافظتهم عَلَى مبداهم وموتهم لاجله فالذين قضوا لمحافظتهم عَلَى حياة ورفاهية الناس فيحق لهم الاعتبار الحقيقي لانهم افنوا حياتهم بتعليم الاداب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . قد زارني احد تلامذة الطب وكان غير مسيحي فاخذتهُ يزور المدرسة الطبية ثم بعد ذلك اخذتهُ الى كلية الياسوعية الذي يوجد في ساحتها شخص مار يوسف فالتفت اليَّ وقال ما هذا فهل تعبد الاصنام وهل تعتبر هذا الشخص فاجبتهُ بكل رواق ان هذه الاشخاص عندنا تمثل الفضيله ليس كصنم باعال والثور ولكل شخصٍ عندنا فضيلة اشتهر بها فنجعل تمثاله تذكرة لفضائله التي نُكرم لاجلها فلو مررت عَلَى تمثال نابوليون الاول اما تحني رأسك للشجاعة المتجسدة في هذا الشخص وهكذا نحن نعتبر كل واحد من هولاء لاجل الفضيلة التي امتاز بها ولاجل تجرء الاحيا والاقتدا به وكذلك فكر زمني ايضاً ان هذا الشخص الذي تراه هو شخص مار يوسف الذي ربى المسيح في صغره فلولاه لما كانت هذه المدرسة ولا المدرسة الطبية لان اعتقاد الياسوعيين بهِ جلبهم الى هذه الديار وجمعوا دارهم من امريكا واوربا وبنوا لنا هذه المدارس النافعة لنا وسبب نفعهم هو اعتقادهم بهذا الشخص فانا اكرمهُ فعند ذلك رفع طربوشهُ وقال وانا اكرمهُ ايضاً لهذه الاسباب

هذا فكرنا بشان المتشرعين وخلفائهم والاوليا. ولنتكلم الان عن القسم الثالث من

الدين وهو الشريعة

الشريعة

هي القسم الذي عليه اهمية العمل وهي التي تخضع لها العقول وتسهل الايمان لان العقل البشري لا يستطيع ادراك الاعتقاد مهما كان الدين بسيطاً ولا يمكنه استعمال عقله لان لا عقل يفهم الاعتقاد فاي عقل يسلم بعبادة الثور والقط والتمساح وانهم الهة ولكنه يدرك الشريعة لانها تامر بالنافع وتنهي عن المضر وايمان الشخص بمن وضعها يكون حسب منفعتها فمتى راها الانسان نافعة لا يلتفت الى عقائد ايمانه بها مثلاً لو دعي طبيب لعيادة مريض فانه يطلب منه دواء دائه لا تفصيل العلاج وتعليمه الصناعة وشفاؤه من مرضه يكسبه الثقة بالطبيب ولو لم يعرف تفصيل صنعته وابوابها وكل شريعة تنوعت حسب الزمن والحالة والاحتياج

فالشريعة هي دواء الهيئة الاجتماعيـة وسبب شفائها وحين رات بها المنافع آمنت بكل ما قيل عن منزلها

فالباري تعالى اوجد الشريعة لاجل نفع البشر لا لنفعه لانه اذا كان قد امر بعدم القتل فلا لانه يخشى احداً يقتله بل شفقة عَلى مخلوقاته وحيث ان الشرائع وجدت لنفعنا ورحمة لنا فلذلك الهيئة الاجتماعيـة هي وكيلتها عَلى الارض وهذه الهيئة وكل شخص عنها فمن احبته احبه الله ومن ابغضته بغضه فلهذا نرى ان حفظ الشريعة ضروري لنا اذ لولاها لما كانت هيئة اجتماعية ولا اتفق انسان مع رفيقه بل بقي كل انسان لمفرده يعيش كالحيوانات عَلى مجرد اهوائه فمن الضروري اذاً وجود شرائع وقوانين في كل عمل يشترك فيه شخصان او اكثر

(الشريعة الطبيعية) اذا لاحظنا الانسان عَلى ما هو عليه نرى ان الشريعة مغروسة فيه لا يمكنه ان يعيش بدونها فهو حيوان قابل للاشتراك مع اخر وحيث وجد الاشتراك وجد القانون لذلك ولكي يأمن كل واحد عَلى حقوقه سنت لهُ الشريعة التي منها لا تقتل لا تسرق ولو زدنا تدقيقاً في هذا الشان نرى ان العشر وصايا خلقت في كل منا قبل نزولها كتابـة ويدلنـا عَلى ذلك حال البشر الذين وجدوا قبل موسى

الكليم الاول

واول ما اشتراك الانسان مع زوجته ثم اولاده فتالفت عائلة واتحدت هذه مع اخرى لاجل رفع الضرر عنهما من السوى كمقاومة الحيوانات الكاسرة والتعاضد على بناء منازل تقيهما حرارة الصيف وبرد الشتآء ولمنع الحيوانات عن مزاحمتهما الغذا ولو كانت العائلات تفعل ببعضها ما تفعله الحيوانات فلا يلزم والحالة هذه الاشتراك ومن هذا الاتحاد تكون الشعب وهكذا الى ما لا نهاية له وكلما زاد تمدن الانسان زادت شرائعهُ حتى اصبح له في كل حركة ومع كل شخص قانون فلرجل وامراته قانون وبينه وبين اولاده قانون اخر وشريعة وهلم جرى وتناقلت الشرائع من الافراد الى الجموع ومنهم الى الشعوب والممالك وهكذا تجرد الانسان عن قواه الحيوانية واصبح الحق قوته المجردة

ولو لاحظنا القوانين المنتشرة الان من دينية وسياسية وادبية وتجارية تراها كلها تصبوا الى غاية واحدة وهي عدم ضرر القريب والتفتيش عَلَى النفع فالقوانين الدينية تحكم عَلَى الضمير وهي اقوى شكيمة والسياسية تحكم عَلَى الاعمال الظاهرة وكذلك المدنية اما حاكم الضمير والعقل فله السلطة التي لا تنازع لا ترى هيئة بدون دين فطبيعة الانسان اوجبت له الشرائع وحبه للتملك الخصوصي سن لهُ القانون

واصل هذه للشرايع الامرأة فكل الاديان جعلتها السبب الاول في استعباد الرجل فانه حين راى الامراة واراد تخصيصها لذاته نزلت عليه وصية لا تزن وعندما اراد ان يجمع مالاً بتعبه ويتملك ارضاً يسكنها بدون معارض نزلت لهُ وصية لا تسرق وعندما خاف من قوي يقتله ويأخذ امراته منه اوماله نزلت وصية لا تقتل كل شريعة او قانون وجدا لردع شهوة الانسان المضرة بقريبه وبمقدار هذه الشهوات تكون الشرائع وهكذا اصبح الانسان اسير الشرائع التي تخلص منها الحيوان وكل ذلك من طمعه بالتخصيص لهُ دون رفيقه فلاجل منع هذه التعديات عن القريب المخصص نفسه انزل الدين والحكم والمحامات وخضع الانسان لهم وبقيت الحيوانات مستريحة منهم فلا تجد حيواناً يركع امام اخر ويقول له باركني يا سيدنا او يقدم معروضاً الى رفيقه ويقول له يعرض عبد سعادتكم فكل هذا اوجبه طمعنا

وحب التخصيص وقد اصبح ضروري لنا اذا اعتبرنا الانسان الذي كان في حالة منفردة واصبح فيما بعد عضواً في الهيئة الاجتماعية لحتمنا بوجوب وجود شرائع وقوانين دينيــة له اولاً لانها هي التي طمنت فكره وجعلته يأمن لقريبه وكانت علة الاجتماع وحين اجتمع وارتاح فكره تشارك بالعمل والافكار مع قريبه فتولدت الشرائع السيا سيــة والصنائع والاكتشافات وبناء المدن واختراع كل شيء نافع للهيئة وان الانسان فضلاً عن المنافع التي يأملها في الحياة الاخرى بواسطة الشرائع الدينية نرى منافعها عديدة في هذه الدنيا ايضاً فلنفحص منافعها لنا في حياتنا ونفحص الوصايا العشر التي هي اساس كل دين وشريعة فنقول

منافع الدين في الدنيا

« الوصية الاولى » انا هو الرب الهك لا يكن لك اله غيري

المنافع الدنيوية لهذه الوصية هي اولاً راحة الضمير بالاعتقاد باله واحد قوي قادر عَلَى كل شيء ينتقم من المعتدي و يسعف في المصائب شفيق رحيم يكافىء عَلَى احتمال النوائب والاتعاب وكم من راحة يجد الانسان في هذا الامل فتراه في مصائبه مرتاحاً وفي احزانه مسروراً يصبر لكل ما اصابه آملاً بالمكافأة و بالحقيقة ان المؤمن يتمتع في السعادة الموعود بها في السماء وهو عَلَى الارض

وعكس ذلك من لا يؤمن بهذه القوة الروحية المسعفة فتراه في حزن دائم من يأسه من كل ما هو حواليه فيرى مصيبته لا نهاية لها ولا يرجو مكافأة لصبره فهذه الحالة المتعبة المقلقة تكفيه قصاصاً لمخالفة هذه الوصية كما ان ايمانه يكفيه مكافأة فيقاسي الاول عذاب جهنم عَلَى الارض و يذوق الثاني حلاوة السعادة لان الله هو امل واشقى الناس من قطع امله

وهناك براهين اخرى كثيرة لاحاجة لذكرها هنا واهم ما قيل في الاعتقاد بالله هو اعتقاد السوى وهذا الذي يمنع الاذى اذ لو تلاشى اسم الله لتلاشت الارض واصبح الانسان حيواناً مفترساً فالله هو حافظ الدنيا وما عليها وهو بقلب كل انسان واليه مرجع كل عمل

« الوصية الثانية » لا تحلف باسم الله باطلاً

الصدق هو الرباط الوحيد للمعاملات البشرية وضده الكذب والكاذب لا يعامله احد من الناس والحلف باسم الله بلا سبب موجب هو علامة الكذب وقد قال المثل لا تصدق الرجل الذي يحلف بلا داعٍ ولا الامرأة الذي تبكي بسرعة وسبب ذلك ان الكاذب يحلف حتى يوهم للسامع صدقه ويخفي كذبه كاللون الاحمر الذي تتحلى به ذات اللون الاسود · والحلف بالله يدل عَلى عدم اعتقاد الحالف به ومتي كان شخص غير مؤمن فقد حل من رباط الانسانية والهيئة الاجتماعية لان الله هو رابطها الوحيد ومن لا يؤمن بالله يستحل جميع المعاصي فتنفر الناس منهُ وتقطع معاملاتها معهُ ويعيش ذليلاً مهاناً وبالعكس متى صدق ينال كل خير لان اي من كان يأتمنه ويسلمه

« الوصية الثالثة » احفظ ايام السبت

منافع هذه الوصية صحية اذ لا بد للانسان من راحة اعضائه لتجديد قوتها وقد وجد ان الذين يداومون عَلى الشغل بلا استراحة يتضررون فكما ان الجسم يرتاح يومياً بالنوم لا بد له من استراحة عمومية كل ثمانية ايام وقد ارتأى الفرنساويون ابان ثورتهم ان يجعلوها كل عشرة ايام فما استطاعوا والمحافظة عَلى هذه الوصية تكسب الجسم راحة وتروض الفكر وتهذب الاخلاق اذ لا بد للانسان في هذا اليوم من حضور حفلة دينية او زيارة كنيسة تدعى بيت الله

هل الكنيسة بيت الله حقيقة وهو محصور فيها مع انه مالىء كل الكائنات السماء والارض كلا لعمري بل هذا المحل يفكرنا بالله ولا يجعلنا نعمل ما يخالف اوامره بل نطيع وصاياه ونجتنب نواهيه ونجلس فيه كاننا جالسون امام الله ولهذا عدت لكنيسة بيت الله حقيقة وبسبب هذه الزيارة ترجع الافكار الدينية الى مخيلة الانسان فيكبح شهواته ولو عَلى افتراض غضب من قريبه واراد اذيته ومرَّ في تلك الساعة عَلى معبدٍ ودخله له فمتى خرج من الكنيسة تضمحل منهُ هذه الافكار الشريرة · هذا ما تفعله الكنيسة وتؤثر بهِ عَلى الداخلين اليها اما الصلاة فما هي الا طلب المساعدة في الاحتياج والتوفيق ورفع الضرر فيتعاهد الانسان ثانية مع الله ويتذكر دائماً

وصاياه ويحفظها · هذا هو التأثير الادبي ليوم السبت اما مكافاته فالراحة الجسدية والعقلية ينالها من يتبع هذه الوصية والعكس من خالفها وداوم على الشغل والتهى بملذاته ونسي زيارة الكنيسة والصلاة فانه يتبع شهواته التي تضره وتضر قريبه وعواقبها الوخيمة التي تطرأ عليه في المستقبل هي اعظم قصاص له

«الوصية الرابعة» اكرم اباك وامك

فالباري تعالى الذي اوجد كل الاشياء للانسان لم يخلقها مباشرة بل جعل لها واسطة وواسطة خليقة الانسان ابوه وامهُ وهما الصلة بين الله والانسان وكما ان الآمر يؤدى لهُ الاكرام فكذلك يجب ان يؤدى لمأموره لهذا يجب ان تكرم واسطة الخليقة لانها هي الموكلة من قبل الخالق لاعطاء الحياة والمحافظة عليها فاذا كان الانسان يقدم لرجل اضافهُ واعطاه ما يلزمهُ ويسهر عليه كل ساعة ويفدي نفسهُ حتى الموت عنهُ كل اكرام واحترام فماذا يجب عليه ان يفعل للاب والام فبالطاعة والاكرام والمحبة تكون لذة الضمير وراحة الافكار ونجاح الاعمال لان الوالدين لا يشوران على الولد الا ما فيهِ صالحه · ومتى عرف الناس شخصاً يكرم والديه يقدمون لهُ الاعتبار والاحترام فاللذة الداخلية والهناء والراحة واكرام الناس هو اعظم مكافاة في هذه الدنيا وعكس ذلك اذا كان الانسان لا يكرم والديه ولا يحترمها فانه لا يرى في الناس صديقاً او مسعفاً اذ يقال عنهُ اذا كان لم يرعَ ذمام من اوجده ورباه وعلمه وهذبه فكيف يحفظ صداقة الغير ولهذا يتركهُ الجميع وان اصابته مصيبة لا يجد من يشفق عليهِ بل يقال انهُ استحقها ومن يخالف رأيهم يتبع شهواته فيسقط في شر اعماله ويكون قصاصهُ في هذه الدنيا تبكيت ضميره بتقصيره في اكرام والديهِ واحتقار الناس لهُ وخذلانهِ من حيث يؤمل نجاحاً واهم تجربة يمكن بها اختبار الانسان وهل يمكن صداقته ام لا هو النظر الى معاملتهُ لوالديهِ فان كان ملتفتاً لها مكرساً نفسه لخدمتها غيوراً على مصالحها فصداقته تكن نافعة يجب التمسك بها والعكس بالعكس ومن المقرر ان ما يصنعه الانسان مع والديه يأتيهِ يوم يصنع فيهِ اولاده معه ما صنع لانهم يقتدون بهِ في حركاته واعماله ومبادئه

«الوصية الخامسة» لا تقتل

من خالف هذه الوصية يقتله الحاكم او اهل القتيل واذا اختفى او تمكن من النجاة يبقي ابداً فكره مضطرباً خائفاً وجلاً كلما سمع خبراً عن القتيل فيضطر للفرار ومغادرة ولده وبلده ووطنه وعائلته ويصير مكروهاً من الناس معرضاً للقتل في كل آن ومكان اذ يستسهل والحالة هذه عمل كل شيء اما من سامح فيكتسب محبة عدوه الذي يصير صديقاً لهُ بعد هذا السماح ويرتاح من كل مشقات العداوة والانتقام وهذ مكافأته عن ذلك

«الوصية السادسة» لا تزنِ

اذا تعرض زانٍ لامراة متزوجة ودرى به زوجها فانه يعرض نفسه للقتل وان كانت بكراً او ثيباً فاهلها يفعلون به ذات الامر ولكم يضيع الزاني وقته بالبحث على قضاء شهواته و بصرف ماله لزواله فيخسر اوقاته ويقل شغله ويمسى فقيراً ولذا قالت الامثال بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين ناهيك عن اضرار صحته والامراض التي تعتريه وتنهك جسده وتجعل الناس يتجنبونه وان نتج من هذا الزنا مولود فانهُ يضطر لتحمل مصاريفه واتعابه لغيره فكانه يسرق مال غيره لان محبة الوالد قائمة بتحققه ان المولود من نسله ويكفي لرجل له ولد ان تقول له امراته ان هذا الولد ليس من نسلك بل هو ابن سواك فيكره هذا الولد كرهاً لا يمثل له او يقال له هذا ولدكم ولو لم يكن ليحبه

(حادثة)

جاءتني امرأة وابنتها وطلبت مني دواء لاسقاط جنين فتاتها الحبلى من شهرين وقالت انها اختلفت مع خطيبها على الف غرش ثم المت هذه المصيبة بالفتاة وترغب ملافاتها اجبتها ان ما تطلبينه لا يمكن لطبيب ان يجريه اذ هو محرم عليه ديناً ووظيفة ولو فرض انك وجدت طبيباً او قابلة لاجراء هذا الامر فيكلفك اكثر من الف غرش المختلفة عليها مع خطيب ابنتك ناهيك عن الاخطار والامراض وقد قلت لها هذا الامر واخفتها من عواقبه كي لا تذهب الى قابلة او الى احد الدجالين فيجيبها الى طلبها وبعد نحو سنة اتاني رجل معهُ ولد مريض بعينيه وزوجته فاخذت الولد لاكشف على عينيه فبكي وكان الاب يقبله بلهفة ويرجوني ان لا اوجعه فنظرت

الى الام وعرفتها انها تلك الابنة التي انت اليَّ وطلبت مني امها اسقاط جنينها والوالد معتقد كل الاعتقاد انه ولده ولد في الشهر السابع اذ سالني هل يعيش السباعي اجبتهُ دون شك وكانت امرانه تنظر الي وتبسم فكيف يطاوعها ضميرها باعطاء ولد لرجل غريب يقضي تعبهُ وشغل اذكاره طول حياته لاجل هذا الولد ولو كانت عملت ما جاءت تطلبه مني لكانت تلفت صحتها ناهيك عما تقاسيه من الزل اذا افتضح امرها

« الوصية السابعة » لا تسرق

ان مخالفة هذه الوصية تحدث مضرات عديدة لمن يرتكبها واهما انهُ اذا عرف السارق تجازيه الحكومة عدا الاتعاب والسهر والاخطار والخطر من القتل التي يتعرض لها عند ارتكابه هذا الامر وكم من مرة لا يجتني ثمرة من اتعابه سوى النصب ولا تجد احداً يفتني بسرعه ويفتقر حالاً سوى السارق اذ تراه في الصباح فقيراً وعند المساء غنياً اذ يستسهل صرف المال لسهولة نواله وقيل ان للسارق صلاة مخصوصة يقول فيها يا الهي لا اكانك ترزقني مالاً بل اهدني عَلى محل وانا ضمين بالحصول عليه واعظم ضرر يناله السارق هو سلب الامنية منه فيكون مطروداً من الجميع محتقراً لا يخالطه احد ولا يعاشره حتى ان رفيقه بالسرقة يتنكر منه ويخافه ابوه وامه ويطردانه

ولو افترض ان لصين سرقا مبلغاً واقتسماه واراد كل واحد ان يودع قسمه بمحل فلا يأمن لرفيقه ولذلك ترى كل ارباب المعاصي يأتمنون بعضهم الا اللصوص واهم صفة يتميز فيها السارق هي الجبن والذل

« الوصية الثامنة » لا تشهد بالزور

من المعلوم ان الشاهد زوراً في مسألة يكون كأنه ارتكبها بذاته لذلك ترى الشرائع المدنيـة تفرض عليه قصاص من ارتكب هذه الجريمـة ويكون شاهد الزور كمرتكب لكل المعاصي فهو شر من القاتل والسارق والزاني وهو مضر بالهيئة الاجتماعية اكثر من سواه وهو مكروه مرذول لا يقترب اليه احد

« الوصية التاسعة والعاشرة » لا تشتهي امرأة قريبك ولا تشتهِ مقتنى غيرك

ان مخالفة هاتين الوصيتين كمخالفـة الوصيتين السادسة والسابعة واخص احرازها الكدر الدائم لعدم حصول مرتكبهما عَلى شهواته فيتولد فيه الحسد المخالف لسائر المعاصي

لان بباقي الرذائل يشعر الانسان بلذة وقتية او منفعة قليلة اما الحسد فلا لذة له ولا منفعة لانه يجلب الكدر وهذه هي المعصية القاهرة التي تؤثر دائماً على صاحبها ولذلك ترى دائماً الحساد في شرور وهم ادرباء ذوي وجوه عابسة يتغير لونهم لكل خبر خيري

وهناك وصايا اخرى ضد الكبرياء والشره والحسد والنميمة وما اشبه من الرذائل التي تسبب ضرراً لفاعليها وبالاختصار ان الفضيلة هي التي تجلب الخير بعكس الرزيلة وحيث ما وجدت الفضيلة تكون محبوبة بصرف النظر عن فاعلها

(حادثة)

اصاب الكلاب في احدى السنين داء الكلب فامرت الحكومة بتسميم كل الكلاب وذلك بان تطرح لها قطعة لحم فيها مقدار معين من الستركنين وصدف ان اكلت كلبة من اللحم فتسممت وماتت وكان لها اجروة صغيرة لا تستطيع الزحف فحنن الله عليها كلبة غريبة كانت تاتي وترضعها كل يوم مرتين ففي احد الايام رأيت بوليساً مجهزاً قطعة لحم مسمومة يريد ان يطعمها لهذه الكلبة فرجوتهُ ان لا يفعل لانني كنت اشاهدها كل يوم واخبرتهُ ما تفعل مع الاجروة الصغار فتخشع وتحنن قلبه عليها واعطاها قطعة لحم غير مسموم وكنا نحامي عنها كمحامتنا عن شيء عزيز . فاذا كانت الفضيلة تعتبر في البهائم فكيف بها في البشر

هذه هي الافكار التي كانت تشغلني والتي اعتقدت بنتائجها الحسنة حسب عقلي وسرت على موجبها لانها نتيجة تعقلي الخصوصي ولست اجبر سواي على اتباعها لان لكل انسان شريعة يوحيها اليها ضميره

(اكوب مكر)

بينما كانت هذه الافكار تشغلني في احدى الليالي فعل بي النعاس فنمت وبعد ساعتين سمعت قرع الباب بشدة فاستيقظت الخادمة وفتحتهُ فاذا برجل يدعوني لمعاينة رجل تقوّص وكان منزل المريض قريباً منا فتوجهت ورأيت اكوب الخياط الارمني ملقى على سريره وكان يحب الصيد فاخبرني انهُ اصطاد في ذلك اليوم مع اخيه جملة طيور اهداها الى تنصل ايطاليا لانهُ يخيط له ملابسهُ ولما رجع اخوه سأله عن الطيور فاخبره

ما فعل لخنق منهُ وقال يمكنك ان تهدي ما يخصك لا ما يخصني وقد قضيت النهار بطوله راكضاً ولم انتفع شيئاً وادى به الخصام الى درجة حمق شديدة وناما بعد ذلك لانهما يقطنان غرفة واحدة وبعد ان نام اكوب شعر برصاصة في اذنه فانتبه وصرخ ودعاني لعيادته اما اخوه فكان قد هرب ولما رأيتهُ يتكلم جيداً ويخبر الحادثة بلا انزعاج فحصت اذنهُ ولم اجد بها شيئاً سوى خدش صغير وغشاء الطبلة لم يزل موجوداً وانهُ يسمع بالاذن المصابة كرفيقتها وكان يزعم ان اخاه قوصه بمسدس نمره ١٢ فلم اصدقه وقلت له كيف كانت الحال فلا خوف عليك قط الان وساعودك غداً وفي اليوم الثاني اتيت الى منزله وفحصت الاذن فرأيتها كالامس انما شاهدت نقطة سوداء في آخر القناة فجستها ورأيتها صلبة فحسبت انهُ مقوص بالخردق وفي اليوم الثالث رايت البقعة السوداء زادت اتساعاً وبعد اربعة ايام عاينت طرف الرصاصة خارجاً بالعرض الى القناة وكانت الحكومة في هذه الاثناء قبضت عَلَى اخيه واخذت مسدسه واعترف بجريمته

(سير عجيب للرصاص)

حين رايت المسدس اخذت رصاصة منهُ وقستها عَلَى فتحة الاذن فكانت اكبر منها بمرات وكيفية دخولها في هذه القناة انها بدلاً من ان تذهب راساً الى الغشاء الطبلي وتمزقهُ انحرفت لجهة العظم الصدغي والقسم الحلمي الذي تركيبهُ يكون كاسفنجة وخرقتهُ واستقرت فيه وهذا الامر من اعظم المعجزات لسير الرصاص ولم يتسبب عنه اعراض سوى شلل القسم العيني والوجهي بسبب ضغط الرصاص عَلَى العصب وقد كان متكدراً لرؤية عينه المشتورة وهو شاب فاخبرتهُ ان لا يمكنني استخراج الرصاص من الاذن اذ يلزم لذلك تكسير العظم في النتوء الحلمي من الخارج وهي عملية مخطرة لان العظم هناك اسفنجي اذا التهب يكون قريباً من الدماغ والخطر شديد وبقي عَلَى هذه الحال مدة شهرين يتعاطى اشغاله الى ان اتى الى دمشق طبيب من بيروت دعي لمعالجة فتق مختنق فعاين اكوب وحسن لهُ ان يتبعه الى بيروت ليجري لهُ العملية فاطاع وكانت سبباً لوفاته رحمه الله

محمد الانطاكي المنجم وكيفية تنجيمه

حضر مع دولة جودت باشا وعرفني به الدكتور الياس مطر وكان ضيفاً عَلَى دولته

كان لما يباشر العمل يأخذ ورقة ويضع عليها نقطاً عَلَى اربعة صفوف هكذا:

٠٠٠٠٠٠٠ ز

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ف

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ا

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ن

ويبدأ بحساب هذه النقط من الصف الاول فيعد من الواحد الى العشرة ومن العشرة الى العشرين الى المائة والمائتين والثلاثة والالف وحين يصل الى الالف يرجع الى الواحد ولما ينتهي الصف الاول يعود الى الثاني وهكذا الى النهاية وكلما اتم حساب صف يضع لهُ حرفاً من الابجدية يماثله عدداً مثلاً لو عد الصف الاول وانتهى بعدد سبعة يضع حرف الزين والثاني بثمانين يضع حرف الفاء والثالث بواحد حرف الالف والرابع بخمسين حرف النون واصل هذا العدد الابجدية من الفينيقيين اللذين كانوا يستعملون التجارة وهم اللذين علموا الالف باء للعالم وكان كل حرف عندهم بعدد لاجل عمل الحساب مع عملاتهم وهذا ايضاً من اختراع الينيقيين فيحصل لنا اربعة احرف هي النون والالف والفاء والزين وعنده جدول مقسوم الى ١٢ برج لكل واحد اسم مخصوص ونقسم الاحرف الابجدية عَلَى هذه البروج ويكون لكل برج حرفان او ثلاثة وفي هذه الابراج مسطور كل ما يطرأ عَلَى الانسان من فرح وكدر واحتياج وطلب ولما يستخرج هذه الحروف من آخر الصفوف يراها في اي برج كانت ومنهُ يعرف نتيجة ما يطلب منهُ بعد عملية اخرى لا حاجة لذكرها

اخيراً تعلمت منهُ هذه الطريقة وسألتهُ هل يضع النقط بعدد معلوم لكل صف فاجاب ان الروح هي التي تلهمهُ لوضع النقط ويكون عددها كما يتراءى لفكره وهذا هو سر الارواح وسألتهُ عن ماهية الروح التي تكلمهُ وتلهمهُ فقال انه يستطيع ان

يجعلني اؤمن به وذلك بسماعي كلامها فقلت له وما يجب عليَّ عمله قال ان نكون في محل مظلم منفردين وان لا ناكل الا الزيت مدة ثلاثة ايام فاجبته على طلبه وفي اليوم المعين ذهبنا الى منزلي وكنت اعزباً فصرفت الخادمة ودخلنا سوية الغرفة المظلمة

(استحضار الروح) دخلت معه الغرفة المظلمة ووضعنا طاولة في منتصفها وجلسنا على كرسيين بازاء بعضنا وابتدا يتمتم الفاظاً غير مفهومة ويقول لي اسمع الصفير انه يستحضر لي الارواح التي تخاطبني بواسطة تحريك الطاولة فدققت بعمله جيداً ورايت ان الصفير والحركة منه فقلت له يظهر انهُ لا يوجد عفريت الا انت فتبسم وقال لي بل يوجد آخر اعظم مني وهو انت اذ تبعتني الى النهاية دعني وشاني فهذه صنعتي اعيش بها وانتهت جلستنا بسرور عظيم وبقيت على فكري الاول بالتنجيم

(مركز الحياء)

كان احد العميان يدعى ابو عمر وهو سفيه اللسان لا يستحي من شيء فقلت فيه :

ذهبت اطباء الزمان مع الخبر ان الحيا في الراس طبعاً مستقر
لكنني لما عرفت ابا عمر خالفتهم وجعلت مركزه النظر

تعلمي عزف العود

لما كنت احضر بعض الليالي المطربة التي يعزفون بها على الالات وخصوصاً العود وكانوا يسمون النغمة الفلانية من السيكا والاخرى من الدوكا ولم اكن ادرِ هذه ولا تلك كنت اتاثر كثيراً وبالصدفة كان يتردد عليَّ رجل يشتغل بهذا الفن وهو متقن عزف العود جداً لكنهُ لا يتعاطى عملاً لان نظره كان بدا بالضعف لاصابته بالماء الزرقاء وربما كانت صداقته لي لاجل مداواتهِ ولكنني اغتنمت هذه الفرصة خصوصاً لقلة الشغل في دمشق وعزمت ان اتعلم عزف العود او على الاقل اتلقى عليهِ علم الموسيقى حتى اذا كنت في مجلس استطيع ان اميز بين نغمة واخرى وكان اسم

(جرجي كاورك)

فاشتريت عوداً من صنع يوسف النحاة الذي كان شهيراً في صناعة الاعواد وكان قد عمله الى مغنية ورفضت مشتراه غير اني لجهلي بالاعواد انخدعت بزخرفته ولم يكن صوته حسناً ولاني لم استشر من هو خبيراً بهذا الفن غرتني ظواهره وابتداء بعلمي مبتدئياً بالسلم الموسيقي معوداً اصابعي على التنقيل وكنت حين اضع اصبعي على برج اضرب عليه عدة مرات حتى تؤثر تلك النغمة عليَّ ولا اعود انساها وبعد مدة رايت ان استاذي يعرف الموسيقى بالممارسة ولكنهُ لا يعلم درسها الحقيقي واخبرني ان الدكتور ميخائيل مشاقه الشهير قد الف رسالة في هذا الفن مستوفية الايضاح وحيث كان الدكتور ميخائيل مشاقه من اصدقائي وهو رجل شهير بالذكاء والعلوم والمعارك الادبية توجهت اليهِ وسالتهُ عن تأليفه الذي كان لم يزل خطياً فاعطاني اياه وهو التأليف الذي حاول سليم مدور حين انشاء مطبعته في الشام ان ينشره ولكن المؤلف ابى ذلك فاخذت الكتاب ودرسته ونسخت عنه بعض الاشياء واخذتهُ اخيراً مجلة المشرق من ورثته وطبعته في اجزائها باسم الرسالة الشهابية لست بحاجة الى ذكرها وحيث ان الدكتور ميخائيل مشاقه من مشاهير رجالنا فنورد لمحة من اخباره

(الدكتور ميخائيل مشاقه)

ولد في ٢٠ اذار سنة ١٨٠٠ في قرية رشميا في لبنان وكان ابوه خادماً عند الامير بشير فانتقل الى دير القمر وكان مغرماً بالحساب ثم درس علم الفلك واشتغل في التجارة حين كان بدمياط سنة ١٨١٧ وولع بالموسيقى والف الرسالة التي ذكرناها وبسبب الطاعون الذي ظهر بدمياط غادرها ورجع الى دير القمر فارسله الامير بشير الى امراء حاصبيا الذين اكرموا وفادته ثم اغرم بعلم الطب فتلقى شيئاً منهُ على كريستن الايطالياني الذى كان طبيباً في دير القمر وفي سنة ١٨٣١ حضر حصار عكا وعاد الى دمشق وراجع صناعة الطب على كلوت بك ثم صار ترجماناً لـ «بيرودة» قنصل انكلترا بدمشق وفي سنة ١٨٤٦ ذهب الى مصر ونال الشهادة الطبية من القصر العيني ورجع الى سوريا واتبع المذهب

الانجيلي والف كتباً ضد المذهب الكاثوليكي وذلك لمنافرات حصلت بينه وبين البطريرك مكسيموس مظلوم وفي سنة ١٨٥٩ تعين قنصل لاميركا في الشام وفي سنة ١٨٦٠ جرح في ابان الحادثة وقد خلصه الامير عبد القادر الجزائري وفي سنة ١٨٧٠ اصيب بفالج في جانبه الايمن وانقطع عن الاشغال وقد عرفتهُ وهو بهذه الحال اما عقله فكان سليماً وقد حصل لهُ حادث غريب وهو ان شبت النار يوماً في غرفته فلما احس بقرب الخطر قفز من سريره الى الخارج بعد ان بقي ثمان سنين مفلوجاً وقد خلف اربعة ذكور وهم نصيف الذي خلف اباه بوظيفته وسليم مبشر انجيلي وابراهيم واسكندر طبيبان وقد اهديت الدكتور ميخائيل نسخة من كتابي صحة المتزوج ونظمت له البيتين الاتيين

ان كان للتأليف فخر يجتني ... فلأنت جانيه وانت الذاخر
افضلت حتى طود لبنان زهى ... ولفضلكم هذا المؤلف شاكر

وقد حررت الى ولده الدكتور ابراهيم كتاباً ونظمت لهُ الابيات الاتية ارسلتها مع منظار رحمي كنت استعرتهُ منهُ

جاءتني مع منظاركم انظاركم ... فشفى العليل بها وطابت مآثرا
وغدا المريض بطول عمرك داعياً ... وطبيبهُ من طيب ذكرك شاكرا

(حسن العواد) وتولعت في الموسيقى مدة حتى تعلمت اصولها النظرية اكثر من الفعلية وهذا ما كنت احتاج اليهِ وصرت اتأثر من حسن العزف كما انزعج من رداءتهِ وفي احدى الليالي حضرت مجلساً فيه عواد اسمهُ حسن تشمئز من سماعه النفوس فقلت فيه هذين البيتين

وليلة حظها قد بات يجمعنا ... منها لقد جمعت حاناً والحانا
سمعت انغام عود من يدي حسن ... كانها لم تزل لليوم مصرانا

موسى افندي المرادلي

هو من اشراف امراء دمشق خال دولتلو احمد عزت باشا العابد وله ذوق بفن

الموسيقى وكان يجمع اليه اغلب العارفين به وهو شاعر يحب الشعر وفي احدى الجلسات كان بمجلسه الشيخ طاهر والشيخ سليم والشيخ انيس ونظم كل منهم موشحاً في الموسيقى فاقتديت بهم وهذا هو موشحي الذي نظمتهُ

غرّد الشحرور في وقت السحر　　فوق عود في دمشق اثمرا
فجنينا منهُ اثمار الشجر　　وغدت اوتاره لي وطرا
اطربت الحانهُ جنس البشر　　وعليه الطير غصناً صفرا
جسهُ الشادي كنبض في ضنا　　وعياءٍ في صباه طيبا
فركت اذانهُ مذ الحنا　　فبدا منهُ بكاء قد صبا

دور

هيج العود فؤادي عندما　　عانق الطاءين طيباً وطرب
وعليه الظبي لما دمدما　　طابت الحان حب وحبب
فارى الساقي خدبداً عندما　　طاف بالخاءين خمر وخبب
قال خذ كاسي وخلي الحزنا　　واسمع الصادين صباً وصبا
ما حوت خداه عقلي افتنا　　وسكرنا ليس مما سكبا

دور

يا سليم الود غنِ ساحرا　　بابي طاهر قد طاب السهر
فغدا انس انيسي حاضراً　　يذهب الهم وانواع الكدر
ومرادي صرت منهُ شاكرا　　ليت ليلي كان معدوم السحر
وقراري في الحجاز اعلنا　　انني عشاق هاتيك الظبي
وجوابي في سماح عندما　　تكشف النفس باسرار الصبا

سليم الود هو الشيخ سليم بابي طاهر هي نغمة موسيقية قرارها الدوكا وهناك الشيخ طاهر ومرادي هو موسى افندي

الحجاز نغمة موسيقية وكذلك العشاق نغمة وجوابي هو الجواب في الموسيقى وهو المقام السابع بعد الاستهلال مثلاً جواب الرصد الماهو الذي هو السابع لانك اذا حسبت الرصد والدوكا والسيكا والنوى والحسيني والاوج فيكون السابع الماهور بعد

الرصد والصبا نغمة ايضاً قرارها الدوكا

(تخميس الابيات الآتية)

قلبي لطول المدى قد عمهُ الكمدُ   وزادني الشوق اضعافاً لما اجدُ
ومذ وهى الصبر مني وانمحى الجلدُ   جاء الحبيب وعيناه بها رمدُ
والنار في مهجتي يصلي بها كبدي

وحين اقبل نحوي صحت واطربا   وقمت اسعى اليه سعي من شربا
وقلت يا مهجتي ما تبتغي اربا   فقال ارجو علاجاً قلت واحربا
امن اسياف قتلي عامداً بيدي

بيت العابد

اصل هذه الاسرة من العرب الموالي حضر منها الى الشام محمد العابد ١١٨٠ ﻫ وهو امير امراء عشيرة الموالي وسكن فيها وولد قدور بك الذي ولد عمر بك والد هولو باشا الذي وصل الى اعلى المراتب والوظائف حتى اصبح نابغة الشام وقد كان متصرفاً بحماه ونابلس وعضواً في مجلس ادارة الولاية وقد اجتهد ان يعلم اولاده العلوم العصرية وهذا نادر في ذلك الزمن وقد اشتهر منهم دولتلو احمد عزت باشا الكاتب الثاني للحضرة السلطانية العلية الذي ابتدأ ان يكون كاتباً في قلم المكتبجي في الشام ثم صار مميزاً فيه ثم باشكاتب مجلس الادارة ثم رئيس محكمة الحقوق في الشام ثم مفتش عادلية سوريا ثم مفتش عادلية سالونيك ثم عضواً في محكمة بداية الاستانة العلية ثم رئيس مجلس التجارة فيها ثم عضواً في شورى الدولة ثم كاتب ثاني للحضرة العلية السلطانية والان اذكر عنهُ عما نظرتهُ منهُ في دمشق وابقي باقي اعماله الى مشاهدتي له في الاستانة العلية عندما كنت فيها ١٩٠٣ فانهُ وصل الى درجة عظيمة وحين كنت في دمشق كان من خيرة شبانها عقلاً وذكاء وفصاحة متقناً اللغة العربية والافرنسية والتركية وكان الوحيد بين الاسلام يعرف اللغة الافرنسية يومئذٍ يحب الشعر واجتماعاته دائماً علمية ادبية وما كنا نجتمع نتسامر بالاشعار وكان يومئذ مشهوراً بالشعر الشيخ هلال الحموي الذي كان حياً وقتئذٍ يتردد على الشام ويمدح الامير عبد القادر الجزائري

ومن اسرة بيت العابد مصطفى باشا شقيق دولته الذي اصبح الان والياً على الموصل فهو ذو همة ونشاط وعدل واستقامة

(الشيخ هلال)

هو شاعر مطبوع ولكنهُ لم يحفظ مقام صنعته شاهده برهان افندي وحسن افندي اعضاء احد المجالس في حماه في قارعة الطريق بحالة غير مرضية فامرا بحبسه تلك الليلة ولما استفاق بالغد ورای ذاته مسجوناً وعرف الذي امر بسجنه حرر الى المتصرف الابيات الاتية

انا لست اول طائر ... في حيز القفص اندجن
وهلال فضل عنهُ قد ... عميت عيون ذوي الفطن
في بلدة عمياء في ... اعيانها انقلب الزمن
بلد به البرهان خافٍ ... والقبيح بها حسن

وهجا اناساً بقصيدة طويلة ولم اعد اذكر منها الا الابيات الاتية :

ما فرَّ قلبي بالهوى او طارا ... الا ليقضي منكم اوطارا
قوم لقد خلق الشعير لهم فلا ... عجب اذا لم يشعروا الاشعارا
ولادعينَّ بدعوة نوحية ... يارب منهم لا تزر ديارا

وقد وجدتها الان مطبوعة في بيروت . وهجا والده بقوله

لو كنت جئت في زمان محمد ... ما جاء في القرآن برُّ الوالد

ونظم تاريخاً لدار سعيد افندي الكيلاني في دمشق بابيات كل شطر منها يحوي تاريخ السنة

١٢٨٣ سيد الاشراف باليمن ابتنى ... بيت حسن باهي الشكل مشيد ١٢٨٣
١٢٨٣ عين شمس الانس منهُ قد زهت ... بسنا الامناح والفضل المزيد ١٢٨٣
١٢٨٣ بالهُ بيتاً زهى بالعز اذ ... ربهُ ابن الباز ذو القول السديد ١٢٨٣
١٢٨٣ دام في اوج التهاني مشرقاً ... حيث في العلياء انشاه سعيد ١٢٨٣

ويوجد غلط في بعضها

الامير عبد القادر الجزائري

اعظم ما يتفخر به تاريخ الجيل التاسع عشر تاريخ الشرف والمروءة والشجاعة والشهامة والاحسان والنجدة والفضائل الانسانية التي امتاز بها الامير عبد القادر الجزائري الذي حارب فرنسا مدة اثني عشر سنة غير انها احبتهُ واهدتهُ ايقونة مكتوب عليها ما قلناه وسيفاً اقسم عليه ان لا يجرده عليها مطلقاً وبقي محافظاً على يمينه حتى وفاته وكنت اعرف هذا الامير واتردد عليه وعلى اولاده الامير بن محيي الدين ومحمد اللذان بعد وفاة والدهما ذهبا الى الاستانة العلية وتعينا ياور بن فخر بين للحضرة السلطانية وقد اهديتهُ نسخة من كتابي تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب ونظمت لهُ الابيات الآتية :

اقبل هدية عاجز يامن لهُ ... تهدي القلوب وقلب هادٍ شاكرِ
ارجو الامير بغض طرف علومه ... عن «تحفة» تأليف عبد قاصرِ
ان كان في تاليفه وجدت لهُ ... اقوال سحبان وقدرة شاعرِ
فيكون هذا ناشئاً عن كونه ... اضحى بطوع عبد عبد القادرِ

وسالته يوماً اذا كان حين حربه مع فرنسا وجد رجلاً من قبائل اخرى فاجابني هذه الكلمة الفلسفية ان الفتن تولد الرجال وقد توفي في دمشق في ١٩ رجب ١٣٠٠ ودفن في الصالحية في مقام محيي الدين العربي وله قبر لحاله وتوفي عن عشرة ذكور وست بنات فالذكور هم الامراء احمد ومحمد ومحيي الدين والهاشمي وابرهيم وعبدالله وعلي وعمر وعبد المالك وعبد الرزاق

(لبس الخواتم للطبيب) عندما حضرت من مصر كان لي ساعة مع سلسلة ذهبية معلق فيها ذخيرة زرقاء لطيفة واما لبس الخواتم فكنت اكرهه لان الطبيب لا يوافقه لبس الخواتم اذ يلتزم ان يغسل يديهِ كل دقيقة لانه يوسخها بما يلمسه ان تكون سبباً لازعاجه في النزع واللبس فضلاً عن ان الحلي بايدي الطبيب تقلل اعتباره بدلاً من ان تجعله في اعين الناس معتبراً اذ يظنون ان لا شغل له سوى التحلي وارتأيت ان مشترى كتب طبية او الات جراحية تنفعني اكثر من هذه المجوهرات التي لا فائدة منها

فلذلك لم البس خاتماً قط اما السلسلة والذخيرة فكنت محافظاً عليها جداً لانها لا يعيقانني عن العمل بل الساعة ضرورية لي جداً لاعرف منها الوقت ولما اتيت الى الشام كان قد خف شغفها عندي ولم اعد افتكر بها واهملت النظر الى السلسلة و يظهر ان الحلقة المعلقة بها الدخيرة انبرت وانقطعت و بالصدفة نظرت اليها فرأيتها بلا ذخيرة ولم اعلم اين فقدت وكان لي صديق صائغاً اسمهُ خليل بركات فذهبت اليهِ واخبرته امري ورجوتهُ اذا رأى الذخيرة مع احد معرضة للبيع في السوق ان يخبرني بها

(لقاء الذخيرة) وبعد شهرين اخبرني خليل انهُ رأى الذخيرة بيد صائغ فضبطها وقال له انها مسروقة وهي تخص فلاناً فعرَّفهُ الصائغ ان الذي اتى بها اليه هو من اعيان البلد وانه اخبره عن كيفية وصولها اليه لما سأله عن ذلك قال ان له قرية تبعد عن دمشق اربع ساعات ذهب لمراقبة اعمالها فاتى اليه فلاح وقال له انني بينما كنت ابيع تبناً في سوق الخيل بدمشق رايت هذه الذخيرة واريد بيعها فاشتريتها منه بثلاثة غروش ولما رايتها بلا حلقة اتيت بها اليك لعمل حلقة لها

ولما كان الصائغ محتاجاً الى آلة للصياغة لاجل عملها اتى الى خليل بركات بالذخيرة ليعملها على آلته فلما عرفها خليل ضبطها فاخبرني ان ثمنها ثلاثة غروش فاعطيته ما طلب وارجعها اليَّ فتعجبت من تلك الصدفة الغريبة واخبرتها الى جاري نقولا افندي فرح عضو دائرة الحقوق في دمشق وكان عمره خمس وستين سنة فقال لي ان عجبك يزول حين تسمع القصة الاتية

(الخاتم في الملفوفة) اخبرني ان من عادات اهل الشام الذهاب كل ليلة تقريباً للنزهة في الحدائق فتجلس كل عائلة امام طاولة او يتنزهون بالسير في البساتين يلتقطون الزهور فاحدى السيدات بعد يوم نزهة فقدت خاتمها ولم تدرِ اين اضاعته وكان ذلك في بداية فصل الخريف ولما اقبل الشتاء مرَّ بائع الملفوف حاملاً على حماره مقداراً يدور به على البيوت لاجل بيعه فمر على بيت هذه السيدة التي اشترت منه ملفوفتين اختارتها من بين عشرين وفيما هي تفرطها لاجل الطبخ رات خاتمها في احداها فكأن الخاتم سقط من اصبعها يوم النزهة في ملفوفة صغيرة لما كانت تلتقط شيئاً من الارض

وكبرت الملفوفة والخاتم فيها وبقيت محافظة امينة عليَّ وديعتها حتى ارجعتها الى صاحبتها فقلت حقاً بعد ذا لا ارى عجبا

احمد باشا الشمعة

اصل هذه العائلة من الحجاز حضرت من ثلاثمائة سنة الى دمشق ظهر منها جملة علماء والذي دخل في التجارة هو الشيخ علي والد احمد باشا الذي ولد ١٢٦٥ هـ في دمشق ابتدا مع والده في التجارة بسن ٩ سنوات وبسن ١٥ دخل في قلم المكتبجي وبسن ١٧ توجه للاستانة في قلم الصدارة ثم حضر مع خورشيد باشا والي بيروت كان عضو للادارة مدة صبحي باشا بقي فيه تقريباً عشرين سنة وسنة ١٣٠٠ دخل بارادة سنية بمعية باشكاتب المابين وقابل الذات الشاهانية وفي اثناء ذلك انعم عليه برتبة بكلر بك وفي ١٣٢٤ نال رتبة بالا مع الاول العثماني والاول المجيدي ومدالية الامتياز الفضية والذهبية ومدالي اللياقة تعلقت على صدره بيد الذات الشاهانية عندما كان في الاستانة ثم صار رئيس كومسيون الاراضي السنية

وله ثلاثة اولاد رشيد بك الذي هو عضو في الادارة الان وسليم بك صديقي الخصوصي وهو الذي عرفني باخوته يتعاطى الاملاك ويحب العلوم وقد نظمت لاحمد باشا الابيات الاتية عندما كان في الادارة وكنت في دمشق

جنح الغريب بجنح ليلٍ حندس ... يمشي بخطوة خائفٍ متوسوس
ان دار في دار الادارة لا يرى ... خلاً بشوشاً او يرى من مونسٍ
لكن اذا رفع الحجاب اناره ... نور الاله بشمعةٍ في المجلسِ
يهدي الى الحق المبين باعينٍ ... عن صنع كل اغاثة لم تنعسِ
يرجو الغريب به نوال مراده ... من بعد يأسٍ من غريمٍ مفلسِ
يضحي مدى الايام منه شاكراً ... ولسانه عن حمده لم يخرسِ

كتابي صحة المتزوج

لما كنت في مصر ابتدات بتاليف كتابي تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج

العازب وفي ابتداء سنة ١٨٧٩ باشرت بطبعه بمطبعة خليل افندي سركيس في بيروت وقدمته هدية لوالي ولاية سوريا حين ذاك ونظمت له القصيدة الاتية التي تغزلت بها في الابنة التي كنت اريد زواجها لها خال اسود على وجنتها البيضاء فشبهته بعنترة بن زبيبة حامي بني عبس

فتكت سيوف لحاظها بفؤادي ... فتكحلت من مهجتي بسوادِ
وتكحلت عيني برؤية عينها ... بسواد ليل دام فيه سهادي
وعدت مراض جفونها جسمي ضنى ... ونعاسها لم يعدني برقادِ
وتمايلت عجباً فمال لحبها ... من كان يلحاني من الاضدادِ
وقد اكتست ثوب الحياء بنظرتي ... فعلا بياض الخد ورد باد
فرأيت ورد الحسن وهو مدبج ... تزهو ازاهره بلا ميعاد
حاولت قطف الورد لكن امها ... وشقيقها عملا على ابعادي
واتت بخال في الملاحة عمها ... من شعرها متسلسل الاجداد
فعجبت من بيضاء اصل خالها ... عبد له العشاق كالعبادِ
يسطو بمرهف لحظها لحبيبته ... ابن الزبيبة للكفاح ينادي
يحمي بني العبسي من نكد العدى ... ويصون ورداً لم تطله ايادي
لم يثنني عن حب عبلة مرهف ... حاشا فلست عمارة بن زياد
لكن دهاني عن هواها شأن من ... رجت لهيبته ثغور بلادي
صدر لدولته بثاقب رأيه ... والى الرعية مسند الاسناد
الصدر يحوي القلب من عاداته ... وتراه صدراً حل كل فؤاد
رب الشجاعة والبلاغة والندى ... والفضل والفخر الرحيب النادي
اهديت علياه كتاباً صغته ... لينال منه ملجأ القصاد
وبصحة المتزوجين دعوته ... وملاته بفوائد الارشاد
حتى الرجال اذا اهتدوا بنصائح ... فتنال منه صحة الاولاد
تاتي بمن يحكي فضائل والي ... فاكون اعظم نافع لبلادي

وتم طبع هذا الكتاب واستلمته يوم زواجي الواقع في ٢٢ حزيران سنة ١٨٧٩

ولما عدت الى الشام قدمته للوالي فانهى لي بالنيشان المجيدي الرابع الذي كان يومئذٍ عزيزاً جداً ونلته في السنة التالية مع الشهادة الطبية العثمانية

محمود افندى حمزة مفتي دمشق

هو العصامي العظامي سليل النسب التالد والحسب الطريف من اعظم رجال عصره ولهُ مؤلفات كثيرة في اللغة وكان يشرح القرآن الشريف بالفاظٍ مهملة ولا نعلم ماذا آل الزمان بتآليفه وقد كان متفنناً جداً بالخط حتى انه كتب الفاتحة الشريفة على حبة ارز وكانت تُقرأ بالنظارة المكبرة وكتب ايضاً الفاتحة داخل زجاجة ولا اعلم كيف ادخل القلم في عنقها وكتب في داخلها وكان فصيح اللسان شاعراً اديباً الف كتاب ترجيح البينات وبالاختصار انهُ كان يومئذٍ نابغة الشام وكان لهُ اخ اسمهُ اسعد افندي بقي طول حياته عضواً في المحاكم وقد اكتسب شهرة عظيمة بالاستقامة وكرم الاخلاق

الصوفانية في دمشق

الصوفانية هي عبارة عن منتزه عمومي بل هي جنة ارضية يشطرها النهر الى قسمين فكان المتنزهون يجلسون في القسمين المقابلين ويسمعون الغناء او يتعاطون المشروبات كل واحد مع اصحابه وفيما كنت يوماً جالساً وحدي على الشاطئ متأملاً هذه الرياض متعجباً من الاشجار وعظمتها وواضعاً يدي على الطاولة ومسنداً بها رأسي واذا بصوت ينادي من الجهة الاخرى وقائل يقول بمَ تفكر في الصوفانية ومن اي شيء تتعجب فانتبهت والتفت واذا هي احدى حور الجنة من اصدقائي ومعارفي متعلمة تحب الاشعار جداً وكانت دائماً تمزح معي لتسمع جواباتي التي كانت تسرّ منها على زعمها ومجمل وصفها انها كانت فريدة في الشام بعقلها وعلمها وادابها فارتجل الشعر بخاطري ونظمت لها الابيات الاتية لان سبب الشعر استظراف موضوعه بل هو شعور النفس ينطق به الانسان ولا يدري اذا راق للغير وهاك ما نظمته لها

ولما جلسنا في حدائق جلق   وما بيننا نهر وفي قلبنا جمرُ

عجبت لنار من فؤادي بخدها ولا تنطفي منه وبينهما نهرُ
واعجب من ذا ان قلبي معلقٌ بنحر ومع ان النحور له نحرُ
وما زال عقلي صاحياً وهو سامع حديثاً ولم يفعل به ابداً سكرُ
عجيب اري في الجفن سحراً ولم ازل كما كنت لم يدخل عَلَى مهجتي سحرُ
ولو كنت مع حور وفي وسط جنة ففي كبدي من خدها ابداً حرٌّ
ومن عجب اني اقيم بجنةٍ وتحرقني في نارها ابداً سقرُ

وقلت في مخدرة اسمها نور كنت بديعة الجمال ذات خد وردي افضله بمذهبي عَلَى كل جمالٍ لانه دليل الصحة واصحابه يكونون دائماً من المحبوبين لانه مزاج اللطف والظرف والبشاشة وقد سألني بعضهم ان اصف النور فقلت

قالوا صف النور في شعر فقلت لهم يا قوم لا ينبغي وصف الى النورِ
فمن تراب برانا الله من عجلٍ ومن ظلام ولكن نور من نور

وقد بلغني انها توفت هذه السنة ١٩٠٤ فحزنت عليها

فردوس افندى

كان هذا الرجل كاتباً في مجلس الادارة ويدعى بوظيفة مقيـداً وكنت اذا دخلت غرفته ترى مركزه عَلَى يدك اليمنى قرب الباب وفي الصدر الرئيس واولاد الذوات وكان من جملتهم امين افندي الطرقجي احد الكتبة وهو من الشبان الاذكياء ذهبت يوماً الى مجلس الادارة لكي اخذ نمرة الامر السامي الوارد من الاستانة العلية بشأن الاطباء والقاضي بان الطبيب يلزم ان يذهب الى الاستانة ليؤدي الامتحان وينال الشهادة بعد ان يدفع خمس ليرات رسمها وان الطبيب من مدرسة مصر يكتفي ان يصادق عَلَى صورة شهادته من مجلس الادارة بدون ان يتوجه الى الاستانة فطلبت نمرة هذا الامر من فردوس افندي ولم يكن يعرفني فابتدى بالمحاولة ولما رآني امين افندي الطرقجي سألني عن طلبي فقلت لهُ اتمم كتابة ما بيدك من التحارير ثم اخبرك قصتي وفي هذه المدة نظمت الابيات الآتية

يا زائراً دار الادارة فانتبه عند الدخول ببابها تترنمُ

في صدرها صف الملائك جالس ورئيسهم بشمالها يتبسمُ
اياك تبدي خطوة يمينها فردوسها عند القيود جهنمُ

فاخذ امين هذه الابيات وصار ينقلها من كاتب الى اخر حتى وصلت الى الرئيس حسين افندى فطلب فردوس افندى وتلاها عليه فاتى اليَّ معتذرًا وبيده نمرة الامر فقلت لهُ اني اجزتك ثلاثة ابيات وهي تخلد ذكرك وقد بلغني انهُ توفي لكن ذكره باقٍ كما تنبأت عنهُ بسبب اباتي

زواجي في بيروت

عندما كنت في بيروت اتيت اليها لمقابلة والدي الذى حضر اليها لملاقاه رستم باشا عندما رجع من الاستانة قابلني الخواجا اسعد مطر عندما كنت عازمًا على التوجه الى الشام فقال لي ان والدك يلح عليَّ منذ عدة سنوات ان ابحث لك عن فتاة تتزوجها وحيث وجدت صدفة في بيروت تعالى اريك الفتيات لعلك تختار واحدة منهن فافتكرت ان اجيبه الى طلبه لانني باق في بيروت ذلك اليوم فاخذني الى بيت رايت فيه ابنة يزيد عمرها على الثلاثين سنة سوداء حولاء واخبرني ان معها (دوطة) ثلاثين الف غرش فبقيت صامتًا الى ان خرجنا فقلت له اذا كانت كل الفتيات اللواتي تعرفهن نظير هذه فخير لك ان لا تتعب وتتعبني قال اتبعني والتدبير على الله واخيرًا اخذني الى اليسوعية وكانت الساعة الثانية بعد الظهر من نهار الاحد فوصلنا الى محل اجتماع الاهالي باولادهم ورأينا ثلاث بنات مع اخوهن وكانت احداهن متزوجة واثنتان باكرات فعرفني الخواجا مطر بالجميع وجلسنا نتحدث فكانت الاختان صاغيتين لي الا واحدة كأن لم يكن احد ولما قرع جرس الكنيسة لاجل الزياح ذهبت هذه لحضوره وبعد خروجنا سالني الخواجه مطر عن راي بهما وهل اعجبتاني واية الابنتين اختار فقلت انني ارغب التي توجهت الى الكنيسة وسالني كيف اخترت هذه مع كونك لست متعصبًا بالدين قلت انني اريد الزواج لاجل الراحة وخصوصًا كطبيب اني اميل الى البساطة فشكرني على كل فكري وقال حقيقة لقد صدقت باختيارك فهذه الفتاة متناهية بالتعقل والرزانة حتى انها تتناول بلا اعتراف

كما اجيزلها وعند المساء توجهنا الى بيتهن وكان اخوهن واخيراً اتفقنا على الاكليل بعد ثمانية ايام وزوجتي هي مريم بنت خليل التيان واسرتها من احسن عائلات بيروت واقدمها وعمي كان وكيل الامير بشير احمد قائمقام النصارے في لبنان وكان اول غني في زمانه في بيروت وكان عند زواجي متوفياً

كان زواجنا يوم الاحد مساء في ٢٢ حزيران سنة ١٨٧٩ والذي كللنا هو الخوري يوسف بزماري وكيل مطران الدبس لانهُ كان غائباً عن بيروت مع الخوري حنا العنبلي الذي لم يزل حياً وقبل توجهنا الى الشام حررت لجاري ميخائيل ملوك وهو من التجار المعتبرين بان يؤثث لي منزلي لان ماكان فيه من الاثاث كان يوافق العزاب واخبرته عن يوم سفرنا واخذت حماتي معي ولاقانا الملاقون الى دمر وكان دعاني الخواجه مخايل للوصول الى بيته

لما وصلنا الى داره رأيناها مزدانة بالمصابيح والانوار والمدعوين كثيرين وهنولا الشهيرة تطرب بالحانها الشجية وكانت مائدة الاكل متقنة جداً فيها سائر انواع الحلويات والاثمار وبقينا الى ما بعد نصف الليل وعند ذلك انصرف المدعوين وحضرنا الى منزلنا فوجدنا الخواجه ملوك قد فرشه بذوق لطيف للغاية ولكنهُ لم يكن كافياً لمتزوج حديثاً فبتنا تلك الليلة وكان عندي عشية اخذتها لخدمتي منذ سنتين وخادم ومعهما رشيد

ولما دخلنا الى منزلنا بالشام وكان غير متقن لانني كنت اعزبا وبقي كذلك نظراً لسرعة زواجي فرايت ان امراة عمي تنظر اليه بعين الاحتقار وتلتفت بابنتها فقلت بذاتي يجب ان اعلمها درساً جديداً ينسيها هذه الامثولة الاولى التي لقنتها الى ابنتها فلا ترجعان الى غيرها لانني بلغت ان حماتي كانت قوية فبقي ذلك بفكري

وفي اليوم الثاني عند الظهر كان طعامنا لذيذا جداً ومن جملة ما فيهِ الصبير فاخذت واحدة وقلت ان لا يزال بها شوكة ولم تنظف جيداً وكانت الخادمة واقفة قرب المائدة فصرخت بها لماذا لم تنظفي الصبير جيداً قالت انني نظفتهُ ما استطعت عندئذٍ قمت عن الكرسي وصرت اضربها واقول لها كم مرة نبهت عليك ان لا تجاوبي متى كلمتكِ وكان لها عركة عظيمة وارادت زوجتي ووالدتها ان تتداخلا وترداني عنها

فلم اقبل منها وكان عجب الخادمة اشد لانها كانت عندي منذ نحو سنة لم أسؤها بشيء، وهي اول مرة رأت مني هذه المعاملة فخرجت من الغرفة ورجعت الى محلي وانا صامت آكل وانا عابس الوجه لا اكلم احداً ولما انهينا طعامنا ذهبت سراً الى الخادمة واعطيتها ريالين اجرة ضربها وقلت لها هذه امثولة لسواك لا لك وكانت ابنة حلال جداً لانها قبلت الدراهم وبقينا بعد ذلك نحو شهرين في الشام ولم ارَ من امرأة عمي ما يدعوني للشكوى منها فكنت مرتاحاً كاني غير متزوج وقد اتبعت بعملي حكاية الاخوين المتزوجين وهي

(حكاية الاخوين) تزوج شقيقان سوية وكانت احدى الزوجتين طائعة خاضعة لزوجها مرتاحة معه وهو مسرور منها جداً عكس الثانية التي كانت تكدر رجلها ولا تدعه يوماً مرتاحاً فاتى زوج هذه وسأله بانكسار عن السبب الذي جعل امرأته تطيعه هذه الطاعة العمياء، اجابه بعد اكليلنا جلسنا على الطعام سوية كالعادة وبينما نحن نأكل تقدم هرٌّ الينا فتناولت خنجراً طعنته به فقتلته عند ذلك تغير لون امرأتي وصارت كل ما عملت عملاً لا ارضاه اعبس فتتذكر ليلة قتل الهرّ فترجع عن ذلك العمل ولا تعود اليه وهكذا لم اعد ارى حاجة لتوبيخها باى شيء، كان فلما سمع الاخ هذا الحديث عزم على اتباعه فذهب الى منزله ولما جلس على الطعام مع امرأته حضر هرٌّ فتناول سكيناً وقتله غير ان امرأته بدل ان تهابه ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت له كان هذا من الاول يا خرا عام اول

وحقيقة الامر ان اهابة الرجل هي التي تدرب الامرأة على السلوك الحسن ولا اقول ان هذه المعاملة واجبة مع كل النساء، ولكن لا باس من استعمالها وحيث ان عملاً كهذا اى قتل الهرّ لا يمس احساساتهن فلا ضرر من تجربته لان الخوف هو الرباط العظيم لشهوات الانسان واعماله المخالفة للامور الموافقة

(خروجي من الشام) وبعد ان مكثنا شهرين في الشام صارت امرأتي تحبب لي سكني بيروت لانه لا يوجد مستقبل حسن في الشام وهي بعيدة عن وطني لبنان عكس بيروت وان شهرتي في امراض العيون تجعل لي مركزاً حسناً رغماً عن كثرة اطبائها فافتكرت بقولها ورأيته حقيقة فاعتمدت على الانتقال من الشام الى بيروت

وحيث كان فصل الصيف حين ذاك ارتابت ان نذهب اولاً الى بكاسين لرؤية والدي لانه لم يحضر عرسي بل كان المرحوم اخي خليل اشبيناً وشقيقة امرأتي السيده صابات اشبينه وقد تصورت مع امرأتي واباهما صورة واحدة لم تزل عندي الان وبعد ان ينتهي الصيف نرجع نسكن ببيروت وقبل ان نبارح الشام ارسل لي احد اصدقائي التاريخ الاتي

سيدي الدكتور شاكر الخوري المحترم

تجشمت معما عندي من خمول القريحة البيتان الاتيان بتاريخ زفافكم الميمون فجآ، كما ترى يطلب القبول و يرتجى السماح

بنت الكرام الى الكريم تزف كي	يسمو الضيآء ويلتقي القمران
ولذا الى الدكتور شاكر من سما	بالفضل زفت مريم التبان
فاسلم ودم واهنآء بما اتيت من	جود المهيمن شاكر الرحمن
خير الغواني قابلتك اخا النهى	فاتاك تاريخي بخير غواني

في ٣ تموز سنة ١٨٧٩ الداعي

عبده كحيل

حضور اخي امين من مصر الى الشام

بينما كنت اودع الشام واعد لوازمي للانتقال منها واذ حضر اخي امين فجأة بمناسبة العطلة المدرسية وكان قد مر عليّ اربع سنوات لم اره فيها ففرحت به جداً وبقي في الشام مدة عشرة ايام ثم طلب مني ان يسبقني الى والدي وسافر عن طريق البقاع ومنها الى مشغره فجزين والمسافة لراكب الخيل يومين وبعد مدة التقينا في جزين وهذا هو اللقآء الوحيد الذي جمع ثلاثتنا منذ تسع عشرة سنة

حكايتي مع المغربي

بعض هولاء المحتالين يدجلون في الطب خصوصاً بامراض العين ففي احد الايام كنت جالساً قرب باب منزلي الذي كان مجاوراً لمنزل حنا عازار فسمعت مغربياً

ينادي طبيب العيون انا الطبيب اشفي الامراض فناديته وشكوت له مرضاً في عيناي ولما راني لابساً نظارات صدقني وفحصني فقال اني مصاب بالماء السوداء قلت وما دواء هذا الداء قال الكي في العنق وسالته هل معه مكوى اجاب بالايجاب فكلفته ان يدخل ويحميه وفيما هو منهمك بعمله دعوت شخصين من الجيران وافهمتهما حكايته وكلفتهما ان يمسكاه لان مرادى كيه ولما عاد الرجل والمكوى بيده مسكه الرجلان والقياه بالارض فكويته بعنقه وقلت له هذا جزاء من يخدع الناس ويدجل عليهم ويتداخل بامراض العين وهو بريء من معرفة ادويتها فان كنت لا تكتفي بهذا القدر فانا اسلمك للحكومة وحين عرف اني طبيب هرب وابقى المكوى عندي

ولما كنت عند والدي في بكاسين حين مرضه الاخير وانا حزين جداً خرجت من غرفته فرايت رجلاً واقفاً في وسط الجمع ينادي قائلاً اني اشفي المريض بدواء واحد وبينما هو يتكلم التفت وراني فجمد في مكانه برهة ثم تقدم وسالني هل انت الدكتور شاكر الخوري قلت نعم قال وهل قطنت دمشق اجبت اجل فنهض مسرعاً وولى هارباً دون ان ينبث ببنت شفة فسألته عن سبب هربه قال اني لا انسى ما حييت ذلك الكي وركب بغلته واسرع بها ولم يبق دقيقة واحدة في البلد

فائدتي من الشام وتأثيرها عليّ

لا يخفى ان الشام بلدة زراعية ينقسم اهلها الى قسمين الاول اصحاب الاملاك والثاني الصناع فاصحاب الاملاك يرتبون معيشتهم حسب ايرادهم والصناع يشتغلون لهم بهذا الايراد لذلك ترى الدراهم عندهم محدودة قليلة والغريب لا يمكنه ان يكتسب اكثر من صانع خصوصاً اذا كان طبيباً غريباً ليس له معاش مخصوص كاطباء البلدية والعسكرية وليس هو من اهل الوطن ولا ذا عائلة ساكن عندها يضطر لدفع اجرة منزله وثمن اكله وشربه واجرة خدمه ولا ايراد له ليقيم بهذه المصاريف لذلك مدة وجودي بالشام اني صرفت بها علاوة على مدخولي نحو مائة ليرا ولم اقم فيها اكثر من ثلاث سنوات اما الذي دعاني على هذه الاقامة بها فهو املي ان اكون طبيب بلديتها او بلدية اخرى تابع للولاية كنت اعيش بالامل ومنتهى هذا العيش الخسارة ولكن لما تزوجت وصارت لي

واجبات اوديها نحو سواي لاقوم بمعاشهم عارفاً ان كل سنة ستزداد عائلتي لم اعد اری بالشام ما یکفینی لان اهلها وسكانها يقلون لكثرة المهاجرة اذ لا يرى الصانع فيها ما يقوم باوده ويكسب بالخارج اكثر منها اما الغني فانه يرى فيها كل سعادة ورفاهية والراحة الجسدية والادبية اما انا فلم اكتسب منها شيئاً مادياً قط

اما علومها فليس فيها شيء من العلوم العصرية التي يمكن الانسان ان يعيش منها بل الجميع مقتصرون على العلوم العربية والشرعية وكدت انسى فيها صنعة الطب اما الذي اكتسبته فهو الجرأة على ممارسة العمليات الجراحية لانني كنت الوحيد بين الاطباء الذي اقدم على ذلك في العين فصارت عندي بهذا الامر مهارة نفعتني فيما بعد

اما تأثيرها الادبي فكنت لطيفاً مع الناس كعادة اهل دمشق وتولى على الكرم فصرت احب ان اضيف اياً كان كعادة اصحاب الاملاك بدمشق فان الملاك الذي عنده القمح والفاكهة بكثرة يستسهل ما يبذله عكس التاجر الذي يدفع ثمنها دراهم معدودة فانه يهون عليه ان يدفع الى عتال فرنكاً ولا يدعوه لطعام ولو كلفه اقل من هذه القيمة اما صاحب الملك فانه يفضل وليمة تكلفه عشرة فرنكات ولا ان يدفع فرنكاً واحداً نقداً وحيث ان الشام بلدة زراعية والشغل فيها قليل فيرى الانسان ذاته متفرغاً للمطالعة والعلوم والدرس لذلك تمكنت من مطالعة كتب عديدة فقرأت فولتير وفولنه وروسو واليهودي التائه وكل الكتب التي يقال انها كفرية لاعلم ماذا ورد فيها او ماذا يعلم مؤلفوها وما يقولون فبعد البحث والاطلاع وجدتها ليس فقط عديمة النفع بل مضرة لانها تعلم الانسان الازدراء بالاديان والقوانين والشرائع ولا تلقنه واجباته او ما يقوم مقامه وضررها الاكثر انها تجعل الانسان غير مقيد بقانون فالدين مهما كان وكيف كان واين كان يفضل كثيراً لانه يحذر من ضرر الغير

قبل ان نرحل من الشام اودعنا جميع امتعتنا في منزل جارنا ميخائيل افندي ملوك الذي حاسبناه بالمصاريف التي علينا اخذت منه اقمشة حريرية هدايا لوالدي و والدتي وبعض اقاربي وكان وقتئذ طلب منا دراهم فاعطيته تحويلاً بخمسة عشر الف غرش

على محل اسعد ملحمه في بيروت فلما قبضه حرر لنا كمبيالة به بفائدة المائة عشرة لحين الطلب وسنذكر فيما بعد ما آلت اليه حال هذا الدين وكيف انتهى امره وكيف صح به المثل اذا ادنت احد دراهم فتصبح عدوه ففي الاول اذا رفضت طلبه وفي الاخير اذا ادنته وطالبته بمالك فركبنا الداليجانس الى بيروت وارسلت الفرس التي كانت عندي مع رشيد ولما وصلنا الى بيروت بقينا ثلاثة ايام نستعد للذهاب الى الجبل ولم تكن العربات يومئذ قد عرفت فتوجهت مع زوجتي ورشيد ونمنا تلك الليلة في عيناب بمنزل احد اقارب زوجتي المدعو يوسف منصور التيان لانهُ كان مصيفاً هناك وفي اليوم الثاني وصلنا الى جسر القاضي بعد شروق الشمس وهناك تناولنا طعام الصباح وبينما نحن جالسون راينا اخي خليل قادماً لملاقاتنا من بيت الدين فتوجهنا سوية وبقينا عنده ثلاثة ايام ثم ذهبنا الى بكاسين بطريق معبور المزرعة وهي اخطر واقبح واردى طريق في الدنيا كما قلنا فانزعجت امراتي لهذه الاسفار ولركوبها الخيل لانها غير معتادة عليه وقبل وصولنا الى بكاسين بساعة راينا اهل القرية كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً اتو لملاقاتنا باطلاق البارود والاغاني والزلاغيط ومعهم اناس من القرى المجاورة يبلغون الالف شخص وبقينا سائرين على هذا الحال حتى وصلنا الى البيت المعد لاستقبالنا وكان فيه ما ينوف عن الف مستقبل وكان يومئذ والدي في جزين استقبلتني والدتي في المنزل وبعد ساعة حضر والدي فلاقيناه للخارج ولما رانا صار يبكي سروراً ويقبلنا وظل الناس يتواردون للسلام علينا من كل الاقليم مدة شهرين

فصل الصيف في بكاسين ولبس قميص النوم

امضينا فصل الصيف في بكاسين كعادة المتزوجين حديثاً اعني بالزيارات والافراح والتنزه وكنت دائماً لابساً قميص النوم لانها توافقني بالجلوس في اي محل كان ولا تحفظ حرارة الجسم في الصيف فكان البعض يضحك ولكن ضحكه لا يضر في مثل لبس البنطلون في هكذا محلات وحرارته الزايدة بسببه وخصوصاً كنت في بلدي يعرفوني من غير لبسي لاني مهما كنت لابساً فانا انا عندهم فلاحسن لبس

يكرموني عندهم ولا حقارته تزريني باعينهم ولم ارَ باستقبالهم لي فرقاً بل كانوا يكرمونني كني لابساً طقمي الرسمي ومن ذلك الوقت صرت البس في الصيف قميص النوم واوفر عليَّ اثقال لبس الثياب الافرنجية لان الانسان اخترع لبسهُ على حسب مناخ بلاده فالبنطلون لم يخلق لبلادنا بل للبلاد الباردة اذ من المقرر ان الثياب الضيقة تحفظ حرارة الجسم بعكس الملابس الواسعة التي يتجدد فيها الهواء دائماً وتوافق البلاد الحارة ولما اخترع البنطلون الذي يمنع لابسهُ عن جلوسه على الارض اضطر ان يخترع الكرسي للجلوس عليها وحيث يلزم لتوليد الحرارة ان يأكل اللحوم بكثرة احتاج ايضاً للسكين والشوكة لاجل تقطيعها واكلها فينتج من ذلك ان حالة البلاد هي التي اخترعت الازياء فلبسنا البنطلون لبس قهري لا يوافق بلادنا بل يوافق الزي والمودة فلهذا متى وجد الشخص منا فرصة لنزعه باي محل كان لا يتأخر عن ذلك ويلبس القمصان العربية ولهذا ترى اغلب الشبان يلبسونها مدة الصيف لانهم اقتدوا بي فبلادنا احق ان تدعى بلاد القدوة لان اهلها يحبون هذه العادة ويميلون اليها جداً لذلك لا ابرئ وجهاء البلاد من اللوم اذ بهم يقتدي الاهالي ان كان بالحسن او بالقبيح

ففي هذه المدة حضر اخي خايل الى بكاسين وبقينا فيها الى تشرين الاول ومنها توجهت الى بيروت واستأجرت الطابق الاسفل من منزل شبلي افندي الباحوط الكائن على طريق الشام واحضرت معي اخي خايل لانهُ خرج من الحكومة وارسلت استحضرت امتعة بيتي من الشام وفرشتهُ قدر الامكان وذلك في ١ ت ١ سنة ١٨٧٩

سكني في بيروت

كنت في مصر ودمشق كآدم في الفردوس لا هم له سوى حاله واما سكني في بيروت وقربي الى لبنان فكان مثله عندما خرج من الفردوس وقال له موتاً تموت اعني يموت عن حالهِ فصار يخدم غيره بزواجهِ وكنت بزيادة عنهُ انني حامل اتعاب والدي واخواني

صدق من قال لا يهان نبي الا في بلده ولكن القائل لم يذكر سبب الاهانة هل هو ناشئ من البلد او من الشخص نفسهُ اما اعتقادي فانان ان الشخص يكون الجاني على ذاتهِ بتعرضهِ لنفع اقاربهِ او اهله او فئتهِ وحزبهِ وهذا الاختصاص هو الذي يسقط الرئيس لانهُ يجب عليهِ ان يكون خالي الغرض او يتظاهر بذلك حتى يعتبره الجميع واننا نكرم الصورة او التمثال لصمته فلو تكلم وميز الواحد عن الاخر لسقط اعتباره قيل ان احدى العجائز كانت بعد القداس تأتي وتركع امام صورة مار يوحنا مقطوع الراس وتبدأ تصلي لهُ وتطلب منهُ ان يخبرها عن يوم وفاتها وتبقى تصلي في الكنيسة حتى يخرج الجميع فضجر منها خادم الكنيسة واختفى يوماً خلف الصورة ولما سألتها عن يوم وفاتها قال لها الخادم ستموتين يوم غداً فتكدرت من هذا النبأ وقالت مخاطبة صاحب الرسم لم يقطعوا رأسك عن شيء قليل بل لكثرة كلامك

فانا الذي عشت حتى الان بعيداً عن بلادي واهلي ما كنت اعرف التحزب ولا الغرض ولكن لما عاشرتهم وسكنت بين ظهرانيهم ورأيت عدوهم يعاديني بدون سبب وصديقهم يصادقني ليسخرني لان في بلادنا الصاحب الذي يخسر اكثر من العدو لان هذا تنتبه اليه ولا يمكنهُ يحكك كل وقت لكن الصاحب يخسرك اكثر خصوصاً متى كنت طبيباً والقصة الاتية مع عميلنا في بيروت تظهر حقيقة ما قلناه

تغيرت فيَّ الطباع القديمة التي كنت اكتسبتها من هدو المصريين ودماثة اخلاق الدمشقيين فكنت اطعن بالمرائين الذين كنت اعرفهم والقصد ان ينكشفوا ولا يغشون احداً فالبعض كان يستهاب الفضيحة ويكف عن العمل الردي والبعض كان كابن الملوخية

(ابن الملوخية) . كان رجل اذا قيل لهُ ملوخية يتكدر ويشتم ويلعن القائل فاحد اصدقائه دعا اليه رجلا وقال لهُ اعطيك ريالاً اذا ذهبت الى فلان وقلت لهُ ملوخية قال هاتهُ ولما اخذ الريال توجه اليه وقال لهُ اتعرف من انا قال كلا اجاب انا ابن القواد وامي عاهرة واختي فاسقة وصناعتي لص . ملوخيه . ملوخيه . ملوخيه فسكت الرجل فقيل لهُ لماذا لم تتكلم اجاب انهُ يفتخر بالصفات التي كنت اريد شتمهُ بها ولم تبقَ لي حيلة الا السكوت

حاصله حضرت الى بيروت وسكنتها وانا لا اعرف احداً بها وكنت مصاباً بألم عصبي في راسي يحرمني النوم ليلاً والراحة نهاراً وكان اخي خليل في البيت عندي بدون وظيفة واخي الثاني امين لم يزل تلميذاً في مدرسة الطب بمصر ووالدي ترك بعد شهرين وظيفته وهو مديون بمائة وخمسين الفاً وهذه نتيجة خدمة الحكومة بصدق وامانة وكنت ملزوماً ان اقوم بمصاريف بيت ببيروت ولا مدخول الا الذي اكسبهُ من عملي والشغل في بيروت كان وقتئذٍ كالعدم لاني كنت مبتدئاً فضلاً عن كيد الاعادي الذين كانوا يريدون اغتنام الفرصة لاجل خرابنا وتراكمت عليَّ كل هذه المصائب والاتعاب في آن واحد فاحترت باي امر ابتدئ ان كان اوفاء الديون ام ترضية الخصوم او البحث عن شغل للقيام بالمصاريف هذه كانت حالتي لما قدمت الى بيروت وكنت مجتهداً ان اصبر الدائنين حتى اتمكن من وفاء ما علينا غير ان الاخصام لم يرضوا ذلك وزيادة عما لهم من الدين اعتمدوا يزورون مبالغاً جديدة وهذا التزوير هو الذي نشطني لان بتزويرهم اصبح الحق معي وضعف حقهم (آه ما احسنك ياحق) فصرت انا الدائن وهم المديونون وقد كشفت هذا التزوير وتخلصت منهُ والوسائط التي استعملتها وساعدتني التقادير عليها هي الاية التي تعلم كل من سقط بهكذا ظروف كيف يمكنهُ النجاة والخلاص

اجتهدت عَلَى مركز اناله لشغلي واحصل منهُ عَلَى شهرة وعَلَى مبلغ افي به ما عَلَى والدي وكانت هذه الاشياء موضوع تاملي وتفكري كذلك ان اجد واسطة توصلني الى المتصرف ليعرف الحقيقة واستعملت لذلك ثلاث طرق اولاً جسارتي التي اكتسبتها عندما ابتدوا يزوّرون كما قلت ثانياً عقلي الذي كان يقودني الى الطرق الموصلة للنجاح ثالثاً لساني الذي كان يوقف الذين كانوا يساعدون اخصامي عَلَى تزويرهم

وبعد ما تعرفت بالدكتور سنس الفرنساوي وذلك بسبب الالم العصبي في راسي دعاه اليَّ احد اصحابي دخلت معه في خدمة

المستشفى الفرنساوي الاول

اسس هذا المستشفى الاخت جلاس رئيسة راهبات المحبة في بيروت التي حضرت

من ازمير ومعها راهبتان وعند حضورهن لم يجدن محلاً لسكناهن فاعطاهن فورننه بورتاليس منزله في بيروت لمدة تسعة اشهر وذهب الى قرية بتاتر في لبنان وبنى كرخانة حرير وسكن فيها وذلك سنة ١٨٤٨ ولاجل هذه الخدمة لم تنسه الاخت جلاس ثم اشترت ارضاً على ساحة البرج كانت بستاناً الى بيت الشلفون وبنت فيها ديراً الى الرهبان العازاريين الذين يخدمون الراهبات ثم الكنيسة الشهيرة ومحلاً لتعليم البنات ومحلاً للمرضى واخر للاطفال المتروكين وقد طبب في هذا المستشفى بستلوسا ثم الدكتور سوكه الشهير وفي سنة ١٨٦٠ انشأت مستشفى للتمريض والنوم خدمه الدكتور سوكه ولما حضر الدكتور سنس في ايار سنة ١٨٧٩ استلمه من الدكتور سوكه وفي ١٤ تشرين اول من هذه السنة دخلت بخدمته وكان قسم من هذا المستشفى للمرضى الداخلين والقسم الاكبر للخارجين فهو الوحيد الذي كان اولاً وكان يزوره يومياً لحد ثلاثمائة مريض

جلاس

هي التي اسست كل ما هو للعازاريين في سوريا ولدت في ١١ كانون اول ١٨١١ بمدينة ربغر بجار بفرنسا التابعة لابرشية ليون ودخلت الرهبنة في ٦ شباط سنة ١٨٣٤ في باريز ثم حضرت الى ازمير وبقيت فيها الى سنة ١٨٤٨ وفي ٢٤ ايلول من هذه السنة حضرت الى بيروت مع راهبتين ولم تعرف انها تعينت رئيسة حتى وصلت الى بيروت وكان الرئيس على العازاريين الموسيو لروا وقنصل فرنسا الجنرال الموسيو بوره وكان اهالي بيروت يومئذ نحو عشرين الف شخص وحدودها الصور المسمى عصور

(اعمالها) اولاً بنت الدير الموجود فيه الراهبات مع مدرسة البنات الداخلية ومكتوب على بابه الشمالي هذه الكلمة التي عليها مدار العالم المتمدن وهي (الرحمة) Charité

ثانياً انشأت محلاً للبنات اليتامى جنوبي الدير

ثالثاً انشأت مدرسة للاولاد الايتام يتعلمون بها الصنائع

رابعاً اسست دير راس بيروت

خامساً اوجدت الحديقة التي على طريق الشام

سادساً عمرت مدرسة بمحلة الكورنتينا

سابعاً اسست المستشفى الفرنساوي الكبير

ثامناً اقامت ديراً بطرابلس

تاسعاً جعلت ديراً في الزوق

عاشراً انشأت ديراً في الشام

حادي عشر اسست دير برمانا

ثاني عشر اقامت مدارس للبنات في لبنان ثالث عشر وهو الاهم وهو الرحمة بعينها المستوصف الان الذي بقي محل المستشفى الاول والذي يزوره يومياً لحد مايتان مريض من كل الامراض وهو شرقي الدير

وكانت دائماً تقول لي انها تريد ان تنشئ داراً للعجزة وكانت تخدم المرضى بذاتها وتطعم الجياع وتقوي المرضا وتعزي الحزانى والمستوصف الباقي للان هو من صنعها ويعجز القلم عن حصر الخيرات التي عملتها هذه الاخت واذا اعتبرنا ان الانسان يكون عبداً للاحسان فيجب ان نكون جميعاً عبيداً لهذه الفاضلة التي فاقت بعقلها وتدبيرها وحسن ادارتها وسمو مداركها على فحول الرجال وقد خلفت ادارة من بعدها لا تزيلها الايام ويخضع لها قلب الانسان وهي ادارة الرحمة ومحبة الفقرا فاي قلب لا يحب فتاة كرست حياتها لخدمة البشر تطعم الجائع وتكسو العاري وتسعف الضعيف وتشفي المريض وتعزي الحزين فهي لليتيم واللقيط ام وللعاجز ملجاء وللجاهل معلمة تزور المسجونين ولا تطلب اجرة سوى رضاه تعالى وكل الذي ذكرته عنها كنت اشاهده بام عيني لانني قضيت معها ثمانية عشر عاماً اراها كل يوم تحضر لعندي لعيادة المرضى وتسألني عنهم وتذهب لمحل توزيع الطحين على الفقراء، وتنظر مراضع اللقطاء،

وعندما كنت اشاهد هذه الاعمال من الرئيسة والراهبات وارى منهن من كانت جميلات الصورة وغنيات من اصل شريف يخدمن المرضى خدمة لا تقوم بها اهلهم وليس لهن غاية دينوية وقد عرفت منهن الاخت مرغريت التي كانت توزع الدراهم

التي تانيها من ارث ابيها على الفقراء فزال من مخيلتي الفكر الذي كنت اعتقده بالرهبان والراهبات وانهم لا يدخلون الاديرة الا لسد جوعهم ولكسلهم واعتقدت ان العامل الديني هو الذي يدفعهم الى هذه الاعمال وقد قلت يوماً لاحداهن لو صدق الكفار ولم تكن توجد اخرة ولا ثواب فتكوني قد خسرت خسارة فادحة اجابت ان اعتقادي بالاخرة واستراحة فكري واملي بالمكافآت الاخرى تجعلني في هذه الدنيا كفي السماء والحق يقال ان هولاء الراهبات كن يشتغلن اكثر من الفعلة ويعرضن انفسهن لخطر العدوى من الامراض وكفى الدين المسيحي فخراً انهُ انتج مثل هولاء الفاضلات لخدمة العالم ويخضعن لمن القلوب القاسية وقد سمعت بعض المترددين على المستوصف لما توفت الاخت جلاس وذلك في ٤ تشرين اول سنة ١٨٩٧ ودفنت في وسط الكنيسة الكائنة بمدرسة البنات في الدير ان المسلم يقول ان نفسها في الجنة والاسرائيلي انها في حضن ابراهيم والمسيحي انها عن يمين الاب وهذا هو تاثير الاحسان

(مساعدة الاخت جلاس) وكانت اعظم مساعدة للرئيسة جلاس الاخت اسطفاني التي لم تزل للان بسن ثمانين سنة حافظة كل ذكاها وقواها العقلية وهي المعلمة لكل من اتى بعد الاخت جلاس في احوال الادارة وهي من الفاضلات

(رفيقاتي في المستشفى) لما دخلت في تطبيبه كانت رئيسة الادارة فيه الاخت كليمانس وبقيت معنا حتى تعمر المستشفى الجديد ثم ذهبت الى بلاد العجم وعادت منها الى فرنسا حيث توفت بعد برهة وجيزة وكانت مديرة ذات ذكاء ثاقب واوصافها كباقي رفيقاتها الراهبات وخلفتها الاخت مرغريت ثم الاخت اوجني ثم الاخت جان وجميعهن باعمال واحدة في الخير لا يمكن تميز واحدة عن الاخرى كما انه لا يمكنك تميز واحدة عن الاخرى بلبسها لانه واحد ويوجد من هذه الراهبات عدد عظيم من ابناء العرب لا يمتزن عن الافرنجيات بكل عمل خيري ومنهن الاخت مريم عكر موزعة الادوية والاخت روزلين من دير القمر ايضاً تغير على الجروح وماهرة جداً بقلع الاسنان

(الدكتور سوكه) هو طبيب صحة جمهورية فرنسا في سوريا وقد كان كما

قدمنا اول طبيب للمستشفى الذى انشأته الاخت جلاس وهو الذى رفع شأن الطب في سوريا وهو الذى جعل اجرة العيادة ريالاً مجيدياً وتوفي في فرنسا واتوا بجثته الى هنا كما اوصى يصحبها احد اقاربه وقد استقبلناها الى البحر مع القنصل لابتيت فيل قنصل جنرال فرنسا في سوريا وتوجهنا مع سنس ودفن في صربا في القبر الذى انشأه وهو حيّ والان قائم على تلة فوق السكة الحديدية وكان ذلك سنة ١٨٨٥

ومن العجب انني عندما كنت اصلح هذه المسوده للطبع حضر لعندي كاهناً سريانياً من جونيه يدعوني من قبل الخواجات باغوص مانوك لحضور حفلة نقل جثة اخيهم المتوفي بحبيب الى المدفن المقام له جنوبي كنيسة صربا التي جنزنا فيها الدكتور سوكه ومن ذلك الحين لليوم ما دخلتها وغبطة البطريرك الحالي اليوم كان حاضراً حفلة جناز سوكه وكان لم يزل خورياً وهو غبطة البطريرك الياس الحويك الماروني وبصحبه غبطة البطريرك افرام الرحماني السرياني الكاثوليكي في هذا الاحتفال

المستشفى الفرنساوي الحديث

قبل فتح المدرسة الطبية بنى المستشفى في المحل القائم به الان وكان رئيس العازارية في بيروت يومئذٍ الموسيو ده فن الذى اشترى ارضه وبناه ونقل اليه المرضى الداخليون واستقل بادارته اما المستشفى الاول فبقي للمرضى الخارجين و بقيت فيه طبيباً للعين ثم دخل الدكتور صوما بعدما تعلم في المدرسة سنة ١٨٩٥ وهو من الاطباء المعتبرين وماهر في صنعته ولم ازل لليوم منذ ثلاثين سنة اطبب فيه العيون والدكتور صوما يداوي باقي الامراض والمرضى خارجيون

عميلنا في بيروت

ان هذه القصة تنبه كل من يتعاطى الاشغال الى عميله لان الاحتراس لازم مثلاً اذا كنت مسافراً واخذت معك سلاحاً مفكراً ربما تلتقي بقاطع طريق فتدافع عن نفسك فاذا ما وجدت لصاً وكان معك سلاحك لا يضرك ولكن اذا ذهبت من دون سلاح ووجدت اللص فتكون خسرت يلزم ان الانسان يفتكر بالاذى

له قبل حصوله و يعمل احتراسات لمنعه عنه قبل وقوعه فيه من ان يسلم نفسه بدون انتباه للذي يجد عليه من المصايب وهذه القصة هي حيث لا بد لكل رجل مهم في الجبل من عميل له في بيروت وقد اتخذ والدي هذا الرجل التاجر عميله وكان يطلب منه اغراضه في بيروت و يستدين دراهماً منه بالفائض وكانت له به ثقة عظيمة حتى اصبح كواحد منا كل منا يتعاطى معه بالاخذ والعطا خصوصاً المرحوم اخي خليل الذي كان يساعده بقضاء اشغاله ولما اتيت الى الوطن صرت اتعاطى معه ايضاً وكان والدي استدان مبلغاً من جوستي المصور الذي اوصى بتركته الى البابا واتما صد بيافي وكل موسى افندي فريج بجمع الديون فسحب بروتستو على كل المديونين وقد حصل اختلاف بينه وبين والدي على رصيد الحساب الذي كان حسب والدي الف وثمانماية غرشاً وعلى حساب فريج افندي اربعة الاف غرش واخيراً كتب عميلنا لوالدي يخبره ان موسى افندي لم يقبل الا بحسابه وكان والدي يعتبر الاشخاص اكثر من الدراهم فلكي لا يجعل اختلاف بينه وبين فريج افندي كتب للعميل ان يدفع له مطلوبه فارسل هذا تحريراً لوالدي فيها علم الحساب ومن جملته اربعة الاف غرش لفريج افندي رصيد الحساب وكذلك بعض اغراض و بواقي حسابات وكان مجموع ما يطلبه ١٢٠٠٠ غرشاً حرر له بها والدي كمبيالة

وبعد حضوري الى بيروت وسكني بها كلفني والدي ان اذهب الى موسى افندي فريج واستلم منه الكمبيالات لانه دفع قيمتها كلها ولم اكن وقتئذٍ اعرفه وتوجهنا اليه وسألتهُ عن الكمبيالات قال انها دفعت ولكن لا اسلمك اياها حتى تأتيني بالوصولات فحررت بذلك الى والدي واجابني انها مع عميلنا فذهبت الى دكانه وسالته عنها قال انها في المنزل ويحضرها في اليوم الثاني وفي الغد لم يأتِ بها وهكذا جملة ايام بقي يراوغني ويحاولني اخيراً توجهت الى فريج افندي وسالته عن عدد الوصولات لانها مقيدة دون شك في دفاتره فامر الكاتب باعطائي علمها فاخذته وارسلته لوالدي فتعجب غاية العجب من الوصل الاخير رصيد الحساب اذ مذكور فيه انه دُفع لفريج افندي ١٨٠٠ غرشاً مع ان العميل ذكر انه دفع اربعة الاف غرش فعند ذلك عرفت سبب محاولة العميل وذهبت الى فريج افندي وطلبت منه تحريراً بحقيقة

الحال فكتب لوالدي كتاباً يقول فيه ان رصيد الحساب الذي كان اربعة الاف غرش قبضناه اكراماً لخاطركم حسب ارادتكم الف وثمانماية غرشاً وسلمني التحرير مع الكبيالات بعدما اخذتها افتكرت في الغش الذي ظهر من رجل كنا نحبهُ ونعتبره كواحد منا ونعتقد بهِ كل الاعتقاد انهُ يلاحظ مصلحتنا ورايناه بالعكس قد اخذ منا ما تركهُ الغريب لنا فقلت بذاتي كم أُغش هذا الرجل والدي هذه المدة الطويلة حين كان لا يظن بوجوب مراجعة حساباتهِ نظراً لثقته بهِ وافتكرت ان اذهب اليهِ واصفعهُ امام الناس واكشف غشه غير اني ارتأيت ان ذلك لا يوافق فاخيراً توجهت اليهِ واخبرتهُ عن خلاصنا من موسى افندي فقال لي كمبيالة باثني عشر الف غرش عند والدك اريد انقلها لاسمك لانك هنا اقرب قلت له لا باس من ذلك فغير الكمبيالة عليَّ واخذت كمبيالة والدي منهُ مع تحرير اليه مفاده ان جميع الحسابات التي بيننا حتى الان قد انتهت ولم يبقَ لنا بذمتكم شيءٌ ولما استلمت هذا التحرير ارسلتهُ الى والدي ورجوتهُ ان لا يتعاطى مع هذا العميل ابداً

ولادة ابنتي حسيبه

في اليوم الثالث عشر من شهر ايار نهار الخميس الساعة الثانية ونصف بعد الظهر سنة ١٨٨٠ ولدت لنا ابنتنا البكر التي دعوتها حسيبه باسم التي كان مرادي ازوجها في الشام ولما عرف والدي بولادتها ارسل لنا هدية من الجبل وفي شهر حزيران ذهبت لازوره فقال لي انهُ تكدر لولادة ابنة لنا فاجبتهُ لم ازل وامراتي باول عمرنا وسيلد لنا ذكوراً فيما بعد قال اعلم ذلك ولكن ارغب بان اراهم قبل ان اموت وكان قوله نبوة

وفاة والدي يوسف الخوري ابرهيم

ولد في ٩ ايار سنة ١٨١٨ وبقي حتى صار عمره خمس عشرة سنة يدرس في بيته العلوم البسيطة وفي هذا السن توجه الى قرية مشغرة بامر المرحوم الامير بشير

الشهابي لاجل المناظرة على الحديد الذي كانوا يستخرجونهُ من وادي السنديان بين مشغره وكفرحونه وكان لا يسوغ لاحدمن اهالي جبل لبنان ارساله الى الخارج وكان ذلك سنة ١٨٣٣ وبقي في هذه الوظيفة الى ان سقط الامير المذكور وبعد ذهابه حكم اقليم جزين آل جنبلاط واتخذه احمد بك كاتباً خصوصياً لهُ وتوجه مع مناصب لبنان بخدمة الوالي الجديد المرحوم الامير بشير ابو طحين الى يافا لمحاربة ابرهيم باشا المصري حين كان راجعاً من سوريا وبقي برفقة احمد بك حتى جرت الحادثة الاولى بين الدروز والنصارى وفي المدة التي انقضت بين الحادثة الاولى والثانية كان كاتباً عربياً في قونسلاتو دولة انكلترا الفخيمة بصيدا وكان يومئذٍ قنصل الجنرال على سوريا الكولونل روز بك ولما انتهت الحادثة الثانية طلبهُ سعيد بك جنبلاط من صيدا الى المختارة وبعد حضوره بمدة وجيزة واستخدامه كاتباً خصوصياً لهُ صدر الامر المشيري من بيروت بتولية سعيد بك على الشوف واقليم جزين واقليم الخروب واقليم التفاح وجبل الريحان وبقي في هذه الوظيفة مدة سبع عشرة سنة ورغماً عن انهاكهِ في الاشغال كان يتلقى العلوم العربية والفقه على فضيلة الشيخ ابرهيم الاحدب الذي استحضره سعيد بك لتعليم اولاده وقد نسخ سبعة عشر كتاباً بخط يده منها قاموس المطران والحريري والمتنبي وجملة كتب شرعيه وفي هذه المدة تعين من قبل الحكومة مأمور النفوس بقضاء جزين وجبل الريحان وبعد حادثة سنة ١٨٦٠ وتشكيل متصرفية لبنان طلبتهُ الحكومة الى القومسيون المعين من ذوات لبنان لاجل التحقيق على بواقي الاموال الاميرية ولما انحل هذا القومسيون انتخب عضواً لمجلس ادارة لبنان عن قضاء جزين وهو اول عضو لهذا المجلس عن الاقليم بمدة دولتلو داود باشا وبقي ست سنوات وانتخب ثانية ثم نقله دولتلو فرانقو باشا الى مجلس الدفترخانة الذي كان رتبهُ ولم يكن موجوداً في نظام جبل لبنان وبقي بوظيفته الى ان حضر دولتلو رستم باشا فالغى هذا المجلس وفي هذه المدة ذهب الى مصر لزيارتي ومعهُ ولده امين فدخل هذا بمدرسة الطب وعند رجوعه الى لبنان عينه دولتلو رستم باشا عضواً في مجلس الجنايات الذي كان شكلهُ حديثاً وفي هذه المدة مرض مرضاً ثقيلاً وفي ك ٢ سنة ١٨٧٦ قاضياً على محكمة جزين وهو ثاني وطني وكان فيها بعد سرايبون ابي رزق وبقي بهذه الوظيفة الى اول كانون

الثاني سنة ١٨٨٠ فيكون قد خدم الحكومة ٤٧ سنة وعاش ٦٢ عاماً وبهذه المدة لم يعزل ولا مرة وكان لهُ المركز الاول في الخدمات وهو اول عضو في مجلس الادارة عن اقليم جزين واول عضو بدائرة الجبايات عن الموارنة وثاني وطني تولى قضاء جزين وكان يبعد عن الشرك بالله والاضرار بالناس

هذا مختصر تاريخ حياته · وقد تعلم الصرف والنحو والفقه والعروض والحساب والجغرافية والتاريخ وعلم الطبيعة وعلم الفلك بدون استاذ وهو منهمك بالاشغال الادارية المهمة وقضى حياته ولم يشتكِ عليه احد ولا هو تشكى على انسان في الدعاوى الحقوقية وكان يساعد اعداءه كاصدقائه وفي مرضه الاخير الذي اصابهُ في اول تموز سنة ١٨٨٠ دعاني اليه من بيروت فتوجهت و بقيت عنده الى مساء يوم الخميس الساعة الثالثة ونصف عربية الواقع في ٥ آب سنة ١٨٨٠ وهو تاريخ نظرته الاخيرة اليَّ وكلمته الاخيرة معي وكان دفنهُ في اليوم الثاني نهار الجمعة الساعة العاشرة عربية في ٦ آب وانتشر منعاه فاجتمع الوف من اهالي اقليم جزين وعدد عظيم من الكهنة والرهبان في مأتمه ولا استطيع ان اصف الغم والكدر الذي اصابني بفقده وكل من عرف سلوكي معهُ يقدر المصيبة التى رزئت بها لفقده وكان دائماً مشغول الفكر نحوي من حيث الديون والعداوة وخلافها وكان يقول لي مدة مرضه انني حزين جداً لسببك ولما توفي شعرت كانني منفرد في العالم دون محب حقيقي لان من فقد والده يفقد المخلص والمستشار اما اشغالي بالدعاوى فقد خفف من لوعتي اذ لو كنت اهملت اخصامي لكنت تلفت لا محالة لان الموت الحقيقي هو موت الانسان وهو حي اعني وفاة كرامته وجاهه اما الموت الطبيعي فامر عمومي على الجميع وكنت دائماً اتذكر هذا البيت

كل المصائب عند الموت في صغرٍ والموت عند هوان النفس في حقر

دعوى عميلنا

بعد وفاة المرحوم والدي قدم عميلنا دعوى عليه وان له بذمته خمسة وعشرين الف غرش وانهُ حولها عليَّ ورفضت التحويل و يطلب الرجوع عليه ولم يكن عندهُ لاثبات مدعاه ورقة خطية بل قدم شهوداً على صدقه وهم اصهرته واولاد عمه والذي

دربه على هذا الامر احد اقاربنا وكانت الدعوى منظورة بمحكمة جزين التي كانت يومئذ حسب التشكيل الاصلي مؤلفة من قاض من الطائفة الاكثر عدداً ومن كاتبين اول وثان وكان القاضي يومئذ من الطائفة المارونية ونائبه درزي والكاتب الاول من طائفة الروم الكاثوليك والثاني من الطائفة المارونية وقدسعى العميل بالحصول على توصايات عديدة من المركز الى الهيئة الحاكمة وكان كل اقربائنا يساعدونه وبقيت وحدي ادافع وارافع واشتريت نظام الحقوق وكنت ادرسه وسالت بعض المتشرعين فاجابوني انه لا يمكن لقاض ان يسمعها واخيراً توجهت الى المحكمة لرؤية ما يصير وعزمت ان اكلم القاضي واعرض له الدعوى كما هي مستنداً على عدم وجود مسوغ شرعي لاستماع شهادة الشهود

(رئيس المحكمة) لم اكن اعرف هذا الرجل ولا سبق لي ان دخلت بدعوى فكنت اظن انه يصغى للحق لان هيئته الظاهرة الجامدة تدلني على ذلك ولما كنت اكلمه لم يكن يصغى لحديثي بل كان جوابه الوحيد ان الحق بجانب خصمي ويعلمني ان اتكلم بالمحكمة كلاماً رايته مضراً بي واخيراً تنكرت منه ولم اعد اعتبره

(اعتراف اللص) في احد الايام وهو نهار الاربعا دخلت عليه فرايته يأكل زيتوناً وزعتراً لبخله لا كما كان يدعى لدينه فاتوا له بهدية وكان كاس من اللبن فقال الى الهادي اما تعلم انني لا آكل اليوم زفراً فضحكت وسالني عن سبب ضحكي ظناً انني حسبته بلا دين قلت قدخطرت لي حكاية اعتراف قاطع الطريق قال وما هي قلت ان احد قطاع الطريق اتى يوم العيد الكبير الى كنيسة القرية ودخلها بسلاحه فاستهابه الحاضرون لما عرفوه واوسعوا له مجالاً فوصل الى الكاهن الجالس بكرسي الاعتراف فلما راه ارتعب منه وساله ماذا يريد قال اني اريد الاعتراف قال ابدأ بذكر خطاياك قال انني يوم امس رايت مكارياً فقتلته واخذت ما معه وما هو بالذنب الكبير احسبه على رجلي وذكر له جملة خطايا وكلها حسبها على رجله فصرفه الكاهن وبعد ان خرج من الكنيسة رجع وقال للكاهن يا ابت انني نسيت خطية عظيمة اظنها لا تغتفر قال وماهي قال انني اكلت لحماً يوم الاربعا قال الكاهن فاحسب هذه على رجلي انا

ولما سمع هذه الحكاية ضحك لحبثه وعندما نظرته بهذه الحالة تركت الحضور

الى الجلسات وحكم عليَّ حكم غيابي فاستأنفته وحكمه كان بقبول الشهود على تحويل والدي اليَّ بدون تحويل ولا كتابة تدل على ذلك وكان له احكام لا تطابق النظام ولا الانسانية بل مرامه ومن جملتها الاتي

(احد احكامه) ادعى رجل على اخر بان له بناء سفلياً امام علية شخص اخر وان صاحب العلية له حق المرور على سطح هذا البناء وانه الان يقيم خيمة على السطح ويقطر العرق عليه فيتضرر من ذاك (الحكم)

بناءً على اتفاق الخصمين قبل صاحب البناء الاسفل بان صاحب العلية لا يمكنه عمل خيمة مدة نصف سنة ابتداوها من تشرين الثاني لغاية ايار وفي الستة اشهر الاخرى يمكنه عمل الخيمة وتقطير العرق فاخذ الرجل الحكم وابتدأ يصرخ ويقول من في بكاسين يعمل خيمة بشهر كانون ويقطر عرق العنب بشهر شباط وقد اراني الحكم فيا قول القراء بهذا الحاكم وهي في محكمة قضا جزين لليوم عن سنة ١٨٨١ وبقي في وظيفته حتى تولى واصه باشا فعزله حين توجه الى جزين وعزل معه الكاتب وقد نظمت له اشعاراً اورد بعضها في القصيدة العمومية التي نظمتها لموظفي رستم باشا وكان مجتهداً في تختيم التشكر برستم باشا لابقاءه متصرفاً ليبقى قاضياً وكنا نسميه النخاس وكان مستنداً على مامور اسمه فنحاس في المركز

وقاض في قضا جزين يقضي ... عبوساً بالنساء وبالخرادِ
لذلك قد اصيب بداء صرع ... وكان الداء فيه بازديادِ
اتاه عزل من ولاه يوماً ... وكان قضاؤه لاماً بصادِ
ولم تنجع به اختام شكر ... وكان بختمه ختم الفسادِ
بكاه ناحباً معتوه عقل ... طليق الدمع ماسور الفوادِ
ودار بنعشه بلتاع يشكو ... بنوح نادماً يدعو ينادي
فراقك يا فساد عليَّ مرٌّ ... فلا تترك حبيبك في ابتعادِ
بموتك مات عزمي واعتزازي ... وعيشي وانتعاشي واشتدادي
وما النخاس من فنحاس الا ... كذيل من ورا كلب ورادي
بدجل بين فخذيه لضيم ... يحرك يوم رغد للتعادي

وينزل راسه للارض يوماً اذا ما جآه عكس المرادِ
وفي كل الامور فلا تراه بحالٍ مستقيم للتمادي
ومن يرجو استقامة ذيل كلب يقود المستقيم الى الفساد

وكان النخاس من قوم لوط

وقد حررت له كتاباً ونظمت له ابياتاً مخصوصة لحكمه وهذه هي

حولت قلبي اليها حين بت لها مديون لطف وديني غير مكفول
امضت عليه بسيف اللحظ قائلة لعلة فيه اضحى غير مقبولِ
حاولت ارجاعه شرعاً فما قبلت وحاولتني بتحويلٍ كتقبيلِ
لما راى بندها قاضي الهوى فقضى ظلماً عليَّ ببندٍ غير منقولِ
عَلى المحول لم ترجع حوالته والحق عندي لذي جاه وبرطيلِ
كانه اليوم عباس يحاكمني والمال بغمره ضدي كمكحولِ

وكان عزله في ٣ ايلول سنة ١٨٨٣

استئناف الدعوى

بعد اصدار الحكم المذكور وتبليغه لي مع المضبطة استأنفته الى دائرة الحقوق بمركز متصرفية لبنان وكانت وقتئذٍ مؤلفة من افاضل اللبنانيين ورئيسها بطرس بك كرم واعضاؤها ارسانيوس افندي مذكور عن الموارنة والشيخ سعيد حمان من بتاتر عن الدروز والشيخ يوسف الخطيب عن الاسلام وجبران افندي مشاقة عن الروم الكاثوليك واسكندر الخوري عن الروم الارثوذكس والسيد علي عن المتاولة

وعندما كنت اسمع احد الاعضاء يقول انه لا يحكم بدعوى ما لم يامره المتصرف عَلى ذلك لان المتصرف اكبر واعلم منه ولولا ذلك لما اصبح متصرفاً وحيث كنت اعلم عداوة رستم باشا وتحزبه لاضداده خشيت ان تبلغه المسألة عَلى خلاف الحقيقة فيامر بالحكم عَليَّ وعندئذٍ لا تستطيع قوة ان تضاده لان متصرف لبنان له السلطة المطلقة وكل المستخدمين تحت امرته المجردة يعزل ويولي من اراد ومتى اراد وان شاء تصدير دعوى احد يحرك عليه اقاربه فيصدر ونها ويأمر بالحكم عليه فيكون الظلم شرعياً

ولا احد يمكنه ردعه الا اذا حركته الشفقة

وكنت اعتقد باستقامة رستم باشا متى عرف الحقيقة ولكن الوشاة كانوا يحيطون به ليكتموها عنه وكل حزب يمثلها له حسب ماربه ولم يكن يتنازل ليفحص عنها بذاته بل يستخبر عنها من اتباعه المحدقين به وقد مهر اهل بلادنا بقلب الحقائق لذلك افتكرت ان ابحث عن شخص غريب اخبره حكايتي وارجوه ان يبلغها لدولته ويعرض عليه مظلمتي ويرجوه بان لا يصغي لكلام الاعداء المفسدين ويامر المحاكم للقضاء عليَّ واخيرًا ارتأيت ان اذهب لمقابلة امرأة عبدالله باشا

عبدالله باشا رجل انكليزي خدم الدولة المصرية ودعي بهذا الاسم ولما احيل على المعاش اتى الى سوريا مع زوجته وبناته فتعرف برستم باشا فكان يحبهن ويكرمهن لانه كان اعزبًا ويتردد بكثرة الى منزل عبدالله باشا فكانوا يضيفونه في بيت الدين بالسراي

(اقتداء اهل بلادنا) نظرًا لملاطفة رستم باشا للسيدات اقتدى به سائر المأمورين وكان بينهم شيخ بلغ من العمر نحو السبعين سنة حاز مركزًا عاليًا وتربى التربية القديمة التي كانت تحتم على الرجل ان يقول كلمة (اجلك الله) حين ذكر النساء فصار يستقبل السيدات ببشاشة وانس وسألهُ بعضهم يومًا ما هذا الانقلاب ياعم اجاب هي المودة اليوم

وبالاختصار اننا نتطبع بسهولة بطباع رؤسائنا

(مقابلتي امرأة عبدالله باشا) في احد الايام توجهت لبيت عبدالله باشا وكان ساكنًا في راس بيروت ولا اعرف منهم احد فطرقت الباب وحضر الخادم فاعطيتهُ ورقة باسمي وطلبت منهُ ان يسلمها للسيدة وبقيت واقفًا في اسفل السلم وبعد قليل نزلت الى منتصف السلم وسألتني ماذا اريد وهل ارغب مقابلتها او مشاهدة الباشا زوجها ولما قلت لها انني اريد مقابلتها اجابت انني لا اعرف اللغة العربية فقلت لها انني اتكلم الفرنساوية والانكليزية فدعتني ودخلنا الى غرفة المائدة واعتذرت مني على استقبالها اياي في ذلك المحل لانها نزلت حديثًا من الجبل ولم تتمم فرش منزلها وسألتني ماذا اريد قلت سيدتي ان الناس يتقولون كثيرًا ويتهمون رستم باشا بما هو بريء منهُ ولعلمي صداقتك لهُ جئت اخبرك ما تجريهِ حاشيتهُ من المفاسد التي ينسبونها لهُ

لينفذوا اغراضهم وتأييداً لقولي اسمعي قصتي ان تكرمتِ وذكرت لها تفصيل حكايتي مع عميلنا وتزويره بدعواه وقلت لها ان ميدانا الطبيب الذي يدعي النفوذ لدى رستم باشا من جملة انصاره وقد كفل لهُ النجاح لانني عندما كنت في دمشق اختلفت مع الطبيب ميدانا (وكان ذكر ميدانا شفيع لي لانها تكره ابنتهُ غيرةً) فارجوكِ ان تُداخلي بمسالتي وتخبري دولتهُ حكايتي وانا ارضخ لكل ما يأمر بهِ بعد ان يتلو مضبطة قضاء جزين فوعدتني ان تفعل ذلك متى عاد من الجبل واعتذرت انها لا تستطيع الكتابة لهُ فشكرت لها فضلها وخرجت

وبعد مدة اخبرني اسكندر بك توبني الذي كان يومئذٍ منحطاً نفوذه عند دولته وكان هناك بعض اخصامنا من المأمورين فقال لهم دولتهُ من هو الدكتور شاكر الخوري الذي بان لهُ دعوى لا يعدلون له بالحكم فيها فاجابه احدهم (وكنت اظن به الصداقة لانهُ لم يرَ منا قط معاملة سيئة ولم نؤذه بشيء) انهُ شخص مفسد مقلق اخذ دراهم شخص مسكين وحتى الان لم يدفعها لهُ فنشكى عليه قال وما هي مداخلة الطبيب ميدانا اجابه اقسم لدولتك ان ميدانا لا يعرف له وجهاً قال وهل كان هذا الطبيب بالشام اجاب الامير سعد شهاب الذي كان يومئذٍ رئيس مجلس الادارة نعم فحينئذٍ التفت رستم باشا وقال بغضب مخاطباً المفسد ان الدكتور شاكر يتشكى منهُ ومنكم جميعاً بانكم تتداخلون ضده فيلزم ان لا تتداخلوا بدعواه فيما بعد باي وجهٍ كان

ولما عرفت ان دولتهُ لا يتداخل بدعوايَ توجهت ثاني يوم الى دائرة الحقوق نشيطاً مقوياً وكان ضدي الرئيس بطرس بك كرم لان خصمي اتى له بعدة وصايات من سيادة مطران الدبس وكان لا يعرفني يومئذٍ ومع هذا لا يلزم مداخلته في مسالة لا يعرف حقيقتها لانه لم يستمع كلامي للحكم بيننا وهذه التوصاة احتقار للحاكم لانه اذا كان الموصى به ممقوتاً فلا توصية سيادته تنفعه واذا كان اكراماً لخاطره يعطه الحق فهذا عيب عظيم فاذا كان سيادته معتقداً ان هذا الحاكم مستقيم فلا يلزم له وصاة حاصله هكذا كانت العادة فدخلت الحبس وكان قد مرَّ على دعواي سبعة اشهر سيفي الاستئناف ولم يطرحها الرئيس للمذاكرة لعله اذا طرحها لا يحكم بها فطلبت منه كالعادة انهاء الدعوى فاجابني كالعادة سنراها في الاسبوع القادم وكنت قبلاً اسمع

امره ممتثلاً واخرج اما هذه المرة فاجبته حتى متى التأجيل والتسويف فقد مر عليها سبعة اشهر ولم تطرحها للمذاكرة قال تشكى عليَّ قلت هـذا ما سافعله ان لم تقدمها يوم غد للمذاكرة واعلم عندئذٍ انك انت خصمي لا الخصم ودولته لا يرضى هذا الامر خصوصاً بتحزبك لرجل مزور وكان عميلنا وافقاً فسمعني وقال انني ارفع عليك الدعوى الجزائية لاتهامك اياي بالتزوير قلت انني اثبت قولي واخرجت تحرير موسى افندي فريج الى والدي بكونه قبض منهُ ١٨٠٠ غرشاً مع ان هذا اخبره بكتاب مرسل منه انهُ دفع اربعة الاف غرشاً وقد رايت هذا التحرير بين اوراق والدي وقدمته للمجلس

فلما راى هذه التحارير بيدي التي تثبت تزويره سكت واصفر لونهُ كذلك عروق الرئيس جمدة فخرجت وقلت سارجع غداً

(المصالحة علَى هذه الدعوى) وفي اليوم الثاني اتيت الى المجلس وبينما انا واقف قرب بابه رايت الرئيس فخرج من الغرفة مدعياً انه يريد ازالة الضرر ولما رجع قابلته وسألته ماذا يريد ان يعمل اليوم فضحك واخذني بيدي الى جانب وقال اصدقني الستم مديونين لهذا الرجل قلت بلى انا واخوتي مديونون له ولكن ليس والدي قال وما هو مقدار دينكم قلت ستين الفاً قال انه يزعم ان الدين اكثر من هذا القدر اجبته قد كذب بقوله واظهرت له تزويره وكيف كان يقيد كل دفعة يرسلها لاخي امين ثلاث مرات واطلعته على خوافي سر هذه المسالة وقد كان بطرس بك عادلاً فحين راى هذه البراهين وان دعواه علَى والدي محض افتراء اراد ان يصلحنا فقال لي ادفعوا له ستين الفاً وانا اصرف لكم هذه الدعوى قلت لا نستطيع دفعها مرة واحدة بل نقسطها قال وهل لك من يكفلك علَى ذلك قلت نعم قال فليأتِ ويكفلكم ونحن ننهي هذه الدعوى

(سليم بك طرابلسي) لما تركت بطرس بك اشغل فكري لوجود كفيل لان ذلك وقتئذٍ كان عسراً جداً لانني لم اكن اعرف احداً يستطيع تقديم هذه الكفالة خصوصاً لان حالتنا كانت لا تجرئ احداً علَى المخاطرة بهكذا مبلغ لكن اذا اراد الله توفيق انسان سهل له كل الوسائط من حيث لا يعلم فتوجهت حالاً لاذكر ما جرى

الى ابن خالتي سليم بك طرابلسي اميرالاي ولم يخطر ببالي ان اطلب كفالته لانه كان حريصاً جداً على كل ما يملكه ولا يتعرض لمثل هذه الامور ولا استطيع ان اصف عجبي حين قال لي اذهب وقل لهم اني انا كفيلك فلم اصدقه حتى رايت علائم الجد بادية على وجهه واعاد عليَّ كلامه فقلت له ان املاكنا تزيد على هذه القيمة فانا ارهنها عندك قال هذا امر لا يكون ولو ذهب المال ففداؤك فقلت بذاتي ان الله لا يريد خراب هذا البيت لذلك ارسل له مساعدة غير منتظرة وتوجهت الى المجلس واخبرتهم عن الكفيل فقبلوه وطلبوا حضوره فاتيت اليه واخبرته فنزل حالاً ووقع على كمبيالات التقسيط وشرح عليها انه يقوم بالدفع يوم الاستحقاق اذا تاخرت عن دفعها وكنت اوفر ما اجمعه حتى افي به الدين كي لا يطالب احد سليم بك بشيء وهكذا انتهت هذه الدعوى وكانت كل اقاربنا تتوجه الى زوجة سليم بك وتخوفها من الكفالة حتى تبطل زوجها فما امكن ولا هي فعلت

(حضور اخي امين) لما كان والدي في حالة الخطر ارسل تلغرافاً لاخي امين يطلب حضوره اليه وكانت سنته الاخيرة في المدرسة ولم يبق عليه الا اخذ الشهادة فحضر بعد وفاة والدي بعشرين يوم ثم رجع الى المدرسة قبل انتهاء الدعوى لاخذ شهادته فتوجه الى مصر ونال شهادته واستخدم طبيباً في العسكرية ثم نقل الى مستشفى دمياط وكان بمدة استخدامه يرسل قسطه من الدين الذي عليه والذي على اخي المرحوم خليل لانه كان بلا وظيفة واخيراً انهينا كل الديون التي كانت على والدنا وقد اخذت املاكنا بما دفعته زيادة عن اخوتي والباقي اقتسمناه

كل من كان يعرفنا من اعداء واصدقاء كانوا يقولون ان بيتنا قد تلاشى ومن اين لهولاء الاولاد ان ياتوا بهكذا مبالغ جسيمة في الجبل ولا بد لهم من بيع املاكهم التي سياخذها شليطا الذي كان يومئذ شهيراً بتلك النواحي نظراً لغناه ولكن تدبير الباري قد رد كيدهم الى نحرهم

الحية وابن الفلاح

وبعد انتهاء الدعوى اراد عملنا ان يعيد الاشغال القديمة ونرجع نتعامل فقلت

له هذا المثل كان لفلاح سيرة لزرب مواشيه وكانت لسكنها حية فكان يأخذ كل يوم ثلاث بيضات ويطعمها للحية فكانت بعد ذلك تبصق له من فمها ذهباً وترجع الى وكرها وكان يستمر على هذا الحال بدون ان يخبر احد ففي احد الايام مرض وقارب الموت فدعى اليه ولده الاكبر واخبره بسر المسألة وان يلزم كل يوم ان يأخذ الى الحية ما كان يأخذه والده فتوجه الولد في اليوم الثاني وقدم البيضات وقبض الذهب ثم افتكر ان لا بد من ان بطن الحية مملوء من الذهب فالاحسن بعد ما تاكل البيضات وترجع اضربها واقتلها واستخرج المال من بطنها فاستحضر على عصا واخفاها وراء ظهره فبعد رجوع الحية الى مركزها ضربها فاصاب ذنبها فانقطع فرجعت اليه ولدغته في عقبه ورجعت الى محلها فتسمم الرجل ومات وكان الاب رجع الى صحته فبعدما دفن ولده اخذ البيضات مثل العادة واتى الى الحية ودعاها الى الخروج فابرزت راسها من الوكر وشاهدت الاب راجعاً الى عمليته الاولى فقالت له انتهت كل معاملة مع بعضنا لفقد الامنية فيما بيننا فانا لا يمكني انسى قطع ذنبي ولا انت يمكنك تنسى موت ابنك فودعته وذهبت وهكذا نحن يا صاحبي وكان هذا اخر ميعادنا

(انتها عميلنا) قد قيل لا قصاص من كان مرتكباً عن يدك لان استمراره على الارتكاب لا بد ان يجعل من يقوم عليه ويهلكهُ فان الذي اجراه عميلنا معنا جرَّاه على ان يستعمل هذه الطريقة مع الغير ولما تنبهوا الى امره صدروا الدعاوى عليه حتى انهُ نظراً لكثرتها اضطر ان يعطل شغله ولم يعد يجلس في مخزنه فخسرت تجارتهُ ولكثرة مصاريف الدعاوى انهمك جسمه الذي كان لينفاويًا صفراويًا ولم يمكنهُ احتمال هذه المشاق فمرض وتوفي مخلفاً اطفالاً صغاراً وارملة جاهلة لا تدرك شيئاً وكان باقياً له ديون عند كثيرين في الجبل ارادوا اختلاسها فساعدتهم مع المرحوم اخي خليل وحصلنا لهم مايتين وخمسين الفاً وكانت الدراهم التي تحصل تودع عند الام لانها وصية اولادها لكنها كانت تبذر المال ثم قامت الدعاوى بينها وبين اخوتها لوراثة والدها وكان الجميع يساعدونها اما الان فقد تزوجت ثانية وتركت اولادها وذهبت مع زوجها الى امريكا

وبعد وفاة عميلنا حصلنا لهُ كل ديونه ما عدا الذي كان لهُ عند قريبنا الذي التي

الفساد بيننا وبينهُ ودر بهِ علَى تلك التزويرات ولما سقط وسقطت عائلتهُ لم يلتفت اليهِ بشيء وطالبهُ ضهره بالمبلغ المديون وهو ستون الفاً اجابه وقد كنت حاضراً اني لا اسلم هذا المبلغ الا للاولاد واخيراً توفي وكاد الاولاد يموتون من جوعهم ولم ينلهم منهُ شيء اما نحن فنشكر فضل قريبنا الذي سعى بضررنا وخرابنا ولكن سعايتهُ عادت علينا بالنفع اذ انتبهنا لعملنا الذي كنّا نأتمنه ونستسهل الاستدانة منه حتى كدنا نصل الى الخراب ولكن تيقظنا واجتهادنا بسداد ما علينا دعانا الى كشف الستار لذلك صادقت قريبنا المذكور وصرت اخدمهُ في اشغاله ولما توفي لم يرَ غيري مدة مرضهِ اما الشهود الذين شهدوا علَى والدي فقد المت بهم مصائب جمة وكنت اساعدهم وقد لامني بعض الناس علَى ذلك فاجبتهم ان الله انتقم لي منهم عني اذ اوصلهم الى هذه الحال ومهما كان انتقامي شديداً لا يوازي انتقام الله منهم

ان هذه القصة تعلما ان لا نسلم ذاتنا لاحد بل يلزم التدقيق في الحسابات ويجري النظام والقانون في كل اعمالنا ولو شغلنا مع اخوتنا لاننا نرتاح اذا حصل اختلاف بيننا الذي لاجله وجدت الحكومة فكما ان حادثتي السرقة ومحي الدين نبهتا فكري للبحث عن الدين كذلك نبهت هذه الحادثة فكري الى الحكومة وابتدأت اعمل مقابلتها مع جسمنا الذي هو محكمة وهذه المقابلة هي

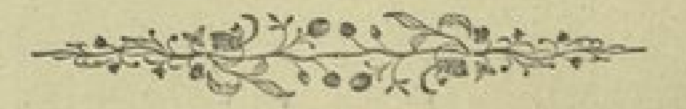
ضرورة السياسة للهيئة الاجتماعية

السياسة هي اول ضروريات الهيئة الاجتماعية وعليهـــا مدار الترتيب والنظام الاجتماعي ويستحيل الاستغناء عنها لان شهوات الافراد واطماعهم تجعل الاختلاف دائماً بينهم فوجب والحالة هــذه حصرهم بحدود وشكيمة هي القوانين التي اساسها الاستقامة اي اعطاء كل ذي حق حقهُ ولما تكونت هذه الشريعة وجب لها اناس مخصوصون يديرون حركتها ويسيرون بموجبها وهؤلاء هم الساسة ولا توجد جمعية قط بدون قانون او ناموس وكل ما اشترك اثنان او اكثر بعمل فلا بد من نظام يتفق عليهِ قبل مباشرة العمل ويجب ان يكون النظام موافقاً صالح الفريقين نافعاً لهما ومتى نفع النظام فقد وافق العقل الذي هو اساس الشرائع التي تقسم الى قسمين الواحد

يتعلق بحقوق الافراد بين بعضهم وهو المهم والثاني يتعلق بحقوق الهيئة عموماً مع هيئة اخرى وهذا هو القسم السياسي اذ دائماً يفضل الصالح العام عَلَى الخاص ولاجل تنفيذ هذه الامور كلها وجب ان يديرها فئة مخصوصة يرأسها شخص تعطي لهُ السلطة ومن مساعدين لهُ في اجرائها وحيث ان هولاء يتجردون لخدمة العموم وجب ان تخصص لهم الرواتب اللائقة بوظائفهم وان يودع المال العام تحت ادارتهم وان ينتخب مدير لهذا المال واذا حكموا بالحق وحكموا الفريق دون آخر واراد العصيان وجب قوة لردعهِ تكون خاضعة لهم لتنفيذ اوامرهم ومنع كل تعدي عَلَى الافراد او العموم فانظر ترتيب الخالق لمخلوقاته فانهُ اسس كل هيئة عَلَى هذا القانون وهو ما يثبت ان الطبيعة صنعة عاقل اذ ميزت كل واحد بشيء. فالواحد قوي والثاني ضعيف كبير وصغير ليتم النظام اذ لو وجد شخصان متعادلان ورفض احدهما الطاعة للاخر وحدث اضطراب في الجمعية لخربت لذلك قد حصر الباري السلطة بيد واحد . قرأت بعلم الفلك ان الشمس هي ام الكائنات وبواسطتها يتكون عالمنا الشمس ونتعلم كيف تدور النجوم السيارة حولها وكيف هي منجذبة اليها وتدور حولها عَلَى نواميس وقوانين لا تتغير وكيف ان النجوم الثابتة لها قوانين ولكل منهم سير مثل شمسنا وهو مملكة اخرى ولو فرضنا ان المريخ اراد عصيان الشمس وعدم الدوران حولها او عدم الانجذاب اليها فيتحرك حركة غير قانونية او يسير سيراً معوجاً افلا يخرب الكون الشمس

واعظم برهان نقدمه لو مشت النظامات السياسية عليه لكانت ثابتة ابداً وهو الترتيب الذي وضعهُ الباري في خلقه الانسان تأمل هذه الهيئة السياسية كيف تجري احكامها وترتيبها وانظر الاعضاء كيف تتمم وظائفها عَلَى ما ينبغي وتجري لغاية واحدة وهي حفظ الحياة ومتى غير عضو منها سيره الطبيعي مرض او مرضت الاعضاء الاخرى وكانت النتيجة عكس الغاية وهي الموت

اما لاجل قيام الحياة فيلزم جهاز مخصوص مكون من اعضاء لكل منها قانون مخصوص ولنقابل الان بين اعضاء الجسم واعضاء الهيئة الاجتماعية فنقول



المقابلة بين الحكومة والجسم

لاجل هذه المقابلة يجب ان نعرف الاعضاء التي تتألف منها الحكومة وهي

من الحكومة	مقابلاً	من الجسم
اولاً الملك	»	الراس
ثانياً الوزير الاول او صدر الوزرآء		الرئة
ثالثاً وزير المالية		القلب
رابعاً الخزينة		المعدة
خامساً الدرهم		الدم
سادساً العسكرية		الاطراف
سابعاً السفرآء		الحواس
ثامناً الولاة		الاعصاب
تاسعاً المفسدون في المملكة		الافرازات
النتيجة منهم جميعاً العدل		الحياة

ولنفحص كل عضو من الجسم ووظيفته ووظيفة كل عضو من الحكومة ولنرى قبل كل ذلك هل السياسة ضرورية للهيئة الاجتماعية

(الراس) هو اعلى الاعضا مركزاً تحيطهُ الحصون من كل ناحية فالشعر يقيه الحر والبرد وله علبة مخصوصة موضوعة في الاعلى تمنع عنه الصدمات الخارجية ولو كان الراس محل القدمين لتعرض كل ساعة لصدمة بالارض وله بجوانب اطرافه العليا خفراء تتقي عنه العوارض فلاي سبب نرى هذا التحفظ الكلي للراس بخلاف الاعضا الاخرى : الجواب لان الراس وظيفته مهمة جداً وعليه مدار الحياة وهو يدير الجسم ويحركه بامره لاجل نفعه لانه مركز العقل ويميز النافع من الضار وحيث ان جمعية الاعضاء عرفت فضله وان كل اوامره آئلة لنفعها اطاعته فهو يشعر بكل ما يحتاج اليه باقي الاعضاء ومتى وجد عضواً في خطر يامر باقي الاعضاء بالمحاماة عنه وانقاذه من الخطر مثلاً لو مست القدم ناراً واحترقت يشعر الراس بذلك سريعاً

فيامر باقي الجسم بالابتعاد عنها فترجع القدم عن النار وتطيعه الاعضاء لانه يشفق عليها ويدافع عن حياتها ولو شعر باحتياج الاعضاء الى غذآء يامر القلب موزع الدم بارسال القدر الكافي لكل عضو فهو لا يميز الواحد عن الاخر ويعطي كلاً حسب اهميته و يساوي بينها فياخذ العضو ما خصه حسب عمله · ولو شعر ان المعدة فارغة يامر الاعضاء كالاطراف وخلافها ان تذهب وتسعى لجلب الغذآء · ولو احس بشيء نافع او مضر يجهز باقي الاعضآء لرفع الضرر وجلب النفع النتيجة ان الراس يعرف كل شيء وهو عامل عَلَى سد احتياجات كل عضو وهو مربوط بالجميع ولو بعيداً عنها بواسطة الاعصاب المتصلة به فهو هو كل شي وجميع الاعضآء تحت امرته لا يفعلون شيئاً بلا ارادته يجلب النفع لاعضاء الجمعية و يرفع المضر عنها يقظاً عليها شفيقاً رؤوفاً والحياة متعلقة به كما ان حياته متعلقة بباقي الاعضاء ولو خرج عضو عن وظيفته يضر نفسه والجمعية والراس

(الملك) وظيفة الملك الحقيقية هي وظيفة الراس فانه اعَلَى الجميع ومحاط بتحفظات قائمة لخدمته كالراس فالاحتجاب والخفرآء والحرس لازم له ووظيفته ملاحظة كل امور المملكة ليعرف احتياجها ويعمل الجهد الكلي لرفع الضرر عنها وجلب النافع لها وان يحامي عن كل عضو او كل فرد من تبعته ويلاحظ جميع المامورين في اشغالهم حتى اذا اخل احد بوظيفته يطرده لان وجوده يضر بالهيئة وبالملك وان يجعل الصلات بينه وبين شعبه بواسطة المامورين فيعرف منهم حقيقة احوال ملكه

(الرئة) هي العضو الثاني في الاهمية بعد الراس وبهـا ينقى الدم ويدخل الهوآء من الخارج الى الجسم وهي عضو الصوت ووظيفتها مهمة جداً ولذا وجدت في الصدر محاطة بقفص عظمي من ناحية لاجل حمايتها وبجانبها الاطراف العليا لتقيها وتحامي عنها وهي اقرب الاعضآء الى الراس ووظيفتها مهمة جداً اذ بتنقية الدم تصطلح جميع الاعضاء فيدخل النافع الى الجسم ويطرد المضر اما اذا فسدة فتضر الجسم بل تودي بحياته

(الصدر الاعظم) له الوظيفة المهمة بعد الملك فانهُ يصلح احوال المملكة

الداخلية وبدخل اليها كل شيء نافع لبلاده فاذا فسد وادخل اشياء مضرة بضر مملكته كالرئة التي عوض ما تدخل الهواء النقي الى الجسم تدخل اليه هواء مملوءا بالابخرة المضرة فضررها يكون عظيماً لانهُ كل ما زادت اهمية الوظيفة زاد نفعها او ضررها

(القلب) وظيفته توزيع الدم الى كل الاعضاء واستقبال الدم الوارد منها فله دورتان يستقبل لكي يصلح ومتى اصلح يوزع ويكون توزيعه بامر الراس الذي يرسل اليه العصب الرئوي المعدي فيحركه دائماً ويفرق الدم على الاعضاء حسب حاجتها فان نقص او زاد تختل الميزانية ويتلف العضو ويحافظ عليه كمحافظة الرئة لان اهميته عظيمة

(وزير المالية) عليه ان يوزع المال الذي هو عبارة عن الدم الى جميع الاعضاء بامر الملك حسب احتياجهم ويصلح المالية

(المعدة) هي الخزينة لانها تقتبل كل شيء داخل اليها من الخارج وتعده ليصلح للغذاء وترسله الى القلب الذي هو وزير المالية وتحيل الداخل اليها الى واحد فان قل الغذاء فقدت الاعضاء حياتها كما انه اذا فرغت الخزينة من المالية فلا تكفي مصاريف موظفيها

(الاعصاب) هي التي تتصل من الرأس بالجسم وظيفتها ادارة العضو الواصلة اليه فتخبر عن حاجاته ولوازم الرأس وتنفذ اوامره بتحريكها وتهيئتها للعمل وهي اعظم شبيه للولاة وترافق دائماً الشرايين والاوردة التي تحمل الدم من القلب واليه وتشابه الشرايين والاوردة مديرى الاموال بالجهات والاعصاب تحكم الاجزاء فلو اهملت لعدم صلاحيتها او مرضها فتتلف ومتى قطع اتصالها فلا توصل الحاجيات الى المركز وتموت

(الولاة) هم بالحقيقة الاعصاب فانهم يخضعون لاوامر الملك وسلطته فلا يعينون الا بامره وبواسطتهم يعرف احوال رعيته لانهم يوصلون احوال الاعضاء ويرافقون وزير المالية فيجمعون المال ويصرفون الرواتب ويقبضون الخراج كما ترافق الاعصاب الشرايين والاوردة فمتى كانت هذه الاعصاب سليمة تقوم بوظائفها في انتظام وان

تعطلت او اصابها مرض فسدت كذلك اذا فسد الولاة ولم يعلموا الرئيس بمرض الاعضاء ليتلافاه بالدواء اللازم وكل قسم من الجسم عبارة عن ولاية الوالي فيها بمقام العصب ومأمور و المال بمقام الشريان وكلها عائدة الى المركز الاصلي فواجبات الولاة مهمة جداً الا وهي اخبار المركز الاصلي اي الملك كل ما يلزم للولاية وما هو نافع لها ويحافظون على الذين تحت ادارته فاذا كان الوالي سليماً فهو النافع واعظم مرض للعصب هو تفرقه عن الراس واعظم خطر يصيب الوالي هو عدم اطاعته

(الاطراف) هي التي تظهر ادنى الاعضاء وهي ذات اهمية عظمى لانها تتمم العمل وبدونها لا يقوم الجسم فهي تحمل ثقله كله كما في الاطراف السفلى وتفتش على الغذاء من الخارج كما في الاطراف العليا وتدافع عن الجسم وعن كل عضو وتمنع كل افة وتعرض نفسها للخطر لاجل وقايته فالاطراف العليا تشبه الخيالة والسفلى المشاة

(العسكرية) هي حاملة اتعاب المملكة والحامية عن حقوقها فتجمع المال من كل ناحية وتفتح البلاد بدمها وترى الاطراف مرتبة بوضعها كترتيب العسكرية ومستعدة دائماً للحرب فالعسكرية مؤلفة من انفار ومن روساء وقادة عشرة ومئات والوف وفيها القائد الكبير وكلها تتحرك بامر الملك والاطراف لها هذا الترتيب ايضاً اذ ترى الاصابع مركبة من السلاميات الصغيرة وتعرضها الدائم للاخطار تراها لابسة درعاً من الاظافر وهي عبارة عن المدرعين الذين يسيرون امام الجند كالبلطجية وبعد هذه السلاميات الثانية وهي اكبر من الاولى فالثالثة اكبر من الثانية والرابعة اكبر الجميع ثم باقي المشط وهو عبارة عن اركان حرب يجمعها الرسغ وهو القائمة ثم الضابطان وهما الزند والقصبة والمشظية في الساق ثم القائد الكبير وهو العضو في الاطراف العليا والفخذ بالسفلى وتتصل اليها جميعها اوامر الملك وهو الراس بواسطة الاعصاب فترى ان الانفار حين الحرب هي اكثر تعرضاً للخطر وعددها اكثر من الجميع ثم المشط الذي هو اكبر واقل عدداً ثم الساعد فالعضد وهذه الاعضاء التي تشبه العسكرية شبهاً كاياً هي مثلها وظيفة فالقائد الكبير اقرب للملك والوزراء من الانفار ومقامه كمقام وزير وترى الاطراف العلوية والسفلية موضوعة كالعساكر على حدود المملكة ولها اهمية عظيمة ولكثرتها يعتاض بالواحد عن الاخر بعكس وزير المالية الذي هو

واحد فان فسد لا يوجد من يقوم مقامه كالقلب وترى الاطراف موضوعة يمنة ويسرة للمحاماة بواسطة حركتها فلو انغلبت اليمنة تقوم اليسرى لنصرتها او تخلفها وبالعكس وترى الاصابع تحامي جداً عن العضد كما ان العساكر تحامي عن قائدها لانه متى فقد القائد يتبدد العسكر ولا ترجو الاطراف مكافاة الا ما يصل اليها من الغذاء لحفظ قوتها فهي قنوعة صابرة لا تزاحم احداً

(الافرازات) هي السوائل غير النافعة للجسم وبوجودها فيه يضر كما تضر المملكة لوجود الاشخاص المفسدين والمقلقين فيها

وكما ان الاطراف تقنع بالغذاء القليل كذلك العسكرية التي عليها مدار شرف المملكة وحمايتها فتكتفي بغذائها فقط لان ليس لها سلطة الادارة فالقساوة على الاطراف كالقساوة على العساكر لان الاطراف لتعودها مس الارض فيقسو جلدها ويصير قليل الاحساس كالعسكر الذين يعتادون على الشغل والتعب والحر والبرد ولا يجوز لهم الترفه لانه يضرهم لو رفهت المقدم وعودته على الدفا فادنى تعرض لبرده يضر الراس واذا مرضت الاطراف كلها هلك الجسد كذلك لو ضعفت العساكر او غلبت فتضعف المملكة فللعسكرية يجب الاهتمام الاول لانها هي القوة والخادم الحقيقي

(الحواس) وظائف الحواس اشراك الجسم بالعالم المحيطة به والراس بالعالم الخارجي فيحكم بما هو نافع لها وما هو مضر فيرفض ويقبل ما يلائمه فلو سمعت الاذن صوتاً توصله الى الراس فان كان حسناً قبله او كريهاً رفضه وتحذر الجسم من اخطار العالم المحدقة به ولو هجم على الانسان حيوان مفترس يراه بعينه فيقاومه او يتجنبه

(السفراء) وظائفهم ان يخبروا ملكهم احوال الممالك الاخرى ويعرضون عليه كما يرونه فيها فيدخل النافع لبلاده ويرفض المضر وكذلك اذا اشهرت عليه مملكة اخرى حرباً فعليه ان يخبره فيقابل القوتين وان راى ذاته كفوءاً لها حارب وبالعكس سلم ويجب ان تكون الحواس خالية العيب لكي تنفع الجسد كله لانهُ اذا كان الانسان اعمى فيسقط كل يوم في حفرة وكذا السفراء يجب ان يكونوا خالين من العيوب وكم من سفير غش ملكه وطوحه لحرب كان في غنى عنها

(الدم) هو حياة الجسم وبدونه لا حياة له فهو يغذي الاعضآء ويقويها وينميها وفيه كل المواد النافعة للاعضآء فيسير اليها كلها وكل عضو يأخذ منهُ كفايته ويحيله الى منافعه الخاصة اولاً ثم الى العامة مثلاً يتجه نحو الكبد فيأخذ منه مقداراً كافياً لغذائه الخصوصي ويحيل قسماً منه الى صفرآء التي وظيفتها التغذية العمومية التي يعود نفعها لعموم الاعضآء

(المال) وظيفته ذات وظيفة الدم للجسم لانه حياة الجميع وبدونه لا تقوم قائمة ومنفعته الخصوصية هي كيفية توزيعه عَلَى الاعضآء ويلزم ان يأخذ منه كل مأمور حسب وظيفته وعمله في الجمعية وبعد ان يتناول منه ما هو ضروري لمعاشه يستعمل الزائد عنه للنفع العمومي كما يجب ذلك عَلَى الاغنياء وان زاد الدم في عضو من الهيئة امرضه وان قل اضعفه واذا دخل عليه غش او اجسام غريبة امرضه ومتى مرض الدم مرضت الاعضاء عموماً

(غاية وظائف الجسم) المحافظة عَلَى حياته ورفاهيته

(غاية السياسة) المحافظة عَلَى كل فرد من الرعية والعدل لانه حياتها

فينتج من قولنا ان التسوية هي مساواة كل عضو بحقوقه لانه من المعلوم ان الوظائف تختلف عن بعضها في الاهمية فمنها ما لا تقوم الحياة بدونها وان فقدت هذه فقدت تلك وغيرها ينقص في كمالها غير انها لا تمرت بفقدها فالاول نظير التنفس اذ لا يمكن فقده الا بفقد الحياة ومثل الثاني الحركة فلو فقد طرف من الاطراف او حاسة من الحواس حركة لا تفقد الحياة بل تخسر كمالها

فيتضح من هذا ان الوظائف لا تتساوى في اهميتها ويلزم لكل عضو وظيفته يتممها ويجب ان يكون العضو مجهزاً مركباً بكيفية تجعله لائقاً ومقتدراً ان يقوم بهذه الوظيفة مثلاً حتى يتمكن الرئيس من اصدار الاوامر يجب ان يكون مركباً ومجهزاً من مواد مخصوصة حتى يتمكن من القيام بهذه المأمورية كذلك القلب الذي يجب ان يكون بكيفية يتمكن فيها من توزيع الدم كالتجاويف والعضلات القوية لاجل استقبال الدم ودفعه وهكذا كل عضو فانهُ مؤلف من اجزاء تليق بوظيفته

فالوظائف مختلفة في الاهمية ولكل عضو وظيفة ويكون مؤلفاً بهيئة تجعله قادراً على اتمام هذه الوظيفة وكما كثرت اهمية العضو كان اكثر كمالاً وتركيباً وهذا التفضيل سنة من الخالق ليس من العضو ذاته وليس من الحكمة ان يتساوى الراس والقدم لانهما لو تساويا لاختل النظام وخربت الحياة اذ لا يمكن القدم ان يقوم بواجبات الراس ولا لهذا ان يخلف ذاك ولكل منهما وظيفة خصوصية يتكافى او يجازي حسب ضرورتها وحاجة الحياة اليها وهذا التمييز هو عين العدل مثلاً يجب للراس بتغذيته خمسون غرام من الدم وللقدم يلزم عشرة غرامات فيلزم ان يعطى الخمسون غرام من الدم اولاً للراس اذ بدونه لا تقوم قائمة للقدم ولذا ترى ان الدم اول ما يتوزع للراس وتقسم هذه الوظائف كما ياتي

اولاً السهر على جميع اعضاء المملكة والبحث عن حقيقة حالهم

ثانياً عدم تمييز عضو عن آخر الا بحسب اهميته و وظيفته ونفعه العام

ثالثاً جلب النافع الى بلاده وطرد المضر والمحاماة عن كل عضو كمحاماته عن نفسه

رابعاً ان يعرف ان كل عضو مهما كان دنيئاً فيلزم لخدمة مملكته

خامساً انتقاء المأمورين حسب صفاتهم الحسنة ومعارفهم في الوظيفة التي تجب عليهم خدمتها فلا يعين مهندساً ناظراً للمالية ولا العالم الفاضل قائداً للجند وان يجري عليهم صارم القصاص لو خالفوا اوامره وبالاجمال فيطلب منه كل ما يطلب من اب لاولاده

(الخلاصة)

السياسة طبيعة في الانسان وهي ضرورية لكل هيئة اجتماعية ولا بد لها من راس ونظام واساسها الراحة وكما ان الدين يعلمنا عبادة الخالق ومحبة القريب وعدم اضراره فكذلك اساس السياسة الحق واساس الاجتماع المحافظة على الحقوق واساس الاداب المحافظة على الشرف والعناية واحدة وهي المحافظة على الحياة و رفاهيتها

واهم ملاحظة ضرورية في الادارة ان لا يعطى الحكم لفاسد اذ ذلك العمل شر ما اوجده الانسان لان الردي اذا حكم استبد وقد نظمت بذلك شعراً يوجد في

قصيدة قدمتها للامير سليم منصور شهاب

معلوم ان العجز وحده يخفي اللؤم ولو حكم لئيم لقطع شكيمته وداس الجميع وهذا ما يجب الانتباه اليه ولمعرفة اللئيم يجب ان يسأل عن اسبقيانه وتصرفاته مع الذين هم ادنى منه خصوصاً من هم من اهل بيته فان رابت اصدقاءه كثيرين فهذا دليل عَلَى جوده وكل ماكثر المشتكون من امريء وقلَّ مادحوه فهو علامة اللؤم

وحيث اننا تكلمنا عن الواجبات التي عَلَى الانسان مراعاتها والوصايا الدينية التي عليه حفظها فنتكلم الان عن واجبات سلوكه وتصرفه مع الافراد

(السلوك)

اذا شئت ان تعرف كيف يرضى عنك من هو اعلَى منك فقارن بين ما يرضيك من من هو دونك وسر بموجبه · يرضى الانسان من خادمه لطاعته وامتثال اوامره وخلوصه وامانته وادابه كل ما تقرب اليه لا يطمع بمعروف بل دائماً يحفظ معروفه ويذب عن صالحه ويغار عليه ويدافع عنه جهده ويخدمه بكل شرف غير مائل الى الدناءة

هكذا فليفعل الانسان مع من هو اعلَى منهُ

كيفية اختيار الاصدقاء

لا يظن الانسان ان كل من بيش بوجهه خصوصاً اذا كان محتاجاً اليه يكون صديقاً له فلربما صناعته توجب بشاشة الناس اليه ولربما فعل ذلك البعض هذا الامر استخداماً لهم مجاناً والبعض لقضاء اغراضهم واقل من القليل من كان ذا محبة خالصة

فالصاحب الحقيقي من يريد منفعة صديقه يسعى له بها ويحامي عنه بغيابه كحين حضوره ويجب عَلَى كل انسان ان يحافظ عَلَى هذا المبدا : اذا اردت ان تتخذ صديقاً كن له صاحباً : ابدأ بالمعروف مع اي كان واستعمل الانسانية مع كل فرد من الناس ومن صنعت معهُ معروفاً ولم يكافئك عليه حين اللزوم متى كان قادراً عليه فلا تعيد معه معروفك ومن جازاك بالاساءة بدل الخير فاتركه لانهُ

الردي الذي اخبرتك عنهُ احترس منهُ ودافع عن نفسك جهدك ولا تدعه يتسلط عليك قط اذ يستطيع ضررك ولا يمكنك ان تناله بسوء . هذا هو الصالح العام الذي يفضل على الخاص واذا كان قد قيل اتق شر من احسنت اليه فلا بد لهذا الغادر من السقوط يوماً ما

من جازاك معروفاً بمعروف او باداك به فكرس لخدمته نفسك وكن له عبداً ولا تتاخر عنهُ اذ تلقاه في مثل هذه الظروف اذا احتجت اليه

كل انسان يستطيع ان يفعل الخير المجرد بدون ان يمسه ضرر او يطلب مكافاة على معروفه فوق القدرة

لا ترجو من انسان مساعدة هو محتاج لها

خير المعروف ما صنع وقت الحاجة فلو رايت ظمآناً بغاية الضيق وبردة لظاه بجرعة ماء او محتاجاً بغاية الفاقه وانجدته او مريضاً مدنفاً وعدته وشفيته فهذا هو المعروف الحقيقي الاعظم ولذا قيل خير المعروف نجدة الملهوف

لا تتخذ لك صديقاً لغاية مالية لان المال فانٍ لا يعتمد عليه . اعتبر صاحب الفضيلة لا صاحب المال لان الغني المجرد عن الفضيلة والمنفعة لا اعتبار له ولا صاحبه بصاحب حقيقي

اياك ثم اياك ان ترجو صداقة بخيل لانهُ يؤثر المال عليك ومتى راى ان صداقتك ستخسره يستغني عنك ولو شعر ان خيانتك تكسبه مالاً لا يتأخر عن اجرائها لان المال الهه فالبخيل لا زمام ولا مروءة ولا وداد له فكيف ترجو صداقته . من طبع البخيل الرداءة وقساوة القلب يفضل الدرهم على كل شيء فلا تتأمل منه امراً ولا ترجو منه خيراً واذا لاطفك او اكرمك بالقول والبشاشة فما قصده الا الكسب منك ولو جاد عليك باقل الاشياء يحسبها نعمة عظمى فلا تخلص من جميله الى الابد لهذا يجب على الانسان ان يرفض منهُ كل شيء ويبعد عنهُ قدر الامكان اما الكريم فانهُ يحتقر المال محافظة على شرفه وسمعته ويكون ذا مروءة وحماسة ويحب صديقه ويعتبره ويصرف ماله لاجل اكتسابه فالكرم والبخل سجيتان في الانسان . اخدم الكريم بلا عوض وعامله بعمله ولا تندم على الاحسان اليه اذ ياتي يوم يقابلك فيه بالمثل والبذل

جهدك على تحبيب صفاته الممدوحة اليه

ان رايت عيباً في صاحب وكان عيبه غير مضر سامحه لانك لا تخلو من العيوب وقد قال المثل من طلب صديقاً بلا عيب عاش بلا صديق

سامح صديقك بهفواته ولا تبعد عنه الا اذا رايته تعمد ضررك ولا تتمادى بالمزاح معه الى درجة رفع التكليف بينكما اذ ياتي يوم تتبدل عليكما الايام فادنى مزاح عندئذٍ يزعجه بل يكدره منك فتبعد عنه ويكون المزاح سبب انفصالكما

استعلم دائماً عن سيرة الذين تريد معاشرتهم وانظر تصرفاتهم مع سواك هل هم ثابتون على الودّ ام متقلبون وراقب سيرهم مع اهلهم فان رايت بهم لهفة على ذويهم فتلك علامة حسنة فعاشرهم والا فاجتنبهم لان معاملتهم اذا كانت بهذه الصفة مع العود الاخضر فكيف تكون مع اليابس

احترس من اشقر اللون النحيف الجسم ذي الوجه المتجعد العبوس الذي يضحك قهراً عنه

احترس من من يكون بحالة واحدة مع صديقه وعدوه فهو ذو مقدرة على اخفاء احساساته فاجتنبه

احترس من من يصادق خصمين متباعدين جداً ويظهر المودة لكل منهما فيذم الغائب ويمدح الحاضر

احترس من الذي يدعي صداقة الجميع او يسلك مسلكاً واحداً مع عدوه وصديقه فانهُ خبيث يكمن الغيظ لحين القوة

صادق حاد الطباع والافكار الذي تظهر عليه علامات الكدر والفرح فانه لا يغشك

لا تصدق بسرعة من كان محتاجاً

البشاشة علامة القلب الجيد

لا تصدق الرجل الذي يحلف بكثرة ولا الامرأة التي تبكي بسرعة

ابتعد عن الذي يمدح عدوه وصديقه الفاضل والرذيل اذ من واجبات الصديق ان يتكلم بصراحة لان الصديق مشتق من الصدق فصديقك من صدق معك

ابتعد عن كل من يأتيك بدناآة وقت ضيقه وينكرك حين يستغني عنك

كل من يغير سلوكه مع صديقه وفقاً لاحواله الدنيوية فهو دني

لا تخجل من من لا يخجل منك المعروف هو الجوهر الكشاف للرجال من اثر فيه كان عظيماً ومن لم يوثر فيه كان دنياً رديئاً

لا تضر احداً لان الضرر عداوة لا تمحى بعود اذاها عليك او على نسلك

صاحب المتكبر نه لا شريف النفس اشفق على الشخص قدر شفقته على حاله وكذب الشخص يبعد الشفقة عليه

ابتعد عن الذي لا يفرق اهانته من اعتباره لانهُ دني من مدحك بما ليس فيك ذمك بما ليس فيك

اذكر لصديقك بعض نوادر توجب له الحماسة وتدفعه للشفقة فان تأثر منها صادقه والا فابتعد عنهُ لانه لا ينفع لا تطلب زيادة عما تستحق من الاكرام

ذو الوجه الاصفر النحيف العابس الساكت يكون حسوداً رديئاً واعظم ردي من يغمض عينيه عند الكلام معه

اعتبر اعمال اصدقائك فقط ولا تعتمد على التمليق والكلام ولا تخدعك الظواهر

لا يمكن الصداقة بين الارزال ولا الامنية بينهم فهل سارق يدع ماله امانة عند سارق اخر ولو سرقوا سوية

كيفية السير مع من هم ادنى منك

ارفق وارحم وسامح ولا توبخ الا حين اللزوم . ولا تسامح الا اول مرة متى تحققت الغدر

الظلم يعطي جسارة للظلوم

اظهر الغيرة والمروة والمساعدة لمن هم ادنى منك فتكتسب مودتهم ويعتبرونك

لا تعادي من هو اصغر منك لانك بعداوتك له تجعله نظيرك وترفعه بصداقتك له تجعله اصغر منك فانه يطيعك

اذا ظلمت احداً لا يهابك فيا بعد وينقلب مدحه الى قدح . اذا لم تنفع فتبقى مرذولاً اعدل اذ لو تحزبت بحكمك لفريق زوراً فتخسر الفريق الاخر احترس منهم اذ تبقى ابداً عرضة لغشهم اذا شئت ان تترأس عَلَى فيئة اصرف عليهم فاذا كنت في قهوة مع جماعة ودفعت عن الجميع صار الجميع اقل منك اعتباراً ولو كان فيهم من هو اكبر

اذا شئت ان تكتسب محبة ومجداً ومنزلة ونفوذاً واعتباراً كن كريماً ودوداً متضعاً

لا تتكل عَلَى شرف محتدك نعم ان ذلك ليساعدك لو اقتديت باجدادك فانه يرفعك باعين غيرك وتكون اهلاً للتقدم والعكس بالعكس ولا يبنى الحكم عَلَى الشخص الا حسب تصرفاته الشخصية وقد نظمت بعض ابيات بهذا الشان تراها في قصيدتي للامير سليم منصور شهاب

(واجبات الطبيب نحو صنعته)

اخدم صنعتك تخدمك واعلم انه يجب ان تكرمها بعد الله ووالديك لانها سبب معاشك فلا تهنها واجعل تصرفك لائقاً بمقامها ولا تغش احداً ولا تكذب ابداً اخبر المريض الذي تداويه ما بطمنه وعرف اهله الحقيقة ولو قاسية ليبقى شرفك ومهارتك محفوظين عندهم

اتقن صنعتك قبل كل شيء اذ اعظم اهانة تلحقك اذا دعيت جاهلاً مارسها دائماً وتعلم ما يتجدد فيها اذ لو اتكلت عَلَى ما تعلمته في المدرسة فبعد مدة تراه اضحى قديماً فتتأخر

عين وقتاً للدرس يومياً ولا تدعه يذهب سدى مارس ما تعلمته واجعل التجارب استاذك لا تمزح بصناعتك واجعل لها مقاماً لائقاً بها ولا تدع لاصحابك مجالاً ان يمزحوا معك بشانها

اشفق عَلَى المريض وشاركه باحساساته لانه اذا راك لم تتأثر لمصابه تقل ثقته بك فنشطه وعزه لان صنعتك انسانية بحتة ولها المحل الاعلى بين العلوم والصنائع

لا يغرك المال وافتكر بالمريض الذي تعالجه وشفاءه قبل كل شيء ومتى عالجت

اجتهد بشفائه ولو كنت غير ماجور اذ كلما كثر الشفاء بواسطتك زاد طالبوك فتشتهر وبشهرتك تكسب الغنى ولا تحسب ان الغش يربحك اذ باقي وقت يظهر غشك وتخسر عملاك لان المريض اذا شفي بواسطتك وعرف نصحك له فتكتسب صداقته الدائمة اما اذا راك غششته فيبعد عنك ولو كان اخوك

لا تعتمد على اصحابك ونفعهم لك بصناعتك لان الصديق لا يوثرك على ذاته فلو مرض واعتقد بك عدم الكفاءة لا يدعوك لمداواته لانه يخاف على حياته وبالعكس متى اعتقد بمهارتك فان عدوك يطلبك ويتذلل اليك ولا صداقة في الطب

صديقك الحقيقي هو مهارتك في صنعتك فلا تمل من الشغل ولا ترجو الشهرة سريعاً فانها لا تنال الا بالعمل والتجارب التي يقتضي لها زمن طويل اذ قد لا يوجد مرضى تداويهم ويستحيل عليك معالجة مرضى المدينة بيوم واحد ولا تتصل اليها الا مع الزمن ومهارة الطبيب اعتقاد المريض به

صناعة الطب لا تنجي من الموت فلو مرض الطبيب لا يمكنه دائماً ان يشفي ذاته ولكن عليه ان يخرج من المعارك فائزاً . افحص مريضك واعرف مرضه واخبر اهله كل اعراضه واستشر الاطباء امثالك حتى لا يلومك احد ولا يعود عليك ضميرك بالتوبيخ . اعتنِ بمريضك لانك اذا لم تعتنِ به او اهملته ولم تسمع شكواه قلت ثقته بك ورفضك

اخدم الفقير كالغني بل اعتن بالفقير زيادة لانه يزيد شهرتك ولكثرة الفقراء تؤمل منهم الكسب زيادة لان الكثرة تغلب الشجاعة . الفقير يعتبرك ويعتبر صنعتك ويفيك حقك قدر امكانه اما الغني فيظن انه قلدك جميلاً لو دعاك لمعالجته ويعتبرك ادنى منه مقاماً . اظهر ميلاً للفقراء تنال الاجر من الله والثناء من الناس والاعتبار والكسب منهم

لا تأمن من نكران جميل المريض بعد شفائه لانه بعد كثيراً وبقي قليلاً كالعشرة البرص الذين شفاهم المسيح ولم يرجع لشكره الا واحد منهم

ليست صناعته للكسب او المال فقط بل لخدمة الانسانية لذا ترى الحكومة

تعضد الاطبا وتستخدمهم كالجد لمنافعهم والقيام بمعاشهم لان الطبيب يداوي مائة مريض مجاناً وخمسة باجرة . والطبيب هو رجل الانسانية الذي يحب قريبه وهو الذي جعله المسيح مثلاً لمحبة القريب وكرم الاخلاق في مثل الرجل المسافر الى اريحا

سامح قدر الامكان واخرج مع من تداويه عَلَى سلام ولا تدقق في الحساب معه ما لم يعتدِ عَلَى صناعتك وبالاجمال كن انساناً قبل ان تكن طبيباً لان الانسانية خير من الطب

اذا استخدمت في الحكومة فاطع رئيسك واستشره ولا تعمل عملاً الا برايه وان احسنت صنعاً بامر فاظهر ان الفضل عائد له وانك تستفيد منه ولو كان دونك في المعارف . كن اديباً معه واكرمه فبهذه الواسطة تتقدم ولا تعود تخشى من تقدمك لانه اذا كان حسوداً واقوى منك يضرك ويبعدك عن مركزك خوفاً من ان تفوقه وتخلفه فيما بعد ولا يمكنك مقاومته اما اذا سرت معه بالحسنى فانك تستفيد منه علماً لو كان اعلم منك ويحبك كولده وتتقدم عنده ولو عملت عَلَى مضادته او اظهار جهله وعدم اعتباره فيلحقك الضرر ولا تنتفع شيئاً خصوصاً متى كان شهيرًا . بالاختصار اكرم رئيسك ولو كان حماراً

اكتم مهارتك لانها بهكذا ظروف وهكذا مصالح تضر بك وهذا ما يدلنا عَلَى تقدم بعض الجهال عَلَى اساتذتهم لان الجاهل يظهر لرئيسه اعتباراً وانضاعاً فلا يخشاه ويعرف انه ادنى منه معارفاً فلا يخشى تقدمه اما الذي لا يخفي افكاره ومهارته فان رئيسه يمنعهُ من التقدم ويخشى دائماً منهُ ولذا تراه يتأخر هذا اذا كان الرئيس ردياً حسوداً اما اذا كان منصفاً فاظهر له مهارتك واطعه دائماً فانهُ يعتبرك في الباطن ويقدمك في كل مصالحك وتصرفك لاجل النفع العام فاجعل دائماً تصرفك موافقاً لاحوال رئيسك ومطامعه

اكرم السيدات قبل كل شيء لان عليهن مدار المنزل والامرأة هي المؤثر الوحيد بانتخاب الطبيب فلو مرض الولد فهي التي تقوم بخدمته وتعتني به ولها الحق بانتخاب الطبيب الذي تريده مهما عاند زوجها برفضه فانها تعرف كيف تقنعه ولو مرض زوجها

فهي تتسلط عليه بسبب ضعفه وقتئذ وتختار الطبيب الذي تريده كذلك اذا مرضت فالامرأة لا تلتفت الا الى الذي يكرمها ويعتني بها ويجاوبها على كل اسئلتها ويريح افكارها التي تكون مضطربة وقتئذ وهي التي تقابل الطبيب وكل شغله يكون معها واكره شيء عندها عدم اعتناء الطبيب بكلامها لذلك يجب عليه ان يظهر لها الانتباه الكلي ويخبرها حالة المريض بتمامها ويهتم بما تقوله له لان الامرأة متى كانت منتبهة للمريض تساعد الطبيب كثيرًا لانها نظرًا لحبها زوجها او ولدها تلاحظ ادنى حركاته او اقل تعب يطرأ عليه ومتى اخبرت الطبيب به ينتبه للمرض وسيره ويكتشف الادوية الجديدة فيلزم ان يشكرها دائمًا على ملاحظاتها ويطمن لها افكارها جهد استطاعته هذه نصايح مستعملة لان لحد الان رأينا كما كتب لا يعمل به وكما يعمل به لا يكتب فهذه متوسطة بين الاثنين

(ولادة اولادي يوسف وحبيب)

في ٢٧ اذار سنة ١٨٨٢ عندما كنت في بكاسين بزيارة طبية حضر لعندي رشيد يبشرني ان امرأتي ولدت توماً ذكورًا فتكدرت من هذا الخبر لعلمي ان التوم لا يعيش الاّ نادرًا لان لا بد ان يكون احدهما ضعيفاً وهو على العموم الذي يولد اولاً ولكن ما الحيلة فبادرت حالاً بارسال مرضعتين من بكاسين لهما ورجعت الى بيروت

سليم منصور الشهابي

ان هذا الصديق من اجل الامراء الشهابيين وهو الامير سليم منصور بن الامير حسن الامير بن الامير علي بن الامير حيدر جد الشهابيين في لبنان ومتصل نسبه مثل باقي الشهابيين باشرف نسب واثباتًا لهذا النسب نثبت ما قاله احدهم الامير عامر شهاب الازرعي بالنسبة الى مدينة ازرع في حوران الذى حارب القرامطة في حوران منعهم عن دخول الشام وكسرهم بخمسة عشر الف فارس وكانوا اكثر من ثلاثين الفاً وعند ذلك نظم القصيدة الاتية سنة ٢٢٥ هجرية فيكون لها ١١٠٠ سنة فهي من اعظم القصايد والبكا

قصيدة الامير عامر شهاب الازرعي سنة ٢٢٥ هجرية

هزّ الرشاق امام السادة النجب … احب لي من عناق الغيد بالحجب
وشرب كاس المنايا في عجاج وغى … الذ لي من كؤوس العيب بالهرب
ما همتي بجفون الغيد ذابلة … بل همتي في شؤون الذبل اللبب
ولبس للمرء عزّ في مراتبه … ان لم يروّ ظما الهندية القضب
عاهدت بيض الظبى اني اجرعها … مناهلاً من دم الاعناق واللبب
اني امرؤ لست من قوم اذا اقتتلوا … رأوا الهزيمة منجاة من العطب
قومي ذوي الشرف السامي قريش وقد … نسبت من ال مخزوم فيانسبي
سموت بالحارث المقدام نعم فتى … ومالك ثم سعد خير منتسب
وقاسم وشهاب طاب محدهم … وسايل العرب عن جدي النبي وابي
قوم حلا لهم المعروف في سلم … والصدق في كلم والفتك في حرب
هم الصدور اذا حلوا الصدور وهم … اسد العجاج واهل المنزل الرحب
ما حل عزمهم المشدود موتهم … تحت الرماح العوالى عن علا الرتب
سل الرماح اذا لاعبتها بيدي … كم قصور عفرت خديه بالترب
وسائل البيض في يدي وكم هتكت … فروج ليث بخدر الدلص محتجب
بني شهاب لكم مني فتى اسداً … يرى رشاق القنا برءا من العطب
بني شهاب لكم مني فتى اسداً … يرى صليل الظبى ضرباً من الطرب
بني شهاب لكم مني فتى اسداً … يرى قراع العدا نوعاً من اللعب
بني شهاب لكم مني فتى اسداً … يرى ضرام الوغى برداً لذي لهب
بني شهاب لكم مني فتى اسداً … يرى شراب الدما اشهى من الحبب
بني شهاب لكم مني فتى اسداً … يفني الكتايب بين الكرّ والطلب
وان لي منكم أسداً اذا حملوا … خلت الجبال انثنت كراً على الهضب
من كل ادرع تحت الدرع تحسبه … بدراً تقمص في ثوب من السحب
ان هزّ في مفرق الاعداء سمره … تفرقوا وغدوا بالذل والرعب
وسل لاعدائنا ان قال قابلنا … هذى العداة فجدوا يا ذوي الحسب

تلقى الخوارج من ال الشهاب كما تلقى العفاريت رجماً من لظى شهب
فجاهدوا يا بني الاعمام ان لكم عزاً تسامى على الاعجام والعرب
تمسكوا بحبال الله واعتصموا فمن يكن واثقاً بالله لم يخب

هذا هو من اجداد الامير سليم الذي هو حفيد الامير بشير الشهابي الكبير من جهة والدته السيدة نور وقد تربى تربية حسنة في المدارس اليسوعية في غزير دخلها بسن عشرة سنوات لان والده توفي وهو بسن ٨ سنوات والتهى بالشغل من الصغر ودخل في البنك العثماني سنة ١٨٦٦ وهو الان رئيس دايرة الصندوق منذ ١٨٧٥ وفضلاً عن اصله الشريف فهو من اصدق الشبان واظرفهم واكرمهم خلقاً صاحب ذمام ولطف لا يوصف محبوب من الجميع كامل المروّة لا عيب فيه نحو اصدقائه وهذا هو المطلوب من الشخص ان لا يغش ولا يخون صديقه واما مع عدوه فلا يطالب واذا عامله كصديق يكون غاية الكمال وقد عاشرته كثيراً وكنت احبه كثيراً لوجهه الضحوك البشوش واعتباره لاصدقائه وذكائه وبالاجمال انه فريد بين الامراء ومع هذا كله لا تراه يفكر باصله الشريف ولا يميز حاله عن صديقه لا بجاه ولا تكبر ولم اسمعه بعمري يتكلم مفتخراً باصله وعائلته وقد اقترن بالسيدة جانار ابنة الكولونل شرشل بك احد افراد عائلة مالبروك القائد والوزير الشهير في بلاد الانكليز فنظمت له القصيدة الاتية اظهاراً لفضله الخصوصي ولكي اظهر للناس كرم خلقه لان اصل الفتى لا ينفعه ان لم يكن ذا طباع حسنة

يا اميراً في مجد جد مقيما قد كفاك الاله فخراً عظيما
انت لا شك في علائك فرد حيث اصبحت من هجاءي سليما
ما هجاءي سوى بيان شرور لست اهجو الا الشقي الظلوما
ان للنفس كالجسوم داء وسقام النفوس امسى جسيما
فعليل الجفون يدعى سقيما وعليل النفوس يدعى لئيما
كل داء الى الدواء باحتياج وعليه ان يقصدن الحكيما
فدواء اللئام هجو صحيح والمداوى من يهج هجوا اليما
قال قوم ان المديح دواء يصلح الظالم ثم يشفي الكلوما

فعلاج المديح يشفي لئيماً　　كقشور الخيار تشفي حميماً
ايها المادح اللئيم اجبني　　كيف تخفي ما كنت فيه عليما
انت ادري وصاحب البيت ادرى　　بكلام المديح بات اليما
والعليل السقيم لم يشفِ اصلاً　　من سقام ما لم يصدق حكيما
ان خير الدواء ما كان مرّاً　　يلذع الذوق عاجلاً والشميما
لا دواء للؤم من غير هجو　　دون هجو كان الدواء عقيما
وذوو اللؤم لا يخافون ربّاً　　بل يخافون بلوةً وخصوما
ويكون اللئيم طبعاً جباناً　　وبخيلاً وساقلاً ورجيما
خوفه وحده لجام لفعل　　ان راى قوة يلوك الشكيما
بانكشاف الستار عنه تراه　　يتقي شره ويخجي الغريما
واضل العباد من رام ستراً　　للئيم وكان فيه رحيما
ولئيم اللئام من خان صحباً　　وبلاداً وجاء شراً عظيما
واشر اللئام من كان منهم　　ذا اقتدار او كان «ميرا» اثيما
كم امير واصله من حقير　　لاجتهاد قد صار شهماً عظيما
كم حقير واصله من امير　　لفعال يدعى دنياً ذميما
لا لعمري فما الامارة ارثاً　　بل صفات تجملن الكريما
وتراها سماحة ووداداً　　وثباتاً وهمة وعلوما
عظم شأن ورفعة في كريم　　لتراه عند اللزوم حليما
دون هذه الصفات ما كان ذكر　　لتهاب ولا عرفنا تميما
لا لاصل او درهم او جمال　　بل لفضل قد صار موسى كليما
لا لماء لكن لطهر وقدس　　اكرموا زمزما كذا والحطيما
فعلمنا ان للنفوس صفات　　تخفض المرء او ينال النعيما
كل من يدعى الامارة ارثاً　　دون هذه الصفات اضحى عديما
كل من حازها يسمى اميراً　　بسواها كان الامير بهيما
والامير الفريد وابن المعالي　　من وجدنا لديه مجداً قديما

وتراه المنصور في كل حال　　يغلب النائبات ثمَّ الهموما
وتراه في كل امر وقول　　وفعال من كل عيب سليما

سلامه . الدبس . اصفر . رعد . سنة ١٨٨٤

كان هولاء الاربعة من اصدقائي وكنا نجتمع كل ليلة معاً للضحك والمزاح ولعب الورق بلا دراهم تقريباً او قليلاً لاجل التسلية وكان المرحوم لطف الله رعد صديقنا ونجتمع عنده وهو رجل مستقيم الاطوار ودود يحب السلامة معتبراً في تجارته صاحب ذمة وكان يحبني جداً وهو شقيق المرحوم اسعد رعد الذي ساذكره فيما بعد لانني تعرفت على اخيه لطف الله قبله وكان عديله بطرس الدبس من عداد جمعيتنا وكذلك ابن حميه انطون الاصفر والصديق الرابع كان يعقوب سلامه

كنا ذات ليلة نلعب (الكونيلو) وهي لعبة بالورق كانت مشهورة وقتئذ فدعيت لعيادة مريض ولما رجعت سالني عنه الجماعة وقالوا اعطنا ما معك لانك قد قبضت الان ونشترك سوية بالدراهم فقلت لهم يجب ان تساعدوني بخدمة المريض لتستحقوا الاجرة وتشتركوا معي بها قالوا نفعل ونعمل استشارة طبية (كونسولتو) فما مرضه ونحن نعطيك راينا فقلت لهم ان المريض مصاب بامساك باطني ومعه مغص شديد فعملت له تحميلة دبس فضرط فصاً كالرعد وخرج خروجاً اصفر والكل راحوا على سلامه فقام الاربعة ضدي اما الحاضرون فضحكوا وقالوا ان الاجرة استحقها سلامه وفي اليوم الثاني انتشرت هذه النادرة بالبلد وعرفها الخاص والعام

مدام فريج

نصف جيل اشغلت بيروت هذه السيدة البارعة الجمال والفائقة بالذكاء واللطف والغنى والبشاشة وهي ذات جمال رائع يضرب به المثل في سوريا من اصل نمساوي ومولودة في بيروت ابنة قنصل جنرال النمسا من اصل شريف ومحتد عال ولا يمكن الانسان ان يعاشر الطف منها اذا وجدت في مجلس وكان فيه اقوام مختلفون يمكنها ان تكلم كلا بلغته كالافرنسي والايطالياني والنمساوي والانكليزي والرومي والعربي

والالماني ولو اجتمع مائة شخص معها يرى كل انها تلتفت اليه فهذا تشغله بحديثها وذاك بنظرها اليه والاخر بالتفات والبعض بتبسم حتى كانها تكلم الجميع بوقت واحد بشوشة الوجه ضحوكة تكرم ضيوفها وتلبس ابدع ملابس على احسن قوام عنقها وصدرها محليان بالجواهر وقد نالت اوسمة عديدة من البابا والنمسا واحرزت نشان الشفقة الاول من الدولة العلية ولم ار احداً لاق له الغنى نظيرها وباي محل حضرت لها المقام الاول ان كان في المجتمعات او المجالس او المراقص ولا تفوتها دقيقة من الرقص من المساء حتى الصباح فلا تكل ولا تمل وان تكلمت فيصغي الحضور لكلامها وتشخص لها الابصار وان زارت كنيسة للصلاة فتمثل التقى والنقى ولو جمع احسان لمساعدة شخص او عائلة او منكوبين كانت اول المحرضين عليه فتراها الاولى في مواقف الهناء والعزاء والافراح والسهرات لم يات وال او قاض او موظف او قنصل او رئيس دين الا عرفها وعرفته وزارها واكرمته فاعتبرها ولا ذو حاجة وفقير الا ومدت اليه يد المساعدة وبالاختصار كانت زينة العصر وبهجة بيروت والذي ساعدها على ذلك زوجها الهمام المركيز

(موسى افندي) خلق هذا الذات ليكون زوجاً لهذه السيدة البديعة فهو كامل الصورة جميلاً فصيحاً محباً للجاه وبود امرأته جداً داره يؤمها الاعيان من كل الملل والنحل ويقف بذاته خادماً للكل فهو من التجار المعتبرين نال معظم الرتب والاوسمة المعتبرة من الدولة العلية والدول الاجنبية لطيف متضع وله نجل اسمه جان

هو الوريث الوحيد لهذه الاسرة جمع بين اللطف والعلم وقد انعم قداسة البابا عليهم بلقب مركيز وقد نظمت هذين البيتين لمدام فريج وهما باكورة ما قلته فيها

ارتني مدام فريج في وسط وجنة وتفاحة قد اهلكت قبل ادما
واما انا قد مت منها بنظرة لقد مات منها ادم بعد اكلها

يقال ان التفاحة هي الثمرة التي اكلها ادم وسقط بسببها وقلت فيها بفرصة اخرى

بعصاه موسى شق بحرا احمرا فغدا نبياً بعد ذا بين الورى

والیوم شقت عرسه بلحاظها قلبي فاجرت منه بحرًا احمرا

وزرت مدام فريج يومًا فدار بيننا الحديث على الشعر العربي قالت ان للشعر العربي مديحًا ومبالغة لا يقبلهما عقل بشري فيقولون لفلانة انت الشمس والقمر وما اشبه كما ترى بالاشعار التي نظمها لي حنا بك ابو صعب ومع انهُ شاعر مجيد اقرأ قصيدته وانظر ما فيها من المبالغة والغلو فاخذتها منها وقرأتها وكنت افكر بموضوع فكتبت بقلم الرصاص على الورقة اسفل القصيدة هذين البيتين

ما شبهوا بالبدر وجهك بالسنا بل انت حقًا للشموس ضياء

لكن لبعد منالها ووصالها فلانتما عند الوصال سواء

فطربت لهما لانهما اعظم ما تمدح بهما النساء وشكرت لي هذا المعنى المبتكر الموافق المقام

(نكتة) في سنة ١٩٠٧ اصابتني نزلة صدرية الزمتني لترك بيروت قبل ميعادي وسالت عن تغيبي بعض الاطباء فقال لها اني اصبت بالجنون وما ذلك الا لتعطيل شغلي وانتشر هذا الخبر سريعًا في بيروت ففي احد الاعياد توجهت لمعايدتها كالعادة وكان هناك المركيز موسى افندي وجمهور غفير فلما راتني شهقت وقالت بلغني انك جننت فما هذه الاشاعة عنك اجبت لو كنت معرضًا لهذا المرض لكنت جننت يوم رايتك اول مرة فضحكت وضحك الجميع لهذا الجواب

(كليوبترا) في سنة ١٨٩٦ اقام انجال المرحوم موسى افندي سرسق مرقصًا عموميًا متنكرًا وكان كل من يحضره يلبس زيًا مخصوصًا يمثل احد المشهورين من القدماء واختارت مدام فريج لبس كليوبترا وتصورت بهذا الزي واهدتني رسمها فنظمت لها ابياتًا موافقة للمقام. وكانت الصورة تمثلها مادة يدها كانها تشير الى جرة وعلى زندها حية ملفوفة هي حية كليوباتره التي كانت ملكت في مصر بايام الدولة اليونانية وورثت كرسي الفراعنة وحاربها انطون القائد الروماني قبل ان تعشقها وبعد ان ظفر بها ابقاها ملكة ثم حاربها قيصر وحارب القائد انطون واخذها اسيرة فلما رات ذاتها بالاسر اطلقت الحية عليها فلسعتها وقتلتها وتذكرت هذه الحوادث فنظمت لها ما يأتي

هذي كلو بتره التي اخذت لنا ‌ ‌ ‌ في ثار فرعون سليل امونا (١)
قد اغرقت موسى ببحر جمالها ‌ ‌ ‌ كعصاة موسى اغرقت فرعونا
مدت يميناً للقلوب تشقها ‌ ‌ ‌ وتقلدت عوض اليمين عيونا
اجرت برمش الجفن بحراً احمراً ‌ ‌ ‌ متموجاً في الخد نال سكونا
هذا لموسى حية في زندها ‌ ‌ ‌ تحيي لنا الملدوع والمحزونا
واذا بها الملسوع عز شفاؤه ‌ ‌ ‌ في ريقها يجد الدوا المأمونا
لو كان هارون يرى ما عندها ‌ ‌ ‌ لاضاع موسى واقتفى انطونا

(نكتة اخرى) في احد الاعياد توجهت لاهنئها بالعيد وكان عندها جملة اساقفة فتقدمت حسب العوائد الشرقية وقبلت ايديهم ثم يد مدام فريج فالتفت احدهم متعجباً فقالت له يا سيدنا هذه الموده اليوم ان الرجال يقبلون ايدي السيدات قلت فضلاً عن المودة ان تقبيل يدبك سرني ولذني اكثر من تقبيل ايدي هولاء السادة فضحكت وضحك الجميع لهذا الجواب

(ليلة رقص) لمركي موسى عادة بكرمه ان يقيم مرقصاً في منزله يدعو اليه الاكابر والاعيان ففي احدى الليالي التي اقامها احتفالاً لدعوته ناشد باشا والي سوريا كان المدعوون يحضرون ويتقدمون الى السيدة التي كانت ببهوها وتحدق بها السيدات بلبسهن البديع من الجانبين فكان الرجل يتقدم بامرأته وينحني امام صاحبة الدعوة ويترك امرأته مع السيدات ويخرج حتى تكامل عدد المدعوين وابتدأ الرقص وكانت عادتي بهكذا ظروف ان ابقى متفرجاً فلا ارقص ولا اتناول مشروباً روحياً بل انتقل من محل الى اخر وبينما انا على هذه الحال صادفت موسى افندي فسألني اذا كنت مسروراً وما رايي الشعري بتلك الليلة فنظمت بديها الابيات الاتية وهي مطبوعة بكتابي صحة العين

ولما دعينا عند موسى بليلة ‌ ‌ ‌ وشاهدت ما تبدي الجفون من السحر
تذكرت فيها عند فرعون جامعاً ‌ ‌ ‌ لموسى جميع الساحرين من القطر
وكان بنا تأثير ذا السحر مثلما ‌ ‌ ‌ تأثر منه الشعب من قبل في مصر

(١) امون اله المصريين

ولكن موسى كالقديم اتاهم بجفن بفوق السحر قد حف بالكسر
وقد حاز نصراً وهو في ذاك آية له الجفن مكسور وقد فاز بالنصر

وقد قلت بموسى افندي اذ رايته واقفاً يكلم امرأته سراً

لا شك موسى كليما للرب في كل حال
من قبل رب البرايا واليوم رب الجمال

(نكتة مع الدكتور سليمان مشاقه)

كان الدكتور سليمان افندي غيوراً جداً وهو صديقي امزح معهُ خصوصاً بسبب لحيته التي اطلقها عن صغر ففي ذات يوم كنا في باتر ودعيت لمعالجة الشيخ سعيد حمدان ومعي سليمان افندي فبقينا مدة خمسة عشر يوم هناك وذلك سنة ١٨٨١ وكان حاضراً نسيب بك جنبلاط لان الشيخ سعيد من اقاربه فقال نسيب بك يلزم ان ننزل الى النهر حيث هناك غدير فنسبح به ونتخلص من هذا الحرّ وذهب معنا الدكتور سليمان افندي ولما وصلنا الى النهر لم يرضَ ان يسبح غيره فيه فخلع ثيابهُ امامنا وسبح بالماء فتذكرت قول المتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معا

فعارضتها وقلت

ذو لحية دكتور ابن مشاقة قصد الغدير بعصر يوم الاربعا
خلع الثياب وغاص قصد سباحة فاراني الذقنين في وقت معا

وانتشر هذان البيتان بسرعة عظيمة ولم يزل ذكرهما حتى الان

(كاسر الجحش)

حضر ذات يوم اليَّ رجل سمين جداً وجلس على المقعد في الدار فسقط بهِ ولكي يعتذر عن نفسهِ قال ما هذا الجحش فانهُ ركيك للغاية والجحش هو قطعة الخشب التي توضع عليها الالواح فقلت فيهِ

سمين قد علا ديوان داري فكسر جحشهُ واتى اعتذارا
وقال الجحش خسع قلت كلا فان الجحش لم يحمل حمارا

(اخ الثور)

اتى اليَّ رجل كنت اعرفهُ في مصر ورأيتهُ بعد عشرين سنة وكنت قد نسيتهُ فاخبرني عن حاله وكنت اعرفهُ فقيرًا ثرثارًا كاذبًا فتذكرتهُ وقلت لهُ قد عرفتك وانت فلان بائع الدخان بالمحل الفلاني قال نعم ولكن احوالي قد تغيرت كثيرًا وصرت من المعتبرين في مصر تكرمني الناس وانا هناك ذو نفوذ عظيم فعرفت من كلامهِ انهُ لم يزل على عادته بالكذب فنظمت له هذين البيتين

تقول بمصر قد غدوت مكرمًا　　فما عندنا شك بفوزك والنصر
لقد ذكر التاريخ من قبل ذا لنا　　بان اخاك الثور يعبد في مصر

رثاء بطرس البستاني

كنت سنة ١٨٦٥ تلميذًا بالمدرسة الوطنية التي اسسها في بيروت المعلم بطرس البستاني وهو احد اصحاب النهضة العربية المجد المجتهد فانهُ الف بكل العلوم واعظم تآليفه محيط المحيط القاموس العربي الشهير ودائرة المعارف العربية وانشأ جريدتين احداها دعاها الجنة والثانية الجنان وكان مواظبًا على التآليف والعلوم وتوفي فجأة بين الكتب والمحابر والاوراق في اول ايار سنة ١٨٨٣ وكنت يومئذٍ في بيروت وحضرت مشهده وحيث انهُ كان رئيسي ومعلمي رثيتهُ بالقصيدة الآتية

عش في زمانك ذا نهى وبيانِ　　فالمرء في قلبٍ له ولسانِ
لو جرد الانسان يومًا عنهما　　لم يفرق الانسان عن حيوان
وبذا عن الحيوان كان مميزًا　　بل ميز الانسان عن انسانِ
وبهِ ينال المجد ما بين الورى　　لا بالغنى وضخامة الابدان
ليس الفتى بالمال يخلد ذكره　　لكن خلود الذكر بالاحسان
او ما نظرت الى النبات لنفعهِ　　يجنى وليس بنضرة الاغصان
والورد ماء الورد يفضله على　　ما فيهِ من طيب ومن الوانِ
واذا نظرت الصيدلية لم تجد　　فيها خلاف جواهر العيدان
كالدهر يبقى للفتى من بعده　　فضلاً ويفنى سائر الجثمانِ

وارى الورى يخشى الممات ولم يكن … وابيك الا منتهى الاحزان
ماذا يفيد الخوف منهُ هل ترى … من مهرب منهُ وبرج امان
ارأيت او أخبرت او حدثت عن … حي من الاحياء ليس بفان
اصل الحيوة هو الممات فلم نمت … لولا الوجود بعالم العمران
انا لا ارى في الموت كرهاً انما … كرهي له ان جاء قبل زمان
فالمرءُ محبوب غدا باوانهِ … والحلو مكروه بغير اوان
والموت مرٌّ غير ان مراره … يحلو اذا ما جاء في الاحيان
وامرّه ما اغتال شهماً فاضلاً … فرداً عظيم النفع كالبستاني
الموت لم يفتك فقط بحياته … بل في حياة مشيد الاوطان
تلك التي بات الزمان رفيقها … من حيث قد جادت ببطرس ثاني
فكلاهما قد كان فيه صخرة … ذا للعلوم وذاك للايمان
هيهات ابواب الردى تقوى على … جعل اسمه في عالم النسيان
كيف الردى يقوى على ذكرى الذي … قد بات صاحب جنة وجنان
افنيته يا موت لكن ذكره … يفنيك حتى منتهى الدوران
لم تفن غير الدمع عند بعاده … لم تبكهِ من امرىء عينان
بل كل عين الف عين قد جرت … دمعاً بلا عين لعين زمان
لاقت به بيروت بحراً احمراً … فغدا بها البحران يلتقيان
جمع المحيط بموته وحياته … ذا بالعلوم وذاك بالاجفان
لولا معاهدة الاله بانهُ … لم يرسل الطوفان للانسان
ووجوب خشيته جمعت من البكا … نهراً بفيض الدمع كالطوفان
واليوم سكان الكواكب شاهدت … طوفان نوح ليس عن طغيان
بل من دموع بالزفير تبخرت … من حر ما في القلب من نيران
وعلى بخار الدمع سار الى العلى … متزوداً بمراحم الرحمن
نادت ملائكة الاله امامهُ … هذا شهيد العلم والعرفان
فاناله رب العباد مقامهُ … واقامهُ لجنانه بستاني

(سائق الاظعان)

في سنة ١٨٨٣ كنت موجوداً في قرية الحدث لمعالجة الامير يوسف بن الامير سليم عبدالله شهاب الذي كان قاطناً الجيه ووالدته الست سعدا بنت الامير بشير الكبير مع امرأته الثانية · حسنجهان التي رافقتها من مصر الى سوريا وكان مصاباً بداء السل الرئوي وتوفي به · وكنت ازوره كل يوم وفي مدة اقامتي هناك حدث يوماً انني كنت مرافقاً الامير حافظ والامير توفيق المشهورين بالحمق والبلادة وكنت امشي خلفهما تأدباً لانهما امرآء ففي اثناء سيرنا قابلت احد اصدقائي الظرفاء وسألني عنهما فقلت ارتجالاً

سرت بالميرين توفيق الفتى   واخيه حافظ ذاك الصبي
نادت الناس عليّ والى   سائق الاظعان يطوي البيد طي
منعماً عرج على كثبان طي

(دابة بلعام)

كنت في احد الايام على ساحة البرج ببيروت مجتمعاً مع بعض اصحابي الشهابيين واذ دخل علينا احد سائقي الاظعان جناب الامير حافظ الذي كان من عادته ان لا يكلم احداً ابداً فخاطبته واجابني على حديثي فتعجبوا من ذلك وقالوا لي كيف انطقته قلت ولماذا قالوا انه لا يخاطب احداً سوى والده الذي قال له مرة يا ابي رايتك في المنام كديشاً انا راكب عليك فلما وصلنا الى النهر سقطت بي فطرده ابوه من حضرته مغضباً وقال الذين سمعوا هذا المنام الى ابيه دعه حتى ينشلك من الماء · وله عدة اعمال اخرى تشبه هذه بالحمق فلما رايتهم متعجبين قلت بهذا المعنى شعراً

امير حافظ ابداً سكوت   وقد عدوه من بكم الزمان
وقد انطقته لما رآني   فظنوا انني بلعام ثاني

ان بلعام هو النبي الذي انطق حمارته حين كان متوجهاً الى ملك الموابيين كي يلعن بني اسرائيل

(القس المفسد)

كان احد القسوس كثير الحركة والفساد وكان لا يرى اثنين متفقين الاَّ

ابعدهما او بلدين متوافقين الا افسدهما مع ذلك يدعي التقى والذكاء والمعارف بالانجيل وتفاسيره فيوماً ما وقد كان يفتخر بهذه العلوم المقدسة خصوصاً بمعرفة الانجيل قلت فيه

وقس للفساد غدا اماماً ولم يقضِ الصلاة ولا الصياما
ولم يحفظ من الانجيل قولاً سوى (ما جئت كي القي سلاماً)

(حسن الاعتذار)

كان لي صديق في بيروت اتردد عليه منذ عشرين سنة واعتبره كاهلي فغبت عنه مدة شهرين ولما اتيت لزيارته عاتبوني خصوصاً امراته فقلت مرتجلاً

تعاتبني اسمى على طول غيبتي كأن ما كفاني في البعاد عذابا
فمن كان محروماً محاسن وجهها كفاه قصاص لا يزاد عتابا

(رابع المستحيلات)

دعيت يوماً مع بعض الاصحاب الى طعام عند احد الامراء اسمه الامير سعيد وتعجبنا من هذه الدعوة ولكن لعل السياسة دعته لدعوتنا لانها كانت مخصوصة لشخص مهم في السياسة ولكن مهما كان الداعي البخيل متكرماً فلا بد ان نرى على مائدته ما يدل على بخله فحين تناولنا الطعام قدموا لنا شكلاً يدعى المحشي وهو من الكوسا او الباذنجان او ورق العنب ويتكون من الارز واللحم اما هذا المحشي فكان خالياً من اللحم واشعرت بذلك من طعمه غير اني اردت ان اتحقق ذلك ففتحت واحدة واذا بظني استحال الى حقيقة فخطرت على بالي مستحيلات العرب وهي الغول والعنقاء والخل الوفي اذ يزعمون انها اسم بلا جسم فارتجلت قائلاً

قد قيل ان المستحيل ثلاثة والان رابعة انت بزيد
الغول والعنقاء والخل الوفي واللحم في محشي الامير سعيد

(الشاهد المجروح)

من عادة الناس اذا سأل الواحد الاخر عن محبته له يقول قلبك شاهدك واتفق اني سئلت هل تحبني اجابت كالعادة فقلت بذلك حسب الشاهد لان الشريعة لا تقبل شهادة مدمن على السكر او سارق او شاهد زور او امر مخل بالادب فتجرح شهادته

ويقال عنه انه شاهد مجروح فقلت بهذا المعنى هذين البيتين

فسألتها هل بالاكباد تجنني   قالت فوادك شاهد يا روحي
فاجبتها اهل الهوى لا يقبلوا   ابداً شهادة شاهدٍ مجروح

(قضاء داود سنة ١٨٨١)

كان لي صديق من الامراء اللمعيين وكان اسمه الامير داود ففي ذات يوم حضر عندي الى بيروت مع امرأة جميلة اسمها نور من عائلته فسألته عنها قال انها زوجتي قلت ومتى تزوجت وكيف توفقت سريعاً الى هذا الجمال اجاب ان المسألة كانت غير منتظرة لان الست نور كانت مخطوبة لامير يدعى الامير عامر وهي مغصوبة على هذا الزواج لانها كانت تميل الى الامير داود واتفقت معه ذات ليلة ان يأخذها خفية من بيت والدها في قرية بحنس ويأتي بها الى برمانا ليتكلل عليها وهذا ما تم وبعد ذلك اتى بها الى بيروت ليبعدها عن محل الحادثة وكلفني ان انظم له شعراً فقلت في ذلك

اخذت بهاء النور من دار عامر   واحرزته نور الهدى دون تهديد
وقد ذاق اوريا قديماً نظيره   وهذا قضا داود في مجلس الغيد

اشارة لما فعله داود النبي مع اوريا اذ ارسله للحرب فقتله وتزوج امرأته وهي ام سليمان (سفر الملوك الاول)

(تاريخ أما)

كان لي صديق في بيروت صيدلي يدعى نجم مطر من حاصبيا تزوج السيدة أما ابنة الخواجه طعمه غبريل والخواجه طعمه من احسن الرجال بالمروءة واللطف والزمام والمودة وله امرأة ذات فضل وعفاف لا يقدر وله عدة اولاد من اظرف الشبان وقد تربت السيدة أما ابنته الكبرى جيداً وتهذبت بمدرسة العازاريه وكنت اعتبرها جداً نظراً لصفاتها الادبية ومعارفها خصوصاً باللغة العربية وولعها بالشعر وقد نظمت تاريخ زواجها لانها تزوجت بالمصيطبة ونقلت الى الدار التي عمرها رجلها في برج ابي حيدر فقلت

للشمس برج في كل شهر انبأنا عنه حساب قيصر
واليوم ارخ حلت ربوعاً اما تراها في برج حيدر ١٨٨١

وقد طلبت مني كتاب صحة العين فاهديته لها وكانت يومئذ ارملة لم ارها منذ سنتين وحررت عليه هذين البيتين

صحة العين أهدِها لعيون ناعسات بواقظ وصحاحِ
علها تنفي اما قد كفاها ما اصابت قلوبنا من جراحِ

بعد هذه الجلسة وتقديم الكتاب لها لم ارَ وجهها مدة ثلاث سنوات وتزوجت ولم ادرِ بزواجها غير اني لم ازل اعتبرها واجدها وامدحها في كل مجلس ووقت لانها تستحق كل مديح واعتبار رافقتها السلامة اين حلت كما رافقتها الطهارة اين تجلت

وفي شهر شباط سنة ١٩٠٧ حين كنت في مصر ماراً بشارع الفجاله رايتها عن بعد فاوقفت عربتي وانبت وسلمت عليها وعلى زوجها وسررت كثيراً لسلامتها وولادتها اولاداً فرايتها كما كانت وكنت كما كنت

اميرة النمل

لما كنت في الحدث كما قلت لعيادة الاميرة سعدا بنت الامير بشير الكبير وزوجة الامير سليم عبدالله التي كانت مصابة بالبول السكري ومعها نكروز في العظم الصدغي مررت ذات يوم على دار وبرفقتي الخوري حنا ناصيف خادم كنيسة الحدث وقد توفي في شهر اذار سنة ١٩٠٦ وحزنت عليه لانه كان ذا مبدأ قويم فراينا على باب الدار اميراً شيخاً جليلاً لم اكن اعرفه من قبل ندعانا ولشدة الحاحه علينا اجبنا دعوته وكان ذلك وقت العصر ودخلنا الى غرفة فيها ديوان بالجهة القبلية واخر بالجهة الغربية ورابنا اميرة عمرها سبعون سنة تقريباً وقفت لنا وعند وقوفها سعلت لانها كانت مصابة بسعال مع ربو وجسمها سمين للغاية فلما ابدت هذه الحركة ضربت مدفعاً بصوت جهير لاستقبالنا وسعلت وعطست وكان يسمع مع سعالها دوي قوي فكلفت الخوري ان يتقدمني ففعل وسلم على الاميرة ثم جلسنا على الديوان وكانت المدافع تتكرر مع كل سعال اخيراً حكت راسها بشغف وجالت بين اصابعها وجمعت اظافر الابهام وفقستها

فعرفنا انها قتلت قملة ولما رايت عملها اخذت ورقة وقلم رصاص وبدأت اكتب والامير والاميرة ملتهيين بالحديث مع الاب حنا وبعد مدة سألوني عن سبب سكوتي اجبت انني اسطر بعض حسابات اخشى ان انساها وبعد برهة استاذنا بالذهاب وكان وداعنا كاستقبالنا بدوي المدافع ولما خرجنا قرأت للخوري القصيدة التي نظمتها ارتجالا فاغرب في الضحك واخذ نسختها وتبلغتها الاميرة فنظفت ذاتها وصار اذا حضر احد مجلسها واشعرت بالسعال تخرج من المجلس واستراحت من نهش راسها لانها غسلته وحسب رواية الاب لم يبق في راسها شيء مما كانت تحمله وكانت القصيدة دواؤها الوحيد لذلك القمل وقد جرت الحادثة في ١٦ اب سنة ١٨٨٣ في الحدث وهي

جلسنا اليوم في العصر ... بقصر اميرة العصر
اميرة ماجد فتكت ... بجيش القمل بالعصر
اذا ما عطست قمطت ... تنش القمل للنحر
هناك النفخ منتصب ... بايديها على شبر
بظفر الباهمين غدا ... قصاص القمل بالكسر
ترى القتلى ممددة ... هنا شطر على شطر
وبطن الكف ممتلئ ... من الاسرى على الصدر
بدت للفقس فرقعة ... ولم نعلم ولم ندر
اهذا الصوت من دبر ... ام الاصوات من ثغر
سعال ثم فرقعة ... ورعد من ورا الظهر
وجيش القمل في هرب ... وفي نحر وفي اسر
ولا ملجا لهربه ... وقد ابقته في حجر
عليه الكف كوردون ... اقامتها على النحر
ظننا الارض مرجفة ... كان القمل في الحشر
فويل القمل ان وقعت ... بكف اميرة العصر

كانت احدى الخرائد شهيرة بالجمال فريدة بلطفها وظرفها ذات لون وردي يسطع

بوجنتيها عند ادنى تأمل فيها او ادنى اضطراب يصيبها غير انهُ لا بد لكل بداية من نهاية فلم يمر وقت طويل عليها اي من يوم نظمت لها الابيات الى يوم تحرير هذا الكتاب حتى اصبحت هذه الملكة عبدة فسبحان من يغير ولا يتغير وهي ذات هيئة كئيبة واصبح ذلك الاحمرار كلطخ دهان الجدران اذا اذابهُ المطر وارتخى وجه ذلك الوجه المستدير وتجعد حتى لو مرَّت عليه عربة لانقلبت بها فاين منظرها الان من ذلك المنظر البديع الاول وقد كانت وقتئذٍ ملكة الجمال في الحدث حيث نظرتها وذلك سنة ١٨٨٣ وقد اصبحت سنة ١٨٩٣ بهذه الحال ونظمت لها يومئذٍ الابيات الاتية

هذي المليكة اقبلت — تحوي بعدّ جنودها
وخدودها شهدت عليَّ — عدم الوفا بعهودها
قلبي عليها شاهدٌ — في قتلتي بنهودها
لما نكرت غرامها — شهدت شهود خدودها
جرحت شهودي عندما — حاولت جرح شهودها
لما عجزت خسرت في — دعواي كل بنودها
فرضيت منها كلما — ترضاه دون صدودها

اما اليوم فلو رأيتها لهجوتها ولكن ما العمل وقد سبق المدح فلا يجوز القدح خصوصاً لكونها غير مذنبة

(حوت يونس)

يونس هو يونان وكان رجل يدعى بهذا الاسم ثقيلا سمجاً لا يقبل له كلام وهو لا يتأخر عن الرذيلة ولو مع اعز اصدقائهِ وقد توكل بدعوى ومع علمه تزويرها قبل الوكالة بها بغية اكتساب الدرهم بالحرام فخسرها ونهب المدعي واراد يوماً ان يغير وظيفته و يصير كاتباً لاحد الامراء الحائزين وظيفة مهمة في الجبل فحررت للامير الابيات الاتية

يا من نجلّ له مجلسا — ايونس تختاره مؤنسا
الا تذكر الحوت مع هضمه — عقيب الثلاثة فايونسا

وهي قصة يونان النبي الذي ابتلعهُ الحوت وبعد ثلاثة ايام اخرجهُ من جوفه لعدم هضمه وذلك كتابة على صديقنا يونس سنة ١٨٨٤

(شقيق النعمان)

في احدى ايام الربيع بينما انا متوجه باكرًا جدًّا الى قرية الحدث قبل شروق الشمس وراكبًا فرسي الزرقاء التي سرقت مني وصلت الى رمل الحرش فرأيت زهر الشقوق مفتحًا واللون الاحمر ناصعًا والسواد في قلبه عابسًا فصرت اتأمل هذه الرياض حتى امتلا دماغي من الافكار واشعلت سيكارة دخنتها وانا واقف ثم مشيت الهوينا وكتبت هذه الاشعار على الطريق حتى وصلت الى الحدث وذلك في شهر ادار سنة ١٨٨٣

ولما ارتني في الحديد شقيقا ارت امها في ذا الشقيق شقيقا
شقيقان بل خال وابن شقيقة على خاله ما كان قط شفيقا
ومما بدا من خاله اسود قلبهُ وصارت دماه في الخدود عقيقا
تقول لنا الامثال ابن شقيقة عدو لخال لا يكون صديقا
تقدمت في حال النزاع ومهجتي بنار ومني الدمع كان طليقا
بدمعي قضى ابن الشقيقة نحبهُ غريقًا ينادي الخال مات حريقا
فقبلت ذين الميتين مودعًا واحييت ميتًا وانتشلت غريقا
وفي فيَّ سر ناعش روح ميتٍ لان لماها قد سقاني رحيقا
تقادم عهد بالحلاوة قطرةً اذا عتق الحلو استحال عتيقا
فمن ذاقهُ يومًا ففي الحال انهُ يصير الى ذاك العتيق رقيقا
فما من رقيق رام في الدهر عتقهُ فلم نرَ حتى الحصر منهُ عتيقا
وان تسألوا عن قلبها نحو حبها قديمًا حديثًا لم تروه رفيقا
وان تسألوا عن حال قلبي بحبها تروه رقيقًا في هواها عتيقا
خفوق يدق الصدر ساعة ذكرها فكاد لدق ان يموت سحيقا
فما احد ساواه في حبه لها كذاك سواها لا يريد رفيقا

وكان المرحوم الامير سعد ابن الامير خليل بن الامير بشير الكبير يسر جدًّا

لهذه القصيدة وهو يومئذٍ رئيس مجلس ادارة لبنان ويعرف قيمة الشعراء ويستظرف نكتهم وهو دمث الاخلاق

نسيب بك جنبلاط قايمقام الشوف

في ٢٥ ايار سنة ١٨٨٤

كان يظن ان هذه القائمقامية لا تخرج من يد الامراء الارسلانيين لانها العائلة الوحيدة الدرزية التي لا حزب لها كالجنبلاطيين واليزبكيين وقد ذكرت تاريخها . وعندما حضر واصه باشا متصرفاً على لبنان سنة ١٨٨٣ عين نسيب بك جنبلاط قائمقاماً على قضاء الشوف وتم القول بالفعل فسكتت الطائفة الدرزية لهذا التعيين ورضيت عنهُ فحينئذٍ نظمت له القصيدة الاتية لتهنئته

ليس الخضوع لغير الحق من هممي ... ولا المديح لغير الفضل من شيمي
ولا ابالي بمن اهجوهم ابداً ... ان كان هجوي لهم حقاً ولم يلمِ
هل يمدحون اناساً ليس عندهمُ ... عهد لحب ولا حفظ على ذممِ
ذئبان فعل اذا عاهدتهم حنثوا ... كان عهدي لهم يوماً لسفك دمي
لاذوا بكم في اوان السير وابتعدوا ... في القسر عنك فهم اسرى لنفعهم
ان يكسبوا الفلس مالوا نحو صاحبه ... كالمبل عن صحبهم في فقد فلسهم
فهل تبالي بمن غرشين قيمتهم ... وسعرهم لا يعادل بعرة الغنم
ان شئت تقريب مغتاظ وذي كدرٍ ... امسك بايديك غرشاً من امامهم
واصرخ لهم شو فشو شو تلقهم رجعوا ... وحركوا ذيلهم شوقاً لغرشهم
اوغاد قوم اذا وليتهم ظلموا ... وليس في حكمهم حد لظلمهم
هم يفرقون اباً عن ابنهِ حسداً ... ويجمعون شتات الحل والحرم
ان جوعوا سرقوا او اشبعوا فسقوا ... عبيد غرش فهل يدعون للحكم
من لم يكن صاحب الانعام عن صغرٍ ... كريم نفس عفيف ثابت القدم
حراً حليماً ودوداً ليناً بطلاً ... تليد مجد طريف الفضل والشيم

نسبب كل مقام في العلا وعلا ... فضلاً على كل عالٍ ناهض الهمم
لا يرتجى منه ان وليته اربا ... ولم ينل صحة من كان ذي سقم
والفرق ما بين ذي فضل وذي لؤم ... كالفرق ما بين نحاس وذي قلم
هذا يسوس برفق حسب آلته ... وذاك آلته من آلة العدم
والفرق بينهما اصلاً ومرتبةً ... كالفرق ما بين نور الشمس والظلم
باي عدل يساوى بينهم ابداً ... هل يستوي اليوم مخدوم مع الخدم
هجوت من كان كالنحاس آلتهُ ... مضرة نفعها للطرق لا الحكم
مدحت من كان نفع الناس مرتبطاً ... فيهم وان حجبوا فالناس في ازم
قوم يجبرون اعداهم اذا ظلموا ... ولم يفت قط شخصاً طعم خبزهم
مضت ثلاثون عاماً في الحياة ولم ... امدح سوى صاحب الانساب والهمم
ابن السعيد ومن نسل البشير ومن ... اضحى نسيب العلى والمجد والكرم
لجده قالت الامثال من قدم ... السيف اصدق انباءً من القلم
وشهرة لابيه اصبحت مثلاً ... جاءت باشهر من نار على علم
وكلما نسبوا في مدحه قدماً ... كنت النسيب له بل فوق مدحهم
قد نلت ما لم ينالوا في زمانهم ... احييت في جنبلاط نشر ذكرهم
جعلت اعداهم صحباً وما رفضوا ... عنهم انالوك لا بالسيف والحشم
لكن بما نلت من حزم ومن كرم ... ومن تأنٍ ومن صبرٍ ومن حكم
ومن ذكاءٍ ومن لينٍ ومن سعةٍ ... ومن ثباتٍ ومن لطفٍ ومن شمم
فضائل حزتها لم يحوها بشرٌ ... عند الثلاثين بل من مقتضى الهرم
لم انسَ يوم توليت الزمام به ... وانت ما بين اجواق من الامم
اوهامهم حسداً اعلامهم شرفاً ... افواهم شمماً بل راس كلهم
قلنا الى جثث من حولنا ضخمت ... قوموا انظروا الفرق بين العقل والضخم
وعندما عرفوا للعقل منزلة ... اعلى من الشحم ابدوا لعن شحمهم
ذاك الذي ذاب من غيظ ومن حسد ... والنار ادنى احتراقاً من لظى الالم
ظعنت عن شحمهم يستعرضون نهى ... فاصبحوا بعده من انحف السهم

قائمقامية الشوفين قد نطقت اهلاً وسهلاً باهل الجود والكرم
لك الهناء بها ثم الهناء لها لقد علت رتبة عن سائر القدم
ما دمت بالعدل محفوفاً ومنتظراً فانت اثبت في حكم من الهرم
والعدل لاشك روح الحكم ان فقدت روح من الجسم كان الجسم في عدم
فدم على رأسها كالنيرين كما دامت عليك صفات الفضل والشيم
وقلت مؤرخاً
قائمقامية الشوفين قد بزغت كانها نجمة في الارض سياره
انت من الشرك ضمن الغرب قد اسرت واليوم قد هربت للشرق دواره
مذ خبروها اجابت ارّخوا هربي فانني لنسيب المجد مختاره ١٨٨٤
ونظمت له تاريخاً ثانياً تبريكاً بالرتبة الاولى التي انعم عليه بها سنة ١٨٨٨
فلا عجب من نيل رتبتك الاولى فانت بها من قبل من قبل المولى
وغيرك قد نال السعادة لفظةً وانت بها في اربع ابداً أولى
سعادة اموالٍ سعادة مولدٍ سعادة اعمال سعادة مسعولى
ولما غدا التاريخ المجد مادح اتينا نهني فيك رتبتك الاولى ١٨٨٨

(ميدانا الطبيب)

وميدانا له الميدان خالٍ فطن يخوضهُ خوض الجياد
فبان الحق ان الركض ركضاً كديش اقل من قفز القتاد
ولولا نفع ابنته شفيقاً لكان الطب لا يأتي بزادِ
وادوية لهُ اضحت رسولاً وامست للردى اقوى مواد
بهم بخارها الارواح تسري الى دار البقاء من النفاد
تقول لمن تناولها لداءٍ جماد انت فارجع للجماد

(وصية هامان لولده فنحاس) هذه هي الوصية التي ذكرتها في متصرفية لبنان

وفنحاس ينوح مع ابيه بلا سبب سوى حفظ الوداد
فما ابكاهما ثمن فوي بحمشيت ولا يسمون وادي
تفقه يا بنيَّ وكن لبيباً وخذ عني السياسة والمبادي

ولا تخشى من الحكام جورًا — وشيمتنا لهم لثم الايادي
واقسم بين حكام وشعب — واشعل بينهم قدح الزناد
وهذا الفعل سموه انشقاقًا — لشق يدخل المأمور غادي
ومن يدري السياسة ليس يسعى — لهذا الشق يومًا باشتداد
فتضحي حاكم الاثنين عالٍ — بهذا الانشقاق على الهوادي
وازرع دائمًا اخبار كذب — الى الحكام من عمق الوهاد
واشغل فكرهم في الغير دومًا — وحاول ان تقيم لهم اعادي
بذا يضحون في عوز اليكم — يرون بانكم اقوى القياد
ومن تحتاجهُ اخدمهُ مطيعًا — وفي تمداحه كن اي حادِ
وبعهُ من عداه بحيث تشرى — به الاقوى لقصدٍ واستنادِ
ومن يظهر لكم ادنى انحراف — ضعوا في طرفه شوك القتاد
وقل فيه الى الحكام هجوًا — وفي اضراره بالسرّ باد
فان افشى بسرّ لم يصدق — عن الاضرار مثل الايادي
وان قابلتهُ ابدِ به وجهًا — حزينًا اسودًا مثل المداد
وابكِ دمعةً معهُ ولكن — فلا تسقيه ثقلاً من تمادِ
وادخل بين اخصام لكسب — واسلب منهم سلب البوادي
لكل منهم اظهر ودادًا — ومهد للصداقة كالمهاد
ولا ضرر اذا اقسمت يومًا — برب الارض والسبع الشداد
بانك خالص الود محب — لكل منهم بالانفراد
واكشف سرهم بعضًا لبعضٍ — لتمكين الصداقة والوداد
وانجز شغل من اعطاك قبلاً — وعرقل شغل خالٍ غير آدِ
اذا المجروح قد ناداك يومًا — فلا تسمع لهُ ذاك المنادي
وخل الوعد منك بلا وفاء — ولا تهتم عفوًا في الفؤاد
ولا تندب خليلاً قد تناءى — وخادع من اتاك ولا تعاد
وقاطع صاحبًا ان غاب يومًا — فلا ذنب سوى ذنب البعاد

وقبل في الهبوط مداس دونٍ ودس ان قد علوت ذرى الجواد
وحد عن ان تميل لكسب فخرٍ بترك المال او فيه تفادي
فان الفخر فخارٌ قديم وليس عليه عزمي واعتمادي
وذو خزف يلذ به لجهل ويحمله بعنق كالنجاد
وذو الحاجات يعلوه مجاناً بلا علف كذاك بلا بداد
فاترك فخر ذي خزف واسرع وجد في كسب مال واحتشاد
واقنع بالهدية كيف كانت ولو ان الهدية من رماد
واغطس في بحار الكسب يوماً ولو بعت البلاد مع العباد
فلا ينفعك غير الكسب شراً وكن في اكله مثل الجراد
وتلك سياستي غالطت فيها وصاة الناس وارتفعت عمادي
فاحفظها تنل نفعاً عظيماً وانشرها الى يوم المعاد

ولما حكم واصه باشا متصرفاً على لبنان سنة ١٨٨٣ عزل فنحاس واباه وابن عمه وسلم وظيفة فنحاس الى حنا الشهير وقد كان قبلاً فيها فقلت بهذه المناسبة

وظيفة يوحنا القديم معمداً وظيفة فنحاس وتطهير انفاس
لذلك يوحنا الجديد اقتدى به بتفريق فنحاس وتطهير انجاس
(تاريخ) كابط فنحاس في بحر الهواء زلق تعلم الغطس من اب له وسبق
وخاض في كل عمق من جوانبه مستهزئاً فيه حتى ارخوه غرق

وتوفي بغتة في شهر نيسان سنة ١٣٢٠ فقلت فيه

غرقت في ابحر الافكار مكتئباً حتى قضيت وقابلت الذي خلقك
ناحت عليك رجال كنت مرشدها الى السياسة حتى ارخوا غرقك ١٣٢٠

مطارنة الطائفة المارونية

سر عزل رستم باشا كل مطارنة الطائفة المارونية لانهُ كان ضدهم وقد ابعد المطران بطرس البستاني عن مقره في بيت الدين ولما اتى واصه باشا اجتمعوا في بيروت عند المطران يوسف الدبس الذي كانت لهُ اليد الطولى بعزل رستم باشا لانهُ ارسل

المرحوم عبد الاحد خضرا الى الاستانة العلية لهذه الغاية لان مدتهُ وهي عشر سنوات كانت قد انتهت اما المطارنة فكانوا المطران يوسف الدبس لبيروت اسطفان عواد لطرابلس بطرس البستاني لبيت الدين نعمة الله الدحداح للشام يوسف فريفر للبترون يوحنا الحاج لبعلبك وكان يومئذٍ البطريرك بطرس مسعد وهو الذي امرهم بهذا الاجتماع فقلت ذلك سنة ١٨٨٣

لنا سادة لم تخلُ منهم فضيلة ... وكل لهُ فضل به امتاز عن ثاني
سلامة قلب الدبس فيه شهيرة ... سلاسة عواد واقدام بستاني
معارف دحداح وحزم فريفر ... سياسة حج تجمع الذئب بالضان
لهم بطرك حاوي الرزانة كلها ... لهُ صبر ايوب وحكمة لقمان
وقاهم دهى الخناس والناس ربهم ... وقاهم بالاولى وصية هامان

(عدم الوفآء)

وعدني رجل واكد لي وعده باقسام عظيمة كما هي عادة كل كاذب اذ قيل لا تصدق رجلاً يحلف بسرعة وبلا لزوم ولا امرأة تبكي بسرعة وبعد مدة لم يفِ وعده وهذا الامر يضر كثيرًا لان الانسان يتكل في عمله على وعد آخر بصدقه فيترك كل واسطة اخرى ولما يطالبهُ بالانجاز ولا يفي وعده فينضرر ذلك الرجل والاجدر عدم الوعد بشيء لئلا يؤمل الموعود والامل هو العبودية لذلك ترى كل واحد يعتبر الغني اذ يحسبون الجميع اصدقائه او قائمين بخدمته للانتفاع منهُ ولكن اذا قطع الامل من عدم نفعه فلا احد ينظر اليه لذلك اذا اراد الانسان ان يكون معتبرًا يجب ان يكون نافعاً لان المنفعة تقل او تكثر القيمة وصدق ابن الوردي في قوله قيمة الانسان ما يحسنه وقد نظمت في هذا المعنى الابيات الاتية

المرء يربط واعدًا بلسانه ... والثور في قرنٍ او بالسيقانِ
اوعدتني يابرج عال طوره ... وتزوره شمس الضحى بنسان
للان انتظر الوفاء بوعدكم ... فكان وعدكم عديم الشان
ربط اللسان لكم بدون محله ... قد كان يلزمك الرباط الثاني

تولى الامير حسن شقيق الامير بشير الكبير كسروان فلاجل تولي اخيه طلب الامير بشير من الشيخ فضل الخازن حاكم كسروان وصاحب العهدة يومئذٍ ان يتنازل عن العهدة لاخيه الامير حسن فارسل اليه الشيخ منصور الدحداح وطلب منه ان يتنازل عنها و يطلب ما يريد سواها فاجابه انني اتنازل بشرط ان لا يعين ناطور لمزرعة كفرذبيان (قرية الشيخ فضل) الا بامري فضحك الامير بشير من طلبه واعطاه هذا الامر وعمل حسناً بذلك لانهُ كان يأخذها قهرًا فرضاه عين الفلسفة

(الامير منقذ) هو ابن الامير عبدالله بن الامير حسن شقيق الامير بشير الكبير واخوه الامير سليم عبدالله الذي تزوج السيدة سعدا ابنة الامير بشير الكبير التي ذكرناها كان لطيفاً ظريفاً جميلاً كريم النفس تعين ياورًا عند داود باشا ثم دخل العسكرية وترقى الى ان صار صاغ قول آغاسي ثم ترك الخدمة العسكرية وانتظم في الملكية وصار مديرًا على ساحل بيروت وهناك تعرفت به فعرفت لطفه وهو متفنن ذو المام بكل شيء له عدة نوادر يسلي بها محاضريه

(نادرة) كان الامير منقذ صديقي ومضت مدة لم اره وهو يومئذ مدير جبيل وقد توفي بهذه الوظيفة بداء البول السكري فرأيتهُ على ساحة البرج ماشياً يوماً ومن وراءه عسكريان لان المدير له الحق بذلك فلما رأيته توجهت اليه وكنت راكباً فرسي الزرقاء التي سرقها مني شخص من جز بن حين كنت اشتغل في المستشفى ومانت على الطريق وناديت الامير فالتفت اليَّ وتقدم نحوي فهممت ان انزل فمنعني فقلت لهُ انني حلفت يميناً ان انزل عنها قال ولمَ يمينك قلت حلفت ان انزل عن فرسي احتراماً لمن هو ارذل مني فضحك وتبسم العسكريان ونزلت عن فرسي وسلمنا على بعضنا وكان هذا اجتماعنا الاخير وقد توفي ١٨٩٦ وهو مدير جبيل ولهُ ابنة وحيدة السيدة ملكة كانت انموذج الجمال وسمعتها يوماً تطلب ان تصور تصويرًا شمسياً فنظمت لها هذين البيتين

لقد طلبت مني المليكة رسمها ... فامسكتها في الحال في يدها اليمنى
واخرجتها للدار عند ظهيرة ... وقلت انظري فالشمس صورتك الحسنى

(السيدة حسن) لما كنت مقيماً في الحدث رأيت مع السيدة ملكة فتاة

اخرى تدعى السيدة حسن ولكنها كانت عكس اسمها ولم ترَ عيني من مصريات وسوريات وخلافهن اقبح من هذه منظرًا طويلة القامة نحيفة الجسم كالمسمار شبيهة المومياء وجلدها كالجلد المدبوغ للسكافة وانفها يزيد عن فمها وعينان صغيرتين مستديرتين في وقبيهما لا تفتحان اكثر من ثلاثة ميليمتر وشدق واسع اذا ضحكت تبرز منهُ اسنانها الكبيرة ومجموع كالباذنجان المحشي ارزًا بارز وكانت اين ذهبت السيدة مليكة تذهب معها وتجلس بجانبها فرايتها مرة ونظمت الابيات الاتية

قد اجتمع الشيطان بالله ثانيًا كما اجتمعا في عهد ايوب سابقا
وقد قال كل يخلق اليوم صورة مثالاً لهُ فيه يكون مطابقا
لذا خلق الرحمن وجه مليكة ترى الشبه فيه بالحقيقة ناطقا
وهاصورة الشيطان في حسن تجلي وها وجهها للكون قدصار ماحقا

(الامير عباس كنج الشهابي)

هذا هو الامير العظيم الذي كنت اجله واحترمه ولما كنت في بيروت كان ساكنًا الشياح وهو وريث وقريب الامير حيدر شهاب صاحب التاريخ اللبناني القاطن شملان وهو ذو عقل رجيح وذاكرة عجيبة وقد عمي بسبب طلق ناري اصابه بعينيه وذلك في مدة الامير بشير ابو طحين فانه بينما كان عائدًا من دير القمر كان رجل من الشياح اسمه معوض واقفًا بجانبه فاطلق بندقيته فاصابت عيون الامير بقضاء وقدر وبقي مدة حياته اعمى وكان يشتغل بيديه نوعًا من الورق ويعمل قطع هندسية جميلة للغاية وهو كريم النفس جدًا يحب الضيف ولهُ مكتبة عظيمة فيومًا طلبت منه كتاب لزوم ما لا يلزم لابي العلاء المعري لانه كان اخبرني وجود هذا الكتاب عنده وبعد نحو شهرين اجتمعت به صدفة في محل وقبل ان اسألهُ شيئًا قال لي بحثت عن الكتاب الذي طلبتهُ فلم اجده ولا اتذكر من استعاره مني فشكرت لهُ همته وتذكره وعده لي وكنت احبهُ لشهامته وظرفه وبعد هذه الحادثة نظمت لهُ هذين البيتين

خصم رأى عينًا لعباس الوغى في يقظة فارادها بنعاس
ونسي بعباس اذا غمضت له عين تمحض كله للباس

اي اذا حذفت العين من عباس يبقى باس اي شدة وقوة وهذا مديح من ذات العيب الموجود فيه فسر الامير منها جدًا وشكرني لانني قليل المدح

وبعد مدة ارسل لي الامير عباس قصيدة نظمها لكاذب كان وعده وعدًا لم يفه فطالبه بانجازه وماطله جملة امرار الى ان اجتمعنا في مكان وسأله الامير امام الحضور انجاز وعده فاشهد عليه الجماعة ان يفي وقال له امسك لحيتي عهدًا لك فمسكها ومع ذلك لم يفِ فنظم له قصيدة ومنها هذان البيتان

امسكتني الذقن التي ... اضحت مشاعاً للورى
يحدها قبلة بيت الخلا ... الموجود في كل القرى

بيد ان هذه القصيدة ولو بها عيوب بالوزن غير ان معانيها دقيقة فارسلها لي لاطلع عليها وطلب رأيي بها ولم يذكر اسم المهجو فاجبته بما يأتي

من ذا الذي اضحى لهجوك مصدرا ... ولاسمه بين الورى لن تذكرا
فكانه فصٌ عرفت وجوده ... بالسمع لكن لا تراه ولا يرى
قد قلت فيه ما وفى بوعوده ... ومسكته من ذقنه لما افترى
المرء يربط باللسان لوعده ... والثور في قرن وذا امر جرى
لم يرتبط في ذقنه لوفائه ... الا قبيح او دني قد مرى
حدوث لحيته بتحديد كما ... قد جاء في كتب البيوع مسطرا
ونبت ما كل المذاهب قررت ... ان النجاسة لا تباع وتشترى

فكان لهذه القصيدة رنة في بيت الامير الذي توفي بعد سنتين وخلف اولادًا لم يزالوا كريمي النفس والخلق ومـا ضرهم الا عدم اهتمام الاهل بالعلوم والمعارف والصنائع وعدم ميلهم للعمل لانني اعتقد ان كل غني لا يشتغل فهو فقير وبالعكس اذ لا توجد في بلادنا اموال تقوم بحاجات الانسان وتغنيه عن العمل لذلك متى حرم العمل افتقر ما لم يكن له من يشتغل مكانه لذلك الزواج باكرًا ضروري للبشر حتى اذا ادرك العمر الذي لا يمكنه فيه الشغل يعتمد على ولده ومن الضربات التي تحل على بلادنا طول العمر لان من عمر كثيرًا مات فقيرًا خصوصًا اذا كان له اولاد لا يهتمّون به او لا تستطيع اسعافه بل تنهبه

(اسرة الامير فارس منصور شهاب ٠ الحدث)

كان هذا الامير كريماً محبوباً لطيفاً ورغماً عن شيخوخته فانه كان شاباً بالافكار وقد عاشرته مدة وجودي بالحدث سنة ١٨٨٣ وابنته السيدة رشيده زوجة الامير بشير سليم شهاب ولها اخوة هم الامراء خليل وفايز وفائك وفائق وشقائقهم هنَّ دره ونجيبه ونقيه وكانت هذه سمراء اللون نظير السيدة رشيده اما نجيبة فكانت لطيفة بشوشة وقد توفت سنة ١٨٩٧ وتزوجت ابن عمها الامير سعيد ملحم شهاب من مجد المعوش والسيدة درة كانت بديعة الجمال تزوجت الامير سعيد قعدان من غزير وهو مدير عبيه وتزوج ولدها الامير فريد ابنة عمنا عبدالله نصرالله المدعوة انيسة وبعد زواجهما بقليل اختلفا ولم يزالا للان مختلفين فسافر الى تونس ثم الى مالطة وذهبت انيسة الى شقيقتها بحيفا اما السيدة رشيدة فقد كنت اعرفها اكثر من الجميع وهي من عائلة بيت الامير سليم في الجيه وزوجها ابن السيدة سعدا توفي قبل والدته فاصبحت السيدة رشيدة وولدها الصغير الامير سعيد بلا ارث وطلبت مني المساعدة لدى حماتها التي كانت يومئذٍ مريضة وانا طبيبها فرجوتها ان تكتب لحفيدها القسم الذي كان يناله ابوه لو بقي حياً فاجابت طلبي وبعد برهة وجيزة توفيت السيدة سعدا ولو لم اعجل بطلبي هذا الامر منها لاصبح الامير سعيد فقيراً لا يملك شيئاً وقد بلغ ما ورثه نحو خمسة الاف ليرة ولما كنت في الحدث اجتمعت عائلة الامير فارس وزوجته السيدة هند مع الاولاد فقلت بهذه العائلة الابيات الاتية

رشيدة عقل عيروها بلونها — نسوا انها من كل عيب نقية
وهب لم يكن في وجهها وجه درة — كفى انها في كل فعل نجيبة
بنو فارس من باطن الهند قد اتوا — اتى الجود معهم والسخا والفضيلة
فكم فايز منهم بكل كرامة — وكم فائك هابته في الحي جيرة
وكم فائق اقرانه في حمامٍ — خليل له منا القلوب خليلة
لفضلهم لبنان قد بات شاكراً — بطوع والا اكرهته الحقيقة

وقد توفي اليوم والداها والسيدة نجيبة زوجة الامير سعيد وهي نفساء لحزنت عليها كثيراً

(حامد افندي شاول)

هو احد عظماء الرجال بجبل لبنان وقد اشتهر والده من قبله وقد حصلت لي معه القصة الاتية وما قصدت بها الا المزح لا عدم الاعتبار

التقيت به يوماً وهو نازل من الحدث مركز المتصرفية الى بيروت فقال لي يا عم بلغني انك هجوت كل مأموري الجبل الذين كانوا مستخدمين باواخر مدة رستم باشا قلت نعم قال عساك لم تذكرني بسوء اجبت انني كنت نسيتك وحيث فكرتني بذاتك فسيصلك نصيبك غداً ان شاء الله اذا خطر لي معنى مبتكر اتأسف لذهابه طي الكتمان او النسيان ولو تكدر المهجو

وفي اليوم الثاني ارسلت الى الامير منقذ الذي كان يومئذ مدير الساحل البيتين الاتيين فكتبهما ووضعها على طاولة حامد افندي قبل حضوره فلما اتى وراهما تكدر وقابلني بعد ذلك فعاتبني لاجلهما قلت ما فيهما ما يكدر وقد نظمتهما للمزح ليس الا وهما

اذا حمد الانسان ما الله ذمه ... لحامد شاول غدا اللعن منقولا
فشاول بالتوراة قد جاء لعنه ... لذا فالعنوا بالحق حامد شاولا

(يعقوب)

هو شاب ذكي جداً درس الطب بالكلية الاميركية في بيروت وهو شاعر اديب وطبيب ماهر ومن نحسه أصيب بالم شديد في راسه وكانت تحكمه نوب في الاسبوع كان يسجن بخلالها في البيت ولما تذهب عنه النوبة يعود اليه عقله اخيراً اختل شعوره وكان فصيحاً جداً وقبل ان يصل الى هذه الدرجة اجتمعت به في الحدث قرب بئر الجسر بينما كنت عائداً مساء الى بيروت فقال لي مرَّ نصف النهار عليَّ وانا ابحث عن طبيب من قفا كلب فقلت له لو مددت يدك الى قفاك لوجدته واستغنيت عن كل هذا التعب فضحكنا وطلبني ان اتوجه معه الى كفرشيما لعيادة مريض من بيت الشميل فتوجهت معه وبتنا تلك الليلة هناك فاضطرب فكر عائلتي لغيابي تلك الليلة دون سابق علم وكان يعقوب يطلب للخطابة ولما بلغني ذلك نظمت له هذين البيتين

ولما بدا يعقوب عند خطابه ظننا لصوت منهُ نسمع ضراطا
وكان خطاب كالهواء مملطاً عَلَى فيه سموه لذلك ملاطا

وبعد مدة رايته عَلَى ساحة البرج في بيروت وقد ارخى لحيته فسلمنا عَلَى بعضنا واخبرته اني اريد ان انظم تاريخاً لحيته وان نظمي يكون حسب الموضوع وهو قابل للسفاهة فنظمت له التاريخ الاتي

لحية ابشع منها وجه حاويها المؤرخ
والهوا ملط فيها فلذاك الشعر فرخ
حذفوا المائة منها عند ذا الملاط صرخ
ارجعوا خمسة جبرا زين الجبر فمرخ
بقماط ارخوهـا فاستحقت قلب ارخ

والتاريخ يأتي بعد كلمة ارخوها وهو سنة ١٩٨٢ فلو حذفنا منها مائة يبقى ١٨٨٢ وان جمعنا اليه خمسة تصير ١٨٨٧ وهي السنة المطلوبة اما نكتة التاريخ فقلب ارخ

وقد كثرت النوب عَلَى الدكتور يعقوب حتى اختل شعوره والمرض بازدياد عليه وسببه العزوبة وقد اشرت عليه بالزواج لعله يجد معزياً لانه كان يظن ان كل اقاربه واخاه فارس اعداء له

(قساوة القسس) في احدى الجلسات وجد قس فصيح يحب التنكيت والمزاح وكنت مباشراً عملية جراحية في العين ولما انهيتها واخذت مكاني قال القسيس ان قساوة الاطباء شديدة قلت له ان الحقيقة عكس ما تقول لان المسيح ضرب المثل بهم معيراً قساوة القسوس واسمع ما قال

وفي مثل المسافر في اريحا اتى مثل القساوة في القسوسِ
ولكن الطبيب اتى مثالاً لحب الغير مع كرم النفوسِ

وهذان البيتان يذكراننا بقول المسيح وحكاية مثل المسافر الى اريحا الذي سقط بايدي اللصوص وجرحوه وسلبوه ومر به كاهن فلم يعتنِ به اما السامري فاعتنى به وعالجه حتى شفي فكان الكاهن مثال القساوة والمداوي مثال الرحمة

(جرجي دكتور) كنت يوماً في صربا مدعواً لمنزل الخواجه رزق الله

خضرا وزوجتهُ السيدة مريم نصر حاضرة وهي لطيفة ذكية تحب المزاح وكان موجوداً هناك الدكتور جرجي لسبب لا اعلمه وقد عرفت فيما بعد انه اتى لمعالجة بواسير الخواجه خضرا وكنا وقتئذ بكرخانته المشهورة فترجتني السيدة مريم ان انظم لها شيئاً بجرجي المذكور الذي كان درس الطب بواسطة المعلمة روزا في مصر وهي احدى قريباته فنظمت

في شخص جرجس مارون قد اجتمعت ... حاجات طب حوت كل العقاقير
رؤياه مسهلة ايديه قابضة ... وشارباه رباطاً للبواسيرِ

فعلا الضحك ولم اكن اعلم سببه حتى اخبرني الخواجه رزق الله انه دعاه لعيادته واشار عليه باجراء عملية ربط البواسير

(دعوى جنائية) شرط الدعوى الجنائية والحكم بها ان يرى المشتكي اثر الجرح والدم ويأتي بالشهود بذكون دعواه ومتى تمت هذه المعاملات يحكم على الجاني ويمكن للمدعي عليه ان يتخلص بجرح شهادة الشهود وقد نظمت بهذا الشأن ما يأتي

شكت الخدود بانني جرحتها ... وبها دماء الجرح عدن ركودا
فمضت الى رمش الجفون بدبنني ... واتت بعينيها على شهودا
واتت بخط الحاجبين مذكيا ... فقضي بقتلي عاجلاً مجلودا
فاجبت بارمش اشد في قتلني ... الخط زور ما تراه ورودا
والطرف سكران وليس بمذهبي ... ان السكارى يقبلون شهودا

(المعالجة) بعد هذه الجناية التي كان سببها الاخصام التقينا في مجلس انس فاذا كل يلتفت الى الاخر وكانت عيوننا تتكلم ونحن سكوت اخيراً رق الواحد منا على رفيقه وابتدأنا بالكلام و بعد ساعة تصالحنا فنظمت بهذا المعنى

تخاصمت من ذنب الفداة بما سعوا ... اقمنا خصاماً قام ناقة صالح
ولما تقابلنا اقامت عيوننا ... حروباً عليها النوح من كل نايح
ترامينا بالانبال فهي بخدها ... أصيبت وقلبي كان مرمى الصفائح
ولما رمينا في الكفاح توسطت ... لاصلاحنا الاجفان في كل صالح

عقدنا عقود الصلح ثبت حكمها ‏ ‏ بتقبيل جارحها وتقبيل جارحي

وهذه الابيات نظمتها وادرجتها في ديواني الاول الذي نظمته في الصبا بمصر واغلبه خيال لا حقيقة له ‏ ‏ وقلت في عفيفة

ولي في الهوى عينان عز وعفة ‏ ‏ ادار بهما من رمدة العشق في عمري
لعلي بين العين والعين عدوة ‏ ‏ يعاب بهاب الانسان من حيث لا يدري
قطعت صبا عمري خلياً من الهوى ‏ ‏ ومن عفتي بين الورى قد سما قدري
ولما رات عيناي عين عفيفة ‏ ‏ تركت عفافي فوق رمانة الصدر

فالعينان المذكورتان في البيت الاول هما العز والعفة وما بقي من العيون فهي العفة والعشق والعمرين

(قلب القدح) وكان في بعض الاجتماعات يتعاطون المشروبات الروحية التي كنت اكرهها جداً ولم اعتد عليها ابداً وكنت اذا وجدت في مجلس وأجبرت أملأ كاساً عَلَى مناولة شيء منه واضعه امامي والحس منه واستعيض عن الشرب باكل ما يقدم مع العرق من الاشكال ففي ذات يوم قدموا لي الكاس فاخذته تأدباً لان الشرب يدعو للمكرم وكل ما شرب الانسان يريد ان يكرم ضيفه ويتكدر جداً من الذي يرفض الشرب معه وكنت احياناً اقوم واسقي الحضور واطرب جداً من الصوت الحسن وقدم لي احد الحضور بجلدة كاساً من العرق فارتجلت قائلاً

كلانا سواء نديم القدح ‏ ‏ وقد اسكرتنا مدام الفرح
فانت سكرت باقداحها ‏ ‏ واني سكرت بقلب القدح

(بطرس) في احد الايام ذهبت لزيارته مع بعض الاصحاب وكان ذلك براس السنة فلم نجده فكتبت له هذه الابيات

اتيناك في فصل الشتا لزيارة ‏ ‏ فانكرتنا حتى فررت كما القطا
فبطرس قبلاً كان مثلك ناكراً ‏ ‏ لسيده جهراً واسبابه الشتا
ولكنهُ قد تاب عن ذاك عاجلاً ‏ ‏ متى توبة منك نراها متى متى

(نعوم قيقانو)

اصله من عينطورا كسروان تعلم اللغة الافرنسية بمدرستها واتى الى بيروت ودخل

في التجارة عند المستر بلاك التاجر الانكليزي ثم انتظم بحكومة جبل لبنان مدة داود باشا بواسطة المطران طوبيا عون سلف المطران يوسف الدبس وهو اشهر المطارنة واقدرهم على السياسة وكان من مبادئه ترقية وتقديم النجباء والمعتبرين من ابناء طائفته حتى يستريح في اشغاله لكي يساعدوه اذ كان مضطهداً وهو راهب من معلقة الدامور وسكن مدة في دير مشموشة وذلك حين كان جدي الخوري ابراهيم في بكاسين لان الدير قريب منه وعندي بعض اوراق بخطه حتى الان وقد نجح هذا المطران جداً وانشأ كرسياً في بيروت وجعل اهابة للطائفة وكان نعوم افندي من الاشخاص الذين يخصونه وتوصل الى ان صار قائمقام المركز في لبنان مدة فرنقو باشا وقد اعترضت اخيراً الدول على تسميته لانها خارجة عن الوظائف اللبنانية فعزل وبقي فرنقو باشا يدفع له معاشه بعد العزل ثم تعين عضواً بمحكمة التجارة في بيروت ثم عزل ولما حضرنا الى بيروت كان بلا وظيفة وكنت اردد عليه لصداقته الحميمة مع والدي في لبنان

ولكثرة ترددي عليه صرت اعد من اصدقاء المنزل واختاروني طبيباً خاصاً لهم وكنا نقضي ليالينا مع المرحوم اخي خليل الذي كان يومئذ معزولاً من الخدمة باواخر مدة رستم باشا ولاجل ان نمضي اوقاتنا نتسلى بلعب الدومينو وكان نعوم افندي يتكدر جداً من الخسارة اما اذا اغلب فكان يستهزئ بالمغلوب وله ولد اسمه خليل يميزه بالحب عن باقي اولاده لمرض في رجله وكان يمزح معي دائماً ان كنت غالباً او مغلوباً وكنت استحمل مزاحه اكراماً لوالده ففي احدى الليالي زاد خليل مزاحه فقلت لهم هذه الحكاية

كان رجل صاحب ذوق لا يمكنهُ ان يسكت عن امر ثقيل يجري امامهُ فاحتاج في بعض الايام لدراهم واتى الى صديق لهُ يستدين منهُ فقال لهُ ياصاح ان العطا لا يدوم ولو اعطيتك اليوم لا استطيع ان اعطيك غداً ولكنني ارشدك الى امر تكتسب منه بسهولة قال وما هو

قال انهُ يوجد في الحي الفلاني بالمنزل كذا رجل غني وله ولد يحبهُ جداً وكل من يمدح الولد لابيه يكرمه فاذهب اليه وامدحه فتنال الغنى حتى يقضي الله امراً

كان معقولاً واضطر الرجل الحران يمتثل لراي صديقه فدخل عَلَى الغني وبعد ان جلس قليلاً طلب الولد فاتى وجلس بحجر والده وصار يمسك لهُ شاربهُ ولحيته ويقفز عَلَى ظهره والرجل يتأمل هذا العمل وهو ساكت الى ان انتهى فقال الوالد لضيفه كيف رأيت ولدي وما حكمك عليه اجاب انه ثقيل ثقيل ثقيل ورزقي عَلَى الله وتوجه وانا اقول لك يا نعوم افندي ان ابنك ثقيل ثقيل ثقيل وسهرتي عَلَى الله فضحك حتى استلقى عَلَى ظهره

وتعين بعد ذلك نعوم افندي رئيساً لمحكمة بداية الجزاء في بيروت حين تشكلت العدلية في سوريا وكان مفتشها دولتلو احمد عزت باشا العابد الذي عين المرحوم اخي خليل عضواً ملازماً بالدائرة ذاتها و بعد نحو عشر سنوات اقيل نعوم افندي من وظيفته وعمره نحو سبعين سنة و بعد مدة توفي اما المرحوم اخي خليل فحين اتى دولتلو واصه باشا متصرفاً عَلَى لبنان اعاده الى مركزه مستنطقاً للمركز

ولنرجع الى التقريظ ففي احد الايام حضرت مساء فوجدت نعوم افندي مع عائلته عَلَى المائدة وجلست في الايوان الذي كنا نسهر فيه ورايت عَلَى طاولته ديوان شعر صرت اتصفحهُ فعثرت عَلَى قصيدة بعثها الناظم الى زوجته واولاده وكانت بغاية الركاكة تغزل بها بامرأته مع انهُ من احسن رجال سوريا علماً ولطفاً وذكاء ورايت بآخر الديوان تقاريظ الشعراء له اذ جعلوه متنبي زمانه كعادة الشعراء المتملقين التي تخجل اشعارهم صاحبها

(رواية الحسود) حضرت ليلة اقامها عزتلو نقولا افندي نقاش تذكاراً لمولده مثلوا فيها رواية الحسود تأليف اخيه المرحوم مارون وكان مدعو اليها والي الولاية عزيز باشا وذوات بيروت واعيانها فاستهل الحفلة ابنه بخطاب مدح فيه والده الذي كان حاضراً معنا وشكر لهُ تهذيبه اياه وقد نجح الممثلون نجاحاً عظيماً فنظمت هذين البيتين وقلتهما اثناء التمثيل

حكموا عَلَى شخص الحسود بانهُ ... قد لا يسود بما يشا ويريد
فتوكل النقاش في دعوى له ... وبحذقه جعل الحسود يسود

كل ما قل الشعر تكرم وكلما تكرر سقط وكان قديماً لا ينظم الا لكل ممتاز فلا

يدعي اي كان العالم النحرير او البطل الصنديد او الشاعر الماهر وكأنهُ كان يحوي حقيقة الممدوح اما الان فبالعكس نراهم يمدحون الفاضل كاللص حتى اصبح الشعر للتماهق لا للحقيقة وحين راى العالم والفاضل والشاعر والبطل مدحه كمدح من لا يماثله بهذه الصفات كره الشعر ولم يعد يعتبره فلما قرأت تقاريظ هذا الديوان وهذه القصيدة من حيث عدم ذوقها سبق تأثر فكري فارتجلت هذين البيتين

ديوان مفضال شعر جآء منطبقاً وافيتهُ بغتةً في حسن تقريظ
قد قلت فيه وقاربه بقر به ما جآء من فيهِ طبقاً جآء من ..

(القاضي العبوس) كان احد القضاة ماهرًا جدًا بالاحكام خصوصاً متى قبض الجعل المعلوم وله حركة عظيمة يعرفها المدعي او المدعى عليه وهو ذو هيئة كئيبة وعبوسة وجه بحيث ان المدعي كان يخاف من هيئته ويكثر عليهِ الاسئلة والاعتراضات حتى يرتبك في الاجوبة اما اذا قبض فتزول عبوسته ويصير بشوشاً ويختصر الاسئلة فنظمت له هذه الابيات

وذي دعوة ما قام بالوعد والوفا فانكره القاضي كما انكر الصفا
واعرض عنه دون ذنب وزلة وابدى له قلباً اصم من الصفا
ومد له ايدي السوال لصرفه ولما بدا الدينار في كفه عفا

وقلت في قاضي اخر ارتشى بكبس من الطحين

وقاضٍ خلته في الحق طوداً وعدوه من الركن اليمين
ولما حجة المظلوم قامت فزلزل ركنه كبس الطحين

مبالغة مدح الجمال

قلت في مليحة جميلة جدًا لانه عند رؤيتي الجمال اندهش لان الجمال والصوت الحسن هما عاملا سروري واظن انهما يؤثران عليَّ اذ هما مفقودان مني لان الانسان يحب ما كان محروماً منه ومتى تأثر الانسان يخرج عن حدود عقله لذلك اقول ان لا عقل لكل ذي شهوة مثلاً اذا راينا شخصين يتخاصمان ويتضاربان فنضحك منهما ونقول انهما مجنونان ولكن لو اصابتنا تلك الظروف لفعلنا مثلهما فاين ذهب عقلنا وقد

كنا نضحك من عملهما ونستهزئ بهما واني اعتقد ان العقل هو الضعف فمتى عجز الانسان او كان خالياً من الشهوات يكون عاقلاً وهكذا ترى الفلسفة والعدل اعظم افعال العدل خلقهما الانسان لغيره لا لنفسه تراه يتفلسف ويعدل متى بعد الامر عنه ومتى وصل اليه فلا يسمع ولا يرى مثلاً لو مات لانسان عزيز يتأسف ويبكي وينوح فياتي اصدقاؤه ويسردون له جمل العزاء الرقيقة فلا يصغى لهم وبعد ساعة يبلغه موت والد صديقه فيذهب اليه ويعيد لهُ ما كان سمعهُ قبلاً فماذا نفعت الفلسفة وهكذا قل في العدل لان الانسان يعدل للغير لا لنفسه ولا يمتاز من البشر الا من حكم على نفسه بالعدل ومن منعته الفلسفة عن الغم فهولاء هم المختارون وقد نظمت لحسناء هذين البيتين وفيهما من المبالغة ما فيهما ولكن لفرط جمالها قلت ان الخالق عز وعلا لا بد لهُ من تمييز الجميل عن القبيح ولا يمكنني ان افهم الا ما يدركه عقلي فاي صانع يعمل تمثالاً جميلاً ولا يتعب عليه اكثر من التمثال القبيح فقلت

ابت الطبيعة ان تجود بمثلها وغدت كبرهان لا عظم فعلها
وقفت سنيناً ليس يحصر عدها في صنعها حتى انتهت من شغلها

رب جميل لا يراه غيري مثلي فالجمال هو موافقة نظر واحد لاخر يستحسنه واعظم شيء عند الرجل ما يعجبه وقد قالت الامثال خير الحاجة التي تعجب صاحبها

اقول كرجل تعلم جميع العلوم تقريباً خصوصاً الطبيعية منها اني رايت مشابهة عظيمة بين الامور الادبية والطبيعية وكما انهُ توجد في الطبيعة اجسام تتحد مع بعضها واجسام تتنافر كذلك في الامور الادبية نرى هذا الامر مثلاً ان الحامض الكربونيك يتبع الكلس اين ما وجد ويتحد معهُ بالتركيب ويعيشان سوية ولا احد يعلم سر ذلك وهكذا الانسان فان فيه خاصة تجعله ينجذب قهراً عنه الى شخص لا يعرفه من قبل ويريد ان يتحد معهُ ولا يفارقه وهذا الامر لا يمكن تفسيره الاّ حسب علم الكهربائية ان لكل جسم جهاز كهربائي كعامود فولطا وخلافه متى كانت الكهربائية موجبة في ذلك تكون سلبية في الاخر فيتحدا اعني متى كان لكل منهما غرض خلاف الاخر يتحدا واما الغرض الواحد يتنافر ومع الوقت نرى ان الكهربائية هي من اعظم عناصر الحياة ايضاً وقد قال المتنبي

وما هي الا نظرة بعد نظرة　　اذا سكنت في قلبه رحل العقل

فالشاعر يعربد عند رؤية الجمال ولا يعلم ماذا يقول او ماذا يعتقد مدة تهيجه ولكنهُ بعد حين يعود فيضحك على ذاته كما حصل لي فاني لما نظمت هذين البيتين كنت في حالة لست فيها الان وسبب ذلك ان سن العشرين يفرق عن سن الخمسين فترى الانسان كل يوم في حال حسب امياله وشهواته فالفضل للعمر بذلك كله وقد قلت ولست بنادم ليتني بعد في ذلك الزمن

جمالك اغراني وعلمني الهوى　　فمالي به ذنب ومالك بالسوى
فحسنك مع عيني بقتلي تعاهدا　　لذلك قلبي معهما ضاق واستوى
فما حيلتي ان كان خصمي داخلي　　عدو فلا يخشى العذاب لو اكتوى
اراه دعاني للهلاك ولم اجد　　سواه على نار الغرام قد انشوى
سألت طبيب الحب من برء علتي　　فجاوبني صبرًا فذاك هو الدوا

أسعد رعد

رجل لطيف ظريف ذو عقل راجح لطيف المعشر غني جدًا ولكنه كان يتباخل بعض الاحيان وبالاختصار ان كان كريمًا او بخيلاً حسب شهوته وهوسه فتراه حينًا اكرم من حاتم وطورًا ابخل من باقل وله عدة خدم مع انه لم يكن عنده سوى امرأته ومصيفه من اجمل المحلات وقد اخذ امراته في الشتاء الى مصر وصحب معه عدة اشخاص على حسابه كلفوه نحو الف ليره مع ذلك كنت تراه يحاسب على البارة وبالاجمال كان شخصين في شخص واحد اما تلك فكان متهوسًا لوجود السيدة عفيفة

السيدة عفيفة

كانت هذه السيدة جامعة قلوب الكل والجميع مدلهون مغرمون بها ومحضرها محضر لطف وادب وذوق ونظر والتفات فيظن كل واحد انها تكلمه وكان اسعد يحبها لا لنية فاسدة بل كان يتهوس بها ويفعل ما تريده ويرغب سرورها وكانت تحب

الاصوات الجميلة اما اسعد فكان يصحب معهُ الى بيت مري شخصاً اسمهُ المترجي يعزف بالقانون حلبي الاصل وهو اليوم في مصر ويجتمع اسعد وزوجته التي كانت تحب الطبخ وطعامها فاخر وكانت ملكة المجلس السيدة عفيفة ورجلها مثلنا يحب السرور ولطف‌الله شقيق اسعد رجل سليم القلب محب لطيف مثل امرأته التي كانت جميلة الصورة وكنا نجلس من الصباح الى المسآء ومن المساء الى الصباح في نشيد واكل وشرب وضحك ونظن ان النهار ساعة وكانت مها طالت سهراتنا نتكدر لانتهائها كأننا مسحورون وما كان سحرنا الا من السيده عفيفه بهجة المجلس ومع كل هذه الاجتماعات ورفع التكاليف لم انظرها ابدًا جالسة جلسة غير ادبية وبقينا في هذه الحال طول الصيف ولما نزلنا الى بيروت قضينا الشتآء كذلك سوية اخيرًا لما تعلم اسعد لعب البيزيك هواه جدًا وسلب عنا السيدة عفيفه التي كانت تلعب به فبطلت جمعيتنا واذهب «الاونفوا» رونقها ولكن من اين لهذه اللعبة لطف السيدة عفيفة او «الادير» سحر ناظريها وقد علمتني هذه اللعبة فغرمت بها اولاً كما هي العادة وقد سألني بعضهم ما هذا الانشغاف في البيزيك فقلت لهم

قالوا شغفت بازيك فقلت لهم بل في التي علمتني اليوم بازيكا
بنصف بازيك اونفوا وعدت به لكن ادير ولا بالعمر توفيكا

قولي اوعدتني «باونفوا» اي بنصف له نصف بزيك «بز» في اللغة الفرنساوية معناها قبله ولكنها لا تفيها ولكن تجعلها ادير اي في المستقبل

وكان اسعد يحفظ اشعارًا جميلة وهو يعزف عَلَى القانون ويعرف اصول الموسيقى العربية جيدًا وكذلك علم الفلك ودرس معظم الكتب الفلسفية نظير فولتير وفولنه وسواهما وكان دائمًا ينشد هذين البيتين

اتت اسما وساحبة رداها عَلَى اثر المواطي من ثراها
فديتك لو مررت عَلَى جفون لما كانت تنبه من كراها

وكانت هذه الابيات الجميلة مع الصوت الحسن والقانون البديع والخمر الجيد والمنظر البهج وحركات التأثير من المنظور اليهم تخرج الانسان عن طور العقل ولربما لو وجدت هذه الاشيآء امامي لاتأثر منها كالسابق وكنت نظير اسعد ياخذني الهوس

اي مأخذ فلما سمعت هذين البيتين اثرا على فكري كالخمر واخيرًا افتكرت بان البيت الاول لبس فيه معنى دقيقًا بعكس الثاني وارتأيت ان اشطرهما ولما فعلت ذلك غناها اسعد وقد قلت

انت اسما وساحبة رداها | كما سحبت فوادي في هواها
فرشت الوجنتين لها بساطًا | على اثر المواطي من ثراها
فديتك لو مررت على جفوني | وقد حطت رحالك في حشاها
وحق الود يا اسما في قلبي | لما كانت تنبه من كراها

فزاد التحمس والتهوس ولما رايت استحسانهما زدت هياجًا وصياحًا وفعل الجميع مثلي وبينما نحن في هذه الحال جالسون في الدار اذا الباب فتح فجأة ودخلت منهُ خزما وهي امرأة وسخة قذرة تناهز الخمسين من عمرها عليها لباس الفلاحين وثوبها وسخ جدًا فتكدرت جدًا لدخولها وقلت ابدلوا الاشعار وقولوا

انت خزما وساحبة حزاها | على اثر المواطي من ثراها
عدمتك لو مررت على طيوري | لما كنت تنبه من كراها

فانقلب المجلس ضحكًا حتى خرجت خزما وتخلصنا من اوساخها وعدنا الى الاشعار ومن جملتها ما قاله اسعد وشطرته

من مجيري من العيون المراض | فتكها في الحشا كفتك المواضي
يا آل ودي هل عندكم من طبيب | عل يشفي من الهوى امراضي
قدر الله ان اموت عذابًا | انا فيما قد قدر الله راضي

فشطرتها حالاً وقلت

من مجيري من العيون المراضي | قد اباحت دمي بدون التقاضي
ما استعارت لذاك سيفًا ولكن | فتكها في الحشا كفتك المواضي
يا آل ودي هل عندكم من طبيب | او دواء الى العيون المراضِ
ان شفى سقمها وبات سليمًا | عل يشفي من الهوى امراضي
قدر الله ان اموت عذابًا | فانا خاضع بدون اعتراضِ
حيث هذا نصيب كل محب | انا فيما قد قدر الله راضِ

كان يلبس ابراهيم النجار برنيطه واحياناً طربوشاً ففي احد الليالي وكنا في محل الخواجه حبيب بسترس الصغير وكان لابساً الطربوش فكلفني الخواجه حبيب بنظم بيتين الى الخواجه ابراهيم فقلت له

كان لابراهيم برنيطة   قد اصبحت هاجار اعماله
طربوشه سارا على وجهه   ما زال في الحالين في حاله

هاجار هي امرأة ابراهيم التي طردها وسارا التي بقيت معه . فسكت وشكر الاله لانهُ لم يعرف اي الحالين قصدت القبيح ام المليح . فضحكنا وكان رحمه الله لطيفاً جداً

(وكيل دعاوي) كان لي جار من بكاسين اسمه منصور ابو هاشم وكانت ارزاقه ملاصقة املاكي ولم استطع مشتراها من مدة حياته لانهُ كان يأبى بيعها وضايقني جداً بسبب ذلك ولما توفي بلا عقب قام الورثة وهم اولاد عم عمه وزوجته التي كان محرراً لها كمبيالات في محلات مختلفة وكانت وحيدة لامساعد لها فاراد باقي الورثة حرمانها من مالها ولما دريت بها اجرتها واشتريت منها الكمبيالات وترافعت مع الورثة وشهد الشهود بصحتها وحكم بها . وعوضاً عن الخضوع للحكم الذي لا مفر منهُ اخذ احد المحامين يغري الاخصام ويقنعهم بانهم يكسبون دعواهم وكانوا سليمي النية فصدقوه واستأنف الى محكمة التجارة في بيروت وفيها حكم لي كالاول غير ان المحامي صار لكي يبرهن لموكليه ببراعته يتكلم ما لا فائدة منه فسكت الاعفاء ولم يسكت فنظمت له هذين البيتين

عجبتم من قديم من حمار   تكلم ناطقاً من اجل غاية
فلم لا تعجبوا منـه محام   وان لصمته لم تكفِ اية

وعنيت بذلك حمار بلعام . وانتقل الشعر سريعاً من واحد الى اخر حتى وصل الى الرئس فقال انا آتيكم بهذه الآية فحكم عليه واسكته

كنت بالشام جالساً في صيدليتي بسوق الخيل وامامي مرملة فحضر احد الظرفاء وطلب مني شعراً فيها فارتجلت له هذين البيتين

ومرملة تمرمرها حشاها تعزي من بغم قد راها
اذا سكب اليراع دموع حزن تنشفها برفق مقلتاها

البطريرك غريغوريوس يوسف

دعيت لمدرسة عين تراز لمعالجة عيون سعيد الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك الذي كان مصاباً برمد نزلي مؤلم جداً الزم الامر لاستدعائي من بيروت فذهبت ولما عاينته وصفت لهُ قطرة كانت لم تستعمل في بلادنا وهي المرة الاولى التي امرت بها وثمنها مايتا غرش وهي مركبة من عشرين قمحة هيدر وكلورات الكوكاين وسبب غلائها منافع هذا الدواء في العين ولم تكن توجد منه كمية وافرة فارتفعت اسعاره جداً وكان الالم على البطريرك شديداً جداً لا يطاق فلما استعمل هذه القطرة زال عنهُ بسرعة فقال لي لو كانت هذه القطره تساوي اضعاف هذا الثمن لاشتريتها وبقيت عنده يومين . وهذه المدرسة هي اكليريكية للطائفة ولها ايراد كافٍ وظهر منها معلمون اشتهروا كثيراً ومن ابدع ما فيها في الدار الغربية شجرة سندان بلطوا الارض التي تحيط بها فجعلوها مقعداً يستظلون بها وكانت البطاركة خصوصاً البطريرك غريغوريوس يوسف تقضي فصل الصيف هناك

. ولد هذا البطريرك في رشيد سنة ١٨٢٣ ترهب في دير المخلص سنة ١٨٤٠ تعلم في رومه صار مطران عكا سنة ١٨٥٦ وهو من بيت عسكر انتخب خلفاً للبطريرك اكليمنضوس بحوث الذي استعفى من هذه الوظيفة سنة ١٨٦٤ وله خدمات عظيمة للطائفة وهو الذي اسس لها المدارس فالمدرسة البطريركية في بيروت هي من عمله وقد جعل للطائفة اهمية عظيمة وكان لطيفاً عالماً فاضلاً طاهراً عرفته جيداً وكان يحبني كولده ويرى لذة بمعاشرتي ويسأل عني دائماً ولما كنت اراه في بيروت كنت ازوره دائماً وقد زرته بمرضه الاخير وهو التهاب بالمثانة وتوفي في دمشق في ١٠ تموز سنة ١٨٩٧ وخلفه المطران بطرس الجريجيري الزحلاوي مطران بانياس وكان انتخابه في دير صربا للروم الكاثوليك وذلك سنة ١٨٩٨

حبيب بك السعد والان حبيب باشا

هو اجل هذه الاسرة السياسي عاقل زكي عالم متداخل كريم الخلق والخلق عرفته صغيرًا وكان بخلاف اخوته يهتم بالسياسة وقد انتظم في سلكها بمدة واصا باشا وتعين رئيسًا للقلم العربي وفي هذه المدة اصلح احوال ترزا وخلصها والفضل بذلك له وعند حضور نعوم باشا ترك وظيفته وصار يتعلم التركية حتى مهر بها وهو صديق الوالي واعظم موظفي الولاية ولهُ اصدقآء واحباء يعتبرونه وقد ابدى همة عظيمة لجمعية دار الشفقة بالاستانة العلية وجمع لها الف وخمسمائة ليرا من الطائفة المارونية وارسلها الى الاستانة بواسطة سليم باشا الملحمه الماروني الذي كان رئيسًا لهذه المصلحة وكان من جملة الذين قدموا البطريرك يوحنا الحاج فانهُ ارسل لها خمسمائة ليرا واتاه بسبب ذلك النيشان العثماني الاول وبسببه نظمت لهُ قصيدتي الشهيرة

وقد كافأته الدولة العلية بالرتبة الاولى وهي رتبة رفيعة جدًا لمن كان بسنه وفي هذه المدة الاخيرة نال النشان العثماني الثالث ولما نال الرتبة الاولى مدحه الشعرآء بقصائد رنانة الا انا لانني لم افتكر بذلك واخبرني بعض الاصدقاء بان يجب ان امدحه بشيء فلم يخطر لي شيء وقابلته اخيرًا فرايتهُ متغيرًا عن العادة وصار يقول لي بونجور بصوت منخفض فاشعرت انهُ متكدر مني نظرًا للصداقة فعند ذلك نظمت لهُ قصيدة قدمتها له وهي الاتية

ولما حضر مظفر باشا جعله رئيسًا لمجلس الادارة وقد عزل في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٥ والتزم بيته وقد تزوج ابنة عمه السيدة نجلا بنت الشيخ سليم الخوري

اراك عبوس الوجه منحرف الخدِ ... كاني يومًا لا اقيم على عهدي
واني ارى بونجور منك ركيكةً ... ومن قبل كانت بالترحب والشدِ
وجفنك مخفوضًا وصوتك واطئًا ... وضحكك مغصوبًا كهزك لليدِ
عجبت لهذا الانقلاب بسرعة ... ولم ارَ لي ذنبًا يؤول الى البعدِ
سوى قد بدى الشعرآء في مدح رتبة ... اتتك ولكن شعر شاكر لم يبدِ
فان كان هذا لا اظن خلافه ... سابدي لكم عذري وان لم يكن يجدي

اذا لم يكن امس المديح مهيجاً الى شاعر لم تلق منهُ سوى الصلد
فرتبتك الاولى فليست لشاكر مهيجة للشعر لا بل الى البرد
فمن كان يدري اصلكم وفصولكم ايفرح فيهـا او يهيج للنشد
وهل مثلها مما يزيد مقامكم لكي شاكر يشدو التهاني مع الجهد
اذا اعتاد طرف المرء منظر بهجة فلا بهجة ترضيه من نظر الورد
ومن عرف الاباء والجد والحمى ايعجب من اولى لعليا بني السعد
وان حبيب السعد نال سعادة وهل يرجع الاشبال الأ الى الاسد
فمن كان نسل السعد فالسعد حقهُ ومن كان نبع المجد ذا الجوهر الفرد
ولست حبيب السعد اصلاً لوحده ولكن حبيب العلم والجود والوعد
حبيب العلا والجاه والمجد والنهى ولم يخل من حب التغزل في دعد
وقد صرت محبوباً لدى من تحبه ولا حبهم يوماً يوازي ما عندي
عرفتك في العشرين تصبو الى العلا وفي وجهكم شبه عن الاصل والجد
وصرت عَلَى درب الجدود وفضلهم فلا احد منهم بعمرك في السعد
ولا شرف في نيل اول رتبـة اذا لم يكن في نيلها جودة القصد
سعيت لاسعاف الفقير فنلتها فما شرف الاولى وهاشرف الجندي
فمن كان من ام تجر طهارة ومن كان من ابٍ غيور وذي ود
ومن كان نسل الفخر والسعد جده ايعجب منهُ ان علا ذروة المجد
اذا كنتُ في نظمي بليداً كما ترى فعذري كما قد قلتُ اكثره زهدي
ولكنْ غيري جاهل لمقامكم يرى عجباً من رتبة فائق الحد
فينشدكم مدحاً لنيل مراتب ويجعلكم انموزجاً لذوي الكد
واما انا لم تلقَ مني مدائحاً اذا لم تكن قطب المروّة والجد
كفاك افتخاراً يا ابن اطيب عنصر وما ذكروا في الناس الامع الحمد
وما زادهم فخراً نوال سعادة اما انتم ابناء مجد بنو السعد

اشعار الفواد . في رثاء الامير فواد

هو فواد بن الامير سليم منصور الشهابي الذي ذكرته كان شاباً وحيداً بلغ السنة السابعة عشر ويتعلم بمدرسة الاباء اليسوعيين فمرض بداء الجنب وتوفي وله سبع شقيقات هو وحيد بينهما فتأمل هذه الحالة المحزنة شاب عمره ١٧ سنة وحيد لوالديه بين سبع بنات فكانت المصيبة عليه عمومية وقد حزن لفقده كل من عرفه وقد نظموا له عدة مراثي وكنت من جملة من رثوه اما والدته فهي ابنة شرشل بك الانكليزي الذي كان قائمقاماً في الجند الانكليزية وهو من اسرة عريقة في الشرف لم تزل الى اليوم

ان كان قصد رثائي ان اعزيكا ... فلم اجد كلمة بالقصد تأتيكا
فكلنا عند ذا في موقف حرج ... فاصمت احسن شيء من معزيكا
وانما جل قصدي والمرام بان ... دقيقة عن صبيب الدمع الهيكا
ما القول عندي لمن احشاؤه التهبت ... بلا فواد عن النيران تغنيكا
مصيبة عمت الاصحاب مشركة ... من كان يسمعها حتى اعاديكا
لو كنت منتبهاً يوم المصاب بان ... تلاحظ الخلق من جاءت تأسيكا
لكنت تسمع منهم من تحسرهم ... اقوال حزن كما تبديه من فيكا
وكنت تلقى عيوناً بالدموع همت ... ليست بايسر ما جادت اماقيكا
لم ندرِ اين المعزي حيث كلهم ... اصحاب ذا الخطب عانوا مايعنيكا
ميزتهم عنك في قول لبعضهم ... يارب صبراً ابا فالقول يعنيك
هل للبلاد حقوق في تأسفها ... وهل على شدة الاحزان لاموكا
كلا فلا لوم ان تبكي العيون دما ... وبافوادي بماذا لست ارثيكا
ان نبكي اصلاً فانت الفرع من شجر ... بذورها عن سمو المجد تنبيكا
من شرشل وشهاب بت في نسب ... فالشرق والغرب قد ضمت معاليكا
ان نبكي غصناً فلا العشرون تدركه ... او نبكي فرداً وحيداً من باهيكا
او نبكي علماً فقبل الوقت زاخره ... او نبكي ابناً مطيعاً يقتدي فيكا
ان نبكي لطفاً وظرفاً مع اداب فتى ... فاللطف والظرف والاداب تنعيكا

من بين سبع الدراري قد هوى قمراً مروره كشهاب في نواحيكا
كسوفه في هلال ان ذا عجب ان الكسوف لبدر كان يحكيكا
لو كانت الروح والاموال عنك تفي لكنت بالروح والاموال افديكا
تسري الى منزل يسري اليه غداً من كان يبكيك اومن كان يرثيكا
نم في هناء لقد خلفت كل امرئ فلم يزل في اب حتى بلاقيكا
فيا اميراً يسلم الخلق متصفاً سألت ربي لهذا الخطب ينسيكا
ما كان شعري رثاه اليوم منتظراً بل كان منتظراً فيه يهنيكا
بئس الزمان الذي يجري الى عمل عكس الذي تبتغي منهُ امانيكا
ان شئت في هذه الدنيا معالجة في ذا المصاب فلا تلقى مداويكا
فالله اقوى معز في مصائبنا فهو الوحيد الذي عنا يعزيكا
لا شك ان شهاباً ليس مركزه سوى سماء فهذا الفكر يكفيكا
وعندما الموت ارخ حل في شهب نلا فواد سليم في اراضيكا

١٨٩٠

يا من يسير الى ضريح فوادنا مستشهداً بالشهب والتعظيم
خليت يا هذا المؤرخ شارداً فضريحه كل فواد سليم

١٨٩٠

ونظمت له تاريخاً مجرباً وهو كما قلنا فواد بن الامير سليم شهاب ووالدته جانار ابنة شرشل بك الانكليزي

مذ غاب عن عيني الفوا د فجل ناري بالعنا
وشهاب حظي قد مضى وسليم جسمي في ضنا
قل للفواد مؤرخاً نم في ضريحك بالهنا

١٣٠٧

شرشل بك

هو من اعرق الاسرة الانكليزية شرفاً ولم تزل اسرته من اللوردات في انكلترا . حضر الى سوريا مأموراً عسكرياً سنة ١٨٤٦ وبقي فيها ولم يرجع الى انكلترا

وتزوج من النساء الشرقيات وهو سياسي محنك خبير رزق ابنتان وغلام سماه ونستن عرفته جيداً وتزوجت بنتاه الواحدة بالامير عبدالله شهاب والثانية بالامير سليم منصور شهاب والدة فواد · وكان لشرشل بك اخت في انكلترا اوصت بقسم من املاكها او قيمة اربعة الاف ليرا انكليزية لاولاد اخيها من زوجته خانم وبعد وفاتها دخلوا بالدعاوي واخيراً اقتسموا المال حسب الوصية ونالت زوجة الامير عبدالله حصتها من الارث اما ولده فتزوج فتاة افرنسية اتى بها الى سوريا ثم انفصل عنها وتوجهت لبلادها غير انهُ تبعها اخيراً ولا اعلم ماذا صار به بعد ذلك انما بلغني انه توفي بلاعقب

(الدكتور دبران)

هو الدكتور الشهير في بلادنا بالامراض الباطنية وهو افرنسي الاصل اتى مدرساً الامراض الباطنية بمدرسة الطب الفرنساوية في بيروت التي تأسست سنة ١٨٨٣ وكان يوم حضوره يوجد محفل تحت ادارة الاباء اليسوعيين تلقى فيها الخطب العلمية ومركزه على طريق الشام ففي سنة ١٨٨٦ اقيمت فيه جلسة عمومية حضرها جم غفير من الرجال والنساء فخطب الدكتور دبران في موضوع النوم وكان خطابه جميلاً جداً فبعد ان عرَّف ما هو النوم وابان لزومه وضرر السهر انتصبت واقفاً وتلت هذين البيتين

الا فانظروا الدبران في الليل قائماً ... يبين بان النوم فرض على القوم
سهرنا وما طعناه من حيث اننا ... وجدنا خطاب النوم احلى من النوم

وبعد ذلك قدمت بهذا المحفل خطاباً على العوينات باللغة العربية وبعد مدة ذهب الاب صاحب المحفل وتركه بعده وهو الاب برنيه الذي كان مبشراً في حمص وتوفي اخيراً وعند تبيض هذه الترجمة كان في ١٠ ايار سنة ١٩٠٨ وكانت المدرسة عاملة يوبيلها الفضي

(ولدي حليم)

ولد في بيت مري يوم الاثنين صباحاً عند بزوغ نجمة الصبح في ٨ تموز سنة ١٨٨٩ وكنا مستأجرين منزل رجل درزي وعمدناه في كنيسة بيت مري في ١٤

ايلول يوم عيد الصليب مساءً وكانت تلك الليلة مصادفة لعيد مار ساسين الذي له مقام هناك ودعوناه بالمعمودية ساسين وكان عرابه جرجي افندي نقاش وعرابته السيده لبزه قرينة اسعد رعد وبعد عماده توجهنا الى صنوبر مار ساسين وكان جمٌ غفير ليلة العيد والكاهن الذي عمده يدعى الخوري يوسف حنا من بيت مري وتسجلت اسماء الجميع بدفتر عماد كنيسة مار جرجس في بيت مري واما اولادي الاخر وديع ولد في ١٧ اذار سنة ١٨٨٥ في بيروت وانيس في بكاسين في ٢٤ تموز سنة ١٨٨٦

(ومار ساسين) ذو المقام العظيم في بيت مري ففي ليلة العيد يجتمع خلق كثير من كل الجهات في الحرش ويبتدئون بالرقص والغناء والسكر ويمضون ليلتهم بهذه الصفة حتى الصباح وبعد القداس يعودون الى محلاتهم افواجاً وهذه العادة شائعة جداً في بيت مري

لما كنا نجتمع كما قلنا في بيت اسعد رعد الموجود في بيت مري كان السرور يأخذ منا كل مأخذ فتقدم لي مرة الخواجه اسعد بكاس عرق وكما ذكرت كنت اقبل الكاس ولا اشربهُ فنظمت لهُ هذين البيتين

مذ قد تناولت عين الراح من اسد   اصبحت اسعد كل الناس في خلدي
فراحت الروح عند الراح في فلك   نظرت كيف تحل الشمس في الاسد

فعين الراح هي الشمس ولما دخل حرف العين على كلمة اسد اصبحت اسعد وهو اسم الممدوح وكذلك برج الاسد من ابراج الفلك تدخل فيه الشمس بشهر تموز وهو الشهر الذي كنا نجتمع فيه ببيت مري وقت الوليمة وكانني اقول ان عين الراح بدخولها على اسد الذي اصبح اسعد كحلول الشمس في برج الاسد وقلت له لما اهداني صورته

اهديت روحي لخلي   بالخال عوّض عنها
في صورة العشق لي   وصرت اسعد منها

(اسعد عبود مأمور تلغراف بعقلين)

دعيت الى بعقلين لمعالجة علي بك حمادى الشهير وكان في ذلك الوقت اسعد عبود الذي اصله من بيت الدين مأمور تلغراف بعقلين ووالده مأمور السجن فيها وحيث كانت معنا العجلة وكنا نريد ان نقضي يوماً في بعقلين فقلت الى رفيقي رفول فرح

الذي توجه معي من بيروت لانه كان يعرف علي بك ونام تلك الليلة مع ولده مصطفى بك ولم يدعه يغفى لكثرة التخبير وهلما جرًّا ثم نذهب الى المختارة لزيارة نسيب بك جنبلاط الذي كان قائمقام الدروز فتوجهنا و بعد ما قطعنا بعقلين رأينا اسعد راكبًا حمارًا وسألته لاين ذاهب قال الى المختارة قلت ارجع الحمار واركب معنا في العربة ففعل ولما وصلنا الى المختارة توجهنا الى منزل نسيب بك و بعد السلام صار يمزح مع اسعد مزاحًا لطيفًا واخيرًا قال لي نسيب بك هل تعرف يا شاكر بك بماذا يرجوني اسعد قلت كلا قال انهُ يسألني ان ارسل من يقتل لهُ والده في السجن لانهُ مأمور سجن بعقلين حيث انهُ شيخ لا فائدة منهُ ويتهم بقتله احد الاغنياء ويأخذ منهُ ديته ثلاثين الف غرش وهي خير من والده اذ لا سبيل له لكسب الدراهم غير هذا الباب لان عائلته كبيرة ومعاشهُ لا يكفيه وكان اسعد يقول هذا الكلام ليضحك نسيب بك لانهُ كان يحب والده كثيرًا ولما انصرم النهار عدنا الى بعقلين

(صدفة غريبة)

عند مرورنا في بعقلين امام السجن قال لي اسعد ارجوك ان تنظر والدي لانه يسعل كثيرًا وهو الان في السجن قلت له لم يبق وقت الان للعيادة وغدًا صباحًا نراه فذهب الى منزله وتوجهنا الى المريض علي بك وبينما نحن على المائدة واذا نفر عسكري اتاني وقال لي يرجوك اسعد افندي ان تحضر وترى والده مأمور السجن قلت وما الداعي لعيادته ليلاً وقد وعدته ان ازوره غدًا فهل حصل شيء جديد قال انه يبصق الدم بكثرة فتوجهنا الى السجن ودخلنا غرفة المأمور فرايت على نافذة صينية عليها طعام وزجاجة عرق ووالد اسعد مطروحًا على الارض وفوق راسه بركة من الدم وهو ميت لا حراك به فقلبته لارى هل به اثر جرح او رض او خنق فلم ارَ به اثرًا ظاهرًا فقلت انه توفي بسكتة دماغية وصرت افكر بقول اسعد الى نسيب بك والعجب من الصدفة التي جعلت ذلك واخيرًا ادعى اسعد ان والده مخنوق لانه توجد في بعقلين عائلة مسيحية كانت تحرك لاخذ وظيفته فاتهمهم بخنق والده وكان يساعد هذه العائلة الخوري ميخائيل رزق وكيل المطران بطرس وفي اليوم الثاني

حضر طبيب القضاء وفحص المريض الميت فلم يرَ فيه اثر خارجي وبقيت الجنازة مدة اخيرًا قلت الى اسعد ما هذا العمل من شيم الكرام فان والدك توفي بدون اسباب خارجية فلو شرحنا الجثة فاننا لا نرى فيها اثرًا وانصرف اخيرًا ورفعوا الجنازة واخذوا الجثة الى بيت الدين ودفنت هناك ورجعنا الى بيروت وظلت هذه القصة والصدفة الغريبة بفكري دائمًا وبعد ثلاث سنوات توفي اسعد بغتة مثل والده

(شفاء العين بقلع الضرس)

حضرت عندي امرأة جليلة جدًّا تبلغ من العمر نحو السبعين سنة حدث لها في عينها اليمنى قرحة القرنية فاخذت بمعالجتها وعملت كل الوسائط حتى تحسنت القرحة ولما اقبل الصيف بحره تشكت منهُ فقلت لها حيث معك طبيب وقد عرف كل ما يلزم لمعالجتك فيمكنك ان ترجعي الى الجبل فرجعت وبقيت هناك مدة الصيف والشتاء وفي ابتداء الربيع اتاني ولدها واخبرني ان والدته كانت تشكي كثيرًا من الم عينها وان الاطباء الذين عاينوها حكموا بانها مصابة بسرطان في عينها وجزموا بوجوب قلعها فلم تقبل الا اذا رأتك مرة اخرى وهي الان في بعبدا فهل لك ان تذهب لعيادتها هناك فتوجهت الى بعبدا وزرتها فوجدتها مصابة بعدة قروح في القرنية خصوصًا في خط قاسم القرنية الى نصفين فاخذت بمعالجتها مدة شهر وعملت عملية للقرحة وجميع الوسائط اجريتها لها فلم تشفَ اخيرًا الزمتها ان تنزل الى بيروت وقد احترت في امري لكنني لاحظت ان الاتروبين الذي من خواصه تمديد الحدقة لم يفعل معها شيئًا وكذلك الازرين الذي يقبضها فكأن القرنية مشلولة لان امتصاص هذه القطرات من القرنية ففحصت الراس فلم ارَ به علة وافتكرت بالاسنان لان العصب واحد

ففحصت اسنانها ولم ارَ في فمها الا جزر ضرس فسالتها اذا كان يؤلمها اجابت انها لا تشعر به قلت انني اريد قلعهُ قالت ولاي سبب ما زلت لا اشعر به قلت لعلهُ مؤثر على العين قالت ضاقت بك الحيل حتى وصلت الى هذا السن قلت وما ضرك قلعهُ وهو لا ينفع شيئًا فقبلت وقلعتهُ لها وفي اليوم الثاني ابتدأ الشفاء وبعد ثمانية ايام شفيت العين تمامًا وهي لم تزل للآن بصحة تامة ولم تعد تشعر بشيء ابدًا

وقد انتشرت هذه القصة بكل المحلات وكان هناك طبيب سمع بها فني صيف هذه السنة الثاني مريض اسمه حسين الصباغ وهو مصاب بمرض في عينيه حتى قارب العمى وسببه بزر في الجفون فعالجه الطبيب مدة طويلة لان البزر غطى العين فكانت اشبه شيء بقطعة لحم حمراء لا تعرف لها قرنية واخبرني ان الطبيب الذي كان يعالجه سمع بكوني قلعت ضرساً للسيدة ام قاسم وشفت من مرض عينيها فقلع لي اربعة اضراس ولم اشف فضحكت لجهل هذا المسكين الذي خسر اربعة من اضراسه وقلت لهُ ان مرضك يختلف عن مرض تلك السيدة وقد حصل لطبيبك كما حصل لتلميذ طبيب

الطبيب وتلميذه وجلال الحمار

ذهب طبيب مع تلميذه لعيادة مريض ولما وصلا اليه سال الطبيب المريض هل اكلت بطيخاً فانكر اولاً ثم اقر فعالجه وذهب فتعجب التلميذ من ذلك وسال معلمه من اين عرفت ان المريض اكل بطيخاً قال اما نظرت عند دخولنا قشر البطيخ بكثرة قرب الباب قال بلى قال منه حكمت ان المريض اكل بطيخاً فتعلم التلميذ

وفي ذات يوم طلب التلميذ لمريض لان الطبيب كان غائباً فدخل على المريض وقال له لماذا اكلت لحم حمار فتعجب المريض من هذا السؤال وانكر وعرف الطبيب قصته فسال تلميذه كيف علمت ان المريض اكل لحم حمار قال الم تخبرني انه متى وجد شيء قرب باب المريض يكون اكل منه فانا رايت جلال حمار في الخارج وحكمت ان المريض اكل لحم حمار فقال الطبيب لو كان لحم الحمار يؤكل لما بقيت الى اليوم اذهب واستبدل صنعتك لانها لا تليق بك ولا انت اهل لها . وهذا ما حصل لصديقنا الطبيب الذي قلع اسنان هذا المسكين بمجرد سماعه ان مرض العين شفي بهذه الواسطة دون ان يعرف ما هو المرض

ابرهيم بك مسلم

هو من اسرة كريمة من زحله كان عضواً وحيداً عن طائفة الروم الكاثوليك بمجلس الادارة واصبح مدة مظفر باشا رئيس قلم الاوراق والان عضو في دائرة الجزاء

كنت جالساً معه في صيدلية مسعود الجيمري على برج الكشاف امام حديقة البلدية في بيروت فمر علينا دب قوي فقال لي تعال نتفرج عليه فقمت ورأيته وقلت لم ادرِ عضواي طائفة هو بمجلس الادارة قال هو عضو الطائفة الاكثر عدداً (وعني بذلك الطائفة المارونية) قلت بل اظن انه عضو وحيد لطائفته (وكان ابرهيم بك العضو الوحيد لطائفة الروم الكاثوليك عن زحلة) فضحكنا لهذه النكتة

(القاضي المرتكب)

كان متهماً بالرشوة ومتى جالسه انسان يظهر التقاوة والعفة وما اشبه من الصفات الحسنة واذا دخل عليه المدعي يكثر عليه الاسئلة حتى يرتبك فقلت فيه

عجباً لقاضي ملة ... دون القضاة له عوائد
فكلامه موصول غدا ... لا بد من صلة وعائد

(وقلت فيه ايضاً)

اذا قاضي بلادك صار يبطي ... فذاك دليل ابجد ثم حطي
وان تمت له قرشت ينادي ... نعم الله ويرسون سوف يعطي

كلفتني السيدة عليا الشهيرة زوجة الامير افندي قعدان الذي بقي اخيراً ثلاث عشرة سنة رئيس مجلس الادارة وتوفي في شهر تشرين سنة ١٨٩٩ وهي ابنة الامير بشير الملقب ابو طحين لانه كان يوزع طحيناً على الفقراء وتولى الحكم بعد الامير بشير الكبير على جبل لبنان عقب حادثة سنة ١٨٤٠ ان انظم لها بيتين ابين فيهما ثقل رجل اسمه نحومي ففعلت وانتشرت الابيات وشطرها الشعراء وخمسوها دليل استحسانهم لها وقد نظمتها سنة ١٨٨٧

لما يا شربة تاتين جماً　　علينا بالمصائب والهموم
عجبنا كلما ابعدت عنا　　على ادبارنا دوماً تحومي

(قلت متغزلاً)

تعلم الطب من اجفانها مثلاً　　عند الجروح وليس الطب مخترعا
تبنج العاشق الولهان من نظر　　وسيفها قاطع من قلبه قطعا

(وقلت في معنى آخر وهو تضمين لطيف)

الكتب تنبئني تحريم حبكم　　ولحظكم قال ان الكتب في كذب
شاورت قلبي بذا في الحال جاوبني　　السيف اصدق انباء من الكتب

(ارسل احد اصحابي خاتم الماس الى خطيبته فقلت فيه)

اهديك قلباً مثل قلبك ايضا　　صلباً واقسى كل شيء قاسي
فتشت ما بين المعادن لم اجد　　شبهاً له عندي سوى الالماس

(وحررت على رسمي الشمسي سنة ١٨٨٧)

انا لبعادكم اصبحت رسما　　لانكم فؤادي في البعاد
فلا عجب اذا ارسلت رسمي　　اليكم حيث يلقاه فؤادي

(سعادة خليل افندي الخوري)

هو شاعر عصره ونابغة قومه الصادق بمصلحته والامين لدولته اصله من الشويفات لبنان دخل في خدمة الحكومة السنية سنة ١٨٦٠ وكان فؤاد باشا المأمور فوق العادة يعتمد عليه كثيراً وله مدة اربعين سنة في وظيفته وهي مدير الامور الاجنبية واكتسب ثقة كل الولاة الذين تقلبوا عليه وله خمسة دواوين شعر مطبوعة ومنشورة وهو اول من انشى جريدة عربية في بيروت سماها حديقة الاخبار نصفها عربي والنصف الآخر فرنساوي اشتهر بالمروّة ولين الجانب والدعة ومساعدة الجميع كريم الاخلاق لم يتشكّ منه احد رغماً عن مكانته العليا وبقي اعزباً الى ان تقدم في السن وخطب اخيراً في لوندرا السيدة ظافر كريمة سليم نوفل وابنة اخت سليم بسترس الشهير وقد توجه الى لوندره مع صديقه اسكندر بك توبني وهو هناك اتفه الرتبة الاولى وبعد رجوعه الى بيروت نظمت له هذه الابيات تهنئة له وتاريخاً لزواجه

بالسيدة ظافر

هام الخليل بدرة	فاتى البحار مسافرا
لا بد من خوض البحا	ر لمن يروم جواهرا
نلت السعادة رتبة	ورفاهة كن شاكرا
قد قلت في تاريخه	جاء الخليل ظافرا سنة ١٨٨٧

وبعد ثمانية اشهر من زواجه توفت السيدة ظافر فحزن عليها شديداً واخيراً زوج اخاه حنا بك الخوري الذي كان قائمقاماً على الكوره وله شقيق آخر اسمه وديع وهو من الشبان الاذكياء شاعر مجيد وهو مدير جريدة حديقة الاخبار وله شقيقات اسعدهن زوجة يوسف افندي سرسق الغني الشهير الذي دخله اربعين الف ليرا سنوياً وقد تزوج بابنته ابن عمي قيصر سليم الخوري القاطن بجيفا وسنذكر ترجمة بيت سرسق في حينها ولم يزل خليل افندي الخوري بوظيفته وهو قاطن ببيروت وصديقي وكان جاري منزله غربي البيت الذي كنت ساكناً فيه وهو منزل انيس توبني شقيق اسكندر بك توبني مدير الامور الاجنبية بجبل لبنان ومنزله شرقي منزلي فاكون مجاوراً لمديري امور اجنبية الواحد في سورية والثاني في لبنان ولا يفتكر القارىء ان السياسة تؤثر عليَّ او هي التي دفعتني لهذه الكتابة بحق خليل افندي كما انني ما كتب بحق اسكندر بك بل هي الحقائق التي رأيتها وخبرتها توفي في تشرين ثاني سنة ١٩٠٧

وكان له شقيق اشتهر بعلومه ومعارفه وهو سليم الخوري الذي اشترك مع سليم شحاده الذي توفي في ت ١ سنة ١٩٠٧ وهو ترجمان قونسلاتو روسيا بتأليف كتاب عظيم يسمى آثار الادهار وهو كتاب جغرافي بل تاريخ عمومي توفي في عاليه بالهواء الاصفر سنة ١٨٧٥ وتوقف بوفاته هذا التأليف فيتضح مما تقدم ان هذه الاسرة اشتغلت بالعلوم والسياسة وخدمة الوطن والدولة · وقد قلت ان خليل افندي جاري ولا يفصل بيننا سوى زاروب الحرامية (وهو اسم طريق في بيروت)

الدكتور ملحم افندي فارس

اصله من حاصبيا من الطائفة المارونية وكان منذ صغره يحب التقدم حتى انهُ وهو في السنة الثانية عشرة من عمره هرب من منزل ابيه واتى مع المبشرين البروتستانت ليتعلم وكان مروره عَلَى جزين فبات فيها مع المبشر تلك الليلة وكانت قد اتت من حاصبيا تحارير تدل عَلَى هربه فاخبروا بذلك المطران عبدالله البستاني الذي كان يومئذ مطراناً عَلَى مشموشة فارسلوا ليلاً واخذوه من المبشر وسلموه الى المطران بواسطة الخوري بطرس المعوشي فارسله المطران الى مدرسة عين ورقة للطائفة المارونية ثم انتقل الى مدرسة مار عبدا ثم الى مدرسة عينطورا وتعلم اللغة الفرنساوية ثم توجه الى مصر وعلَّم اللغة الافرنسية عند الفرير بمحلة الخرنفوش وكانت هي المدرسة الوحيدة التي تعلم جيداً هذه اللغة وهناك تعرف بجميع اولاد الذوات ثم عمل واسطة ودخل مدرسة الطب وكان رئيسها عرنوس بك الفرنساوي الذي كان موصى عليه فقبله كولده لانهُ كان اعزباً وشيخاً فاحبه جداً وتعلم الطب ونال الشهادة وحضر الى بيروث ودخل مع الحكيم سوكه الشهير الذي كان حكيماً صحياً عن دولة فرنسا فتوفق معهُ وساعده في المدينة وادخله مستشفى راهبات العازارية وبقي فيه الى ان اتى الدكتور منس الفرنساوي وكان سوكه قد شاخ ولم يعد يحضر الى المستشفى وانا الذي خلفته سنة ١٨٧٩ وكان ملحم قد اصبح غنياً ولكنه لم يزل اعزباً حتى سنة ١٨٨٢ فتزوج السيدة اسما ابنة بشاره الهاني

اسما زوجة الدكتور ملحم افندي فارس

لا استطيع اذكر هذه السيدة الا واتأسف واحزن عليها لانني عرفتها وهي في المدرسة وزوجها كان من اعز اصدقائي تزوجت وعمرها ثمانية عشر سنة واول هوى دخل فوادها هوى ملحم كما انه لم يعرف غيرها قبلها من النساء فكانا زوجي محبة لا غاية ولا مالية وكانا يعبدان بعضهما ولم تتكدر بحياتها من رجلها ولو انها طلبت روحه لكان عليه تسليمه لها بكل سرور والخلاصة اني لم ارَ زوجين في بلادنا احبا بعضهما الى هذه

الدرجة وكان يفضلها على اولاده واخوته وكل البشر ولم يكن احد يلومه على حبه لانها كانت كاملة الصفات الادبية والطبيعية متوسطة القامة جميلة الصورة معتدلة الجسم سوداء العيون بشوشة الوجه لطيفة الاخلاق كريمة النفس عزيزتها تحب الضيف والغريب قريبة للقلب فصيحة اللسان زكية تدرك فكر الانسان قبل ان يتكلم رقيقة الاحساس شريفه ادبية وبالاجمال انها كانت مثالاً للجمال والادب والانسانية والعلم كأنها لم تخلق امرأة لا تحب الخروج من منزلها ولا المحلات الاجتماعية تزار ولا تزور الا رغماً عنها مجلسها مجلس سرور قنوعة لا تحب الزخرفة ولا المباهاة بالغنى والجواهر مع كثرة ما عندها عاشرتها ست عشرة سنة ولم ارها لبست حليها مرة واحدة تحب اولادها محبة تقرب من العبادة وهم ذكران وانثى وكانت تعتني بلبسهم وادبهم وعلمهم اعتناء عظيماً وكان اذا غاب صديق مدة تعاتبه لغيابه بكل لطف

ولكن واسفاه فانه مع كل ما حوى جسمها وعقلها وادبها تسلط عليها داء عضال لم يكن له من دواء فانظر وتأمل حالة زوجها المسكين فانه كان يعرف النتيجة قبل الوقت ورغماً عن العلاجات الكثيرة وتبديل الهواء قد توفت في يحمدون باول تشرين اول سنة ١٨٩٩ ودفنت في بيروت وكنت وقتئذ متغيباً في الجبل ولست استطيع ان اصف حالة ملحم المسكين ولما رايته اول مرة لم اتمالك عن البكا وفعل مثلي رحمها الله رحمة واسعة واذا احبها الله كما احبها البشر فلا شك انها خالصة وان روحها في ابدية صالحة لان صيتها واسمها وشرفها معروف في بيروت بامرها فالسلام عليها ورحمة الله والف سلام ولكن الحزن كالناس لا يبقى على حال فقد تسلى ملحم الان نوعاً ما وكنت ازوره يومياً بعد الظهر لانه جاري ولم يكن يفصل بيننا سوى منزل خليل افندي الخوري

هو لطيف زكي ماهر في صناعته ودود ذو مروءة يحب الضيف ويبش للجميع يحب المزاح وقد اشتهر مزاحنا في بيروت ومن جملة نكتي معه

كان له كلب كبير وضعه في الجنينة لحراستها ليلاً فمات هذا الكلب وطلب ان يحضروا له سواه ففي ذات يوم وانا معه في الجنينة اتوا له بكلب صغير فقال اني لا اريده لانهُ صغير وضعيف قلت لا باس منه فسيصير بعد مدة ملحماً (من اللحم) قال

وشاكراً اجبت حين بقوي بصير فارساً واسمه ملحم فارس

كان ملحم ابيض اللون ازرق العين قصير القامة اشقر الشعر لطيفاً جداً بشوشاً قليل الكدر فحضرت يوماً من ايام الشتاء لزيارته نحو العصر فدعاني لمناولة طعام المساء عنده فقلت معتذراً اني لم احضر ما كتبي معي قال اعطيك واحدة من عندي حذراً من برد الليل فاجبت دعوته ولما اردت الذهاب طابت منه السا كو قال إن عندي جلال حمار ان احببت اعطيك اياه قلت قصير عليَّ لانهُ مصنوع لسواي فضحكنا ٠ واعظم نكتة اجريناها معه هي نادرة مع

جبور بك رزق الله من صيدا

كنا في سهرة مع ملحم وجملة رفاق فابتدا يخبرنا حادثة جرت له مع جبور بك رزق الله من صيدا وقبل التكلم عليها نذكر شيئاً عن جبور بك وعائلته من صيدا

هي عائلة كريمة غنية معتبرة في الطائفة المارونية اصلها من صيدا وظهر منها عدة نوابغ نجحوا ونموا وشرفوا محلاتهم ووطنهم ولم تزل هذه العائلة حتى الان على هذه الحال ومن الذين اشتهروا منها بايامي

اسطفان رزق الله

هو من مشاهير اغنياء صيدا وكان له ثلاثة اولاد وهم حبيب ولويس ونخله وكان هذا الاخير رفيقاً لي بمدرسة المعلم بطرس البستاني وهو رجل همام يلتفت الى املاكه ويعتني باشغاله تزوج ابنة جبران افندي ابلا قنصل دولة بلجكا بصيدا ٠ وتوفي لويس بلا عقب وكان متزوجاً شقيقة ميشل افندي اده مدير الامور الاجنبية بولاية بيروت وبعد وفاته تزوجت ارملته الامير فريد شهاب ابن الامير عبدالله من وادي شحرور اما البكر الخواجا حبيب فهو صاحب البيت ابي النفس مضيافاً يستقبل الاكابر والاصاغر محباً للغير والخير والاحسان وهو صديقي الحميم تزوج امرأة شريفة كريمة الخلق والخلق وله منها اربعة اولاد اكبرهم يوسف الذي استلم جميع اشغال ابيه والثاني اسكندر استلم ادارة الاملاك اما اسطفان وفليب فكانا صغيرين وقد تزوجا الان بنساء

كاملات الصفات وتوفي الخواجا حبيب هذه السنة ١٩٠٧

(جبور بك رزق الله)

كان هذا الذات اعظم الجميع في صيدا وهو زوج عمة امرأتي وتزوج ولده سليم عدبلتي السيده نقلا وكان اغنى افراد هذه الاسرة ذهب الى الاسكندرية ومصر وكان في دمياط للتجارة ايام محمد علي باشا ولم يزل له فيها ملك وكان يحب الصوت والغزل والنساء لطيف المعاشرة معهم وله نادره مع ساكنه في مصر مشهوره

وكان عناده سبباً لخرابه وقام عليه فلاحو البلد الذي اشتراه وهي قرية المطلة وسكانها من الدروز ويدعى شيخهم الحجار الذي قتل اخيرًا فهاج عليه الاهالي فعصوا وطردوا جبور بك من قريتهم فتشكى واستأنف وميز مدة عشرين سنة وبعد ان باع كل املاكه وقضى عشر سنوات في الاستانة العلية حكم له بها فحضر الى سوريا واستلم البلدة وباعها باربعة الاف ليرا الى روتشيلد اليهودى وقسم ماله بين اولاده الثلاثة وهم عدبلي سليم وعزيز وبشاره وتوفي بعد ذلك اما امرأته فتوفت قبله

ولنرجع الى قصة مع ملحم افندى فارس فنقول

ملحم افندي فارس وجبور بك رزق الله بصيدا

سنة ١٨٦٥ كان ملحم تلميذًا بمدرسة الطب بمصر واصيب بالهواء الاصفر الذى حصل تلك السنة وشفي منه واتى الى سوريا لاجل تبديل الهواء وكان والده واهله بصيدا وقد روى لنا هذه القصة ملحم بذاتهُ فقال انني اتيت الى بيروت واشتريت بعض ادوية من مسعود الحيمرى وذهبت الى صيدا حيث كانت عائلتي واكتريت دكانًا وضعت فيه الادوية وكنت اطبب بملك جبور بك واتفقنا عَلَى اجرة الدكان خمسة عشر غرشًا شهريًا وفي اثناء ذلك مرض ولده سليم وكان ساكنًا خارج المدينة بالحمى التيفوئيدية فطلبني والده لعيادته وكنت اذهب يوميًا اليه واعالجه واراد مرة ان يستدعي طبيبًا من بيروت فطمنته واخذت عهدة شفاؤه عَلَى نفسي وبعد مدة تم شفاؤه فكلفني والدي ان اذهب الى جبور بك مع احد اقاربه نخله رزق الله لتهنئته بسلامة ولده من المرض فتوجهنا وانا احسب بفكري الدراهم التي كنت مزمعًا ان

اقبضها لانني كنت احسبه نظير بكوات مصر الذين يسعدون الطبيب الذي يعالج مرضاهم لانهم يهبون ولا يسألون خصوصاً اذا تم الشفاء. واخيراً وصلنا الى الدار العامرة فاستقبلنا البيك بكل بشاشة ولطف وجلس بجانبي واظهر لي التفاتاً عظيماً وقال انني ممنون لك يا مسيو وسارّني باذني قائلاً قد حسبنا لك اجرة الولد ستين غرشاً فلما سمعت كلامه ظننت انني سقطت من محلٍ شاهق غير اني افتكرت ان اقدم هذه الخدمة مجاناً خيراً من ان اقبض غرشاً اجرة المشوار بدلاً من ريالٍ مجيدي فقلت له يا بيك اقدم لك هذه الخدمة اكراماً لجنابك نظراً لالتفاتك على والدي واقاربي وتركته يئساً من الطب وكنت يومئذ معيناً من قبل الحكومة حكيم صحة نظراً للهواء الاصفر وقلة الاطباء

ولما انتهى الوباء رجعت الى مصر لاتمام دروسي وبعد نحو شهرين ورد لي تحرير من والدي يقول فيه ان جبور بك طالبه باجرة الدكان عن ثلاثة اشهر وطلب مني ان ارسلها له فاجبت والدي ان يفكر جبور بك بمعالجتي ولده مدة شهرين وانه حسب لي الاجرة ستين غرشاً وما قبلت ان اخذها منهُ فلو حسب اجرة ثلاثة اشهر بالدكان كل شهر بخمسة عشر غرشاً يكون مطلوبه خمسة واربعين غرشاً فيكون باقياً لي بذمته خمسة عشر غرشاً رجوته ان يرسها لي غير اني لم انل رداً على هذا الخطاب ولما انهيت دروسي بمصر ونلت الشهادة اتيت الى بيروت واكتريت منزلاً على طريق الشام بملك الباحوط وبينا انا يوماً في غرفتي دخلت عليَّ الخادمة واخبرتني ان شاباً يرغب مقابلتي فدخل وكان بيده تحرير باسمي اخذته منه بعد ان دعوته للجلوس وقرأت الكتاب فاذا هو من جبور بك يطلب به مني اجرة الدكان وكان الذي احضر التحرير المريض الذي عالجته في صيدا فعند ذلك خرجت عن دائرة الصواب وصرت اشتم والعن وقلت له انسيت معالجتي اياك وشفاءك بواسطتي وما لي عندكم من الاجرة وجاوبته جواباً قاسياً جداً ووبخته توبيخاً مرّاً فذهب من امامي متكدراً ومخجولاً

وكان حين يخبرنا ملحم هذه القصة يأخذ منه الكدر والتحمس مأخذاً عظيماً كأنها حصلت معه تلك الساعة وكنا نضحك من تحمس ملحم اكثر من القصة · وقلت

مرة لرفيق لي مرادي عمل حيلة عَلَى ملحم اكتب له تحريراً عن لسان جبور بك فقال لي افعل ما تريده

(النادرة مع ملحم)

في اليوم الثاني كتبت تحريراً بخط سواي قلت فيه

الى حضرة الدكتور الشهير ملحم افندى فارس الافخم

لا خفى حضرتكم ما كنا عليه قبلاً والان بسبب الدعاوى والامراض اصبحنا بحالة غير التي تعرفونها وفيما نحن نفتش بدفاترنا القديمة رأينا ان لنا بذمتكم اجرة دكان ثلاثة اشهر تموز واب وايلول سنة ١٨٦٥ مع القايظ فاذا هو وافر ونحن بحاجة اليه الان فان اردتم خلاص ذمتكم ارسلوه لنا مع حفيدنا الواصل اليكم وهو متوجه الى بيروت للمعالجة ويكون الشكر لكم واجباً علينا وان لم تجبوا دفعةً نرجوكم تعريفنا حتى نجرى الاصول غير اننا نؤمل انكم لا تحوجوننا الى هذا الامر وبكل اعتبار نقدم الى حضرتكم تحياتنا وادام الله بقاكم

حرر في ١٥ ايار سنة ١٨٩٢

محبكم المخلص
جبور رزق الله

وبعد ان انهيت هذا التحرير افتكرت بطريقة اوصلها الى ملحم بحضورنا وكان مشتركاً معي بتسطيره ناصيف بك الريس رئيس القلم العربي مدة واصا باشا ومسعود الحيمرى وعدة اصدقاء، وبعد مزيد التروى والتأمل افتكرت بالشخص الاتي

(خليل الطاقه المدعى بانه حفيد جبور بك رزق الله)

كنت يوماً بلوكاندة انكلترا التي هي عَلَى ساحة البرج اعلا صيدلية مسعود الحيمري عند مريض من عكا يدعى الخواجه الياس الابيض توفي في هذه السنة بكانون الثاني سنة ٩٠٨ المعالجة عينيه وكان عنده رجل من عكا يمزح معهُ وهو لطيف جداً شائب الشعر لكنهُ يصبغهُ فخطر لي ان اسلمه التحرير وان يزعم انه حفيد جبور بك وقلت لهُ ياصديقي الجديد انني اطلب منك خدمة بسيطة يمكننا ان نسر بها قال وما هي اقضيها عَلَى الراس والعين قلت ان تسلم هذا التحرير الى ملحم افندي فارس

الحكيم واخبرته قصته بتمامها قال لعله بشتمني قلت لو فعل ذلك يكون قد شتم حفيد جبور بك وما قصدنا الا المزاح وانت خبير باساليبهُ وترجاه الياس الابيض فقبل طلبي وسألني عن الواجب عليه ان بعمله قلت تدعي انك حفيد جبور بك! وتدخل الى صيدلية مسعود الحيمري نهار غداً الساعة الواحدة بعد الظهر فتعطي هذه الوصفة الى الصيدلي وتطلب منهُ الدواء فيطلب منك الثمن وتقول لهُ اضفه على حساب ملحم افندي فيدلك عليه وتسلمه التحرير ومهما قال لك لا تجبه بسوى قولك جدي امرني ففعلت واجتمعت بعد ذلك مع ناصيف بك وباقي الرفاق وكلفت مسعود ان يدعونا لمناولة الطعام ظهر الغد في صيدليته لان عنده فيها غرفة داخلية كنا نجتمع فيها لاكل طعام السوق نظير فول مدمس حمص بطحينه ولحم مشوي واخبرته ماذا يقول الى الذي يأتي له بالوصفة الطبية

وفي الغد اجتمعنا عند مسعود قبل الظهر وتناولنا الطعام في صيدليته وبعد الاكل جلس كل منا على كرسي وفيما نحن على هذه الحاله دخل خليل الطاقه العكاوي وهو الذي كان ساكناً عنده منصور بك شتوان رئيس قومسيون تثمين الاملاك في بيروت

ولما دخل لم اتمالك من الضحك فادرت ظهري الى ملحم الذى كان جالساً بازائي واخذت جريدة وصرت اقراها وانا الاحظ الرجل الذى تقدم الى مسعود واعطاه الوصفة وقال له قيد ثمنها على ملحم افندي فارس فقال لهُ الصيدلي هوذا ملحم افندى هنا فكلمهُ بهذا الشان ولما سمع ملحم اسمه التفت لانهُ ظن انه مريض اتى يريد المعالجة عنده له مخاطباً

— هل حضرتك الدكتور ملحم افندى

— نعم

فزرر الرجل سترته واخذ محفظة من جيبه وفتحها وناوله التحرير فقراه وصرخ بصوت عالي يا شاكر يا شاكر قلت ماذا تريد قال تعالى انظر اعمال جبور بك وخذ اقرأ هذا التحرير بصوت عال قلت وما فيه قال انهُ يطلب اجرة الدكان فعند ذلك ضحكنا جميعاً واخذنا التحرير وصرنا نقراه اخيراً التفت ملحم الى الرجل وشتم له دينه

فاجابه الرجل لا تتكدر ياسيدى مني فما انا الاَّ مكلف وان لم تشا دفع ما عليك حرر الى جدى تلغرافًا اخبره انك لم تشا تدفع لي فصرخ ملحم قائلاً اسمعوا اسمعوا انهُ يقول ان ارسل تلغراف لجده انني لم اشا ادفع والتفت اليه ولعنه وبعد الصراخ والمسبات والشتائم اخذت ملحم بيده وادخلته الى الغرفة التي اكلنا بها وقلت لهُ اجب جبور بك على تحريره واعطيته ورقة وامليت له الجواب ولكني قلت لهُ لا تشتمه ولا تسبه ليلاً يصدر عليك دعوى فكتب التحرير الاول ثم مزقه لانهُ كان كله مسبة ثم كتب تحريرًا ثانيًا اخذته منهُ لكي نرسله وخرجنا الى الصيدلية وكان مارًا جبور القرداحي من عكا وقد اخبروه القصة فحين نظر الرجل سلم عليه وسأله عن جده جبور بك وسأل ملحم عن قصته فاخبره بها عندئذٍ قلنا الى ملحم اعطه ريالاً فقط لانهُ محتاج ولم يعطه جده شيئًا لانهُ اتكل عليك فلم يقبل قلنا داوه اذًا لكونه مريض واعتبره فقيرًا فتوفر عليه الدراهم وبالالحاح الشديد اجاب طلبنا وساله عن مرضهُ اجاب انهُ مصاب بالداء الزهرى فالتفت الينا ملحم وقال اسمعتم ما ارذله فكلفته ان يدخل الى الغرفة الثانية السرية ودخلت مع ملحم والمريض فقال لهُ ملحم ارني اين مرضك وابتدى ملحم بفحصه فعند ذلك لم اتمالك عن القهقهة المعروفة فيَّ وضحك الرجل وخرجنا حالاً وتركنا ملحماً لوحده متفكرًا واخيرًا خرجنا وكان الحضور يضحكون وكل ما مر شخص يعيد لهُ ملحم القصة حتى كاد يختنق من الحمق والعطش وبقي على هذه الحال نحو ساعتين اخيرًا كلفته ان نذهب الى المنزل فقام وسرنا وبقي طول الطريق يعيد عليَّ قصته ويقول بعد سبع وعشرين سنة يطالبني بخمسة واربعين غرشًا . وعند دخولنا الى منزله صرخ بامرأته اسما قائلاً ان جبور بك ارسل مع حفيده يطالبني باجرة الدكان وارسل لي هذا المكتوب فاقرايه وسلمها المكتوب فلما تلته قالت لربما احد اصدقائك اراد معك المزاح وارسل لك المكتوب عن لسانه قال ومن اين لهُ ان يعرف ان الاشهر المطلوبة مني هي تموز واب وايلول سنة ١٨٦٥ فسكت واخيرًا خرج من الغرفة فسألتني السيده اسما اذا كنت انا الذى اجريت لهُ هذا الملعوب فاجبتها بالايجاب ولما رجع زوجها اخبرتهُ بحقيقة المسالة قال انهُ كاذب في قوله فكيف تاتي لهُ معرفة الاشهر قلت لهُ

باعزيزي اما اخبرتنا انّ هذه الحادثة توقعت معك لما اتيت من مصر مدة الهوآء الاصفر سنة ١٨٦٥ وقد ظهر في اشهر تموز واب وايلول ولا تحتاج هذه المسألة مزيد فلسفة وبعد التعب الكلي اقتنع وعرف انا اجرينا معهُ هذا الملعوب للمزاح وهكذا انتهت هذه القصة التي نذكرها لليوم

(لجنة نخاص الطب العثمانيين والفرنساويين)

في سنة ١٩٠٠ حضر النخاص الى مدرسة الطب الفرنساوية في بيروت وكنت فيها معلماً بالجراحة الصغرى واكلينيك العين وكان النخاص وفداً من الاستانة العلية وفرنسا فالفرنساويون هم الاستاذ مورا من ليون والاستاذ فيدال من باريز والاستاذ فالاس من ليون وبتاريخه ورد تلغراف بوفاة الاستاذ اوليه معلم الجراحة في مدرسة ليون . وحضر من الاستانة بدلاً عن جميل باشا الشهير خيرالدين باشا المعلم في المدرسة السلطانية العسكرية وتوفيق بك واسماعيل بك فدعاهم ملحم افندي لمناولة طعام المساء بمنزله وكان من جملة المدعوين خيري بك رئيس المستشفى العسكري في بيروت ويحيي بك الشمعة قومندان الجندرمه ومنصور بك شتوان رئيس قومسيون الاملاك والمجال فخري بك احمد ومحمود وكامل بك ناظر جمارك بيروت وكنت من جملة المدعوين وفي اثناء ذلك نهض ملحم وشرب سر الحاضرين وقال ان هذه الجلسة جمعت كل معنى ولطائف ادبي كخيرالدين وخيري وتوفيق وشمعه واحمد ومحمود وكامل وشاكر وملحم وبعد ذلك قمت وقلت ان لكل منا اسم يدل على معنى ادبي كشاكر ومحمود وخير الدين الا ملحم فهو لقب لا يقال الا للحيوانات فضحك الجميع من قولي وطلب مني الحضور ان انظم شيئاً لخير الدين باشا وتوفيق بك واسماعيل بك فارتجلت هذين البيتين

باسماعيل توفيقي	بديني قد ارى خيري
بلا خيري وتوفيقي	ارى الدنيا الى غيري

اذ لا اسف على الدنيا بلا خير وتوفيق

وكانت اللغة التركية هي المتكلمة تلك الليلة وحيث انني اجهلها بقية ساكتاً فسألني احد الذوات الحاضرين اذا كنت اعرف اللغة التركيـة اجبته انني

لا اعرف منها شيئًا سوى

بادشاهم جوق يشا

فصفق الجميع لذلك وعدنا جميعًا مـا اعرفه من التركي

«تخميس الابيات المشهورة»

كان المرحوم اسعد رعد يغني هذه الابيات وكان صوته جميلاً وهو عارف اصول الموسيقى العربية فسمعتها منهُ وسررت منها فخمستها في بيت مري سنة ١٨٨٦ وهي

عذبت قلبي بظبي له به وله اذا تبدى لنساك سهوا ولهوا
وعندما قد راى طرفي يقبله غطى الخديد بيمناه فقلت لهُ
لا تحجب الورد عني قد وهى جلدي

يا محجب الورد عني كم اذوب وكم اموت حزنًا ووجدًا في الغرام ولم
فقل لمضناك من فيه العذاب الم هل ذا دلال على اهل المحبة ام
فكرت في قتلتي يا محرقًا كبدي

هل خلت قلبي على غير الوداد رمى حتى فوادك وهمًا بالسلو قسى
فاخبره عن ذنبه حتى يتوب عسى فقال لا بل رايت الخال رام اسى
بصيد قلب الشجي من داخل الجسدِ

رب على عرش خديه في تجلته يريد ان تخضع الدنيا لعظمته
حملت نفسك جورًا في محبته وقصده دائمًا يسطو بصولته
على فوادك فاستمسكته بيدي

(صيف سنة ١٨٨٧ في بيت مري)

قد اعادني هذا الصيف ابن عشرين سنة فكنت اتخيل ذاتي شابًا لا اعرف تعب السهر وطول الجلوس وكنت مسرورًا حقيقة لا ابالي بهم ولا بغم وهي الايام التي يمكنني اعتبارها من ايام سعادتي لاننا كنا نجتمع اصحابًا بلا كلفة ولكل منا الحرية المطلقة بلبسه وزياراته وكانت الاشغال تضطرني للنزول الى بيروت ٦ ايام في الاسبوع وكان

منزل المرحوم اسعد رعد مجلس الجميع وكان يقطن الطابق العلوي من منزل بيت مري وفي الاسفل اخوه المرحوم لطف الله وزوجته الاديبة حنه بنت المرحوم حنا الاصفر والسيده عفيفه فرح وزوجها التي ذكرتها سابقاً وكان مصيفاً معنا المرحوم يوسف رعد ذا الصوت الجميل وصديقنا الخواجه جرجي نقاش وسعادة فخري بك وكنا كلنا على اتفاق تام ووئام لا نجتمع الا للسرور والانشراح فيتهيج عندي الشعر واميل الى النظم والغزل نظراً للغنا والموسيقى وكنت دائماً انشد الاشعار اما للضحك او للغزل وكانت حالتي كما ياتي

شكوت فقالت كل هذا تبرحاً ... بحبي اراح الله قلبك من حبي
ولما كتمت الوجد قالت تعنتاً ... صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
فادنو فتقصيني فابعد طالباً ... رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها ... فتزعج من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ... اشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

هذه صيفية بيت مري وكنت دائماً انشد الاشعار سراً وجهراً والجميع يسرون بها وكان لكل منا مزية يجود بها على اصدقائه كالصوت وعزف العود والذكاء والشعر وعدم التكلف وحسن المعاشرة وكان كل منا كانهُ مسحور ومما قلته عن لسان احدى السيدات هو هذا

(عن لسانها)

شُكرتُ من العزول على عفافي ... فاضحى كل شخص فيَّ شاعر
بلطفي قد منعت كلام شاكٍ ... وفي طهري ملكت فواد شاكر

(ولها ايضاً)

لما رات عينيها عبداً لها اخذت ... تصطاد عبداً لها في اسهم النظرِ
وعندما حركت اجفانها اخذت ... قلبي واصبح ذاك العبد بالقدرِ

(قلت في قلع ضرسها وكان نخراً)

قد نلت ياضرس من ثغر الحبيب منى ... ما لم تنله ملوك في عروشهم
عشرون عام بعدن كنت منغرساً ... تمص شهداً وخمراً من اعز فم

من كان في جنة هل يعتريه ضنى ... ما بالك اليوم تشكو شدة السقم
اجابني الضرس اني لم اذق عسلاً ... مع انني فيه مغمور الى القدم
لان خلي بخيل لم يبع ابداً ... يربه خمراً وشهداً دون طعمهم
فنار شوقي لذا قد احرقت كبدي ... فذاب قلبي به من شدة الالم
وعندما قد راى اني بلا كبدٍ ... ولا فواد وقد اصبحت كالعدم
فاخرجوني من الفردوس دون ازىً ... كانني ادم افتوا بسفك دمي
فهكذا كل من يهوى الملاح غدا ... محروق قلب ويُرمى بعد حبهم

(سليم افندي عكاوي)

هو صديقي الحميم كما كان والده صديق والدي ومن العجب ان الصدفة تجعل صديق اهلي صديقاً لي وبالعكس دون ان اشعر ولعل هذا من فعل الجاذبية التي تنتقل من الاباء الى الابناء ولو اختلفت الصوالح والمصالح وهذا ما حصل لي مع سليم افندي فاننا تعلمنا سوية بالمدرسة الوطنية في بيروت وهو اصغر مني سناً وبعد ان بعدنا عن بعضنا مدة رجعت الى بيروت فرايته يتعاطى التجارة خصوصاً في الحرير وكانت لهُ كرخانة في كفر عميل وهو رجل جد لا يلهيه شيء عن شغله ولا يلتذ الا بالعمل ولذلك نجح النجاح التام ومن توفيقه اقترانه بزوجة كاملة الصفات تليق له

(زوجة سليم افندي)

هي مخدرة لطيفة الذات فائقة الكمال ذات عقل ثاقب بشوشة الوجه محبة الاصدقاء ودودة مدبرة اشغالها الخصوصية المنزلية عاملة تلتفت الى اللذات العقلية اكثر من اللبس والزينة تحب ذوي العقول والمباحثات العلمية ويجب اعتبارها في بلادنا كرجل اكثر من امرأة وقد ربت اولادها نظيرها وبالاختصار ان التوفيق قرن الزوجين وقد توفت رحمها الله في اواخر سنة ١٩٠٥

(قلت متغزلاً بسهام العين والمعنى مبتكر)

ارشق سهامك في قلبي بلا وجل ... لسنا نخاف من الفولاذ تعذيبا
لا يشعر القلب بالسهم الذي رشقت ... فناره قد تذيب السهم تذويبا

(وقلت في حفظ السر والمعنى مبتكر)

والله ما بحت في سرٍّ وما علمت　　مني الشفاه بان الحب في كبدي
اخفيته حيث فكري ما درى ابداً　　فيه ولكنّ من شوقي وهي جلدي
فرّق جسمي ضنا حتى غدا شبحاً　　فقد راوك به من داخل الجسد

كل هذه الافكار والاشعار نظمتها بسنة واحدة وهي صيفية بيت مري لاننا كنا كما قلت في مركز بهيج وكل نظم يقوله الشاعر وهو غير متهيج او متأثر لا يكون جميلاً

(قلت في سواد العين وهو مبتكر)

عيون كم لها في الحي حيّ　　قتيل كان سؤددها السوادا
اذا أُخذت بذاك الجرم قالت　　على العشاق ألبست الحدادا

(تخميس الابيات الشهيرة انعم بوصلك لي)

يا من لقلبي في النوى احرقته　　والموت مني والجفا قارنته
واليوم يوم منيتي قربته　　انعم بوصلك لي فهذا وقته
يكفي من الهجران ما قد ذقته

ضاع الزمان سدى كما ضيعتني　　بالتيه والهجران قد افنيتني
فسقام جسمي والبلا اوليتني　　انفقت عمري في هواك وليتني
أُعطى وصولاً بالذي انفقته

انسيتني ابا اعيش بخيره　　والروح عن جسمي وذا عن سيره
الهيت قلبي عن قواعد طيره　　يا من شغلت بحبه عن غيره
وتركت كل الناس حين عشقته

اسمع حديث العازلين وفعلهم　　ان لا تبالي في غرامي مثلهم
فلكي تكذب في البرية قولهم　　بالله ان سألوك عني فقل لهم
عبدي وملك يدي وما اعتقته

جمعوا لتشتيت المحبة شملهم　　وتعاضدوا حتى يقوّوا عذلهم
ارجوك ان جاوك تصرم حبلهم　　او قيل مشتاق اليك فقل لهم

ادرى بذا وانا الذي شوقته

لما استجرت بجفنكم ما جارني ثم استعرت نعاسه فاعارني
اغمضت جفني والخيال اثارني ياحسن طيف من خيالك زارني
من فرحتي بلقاه ما حققته

ما اورث العينين غير حبيص والروح راحت من بعاد حبيبها
نادت ولا طيف بدا ليجيبها فمضى وابقى مهجتي بلهيبها
لو كان يمكنني الرقاد لحقته

فخري بك نامي

هو ابن محمود باشا حاكم بيروت مدة ابرهيم باشا المصري ووالدته من زوجات محمد علي جد العائلة الخديوية عرفتهُ في بيروت كما اقول هذا هو الصدق المتجسد وهو الغني الشريف الكريم لطيف ظريف ذو عقل ذكي اول من حافظ عَلَى ادبياته تعين رئيساً لبلدية بيروت وعمل حديقتها من جيبه الخاص يحب التنظيم في الاشغال بدقة يخرب ما عمل ولو كلف مبلغاً متى وجده مخلاً بنظام الهندسة او الذوق تعين متصرفاً الى نابلوس ثم استعفى وانقطع الى تربية اولاده وهما احمد بك ومحمود بك الذي توفي في حياة والده وابقى لهُ الحزن الدائم

وافضل فضيلة في فخري بك هي الصدق لا يمكن يكذب آه لو اقتدى به كل غني لان اذا كذب الفقير او المحتاج او الضعيف بعذر ولكن انت ايها الغني فما هو عذرك ومن المستحيل الكمال عند الفقير نظراً لاحتياجاته لان لا يكون الانسان كاملاً ظاهراً و باطناً ما لم يكن مستوفياً احتياجاتهِ والقوة تلزمهُ لحفظ ادبياته ولكن انت ايها الغني وقد انعم الله عليك باهم شيءٍ وهو استيفاء احتياجاتك لماذا تكذب لماذا لا تكون كاملاً وتعطي مثلاً الى من هو اصغر منك فلذلك اذا كان الفقير يبقى في المطهر عشرة ايام لاجل كذبه يلزم ان يبقى فيه الغني لاجلها عشر سنوات ولهذا قال السيد المسيح اهون ان يدخل الجمل في خرم الابرة من ان يدخل الغني ملكوت السموات ولو كان في زمن فخري بك لكان اوسع لهُ خرم الابرة ولكن اقول يوجد

اغنياء في زمن فخري بك لو نظرهم المسيح لوجد خرم الابرة واسعاً لدخولهم حاصله هذه صفات فخري بك

(نادرة مع وكيله) هو الذي كان يدبر بيت فخري بك ويخاف من مداخلة الغير معهُ فلذلك كان يعبس بوجه الجميع حتى ينزع امنية البك منهم وكان فخري بك يكرم احد الاشخاص ووكيله يتضايق منهُ ففي ذات يوم ونحن جلوس بعد ان اجريت العلاج اللازم لعيون البك تقدم اليَّ الوكيل واراد ان يمزح معي وقال لي انظر المرض الذي بعيني قلت له لا دواء لعينك لانها ضيقة فضحك الجميع لان العين الضيقة في عرف العوام لا تطيق سواها واخيراً توجه فخري بك الى الاستانة العلية مع عائلته وهناك جرت لهُ قصة غريبة

« قصته في الاستانة العلية

عندما رجع الى الاستانة العلية وكان قد سكنها قديماً سأل عن كل اصحابه الذين عرفهم اول مرة خصوصاً عن جار كان يعتبره كثيراً فقيل لهُ انه توفي وخلف ولداً غير مستقيم الاطوار بدد اموال ابيه واضحى محتاجاً فطلبهُ وكان شاباً عمره خمس وعشرين سنة وطيب خاطره وعزاه وقال لهُ اعتبر هذا البيت خاصتك واحضر اليهِ متى شئت فصار يتردد عليه وامتزج خصوصاً مع ولده الصغير . وكان الشاب ذكياً جداً تعلم صنعة خفة اليد التي كانوا يسمونها قديماً سيما او سحر وفي احد الايام قال لابن صاحب البيت انني اعرف سراً عجيباً وهو كشف الكنوز وهذا الامر لا يظهر الا عَلَى فص من الالماس! متى احببت اريك هذا الامر عياناً اجابه انني لا امتلك عَلَى الماس ولكن لوالدتي حلى كثيرة فان اردت ناخذ منها الفص اللازم قال الاوفق ان تأتي بقطعة الحلى وناخذها الى الصائغ ونختار منها الفص الموافق ونعيدها دون ان يشعر بنا احد وتوافقا عَلَى هذا الامر وصار الشاب ياخذ الحلى الى الصائغ فيستبدل الفصوص الكريمة بزجاج كاذب و يعيدها قائلاً ان لم يوافقهُ منها شيء وهكذا حتى انتهى عَلَى سائر الحلى ولم يعجبهُ عَلَى زعمه فص منها . وفي ذات يوم ذهب صاحب المنزل فخري مع ابنته وكانت لابسة حلقاً ثميناً الى السوق فخطر لهُ ان يستبدل حلقها باحسن منها

فمر على احد الصاغة وطلب منه حلقاً نفيساً فاراه جملة اشكال اختار منها واحداً وقال للصائغ انني اريد استبدال حلق فتاتي بسواه اكبر منهُ وادفع الفرق فقبل صاحب المخزن واخذ الحلق ليمتحنه فرآه من زجاج لا يساوي شيئاً فاخبره بما رآه وكاد الرجل ان يجن لهذا الخبر فتوجه الى المنزل وسألها هل الصائغ في بيروت ابدل حلق ابنتك بسواه اجابت كلا لاننا لم نرسله الى بيروت وكشفت عن باقي حليها فلما رأتها كلها مغيرة بزجاج اغمي عليها لان حليها كانت تساوي نحو ستة آلاف ليرا فاحتار الجميع بكيفية هذا التبديل · غير ان الانسان اذا وقع في مصيبة يقل عقله ويصير يعتقد بالخرافات فطلب مبصرة حتى تكشف له هذا السر ليصدق به المثل ما تبقى عن اللص باخذه المبصر غير انهم اعتمدوا على هذا الراي واستحضروا امرأة ارمنية ارتدت لباساً مخيفاً وجلست في الدار واحضرت امامها كل اشخاص المنزل من الاولاد حتى الخدم وابتدأت تحرق البخور وتدمدم بكلام غير مفهوم اخيراً نهضت وقالت ان الذي اجرى هذا الامر سينشق بطنه بعد نصف ساعة ان لم يعترف بعمله وابدت حركة مخيفة فخاف الولد جداً ولم يمكنهُ ان يحتمل هذا التهويل فركض الى حضن والدته وابتدا يبكي ويقول لها انا يا امي فعلت ذلك فلما سمع الوالدان هذا الكلام زادت مصيبتها لانهما عرفا ان السارق هو ولدهما وسألاه فاخبرهما القصة بتمامها وتوجه الرجل واخبر البوليس بما توقع لولده غير انهُ عجز عن الاثبات وذهب حقه ضياعاً اخيراً حرر على ولده بكبيالة بستة الاف ليرا لامر والدته لانه المذنب الحقيقي بعد ذلك توجه الى مصر حيث كان له املاك وقد اخبرني هذه القصة عطوفتلو منصور بك شتوان مستشار نظارة المالية في الاستانة العلية حين اتى الى بيروت لاجل بقايا الاموال الاميرية وهو قد رافق البك الى دائرة البوليس حين ذهب للتشكي وله به معرفة تامة ومن جملة المصائب التي المت بفخري بك ان ولده محمود بك توفي بحياة والديه وكان ذكياً محبوباً جداً رحمه الله رحمة واسعة وهو الان قاطن بيروت

(توصية باحد الكذابين) طلب مني اكبر الكذابين ان اوصي به صديقاً لي قادراً على توظيفه وان اشهد به انهُ صادق امين فخطر لي ان احرر له هذين البيتين

موصل شقتي بالصدق يملو ويكتم صدقه حرصاً عليه
فلو عاشرته ستين عاماً ابى اخراجه من شفتيه

فافتكر اني امدحه بكتم السر فاخذ الشقة لصاحبي الذي ضحك منها جداً ووعده ان يرى له وظيفة على شرط ان يبطل الكذب فوعده بذلك ويظهر انه انجز وعده لانهُ باق عنده او انه لا يكذب عليه فقط وكان مثلها مثل رجل قدم الى صديقه شخصاً وقال لهُ اني اقدم لك اعظم المنافقين اجابهُ هل ينافق معنا او علينا قال معنا اجاب لا باس اذاً وهذا ما يضطر اليه الانسان احياناً حين ينقطع عنهُ الصادقون

واصا باشا متصرف لبنان الرابع

من ١٨٨٣ ال ١٨٩٢

من اصل ارناوطي حضر متصرفاً على لبنان وكانت معهُ زوجته الاولى السيدة كاترين ارثوذكسية وكانت مصابة بداء السرطان توفت في بيروت ودفنت في الحازميه وهناك قبرها وكانت معه ابنته زوجة كوبليان التي توفت بالسل الرئوي ودفنت في الحازميه بجوار امرأة والدها وقد اخذ زوجتين ولم يرزق ذكراً واخيراً تزوج بمدموازل ريش افرنسية الاصل ورزق منها ولدين ذكوراً وها الان مخائيل بك واخيه ولهما ولوالدتهما معاشاً من الدولة وقد حضروا في سنة ١٩٠٧ الى سوريا ونزلا عند الخواجه حبيب الدوماني وكيل املاكهم في الدامور وقد احضر واصا باشا معه اخا زوجته كاترين بوناطي افندي الذي تسمى مفتش العسكرية وكان شهماً عفيفاً اديباً لطيفاً توفي في السل وكذلك احضر معه طبيباً رومياً وبعد مدة اختلف معه بعد ما جعله طبيباً اولاً في لبنان فاستعفى ورجع الى بلاده واخيراً توفي واصا باشا في بيروت ودفن في الحازميه بين زوجته الثانية وابنته ولم يرجع من من اتوا معه حياً الا صهره كوبليان الذي لعب ملعباً عظيماً مدة حكم واصا باشا فلذلك نذكر عنه شيئاً خصوصياً

« كوبليان افندي صهر واصا باشا »

هو الذي سود ادارة لبنان مدة واصا باشا وابقى لها اثرًا قبيحًا ولولاه لكانت خير ادارة لانها تكونت من رجل شهم بطل صادق العثمانية شجاع كريم الاخلاق والنفس وهو واصا باشا ومن رجل ماهر في سياسة البلاد وهو ناصيف بك الريس الذي كان لا يمل من الشغل والتعب وجامعًا شؤون المتصرفية بدبرها بمهارته وجاعلاً لها مقامًا عظيمًا اما كوبليان فما كان يعرف غير الدراهم ولا يعمل مصلحة الا بالمال وقبل ان اشتهر بهذا الامر ارسلت بحقه رسالة الى الاهرام هذا نصها

تنين لبنان

ظهر في لبنان تنين قصير القامة اسمر اللون ذو لحية سوداء ينظر الى جميع الجهات في آن واحد لا يأكل لحمًا ولا نباتًا بل معدنًا وخصوصًا معدني الفضة والذهب ويجوب لبنان بالطول والعرض ويستخرج المعادن من الجيوب لا من الارض اذا اكل ضحك ولعب ومسح شاربيه وفرك يديه وبالعكس اذا لم يقدم له الطعام هاج وماج ورفس الارض برجليه لم يظهر حيوان مثله في الكون وقيل انهُ من الحيوانات التي ظهرت قبل الطوفان لان عندما جمع نوح عليه السلام الحيوانات في الفلك وطاف على وجه الماء استقرت السفينة على جبال اراراط في ارمينيا فخرج هذا الحيوان قبل الجميع نظرًا لشراهته وفلت من السفينة وبقي في بلاد ارمينيا فنسأل دولتلو واصا باشا ان يقي البلاد منه وله من اهلها الدعاء والممنونية

ولما ظهرت هذه الرسالة في الاهرام نفقت كل نسخها ووصلت النسخة الى فرنكين وترجمت الى كل اللغات وكل القناصل طلبوا منها نسخًا وترجموها ولما سمع بها حمدي باشا الوالي وتليت عليه استلقى على قفاه من الضحك وقد نسب لي هذه الرسالة وابتدت العداوة بيننا بحيث كان المأمورون اللذين ينقلون لي الاخبار عن كوبليان ويدفعوني لنشرها اول من ابعدوا عني حتى لا يظن بهم شيئًا هذه احوال البلاد في ذلك الوقت عرفت ما هم اهل بلادنا وصرت اصادق كل متصرف اتي

« الدعاوي عليّ »

وعندما تخاصمت مع كوبليان وادارته جددوا عليّ دعوتين احدهما من ابن خالي سليم بك ناصيف وهي دعوى ماء لي في ارضي ادعى انها له فاخيراً قامت الشريعة في جزين وحكم له سليم افندي باز فيها لان وكيلي عمل تناقض وبلغني الحكم وعملت له الشعر المشهور سنذكره في مجمع الحشرات ثم استأنفت وخسر الدعوى ابن خالي واخيراً تصالحنا

والثانية دعوى حرش وفي هذه الدعوى ساعدني كوبليان بواسطة لاينت قبل قنصل جنرال دولة فرنسا وبعدها تصالحت مع كوبليان ودايرته وبقينا اصحاب الى اخر المدة وفي اثناء ذلك دخلت في حماية فرنسا كوكيل لدير راهبات مار يوسف

« كيفية الحماية »

حررت ريسة الراهبات الى القنصل الجنرال تطلب اني اكون وكيل الدير وكان القنصل بتريمونيو والترجمان الاول مسيو روسو الذي هو الان قنصل فرنسا في بالرما ايطاليا فحرر القنصل الى السفارة التي طلبت ذلك من الباب العالى فارسلت الصدارة تطلب الاستعلام من الوالي الذي كان يومئذ حمدي باشا وذلك قبل انفصال بيروت عن الشام والمتصرف في بيروت نصوحي بك الذي عندما انا اصلح هذه المسودة قرأت في جريدة لسان الحال انهُ تعين سفيراً للدولة في ايران فبعدما فحص نصوحي بك لان مأموريتي في بيروت عني من جميع الدواير ان كان للطابو او من الضابطة اذا كان يوجد عليّ دعوى او اموال اميرية او خلافها ولما لم يجد شيئاً يمنع قبلت الدولة العلية حمايتي وظيفتي هذه وقد حرر نصوحي بك الى القنصلاتو بقبولي من حمايا دولة فرنسا وتقيد اسمي في دفتر الحمايات عند مدير الامور الاجنبية الذي كان يومئذ رجل فاضل عظيم يوسف افندي عرمان

ولما بلغ الخبر واصا باشا اعترض الى الباب العالي واخيراً عرف سبب اعتراضه ولم يقبل وكذلك السفارة استخبرت من قنصلها فكان موسيو روسيو الذي حرر تحريراً عظيماً بحقي بتاريخ ٢٥ تشرين ثاني سنة ١٨٨٥ نمرة ٣٥ بسجل القنصلاتو وكذلك نصوحي بك عمل مظبطة عظيمة بحقي انني من اصدق العثمانيين وان لا عَلَيَّ شيء

يوجب رفض حمايتي وهكذا انتهت

وعندما كنت في دعوى الحرش في جزين كان قائمقامها قسطنطين بك الخازن الذي هو اشطر سياسي لانهُ بقي طول عمره الذي هو ٩٥ سنة لا احد يعرفه من اسهم غرض مستقيم عفيف عديم الاذى مع انهُ كان تقريباً امياً وقصة لحل محل اي لحل محل مشهورة عنه وكان رئيس المحكمة ذيب افندي صفا وكان رجلاً لطيفاً عالماً لا يحب ضرر احد بل يساوي كل شيء بالصلح وهو الذي دخل بيني وبين ابن خالي سليم بك ناصيف في دعوى الماء وصالحنا وكذلك قد مشى العدل في دعوى الحرش وكان سليم بك ناصيف ابن خالي من المساعدين لي

والعضو الذي كان مع الرئيس اسمه حسن وكان يحبني جداً وانا كذلك وكان يحب دائماً المزح معي وقد حصل لي معهُ النادرة الاتية

(نادرتي مع حسن) لما كنت في المحكمة والقاضي يستمع الشهود وانا جالس بناحية منزوية ارسل لي حسن ورقة يقول فيها انهُ حاصل له حريق عند البراز ويخرج معه قليل من الدم فبدنا ماذا نعمل له بلا رزاله فاجبتهُ بلغنا مرضكم ولا شك ان ما بكم هو من البواسير لان الحريق مع الدم يدلان عليه وهو يشتد معكم متى كانت المعدة قابضة ففي هذه الاحوال الحزاء حسن . وكان اسمه حسنا فحين قراها ضحك ولعن كاتبها

(نادرة مع العضو الثاني) لما انصرفنا من المحكمة قابلني العضو ودعاني الى منزله وسألته اين هو قال فوق مار مارون بجزين وكنا عندئذٍ على النعصة فقلت له يا صاحبي لو كان مار مارون بذاته دعاني الى هناك لما توجهت لان المحل عالي وطلعته مخيفة قال ان اخي هناك يريد مقابلتك اجبته اقرءه السلام قال وما توصي له قلت لا شيء والح عليَّ بما اوصي له فقلت اه لما ضجرت منه قبل قفاه فضحك وسر الجميع من هذا الجواب

بعد ما رجعت كانت زوجة كوبليان ابنة واصا باشا قد توفت ودفنت في الحازمية حيث دفنت قبلها خالتها امرأة ابيها السيدة كاترين التي توفت بداء السرطان وقد

حضرت مأتم امرأة كوبليان التي كانت عفيفة الذيل جدًا متهذبة متعلمة لا تحب الكدر وتكره اعمال زوجها وقد رزقت منه ابنتان كان جدهما يحبهما جدًا وكثيرًا ما كانت توبخ زوجها على حبه الرشوة

(نوادر كوبليان) حضر الشيخ رشيد الى كوبليان برجوه لتوظيف مدير فطلب منه مايتي ليرا وابى الشيخ ولما لم يتفقا قام الشيخ ليذهب وقبل خروجه قال له كوبليان يا شيخ رشيد بلغني ان كاتب المحكمة يرتشي فانتبه لهُ فقال لهُ الشيخ رشيد وماذا كنا نعمل الان عندك يا افندي فضحك كوبليان وسكت

(نادرة اخرى) كان احد المأمورين مشغوفًا بحب احدى النساء ويعزها كثيرًا فعرف كوبليان قصته وفي احد الايام حضر ذلك المأمور الى بيت الدين وقابل كوبليان فقال له صدر اليوم امرًا لجنابكم بنفي امرأة في بلدكم وابعادها فهل لم يصلكم قال كلا ومن هي هذه الامرأة اجاب كوبليان هي التي تدعى لا لا لا طي طي طي فـه لطيفه فرجف المأمور وقال ولمَ ذلك ياسيدي قال لان الجميع يشكون منك وانك بصفتك مدير تترك الاشغال وتقيم عندها ليلاً ونهارًا ودولة المتصرف نظرًا لخاطرك لا يريد عزلك لذلك امر بنفي الامرأة الى المتن فسأله اذا كان الامر قد صدر ام لا فاجابه سيصدر عصاري اليوم واسرع المأمور يسأل بعض المقربين وكانت المسألة مربوطة معهُ فاجابه هذا بما وافق قول كوبليان اخيرًا اخذ المامور بيده خمسين ليرا ودفعها الى كوبليان كي لا يصدر الامر بنفي خليلته وهكذا ربح الخمسين ليرا غنيمة باردة

وقلت في امير كان صاحبي وعاداني عندما توظف

سعيد في رئاسته على نواب لبنانِ
بحقٍ قد وجدناه اميرًا ما له ثاني

عندما وصلت له علقها وانشرح منها وعندما فسرها لهُ بعض اللذين اخبرتهم معناها الاصلي خزقها ولعن قايلها

ذكرت انهُ في سنة ١٨٨٤ بسبب مرض ولدي المرحوم يوسف قضيت فصل الصيف في بلدٍ وكانت جميع افراد اسرتها الاشراف اصدقائي فلما اتيت مع ولدي المريض

حضر الجميع يعرضون على مساعدتهم الا واحد اسمه شبل لانه افتكر حسب الطريقة القديمة ان يجب على زيارته اولاً وفي اخر الصيف حررت الابيات الاتية

لكم يا بني الاسياد في الناس رتبة ... فما احد من فوقها ابداً يعلو

فانتم اسود الغاب في حومة الوغى ... واعلاكم سبع وادناكم شبل

والشبل هو ابن الاسد

(خليل جدعون) وقد نظمت له هذين البيتين

فغيرك يدعي عوناً لخلٍ ... ولكن عند جدٍ لا يكون

خليل انت لي في كل حالٍ ... وحقاً انت لي في الجد عون

وقلت في خليل بك عيسى

لقد حبتك كل الناس طراً ... للطفٍ قد غدوت به انيسا

ومثلي الانبياء هوتك ايضاً ... لذلك قد دعوك خليل عيسى

(السيدة سلمى) فمررت يوماً لازورها في مصيفها في عيناب فارتني عينيها واخيراً لفت ورقة واعطتني اياها نظير اجرة ففتحتها ورايت فيها نحاسه فضحكنا وقلت لا بد لهذه من شعر فارتجلت

ونحاسة حاكت خدود مليحة ... في لونها وحكت صلابة قلبها

مذ نلت منها الصلب نفسي ايقنت ... ان عن قريب قد افوز بقلبها

وقد توفت المسكينة بداء الجدري في بيروت رحمها الله اما زوجها فلم يزل حياً

(الدكتور بشاره) من عادة اهالي بلادنا انهم اذا راوا مريضاً موجوعاً يتراكضون من كل ناحية يحثون على الاطبا. فصادفت يوماً ما رجلاً مصاباً بداء السداد طلبوا له الحكيم الاول فاجرى له اللازم وقبل ان يأخذ الدوا مفعوله طلبوا له الثاني والثالث وهكذا احضروا له ستة اطباء تلك الليلة ولكن في هكذا احوال قل من يأخذ اجرته واخيراً حضر طبيب اسمه بشاره وكان المريض قد استوفى كل الوسائط فلما وصل الطبيب بشاره غاط المريض وارتاح فنسب اهله شفاءه الى هذا الطبيب مع انه لم يجرِ له شيئاً فقلت فيه

مريض بالسداد غدا مصاباً ... ولم تظهر لصحته اشاره

ولما اقبل الاسى عليه　　فغاظ وكان غائظه بشاره

(المحامي حنا) هو رجل يحب التزوير في الدعاوي واشتهر به مع ان هذه الصناعة انما هي لتحصيل الحقوق التي هي اعز من النفس لان الرجل لو كان ذا مال واقيمت عليه دعاوي تزويرية حتى افتقر لفضل الموت عَلَى هذه الحال واغلب الذين حل بهم الخراب هم من هذا القبيل وقد قيل في الامثال الفرنساوية الصلح الردي خير من الحكم الحسن وكان هذا المحامي شهيرًا بتزويره

فصيح عالم التزوير طبعًا　　يرينا كل يوم منه فنا
يعادي كل ذي حق بدعوى　　ولكن حيث كان الفلس حنا

فنظمت هذين البيتين لجريدة المصباح

فاذا ذهبت الى الكنيف فاحترس　　من ظلمة خوفًا من الاشباحِ
واذا اردت ان تبرز آمنًا　　مطمئنًا برّز عَلَى المصباحِ

حبيب بسترس الصغير

هذه الاسرة اشرف امرات بيروت قديمة العهد والغنى وهي الوحيدة التي كانت منذ خمسين سنة وقد ذكر عنها الشيخ ناصيف البازجي الشاعر الشهير بابتداء شعره وذكرها نقولا الترك الشاعر الذي كان في زمن الامير بشير الشهابي فاجتماع الشعراء عَلَى مديحها دليل عَلَى قدمها في الاعتبار ولم تزل حتى اليوم معتبرة بالغنى والجاه واستمرت محافظة عَلَى مقامها العالي واللذين عرفتهم من هذه الاسرة هم من خير رجال الوطن واثباتًا لقولي اذكر بعض ابيات من قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي رثى بها موسى بسترس الذي توفي سنة ١٢٦٦ هجرية التي مطلعها

ما بالـــ موسى بلا سمع ولابصرِ　　فلا يجيب الذي يدعوه في السحرِ

الى ان يقولـــ

ياصاحبي زر ثرى موسى الكريم وقل　　يا اكرم الترب هذا اكرم البشرِ
هل كان قبلك من رمس ترابية　　امسى ضريحًا فاضحى منزل القمرِ
اتاك تابوت موسى في محافله　　يبقى كتابوت عهد الله معتبرِ

من كان يعلو سروج الخيل مذهبة ... قد زارك اليوم بالالواح والدثرِ
من كان اقرب اهل الارض منفعةً ... وكان ابعد اهل الارض عن ضررِ
القائل الحق في سر وفي علنٍ ... والفاعل الخير في صفو وفي كدرِ
وكلما ازداد مالاً زاد مكرمةً ... كالدوح ما زال غصناً زاد بالثمرِ
وكلما ازداد من مالٍ ومن شرفٍ ... زادت وداعته في القدر والقدرِ
قد خط في قلبه ما كان منتقشاً ... في كف موسى على لوح من الحجرِ
مشى على سنن الخيرات من صغرٍ ... حتى استمد فكانت عادة الكبرِ
ما ذم قط ولا ذمت خلائقهُ ... يوماً فمات حميد العين والاثرِ
يبكيه كل يتيم كان يحسبهُ ... اباه وهو الذي رباه من صغرِ
وكل ذي حاجة من كل ذي املٍ ... وكل ذي فاقة من كل ذي وطرِ
ركن تهدم في بيروت فاندفعت ... اهوال صعقته في المدن والخبرِ

فيستدل من هذه القصيدة انهُ كان رجل زمانه لان الشعراء لا تمدح الا من كان مشتهراً في المجد والجاه والادب وبرهاني على صدق قولي من هو موجود من سلالته اذ قيل من ثمارهم تعرفونهم . وقد عرفتهم كلهم في بيروت واول من عرفته حبيب الملقب بالصغير تمييزاً له عن حبيب الكبير

عرفت حبيب الصغير وهو بسن الخمسين من عمره وكان ذكياً ثابت الجاش مدبراً تعلم معظم ما يعرفه من نفسه لانه كان امياً فتعلم العربية والفرنساوية واليونانية وكان مع شغله التجاري يحب العلوم خصوصاً التاريخ ومتى سمع برجل زكي يزوره ويتعرف عليه ويعاشره وكان يدبر ماليته احسن تدبير حتى انهُ خلف ثروة عظيمة وكان يجمع الاصحاب الى بيته ويدعوهم للاكل وفي احدى الليالي دعا جملة شعراء وادباء منهم ابرهيم بك كرامه ابن المرحوم بطرس كرامه الشاعر الشهير وقد كلفوني ان امدح صاحب الدعوة فارتجلت هذين البيتين

لا تظنوا خالفنا للهجو وعداً ... وانتقلنا الى المديح المقصيب
قد عشقنا فضل الحبيب لهذا ... اعذرونا على مديح الحبيب

وكنت اضطر اغلب الليالي لقضاء السهرة عنده واعزه جداً ففي احد الايام كان

عرس ابن عمه وجاره جرجي افندي بسترس ابن الخواجه حبيب الكبير وكنا مدعوين لهذه الحفلة وفيما انا آتٍ بالعربة فلما وصلت الى زاروب الحراميه التقيت بالامير سليم سعيد من بيت مري فاوقفني وقال لا تذهب للفرح فسألته عن السبب فاخبرني ان حبيب الصغير توفي فجأة· ولا استطيع اصف الغم والكدر اللذان المّا بي لما سمعت هذا النبأ فبقيت جامدًا في مكاني وصرت ازرف الدمع السخين ثم ذهبت الى منزله فرأيت الحبيب ملقيًا لا حراك به وحتى الان لم اكن مصدقًا وفاته ولا اعلم اين ذهب ذلك العقل الفريد فبكيت عليه كانه والدي وكان الاسف باديًا عَلَى الجميع وابتدل فرحهم الى ترح وكان المرحوم حبيب مصابًا بداء القلب مع ربو فالظاهر انه تضايق من القلب وقلة التنفس فاصابهُ ما اصابهُ في شهر حزيران سنة ١٨٨٦

(السيدة زاهيه مدام هنري كلياردو)

هي السيدة التي عاشرتها اكثر من سواها بسبب صداقتي مع الموسيو هنري كلياردو والترجمان الاول في قونسلاتو فرنسا فهذه السيدة كانت انموذج السيدات والزوجات فصيحة لسنة اتقنت اللغة الفرنساوية حتى كانت لا تميز عن افرنسية محبوبة من الجميع لطيفة المعشر كريمة النفس تحب الناس شفيقة عَلَى الفقراء تحب مساعدة المحتاجين لينة الطباع مع الجميع تقية نقية عفيفة بشوشة الوجه بمغرمة بالشغل لم ازرها مرة الا وارى الشغل في يدها وقد اتقنت اخيرًا فن التصوير الشمسي وتولعت به حتى صارت تعد احسن مصورة وقد ذهبت مخصوص الى تدمر وهي المدينة التي اشتهرت بزمن زينوبا ملكتها وهي اول امرأة وطنية زارت خرائب تلك المدينة فكأن زنوبيا قد عادت اليها بهذه الزيارة

(نادرة معها واشعاري لها) كان شكري افندي ايبلا يتردد عَلَى بيت كلياردو لان الموسيو هنري كان اصله من صيدا وكنت اتوجه معه للسهرة هناك وفي ذات ليلة طلب مني امامها ان انظم لها بعض ابيات فمن مزيد اتضاعها قالت لست استحق المديح بشيءٍ غير انني ارتجلت هذه الابيات

قصد المديح بيان كل فضيلة	خفيت عن الدنيا لتعلم ماهيه
عبثًا تهيم بمدح مَن من اصلها	فيها الفضائل والمكارم زاهيه

ان شئت تعداد المحاسن اختشي من ان تضيق عَلَى مديحي القافيه ١٩٠٦

واراد شكري المزح فقال ان الشعراء لا يصدقون وكل ما قلته عنها غير موجود فيها وكان ذلك مزحاً امامها فاجبته حالاً

نعم ان شعري في الانام حقيقة فلا احد في الكون يسطو عَلَى فكري
ولست لغير الحق يوماً بشاكرٍ وان قلت غير الحق فليلعنوا شكري

فعلت ضجة الاستحسان والضحك خصوصاً من شكري لانه لطيف جداً ومن اسرة معتبرة وصديقاً حميماً لي من صيدا وقد تزوج سنة ١٩٠٣ ابنة المرحوم بشاره الهاني وقد نظرته معها في باريس وقد اصيبت الست زاهيه بمصائب شتى في اخويها جرجي الذي توفي بغتة وباخيها ميشل غرقاً وباقي لها الشاب اللطيف جان وللمرحوم سليم دي بسترس ولدان احدهما موسى وهو شاب لطيف ظريف من احسن شبان عصره عرفته في الاسكندرية اما الشاب الذي فاق اقرانه بالكرم والجود واللطف والظرف هو الخواجه ادوار ابو راجي بسترس الذي تفتخر به سوريا عَلَى مصر لا بل عَلَى كل اهل عصره وكذلك اخوه البر والخواجه جبران بسترس فانهم من الاغنياء الاماجد

(نادرة مع شاعر حديث السن) في ذات يوم عند الظهر كنت جالساً في بيتي اتناول الطعام فدخل عَلَيَّ الى غرفة الاكل والد هذا الشاعر وكان يفتخر به وقال عجل في طعامك لان ولدي الشاعر ينتظرك وان تأخرت يهجوك قلت هذا ما اريده وارغبه فذهب وبعد قليل رجع ومعهُ هذين البيتين

هذا الذي بكلامه ذم الاكابر والاصاغر
ما انت الا قادح كذب الذي سماك شاكر

وهذان البيتان قالهما احد الشعراء الى جابر الذي ظهر بايام الخلفاء العباسيين والف كتاباً في الكيمياء فجربوا عملياته ولم تنجح فامر الخليفة بضربه لكذبه فكتب له احد الشعراء ما يأتي

هذا الذي بكتابه غش الاوائل والاواخر
ما انت الا كاسر كذب الذي سماك جابر

ففيرهما ولا عتب عليه بالنظر لسنه فاتي بهما والده وهو جذل مسرور فقلت لهُ خذ الجواب وكتبت

هذا الدب مع صغره   عمل الكبائر والصغائر
لا شك اني كاذب   ابداً لهُ ان كنت شاكر

فضحكنا وبقينا اصدقآء

(فريد بك) قد كثر المتلقبون بهذا اللقب حتى صرت ازدري بهم فيكون كالهر يحكي انتفاخاً صورة الاسد وكان من جملتهم فريد بك ولست اعرف كيف لقبوه به مع انهُ لم ينل الا الرتبة الثالثة ولقبها رفعتلو فنظمت لهُ البيت الآتي

لما اتت للبيك ثالث رتبة   رفعت الى العلياء نقطة رأسه

(لا تطرحوا) كنا ذات ليلة مجتمعين نتناشد الاشعار والحضور مسرور بن يسمعون اشعاري وانا مسرور لسرورهم وحكمهم عَلَى اشعاري واذا بواحد قال مع رفقائه البلدآء دعونا من الاشعار ولنلعب بالورق فتكدرت وقلت لهم اسمعوا هذين البيتين وهما اخر ما اسمعكم اياه وارتجلت حالاً

ولقد حفظت عن المسيح وصيةً   وهي التي لا تحقدوا بل اصفحوا
وعصيته في طرح شعري بينكم   يا ليتني قد طعت في لا تطرحوا

وهي الاية الانجيلية لا تطرحوا جواهركم قدام الخنازير فضحك الذين يفهمون وطلب اللعب سواهم

(لعب القمار وتأثيره)

ينسى المدمن عَلَى لعب القمار كل لذة خلافه ولا يتبع عادة سواه فيترك العلم والادب والمسامره وكل لذة عقلية ويصير وحشياً بالكاد يرد السلام او يتكلم ففكره دائماً في كدر ان ربح خشي من الخسارة وان خسر خاف من الزيادة يصغر عقله حتى يصير يعتقد بالسعد والنحس وان رأيتهُ خسراناً تراه يجلس ثم يقوم ثم يقلب الكرسي ويخرج قليلاً ويصنع حركات مضحكة ومن طبعي بغض هذه الالعاب .

والذي يلعب القسلي يخسر دائماً لانهُ لا يحصر فكره بالربح خلافاً لمن يجعل القمار صناعته وهذا ما اصاب هولاء

(كسر الجفون) تغزلت يوماً بكسر الجفون وكنت احياناً انظم الشعر غير قاصد شخصاً معلوماً بل لاجل المعنى وعذوبته او لحادثة جرت فقلت

فؤادي مع جفونك في عراكٍ   وما احد تمتع بانتصارِ
ولكن الكفاح غدا سواء   فها قلبي وطرفك بانكسارِ

وقد ذكرت هذين البيتين في كتابي صحة العين بباب التغزل وما قيل في كسرها

(القس بطرس) كان هذا القسيس خادماً عند احد الذوات المعتبرين الذين كنت ازورهم ويخدمه بكل شيء فتكدر منه معلمه وطرده فذهب ودرس اللاهوت بثلاثة اشهر وسيم قساً باسم بطرس وطلب مني تاريخاً لرسامته او شعراً لهُ

ساموك قسيساً لترشد انفساً   من حيث انك كامل الاوصاف
فلاجلك الانجيل جاء بآيةٍ   يابطرسُ ذا اليوم إرعَ خرافي

من كلمتين

(رواية الوردتين للمعلم عبدالله البستاني)

وهي الوردة البيضاء والوردة الحمراء وهي الحروب التي جرت بين الملك ادوار واقاربه فاتخذ كل حزب وردة شعاراً لهُ وقد سكب هذه الرواية في قالب شعري بديع ولما مثلت كنت من الحاضرين وكان الشعراء يقرظونها عقب كل فصل وكثر المقرظون حتى لم يبقَ وقت لاستماع الرواية فلكي ادع حداً لاقوال الشعراء نظمت هذين البيتين وقلتها فكانا ايضاً تقريظاً للرواية

رواية الوردتين اليوم قد ظهرت   فقرظت كل تقريظ كتلبيخ
لا شك في ان ذا التقريظ ينفعها   لا بد للورد من ذبل لتسبيخ



المستخدمون مدة واصا باشا

(المحاسبه جي) هاشم افندي

(دائرة الجزاء) نسيب بك جنبلاط ١٨٨٣ : ١٨٨٤ قاسم بك العماد ١٨٨٤ : ١٨٨٨ ملحم بك تلحوق ١٨٨٨ : ١٨٩٢

(دائرة الحقوق) الامير نجيب شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٤ بطرس بك كرم ١٨٨٤ : ١٨٨٧ الامير نجيب شهاب ١٨٨٧ : ١٨٩٥

(مدير دير القمر) قسطنطين بك الخازن ١٨٨٢ : ١٨٨٦ الامير مسعود امين ١٨٨٦ : ١٨٨٧ قسطنطين بك الخازن ١٨٨٧ : ١٨٩٣

(مجلس الادارة) الامير سعد شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٧ الامير افندي شهاب ١٨٨٧ : ١٨٩٩

(مدير البوليتيك) كوبليان ١٨٨٣ : ١٨٩٢

(الترجمان الاول) اسكندر بك التويني

« رئيس القلم الاجنبي » كوبليان · دياب افندى

« ترجمان » الامير مالك شهاب ١٨٨٤

« رئيس القلم التركي » ناصيف بك الريس ١٨٨٤ : ١٨٩٢

« رئيس القلم العربي » حنا بك ابو صعب ١٨٨٤ : ١٨٨٧ خليل بك الخوري ١٨٨٧ : ١٨٩٠ حبيب بك سعد ١٨٩٠ : ١٨٩٤

« قلم الاوراق » ابرهيم افندي ذيب ١٨٨٣ : ١٨٨٤ ملحم شميل ١٨٨٤ : ١٨٨٥ اسكندر شميل ١٨٨٥ : ١٨٩٢

« قائمقام الشوف » نسيب بك جنبلاط سنة ١٨٨٤ : ١٨٩١

« قائمقام جزين » الامير نجيب شهاب ١٨٨٤ : ١٨٨٤ الشيخ رشيد الخازن ١٨٨٤ : ١٨٨٦ قسطنطين الخازن ١٨٨٦ : ١٨٨٧ الامير سعد شهاب ١٨٨٧ : ١٨٩٣

« قائمقام زحله » اسكندر الحداد ١٨٨٤ : ١٨٩١ حبيب بك لطف الله

١٨٩١ : ١٨٩٢

« قائمقام المتن » الامير يوسف علي ١٨٨٤ وتوفي الامير نجيب شهاب ١٨٨٥ : ١٨٨٦ الشيخ رشيد الخازن ١٨٨٦ : ١٨٩١ الامير يوسف اسماعيل ١٨٩١ : ١٨٩٢

« قائمقام كسروان » الامير قيس قعدان شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٥ الامير يوسف اسماعيل ١٨٨٥ : ١٨٩١ الشيخ رشيد الخازن ١٨٩١ : ١٨٩٣

« قائمقام البترون » الامير سعد شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٦ اسعد بك كرم ١٨٨٦ : ١٨٩٢

« محاكمة التاريخ لواصا باشا »

كان واصا باشا رجلاً لطيفاً يحب المعاشرة وهو من الشعراء الاماجد في الايطاليانية وهو مؤلف رواية عالم علامة لكنهُ لا يحب الشغل ولا يلتذ باشغال الجبل كالدعاوى وخلافها وليس لهُ جلد على هكذا عمل ورأى بناصيف بك الريس كل الشروط المناسبة لاتمام العمل ففوضهُ ولم يكن لكوبليان سوى المقاولات والقبض وكان واصا باشا عفيف النفس لا يقبل ولا يعرف رشوة وقد اكد لي ذلك نسيب بك جنبلاط الذي لا ينكر ذلك عن كوبليان وكان نشطاً جسوراً لا يهاب احد متى وجد ان الحق معهُ وكان اميناً جداً نحو الدولة وقد عمل اعظم الطرقات في لبنان اولها الطريق من عين عنوب الى بتدين واهمها واظرفها الطريق الحالية من دير القمر الى بتدين واعظم من هذا وذاك طريق نهر الكلب وراحة العالم من ذاك السلم وهو اول من عمل سرايات للحكومة مجاناً من الاهالي اولهم سراية بعبدا التي ابتدى بها ثم كملها نعوم باشا وكذلك سرايا جونيه وخلافها ومن بعده امتد هذا العمل ونظم الكراكونات وله جملة طرق ولكن هذه العمومية النافعة وكان جميل الطلعة وقد ابتدى بتأليف كتاب كان يقرأه لي عندما كنت ازوره وهو عشر سنوات في لبنان لا ادري ماذا جرى به وكانت افكاره شعرية بحيث ما كان يلتذ بكلما هو مادي يبغض دعاوي لبنان كريم النفس وبالاختصار شخصه عظيم ولكن وجود كوبليان وسخ حكمه وقد ابعدوه عنه الى الاستانة واخيراً ارجعوه لاجل خاطره لانهُ صهره وبالاختصار

ان حكمه نافع ذا اهابة لا يمكن لاحد التعدي عَلى حكمه وجعل كل فيئة في مركزها واخيرًا كان مصابًا في القلب فازداد عليه المرض وتوفي في بيروت في حارة جدي الذي توفى فيها فرنكو باشا بالمرض نفسه وقد حكم تسع سنوات ودفن في الحازمية

(الشاكريه)

هي قصيدة نظمت عندما اتى دور الوليمة اليَّ والى ناصيف بك الريس وملحم لان الاسماء الموجودة في القصيدة اجتمعت كما موضوع فيها وابتدت تعمل ولائم كل نهار خميس وكان احد الهيئة يدفع كل مرة فرنكين عن كل شخص الى اللوكاندة واخيرًا لكي يظهر البعض كرمه ابتدى يزيد عن الحساب المعتاد حتى وصل مصروف الوليمة الى عشر ليرات وكان صاحب الدعوة يجلس عَلى الكرسي اسمها كرسي الرياسة وكان دور الولائم حسب القرعة وقد اتفقت مع ناصيف بك وملحم افندي ان عند دورنا نقدم لهم القصيدة الاتية وهي

يا ايها الامراء بالاقطار ... والمكرمون ببذلةِ الدينارِ
ما منكم الاَّ اميرٌ ماجدٌ ... قد يحسب الدينار كالاحجار
جمعتكمُ حسن الخصال اخصها ... كرم يصب كصيب الامطار
«١» ان الشهابي ابتدا لا تعجبوا ... في بدئه بمكارم الاخبار
فاضت مكارمكم من النبع الذي ... اروى البلاد وكافة الاقطار
«٢» من بعده جاء السليم مسلمًا ... اياي في ايديكم كالقاري
لكن بدا لي بعد ذلك انني ... سلمت دون سلامة الافكار
لكن قنعت بقسمة قسمت لنا ... الاقدار يومًا من يدا الاشرار
وقنعت في اكل بسبط شاكرًا ... اشكاله مع رخصة الاشعار
«٣» جاء الشقير يحفنا بكنافةٍ ... فاستنكفت منها جيوب الجار
لكنه اهدى لنا احلى وقد ... جمع الكنوز لهيئة الحضار

١ وهو الامير سليم شهاب

٢ سليم شجاده اول من ادخلني

٣ اسبر شقير اول من اتى بالكنافة لانه دعي نسبب بك والدوماني

(١) قد زادها كرم الحبيب بخمرةٍ / قد التزمتنا للعنة الخمار
كانت عليّ قلب الذي لم يأتهِ / دور مسببة الى الاكدار
«٢» دارت بنا صرفاً فاضحى سرها / في شربها من احسن الاسرار
«٣» اما الرشيد فقد اضاع لرشده / فاتته غير معوض الاضرار
يهتز تيهاً عند مج كؤوسها / بشوارب تزري بذيل حمار
«٤» اما الامير امين في وعدٍ له / قد جماد بالاكرام كالاحرار
كرسي الرئاسة طوشت افكاره / سيقول عند حسابه ياباري
(٥) واسكندر جمع الفطور بجوده / ما لذ للاذواق والابصار
متبسماً لكنه في فكره / لعن الذي القاه في الاخطار
اما النسيب فكنز كل مكارمٍ / مغروسة فيه من الادهار
لو كان دعوتنا فطور سياسةٍ / لوجدت سمن الرز كالانهار
(٦) ووجود شمعون بشمع خيطه / لكن حماسته بدون قرار
كرسي الرئاسة عنده في منزلٍ / اعلا من الجوزاء والفرار
(٧) ان كان مسعود يقوم بوعده / فيكون منحوساً بقرب مزار
خير له ما لم يكن في اسمه / متكبراً يختار كل فرار
«٨» وابن الرئيس عن الرئاسة نازلٌ / بحقوقهُ لنسيبه المختار

١ حبيب الدوماني
٢ شربنا نخب واصا باشا
٣ رشيد معوض ذو شارب كبير
٤ الامير امين ارسلان كلمة يقولها الدروز حين النقمة
٥ اسكندر الدوماني ابن عمه حبيب الذي دعاه نسيب بك جنبلاط
٦ سليمان شمعون
٧ مسعود الحيمري تكبير حمار
٨ ناصيف بك الريس

(١) اما الذي من فضلكم وجميلكم | اضحى سميناً ملحماً بل خاري
اضحى بلا عزم لفعل عزيمة | مقطوع ظهر مفكك الازرار
يدعو لكم بنجاحكم وبقائكم | لضيافة وبطولة الاعمار
ما عنده تسديد ادوار له | الا حساب بات في ابار
يرجوكم ان تمسكوا ما بينكم | ان شئتم معه حساب جاري
(٢) لا خوف من تقلبسه اذ قد غدا | من غير ثروته فكافل بري
وانا الذي اصبحت فيكم شاعراً | بل شاكراً اما أبعدت ادواري
ان كنت قد ضيعت وقتي خاسراً | نفعي من المنصاب بالاضرار
فوجدت بين الاعميين تفاوتاً | وعمى البصيرة فاق عن ابصار
هذي المكارم اغرقت من بعدكم | حتى غدا من بعدكم في نار
يحتار في ايفاء عزة جودكم | فاحتار عنها بتحفة الاشعار
ما أقل عقلكم بعلفكم لنا | هل تجهلوا الامثال في الاخبار
نحن الذين يقال عنا دائماً | اكلوا الطعام وشخوا عسنار

كان قاض له شهرة عظيمة بالرشوة فلا يحكم بدونها وسرعة حكمه تكون حسب المبلغ المقبوض وقد اخبرني احد اصدقائي ان له دعوة بالمحكمة من مدة لانهُ كان رئيسها ولم يحكم له بها فاجبته على ذلك

ان كنت تطمع ان ترى مبسوطا | قبل لقاض كفه المبسوطا
واقلب له الدعوى تنل ما تنتهي | احكامه في قلبها مشروطا

اعني بوعد (وهي قلب دعوة) بالرشوة

كنت ذاهباً بالعربه لزيارة مريض وبينما انا سائر في الطريق رايت منزلاً جديداً مدهوناً بالوان جميلة لامعة وصاحبته مطلة من احدى النوافذ ووجهها ابيض كالجدار فقلت فيها

مررت على ديار في بهاء | بدهن جدارها للعين قره

---

١ ملحم افندي فارس
٢ هي رتبة كما قدمنا

رايت الست سلمى في بياض تزيد على دهان البيت مرة

كنت احمل ساعة تغير اوقاتها وحركاتها حسب حركاتي فتمشي اذا مشيت وتقف ان وقفت فقلت فيها

لي ساعة حركاتها موقوفة لحراك جسمي ان وقفت فتوقف
ان نمت نامت فهي طائعة لنا ياليت عذالي بها تتعرف

وجدت قصيدة في صيدلية مسعود الحيمري ولم اتم قرأتها حتى تناولت قلماً وكتبت على ذات النسخة ما يأتي

في صيدلية مسعود قد انتشرت قصيدة قد غدا دوماً يعظمها
غراء في بابها موضوعها بهج تاريخها بارد لا شك يهدمها
فقلت للصيدلي مز جاء شاورني اعط القصيدة واحفظ مابوخمها
تاريخها نافع للصيدلية اذ يغنيك عن مسهل كاحكام ناظمها

وبعد ذلك نظمت القصيدة الاتية تهنئة لناصيف بك الريس الذي تزوج سنة ١٨٩١ وكنت ابطئت في نظمها وتقديمها

بودك ما الابطاء عن مدحكم مطل اذا كان يعزى لي فما عند لكم عدل
تأخرت عن نظم التهاني لانني درست مديحاً كنت اجهله قبل
ومذ صار لي خبر اتيتك ناظماً فلا تفتكر في غيرك المدح لي سهل
فلو لم يكن قلبي دليل قريحتي لما فاق مني الشعر ما جنت النحل
وكان اعتقادي انني غير قادر على المدح لكن خاب ظني والنقل
لاني ارى شعري يسيل بسرعة بهذي التهاني ليس لي قبله مثل
تيقنت من ذا ان عجزي لم يكن سوى عدم الموضوع للمدح لا يخل
فغيري يقول الشعر عن فكر غيره و يعتبر التقريظ فرضاً لمن ولوا
و ينسب للممدوح ما ليس عنده ولو كان اعمى العين زينها الكحل
ولكنَّ شعري وهو فكري مترجم فؤادي ولم يذكر صفات لمن اخلوا
وما هو عندي صنعة او بضاعة سوى مقصد للجد يستره المزل
لذلك لا اخشى بيان حقيقة ولو غضب الموصوف وانقطع الحبل

وما حسنهُ الا حقيقة ما به ... ولا بجره مرٌ ولا وزنهُ ثقلُ
ولا يحدثن للسامعين تثاوبـاً ... ولا بدع الحضار ان سمعوا ولوا
ولا الشمس والاقمار والظبي والقنا ... ولا عنتر او حاتم لهم دخلُ
افضل كسر الشعر مع حسن سمعه ... عَلَى نظم موزون لسامعه ثقلُ
ولست بنظمي مادحاً من احبهُ ... ولا هاجياً بل قائلاً ما هو الشكلُ
فشعري للموصوف مرآة خلقه ... يرى صورة الموصوف فهو له ظلُ
لذلك ان ابديت هجواً ومدحةً ... فكن واثقاً فيما اقول وما اجلو
شهادة من مثلي بالف شهادة ... فلم يثنني عن حقها اللوم والعذلُ
ضميرك في قولي احق شهادة ... بصدقي وما اطربت في صفة تحلو
فهل قلت انت الليث في حومة الوغى ... ورمحك يغشاها وسيفك ينسلُ
ولكن جعلت الرمح والسيف عندكم ... يراعاً به تسمو وعقلاً به تعلوا
فصدقت اقوالي وانجح شاعرٍ ... يصدق من ممدوحه عند من جلو
فلا مهجتي تهوى ولا الشعر يرتجي ... لغير الذى قد زانهُ الفضلُ والعقلُ
وان كنت اهدي المدح شهماً اخ النهى ... فانت به اولى وانت له اهـلُ
تجسست يوماً كي ارى فيك داعياً ... الى الهجو لكن مسني بعده الخبلُ
وذلك من بعدي لان بعادكم ... خلاف لما يلقاه من قربكم خلُّ
فانت كدرٍ في بعادك مختفٍ ... فقربك يبديه فتعلو كما يغـلو
وهب انني ابغي التربض فلم يكن ... لي الفضل لكن من مناقبك الفضلُ
الا وهي مقصودي وبيت قصيدتي ... فلولاك لا شعر ولا شاعر يحلو
اذا كنت وحدي شاكراً بصفاته ... يقالـ باني في فضائله اغلو
ولكن رأيت الشاكرين بفضله ... كثيراً وما ابقوا لقولي وما خلوا
ولم يبقَ لي وصف جديد اقوله ... فما انا الا جامع ما هم املوا
اذا قلت شهم صادق ذو مروءةٍ ... تولى عَلَى اعماله الصدق والعقلُ
فلا الجاه يلهيه ولا العز والعـلا ... عن الود لا ينسى خليلاً ولا يسلو
ويوليك معروفاً وينسى صنيعهُ ... ويسبق قبل القول في صنعه الفعلُ

ومع كثرة الاشغال من كل جانب فزائره يلقاه ليس له شغلُ
ولا تعلمن يسرى يديه بما اتت من الشغل يمناه ولو عمله جلُّ
تبين لديك العجز في كل فعله وبين يديه الامر والعقد والحلُّ
يقولون ذا ناصيف والوصف وصفه كان عليه بالاصابع قد دلوا
واحسن فعل كان فعل اقترانه بسلمى فلا سعدى لديها ولا جملُ
لقد جمعت حسن الخصال وقد حوت جمالاً وما قد فاتها العقل والاصلُ
فدم سالماً راساً لسلمى معظماً ولا تفتكر في غيرك المدح لي سهلُ

(تاريخ الرتبة الثانية المتمايزة)

وحين نال الرتبة الثانية المتمايزة هنأته بهذه الابيات

كم من سواك بعزة قد لقبوا لكن عزة نفسكم ما حازوا
نالو العلي رتباً وفعلاً قصروا وعليك من شرف العلا ما فازوا
كنت الرئيس بعفة وامانة انصفت في رتب عليك اجازوا
انصافكم نظم المؤرخ دره انت النصيف بعزة ممتازُ

سنة ١٨٨٨

طبعت كتاب في مطبعة كانت حروفها دائماً ناقصة فقرظتها بهذين البيتين

اذا زرت يوماً دار مطبعة ترى حروفاً بنقصان خصوصاً من الفاء
وضاد ولام لم تجد قط اصلهـا فما كثرت فيها سوى الخاء والراء

وقد عملت لسيدة اسمها لمس عملية ماء الزرقاء فشفت وطلبت مني شعراً لترسله الى زوجها المسمى سليم وهو سليم بك ابو نكد المشهور في المحافظة على ادبيات الجيل الماضي و والد الشهم ملحم بك ريس العائلة الان بالغنا وهو من عظام رجال لبنان

ولما عين لمسٍ قد اضاءت بلمس طبيبها و يد العليم
فما فرحت بهذا النور الا لكي تروى من الوجه السليم

كان رجل يدعى حماد يتقلد بعض الاحيان وظائف غير ذات اهمية اما في بلادنا فكثير من الاهالي يحبون نوال الوظائف ولو خسروا مالهم وما ذلك الا من حبهم لنكاية بعضهم لتولي البعض الرئاسة وهم لا يستحقونها

ذكروا عن احد البطاركة انه تقدم في العمر وعجز عن الحركة حتى لم يعد يستطيع النزول من سريره فاستأجروا له خادماً كي يقدم له المستعملة متى اراد البراز فسر الخادم كثيراً لهذه الوظيفة التي نالها عن جدارة ولياقة وخصوصاً لانها كانت بخدمة البطريرك وكان اسمه مسعود سليم فصار اذا كتب لاحد مكتوباً يذيله بالتوقيع الآتي

اخوكم
مسعود سليم
مخزي غبطته

فانظر لسخافة هذا العقل وقلة الادراك الى اي درجة توصل بصاحبها. وكثيرون من الاهالي يرغبون نوال الوظائف لاجل رفع السلطة عنهم اما صاحبنا حماد فكان اذا توظف بمصلحة ما يقوم ظهره حتى اذا فصل عنها ينحني وكان يعرف اذا كان موظفاً ام لا من قامته وانحنائها فنظمت له هذين البيتين

قد كان ظهر حماد في بطالتهُ ... كالدال في اسمه يبدو الى الرآئي
من بعد توظيفه قد صار معتدلاً ... فاصبحت داله بالعدل كالراء

وقلت في جريدة استغنم صاحبها فرصة نفوذه وكان يطرحها للاشتراك حتى اشترك ثلاثمائة لا يعرفون القراءة فقلت فيها

هذه الجريدة في البلاد جرادة ... امسى بها لبنان اصلع اجردا
ما كولها من ابيض او اصفرٍ ... وبرازها ابداً تراه اسودا

وقلت في هذه الجريدة التي اتت بعد تلك لصاحبها خليل واسمها الروضة

هذه الجريدة في البلاد خريدة ... بيضاء امحت في سناها الاسودا
بخليلها لبنان اصبح روضة ... من بعد ما قد كان اصلع اجردا

وقلت في رجل لا يثبت على شيء خصوصاً بالصداقة وكان في محل يراعى به لاجل رئيسه

صداقة هذا المرء عندي مهمة ... تقربني عند الرئيس بلا شرط
ولكنها مثل الوضوء اذا بدا ... يقرب من مولى و يفسد بالضرط

(عرس ميشل بسترس)

هو ابن خبيب بسترس الكبير ووالدته من اللاذقية من اسرة نعمه وقد دعانا لحفلة زفافه وكان معنا صديقنا ملحم افندي فارس فلما جلسنا على المائدة طلب مني ملحم ان انظم شعراً بهذه المناسبة وكان بجانبي والح عليَّ امام الجميع لدرجة التزمت ان اجيب بها طلبه فقلت ما يأتي

قال الملائك لا تقارن بيننا | واليوم ميشل الرئيس عريس
لا شك ان عروسه من جنسه | يا نعم هذا الجنس والتجنيس
لم يأتنا من نسلهم بزواجهم | الا مــلاك طاهر قديس
هذا زواج طاهر ومقدس | مع ان فيه حاضراً ابليس

سنة ١٨٩٠

واشرت الى ملحم فضحك الجميع والعروس هي كريمة المرحوم خليل سرسق

(السيدة هند) كانت تأتي الى بيروت وتضيف اقاربها اولاد الشيخ قعدان الخازن وهما الشيخ فيليب والشيخ فريد وكانا جارين لنا فتعرفت بها وكنا نقضي السهرة سوية

فهذان الشابان من خيرة الشبان ادباً ولطفاً فالشيخ فيليب شاب ظريف الصورة شجاع صاحب ذمام ووداد ومبدأ قويم وهو الذي نال امتياز جريدة الارز وكذلك نقول عن الشيخ فريد

ولنعد في حديثنا الى السيدة هند ففي احدى الليالي ونحن مجتمعون سوية في السهرة واذ حضر شيخ يدعى اسد وكان الجميع يتحادثون مع السيدة هند لانها كانت عروس المجلس اما الشيخ اسد فجلس امامها وابتدا يتكلم معها حتى حجبها عن الجميع فنظمت لهُ هذين البيتين

ليس هذا اسد او شبله | انما حوت اتانا بالقدر
ودليلي يا صحابي انهُ | بالع ما بيننا هند القمر

في ١٣ كانون ثاني سنة ١٨٩٣

وهذا الاعتقاد بين العامة عن خسوف القمر ان حوتاً بلعهُ ولذلك يدقون الاجراس ويضجون حتى يترك الحوت القمر

(حبيب الجاره) لبس حبيب البنطلون بعد خلعه اللباس العربي وطلب مني تقريظ بنطلونهُ كما طلبهُ من غيري فقلت له

انظر لهذا البنطلون وفعله فكانهُ اقوى الورى بقيادة
ضم الامام الى الورا متعانقاً ونصاحبا مثل الحبيب وجارة

وكان قاض اسمه نوفل عزل بسرعة وكان بجزين وكان فيها يومئذٍ اختلاف بين القس لويس والقس حنا

قطٌ بجزين تنبلْ داس الحقوق واهمل
رباه قس لويس ما كان بالضرب يخجل
فالقس حنا اتاه فصار للجوز معمل
صار اختلاف عليه جاء الرئيس وافصل
فابعد القط عنهم والحكم كان معجل
بسرعة فيسه حتى من قبل ان قال نوْ فلْ

اي نوْ هي اللفظة التي يقولها القط وفلّ من ذهب يذهب

(تاريخ رسامة المطران نعمة الله سلوان رئيس اساقفة قبرص)
بقرنة شهوان الذي توفى سنة ١٩٠٥

يأخذ تاريخ حياته اي متى بصير النور من برنامج غانم وهذا مني تاريخ سيامته

في عين سلوان قد ابرى المسيح لنا من عظم نعمته ابصار عميان
وروحه اليوم حلت عنه نائبة في عين سلوان بل في قدس مطران
اعطاه نعمته يشفي القلوب بها من كل داء ويهدى كل انسان
فاليوم كالامس ارخ شاكراً ابداً لم تزل نعمة الله بسلوان

سنة ١٨٩٢

وقد توفي هذا المطران فجأة في سنة ١٩٠٦ وانتخبوا خلفاً له الاب بطرس الزغبي وقد نظمت له تاريخاً بهذا المعنى

المطران بطرس الزغبي

ولد في قرنة شهوان سنة ١٨٣٣ دخل عين ورقة سنة ١٨٤٦ دخل مدرسة غزير للياسوعيين سنة ١٨٥٠ سيم كاهناً سنة ١٨٦١ وسامه المطران حنا الحج تعين معلماً في عين ورقه سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٨ ثم عين نائباً اسقفياً عَلَى ابرشية قبرص ايام المطران يوسف جعجع سنة ١٨٧٠ وعندما توفى المطران جعجع سنة ١٨٨٢ وصدر انتخاب خلفه كانت الاصوات له ولكن الظروف منعت وانتخب المطران يوسف الزغبي عوضه سنة ١٨٨٣ وبقي نائب اسقفي وعندما توفى المطران يوسف سنة ١٨٩٠ انتخب ايضاً والظروف منعت فصار الخوري نعمة الله سلوان مطراناً عَلَى الكرسي سنة ١٨٩٢ وتوفى سنة ١٩٠٥ وناب عنه الخوري بطرس صاحب الترجمة واخيراً في ١١ شباط سنة ١٩٠٦ رقاه البطريرك الياس الحويك في سيدة بكركي الى الاسقفية التي انتخب لها ثلاث مرات ولم يتوفق فاخيراً قبر ثلاثة مطارين واصبح مطراناً وهذا من الله لان هذه المطارنة جهزت له الابرشية مادياً لانه لا ينفع في الماديات وهو الذي حفظ الوصية لا تحمل لك فضة او ذهباً فلو كان اتى قبل المطران يوسف او سلوان لما وجد الكرسي في هكذا احوال ولا المدرسة لان المطرانين المرحومين كانا امهر منه في جمع المال فلذلك اخره الله الى هذا اليوم لينال الراحه ويرحم الفقير لانني اسمع ان كلما يدخل جيبه يصرفه ذلك النهار عَلَى الفقرا فعسى باقي المطارنة اللذين اكتفوا في عمل كراسيهم يبتدون بمنفعة الناس منها وقد نظمت لسيادته التاريخ الاتي الذي بالصدفة تاريخه الهجري وافق اسمه وهو هذا

من قبل عشرين عام كنت منتظراً	ومستحقاً مقام الاسقف الصعب
لانكم مذ خلقتم فيكم خلقت	اوصافه في عفاف النفس والادب
لكن سياسة ذاك الوقت ما سمحت	لكنها قد اتتنا اليوم بالارب
لانها قد رات في عامها عدداً	موافقاً لاسمك المحبوب والعذب
والدين نادى يحق عدل بطركنا	تواقف الدين والدنيا عَلَى الطلب

فالدين كلفني ابدي لعالمنا عاماً به صرتمُ في اقدس الرتب
ارختكم بطرس الزغبي شرفه ثم الدنى ارختكم بطرس الزغبي
سنة ١٩٠٦ ١٣٢١ هجرية

والاعجب من كل هذا ان سيادته بسن ٧٥ الان اقوى واحسن من شاب ولا يفتر عن الشغل واعطاء الاحسان واهم شيء فيه الطهارة ولا اقول عن طهارته الان لان من خمسة وسبعين من اعظم الطاهرين ولكن عن حياته الماضية وهذا الذي كان سبباً لسيامته مطراناً من يد الحويك الذي جعل الطهارة موضوع انتخاب مطارنته لانه يعتبر ان لا شيء يعيب الاكليركي الاَّ عدم الطهاره والحق معه بذلك

(الخواجه مخايل ملوك)

قد ذكرت انهُ عند زواجي في بيروت دعاني في الشام جاري الخواجه ملوك وكان فرش لي البيت واستدان مني خمسة عشر الفاً من القروش بالفايظ المائة عشرة وحضرت الى بيروت وعند استحقاقها طلبتها اعتذر فبقيت في هذا الاعتذار ثمانية عشر سنة لا اريد اغيظه بدعوى لانهُ استقبلني يوم زواجي واخيراً توجهت بالصدفة الى الشام وقابلته فكان قد شاخ ولم يعد له كلام مع ولده قيصر الذي عندما راى الكمبيالة قال مضي عليها الزمان قهراً عن تحارير والده بالتعهد بها اخيراً التجيت الى الدعوى بمجلس التجارة الذي كان مؤلفاً من الرئيس حسن بك سيفي والاعضاء امين افندي كلاراه ينه وابراهيم افندي الترزي اما حسن بك فهو صهر دولتلو احمد عزت باشا العابد وبعد مدة صار متصرف اللاذقية ثم عكام طرابلس وانفلج فيها وتوفى سنة ١٩٠٧ وحزنت عليه لانهُ كان صادقاً ودوداً فاعرضت لهولاء الذوات مسألتي فاشاروا عليَّ بتصدير الدعوى ففعلت ولم يحضر الخصم في اليوم المعين فحكم عليه غيابياً وتبلغ الحكم بكل سرعة وانتهت الدعوى بالصلح بعد مرور ثمانية عشر سنة قبضت من الدين الذي كان قدره خمسة عشر الف غرش ما عدا الفايظ مبلغ الفين وخمسين غرشاً دفعتها اجرة مصاريف الدعوى

اخيراً عندما غادرت دمشق وركبت القطار الحديدي لوحدي في الموقع الاول

كنت متأثراً من معروف والطاف اهل الشام فنظمت هذه القصيدة التي سميتها الشاكره وتصورت فيها درب الزينبيه مساء الاحد وهي محل المتنزه العمومي بين البساتين عند باب توما تخرج اليه النساء والرجال والشيوخ والشبان بكل ادب ويمشون سوية بدون ضجة وازدحام

(الشاكرة في الشام)

عن الشام لا ابدي هيامي ولا وجدي | باعين غزلان على القرب والبعد
اصبت كغيري من غدا زائراً لها | فتشغفه هند ويصبو الى دعد
فلا لحظ اسمى فيه يبقى تعقلاً | ولا لفظ سلمى يترك القلب في رغد
فيصبح سكراناً بسمع ونظرة | وقد بات مجروحاً بلحظ وفي قد
ولم يدر اين الارض والبدر والفضا | احيٌ يرى او بات ميتاً من الوجد
يظن بان الارض في صدر خولة | تدور وان القطب في وسط النهد
ويحسب ان البدر وجه فريدة | وان رياض الكائنات على الخد
وان حراك القلب فيه متابع | حراك جفون والتنقل من هند
يردد طرفاً في سليمى وان راى | محاسن ليلى هام في شعرها الجعد
فما باله ما بين الفين قد جرت | من الغيد تمشي كالمجرة في المد
محجبة في الازر تحسب انها | غيوماً كست تلك الزواهر بالبرد
لهن وجوه مشرقات ضواحك | يشرن سلاماً بالحواجب والزند
اذا حدثت فالطرف منها كأنه | يقول خطاباً عكس طرفك بالضد
فتخفضه عند الوداع بلحظة | فترميك نحو الارض جسماً بلا رشد
تبيت صريعاً جامداً غير ناطق | وتتبعها بالحظ والقلب في وقد
وان ارجعت منها اليك التفاتة | تسير ولا سير المطهمة الجرد
وتجمد عند القرب منها مغالطاً | كانك لم تقدم اليها على وعد
وحين تراها قد مشت بعض خطوة | تجد وتلقى ان جدك لا يجدي
فتبقى الى حين الغروب مجاهداً | فترجع مشغوفاً واحقر من عبد
الى غرفة تطوي بها الليل ساهراً | مع النجم في ذل وشوق وفي نكد

فويل لمن قد بات في ذلّ حاجة ... وعزة نفس فهو لا شك في لحدِ
نصدق قولا قيل في الشام انها ... تذل لها اسد وتسطو على الجند
فمن كان هذا حاله من يلومه ... اذا لم يدر ذكر الرجال ولا يجدي
واما انا ان جئت في ذكر فاضل ... يكون الهوى ولى وها زمن الجد
فانّ لي الخمسون ابقت تنقلاً ... لذكر رجال قد علوا ذروة المجد
واما اذا ما جئت يوماً بذكرهم ... تراني لدى العشرين والشيب في فؤدي
فلا العمر يثني شاعراً فهو دائماً ... لدى النظم في سن الشبيبة والوجد
يكون كما الموضوع في كل حالة ... وينزل من اعلى الجبال الى الوهدِ
غدا عاشقاً ان بات يبدي تغزلاً ... ويصبح لبثاً ان تكلم عن اسد
فمن شعره لا يستدل لعمره ... ولا فرق بين الاب والابن والجد
ومن طالع ابن الفارضيّ فهل يرى ... تغزل شيخ شاخ او غزل المرد
رجال لهم فضل عليّ ومنة ... لقد حفظوا وعدي وما نكثوا عهدي
اذا المرء لم يذكر جميلاً لفاضلٍ ... فهذا دليل اللؤم والسفل الوغدي
واني امرؤ قلبي يقود عواطفي ... واني عبد الفضل والجود والوعدِ
وبالعكس اني لست يوماً بشاكرٍ ... لمن هضموا حقي او اشتغلوا ضدي
مدحت لاسباب واهجوا لضدها ... ولا ذنب في الحالين مقترفٌ عندي
وكل امرء لا يفرق الفضل والاذى ... فلا خير فيه لا يكون من العمد
ومن سامح الانذال سهلاً بعوفه ... تعرض للاخطار والذل والفقدِ
رجال دمشق لو عرفت بما بهم ... من الانس والمعروف واللطف والود
لما ذكرت اسما وسلمى وخولة ... ولاهيم في هند وفي خدها الوردي
صفات تميل الوحش للانس عاجلاً ... وعدل يميل الظالمين الى الزهدِ
كبار لدى المعروف والجود والوفا ... صغار اذا ما جئت عن جودهم تبدي
اذا كنت في عز بعيداً تراهم ... وتلقاهم يوم الكريهة والشدِ
كأنك اعلا رتبة ان سألتهم ... قضاء امور لا تقابل بالصدِ
اذا ساعدوا الانسان سروا لكسبه ... وفاقوه في بسط لهم فاق الحد

لهم لذة المعروف اعظم لذة   خصوص الى القاص ولو كان من سند
وان وجدوا دعواك ليست محققة   تبدل ذاك اللين واللطف بالصلد
على راسهم شهم وزير يزيدهم   محاسن عدل والجميع له تفدي
جرى حبه في قلبهم مثلما جرى   رسيس دماء القلب في جسمهم يفدي
واصبح قطب العدل تلتف حوله   رجال كما انضمت الى الجوهر الفرد
فمن كان ذا عدل وحلم وعفة   وصاحب معروف وفضل وذا كد
فاي فواد لا يميل لحبه   واية نفس لا تميل الى الشهد
(١) وان كنت وحدي ناظماً عدل ناظم   بشعري ولكن لست شاكره وحدي
وان كنت في شك بقولي وخبرتي   فعرج على الفيحاء او جنة الخلد
تلاق بدرب الزينبية في المسا   بدوراً مسا الاحاد مطلعها يهدي
(٢) وتلقى ولياً في الولاية قائماً   له الاسم ممتاز واعطر من ند
عرفناه قبلاً مثلما اليوم ماجداً   هو الصادق الصديق من قبل او بعد
وان زرت داراً للتجارة دائراً   ترى الانس مع عدل وصداً مع الحد
تناديك هاتيك المنازل فاشرح   وكن واثقاً ان العدالة في مهدي
(٣) فعضوي امين والخليل خليله   كما العدل حسني والنزاهة من مجدي (٤)
فما كان في وسعي قضاه بساعتي   ففي الغد لاشغل له ابداً عندي
لان لذيذ العدل يذهب باطلاً   بمطل ممل من ذوي الحل والعقد
وان شئت ربا النفس بالدين والتقى   لدى نائب البطريرك حنا ترى قصدي (٥)
تلاقي حنانيا يرد ضلالة   هناك اهتدى القديس بولس من جد
تلاقي محباً للفقير مساعداً   وتعرف كم تعلو الرجال مع الجهد
فهاك رجالاً في دمشق عرفتهم   بهذي المبادي ان ذلك من سعدي
عظام لهم عندي منازل رفعة   كرام لهم شكري وطول المدى حمدي

طبعت في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٩٨

«١» ناظم باشا «٢» ولي افندي «٣» امين افندي عضو «٤» حسني بك ريس «٥» الخوري حنا كيللروس

للبطريرك يوحنا الحاج

عندما نال العثماني الثاني لتقديمه اعانة الى دار العجزة في الاستانة ١٨٩٨ ومن القصيدة يعرف كل ما عمل وما كان

أصدرك اليوم محتاج لنيشان وفيه قلب تعالى فوق نيجان
خاض المعامع والسبعين ما قدرت تميله عن كمالات وايمان
قد بات صخرة ايمان لطائفة وحفظ كل ذمام نحو سلطان
حتى غدا منزلاً للدين مشتهراً ودار حب لسلطان واحسان
مذ بات دارهما قاما بزينته لذاك اهداك مولى الشرق عثماني
لسنا نهنئ فيه شخص حامله لكن نهنئ فيه كل موراني
ان توج الراس فالاعضاء نائلة ما ناله من رفيع المجد والشان
لا يفلح المرء يوماً في وظيفته ما لم يكن فيه طبعاً شرطها الباني
شرط الرئاسة قلب لا يخاف اذى ولا يبالي بتهديد وعدوان
عقل لشهوات نفس عاقل ابداً قساوة ثم لين بعض احيان
طرف على كل امر ساهر يقظ وغضة عن مسيء بعض ازمان
ولا يضيع امراً وقت منفعة ولا يحرك امراً وقت خسران
هذي رئاسة دنيا لا تبالي بها ونحن نتبعها حفظاً لوجدان
لكن سياسة دين انت تابعها هي سياسة احسان وغفران
اعطاك ربك اوصافاً تكون بها رئيس دين ودنيا غير غفلان
لذاك سدت بعصر انت بهجته وقد علوت على عصر واقران
احسنت حباً باحسان بلا غرض لمذهب او لجنس او لاوطان
لا فرق عندك ان اعطيت ذا عوز ما بين ابناء مارون وسودان
ان كنت بطرك دين عند طائفة فبالمروءة بابا كل انسان
اصبحت فرداً الشعب لن يري ابداً قبلاً شبيهاً له او بعده ثاني
لا تعجبن صاحبي من قول شاكره ما قال قولاً ولم يثبت ببرهان

حتى غدا شعره تذكار من نشرت … افعاله فيه لا يبلى بنسيانِ
ان كان ذكراتي يوماً لمن سلفوا … يكون جاءت به اشعار ازمانِ
والشعر بالصدق لا باللفظ قيمتهُ … وقوله ببيان لا باوزانِ
فمن رآني لشعري صار يعرفني … هجواً غدا او مديحاً صدقه داني
فلا يردّ عليه حيث سامعه … مصدق قوله من دون نكرانِ
برهان قولي بذا من قبل بطركنا … قد شاد للدين كرسياً باتقانِ
من شامها فان كسرى اليوم منبعثاً … في كسروان وهذا نفس ايوان
ومن اتى بعده لم يلقَ من عوزٍ … يقيم اعظم منها غير بنيان
من قبله شاد في باريس مدرسة … وعند لاون احيي ذكر سمعاني
والقدس منه رأت بيتاً بقدسها … كقدسه ما رأت عينا سليمانِ
كأن هيكلها ليست تزينهُ … من قبل او بعد الا ارض لبنانِ
وان بطركنا حنا اقام به … ومن رآه فهذا نفس سمعانِ
من قبله ما سمعنا بطركاً ابداً … قد نال اول نيشان لعثماني
ومن اتى بعده لم يعلُ رتبتهُ … لان لا رتبة اعلى لنيشان
ولبس في الشرق اعلى اليوم منزلة … من بطريرك وهذا حد موراني
فكل شخص من الاعيان حج له … لكسب فضل وانوار لاذهان
هذي براهين قولي لا شبيه له … في الشرق بالفضل من ارباب اديان
فاق الحدود بفضل ما علاه سوي … يوحنا مارون في حزم واحسان
يا ليت يصغى الى ابنائه كرماً … و يستمد لنا من فضل رحمان
ابقاء بطركنا فخراً لطائفة … وان يزاد له في العمر عمران

رثاء المطران يوحنا الحبيب

مجدد جمعية المرسلين المارونيه

لو لم يكن وعد الى الانسان … لهوى الى ادنى من الحيوانِ
وغدا الذي لم يدرِ اين مسيره … في الذات والافعال كالشيطانِ

لم يرسل الرحمن اعظم نعمة … من نعمة الايمان في الاديانِ
لولاه ما حنَّ الغني لفاقة … لولاه لم يصبر عَلَى الهجرانَ
لولاه ما احتمل التنسك عابدٌ … بعداً عن الاهلين والخلانِ
وبدا يقدم نفسه كضحية … لفعائل الخيرات والاحسانِ
لا بالقوى والعقل بات مميزاً … عن ضيغم بل ميز بالايمانِ
لا العقل يهديني الى دار البقا … لا العقل عن كل اللذيذ نهاني
لكنه يهدي لجر منافع … مخصوصة وعن العطا الهاني
اما عَلَى حب القريب ونفعه … متفانياً فالدين قد رباني
لا شك ان الدين انزل من علا … لم يات من ارض ومن انسان
ان كنت في شك فخذ يا صاحبي … مني عَلَى ما قلته برهاني
ما الدين الا رابط الانسان عن … ميل وشهوات وعن عدوان
لم تلق حيواناً بقيد نفسه … لكن بقيده قوي ثاني
ان تلق سبعاً بالحديد مكبلاً … لا بد من غيرٍ عليه الجاني
لا بد من القوى من الانساني قد … ينهيه عن غيٍّ وعن طغيان
لم يشرع الانسان ضد طباعه … ارايت حراً بالتجني لعنان
دين الحقيقة من غدا عن شهوة … ينهى ولا في شهوة اوصاني
ما الفضل ان آحبت من اخاك او … اعطيت من اعطاك بالميزان
حب العدى ضد الطبيعة لا نرى … من طبع انسان من الغفران
لا شك ذا طبع الاله وان من … قد قاله هو سيد الاكوان
ان التقيّ هو السعيد حقيقة … في الارض قبل سعادة الازمان
فضميره في راحة ومعاشه … وحياته ومماته بامان
لم تلق محبوباً عَلَى وجه الثرى … مثل الذي يعزي الى الاديان
تلقاه ما بين المصائب ضاحكاً … ومن العدا قد فاز بالرضوان
لا يعرف الانسان فضل ديانة … ما لم يكن في حالة الاحزان
وكذاك لا يدري لاكلٍ قيمة … ما لم يكن في حالة الجوعان

لولا ثلاث لم يكن دين ولا ذكر من الانسان للديان
موت وافلاس وضعف كلما عنه نائت يدنو من الكفران
من لم يكن حب القريب شعاره وكريم خلق لبس بالانسان
من كان للاديان عبداً طائعاً ومشى بامر وصية الاحسان
فهو الذي حاز القداسة والتقى وهو الذي يعلو على الاقران
ان شئت مني قدوة فاذهب الى دير الكريم الرافع الصلبان ١
٢ مذ نعمة الله اعتلته رئاسة قد بات شكر الله فرض جناني ٣
زر تربة ضمت حبيباً للملا تنظر بها حنا الحبيب الثاني
هذا الذي رب العباد اقامه مطران ناصرة علي الشان ٤
وطن ليسوع الذي من اسمه كل تسمى في الورى نصراني
ابدى لنا حبراً بهمة رسله حفظت مبادي شعبه الموراني
اوصاه يسوع باولاد له هم مرسلون لنصرة الايمان
في مثلما اوصى الحبيب بامه مذ بات اوجاع الصليب يعاني
من بعد الف تسعمائة قد خلت صت بهذا اليوم في لبنان
من قبله لم يلق قط مسيحنا خلا حبيباً مثل ذا المطران

سنة ١٨٩٤

الى خير الدين باشا رئيس اللجنة الطبية العثمانية لفحص تلامذة المدرسة الافرنسية في بيروت

تركنا خير دنيانا لخير خيره اغنى
لخير الارض مهدوم وخير الدين لا يفنى

(احمد مرتضي) كنت في احد الايام جالساً عند فخري بك نامي فاتى لزيارته مصريان اب وولده وكان الاب شيخاً جليلاً متعمماً بعمامة خضراء. اما الابن فكان

١ يضع المرسلون صليباً احمراً على قلنسواتهم
٢ المطران نعمة الله سلوان كان رئيساً على الكريم ٣ وكذلك المطران شكرالله
٤ لانه كان مطران الناصره

لابساً حسب الزي الافرنجي ويتكلم اللغة الفرنساوية جيداً ويتقلد الافرنج بحركاتهم وبكلامهم اللغة العربية فكان يلفظ الضاد داد وهي الحرف الذي ميز به العرب عن سواهم حتى قيل عنهم الناطقون بالضاد فعند ذلك ارتجلت هذين البيتين

مذ بات احمد مرتفي متفرنجاً　　لم يحسن الالفاظ باسم ابيه
ان قال عمة والدي خضرا تجد　　من غير ضاد اخرجت من فيه

فحين سمعها نخري استلقى على ظهره من الضحك وسر من المعنى

(ملكه) طلبت مني هذه السيدة نسخة من كتابي صحة العين تذكاراً فكتبت عليها هذين البيتين

يا صحة العين غض العين محتشماً　　عند اللقاء ولا تبدي ولا حركه
ان العيون التي قد بت تنظرها　　اصبحت عبداً لها اذ انها ملكه

اسما وسلمى

هما بنات الامير سليم منصور شهاب الذي ذكرت عنهُ قبلاً وهما على جانب عظيم من اللطف والاداب والعلم مدحتها وخصصت بمديحي الجد الاصلي شهاب وبشير اول حاكم لبنان من هذه الامرة والامير سليم ووالده الامير منصور ووالدته نور وبنتيه اسما وسلمى فقلت بذلك

تشاورت الفضائل في سماها　　لترسل بعضها للارض قسما
فقد اخذت شهاب الجو سلكاً　　يضم الارض والعلياء ضما
وقد كان الشهاب لنا بشيراً　　يبشر ارضنا عدلاً وحلما
ولما بات منصوراً عليها　　فاضحى والداً والنور اماً
لذا دعيت باسم بني شهاب　　وقد اخذت لها في الارض حكما
وقت اعطت لذي عقل سليم　　ليعطي الكل القاباً واسما
فسمي الظرف والادراك اسما　　وسمي العلم والاداب سدمى
فسلمى من عيوب الارض سلمى　　واسما من سماء الارض اسمى

أملي جورج سرسق

اشتهرت هذه السيدة بفضلها ومبراتها في سوريا ولها مآثر عديدة لا يمكن نكرانها تساعد الفقير والمسكين وهي مؤسسة ورئيسة المدرسة الارثوذكسية للبنات ومؤسسة لراهبات مخصوصة ومساعدة المستشفى الارثوذكسي في بيروت وقد تصورت بهيئة (مرفيليوز merveilleuse) ونظمت لها ثلاث ابيات حررتها على صورتها ولكن قبل الكلام عن الاشعار اذكر شيئاً عن عائلة سرسق

عائلة سرسق

لم يكن اصل هذه العائلة غنياً كما هي عليه الان بل اكتسب افرادها غناهم سنة ١٨٥٦ من تجارتهم بمصر وكانوا ستة اخوه وهم نقولا وموسى وخليل وابراهيم ويوسف ولطف الله لم يبق منهم سوى يوسف وانقسمت هذه العائلة الى ستة بيوت كلهم اغنياء حتى قيل ان كل واحد منهم يملك ثلاثين او اربعين الف ليرا ايراداً ولم يقترب احد الى هذه الاسرة ما لم يغتني فهم يتساهلون جداً مع مستخدميهم ومن هذه العائلة الياس بك سرسق قنصل جنرال دولة ايران وهو من الاذكياء كريم النفس وكذلك اخوه الخواجه نقولا من الشبان المعتبرين وكل من الخواجات جرجي موسى واخوته وميشل خليل سرسق اللذين اعرفهم من المعتبرين واما الخواجه يوسف الباقي من الستة فهو رجل عظيم كريم الاخلاق محب الخير وكذلك ولده نجيب الذي نال اعظم الوسامات والمقامات نظراً لمبراته وقد تزوج ابن عمي قيصر الخوري باحدى بنات الخواجه يوسف وعلى العموم ان هذه العائلة كثيرة الاحسان لا يلصق اليها احد ما لم تغنيه وعندما اصل الى سياحتي في الاسكندرية اذكر الخواجه اسكندر نقولا سرسق الغني العظيم واولاده لانهم من اهم التجار في الاسكندرية وكذلك عن الخواجه جورج لطف الله

ولما اقامت اميلي المرقص المتنكر وكانت متنكرة بزي ذات المعجزات كما قدمنا اعطتني صورتها فنظمت لها الاشعار الاتية

لم يكفنا عجب ما فيك من ادب حتى برزت لنا في زيك العجبِ
ما دمت في عجب من كل ناحية ان كان في الزي والاداب والحسب
عذراً لناظم شعر لبس بدرك من اضحت منازلها اعلى من السحبِ

الاوادم الطازا

او تأثير المال في الرجال

نقلتها جريدة الروضه نمرة ٦٦٥ ١٧ ت ١ سنة ١٩٠٦

لجناب النطاسي الشهير رفعتلو الدكتور شاكر بك الخوري الشاعر المعروف قالت الروضه هذه المقالة ستظهر في كتابه «مجموع المسرات» نشرناها هنا لنبين للقراء ان هذا الكتاب الذي بشرت بقدومه عالم الادب السن الصحافة يحتوي على كل المواضيع التاريخية والانتقادية لا كما يتصور السواد الاعظم انه مجموع اشعار قالها جناب الدكتور المومى اليه اذ ان الحقيقة هي ان الشعر فيه قليل جداً نظراً لما فيه من المباحث التاريخية والانتقادية وذاك لان صاحبه لم يدع باباً من الكتابة الا طرقه وما نال هذه الشهرة العظيمة عن قصيدة وقصيدتين ومقالة ومقالتين · وهاكم ما قال في الاوادم الطازا او تأثير المال في الرجال

اذا امتلأت كف اللئيم من الغنى تمرد كالمرحاض فاح واننتنا
وان كريم الاصل كالغصن كلما تحمل بالاثمار مال وانحنى

هذا هو تأثير المال في الرجال فهو لا يغير الصفات بل يزيدها فاذا زار كريماً ازداد كرماً او بخيلاً ازداد بخلاً او لئيماً ازداد لؤماً ولا يجعل البخيل كريماً ولا الكريم بخيلاً وما اكثر هذه الشواهد والبراهين على هذا القول في ايامنا المقبلة وقد قلت مراراً ان ابواب الغنى كثيرة في هذا العصر لاننا نعرف بعض اناس كانوا لا يملكون درهماً قد اصبحوا اصحاب ثروة طائلة غير ان اخلاقهم لم تزل كما كانت وما زادهم المال غير وقاحة وقباحة اذ صرت ترى احدهم اذا رجع الى بلاده وتذكر ما كان عليه ونظر الى حالته الحاضرة تنفخه العظمة ويتولد في فكره الحسد القديم وتهب في صدره عواصف الانتقام من سيده القديم فيغير ظواهر بيته باذلاً امواله عليه حتى يصير

شبيهاً ببيت سيده كانما قد فاته ان اتساع البيت بكثرة ضيوفه وهذا هو الاساس الراسخ للبيوت القديمة ولكن من اين ذلك لغنينا الجديد الذي يصح ان يقال عنه

رأى الصيف مكتوباً على باب داره فصحفه ضيفاً فقام الى السيف
فقلنا له خيراً فظن باننا نقول له خبزاً فمات من الخوف

والاهم من الغنى هي اسبابه لان اللص يغتني سريعاً والمجتهد يحصل الاموال رويداً رويداً ولكن ايمكن ان يكون اكرامهما واحداً لاجل الغنى كلا . بل الكرامة تأتي من اسباب الغنى ولا يعتبر اللص غير لص نظيره ولكن ظاهراً فقط لانه لو فرض ان لصين سرقا الف غرش وقسماها بينهما واراد بعدئذ كل فرد منهما ان يستودع احد الناس قسمه فهل يسلمه لرفيقه ؟ كلا وان كان شريكين في العمل بل يستودع قسمه رجلاً معروفاً بالامانة والفضيلة فيكون من هذا البرهان ان الاعتبار للفضيلة ليس الأ

لو دخلت بلدة ورايت فيها منزلاً عالياً والناس تزدحم حوله من جهة فتعجبت حتى انك سالت لمن هذه الدار العالية العظيمة فاجابوك ان هذا كله لرجل لص دني، « عمل الطريقة الفلانية » ونهب مال فلان وفلان وكما هو عليه من الغنى اكتسبه عن طريق النهب والذل فهل يبقى له بعد هذا ذاك المقام والاعتبار في عينيك ؟ — كلا

وقد رايت من هولاء (الاوادم الطازا) من يستخدم والدته في البيت ويجعلها صامتة امامه لا تتكلم لكي تعتبره بصمتها وهو يظن ان له في العمل اعتباراً فكل من هولاء يصح ان يقال له

لئن كانت الدنيا انالتك ثروة انالت بني الدنيا بلاء ونقمة
فكل من الرحمن يطلب طلبة ليخزى كذا مال ويلعن صدفة
غدوت بها في اليسر مذ كنت في العسر
فقد كشف الاثراء منك حقائقاً بانك من بعد الغنى صرت فاسقاً
ومن قبل ذا لاشك قد كنت سارقاً وهذي فعال عرفتنا خلائقاً

من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

وكيفما تجول الانسان فانه يجد امثالاً لهذه الامور وبالعكس فانه يرى اناساً كانوا فقراء واغتنوا فزادهم غناهم شيمة ومحبة للقريب والسلام وسلكوا الطريق المستقيم وجعلوا الرب الثاني الذي هو المال تحت امر الرب الاول فلمثل هولاء يليق الغنى والجاه اذ تكون منهم منفعة عظيمة للبلاد ومن فتش عن اسباب غناهم عرف ان ذلك ناتج عن جدهم واجتهادهم وصدقهم وامانتهم فانظروا الفرق بين هولاء واولئك

ولو اعتبرنا ان الانسان مهما كان غنياً لا يأخذ من الدنيا اكثر من غيره نعرف ان الغني وكيل مسخر بل هو خادم غيره لا الغير يخدمه كما يتوهم

والغني رجل مفلوج يحتاج الى من يلبسه ويطعمه ويسوسهُ ويمشيه وكل ذلك يكلفه كثيراً اذ افتكر كم قضى من التعب والشقاء حتى حصل هذه الدراهم التي يدفعها الان الى خدمه وكم كلفته (بوسة يده) وكلمة يا (معلي) لان كل هذا لايوازي اتعابه الماضية حتى حصل المال واتعابه الحاضرة عَلَى حفظه وخصوصاً متى كان واضعاً ماله عند احد التجار وافلس وقد قال احد الفلاسفة : ان كما تملكه زيادة عن احتياجك فهو ليس لك

وبينما كنت زائراً احد الاغنياء الكبار الكرماء في بلادنا اصحاب الدور الواسعة والضيوف المتراكمة والحشم العديدة وهو نسيب بك جنبلاط لانهُ هو الوحيد الان الحافظ عادة اصحاب الضيافة القدماء واظن تنتهي بعده سألته كم من الارغفة عندك هذه الليلة فضحك واجاب لا ادري فقلت بالله عليك يا بيك اسأل لي (الكرارجي) فسأله فاجاب انه يوجد عنده نحو مائتي رغيف فقلت له كم رغيف منهم الى البيك فاجاب كلهم له ولكنه لا يأكل غير واحدة وما بقي الى الضيوف والخدم فيكون البيك مادياً كاحدهم ومعنوياً صاحب الكل ويبيع رزقه من ضيوفه بكلمة (يا سيدي ومتشكرون ودايم) وهذا الدعاء الاخير يعود للضيف يعني انه دوماً يأكل عنده وعَلَى هذا الكلام شرح عظيم ولكن لا فائده منه اذ لا احد في الدنيا يكره الغني مهما ذاق لاجله من العنا ولكن هذه الكلمات علاج يُسكن به الم الفقير وهذا التقدير يوجد وقت العجز وكل العلوم والفلسفة لتسكين الاوجاع وتعزية المصاب واذا لم تكن مصيبة فلا تلزم تعزية

وكلامي هذا اوجهه الى المحتاجين كيلا يحسدوا الاغنياء الذين لا راحة لهم حقيقة لان حفظ المال متعب اكثر من تحصيله وقد سأل احد الملوك وزيره ان يأتيه برجل لا هم له فشرع هذا الوزير بالسؤال وكان يفتكر ان الخالي من الهم هو من كان لا يعرفه ولكنه عند السؤال كان يراه كرفقائه الى ان ذهب ذات يوم الى الصيد فوصل الى غابة وهناك وجد رجلاً عريانًا تحت ظل شجرة فسأله الوزير ايها الرجل هل عندك هم ؟ فاجاب الحمد الله كلا فقال له الوزير ولماذا انت عريان ولا تخيط لك قميصاً تستتر فيه فاجابه ان تسألني اذا كنت خاليًا من الهم كانك تجهل اني اذا لبست قميصاً لبست معها الهم اذ يصير يهمني غسلها وترقيعها واذا جلست على الارض اخاف عليها من الوسخ فدعني من همٍ لا لزوم له عندي . فاذا كانت القميص تهم فكيف الالوف من الليرات والقصور الشاهقة والاملاك الواسعة ؟ الا تقتل اصحابها ومع ذلك تراهم يكتفون بان يقول لهم الناس ياسيدي

اما الان فاراني خرجت عن الموضوع الذي هو تأثير المال في الرجال لا الغنى والفقر ومع كل هذا لا يمكنني ان افضل الواحد عن الاخر ولكن بالاختصار اقول في تأثير المال

المال كالريح ان مرت على عطر ‖ تزكو وتنتن ان مرت على جيف

وبالاختصار فليفتكر كل غني ان لا اعتبار حقيقي له ما لم يجعل الرب الثاني تحت امر الرب الاول

وقلت مؤرخاً زواج الخواجه يوسف مرهج من دير القمر بالسيدة السيدة نظيره التي بالحقيقة ليس لها نظيره بالجمال والذكاء والعلم

وعرس مرهج فيه تجلت ‖ عروس في محاسنها اميره

افول ليوسف ارخ فرحًا ‖ عروسي ما لها ابدًا نظيره ١٨٩٥

توفي في صيف سنة ١٩٠٠

الى صديقي مسيو هنري كليارد و ترجمان اول في قنصلية فرنسا في بيروت والان قنصلها في حيفا

ما انت اول ترجما ‖ ن لدولة خدم الوطن

بل انت اول ترجمانٍ　　جئت في المبدا الحسن
من كنت انت صديقهُ　　فصديقه طول الزمن
وعلى مصالح دولةٍ　　وحقوق شعب مؤتمن
لزمامه وخصاله　　كليار دو في القلب سكن
مالت له كل القلو　　ب وحبه اهل الفطن
ارخ هنا في رتبة　　بالعدل هنريكوس ركن ١٨٩٦

(كليمنتين عنحوري)

هذه السيدة اللطيفة الذكية هي شقيقة عقيلة شارل بك كلياردو حضرت الى بيروت مع شقيقتها وعائلتها من مصر سنة ١٨٩٩ وكان بيدها دفتر تعطيه لاي صديق كان يحرر به افكاره وعندما اعطتني اياه وما كان بفكري الا مدحها قلت لها الابيات الاتية متفكراً بموسى وتيه بني اسرائيل الخ

اتيت اليوم من مصر　　بغير التيه والطور
فانت اليوم مرسلة　　لتهدينا الى النور
بعقل جاء عن ملك　　ولطف جاء عن حورٍ
فبات الكل مهذباً　　وحتى شاكر الخوري

يوحنا كان بلاعاً شلاعاً كما يقول المثل نهب البلاد فقلت فيه

اذا كان الجراد سريع هضم　　اذا حل الفلا قحط البلاد
فما حال البلاد وفيها حنا　　ويوحنا الذي قطع الجراد ١

(ظهر القضيب)

هو مكان فوق ارز لبنان بل هو اعلى محل في سوريا ويفوق جبل الشيخ بالارتفاع وصنين فوق بشري التي اسمها الاصلي بشراي اي القاعدة ويوجد في قضاء البترون دير قزحيا للطائفة المارونية الذي فيه مغارة يعتقدون ان مار انطونيوس الذي تسمى الدير باسمه يظهر فيها معجزاته بشفاء الامراض خصوصاً داء الجنون وقد صدف ان احد قضاتها كان مختل الشعور ولكنه لم يعط هذا اللقب لان العادة في بلادنا

(١) لان مار يوحنا كان يأكل الجراد

ان يكون لكل مرض اسمان اسم لمرضى الاغنياء واخر للفقراء فقليل الذكاء عند الفريق الاول يدعي طيب القلب بسيطه وعند الفريق الثاني يسمي حماراً مع ان الداء واحد

ولنرجع الى موضوعنا . فوصفت علاجاً لصاحبنا قاضي تلك الجهات لانه محتاج للمعالجة وذلك في شعر نظمته فقلت

دواء في قضا البترون قاض　　لمختل الشعور بلا طبيب
له في غار قزحيا شتاء　　كذاك الصيف في ظهر القضيب

(نيشان الاكاديمي الفرنساوي)

فلما نلت هذا الوسام قالت لي احدى السيدات المعتبرات التي كانت صديقة لي اهنيك بالوسام الذي زين صدرك فقلت بهذا المعنى

لما وسام معارف صدري علا　　وغدوت منه عالياً بفخاره
قالت فرحت لزينة فاجبتها　　كل امرىء يصبو لزينة داره

قلت في ربكا اسوسكي الجميلة وكانت تداوي احدى عينيها عندي والعين الاخرى كانت سليمة وهي اسرائيلية

لها مقلة مرضى واخرى سليمة　　اعالج احداها تعالجني الاخرى
فبين علاجي في الهوى وعلاجها　　لقد ذهب الاثنان عقلي والاجره

(لادين لمن غير دينه)

قد كنت في مجلس اتكلم عن قانون الصحة واثبت بشواهد توجد في الاديان تثبيت الصحة لانه يوجد في كل دين بعض شرائع لا يقال انها انزلت الا للصحة كتحريم اكل لحم الحيوانات النجسة لانها عسرة الهضم فحرم اكلها وكذلك صيام اليومين في الجمعة هو قانون صحي لاجل تجديد شهوة اكل اللحوم وكان حاضراً تلك الجلسة الرجل المدعو نمراً فصار يجادل ليؤيد مدعاه الذي كان يخالف معتقدي جدالاً اقرب منه الى النزاع فقلت

ما بين اجناس البهائم لم اجد　　على مذهب التوراة انجس من نمر
ترى لحمه نجساً كذا الدين نصه　　وعند بني الاداب يوصف بالغدر

فلا تعجبن ان قابل الخير بالاذى　　رفعت له علماً فكوفيت بالمكرى
واني امروء العين بالعين مذهبي　　كذلك في الاحسان فالشكر بالشكر

(المجادلة في الدين)

المجادله في الدين لا تزيده ولا تنقصه ولا تزيله ولا توجده ولا ترفعه ولا تخفضه بل كل فئة تبقى متحزبة للفئة التي تنتمي اليها اكثر من ذى قبل لان الدين ليس كعلم الحساب او باقي العلوم لو خالفنا منهُ قاعدة افسد المبدآء وكم من جاهل يفتكر انه اذا عاب جملة او حقيقة تاريخية من دين يزيله بعد ان مرت عليه الوف من السنين ويظن بعضهم ان السامعين يميلون الى هذا الحزب او ذاك لمجرد براعته في نطق المتكلم ولا يعرفون ان الدين ليس بالمنطق ولا بالفصاحة وان العقل لا يغير منه شيئاً فالدين سر من اسرار الطبيعة موحى به لا دخل للعقل فيه · يتمسك المرء بدين ويتركه قهراً عنه ويبقى الانسان جاهلاً السبب الذي يدعوه للتمسك به فالدين من خصائص القلب لا العقل

(البخل)

فكل البخل إن يرضى غنياً　　بعيش زمانه عيش الفقير

البخل مرض في القلب لا في العقل ولاجل ذلك يجب ان نفحص ما هي افعال القلب وما هي افعال العقل

العقل اعطى الى الانسان لكي يسير بموجبه حتى يدبر اشغاله واعماله كي تعود عليه بالنفع وهي النفع المادي فقط والقلب اعطى الى الانسان لكي يعيش به مع قريبه ومن يحبه فيضحي النافع لاجل الاحساس والعقل يضحي الاحساس لاجل النفع فكل من حب جمع المال وعدم بذله يكون العقل مسيطراً عليه وكل من يبذل المال لاجل رضى نفسهُ وغيره يكون خاضعاً لسلطة القلب · فمحبة الاولاد والقريب وهلمَّ جرا تخص القلب نرى الانسان يضحي ماله لاجلها ويجب ان يكون غنياً لاجلها وعندما نقرأ بعض اقوال ابي العلا المعري نراها عظيمة اذا لاحظنا العقل وبعيدة جداً اذا لاحظنا القلب ومن جملة قوله عن الاولاد وهكذا كل اقواله معقولة عديمة الاحساس

لعمرك ليس بالاولاد خير　　فطوبى للذي اضحى عقيما

فاما ان تربيه عدواً واما ان يربوه يتيما
واما ان يموت وانت حيٌ فتبقى بعده صباً أليما

وبالحقيقة لو تأملها الانسان بعقله يراها مخالفة للعقل لان الرجل الذي يتعب ويشقى ويقع في كل خطر مهلك لاجل كسب المال فليس من العقل ان يضحيه ويضيعه لميل صغير او مدح طفيف او لقضاء شهوة ولكن متى وصل هذا الميل الى القلب فانهُ يضحي حاله وماله لاجل من يحبه فالبخل والكرم صفتان مولودتان في طبيعة الانسان كما ان الاسمر خلق اسمراً والابيض ابيضاً فالبخل مرض في القلب بل هو الداء المميت لهذا العضو الحساس فلا شفقة ولا رحمة ولا محبة مع هذا الداء . ترى البخيل عاقلاً وفيلسوفاً في كلامه واعماله متى كان من ورائها صرف الدراهم تراه قد اتخذ مبدأ وقاعدة قوله ادخر القرش الابيض لليوم الاسود . لا ينفع الانسان الا دراهمه . قيمة المرء قيمة ما معه ليس من التعقل ان تنغش بمديح او شفقة لتبذل دراهمك . ويتناهى البخيل في فلسفته وذكر اعذار واهية ولكنها مقبولة ومعقولة خصوصاً اعتذار ابي الاسود الدوئلي عن بخله وهو عذر لا ريب فيه

يلومونني بالبخل جهلاً وخلةً وللبخل خير من سؤال البخيل

لم اجد عذراً احق من عذر هذا البخيل لانهُ يفضل البخل على طلبه شيء من بخيل

العذر هو طريقة حقيقية او شبه حقيقة يقدمها الانسان ليخلص من ملامته وغالباً يختلقها بعد العمل والعمل هو الاصل والفاعل هو الاحساس فالبخيل يجد اعذاراً عديدة لبخله والكريم يجد ايضاً اعذاراً لكرمه ولكن ليست الاعذار هي المحركة بل الطبع اما الرجل المتوسط فيجب عليه ان يكون تارةً بخيلاً وطوراً كريماً حسب الظروف الحقيقة ان كل كريم محبوب وكل بخيل مذموم لان كل انسان يتأمل بالكريم وكرمه لان امله به يكون وطيداً وقد قلت من يريد يعرف قيمة الدرهم يستدينه من بخيل

(من اسباب البخل)

ان للعادة تأثيراً عظيماً على الانسان فمتى اعتاد الانسان على كثرة المصاريف

لا يعود يبالي بها قلّت او كثرت ويهون عليه دفعها فالرجل ذو العائلة لا يمكنهُ ان يتباخل كالرجل الذي لا عائلة له لذلك ترى اغلب عديمي الاولاد بخلاء لان الذي يحب ولده يصرف عليه بسهولة وهذا الحب غير موجود عند الذين لا اولاد لهم وتتحول محبة اولادهم الى محبة الدراهم وللكرم وللبخل سبب اخر وهو ان الذي لا يتعب بكسب درهمه يهون عليه صرفه بسهولة بعكس من يتعب بجمعه فالتاجر يفضل صرف الدرهم على الحاصلات بعكس الزارع الذي اذا ضفته يقدم لك افخر الطعام من خبز وفاكهة وطيور عن طيب خاطر ولكنك لو طلبت منه درهماً يمتنع عن اعطائه مع ان هذا الطعام يكلفه اكثر من هذا بكثير وما ذلك الا لان المحصولات موجودة عنده بكثرة فلا يعرف لها قيمة وبالعكس ترى التاجر انهُ يهون عليه ان يعطي درهماً ولا يضيف احداً لانهُ يعرف انهُ يشتري الخبز والخضر والدجاج بدراهم يعرف قيمتها لذلك ترى اهل الجبال كرماء بضيافتهم بخيلين بعطائهم واهل المدن يبذلون دراهمهم ولا يضيفون احداً وكل ذلك من تأثير العادات قد اكثرنا من الفلسفة بهذا الموضوع فبالاختصار نقول ان البخيل بخيل من طبعه والكريم كريم من خلقه وهذه الحوادث الاخرى ما هي الا مثل صقل الحجر اذا كان قابلاً للصقل كالرخام يكون ناعماً ولو صقل حجر معتاد حتى صار يشبه الرخام بنعومته فانهُ يظهر عند كسره وتعرف طبيعته فالتجارب هي وحدها التي تعرف الكريم من البخيل ولنرجع الان الى موضوعنا الاول

وقد مرض بخيل في اخر السنة وشاع خبر موته ثم شفي فقلت فيه

تمنى يوسف الموت اقتصاداً ... وقبل نهاية السنة المجيدة
لكي ينجو بلا تك لابن ... صباح الخير في السنة الجديدة

وقد توفي بطريرك منتقم فاراح البشر من انتقاماته ونظمت له هذا

توفي بطرك الدنيا اغتيالاً ... وقد ترك البلاد وما وراها
وسلم نفسهُ لله طوعاً ... اظن الله لن يرضى يراها

وقلت في طبيب جاهل

اراد الموت تغيير الوزاره ... اتى الطاعون والحمى اليه

فلم يقبل بتلك ومذ اتاه فريد العصر قد خلعت عليه

(حرب الانسان) فترى الانسان مجتهداً دائماً لمناصبة ما يضره فهو في حرب دائم مع نفسه والطبيعة ولولا وجود الضرر لما وجدت الصنعة فحربه قائمة دائماً اولاً ضد الطبيعة فكل من البرد والحر والهوآء مضاد له ويعمل وسايلاً لمنع ضرره ثانياً ضد شهواته التي لا يمكنه مقاومتها اما لعجزه او لفقره او لسلطة عليه ثالثاً مع مزاحمه على حاجات معيشته من انسان او حيوان

وكان في بيت اسكنه اشجار من المشمش اللوزي والاكيدني وقبلما اتناول ثمرة ناضجة منها ارى الوطواط او الخفافيش يزاحمني عليها ويأتيها ليلاً ويسبقني عليها وكنت افتكر انني ادفع اجرة هذه الجنينة واصحابها تعبت في غرسها واموال امريها والوطواط مرتاح الفكر من كل هذا ويسابقني في اكلها فمن منا اسعد من الاخر

فالسعيد من كانت حاجاته اقل من قوته والتعيس من كانت قوته اقل من حاجاته فيتوهم الانسان مع عجزه وتعبه انهُ يستطيع ان يجد ما يريحه وهذا التوهم يؤدبه الى الاعتقاد بالخلاص

(الاعتبار قدر الحاجة)

كلما احتاج انسان لاخر يكون ادنى منهُ فالانسان في ذات اليوم يكون كبيراً وصغيراً عدة مرار فانت يا طبيب لو احتجت الى اسكاف لعمل حذآء لك تقول له ارجوك يا فلان ان تصنع لي حذآء حسناً فان كان منهمكاً في شغله يجيبك لا وقت عندي لعمله فانت في تلك الساعة محتاج اليه خصوصاً اذا لم يكن من اسكاف سواه وانت مضطر لحذائك فتتذلل اليه وتكون في تلك الساعة صغيراً وهو الكبير وبعد ساعة تصيبه نكبة في عينه فيأتي اليك ويرجوك لمداواته فتفعل ما فعل معك ويتذلل اليك فتكبر عندئذ ويصغر امامك فالكبير من قلّ احتياجه والصغير من كثرت احتياجاته . وحيث ان الاحتياج هو كل شيء فالصناعة تكون معظمة قدر الحاجة اليها فالطب هو الصناعة التي تشفي الامراض وتريح من الاوجاع وهي اول ما يحتاج اليها الانسان ولذلك ترى صاحبها مكرماً وذا سلطة ولو وقتيه

(نادرة مع والٍ)

طلبني احد الولاة في بيروت لعيادة ابنه ومعالجة رمد في عينيه فزرته وعالجته حتى شفي فاس احد وكلائه ان يدفع لي اجرتي فرفضت قبولها لانني قلت بذاتي انني مها اخذت منه فعطاؤه لا يغنيني خصوصاً وانني اكون قد خدمت حاكم البلاد ويمكنني ان اكتسب اعتباره وقد توجهت مرة الى دار الحكومة لمقابلة الوالي فوجدت عنده عدة من ذوات البلد واغنيائها والجميع جالسون امامه مكتفين لا يهمسون ببنت شفة فلما دخلت عليهم وقف لي ودعاني الى جانبه فاخبرته عن حاجتي وخرجت وبينما انا واقف قرب الباب خرج احد كبار الاغنياء وسألني عن كيفية تعرفي عَلَى الوالي وسبب اعتباره لي فاجبته لا تظن ياسيدي ان الاعتبار لا يكون الا للغني فقط اما تعرف اننا معاشر الاطباء معتبرون لصناعتنا اكثر من صناعتكم فالواحد منكم ليتعرف عَلَى والٍ او عظيم يتكلف لدعوة يبذل فيها ما لا يقل عن الخمسين ليره وما ذلك الا ليزوركم او يعرف اسمكم ولربما بعد مناولة الطعام يصيبه عسر هضم فيدعوني لمعالجته فاعطيه مسهلاً فيشفى فيكون ممنوناً لي من خروج اكلك اكثر منك من طعامه له واذا قلت له ان الطعام كان غير جيد وعسر الهضم يقول لي عفارم وعنك باز ونك فما اعتراضك بهذا القول اجابني صدقت وانصرفنا

(اركع وادفع) وكان لي صديق ينتقد عَلَى الاكليروس في بلادنا ويذكر قلة نفعهم وانهم ضربة عَلَى رقاب العباد وهي افكار يرتأيها كل واحد بالاكليريكي عديم النفع وكثيراً ما كان يسارني بافكاره ولكن كنت اجيبه انهُ يجب عَلَى الانسان مراعاة الحوادث في ظروفها وهي اننا نعيش بالتاثيرات الدينية وان بلادنا بلاد الدين وبلاد التأمل والتصور الديني ومتى قوي التصور عَلَى العقل ظهرت المعجزات والمعجزة لا تزول الا باخرى واقول ان المعجزة تصديقك المعجزة فعلي الرجل العاقل الواجب عليه ان يعيش فيها ان يسير حسب هواها يلزمه استنشاق الهواء الحاضر لا المستقبل يلزمه ان يلبس لكل حلة لبوسها والمسكين من تقدمت افكاره عصرها فهو الذي يكون الضحية الاولى · واني نظراً لهذه التجارب قلت لصديقي ان افكاره كلها تذهب سدى فلا حيلة بذلك خصوصاً بين الطوايف الشرقية التي افرادها عبارة عن عائلة

واحدة وكلهم ينتسبون الى بعضهم ولكل منهم قريب او نسيب اكليريكي فلا يمكنك ابعادهم عنك لمنافعك الشخصية والاعجب عندما كنا نتباحث سوية في هذا الموضوع وهو محتد جداً ويبرهن بعدم لزوم الاكليروس والا دخل علينا مطران الدبس فاول من رفع طربوشه وقبل وركع فقلت في نفسي هذا هو البطل الذي يريد ازالة الاكليروس وما تجاسر عند دخول احدهم ان لا يقلع طربوشه ويركع فهذبت الاكليروس بفكري بهكذا اخصام ثم نظمت له .

ما دام موتُ وامراض وتفليسُ	ما دام في الارض مطران وقسيسُ
ان شئت تغيير حكم فاتخذ وطناً	لا موت فيه ولا داء وتفليسُ
او اخلق الناس يوماً غير ما خلقت	ان كان يمكن للانسان تجنيسُ
ما دمت انت كما انت فلا فرج	فالعيش عندك تبويس وتكبيس
اركع وادفع وصم صوماً وطع خبراً	وطأطيء الراس ان دقت نواقيسُ
هذي نواميس ارض انت ساكنها	وما لنا غيرها في الارض ناموسُ
تعصى اوامرها في صحة واذا	جاء المماتُ اتى ذلٌ وتنكيسُ
لا تعصى يا صاحبي جهلاً اوامرها	فانت في العجز لا يغريك ابليسُ

فالدين للاوجاع الادبية كالمورفين للالم الطبيعيه فلا مسكن غيره

(الخوري حنا كيرللوس وكيل بطريرك الموارنة في دمشق)

هو كاهن العصر كريم النفس محب الغريب والفقير وبالاختصار عكس الخوري موسى وكنت كل راس سنة اعايده بشعر ففي سنة ١٩٠٠ ارسلت له الابيات الاتية وكان لي سنة من الزمان لم ارَ منه تحريراً

قاطعت عاماً فخلنا	الفاً مع السحابة
فدم برغدٍ فهذه	لشاكر كل غابة
ودم لغيري الفاً	لترسلن الف صابة

لان كل سنة كانت تطلب منهُ الصايات الى المطارنة

وقد نال الوسام المجيدي الثالث فارسلت له هذين البيتين

قد حل فيك من الاله الثالثُ	وعليك من شرف الخليفة ثالثُ

ارجو الاله بان فيما بيننا ابدًا ودومًا لا يحل الثالث

وفي تلك السنة ارسلت اليه هذين البيتين

وغيري شاكر ابدًا كذا الخوري كذا النوري
وغيري لا ترى احدًا دوامًا شاكر الخوري

وهنأته بالجيل العشرين فقلت

ادامك الله جيلاً كذا تقول الشبابُ
هذا الدعا مستحيل لكنهُ يستطاب

الدرهم النقدي

بعد التفكر وجدت ان الدرهم النقدي هو كل شيء في الحاضر بخلاف المستقبل مثلاً ان الدرهم النقدي لا بد ان تنقص قيمته كما جرى في الماضي فقد كان فائض المائة اربعين او اربعة وعشرين غرشاً سنوياً واصبح الان بالمائة تسعة قانونياً وربما نقص عن هذا القدر والمادة التي كانت تقابله قد ارتفع سعرها فمد القمح كان بعشرة غروش واصبح الان يساوي عشرين غرشاً فيستدل من هذا ان الدرهم النقدي نقصت قيمته وزادت قيمة الحاصلات والصنائع ومثل الذي يذخر مالاً نقدياً مثل مسافر في البحر وصاحب الاملاك كالمسافر في البر نعم ان سفر البحر اريح ولكن لو غرق لذهب مع ماله اما المسافر براً فلو انهُ يتجشم المشاق ولكنه يكون آمناً انهُ لو سقط وكسر رجله او رض ذراعه لبقي له امل بالنجاة ورخصه ناشيء ايضاً عما يخرج من الذهب سنوياً من الارض الذي يقدر بمليار فرنك الذي يتراكم مع القديم الذي لا يأكل

(سعدا الدوماني)

هي زوجة صديقي الخواجه حبيب دوماني صاحب الكرم والزمام لم يتفق وجود البشاشة واللطف والذكاء والوداد وكرم النفس والاخلاق الرضية الا مع السيدة سعدا الدوماني عقيلة الخواجه حبيب الدوماني وكريمة ايوب ثابت من بيروت اعطتني صورتها فكتبت عليها هذه الابيات

ملاك اتى فالشمس عند نزوله الى ارضنا ابدت لصورته رسما
وقالت خذوا عنها المحاسن والبها ولاتذكروا من بعدسعدا لكم اسما

(جميل بك ابو نكد) رجل صادق مملوء شهامة ومروءة وشرف نفس وقد اختبرته وعرفت فيه هذه الصفات وقد طلب مني صورتي فاهديته اياها وقد حررت له عليها الابيات الاتية

انت الجميل فلا جميل لي اذا هام الفواد بحبكم والخاطر
فاذا قبلت محبتي فلك الثنا مني ورسمي من جميلك شاكر

وقد قلت في تشبيه الناس بالقراطيس ما ياتي

الناس عندي قراطيس وقيمتها بقدر ما يحتوي بطن القراطيس

فبالحقيقة يوجد فرق ما بين ورقة قيمتها عظيمة وبين ورقة نُظم فيها بيت من شعر بليد

المدرسة الطبية الفرنساوية

كان اول درس في ١٥ تشرين اول سنة ١٨٨٣

ان الذي سعى بتأسيس هذه المدرسة هو الاب نورمان رئيس الاباء اليسوعيين وساعده على ذلك الموسيو بترېمونيو قنصل جنرال فرنسا في بيروت بمصادقة الدولة العلية اخيرًا اعتمدت الحكومة الفرنساوية على تأسيس هذه المدرسة وسلمت ادارتها الى الاباء اليسوعيين الذين ينتخبون المعلمين والحكومة الفرنساوية تصادق عليهم

(اليسوعيون)

لا اذكر هنا تاريخ الاباء اليسوعيين ولا قوانينهم وما عملوا وما عمل لهم في الدنيا غير اني اذكر ما شاهدت منهم وما عرفته فيهم مدة اثني عشرين سنة فاقول ان اليسوعي هو رجل قانونه لا يتعداه ولا يسمح لاحد ان يعتدي عليه رجل العمل نظير السكة الحديدية لا بد لها من المسير وكل من يقاومها تسحقه ولا تبالي به ولا تدع شيئًا يعيقها في سيرها ولو قصر قليلاً رئيسهم الاكبر بواجباته

لانزلوه عن مركزه ونصبوا سواه فالكبير فيهم من لا يكلّ عن العمل ولا يحيد عن طريق واجباته وهذه السكك الحديدية تمشي بلا ضجة ولا صفير حتى لا تعرف اذا كانت سائرة او واقفة وتجرّ معها كل من يتعلق بها ومحرك هذه السكة هي الساعة فانها توقفها وتحركها والجميع خاضعون لها فمتى دقت الساعة لعمل ما يتحرك لصوتها كل عامل ومتى دقت للوقوف وقف جميع عمالها كل منهم ينسى نفسه لخدمة الجسم كله ولا يعرف الا المصلحة العمومية فيتجرد عن كل شيء في العالم لخدمة مصلحته لا يعرف ابًا ولا امًا ولا اخًا ولا صديقًا واليسوعي هو الوحيد الذي اتبع وصية المسيح بقوله دع الموتى تدفن موتاها وهو الذي يكرس فكره وذاته لنجاح مصلحته وعمله العمومي ويحمل صليبًا ويتبع سيده

اليسوعي عامل لا يكل من التعب ولا تراه قط بلا عمل الا مدة النوم ومن يعلم ماذا يشتغل ساعة نومه وفي ساعة العمل لا يفرق بينهم الشاب من الشيخ ولا تجد ياسوعيًا يمشي على مهله بل بكل سرعة ممكنة فلو جردنا كل الرهبانات عن ثوبها الرسمي ومشت لعرف اليسوعي من مشيه عنها وخصوصًا متى كان اكليريكي شرقي ولا غرو من ذلك لان مشي اليسوعي مشي عسكري وباقي الرهبانات مشي قضاة واعضاء مجالس يشتغل الواحد منهم ان كان جالسًا او قائمًا اما بالقراءة او بالعمل او بالكلام ولا يدع لذاته دقيقة يفتكر فيها بنفسه كل منهم رئيس في عمله ومتى انتهى منهُ يخضع لرئيسه وبالاختصار هم رجال الكد والجد والعمل لا يرهبهم شيء الا مخالفة قانونهم ومتى ابتدأوا في عملهم فلا احد يوخرهم عنه متبعين بذلك قول رئيسهم الاعلى القديس اغناطيوس دي ليولا قبل ما تعمل عملاً اتكل على الله ومتى ابتدأت به اعمله كأنهُ لم يوجد فانظر الى هذا الاجتهاد ما ابعد مرماه

لست احتاج ان اذكر ان يوجد عندهم جميع العلوم والصنائع وما يلزم للانسان والاغرب فيهم ان عددهم في الدنيا لا يتجاوز ١٣ الف يسوعي من كل الملل والاجناس ولكنهم كلهم كرجل واحد لا يفرق بينهم جنس ولا وطن ولا لغة يجمعهم لقب واحد يسوعي تصور شخص في العالم له ست وعشرون الف عين وست وعشرون الف اذن ومثل هذا العدد ايدي وارجل وثلاثة عشر الف لسان فمن يضاهيه

بقوته وهذه الاعين والايدي ممتدة الى اربعة اطراف المعمور وهي بالحري تلغراف بلا سلك توصل الاخبار الى بعضها من كل ناحية ولست اذكر شيئاً عن مداخلاتهم بين الناس اذ لا توجد مدينة عظيمة من العالم الا ولهم اخوية او عمل فيها

المعلمون حسب حضورهم

فالذي حضر اولاً هو رونيه معلم الولادة وقد علم في السنة الاولى التشريح ثانياً سنس ابتدى بتعليم الجراحة الصغرى وكان ابتدى الدروس في ١٥ ت ا سنة ١٨٨٣ بامر تلغرافي حضر من باريس وبعد ذلك حضر نكر معلم التشريح وديران معلم الامراض الباطنة وفلافار وعندما ابتدى سنس بالجراحة الكبرى وما عاد امكنه يعلم الجراحة الصغرى طلب معلماً لذلك وحيث كنت موجوداً في المستشفى الفرنساوي كما قلت مع سنس من سنة ١٨٧٩ دعاني ريس المدرسة الاب لوفافر والشنسليه الاب مرسليه بناء على قرار المدرسة ومصادقة قنصلاتو فرنسا الذي كان يومئذ موسيو بتريموليو ان اكون معلماً للجراحة الصغرى وحيث لا يوجد بين المعلمين من يدرس الامراض العينية وكنت مشهوراً بها عينت ان اكون معلماً للاكلينك العيني ايضاً وابتدى درسي سنة ١٨٨٥ وفي سنة ١٨٩٥ انعمت علي دولة فرنسا بنشان الاكادمي مثل باقي المعلمين وها هي المعاملات الرسمية · حضر لي اولاً هذه التذكرة من القنصل الجنرال

BEYROUTH Samedi 6 Avril 1895

Mon cher docteur Chaker Khouri.

Je m'empresse de vous donner une nouvelle qui vous fera plaisir, sur la proposition du Consulat général, vous étes nommé officier d'academie, le brevet vous sera transmis officiellement.

Mille félicitations et croyez moi votre tout dévoué.

L. Saint René Taillandier.

هذه ترجمتها بيروت السبت في ٦ نيسان سنة ١٨٩٥

عزيزي الدكتور شاكر الخوري

تراني مسرعاً باخبارك خبر يسرك جداً وهو ان القنصلاتو الجنرالية طلبت تسميتك اوفيسه داكادمي وقد تسميت وستصلك البراءة رسمياً اقبل مني الف تهنئة واعتقد انني مخلص جداً

من رنه تالنديه

Consulat Gènéral de France en Syrie

BEYROUTH, 8 Avril 1895

MONSIEUR

J'ai l'honneur de vous informer que sur la proposition de Mr. Jullemier gérant du consulat général de France à Beyrouth appuyée par Monsieur Cambon, ambassadeur de la République à Constantinople et par moi-même, le ministre de l'instruction publique et des Beaux-arts, vous a conféré les palmes d'officiers d'academie en récompense des services que vous avez rendus.

Monsieur le docteur Chaker Khouri professeur à la faculté de médecine de Beyrouth.

A l'enseignement comme chargé des cours de la Faculté de médecine française de cette ville.

Vous trouverez ci-joint le brevet de cette décoration, délivré à la date du 8 Février dernier.

Il m'est particulièrement agréable Monsieur d'avoir à porter à votre connaissance cette bienveillante décision du gouvernement de la Républi-

qne, et en vous adressant mes plus sincères félicitations pour la distinction dont vous venez d'être l'objet, je vous prie de recevoir l'assurance de ma considération très distinguée.

L. Saint René Taillandier

(ترجمة) قنصلاتو جنرال فرنسا في سوريا بيروت في ٨ نيسان سنة ١٨٩٥

مسيو لي الشرف ان ابلغك انهُ حسب طلب مسيو جليه وكيل قنصلاتو جنرال فرنسا في بيروت وعضد مسيو كامبون سفير المشيخة في الاستانة لهذا الطلب وعضدي ايضاً قد سماك وزير المعارف والصنايع اوفسيه داكادمي مكافأةً لما اديته من الخدامات.

(مسيو الدكتور شاكر الخوري استاذ في المدرسة الطبية في بيروت) بتعليمك في المدرسة الطبية الفرنساوية في هذه المدينة وباطنه براءة هذا النيشان المعطاة في ٨ شباط الماضي

وانا منشرح جداً بتبليغك هذا القرار الحسن التي عملته حكومة المشيخة ومع تقديم اخلص التهاني بهذا الامتياز الذي كنتم موضوعه ارجوك ان تأكد اعتباري الفايق جداً

سنرنه تلنديه

وهذه البراءة هي

RÉPUBLIQUE Française

Ministère de l'instruction publique des Beaux-arts et des cultes.

Le ministre de l'instruction publique des Beaux-Arts.

Vu l'article 32 du decret organique du 17 Mars 1808

Vu les ordonances royales du 14 Novembre 1844, 9 Septembre 1845 et 1 Novembre 1846 vu les

decrets de 9 Decembre 1850, 7 Avril, 27 Décembre 1866 et 24 décembre 1885.

ARRÊTE

Monsieur le docteur Chaker Kouri, professeur à la faculté française de Beyrouth, est nommé officier d'Academie

Fait à Paris le 8 Février 1895

Pour ampliation
Le chef du Cabinet
Signé

Le Ministre de l'instruction Publique
des Beaux-Arts et des cultes
B. POINCARÉ

وهذه ترجمتها

المشيخة الافرنسية

وزارة المعارف والصنايع والاديان

قد راى وزير المعارف والصنايع والاديان

مادة ٣٢ من النظام الاساسي ١٧ اذار سنة ١٨٠٨

والاوامر الملوكانية في ١٤ ت ٢ سنة ١٨٤٤ وتسعة ايلول سنة ١٨٤٥ واول ت ٢ سنة ١٨٤٦

وقرارات ٩ ك ٢ سنة ١٨٥٠ وسبعة نيسان و٢٧ ك ٢ سنة ١٨٦٦ واربعة وعشرين ك ٢ سنة ١٨٨٥

يسمي

مسيو الدكتور شاكر الخوري استاذ في المدرسة الطبية الافرنسية في بيروت اوفسيه داكادمي

اعطى في باريز في ٨ شباط سنة ١٨٩٥

وزير المعارف والصنايع والاديان
بوانكاره

ربس الاوضة
الامضا

وهذا النيشان من فضه بشكل نخله وله شريط بنفسجي

وعندما استلمت هذا النيشان اخبرت عنهُ الاب كلره الذى كان يومئذ رئيس مدرسة الطب Recteur ورئيس عام للرهبنة اليسوعية في سوريا وكان يومئذ في تعنايل فحرر لي التحرير الاتي

TENAIL 12 Avril 1895'

Mon cher docteur.

Je vous remercie de la nouvelle que vous m'avez annoncée, et j'envoie mes plus cordiales félicitations au nouvel officier d'academie.

C'est une distinction que vous avez bien méritée par vos années de service déjà longues et par le dévoûment que vous apportez à remplir les fonctions que vous a confiées l'administration de l'école fière de vous compter au nombre de ses professeurs.

Veuillez agréer mon cher docteur l'assurance de mes sentiments dévoués E. CLAIRET S.J.

وهذه ترجمته

تعنايل في ١٢ نيسان سنة ١٨٩٥

العنوان الى الدكتور شاكر الخوري استاذ في المدرسة الطبية الكاثوليكية الافرنسية

عزيزي الدكتور شاكر

اشكرك لتبشيري بالخبر المحرر عنه واقدم التهاني الى الاوفيسيه داكادمي الجديد وبكل استحقاق نلت هذا الامتياز نظراً للسنين الطويلة التي خدمت فيها وللغيرة التي اظهرتها باتمام الوظايف التي سلمتها لك ادارة المدرسة التي تفتخر ان تعدك من جملة اساتذتها

اقبل يا عزيزي الدكتور تأكيدات احساساتي الفايقة كلره

وحيث ان النظام عندما ينال احد نيشان من دولة اجنبية يلزم له الرخصة بحمله من دولته فقد قدمت لمتصرفنا نعوم باشا عرضحالاً بذلك فحضر لي الامر الاتي وهو

متصرفية جبل لبنان الى الدكتور شاكر افندي الخوري

تحريرات عربية قلم

عدد

٢٠٨

رفعتلو افندي

بناء على استدعاكم صار تقديم الانها لجانب مقام الصدارة العظمى بشان تعليق نيشان اوفسيه داكادمي المعطى لكم من طرف دولة فرنسا فحصل التشرف بامر سامي مؤرخ في ١٧ ذي الحجة سنة ٣١٢ و ٢٩ مايو سنة ٣١١ نمرة ١١ يعلن بالامر الوسيم بانهُ لدى الاستئذان صار شرف صدور الارادة السنية الملوكانية بالرخصة بتعليقه وعليه مع اظهار محظوظيتنا بهذه المنحة وارتياحاً للتبريك بها اقتضى ترقيم هذه الشقة المخصوصة بها

في ١٠ محرم سنة ٣١٣ و ٢٠ حزيران سنة ٣١١ الختم نعوم

وبعد خمس سنوات نلت من مشيخة فرنسا نيشان اوفسيه دانستريكسيون بابليك اي نيشان مجلس المعارف وهو بهيئة الاول لكن من ذهب وهو اعظم نيشان للعلماء

وقد طلبوا لي الجيون دونر مرتين كما انهم طلبوا لغيري من المعلمين جملة امرار وما احد ناله الا الدكتور ديرن لانهُ طبيب صحي لفرنسا وقد ناله الدكتور روفيه ايضاً الذي استعفى سنة ١٩٠٦

وباقي المعلمين مذكورين في تاريخ المدرسة كالدكتور هاش الذي حضر محل مانس وكذلك بوبه الذي توفي وكذلك لابورديه ومن الياسوعيين الاب مرسليه الذي كان شنسليه ومعلم الطبيعة وهو الذي عمل جميع بنايات المدرسة وعمل ترتيبها ودروسها واليوم يمشي بموجبها وابتدي في المكتبة وصار مرتين شنسليه هو من رجال الياسوعيين العظام وكذلك الاب فنسن الذي كان يعلم التاريخ الطبيعي

وتوفى ومحله الاب بولموا الفاضل وكذلك الاب كولنجة والمعلم الاول الاب سولن

(دبران) معلم البتالوجيا الباطنية اى الامراض الباطنة اشطر المعلمين سياسةً ومكسباً وكان يمزح معي احياناً

(نادرة معي)

توجهت يوماً الى المستشفى لاتوجه مع دبران لعيادة مريض من بعبدا وكان موجوداً تلك الساعة في الاكلينيك مع التلامذة وكان يعاين مريضة مصابة بالنزلة الصدرية وفي عينها مرض غير ذى بال — وبعد ما اتفقنا عَلَى الوقت الذى نذهب فيه لعيادة المريض خرجت فناداني وقال لي تعال انظر اذا كان يقتضي قلع عين هذه الامرأة وضحك فاجبته اذا بقيت حية ليوم غداً ننظر في امرها فضحك وضحكت التلامذة

واتاه يوماً مريض فقال له يا دكتور انني كاثوليكي وابن الكنيسة فارجوك ان تعالج لي البواسير التي معي ففحصه وراه مصاباً بزوائد زهرية فقال له ياصاحبي ان كنت كاثوليكياً فليست بواسيرك كذلك

(الاب كانين)

(ريس المدرسة الحالي) هو الذى جعل مدرسة الطب عَلَى ما هي عليه الان مدرسة حقيقية لان قبل توليه ادارتها كانت التلامذة تذهب الى الاستانة لنوال الشهادة فاخيراً تحصلوا عَلَى ارادة سنية ان يتوجه كل سنة ثلاثة من اساتذة مدرسة الطب في الاستانة مع المعلمين الثلاثة الذين ترسلهم جمهورية فرنسا لفحص التلامذة واعطاءهم الشهادتين العثمانية والافرنسية

وقد الف الاب كانن جمعية طبية تجتمع فيها التلامذة القدماء مع المعلمين كل سنة و يقدم كل منهم تقرير طبي بما رآه وجد عليه عملاً وقد نظمت له هذه القصيدة باول اجتماع الذي كان في ١٨ ابار سنة ١٨٩٦ في الحفلة العمومية

ما بين مدحي وزهد الاب كانان	في حيرة واضطراب القلب تلقاني
اذا مدحت نهاه بات في خجل	كأن قولي من زور وبهتان
يحمر وجهاً اذا عدت فضائله	ويعبس الوجه من مدح وشكران

مع انهُ لبشوش الوجه مشتهر | والطف الخلق في استقبال انسان
سكتُّ عن مدحه كي لا اكدره | ولا يرى شاكرًا في وجه غضبان
ولا يظنُّ باني قد اجربه | ضد التواضع في تعداد احسان
سكتُّ حتى سكوتي كاد يزعجني | وخانني الصبر في صمتي وكتماني
اصبحت في حيرة هل ان اكدره | ام هل اكدر نفسي طول ازماني
لما اتى عيده قد خانني جلدي | ولم يعد ابدًا صمتي بامكاني
قدمت شعري لديهِ اليوم معتذرًا | ان لم يكن عاذري فالحلم غفراني
مدحتهُ بلسان ليس يعرفهُ | كي لا اجرح تقواه بعرفان
ان كان من بعد حين بات يعرفهُ | من ترجم الشعر في تكديره جاني
مع كل هذا فاني لست امدحه | لكنني ذاكر تاريخ اوطاني
فمكتب الطب لولا فرط همته | لطب من بعد اتعاب وخسران
خاض البحار وجاب البر مجتهدًا | وضم ما بين فيلكس وسلطان (١)
وكم اتت بفصيح القول غيرته | حتى يثبت مبداه ببرهان
لقد غدا مكتبًا في الشرق معتبرًا | من كل فرد فرنسيٍّ وعثماني
مذ بات لاون من عرش يباركه | تجله في الورى ارباب اديان
ان كان مكتبنا الطبي في نعم | فالفضل في كل ذا للاب كاتان

وكتب لي يوسف ابو سليمان معلم البيان في كلية القديس يوسف للاباء اليسوعيين هذين البيتين بعد تلاوة هذه القصيدة

لله درك شاعرًا متحريًا | نظم القوافي طالبًا البابها
اما القصيدة في مديح رئيسنا | فهي وحقك طرفة في بابها

(استعفائي من مدرسة الطب)

بسبب نزلة صدرية اصابتني سنة ١٩٠٥ تركت الشغل مدة ثم رجعت السنة الثانية اليه واخيرًا اشعرت بقلة جلد وضعف في الجسم فقدمت استعفائي وقد قدم الدكتور هاش استعفاءه ايضًا في هذه السنة ١٩٠٨ نتأسف لمفارقته هذه البلاد لانهُ جراح عظيم

(١) هو فلكس فور رئيس المشيخة يومئذٍ

وقد الغلوا بعدي درسي في الجراحة الصغرى واعطوا الاكلينيك العيني الى تلميذي ابراهيم افندي المدور معاون للدكتور دبران وهو من الاطباء الماهرين بالامراض الباطنة

(الخوري يوسف ذيب) عرفت هذا الاب شماساً وكان اسمهُ حنا ذيب يعلم في مدرسة اليسوعية وهو راعي الاولاد وفي ١٥ كانون ثاني سنة ١٨٩٧ سيم كاهناً وقدمت له هذه الابيات

رجال يسوع اضحوا — اعجوبة في المساعي
وخير مسعى اتوه — تغيير نسل الافاعي
لو ارشدوا اليوم ذئباً — وكان قاسي الطباعِ
لوعظهم «حنا ذئب» — واصبح اليوم راعي

ودعي حنا ذيب باسم الخوري يوسف ديب

(الخوري اغناطيوس جعجع) هو مثال الاداب وانموذج الكهنة الطاهرين قد خلق ليكون كاهناً وهو وديع لطيف ذو مروءة وغيرة يحب الفقير ويعتبره له سمعة جيدة وهو مدرس في كلية القديس يوسف للاباء اليسوعيين

(مهندس الطرقات)

وكان احد مهندسي الطرقات يفتخر في صنعته ويفضلها على كل صنعة حتى الطب وكان ذلك امامي فخطر لي هذا المعنى فقلتهُ له نظماً

اذا صعد الحمارُ على جبالٍ — يهندسُ طرقها وهو يسيرُ
فهذا مهندس الطرقات اصلاً — وما زالت تهندسها الحميرُ

فبالحقيقة ان الحيوانات هي التي هندست كل الطرقات الجبلية لان الانسان يمشي على القادوميه كما يقول وعندما كنت في مصيفي في جبل طورا وكانت طرقاته عسرة المسالك افتكرت ان اصلح بعضها فارسلت لذلك فعلة مع وكيل عليهم فذهبت في اليوم الثاني لارى الشغل الذي وجدته كالعدم فاخيراً اخبرت الوكيل ان يسوق حماراً ويتبعه ويحفر وراءه وعند انتهى الطريق يرجع ويشتغل على الحفر ففعل ذلك وكانت احسن طريق وهذا معقول لاننا نهدس الطريق لاجل

تسهيل مرور الحيوانات عليها فالحيوان يعرف الطريق التي يستريح بسلوكها اكثر منا فتراه يمشي ويدور حسب راحته فاذاً لا يلزم نستخف بالحمار ولا يلزم ان يتكدر من نقول له حمار لانهُ عرف انهُ اول مهندس الطرقات واذا فحصت ترى جملة اشياء علمتنا اياها الحيوانات خصوصاً الطب فالذي علمنا الحقنة هو طير البجع ومستكشف الكينا هو الاسد والذي استكشف خواص البن هو الخنزير ومثله الضفدعة استكشفت الكهربائية وهكذا اذا فتشنا عن كل شيء ترى الحيوانات اساتذتنا ما عدا الكذب فانه من اختراعاتنا لان عندما الانسان ابطل الزراعة والفلاحة ابتدى يكذب ويغش الفلاح لاخذ غذاءه منهُ لان الغذاء هو اصل كل شيء

(الغنى والفقر من عمل الانسان)

العقل قوة يميز بها الانسان النافع من المضر والخير من الشر وجلب النافع وابعاد المضر اولاً عن الانسان نفسه ثم عن الهيئة العمومية وعندما اعطانا الباري هذا العقل اعطى لنا الحرية لاستعماله فالعقل هو موهبة من الله واما نتيجة استعمالك له للخير والشر للنفع وللمضر فهو منك مثلاً

قبلما اجتمع الانسان عَلَى هذه الهيئة الحاضرة كان كالوحوش في عيشته وللان ترى شعوباً يعيشون عَلَى هذه الحالة فكان الانسان ياخذ غذاء من اي محل كان من الارض ويشرب ماء من اي نبع كان وينام في محلات مخصوصة التي تقيهُ من البرد والحر فبالطبع ان محل سكنه لا يتوقف بقرب محل غذاء وشربه فكان يأكل في محل ويشرب من محل اخر وينام في محل ثالث فلاجل ذلك كانت تلزمه الحركة فاذا ما تحرك يموت جوعاً فكان يلتزم اذا كان نائماً وعطش ان ينهض من محل نومه ويذهب ليلاً الى محل الماء وهكذا في الغذا وعندما وجد حاله تعباناً في هذه الحالة وبالصدفة وجد حجراً مجوفاً فيه قليل من الماء وكان الحجر صغيراً يمكنه حمله افتكر ان يأخذه معه الى منزله بحيث اذا عطش ليلاً يشرب منه ويوفر تعب السفر عليه ليلاً فعمل ذلك وهكذا عمل في جمع الغذاء بحيث استراح جداً وكان لهذا الرجل جار لم يشا يفعل ما عمله جاره فكان يتعب ويشقى واذا احتاج الشرب في احدى الليالي يترجى جاره ليعطيه قليلاً من الماء فصار في هذه الحالة ادنى من جاره الذي تسلط عليه

باحتياجه له بفضله عليه لعوزه وهكذا صار فكل من يسد عوز اخر خصوصاً بالاكل والشرب فهو اكبر منهُ لا محالة

فينتج من ذلك ان الغنى والفقر من يد الانسان لان صاحب التدبير اغتنى واراح فكره وصاحب الاهمال وعديم الادارة افتقر وتعب فماذا يخص الباري من ذلك فانهُ اعطاك عقلاً مثل جارك لماذا لم تقتد به فاذا ما كان عندك قوة عقل مثله للاختراع فهو يظهر لك الطريقة لماذا لم تفعل مثله فيكون اذاً راحتك وشقاك من يدك فللنجاح طرق وللخساير طرق وللانسان الحرية التامة في استعمال احدهما فالشقي يكون شقياً من يده والمرتاح كذلك ربما يعترض ان كثيرين ممن يتعبون ولايجدون توفيقاً نعم ان ذلك حقيقة ولكنه نادر واغلب النجاح هو المشي على طرقه حاصله انظر الى اين اوصلنا الحمار بسبب هندسته وهذا يعلمنا ان الانسان لا يلوم الا نفسه ولا يتشكى من الخالق ويصح القول الذي هو خلاصك في يدك يا اسرائيل فاذا مشيت على طرايق النجاح ولم تنجح فلا ملام عليك ولا تلوم نفسك لان اللوم بالتقصير هو قصاص للذنب وهذه هي جهنم له

(اسعد بك لحود)

شاب زكي لطيف جميل الطلعة وهو اكرم اهل زمانه مالاً وجاهاً ومروءة يفدي نفسه وصالحه لخدمة اصحابه طلق المحيا ذو غيرة عظيمة حاد الطبع لا يغش ابداً ولا يكتم حقداً وكان عضو عن كسروان في مجلس ادارة لبنان وكان بمنزلة مضيافاً كريماً وعقيلته هي ابنة عمه وهي على غاية ما يكون من الجمال والكمال كريمة الاخلاق لطيفة المعاشرة بشوشة الوجه طلقة المحيا ذات جمال بديع على وجنتيها صفان من الخالات وهي تتجاوز السبعة على كل جهة كانها صور تحيط بورد الخد وهي تدعى روزه وهو لفظ افرنجي معناه الورد

وقد حررت على صورة السيدة روزه هذين البيتين

لروزة اسعد في الخد ورد　　له صور من الشامات يعبد
فمن قد شامه اضحى سعيداً　　ومن قد شمّه لا شك اسعد

(غيره)

لروزة في الخدود بهي روض   نقيم به العبيد على الخدود
لتحرس ورده من كل لص   فهل لي ان اكون من العبيد

واسعد بك من اللذين توجهوا الى الاستانة من قبل لبنان في يوبيل مولانا السلطان الاعظم ونال المثول بين يديه وهو قائمقام جزين الان

قنصلية جنرال دولة فرنسا في بيروت

اول من عرفت فيها بتريمونيو وترجمانها الاول مسيو روسو ثم لابتنفيل ومسيو كيو وكذلك مسيو سنرنه تلنديه ومسيو جيلميه ثم بعده المسيو سوار الذي اهداني صورته مع صورة قرينته التي نظمت عليها

ان شمسنا رسمت كمال جمالك   فقلوبنا رسمت جمال كمالك
اشغلت قلب الناظرين وطرفهم   وجمال وجهك صدقى فعالك
لا يخشون سوى بعادك عنهم   وكذا اذا انكسر وافمن اهمالك

واعطتني صورة ولديها متعانقين فكتبت عليها

سمعنا من قديم عن ملاك   بشير مع ملاك قد ترافق
وقبل بني سوار ما سمعنا   ملاك مع ملاك قد تعانق

وقد حررت على صورته ومعه عدة وسامات

هذا الوزير سوار للورى عضد   وما علا صدره برهان برهاني
لو صوروا ما حوى في صدره ادباً   لكان يعلو سوار فوق تيجان

وخلف موسيو سوار الكونت دي مرسه ومعه مسيو بيان ثم حضر مسيو فوك دي بارك مع مسيو كامبانيا الذي انتقل اليوم للوزارة مع مسيو بيان

(فوك دي برك) ولد سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٨٦ توظف في سفارة برلين وسنة ١٨٩٩ كان محرر الادارة السياسية في الشرق الاقصى ثم كاتم اسرارها من الدرجة الاولى سنة ١٩٠٠ ثم وكيل قنصلاتو جنرالية ببيروت سنة ١٩٠٥ وهو زكي رابق كأنه لبس بافرنسي معتدل اللهجة متأني يسمع كلامك وبعينه يفحص هيئتك لا يصدق كل الكلام بسهوله بل يفحصه في فكره وبالاختصار انه من المهمين ومداومته

من عائلة الدكتور هاش

(رئيس محكمة مديون مفلس)

(اعرابه)

ما فيه من رفع سوي رفع الشوارب وهو لاحس
مبني على نصب وقد كسروه في كل المجالس
وبه علامة جزمة لسكونه بين النواعس

(مجلس حكمه)

واذا نظرت جنابه في دكة الاحكام جالس
فترى الجموع بفجة لدخولهم قبل الدسايس
يتزاحمون ببابه لديونهم والشهم عابس
هذا يدفش جاره ويقول دوري وهو داعس
هذا يطالب ماله عند الرئيس عن الملابس
هذاك في حق الطحين وغيره حق المكانس
لو كان يدفع دينه قفلوا المحاكم والمجالس

(حالة الشعر)

لا بد للشعر خصم ان كان مدحاً وذما
اذا مدحت فلاناً فخصمه صار خصما
اذا هجوت عدوّاً عليك قد بات يحمى
اذا تغزلت يوماً قالوا تهتكت رغما
قالوا جننت سريعاً اذا تحمست لما
اذا افتخرت باصل قالوا تكبرت ظلما
يقال عنك كذوب ان قلت اعمى لاعمى
دع عنك شعراً وانزع من قلبك اليوم هما
واصبر على كل عيب وكن بليداً اصما

(تجنيس)

اعار وميض البرق بارق ثغره ... وشهب الدراري اصبحت عقد نحره
ودر الثريا قد احاط بخصره ... اضاف الدجى معنى الى لون شعره
فطال ولولا ذاك ما خص بالجرّ

وقد خفنا من كسر القلوب اذا رنت ... بكسر جفون فانقينا وما اتقت
ظننا بنون الحاجبين قد انوقت ... فحاجبه نون الوقاية ما وقت
على شرطها فعل الجفون من الكسر

(حالة الانسان في الشرق)

الله اوجدني في ارض لبنانِ ... والاصل سريان والايمان موراني
اصبحت مضطهداً من كل طائفة ... من كل جنس ولو كانوا كجيراني
ان قلت سريان فالاعراب تبعدني ... والسود تبغضني والفرس تهزاني
امـا الفرنجي فودي لا يصدقـه ... لو كان ايمانه في الدين ايماني
او شامني عربي في نهى وذكا ... يقول في قلبه ذا الوغد سرباني
او شامني مسلم في الجاه مفتخراً ... يقول في سره ذا الكلب نصراني
او شامني ارثوذكسي فاعجبهُ ... يقول باليته قد كان يوناني
اذا لقاني فرنجيٌّ ومازحني ... يقول في قلبه هذا لفتناني
ان البروتستنت ان قابلتهُ سحراً ... نادى اعوذ بربي ذاك رومـاني
اذا اتيت لصيدا واشتهرت بها ... قالوا بانيّ فـلاح ولبنـاني
لا العلم ينفعني لا العقل يرفعني ... لا العدل يحفظني من مذهب ثاني
اين البلاد التي تحنو الى ادب ... وتحسب اليوم افضالاً لانسان
من دون جنس ودين او بلا وطن ... يقدرون الفتى قدراً لاحسان
ما الذنب لي ان براني الله في بلد ... صغيرة او بدين غير اديانِ
او كان لبسيَ طربوشاً وكوفية ... او مأكلي دون سكين لالوانَ
فالراس راسي وكفي لي غدت وكذا ... والارض ارضيَ والاسنان اسناني
لو كان اكلي بلا سكين مصطلحاً ... يضرّ اسنانه بالحق ينهاني

لو كان دبني ينادي كي اضرّ به　　له عليّ حقوق الكره والجاني
لكن بالعكس دبني قد يعلمني　　اذا اساء اباديه بغفران
له عليّ يمين لا اضرّ به　　هذا هو الدين والدنيا للانسان

(وقلت الى صديق اتاه لقب باشا)

وهو فريد باشا باباز اوغلي مدير الاشغال العمومية في مصر وهو ابن ايوب باباز اوغلي الشهير في القطر المصري بكرم الاخلاق وقد نال رتبة مير ميران فحررت له هذه الابيات وهو عديل اخي الدكتور امين زوج السيدة كليوبترا

لم تزدنا في صنف باشا اندهاشا　　بل سروراً وبهجة وانتعاشا
كلما زدت في المعالي ارتفاعاً　　زدت حباً وداعةً وانكماشا
كل مرء سواك يسوى سواكا　　ان علا فعلى المحبين هاشا
وتراه ان قيل يا شيخ اهلاً　　مرحباً فيك قام راساً وطاشا
ويملى من شاربيه ارتفاعاً　　فهو شيخ فكيف لو كان باشا
ربكم عارف باكثر منا　　فهو يعطي الى الخلائق ما شا

ثم قلت له هذا التاريخ سنة ١٩٠٨

انت باباز لصدق　　مثل ايوب لشغل
وفريد في صفات　　عند اشفاق وعدل
مير ميرانا ارخ　　صرت للعليا كاوغلي

وهو من الرجال التي تفتخر فيهم اصلاً سوريا

وقد نظمت هذه الابيات لحضرة محمد افندي بيهم صاحب البيت البديع المقابل الفنار في راس بيروت وهو اظرف محل في بيروت

لكم بيت تحج له القلوب　　وقلب لا تحج له الذنوب
فلا للشمس عنه من غياب　　وليس لجودكم فيه غروب
غدا راساً ببيروت مكانا　　وانك راس بيروت الاديب
غدوتم بيهم من كل حال　　فنعم الاصل منكم والحليب
فليس لفضلكم ابداً حدود　　وان مديحنا فيكم بطيب

وعندما تزوج المرحوم يوسف افندي المطران ابن المرحوم حبيب باشا المطران من افراد سوريا واخو ندره بك والياس بك المشهورين بعلو الهمة بالسيده فاني الفرنساوية حررت له الابيات الاتية

لمثلك واجب يوم اقتران — مديح مـا تعوده لساني
فلا تفكر بهذا المدح اني — تغيَّر خاطري وخلقت ثاني
وعودت اللسان على مديح — وقد مثيته حسب الاوان
فما والله مدحك من لساني — ولكن كل مدحك من جناني
عجايب فعلكم قد حيرتني — وقد جآت بايات الزمانِ
وقد نلتم مقاماً ثم جاهاً — له في ارضنا اعلى مكانِ
كسبت من المغارب قلب فاني — وذكرا في المشارق غير فاني

وقد توالت عليه المصايب كسرعة تقدمه فبئس الزمن وقد توفت فاني بعد زواجها بعشرين يوماً وهو بعدها بشهرين حزناً عليها

(قوة الجمال)

ما عليكم حاكم غير الجمال — وفداه كل جاهٍ وكمال
لم تقاوم نفس حرٍ نظرة — من عيون ناعسات ودلال
فهو عبد عندما ينظرها — ويهان الجاه والمال الحلال
كم شجاع بات عبداً طائعاً — وقويٌ عند مراها خيال
كم عنيد بات سهلاً ليناً — كم بخيل قد غدا سهل المنال
كم جهول بات فيها عاقلاً — كم ثقيل خف وزنا لا محال
كم من الانذال اضحت اسداً — عند ما قد وعدتها بالوصال
يحرم الانسان عقلاً حينما — يجعل الدين محطا للجدال
وكذا فالدين يفني مذ يرى — درهماً في الجيب قد صال وجال
وكذا الدرهم يمضي مذ يرى — صاحب الدرهم ربات النصال
للجمال كل شيء خاضع — ما عليكم حاكم غير الجمال

(فارس بك شقير)

قائمقام الكورة سابقاً كان لفارس بك اخ شاعر مجيد كاتب مفلق اسمه شاكر توفى بمصر وكان صديقاً للمرحوم اخي خليل الذي كان شاعراً ايضاً وتوفي قبل شاكر فاتى فارس بك لزيارتي وتعزيتي بفقده ورثاه بقصيدة بليغة فلما توفى اخوه شاكر حررت له هذه الابيات

انذكر ما قد قلت يوماً لشاكر   فها شاكر يدعيه في فقد شاكرِ
كلانا نعزي بعضنا والذي مضى   في راحة من كل امر مخاطرِ
تيقن بان الموت اشقى على الذي   يعزي فما والله هذا بخاطري
فاي فؤادٍ لا يذوب توجعاً   برأى شقيقٍ للمقابرِ زاير
تنادي فلا يسمع ونبكي فلا يرى   وعما قليل لا يرى في المقابرِ
وقد كنت قبلا ساعة صاغياً له   وبدبك بالافكار لست بفاكرِ
فاين القوى والعقل والصدق والذكا   واين النهى والعلم او نظم شاعرِ

وقد توفى فارس بك فجأة في ٢٨ ك ٢ سنة ١٩٠٨ وقد رثاه بديع ابن اخي المرحوم خليل وله من العمر ١٦ سنة لان فارس بك رثى اباه ومن الرثاء هذا

فيا نفس خير الراحلين لك البقا   بجفن (خليل) لا يفاجك الفقد

ومنها

تاخرت عن تابينه وتقدمت   رثائي مراثٍ ليس يحصرها عدّ
وذاك لان الحزن قيد منطقي   لفقدي فرداً لا يضارعه فرد
فاني ابن ذياك « الخليل » ولم يمت   بقلبي حبٌ شاده الاب والجد

وقد بكيته لخليل وما امكنني اقول في رثاه غير هذا البيت

ارثي لحالي اذا ما كنت ارثيكا   فالدهر لم يبق لي دمعاً لابكيكا

« كميل اده »

هو اكبر اولاد ميشيل افندي اده مدير سياسة ولاية بيروت وهو من الرجال المفردين في عصرهم رجل الذكاء والسياسة والامانة نحو دولته توفي سنة ١٩٠٧ وقد خلفه ولده كميل في وظيفته وصفاته وقد نال رتبة فنظمت له هذه الابيات

قبل من الكمال نلت الكمالا   بذكاه ورتبة يا كميلُ

وبجاه لوالد نلت جاهاً   من مليك ونعمة لا تزولُ
اذ شكراً ودم لنيل المعالي   ودع الحاسدون معها يقولوا

« تخميس »

بئس الزمان وبئس المال ما فعلا   جميلة الوجه اضحى بعلها جُعلا
وطاف بالكاس شيطان وما انخجلا   ليت الملاح وليت الراح قد جعلا
في جبهة الليث او في قبة الفلك

لو شام ذلك حرمات بالكمد   ولبس عن غيرة منه وعن حسدِ
لكن لصون جمال من يد الوغد   كي لا يقبل ذا حسن سوى اسدِ
ولا يطوف بكاسات سوى ملك

زرت احدى البيوت الاسرائيلية نهار السبت وكانت سهواً سيكارة بيدي فتقدمت اسلم بالايدي على السيدة فرفضت فعرفت ذلك وقلت

من آل موسى فتاة قد فتنت بها   فزرتها يوم سبت بعد افطارِ
لما رات في يدي سيكارة نفرت   ولم تشا مسها خوفاً من النارِ
اجبتها عجباً تخشين من قبس   والنار في الخد كم حيرت افكاري
ان كنت ابنة موسى فاسمحي كرماً   اطفاء نار بتقبيلٍ وامطارِ
قالت لنا نار موسى ليس يلمسها   لكنْ يعبدها من يعبد الباري

استأجرت الطابق السفلي لبيت جميل كان لصاحبه ولزوجته عادة يغمضا اعينهما عند التكلم معك وكان الحق بالتغميض للمخاطب

قيل ان احد الاغنياء بنى منزلاً جميلاً جداً واتقن فرشه من احسن الرياش فحضر لزيارته صديق وبعد ما تفرج عن المنزل وتعجب من فخامته واتقان فرشه ودار كل غرفه بصق في وجه صاحب الدار وقال له اعذرني لانني لم اجد محلاً اوسخ من هذا لابصق فيه وكان صاحب البيت قبيح الوجه جداً وكان يسكن الطابق العلوي اسكندر افندي الجاويش وكان عنده ديك يقلقني بصياحه فحررت له

الى اسكندر الجاويش جئت اشتكي الديكا   بطلّع ديني في الصباح بكي كيكا

فيحرمني نوم الصباح صياحه ويجعل بعد الظهر في المضم تلبيكا
وفيا انا في عز نومي مسطحاً واحلم احلاماً تلذ لداعيكا
فاسمع صوتاً منه تهتز اضلعي ويحدث في اعضاء جسمي تشبيكا
فارفع رامي بغتة عن مخدتي وافرك عيني في يميني تفريكا
لاعلم ما هذا واية ضربة فاخرج من تختي اهرول ملبوكا
ارى حضرة الديك المصون مرنماً يوقع الحاناً على الرصد والسيكا
اكلمه لطفاً فيغمض جفنه كأن مودة التغميض في الحي اتيكا (١)
فاوسعه سباً فيرجع دائراً لنا ظهره اذ ذاك امحب لسئيكا
لاضربه فيه ولكن لم اصل الى ضربه بالصبر احمل تدريكا
فها انني من عهد شهرين صابر على جوره لم ابدِ امراً وتحريكا
ولا عجب ان فارق الصبر مهجتي وان اشتكي ديكاً اليك وتديكا (٢)
اذا كان قبلي بطرس وهو صخرة لدين اضاع الدين مذ سمع الديكا
فما حال عبد واهن الدين والقوى وينظر في كل الحقائق تشكيكا
ولا شك هذا الديك موذٍ وذبحه حلال فاعط الامر بالذبح من فيكا
لان جناب الست فيه شفيعة واني ارجوها كذلك ارجوكا
برفع الاذى عني بمنع صياحه بذبح بعيدٍ كل ما كان يرضيكا

ولما وصلت اليه هذه القصيدة امر بذبح الديك ونظمت لديكه هذا الرثاء

الى اسكندر الجاويش جئت اندب الديكا واشكر فضلاً ثم فيه اعزيكا
واخبره عما جرى من فراقه على قلب زوجات عاه يواسيكا
سمعت نواحاً في غروب عشية بفرط التياع احزن اليوم داعيكا
فجئت لنحو الصوت اكشف امره لاعلم اسباب البكا في نواحيكا
وجدت دجاجات بنوح وكربة وينقرن في ارض كنقر اعاديكا

(١) اشارت الى صاحب الدار وامرأته اللذان يغمضا اعينهما
(٢) لانه قاطن الطابق العلوي ودائماً نسمع ديكه

بنحن َ على ديك عريس مزين بابدع ريش من سلالة افريكا
فواحدة في الارض خلت مصابة بنوبة هستريا تمرمغ ارضيكا
واخرى تمد العنق ثم تضمهُ كمنظر سكران ٌ باقة مسنيكا (عرق)
ولما نظرنَ الوجه مني عشية لقد قلن لي انت المسبب يخزيكا
ذبحت لنا زوجاً فصرنا اراملاً وسل ارملاً عن حالنا اليوم ينبيكا
اذا كنت شيخاً هل نسبت شبيبة وكم صحت مثل الديك كيكاو كي كيكا
واقلقت جيراناً وغافلت حارساً وايقظت نعساناً له اسوة فيكا
ومن اعظم الاكدار للشاب ان يرى مراقبة الختيار في لعب باز بكا
فقلت لقوم الديك هذا نصيبكم خلقتم لذبح من يدي من يلاقيكا
فاعداكم مع صحبهم مثل بعضهم فبعضهم يقليك والبعض يشويكا
فلا تفرقوا بين ابن اوى وسيد وما بين مطران وقس وبطربكا
تراهم جميعاً في سباق لاكلكم وليس حرام عندهم ما يقليكا
اذا اختلفوا مع بعضهم او تحاربوا فما حربهم الا لاكل معاربكا
تعزوا بنيل الديك اعظم تربة كمدة جاويش وباشا مربيكا (١)
فقلنَ نعم هذه حقيقة حالنا ولكننا نهوى القعود بناديكا
لان عذاب الموت في فكركم به وليس عذاب ان تراه يضاحيكا
ومن نعم الرحمن للخلق جهلهم بساعة موت ان اتى كيف يأتيكا
فلا نلتجي في اي حال لثعلب لترزقنا موتاً سريعاً وتليكا
فعندكم لا ندري ساعة موتنا فتلهوننا عنه كما الارض تلهوكا
نحب لذيذ العيش مع من يسوسنا ولو كان كالاعداء قتلاً وتهتيكا
فان غرنا فالعيش يغريك مثلنا ومع كل هذا بهجة الكون تغريكا
تغركم الدنيا كما قد غررتم ديوكاً وهذا الحكم من عدل باريكا

وفي السنة التالية ١٩٠٨ جمع الافندي الجاويش كل دجاج البلاد وربى قرقة واتى بديك حبشي ونسي القصيدة وفضل الديك علينا فكرنا الشباك

(١) اعني اسكندر الجاويش وابن عمه ابراهيم الباشا

وقطعنا الزيارات ونوفي صاحب البيت وبعد توفيه اجرت زوجته البيت التي كانت فيه مدرسة للبنات فسكرنا الشباك الثاني وصرنا بين ديوك وفراخ

الخوري طوبيا داوبث ولده وعند الحساب ذهب ولم يرجع فحرَّرت لهُ ما يأتي : حضرة الاب وبعد الدفع المحترم

غب طلب الدراهم قبل دعاكم ومن ذلك تعرفون الباقي لا تجهلوني غير شاكر الخوري ونظمت له هذين البيتين

يقولون طوبيا القديم لبره ✻ بيت بلا اكل ليدفن انسانا
فطوبيا هذا العصر بالعكس فاعل ✻ ينبش امواتاً ويأكل اكفانا

وبعد هذه الكتابة بيومين حضر ودفع ما عليه لذلك ادعوه الان محترماً

دولتلو نعوم باشا متصرف لبنان الخامس

في سنة ١٨٩٢ : ١٩٠٢

اول ما اهتم دولته في تدبير المأمورين وحلّ مجلس الادارة ثم دايرة الحقوق وعزل وولّى وهولاء هم المأمورون

المحاسبه جي	هاشم افندي
دائرة الجزا	نسيب بك جنبلاط من سنة ١٨٩٢ : ١٨٩٣ سعيد بك تلحوق من سنة ١٨٩٣ : ١٩٠٢
وكيل المدعي العمومي	نعمان بك حبيش ١٨٩٢ : ١٨٩٣ الامير مالك ١٨٩٣ : ١٧٩٦ نعمان بك حبيش ١٨٩٦ : ١٩٠١ نجيب افندي البستاني ١٩٠١ : ١٩٠٥ وهذه الوظيفة اوجدها نعوم باشا
رئيس دائرة الحقوق	سليم بك عمون ١٨٩٥ : ١٧٩٦ الامير نجيب شهاب ١٨٩٦ : ١٩٠١ نعمان بك حبيش ١٩٠١ : ١٩٠٣
مدير دير القمر	الشيخ امين الخازن ١٨٩٣ : ١٨٩٤ الامير خليل سعد شهاب ١٨٩٤ : ١٨٩٩ الشيخ يوسف عواد ١٨٩٩ : ١٩٠٠ الشيخ كنعان الضاهر ١٩٠٠ : ١٩٠١ الامير فائق شهاب

١٩٠١ : ١٩٠٢

وكلاء مجلس الادارة	الامير قبلان ابي اللمع ١٨٩٩ : ١٩٠١
مدير البوليتيك	اسكندر بك التويني وهذا كان المعتمد
رئيس القلم الاجنبي	دباب افندى
الترجمان	الامير مالك
رئيس القلم التركي	بهجت بك
رئيس القلم العربي	سليم بك عمون ١٨٩٤ : ١٧٩٤ خليل بك الخوري
قلم الاوراق	اسكندر افندي شميل
قائمقام الشوف	الشيخ سعيد حمدان ١٨٩٢ : ١٨٩٢ الامير مصطفى ١٨٩٢ ١٩٠٢ الامير شكيب ارسلان ١٩٠٢ : ١٩٠٢
قائمقام جزين	نعمان بك حبيش ١٨٩٣ : ١٨٩٦ سليم بك عمون ١٨٩٦ : ١٨٩٩ الامير حارس شهاب ١٨٩٩ : ١٩٠٢
قائمقام زحله	الياس بك الباشا ١٨٩٢ : ١٨٩٥ حبيب لطف الله ١٨٩٥ : ١٨٩٧ الياس الباشا ١٨٩٧ : ١٩٠٩ سليمان الجاهل ١٩٠٠ : ١٩٠٣
قائمقام المتن	الامير قبلان ١٨٩٣ : ١٨٩٩ السيخ رشيد الخازن ١٨٩٩ : ١٩٠٢
قائمقام كسروان	الامير نجيب شهاب ١٨٩٣ : ١٨٩٤ الشيخ رشيد الخازن ١٨٩٤ : ١٨٩٨ اسعد بك كرم ١٨٩٨ : ١٩٠١ سليم بك عمون ١٩٩١ : ١٩٠٢
قائمقام البترون	علوان بك حبيش ١٨٩٢ : ١٨٩٤ الامير نجيب شهاب ١٨٩٤ : ١٨٩٦ اسعد بك كرم ١٨٩٦ : ١٨٩٨ الشيخ رشيد الخازن ١٨٩٨ : ١٨٩٩ سليم بك عمون ١٨٩٩ : ١٩٠١ اسعد بك كرم ١٩٠١ : ١٩٠٢
قائمقامية الكوره	حنا الخوري ١٨٩٦ : ١٨٩٩ اسعد طالب ١٨٩٩ : ١٩٠١

امين الجريديني ١٩٠١ : ١٩٠٢

لا يظهر جميل لحي في بلادنا الا بعد موته وهذه البلاد هي دون شك بلاد المسيح لاننا لو نظرنا ما عمله المسيح من اقامة الميت يوم السبت وما عملوا له من الاستقبال نهار الشعانين وفي الاسبوع التالي صلب حياً لا نتعجب مما نكافئ عليه منهم

في بلادنا عادة انهم يقيمون احد شعانين لكل قادم حديثاً اليها ويصلبونه يوم ذهابه فالعاقل لا يغره الاستقبال الحسن · قال جنرال لنابوليون بونابرت بعد انتصاره العظيم في موقعة اوسترليتز واستقبال الشعب له · انظر ياسيدي لهذا الاحتفال الذي لا نظير له اجابه بونابرت لو كنت ذاهباً الى الشنق لالتأم حولي هكذا

المرحوم اخي خليل

(ولد في ١٥ تموز سنة ١٨٥٠ توفي في ٢٥ تموز سنة ١٨٩٤

تعلم في الابتداء مثلنا في القرية وهو اول تلميذ دخل المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني في بيروت وخرج منها بعد سنة ونصف لان صحته منعته عن اتمام دروسه وصار يمارس العربية بنفسه وكان اول كاتب وشاعر فيها ثم استخدم في الحكومة مدة فرنكو باشا في قلم المحاسبة وقد اصبح مدة رستم باشا كاتباً في مجلس الادارة عندما كان رئيسه عمون بك عمون ثم انتقل باشكاتب دايرة الجزاء ثم خرج منها وحضر معي الى بيروت وصار عضواً في دايرة جزاء بيروت مدة رياسة نعوم افندي فيقانو وعندما احضر واصا باشا تعين مستنطق مركز جبل لبنان ثم الغيت هذه الوظيفة وبعده صار عضواً في محكمة الشوف عن الموارنة ثم باشكاتب في القلم العربي في المركز ثم عضو ادارة جبل لبنان عن اقليم جزين مدة نعوم باشا الذي حل مجلس الادارة يومئذ وكان عضو فيه عن جزين ابن خالي سليم بك ناصيف وقد توفى وهو في هذه الوظيفة في دير القمر ونقلناه ليلاً الى بكاسين ودفن في المدفن الذي عملته لولدي يوسف الذي توفى في بيروت في ١٦ نيسان سنة ١٨٩٣ ثم نقلته الى بكاسين وعملت المدفن المشهور فيها الان باسم والدي الذي نقلت رفاته اليه

وقد توفى المرحوم خليل عن ابنة اسمها عفيفه ولدت سنة ١٨٩٠ وعن ذكر اسمه

بديع ولد سنة ١٨٩١ وولد اخر توفي بعده اصغر من بديع بحيث ترك هذه العائلة في هكذا عمر وزوجته هي عادليده ابنة المرحوم عمه يوسف بك مبارك يا ليته لم يكن اخي حتى اصدق بما اقوله عنه من الصفات الحميده التي قلما تجتمع في شخص واحد فهو محتاج الى درهم ويصرفه على ضيفه كأنه صاحب ملايين ويرفض الوفا اذا تصور انها تأتيه بدون شرف واوصافه مشهورة في لبنان وكان اول شاعر وله ديوان سيطبعه له ولده بديع الذي اصبح شاعراً ابن ستة عشر سنة

لم يقدر القلم يشرح ما الم بي من الغم والاحزان عن مصيبتين اصابتاني سنة بعد اخرى اولها توفي ولدي يوسف الذي كان بسن اثني عشر سنة يتعلم في المدرسة الكلية الياسوعية في بيروت وكنت اعبده نظراً لاطباعه اللطيفة وزكاءه وما مرض غير يومين من ١٤ نيسان الى ١٦ والثانية في المرحوم اخي الذي كان عضداً لي ولكل لبنان الفخر فيه بشرف النفس والعلم وجميع الصفات الحميدة بحيث غمي على ولدي واخي ووالدي وجدي لم يمكني في رثاء واحد منهم وكلما شئت ان انظم شيئاً يغلب علي البكاء ويضيع فكري وحد الان ايضاً لم يمكني التفكر بهم بدون بكاء وكلما امكنني اقوله هو هذا البيت

يا ليتني ذقت ما في الدهر من نكد ولا بكيت اخي او صحت يا ولدي

وعند كتابتي هذا البيت الان بكيت وقد رثته الشعراء وفي مقدمتهم اخوه امين بقصيدة طويلة محزنة جداً ثمانين بيتاً اولها

عدمتك ما هذا التجلد يا قلبي يموت ولم تخرج لك الويل من صدري
ولم تتبع فيه التصبر والنهى ولذة عيش قد ثوت معه في القبر
انطمع ان تحيا وقد مات من له تعيش وترجو ان تمتع بالعمر

والذي عزاني هي مجابرة نعوم باشا الذي حزن عليه مثلي لانهُ فقد خادماً اميناً وقد ارسل مع الجنازة خيالين الى بكاسين وارسل تلغراف للقائمقام نعمان بك حبيش ينوب عنه بالحفلة والذي لم ازل ممنوناً له المرحوم نجيب بك جنبلاط الذي حضر من المختارة سفر ثلاث ساعات عن بكاسين وحضر الدفن من دون دعوى وعتب لعدم اخباره لانهُ كان لاقانا ليلاً باهل الشوف ونشكر اهل الكحلونيه ومزرعة

الشوف اللذين لاقونا ليلاً وحملوا بالجثة في خراجهم

وقد نظمت اولاً هذه الابيات على صورة نعوم باشا الشمسية التي اهداني اياها ولم تزل عندي

اذا كان رسم الجسم للشمس معجزاً ... ففي رسم افضال فما يفعل العقلُ
وان كان شعري راسماً بعض فضلكم ... فما ذاك من رسم ولكنه ظلُّ
فسبع ملوك سلمتك زمامنا ... لفضل ثمان قد سمت فيك من قبلُ
عفافك والتقوى وعفوك والقوى ... ولطفك والعليا وحلمك والعدلُ

ولما زار امبراطور المانيا هذه الديار واجرى له نعوم باشا ذلك الاستقبال الشائق في عاليه اهداه نيشان النسر الاحمر من الرتبة الاولى فنظمت لدولته هذه الابيات وكان صدره مزداناً بالنياشين التي كان يزيد عددها عن الخمسة والعشرين

تسابقت في اوج المعالي مع النسرِ ... فقصّر عنكم فاستراح على الصدرِ
سماءٌ غدا ذا الصدر من حيث قد حوى ... هلالاً ونسراً مع بنى الانجم الزهرِ
وما انا ممن يرصد الصدر ظاهراً ... ولكن رصدي ما حواه من الكبرِ
اشعة اكس قد حوتها نواظري ... لكشف الذي عنا تحجب بالسترِ
اذا لم اجد خلف الوسام فضيلةً ... فلا ناظم شعري ولا مُظهرٌ شكري
فما كايل شوكٍ مع فضيلة حاملٍ ... ولا تاج درٍ بالخيانة والغدرِ
اذا كان ظهر الصدر جمع جواهرٍ ... فباطنه جمع الشهامة والطهرِ

محاكمة التاريخ لنعوم باشا

لا اقول فيه ما يأتي حيث انه لم يزل حياً وفي مركز عال فما هذه هي الطريقة التي استعملتها للان بل طريقتي طريقة الصدق لان لا يثبت غيره في التاريخ فاقول ان نعوم باشا رجل حليم طبعاً بعيد عن الضرر وهو اول متصرف يجادلك بالبرهان المعقول تدخل عنده متكدراً وترجع منشرحاً بدون ان تنال منه غرضك فقط تكون مقتنعاً من برهان عمله لا يكل من التعب ولا يلهيه شيء عن شغله سهران على مصلحته يعزز المأمور ولا يقبل عليه تشكي الاً بالبرهان ولكن يوبخ ويهدد سراً ويعززه ظاهراً ولا

يمكن ان تذكر له عيوب مأمور الأ بجيلة وقد صدف معي انني كنت اعرف احمد المامور بن الذي اشبعني كذباً في مسألة وما كانت تنتهي اخيراً انوجدت بحضرة دولته وسألني عن هذا المامور الذي كان يعتقد فيه الكذب فقلت لدولته لحد الان ما كان يمكنني ادراك التثليث والتوحيد عند النصارى الأ اليوم فقال كيف ذلك قلت عرفته من المامور الفلاني لانهُ يقول شيئاً ويعمل ضده ويكتب شيئاً ثالثاً وكله كذب والثلاثة واحد فضحك

وكنت عنده مرة اخرى وفتحنا تاريخ مدينة جبيل فقلت ان هذه المدينة كانت من اعظم المدن وابتدت تنزل نزولاً فاحشاً حتى اصبح فلان مديرها فضحك وعرف اعمال المدير

حاصله ان من اعماله فتح طريق العربيات من بيروت الى صيدا الى جزين وهو الذي اوصلها الى البترون وعمل الجسر الحديدي لنهر ابراهيم وجدد جسر نهر الكلب الذي خرب كما قلت عنه وفي زمانه امتدت السكة الحديدية من بيروت الى المعاملتين والعربيات من بتدين الى صوفر ولم يحدث ادنى حادث في زمانه وكان له اخصام تعرضوا ضد تسميته لخمسة سنين الاخرى وتجاهروا بذلك وعرفوا وبعد تثبيته قال له احد اصحابه ماذا تفعل بالمضادين فقال ولا شي لان الباري تعالى نصرني عليهم وبقيت ضد ارادتهم كفاهم قصاصاً انظر العدل والانسانية وعند خروجه من لبنان تأسف الجميع عليه لان لبنان كان بكل راحة فالتاريخ يحترم ويكرم هذا المتصرف الذي كان كأب للبنان

وفي مدته انفتحت جزين الى كل العالم لان معبورها وهو صخر ابدي كان مانعاً دخول العربيات اليها فبهمة قائمقامها سليم بك عمون حفر هذا الصخر لعمق عشرة اذرع بطول ماية ووسع ستة ومشت العربيات به الى صيدا وهذا عمل مشكور من سليم بك عمون الذي ما كان امكن عمله من غيره لانهُ افتكر يخلد اسمه بذلك وهكذا حصل

السيدة مريم مدام نعوم باشا

هذه السيدة بل الاميرة هي عنصر الكمال والاداب واللطف والذكاء والعلم

والمودة والشفقة والصداقة وهي ابنة المرحوم فرنكو باشا متصرف لبنان الاسبق وابنة خال بعلها نعوم باشا فهي ابنة امير وزوجة امير وستكون ان شآء الله والدة امير لان ملامح الاماره ظاهرة على محيا ذلك الشبل السعيد الاديب اللطيف الودود الوارث صفات ابويه

حضرت احد البالات في بيت الخواجه جورج موسى سرسق وكان من الشروط ان يتنكر كل واحد بزي غريب فارتدت الاميره لبس الهة الفنون عند الاقدمين من اليونان وارتسمت بهذا الزي فقلت بذلك على الصورة

لبستِ ثوب الهٍ قد كان في الروم يكرم
فنحن ابنآء قومٍ لنا عبادة مريم

ولما حضر جلالة غليوم الثاني امبراطور المانيا كما قلت اخذ يدها وقبلها واهدى لها سواراً من ذهب عليه صورته الكريمة فضجت البلاد لهذا الخبر وكادوا لا يصدقونه حسب عوائد بلادنا وسألتها عنه فصادقت على صحته وارتني السوار الذهبي والرسم الامبراطوري فقلت لها لا بد لهذه الهدية من شعر وارتجلت قائلاً

قبلَ العاهل ايدي مريم ظنها ملكاً جديداً مكتسبْ
فغدا في رسمه يحرسها واقام الحد سوراً من ذهب

توفي مدام نعوم باشا

في ١٨ ت ٢ سنة ١٩٠٧ حضر تلغراف من الاستانه لدولة يوسف فرنكو باشا متصرف لبنان الحالي بتوفي شقيقته السيده ماري مدام نعوم باشا فكان لهذا الخبر فاجعة عظيمة في كل لبنان فتأسف الجميع عليها وقد عزيت دولة زوجها وولده وحيث كنت متاسفاً جداً طلبت صورتها وكتبت ما ياتي

تخاصمت السما والارض حتى تكوني لهذه او تلك قسما
ففضلت الممات على حياةٍ لكي لا تجعلي في الكون خصما
فاعطيت السما نفساً تسامت واودعت الثرى والارض جسما
وعند ملايك خلدت نفساً كما خلدت في لبنان اسما

ومن دار السعادة غبت عنا | لدار سعادة ابقى واسمى
ولما شخصك السامي توارى | اقمت لرسمه في الارض رسما

وعندما رات الذات العلية السلطانية حزن هذا الخادم الامين نعوم باشا وولده انعم على ولده عزتلو سعيد بك نعوم بالرتبة الثانية المتمايزة وامر بتوظيفه في الخارجية عند والده انظر هذه العواطف الشريفة عند سلطاننا المعظم فحررت الى سعيد بك تحريرًا مع الاشعار

نوالكم رتبة الممتاز بشرنا | ان قد اخذتم لكم في العرش اعوانا
ذا تلغراف اتى في ان والدة | نالت من الله رضوانًا وغفرانا
تشفعت فيكم في نيل مرتبة | لظنها لحظة تنسيكا احزانا
لما الاله استجاب اليوم ما طلبت | اوحى خليفته اعطاك احسانا
فلم تزل في السما كالارض طالبة | مجدًا لكم ومن الرحمان رضوانا
اعطتكم نسبًا ناهيك من نسب | ابًا وجدًا وخالًا منهم كانا
حكام لبنان في انصافهم شهروا | وكلهم زينوا بالعدل لبنانا
لكم ملاكان عند الله والدة | ووالد عند مولاكم ومولانا
بالحق انت سعيد كي تدوم كذا | فاسمع مقالة حر قط ما خانا
لله كن شاكرًا في كل طارقة | وارض خليفته سرًا واعلانا

صاحبة الجليس ومجلة الانيس

السيدة الكسندره كريمة المرحوم قسطنطين الخوري البروتية الاصل فكما زين ملك السماوات وجهها بالجمال وعقلها بالكمال زينت ملوك الارض صدرها بالوسامات واسمها باسمى المقامات واقتداء لاوامر الله ولملوك الارض نظمت لها ما ياتي عندما جلالة ملك ايطاليا لقبها بلقب اميره

لقب الاميرة لا يزيد علاك | لو كان من اعلا الملوك اتاك
انت التي لفضايل وشمائل | كنت الاميرة قبلما سماك
ان كان اعطاك المليك شعارها | فالله اس امارة اعطاك

اسٌ الامارة عزةٌ وشهامةٌ ... وعليهما رُبيتِ منذ صباكِ
هل من مليكٍ قادرٍ يعطى الورى ... هذي الصفاتِ الناشرات لواكِ
لولا الصفات لما دُعيتِ اميرةً ... والفضل في اعطاءها لنهاكِ
لما ملكتِ شعورنا وعقولنا ... وقلوبنا قد اصبحت مأواكِ
صرتِ الملكية لا الاميرة فاعلمي ... ان الامارة حطةٌ لعلاكِ
ولقد ملكتِ قلوبنا وعقولنا ... لا بالنقود وما حواه لماكِ
لكن لفضلٍ وهو اعظم مالكٍ ... وبه ملكتِ اليوم قلب عداكِ
ملك العيون موقت لكنما ... ملك الفضيلة اثبتُ الاملاك
ولقد خلقتِ شريفةً وجميلةً ... وكما اشتهيتِ الله قد سواك
رجّت بك الاسكندرية مذ غدت ... تهتز فخراً في بهيّ حلاكِ
ارجعت ما قد كان فيها ضايعاً ... وجملتِ من فيها اسير هواك
احييت مكتبةً لها لما غدت ... في الصدر كل علومها تلقاك
ارجعت نور منارةٍ لانيسها ... وغدا انيس جليسها مرآك
كانت تنير التاهين بابحرٍ ... واليوم قد تهنا بحر زكاك
احييت بالاقدام ذكر اسكندرٍ ... لو كان حياً لاشتهى ملقاك
لا زلتِ في افق الصحافة شمسةً ... وجميع اهل العلم تبغي بقاك

(الشيخ رشيد الخازن قائمقام المتن) ١٧٩٩

هل للمودة والوفا ... في الارض شهمٌ كاينُ
هل خازن لفضائل الا ... اجداد حرٌّ صاينُ
وبرشده وبعقله ... هل للسياسة وازنُ
وانا بذي الافكار قد ... نادى المبشر آمنوا
رجل المروة قد اتى ... واليوم ربك آذنُ
في المتن ارخ شعره ... فهو الرشيد الخازن

مظفر باشا متصرف لبنان السادس

١٩٠٢ ـ ١٩٠٧

هو المتصرف السادس لجبل لبنان اصله امير بولوني خدم والده الدولة العلية ولم يرضى الخضوع لروسيا وانتظم هو في عسكرية الدولة العلية وترقى فيها حتى حاز رتبة مشير

(مامورون مظفر باشا)

المحاسبه جي   هاشم افندي .
رئيس دائرة الجزا   ملحم بك تحوتي ١٩٠٢ : ١٩٠٥ مصطفى بك العماد
وكيل المدعي العمومي   سليم افندي باز اول عالم ومؤلف بالقوانين
رئيس دائرة الحقوق   يوسف افندي الخوري ١٩٠٢ : ١٩٠٣ سليم افندي ثابت ١٩٠٣
مدير دير القمر   الامير فايز افندي شهاب ١٩٠٢ : ١٩٠٧ ملحم بك ناصيف ١٩٠٧
وكيل الادارة   حبيب باشا السعد ١٩٠٢ : ١٩٠٥ حبيب بك البيطار ١٩٠٥ : ١٩٠٥ الامير قبلان ابي اللمع ١٩٠٥
ترجمان اول   عبدالله بك الخوري ١٩٠٢
رئيس القلم الاجنبي   الشيخ يوسف حبيش ١٩٠٧
ترجمان   بطرس كرامه ١٩٠٢ : ١٩٠٢ جرجي بك زوين ١٩٠٣ : ١٩٠٧ الامير فائق شهاب ١٩٠٧
رئيس القلم التركي   ناصيف بك الريس ١٩٠٢
رئيس القلم العربي   خليل بك الخوري ١٨٩٤
رئيس قلم الاوراق   ابراهيم مسلم ١٩٠٢ : ١٩٠٦ نخله الخوري ١٩٠٦
قائمقام الشوف   نسيب بك جنبلاط ١٩٠٢ : ١٩٠٤ الامير سامي ارسلان ١٩٠٤ : ١٩٠٥ الامير توفيق ارسلان ١٩٠٥
قائمقام جزين   الامير فائق شهاب ١٩٠١ : ١٩٠٣ الشيخ كنعان الظاهر

١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ الامير فائق شهاب ١٩٠٤ : ١٩٠٧ الامير فايز شهاب ١٩٠٧

قائمقام زحله ابراهيم بك ابو خاطر ١٩٠٣ : ١٩٠٦ سليمان الجاهل ١٩٠٦

قائمقام المتن الامير قبلان ابي اللمع ١٩٠٢ : ١٩٠٣ الامير يوسف اسماعيل ١٩٠٣ : ١٩٠٦ الشيخ كنعان الظاهر ١٩٠٦

قائمقام كسروان الامير يوسف اسماعيل ١٩٠٢ : ١٩٠٣ الشيخ رشيد الخازن ١٩٠٣ : ١٩٠٤ الشيخ كنعان الظاهر ١٩٠٤ : ١٩٠٥ الشيخ حبيب البيطار ١٩٠٥ : ١٩٠٦ الامير يوسف اسماعيل ١٩٠٦

قائمقام البترون سليم بك عمون ١٩٠٢ : ١٩٠٣ الامير فائق شهاب ١٩٠٣ : ١٩٠٤ نعمان بك حبيش ١٩٠٤ : ١٩٠٤ الشيخ كنعان الظاهر ١٩٠٤ : ١٩١٩٠٦ الشيخ حبيب البيطار ١٩٠٦ ولم يزل

قائمقامية الكوره عبدالله الخوري ١٩٠٢ : ١٩٠٣ فارس شقير ١٩٠٦ : ١٩٠٥ اسعد طالب ١٩٠٥

وعند حضوره نظمت له هذه الابيات

لما راوا الشهم المظفر عابداً ... في قلبه عبدالحميد الثاني
ومشير حرب في البلاد لبأسه ... ولصدق ود ياور السلطانِ
لاح المجيدي من صداقة خدمة ... متلألأً في صدره العثماني
فلوده ولبأسه ولصدقه ... ظفر المظفر في لوا لبنانِ

وطلب دولته ابيات لتوضع على الباب الذي جدد بناءه في سراي بعبدا وهو باب مدخل السرامي التي انشاها واصا باشا واكملها نعوم باشا وحيث ان باب مدخلها ضيق غير مناسب غيره دولة مظفر باشا فقلت بذلك حسب طلبه

ادخل لهيكل حكم العدل واحتشمِ ... واطلب لعبد الحميد السيد العلمِ
سلطاننا دام في عز وفي فرحٍ ... وفي انتصار وفي رغد وفي نعمِ

قد شاده عبده واصا واكمله نعوم لكن لهذا الباب لم يقم

جاء المظفر باب العدل وسعه حتى غدا مركزاً للذئب والغنم

وكان دولته طلب ايضاً من جملة شعراء كما طلب مني وعندما كثرت الاشعار عمل لجنة لفحصها وكتابة الاحسن منها وكانت هذه اللجنة سياسية راعت جانب شعراءها المأمور ين بحيث لم يكتب شعرى فقلت فى ذلك .

قد كان في فحص شعري كرٌ وجحشٌ وعيرُ

لو ان شعري شعيرٌ لاستطيبته الحميرُ

لكنَّ شعري شعورٌ هل للحمير شعورُ

فانتشرت هذه الابيات اكثر من التي كتبت على البوابة

وكان حضر مع دولته ابنتا اخته نديا وايزا وطلبتا مني شعراً لهما فقلت بذلك

كأنَّ عيون نديا ذات يوم اصابت قلب مركوني بفتكِ

تحرك قلبه لحراك عين فذبه فكره من بدون شكِ

لسير الجاذبية دون وصل فانشأ التلغراف بدون سلكِ

وقد قلت لمظفر باشا يوم الاستقبال في بيته

رعى الله بيتاً للمظفر باسما بدولته اصل المكارم والمجدِ

فمن حوله الجنات لبست بعرفها باطيب من ذكر المظفر بالحمدِ

له موعد الزوار في يوم جمعة وجدت به جمع القلوب على ودِ

ولما رنت ايزا ونديا من الحمى عجبت لغزلان تعيش مع الاسدِ

محاكمة التاريخ لمظفر باشا

لا شك ان مظفر باشا كان عادلاً وعديم الضرر لكنه مصاب بمرض في دماغه وهذا سبب عدم ركزه على امر وجميع تقلبات اوامره ناشئة عن هذا المرض فصار بسببه عدم اعتبار للاوامر فاخذت الاهالي الطمع به ولذلك كثرت القلاقل بين الشعب واصبح كل فرد يتجاسر على اوامره وكان محاطاً بزوجته وولده فواد اللذان لم يراعيا صيته وكانا يغصبان دولته على كل عمل يريدانه ولضعف جسمه ما كان يمكنه

المقاومة فيرضى او يتهور على ما يريدانه وصيبة ولده الاول رشيد والحكم عليه بالاشغال الشاقة في اوربا اثرت فيه جداً فكان المسكين بين مصابه الداخلية واشغاله الخارجية معرضاً لكل غلط وهكذا انتهت حياته في ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٧ واخذت جثته الى الاستانة وفي تشرين الثاني لهذه السنة توفت زوجته في المستشفى وكذلك توفى ولده رشيد في حبس ايطاليا وقد شفقت الدولة على ولده فواد وارسلته قنصلاً الى البرازيل وهو فيها وهكذا اضمحلت هذه العائلة بكل سرعة واما نديا وايزا لا يعرفا اين هما وماذا جرى لهما

وكانت صداقة قوية بين احمد افندي جميل قاضي صيدا سنة ١٩٠٠ وبيني نظراً لاستقامته وصدقه وكنت مدة بعد مدة احرر له ويحرر لي وكنت عالجت عيونه وقد حررت له

لم يجتمع قاضٍ وخوريٌ معاً ما لم تكن جمعية التفريق
نحن اجتمعنا والمحبة بيننا من حيث قد جئنا بغير طريق

(فيه) فلا لقب القاضي ولا الخوري بيننا لقد جمعا في الحب بيني وبينكا
ولكن مني الشكر والحمد منكم تجانسا في افعال حبي وحبكا

كنت في احد الايام الشتا لشغل في بعبدا مركز الحكومة فصادفت عفواً فاخذ يدي للسلام فقال هنيأً لك اما يدك دافئة فاجبته حيث انها مضبوبة ولكن اليد المبسوطة مثلك تكون دائماً باردة فضحكنا وقد عرف الجميع مزحي بحيث لم يعد احد يزعل من قولي بل يضحك حتى المقال له

وقد عملوا تقويم الجريدة المشرق ابتدا سنة ١٩٠٢ فنظمت له الاشعار الاتية التي نشرت جملة امرار

بعد الف ثمَّ تسعماية واثنين عام
عاد للمشرق نجم نوره يمحي الظلام
فيه تقويم لعام فيه تقويم الانام
صوته العالي ينادي دون ان يبدي كلام
في العلا لله مجدٌ وعلى الارض السلام

(رهبان دير صير)

ففي احد الايام بينما كنت ماراً من تلك الجهات في الصيف عرجت عليه لازوره فوجدت هناك الرهبان ولم القَ الرئيس فسألتهم عنه واخبروني بغيابه وسألوني عن الذي اطلبه منهُ فقلت لهم اعطوه هذه الورقة وسلمتها لهم ولم يتنازل احد منهم لدعوتي للاستراحة فقلت من ذلك

رهبان صير قد عرفنا انهم لا يرتجي منهم جميل للبشر
لم يشبهوا ياسوع في تاريخهم الا بميلاده له بين البقر

خطبة لنسيب بك جنبلاط عندما تولى قائمقامية الشوف لمرة الثانية في ٨ ك سنة ١٩٠٢ في الشويفات

سيدي الحسيب النسيب

لا اهني الحسيب في ذا النصب بل اهني النصب في ذا النسيب
لا ينادي لصاحب البيت اهلاً بل ينادي الى الدخيل الغريب

سيدي شكراً لمن احياني لهذا اليوم الثاني الذي اراك فيه قائماً بين اجواق من الامم هاتفين بدوام عزك وبقاك في منصب خلقت له وخلق لك

اي شيء يحتاج الشوف وما حواه تخصك الكريم ايحتاج الى الكرم والعفة فانت الكريم العفيف او الحسب والنسب فانت الحسيب النسيب ايحتاج الى رحمة وشفقة فانت ملجاء الضعيف ان حبك لهذا المقام حب والدة تفني فوادها لراحة بيتها واولادها ولولا هذا لما تركت القصور الشاهقة التي تجري من تحتها الانهار لتسكن بلداً يباع فيه الماء كالبهار ولا كنت تركت املاكاً تخدمها المئات لتحفظ ملك الغير من التعديات هذه غايتك ولا غاية لك سواها

واذا قيل ان قصدك نوال الشرف فانت شرف الشوف او الكرامة فهي تابعتك اين كنت وكيف كنت

له الكرامة عند الناس واحدة ان قام او نام او قد عام او غرقا

وان كان قصدك الغنى فهو يرجو غناك وليس له سواك فاصبحت انت الشوف والشوف انت تعنيه ويعنيك

ما سمعنا في الشوف تاريخ بيتٍ غير بيت لجنبلاط رحيب
لاولا حاكم خلاف عليٍّ وبشير قبل السعيد النسيب

مولاي لو كنت في ديار غريبة لكنت اطلت الكلام ولكن حديثي ابسطه لقوم يعرفونك اكثر مني فقولي تحصيل حاصل والسلام وقد اقتصرت عن النظم في هذا اليوم لكثرة الناظمين

فلم تترك لي الشعرآء معنى بمدحكم ولا ادنى عباره
اذا كررت ما قد قيل فيكم كأني في ثياب مستعاره

فوقفت وقفة الرفيق لا فرق بين الصدق والتمليق فمن بعد السماع والتدقيق حكمت

ما قد سمعت من النظام من قدم واليوم في مدحكم مع كل ما نطقوا
فيه اختلاف باوزان وقافية لكنهم باتفاق كلهم صدقوا

وصدق شاكرك

(عبد الجلال افندي) كان عبدالجلال من المتمسكين بحركات الشعر كالوقص والنقص اكثر من معانيه البديعة وكنت نظرًا لضيق الوقت وما كنت اهتم بهذه الحركات لعلمي ان المعنى يظهر من مخيلتي بسهولة الفاظه وقوله الطبيعي وكنت افتكر ان مع المراجعة تصلح تلك الهفوات ولكن معناها يذهب اذا ابطئت عن نظمها لذلك كانت اشعاري تنتشر قبل اصلاحها وكنت كلما قلت شعرًا لاحد يداوله بسهولة ومثل شعري مثل ابنة جميلة جدًّا لكنها عريانةٌ فكل من يراها يأسف على جمالها فيعيرها قطعة من ملابسه حتى تبدوا اخيرًا مكتسبة اجمل الملابس فشعري يكون غالبًا مصابًا باحدى الحركات فينظره الغير ويلبسه ثوبًا اي كلمة او حرفًا الا عبدالجلال يبقى بعيبه فقلت

ارى عبدالجلال يعيب شعري ويرمي كل اشعاري بعارِ
فكيف يعيب شعري ذو جلال وما عبدالجلال سوى الحمارِ

فانتهى اعتراض عبدالجلال بهذين البيتين وكانت اشعاره كاشعار ذاك الامير الذي مرض ذات يوم فدعى طبيبه فقال له الطبيب يلزم لجنابك مسهل فسأله الامير

كم مرة اخرج على هذا المسهل فاجابه الطبيب مرتين او ثلاث فقال له الامير اذا خرجت اكثر او اقل اقطع راسك اترضى بذلك فاجابه الطبيب لا شك لا ارضى وهكذا عمل مع كل طبيب دعاه فاتصل الخبر الى احد الدجالين المفلسين قال لا بد ان اخاطر بروحي واذهب الى الامير فذهب فطلب منه الامير الشرط اجاب بقبوله اي يعطيه مسهلاً يخرج عليه اربع مرات فقال الدجال ان لي شرط ايضاً يلزم تقبله مني وهو ان منذ اخذك المسهل الى انتهاه لا تتكلم ابداً فقبل الامير الشرط فلاجل عدم السبب للتكلم قفل الابواب وبقي ينظر من الشباك واذ بجمالٍ محملة كانت تأتي تحت شباكه وتحط وتنزل فهاج في فكره الشعر لانهُ كان بدعيه وعندما مضى النهار وجد انه لم يخرج على المسهل الا مرتين فقط فدعى الطبيب وقال له لم اخرج الا مرتين فقط لا بد من قطع راسك فسأله الدجال احلف لي انك ما تكلمت ابداً اجابه ما تكلمت فقط نظمت بيتين من الشعر عندما رايت الجمال فقال الدجال فما هي هذه الاشعار فقال الامير هي

يا جمال البوبعاتِ الحاملات الثقلات
الرافعات روسهنَّ هكذات هكذات

فاجاب الدجال لقد تم الشرط تقول انك خرجت اثنتين من فوق وهاتين اثنتين من تحت فهذه هي الاربعة

(احول) كان احول لا يستقر على راي دابه الفساد ويتداخل مع كل حزب فقلت فيه

لا تركنن لاحولٍ اذ لا يقر على خبر
يعطي لحزب عينه ويدير اخرى للآخر

(الى اوجيني مدام بستاني)

اصبحت وردة بستاني يحافظها الـ نجيب من كل لص دان او جاني
والورد للعين لا للثغر مرجعه فلا تخافي العدا ما دام بستاني

(الى السيدة مريم زوجة المرحوم رزق الله خضرا)

لها صورةٌ تسبي القلوب بنظرةٍ وهي مريمٌ حاكت بعفتها العذرا

ولكن تراني عند مائتي جمالها ولو كنت في الخمسين نفسي بها خضرا

(تاريخ رزق الله خضرا)

هذا هو رجل الجد اول من احيا صوفر ويلزم ان تسمى الخضرا باسمه وطول حياته بعمر ويشتغل توفي في جونيه ودفن في صربا وايجاباً لطلب امرأته السيدة مريم نصر قلت هذه الابيات

قد كان لله رزق في الارض قد عاش حرا
وكل ارض اتاها اضحت بمسعاه خضرا
مذ بات زوجاً عفيفاً لمريم نال نصرا
قد عاش سبعين عاماً لله لم يعص امرا
من غير سبعين عمراً ارخت رزق الله خضرا

لو جمعت احرف رزق الله خضرا وحذف منها سبعون لكان الباقي ١٩٠٤ وهي تاريخ وفاته

(نظيره في الدامور)

قصدت الدامور وهي واقعة قرب السعديات على طريق صيدا لاجل النزهة وكان من جملة من معي السيدة نظيره وكان النهار مغيماً وقبل الغروب بقليل بينما نحن في السعديات اشرقت الشمس وكان قسماً منها غاطساً بالبحر والاخر يستره الغيم فقالت لي نظيره انظر هذا المنظر البديع وتأمله فانهُ يستحق الشعر وكانت جالسة بجانبي لابسة ثوباً اسود فقلت

ولما في ربى الدامور قمنا بشوق نرقب الشمس المنيره
واذ بزغت لنا ما بين بحر وغيم خلتها تلك الاميره
بثوب اسود تصطاد فيه قلوباً في محبتها اسيره
فلم اعلم يقيناً اي شمس من الشمسين للاخرى نظيره ١٩٠٤

(نظيره) هي شقيقة نعمان بك الخوري قنصل فرنسا في مداغور ونجيب بك في صفاقص واخت عادليدا ارملة المرحوم اخي وابنة عمي المرحوم يوسف بك مبارك قاضي دير القمر سابقاً . فيوماً كنا نتنزه سوية عند الصباح و برجوعنا الى بيروت من

الحدث . وردنا بحقل مملوء بالشقائق المسمى شقائق النعمان فقلت

ولما بدت صبحاً شقيقة نعمان   لقد خجلت منها شقائق نعمان
لذاك قد احمرت حياء خدودها   وقد احرقت قلباً بغيظ ونيران
وقالت بدت لي في الانام نظيرة   وقد جمعت في وجهها كل الوان
لها نرجس الالحاظ عني زيادة   ووجنة تفاح وثمرة رمان
ولما بدت ازهارها قلت هاتفاً   اياليتني قد كنت حارس بستان

(القسان اللصان)

كان قسان شقيقين يقدسان سوية فدخلت مرة الى الكنيسة وحين رأيتهما قرب المذبح الذي عليه الصليب قلت

لما رأيت صليباً فوق مذبحه   ما بين حنا وجبرائيل قسين
حسبته واقفاً من فوق جلجلة   وانهُ لم يزل ما بين لصين

كانت جميلة اسمها مريم تشم وردة لم تزل زراً فقلت لها

وعندما يامريا الورد قابلكِ   وضم فاهاً لتقبيل وقبلك
والله لم ندرِ في تقبيله ابداً   فاي ثغر من الثغرين فهولك

وقلت في صاحب مكتبة لا يعرف منها شيئاً

قالوا قريبه من حديث قد بدا   في جمع مكتبة تحي الاشعارا
فاجبتهم هذا افتراء بل له   عشرين عاماً يحمل الاسفارا

وقد سيم مطران للسياسة اكثر من الدين لانهُ لا يعتقد فيه انهُ رجل دين وكلما يقال في مدحه انه عظيم الجسم ولا احد يقول انهُ تقي او دين وكانت سيامته في اذار الذي تحل فيه الشمس في برج الحمل حسب علم الفلك فقلت

في حلول الشمس في برج الحمل   حل روح القدس في هذا الجمل
لا تخف ان وعظه ينهيك عن   اعتزل ذكر الاغاني والغزل

وهكذا كل قصيدة ابن الوردي والبيت الاخير

للذي يأمن في تقواه قل   كيف يسعى في جنون من عقل

(المراءبون)

ان السيد المسيح مثل الصبر والاحتمال والمغفرة وحب الاعداء ما غضب الا على المرائين فكان في صلبه يغفر لصالبيه ولكن ما امكنه احتمال الخبث والغش تحت طي الصداقة فانا معذور ايضاً فكنت في احدى الجلسات امرأة متوسطة العمر خبيثة ومعها ولدها بسن الخامسة والعشرين من انحس الاولاد وكان معي ولدي حليم وكنت اتحدث بجدة عن رجل قبيح وعند الحدة يفقد العقل ويفلت اللسان فقلت عنهُ عكروت لان هذا وصفهُ فهل عندك اسم له خلافه معها تلاطفت واذا ما قلت الاسم صريحاً نشير عليه فيفهم السامع كانك قلته حاصله عندما قلت ذلك اجابتني السيدة ان هذه الالفاظ معيبة لا يلزم تتكلم بها امام ابنك فاجبتها ان ولدي لا بد ان يتعلمها فليتعلمها مني احسن لاني اعرفها له حقيقةً وانها كلمة معيبة وصنعتها العن فيرتدع عنها احسن ما يستحسنها من غيري فهل حضرتك تكلمتي بهذه الكلمة امام ولدك قالت كلا فقلت لها لماذا طلع اول عكروت لو افهمتيه اياها اولاً برواق لكان تحاشاها فضحك الكل وعرفوا خبثها

(حادثة اخرى) وكنا في جلسة مع سيدة تدعي بالجمال وتنكت على الغير جميلين فارادت ان تعمل معي هذه النكتة فقالت يا دكتور لماذا كل اهل الجبل اوجههم ملخبطة فقلت لها حيث انهم لا يغيرون البذار فسكتت وتابت عن هكذا سؤال

وقلت لراهب اسمهُ عريان كان سميناً بليداً

لو كان يسوع ينسى فضل جدكم   عليه في مزود مذ بات بردانا
لكان يمحي من الغبراء ذكركم   ولن ترى في ربى لبنان عريانا

قلت في مدير المعارف ولم يعرف شيئاً منها وكان اجرداً

لعلمكم ان المعارف جمة   عجبتم بان اليوم ناظرها اجرد
وما ذاك الا لاختراع علومه   بتقديمه حطي وتأخيره ابجد
فهنوه بالنصف الاخير لسعفص   تطيب له قرشت وفي ضظغ يسعد

(عرس اسما شهاب) هي احدى السيدتين التي نظمت لها الابيات التي ذكرتها

سابقاً وكانت حفلة الاكليل في ٢١ حزيران سنة ١٩٠٣

فمن كان اصلاً سليل شهاب　　ومن نسل نور اما يعتلي
وان الخدود لمن جلنار　　بقلب سليم نقي جلي
فوالله حق لطلعة اسما　　تقول لشمس النهار اخجلي
وانا نقول بهذي الليالي　　اقيمي دواماً ولا تعجلي
ونشرب كاساً بسر الشهاب　　فسر الشهاب شريف علي
وفيك ابادهر ارخت كاساً　　فاسما عروس اتت تنجلي　　١٩٠٣

(وقلت في مليحة اسمها مريم)

لما بدت مريم في الصدر حاملة　　رمان عدن وفي الخدين ازهارا
عجبت في الحال من رمانة حملت　　في منظر واحد زهراً واثمارا

(مكتبة انطون كنعان)

كنت ازور مكتبة هذا الرجل فلم اجد فيها غير زبور داود المشكلة ولا يوجد فيها كتاب علمي وكانت ممتلئة من الخوارنة من كل الاجناس فطلب مني ان اقرظ المكتبة فقلت فيها

ومكتبة لكنعان تسامت　　بملتقى كل قسيس وخوري
كأن جمعية التوراة يوماً　　اقامتها لتشكيل الزبور

(خلف الستار)

كنت جالساً ازاء نافذة عليها ستار مسدول كان خلفهُ بديعة لا تظهر الا قليلاً وكنت انحسر كي اعلم من هي على عادة الشرقيين بالفضول خصوصاً بهكذا ظروف وبينما كنت اترقب الفرص اذا بنسمة لطيفة ابعدت الستار وارتني من خلفه تلك المليحه فنظمت لهذه الصدفة ما يأتي

وغانية خلف الستار تحجبت　　لذلك قد ذاب الفؤاد من الجوى
اتت نسمة زاحت ستار حجابها　　فلاح جبين قد اعاد لي القوى
فلم تذكر العشاق من قبل صدفة　　بان الهوا الممدود قد ساعد الهوى

(مطران اسود في ثوب احمر)

قابلت احد المطارنة الذين يلبسون الثياب الحمراء وهو اسود اللون فخالاً افتكرت بحقل كنت ماراً فيه رأيته مملوّاً من شقائق النعمان وبينها نبات يسمي اللوف وهو ذو زنبور تدعوه العامة بز العبد فقلت بذلك

ولما بدت صبحاً شقائق نعمان   تحيط ببز العبد من اصل سوداني
علا رأسه عنها فخالاً حسبته   سيادة عمان بحلة مطران

(من الخمسين)

كنا في جلسة نتغازل الاشعار وكانت احدى السيدات الجميلات حاضرة وهي تحب المزاح معي فقالت لي اراك تحب اشعار الغزل كانك لم تزل بسن العشرين فقلت بذلك

قالوا تعديت حد العشق في عمر   اذ صرت ما بين خمسين وستين
نراك تذكر اسما كل طالعة   تصبو اليها كمن في سن عشرين
اجبتهم صادقي ما دمت في وله   احسى في نبل عين بات يرميني
ودمت اشعر في الطاف انسكم   لا فرق بين عشرين وتسعين

(المصور الاخ جبرائيل)

هذا الاخ ماهر جداً بفن التصوير وكان وكيلاً لمصروف مدرسة الحكمة في بيروت التي اسسها المطران يوسف الدبس وقد وضع لي صورة تشبهني جداً فاعجبتني وطلب مني شعراً فقلت فيه

ولما بدا الرحمن صورة ادم   هنالك جبرايل قد كان حاضراً
فعلمه الرحمان تصوير خلقة   لذلك في ذا الفن قد صار ماهراً
فمن شآء فليذهب اليه فانهُ   بلا شك مثلي يرجع اليوم شاكراً

(تخميس غصبوا الصباح)

قوم لقد اخذوا الكرام جدودا   وهم ظباآء قد ولدن اسودا
من بعد ما سلبوا الحشا وكبودا   غصبوا الصباح فقسموه خدودا
وتناهبوا قضب الاراك قدودا

هتكوا بعز جمالهم احوالنا   وتحجبوا كي لا تنال منالنا

وخشوا بضوء جبينهم اوصالنا فتظفروا بظفائر بدلوا لنا

ضوء النهار بليلها معقودا

مع انهم ملكوا المروءة عينها لنفوسهم غدت المروءة دينها
كي لا ترى نفساً تقارب بينها صاغوا الاثورر من الاقاح وبينها

ماء الحياة لمن اردن ورودا

وقد اخشوا من بعد ذل غدرنا لم يتركوا من آلة سيفي حربنا
وتفننوا كل الفنون لقهرنا لم يكفهم حد الاسنة والقنا

حتى استعاروا اعيناً ونهودا

وعندما كنت ماراً امام كنيسة وجدت كاهناً يدعى متى محاطاً بناس تقبل ايديه وهو يبارك فخطر ما ياتي بفكري فنظمت

لما بدا متى يبارك قومه وتباس ايديه بكل وقار
أيست اذ عاينت اهل بلادنا سقطت عقولهم لذا المقدار
نعم ان تاريخ البلاد افادنا عن قوم مصر عابدي الابقار
وكذاك قد عبدوا البهايم كلها لكن ما لثموا اكف حمار

اخبرت ان الامير سعيد يذم احد اصحابي ويقول كلاماً قبيحاً قلت بذلك

ان الامير سعيد من عاداته زم الاحبة والعدا مع ذاته
فكلامه افراز ما في قلبه فيكون طبعاً مثل افرازاته

وكنت انشد بعض اشعاري فقال لي احد الحاضرين ان قولك وكلك مر فاجبته (ومعي البول السكري)

اذا كان قولي ظاهراً ذا مرارة فبولي من فرط الحلاوة قد يسمو
نصحتك علماً بالذي في حشاشتي بجربة فاختر لنفسك ما يحلو

(شاكر بك هيكل)

هذا هو الان معلقة الدامور بالغنا والجاه والكرم وملقى الاكابر زرته في ١٧ حزيران سنة ١٩٠٦ فنظرت على جدار صاليته صورة اسدين احدهما راكم والاخر قايم فقيل لي انهما من شغل ابرة مدامته السيدة فرجيني كريمة المرحوم دركلو قنصل فرنسا في

صيدا الذي ذكرت عن همته في حادثة الستين واخت مسيو اوجن الذي كان يومئذ قنصلاً محل والده وتوفي سنة ١٩٠٧ نقلت عن الصورة

بدت في دار فرجيني اسودٌ	لو انتسبت لهم كانوا جدودا
قد اصطادتهم بشباك جفن	فخروا نحو طلعتها سجودا
مقيدةٌ بابرتها برسم	وما زالوا لهيبتها قعودا
ولم نعجب لسبعٍ قاد سبعاً	ولكن ظبية اسرت اسودا

(المطران باسيليوس حجار مطران صيدا للروم الكاثوليك)

ولد في جزين سنة ١٨٣٩ دخل المخلصية ثم توجه الى مدرسة رومه واخيرًا اصبح مطرانًا على حوران والان على صيدا عرفته في دمشق مطرانًا لحوران الذي عمل فيها اعمالاً تذكر في القاء الصلح بين القبايل وتخليص ابنة اسمها حرابا من السبي وبعد توفي مطران صيدا انتخب لها وهو الذي اظهر صيدا للوجود لان البنايات التي عملها في خارج البوابات اظهرت صيدا ونقلتها من الظلمة الى النور ومشى الجميع على هندسة بناياته واعطى كل ذلك للوقف وقد عمل مدرسة الان في دير القمر لا يكل من التعب صاحب غيرة على اي من طلب مساعدته يتحمس للعمل ويخاطر بجاهه للمساعدة زار الاستانة وقابل الذات الشهانية ونال كل الوسامات وعندما كنت في صيدا نهار عيد الفصح سنة الف ١٩٠٦ عيدته ووجدت فرصة لاقدم له ما يأتي

لكم شاكر قد جاء في العيد شاكرًا	يهنيكم فيه باصدق اشعارِ
يعلل ما سميت فيه لعالمٍ	لتعلم كل الناس ما انت في الدارِ
دعيت باسيل لانك بازلٌ	حياة لحب الخير والبر للجار
ولما رأوا ما شدته من كنائسٍ	ونزلٍ واسواقٍ دعوك بحجارِ

(السيدة البس مطران سنة ١٩٠٤)

هي ابنة الخواجه خليل زهار امتازت بذكائها ولطفها ومعارفها عرفت والدها في القاهرة وقد تزوجت خير الشبان واكملهم مروة ومودة وكرماً وهو رشيد افندي بن اسعد بك مطران من افراد هذه الاسرة الكريمة في بعلبك واتت الى بيروت وكان لها ولد صغير اصيب برمد في عينيه فعالجته وشفي وبعد سنة اتى رشيد افندى مع اخيه نسبب

افندي الذي كان يضارعه بالصفات الحميدة واتت معها عقيلة رشيد افندي السيدة البس وكانوا يحبون استماع بعض اشعاري وارى السيدة تسر لتلاوتها فاستنتجت من ذلك انها ذات علم وادب لان اغلب الناس ينامون عند تلاوة الاشعار وهذا دليل على جهلهم وبلادتهم لذلك قدمت لها الاشعار الاتية

البس زهرة زهار مكرمة وقد غدت زينة في راس نسوانِ
ان شئت تعلم من اي الزهور غدت فانظر الى نرجس بالعين نعسانِ
لا شك زهرة زهار مقدسة هذا هو اليوم ايماني وبرهاني
لو لم تكن بين ازهار مقدسة ما كان ربك احداها لمطرانِ

والاغرب انه عند تصليح هذه الاشعار حضرت السيدة البس مع زوجها رشيد وسلفها الى بيروت ومعهم ولد مريض باعينه كاخيه والان اداويه سنة ١٩٠٨ وشفي

(خطرات افكار)

لم يظهر الانسان ضد شريعة ما لم تضادد عنده شهواته
ان كان ميالاً لجانب سرقة فالكل شر مـا عدا سرقاته
(غيره) من يعتقد ان الحقيقة عنده فهو السعيد وغيره المنحوس
(غيره) يرى الانسان فلسفة وعدلاً لغير لا له بئس العدالة
واعظم عادل او فيلسوف غدت تجري عليه لا محالة

(دراهم البخيل)

لا لذة البخيل في دراهمه الا برؤيتها في الجيب كالهرمِ
دراهم البخل كالاسنان في رجل تاتي وتذهب بالاكدارِ والالمِ

(لاهي الحمار)

دخلت على رجل مقامر وكنته مدة لعبه وعندما خسر ادعى انني الهيته وهذا سبب الخسارة فقلت عن لسانه

الهيتني يا شاكرًا ما هكذا فعل الصديق
فاجبته اني الذي يلهي الحمار عن العليق

وكان رجل اسمه الخناس لا يحمل سرًا وكانت والدته عوراء ويقال له احيانًا

ابن العوراء وكلما قيل له سرًا ينكشف في ساعته فقيل عنه

الا فاحذروا النخاس يا اهل بلدهِ ... فلا كاتمٌ سرًا ولا يبدي معروفا
يظن بان السرّ عورة امه ... يكون على كل النواظر مكشوفا

(نكتة) قد كنت في مجلس فسألني احد الحاضرين هل هجوت فلانًا وادخلته في مجمع الحشرات وكان فلان حاضرًا وهو ذو هامة هايلة فاجبته انني لم ازل في الحشرات ولم اصل الى ذات الحوافر حسب تقسيم التاريخ الطبيعي

(تهنئة دولتلو احمد عزت باشا العابد بنيشان الامتياز المرصع)

بعد رجوعي الى بيروت من صيفية سنة ١٩٠٤ قرات في الجرائد خبر انعام الحضرة العلية السلطانية على عبدها احمد عزت باشا كاتبها الثاني بالنيشان المذكور وانها البسته اياه بيدها الكريمة وهذا امتياز اعظم من نوال النيشان المذكور فارسلت لدولته التاريخ الاتي

في عزة ونعيم دمت متشحًا ... فذا جزا عابد المولى ومرضيهِ
لما راى قلبكم رب البلاد غدا ... مثل المرصع في ود يصافيهِ
وكنتم في امتياز في نهى وزكا ... وفي امانة متبوع وتفديهِ
اهداكم اليوم نيشانًا لمملكةٍ ... فيه امتيـاز وتعظيم لحاويهِ
١٩٠٤ اضحى المرصع ارخ وسم صدركم ... قد بات يعلو عليه مثل ما فيهِ

(اعترافي للخوري)

اراد كاهن تعريبي فقلت له بعد الاعتراف

من بعد تعداد ذنبي والقرار به ... قد حلني كاهني من كل تقصيرِ
ناديته يا ابي ارجوك مغفرة ... نسيت ذنبًا فاني شاكر الخوري

اختلاف مطران مع قس

حدث في صيفية سنة ١٩٠٤ اختلاف بين مطران وقس وانقسمت البلاد قسمين وصار كل حزب ينشر اعلانًا ويطرحه في الطرقات ناسبًا الى الحزب الثاني كل معصية وقد اطلعت على هذه الاعلانات القبيحة في بابها وقد قلت في ذلك

في سب قس ومطران نرى علنا في كل سوق على الحيطان اعلانا
كل يثبت ما في الغير من زلل اذ يحسبن نفسه حرّا ومنصانا
قد كنت في مجلس دار الحديث عَلَيّ من منها يدعى زوراً وبهتانا
فقلت باسادتي فالدين يمنعنا من ان نكذب قسيساً ومطرانا

« تخميس ابيات تنح عن القبيح »

وقول ديانة للناس عده وكره على من لم تجده
يلذ لكل من لم يقتعده تنح عن القبيح ولم ترده
ومن زودته حسنا فزده

ولكن للسيامة غير قيد وتصطاد الرجال بغير صيد
وقد قال المجرب عن رشيد ستلقى من عدوك كل كيد
اذا كاد العدو ولم تكده

« احمد ومحمود نجلا نخري بك نامي »

يزداد نخري كل ما شاهدتكم فلذلك احمد كم مدى الايام
وغدوت محموداً لاني شاكر ما دمت شاكركم فنخرسيه نامي

« على ضريح هجا، عظيم »

هذا ضريح الذي ولى بلا اسف هجا ملوكاً وخلانا ثلاطفه
حتى هجا كل فرد من اقاربه وكل من قد يراه او يصادفه
لم يبق شخص على الغبراء مشتهراً الا واضحى بشر القول يقذفه
ان كان لم يهج بين الناس والده مـا ذاك الا لعذر ليس يعرفه

ال جنبلاط الان

بعد توفي سعيد بك جنبلاط وكان الدعاوي عليه من كل جهة وقد ضبطت املاكه وهربت اولاده وقامت عليه اصحاب الديون التي كانت لحد مليون غرش لان عندي علم بذلك من والدي وسكن العسكر الشهاني المختارة قامت في هذه المصايب مقام الرجل زوجة سعيد بك الست بدرامين الدين والدة نجيب بك ونسيب بك اولاد

سعيد بك المتوفي وكان عمر نجيب بك في الثالثة عشر ونسيب بك بالسابعة فجردت هذه الست نفسها لخدمة هذا البيت وعملت اعمالاً تعجز عنه فحول الرجال وبحسن سياستها وكدها حفظت البيت كما هو ووفت جميع الديون وحفظت البيت من الخراب خصوصاً بدعوى نعمان بك اخي نسيب بك الذي يحق له نصف الملك ارثاً عن ابيه ولها قصة غريبة حتى اتصلت الى تعيين معاش الى نعمان بك اربعين الف غرش سنوياً وهكذا انهت جميع الدعاوي ووظفت مدة رستم باشا اولادها نجيب ونسيب مديري الشوفين بعد ما كان خطار بك جنبلاط وعلي بك جنبلاط مديرين فيهما وبقت الاعمال في يدها الى ان رشد البكوات وقسموا الاملاك بينهما فاصبح كل منهما مديراً في الشوف احدهما للسويجاني تسمى بذلك بالنسبة لبني السويجان الذين حضروا مع بني الفوارس الى لبنان وسكنوا فيها والثاني في الشوف الحيثي

وقد كان حزبان بين الدروز في لبنان جنبلاطي ويزبكي واما الان لا يعرف الواحد من الاخر بل كل يتبع منفعته فنظام لبنان حسب التوظيف يعطى لدرزي وظيفة درزي اخر ولبس وظيفة موراني والموراني وخلافه بالمثل فما عاد نفور بين درزي ودرزي وموراني وموراني وحيث توظيف الدرزي يكون حسب يزبكي وجنبلاطي صار اليزبكي ضد اليزبكي والجنبلاطي ضد الجنبلاطي والحقيقة ان الحزب تابع المنفعة والدراهم

فكل هذه المقدمة الى ان نصل الى توظيف نسيب بك قائمقاماً على الدروز لان كان يفتكر الجميع ان لا يرضى الحزب اليزبكي بذلك ولا يكون حسب الاصطلاح القديم تحت امر شيخ مثله بل كان الحزبان يخضعان للامراء آل ارسلان فاتفق حزب من اليزبكي مع نسيب بك لاجل طلب القائمقامية فاخيراً نالها مدة واصا باشا فاصبح نسيب بك قائمقام الدروز وقد نال ما اراده فوق الامل وهو رجل عظيم كريم الاخلاق والنفس وقصايدي له تغني عن وصفي واما نجيب بك فكان رجل محب لاصحابه وكان مقتنع بمديرية الشوف الذي توفى فيها وله ولدان علي بك وفواد بك اللذان اقبلا في مديرية الشوف واما علي بك فانه باع كل املاكه في جبل لبنان واشترى عوضها في بيروت وهو قاطن بيروت وعمل جيداً بذلك لان ما عاد يجد فلاحاً

لاملاكه في الجبل بسبب المهاجرة لامريكا وقد تزوج وله ذكران واما فواد بك لم يزل في المختارة مديراً ذو اعتبار عند الجميع ووارثاً محل اجداده

علي باشا جنبلاط

هو ابن احمد بن حسن اخو الشيخ بشير جنبلاط وكان والده قاطن ببيروت فاراً من سعيد بك الذي كان ضابطاً املاكه مع انه صهره وعندما بلغ علي باشا من الاربع عشر سنة جذبه سعيد بك الى المختارة قهراً عن ابيه وزوجه بابنته الست امنه وذلك قبل حادثة الستين واسكنه في بعزران دار اجداده فبعد الحادثة صار علي بك مديراً على الشوف بعد الشيخ خطار الذي زعل منه جداً لاخذ وظيفته وكان الشيخ خطار زوج عمته بدون عقب فنكاية فيه وقف املاكه الى نسيب بك ومنها الهلالية فوق صيدا التي شاد فيها نسيب بك قصره الان الذي عملت له التاريخ ثم توجه علي بك الى البراميه وسكن فيها وشاد فيها قصره الجميل الان واعتنا باملاكه التي كانت تدخل له اولاً من الاربعين الى الخمسين الف غرش اصبحت تدخل لحد الالف والخمسماية ليرا وقد نال رتباً حتى وصل الى رتبة روملي بكلر بك بلقب باشا ما عدا النياشين المجيدي والعثماني الثالث والايراني الثالث وهو رجل سلامة بعيد عن الشر يحب راحة الفكر وقد توفت زوجته ابنة سعيد بك وله منها الان شكيب بك عضو مجلس الادارة عن قضا جزين وقد تزوج ثانية وطلق والان بسن خمسة وسبعين سنة تزوج وولد له ذكراً واتى يتملك في بيروت لان زوجته منها واهمل البراميه

ومن الفروع الثاني من بيت جنبلاط محمود بك ابن عم نسيب بك اي نسيب بك متزوجاً باخته الست خولا التي لها المنزلة العظيمة بين النسا بالعقل والعلم واللطف كما ولوالدتها وقد توظف محمود بك بجملة وظايف وطلع عاقلاً جداً باعتناء بالاملاك فاصبح غنياً ولم يزل يلتفت الى صالحه وهو من الازكياء يبعد عن الشر

ومن اللذين عرفتهم الان من ال جنبلاط هم فريد بك الذي صار مدير الشوفين

مدة نعوم باشا وكذلك اخوبه الشيخ مجيد والشيخ عبدالحميد وهما من الادباء ومما ارى اقول ان قضي الامر على المختارة التي هي من اعظم محلات لبنان فصار اكثر ال جنبلاط في البراميه وتاركين المختاره وهذا غلط منهم لانهم بين قومهم واهلهم

« تاريخ دار نسيب بك جنبلاط بن سعيد بك في الهلالية »

بنى نجل السعيد اليوم قصرًا   نسيب المجد ذو الاصل الشريفِ
ترى غربًا له جنات عدنٍ   وشرقًا هام لبنان المنيفِ
ترى ميعاد موسى من جنوبٍ   شمالاً بحر يونان العفيف
وما بين الحدود له اتساعٌ   كوسعة صدره عند الصفوف
وما فيه سوى عيب وحيدٍ   لانه لم يسع كل الضيوفِ
رعاه الله الفًا بعد تسع   من المئات في جد الظريفِ ١٣١٨

وهذه الدار يحيطها غربًا جنات صيدا وشرقًا قمم لبنان وجنوبًا ارض الميعاد وشمالاً الجيه التي فيها مقام النبي يونس ويحدها البحر الذي غرق فيه يونان النبي وهي قائمة على قمة جبل الهلالية وتكشف كل الجهات ومنه عدد في جد الظريف صنة ١٣١٨

(تخميس زرعت باللحظ)

نبيُّ حسن اراني عظم آيته   وجهًا كبدر على اغصان قامته
لما رايت زهورًا بين جنته   زرعت باللحظ وردًا فوق وجنته
حقًا لطرفي ان يجني الذي غرسا
قطفته كي اداوي من به مرض   وليس لي غير هذا عنده غرض
وكل شيء سواه عندنا عرض   فان ابي فالاقاحي منه لي عوض
من عوض الدر عن زهر فما بخسا

(تاريخ لابن بطرس الدبس)

الدبس بطرس قد اتى   ولد بكانون رسا
تاريخه قالـــ لك   هذا خليفة بطرسا ١٨٨٣

(الى قائمقام بعد عزله)

عهدي بعامر شامخ متجرف ... ويزيد عند القول بالمحصول
واليوم اضحى باللطافة فائقاً ... لا شك ذاك تلطف المعزول

(بردبوت) هي رتبة زائر الكنائس وتدعى باللغة السريانية سعور وقد منحت هذه السنة لاحد الكهنة فقلت فيه

انت المعلم في اسرائيل من قدم ... في ارض ميعاد قد اصبحت مغرورا
قد انزلوك مقاماً في سيامتهم ... اذ كنت نبساً وصرت اليوم ساعورا

(الخوري يوسف العلم) هو وكيل المطران يوسف الدبس ورئيس الديوان الاسقفي من الكهنة المعلمين الماهرين في حسن السياسة شاعر مجيد وقد نظم قصيدة بمديح مريم العذراء في عيد يوبيلها الحبل بلا دنس وسماها حمامة الشرق وترجمها وارسلها الى البابا فنالت شهرة عظيمة وقلت مقرظاً الحمامة

في حب مريم هامت مهجة العلم ... حتى غدا مثلاً للحب في الامم
شعر الحمامة مشهور لذاك غدت ... منه حمامته ناراً على علم

(مونسنيور) يجوز لحامل هذه الرتبة ان يلبس خاتماً وله امتياز بملابسه وقد كثرت جداً وصار الكهنة يتزاحمون على نوالها ومن جملتهم كاتم اسرار احد المطارنة فقلت فيه

الى كاتم الاسرار قد جاء رتبة ... تفوضه الاباء في لبس خاتم
فرحت لمونسنيور في نيله العلا ... واهديته اذ جئته فص خاتمي

(الى حبيب بك البيطار قائمقام كسروان سنة ١٩٠٥)

هو ابن سمعان بن فارس بن يعقوب بن سمعان البيطار من غسطا ولد في ١٥ ك ٢ سنة ١٨٦٥ درس ٣ سنوات عند الدبس و ٥ في عين طورا وتعين مدير غسطا محل عمه واكيم ثم قائمقام كسروان مدة مظفر ثم رئيس الادارة ثم قائمقام كسروان ثم البترون ثم جزين ثم كسروان وهو احسن ما يوجد في العصر في الشهامة والكرم وحب الخير وليس له مبغض وهذه الصفات هي صفات العائلة كانت ولم تزل وهو زوج ابنة عمي مريم كريمة المرحوم سليم الخوري وعندما اصبح قائمقاماً على كسروان فرحت به الجموع

من كل الاجناس اولهم الاكليروس حتى والمشايخ ايضاً فقلت له

جمعتم باسمك الزاهي اموراً　　تخولك الرئاسة والمفاخر
فافعل كما تلقاه عدلاً　　واسمع ان رضيت لقول شاكر
فكن للطائعين اخاً حبيباً　　وبيطاراً لمن يعصي الاوامر

«وقلت لجماعة»

(١) لما راى ناظر الاصطبل انكم　　مما تولى عليهم قبل لبنانِ
تهدا كم اليوم بيطاراً لزومكم　　فقابلوا فضله دوماً بشكرانِ

وقلت في رجل يدعى ابن متى كان فقيراً جداً واغتنى وصار من الاوادم الطازا

هذا ابن متى الذي قد عاش متخذاً　　انجيل متى كقانون وسفرين
لم يحملن فضة يوماً ولا ذهباً　　ولا قنى عمره في الدهر توبين
اذا صفعت له خداً يدير لك الـ　　ـثاني وتسخيره ميلاً بميلين
واليوم يهتز تيهاً عند خطوته كأنه قد نسى حمل الجرابين

«تذكار المهاجر»

هذا ديوان قيصر بك ابراهيم المعلوف من اهالي زحله القاطن سان باولو في البرازيل ارسله هدية الي مع هذه الكتابة هدية واكرام الى جناب الشاعر العصري المتفنن والدكتور النطاسي شاكر بك الخوري من المعجب بخفة روحه

قيصر ابراهيم معلوف

لما رايتك للمعارف عاضداً　　وبكرمة الاداب افضل عاملِ
القيت بين يديك ديواني عَلَى　　امل بان يحظى بنقدٍ عادلِ

«الجواب سيدي القيصر» كفاك اسمك لتكون سيداً . تطلب حكمي وانتقادي عَلَى تذكار المهاجر فحكمت نقداً بان قيصر الشعر شعر قيصر وهذا قرار الحكم

مذ دخلنا ديوانكم قد راينا　　فحل شعر معلوف در وجوهر

«١» مظفر باشا متصرف لبنان

لبس فيه غزالة اوغزال | لا ولا حاتم كذاك وعنتر
ماشيا في السهول مثل القوافي | من معاني الصدور قد كان يسكر
فنويت تقديم شكر بشعر | في مديح لقيصر الشعر يذكر
فرأني القريض اني بليد | في مديحي فقال لي وهو اخبر
لست اهلاً للمدح في كل حالٍ | قم واعطي لقيصرٍ ما لقيصر

وقلت في جميلة اسمها روزا حضرت لمعالجة عيونها وكانت بديعة في الجمال

طرف روزا لولاي قد بات روزا | مذ كشفت السواد منه صباني
كاد يعمى لولا علاجي وطبي | مذ رآني بسهمه قد رماني
كان عبداً حررته في علاجي | في علاجي جفناه فاستعبداني
قبح الله اسوداً كل حين | ليس يوماً لاسود من امان
فهو عبدٌ لا تشتري العبد الا | ان ذا قاله نبي المعاني

اشارة الى المتنبي الذي قال لا تشتري العبد الا والعصا معه ٠ وروزا معناها ورد وقد شخصت في الياسوعية رواية وفاء السموأل تأليف الاب خليل اده وقد قرظتها

حضرت رواية فرأيت فيها | مثالاً للشهامة لا يزولُ
وقد نظمت بهاتلك الدراري | بنظم ما له ابداً مثيلُ
توهمت السموأل عاد حياً | وللاعراب قد رجع الخليلُ

الخليل هو الذي وضع العروض للشعر

وقد اعطتني السيدة اسما كريمة الخواجه خليل سركيس وزوجة الشهم الفاضل جرج افندي فيلبيزي مدير الظابطة في بورسعيد كارت بوستال عليها صورتها فحررت عليها ما يأتي

ما هذي هي كرت بوستال كظاهرها | لكنها تلغراف الشهم ماركوني
انظر الى عين اسما عند جانبها | تجرُ من دون سلك قلب مشجون
فان غدت في حجاب عن نواظرنا | فالفكر فيها غدا سلكاً لمفتون
لذاك فكري بها قد بات يجذبني | لبورسعيدٍ مع اني في بحمدون

الف وتسعة مئاتٍ وثامنة يسير طيار عينيها بكانون

وقد حررت لها هذه الابيات بخط يدي الذي هو غير جيد فلكي اعتذر لها عن شناعة الخط قلت ما يأتي

لا تنكري سقم خطي في مكاتبتي ولا سطورًا عن التخطيط منحرفه
فالفكر فيك كطيار يهزُّ يدي فكيف تحسن خطًا وهي مرتجفه

وقلت عندما كنت في البترون زائرًا ابرهيم بك عقل مديرها ورئيسها واكرمها وشاكرًا الطاف مدامته السيدة الماسه

رأت في فضا البترون عيناي درةً يقال لها الماسة ما لها مثل
تبيت مدى الايام في الجاه والصفا بلا كدرٍ من حيث حافظها العقل

« منصور بك شتوان واخوه يوسف بك

هو من عائلة شتوان الشهيرة من طرابلس الغرب وقد حضر والده الى الاستانة العلية وكان عالمًا مكرمًا وله اعتبار عظيم لدى الوزراء ومن جملة ما اخبرني عن صداقة والده مع عالي باشا الصدر الاعظم الشهير وذلك ان والده كفل رجلاً بمبلغ خمسة الاف ليرا وافلس الرجل فالتزم والده ان يدفع الدين ولكن الداين ابى الا ان يحسب فايض لهذا المبلغ ولما عجز عن اقناعه للعدول عن رابه توجه الى صديقهُ عالي باشا ليعمل واسطة مع الداين اخيرًا دفع عالي باشا كل المبلغ من ماله وقال انني اغتنم هذه الفرصة لاخدم حضرتك فتأمل هذه الشهامة حضر منصور بك واخوه يوسف الى بيروت سنة ١٨٨٧ وكان وكيلاً للمدعي العمومي واخوه محاميًا للرجي ثم عاد الى بيروت مرة ثانية مأمورًا للبقايا الاميرية ثم رجع مرة ثالثة رئيس قومسيون الاملاك وقد اصبح مستشارًا لماليه واخوه يوسف بك مفتشًا للعادلية برتبة بالا فاهنيهما من صميم الفواد وعند سياحتي الى الاستانة اذكر ما لاقيت منهما من الانس والالطاف وقد نظمت لمنصور بك هذين البيتين عندما كان وكيل مدعي عمومي في بيروت

لا يدعي احد بقلبي شفعة من حيث قد اضحت بملك المدعي
والحب منصور عليه دائمًا وهوى اليه من المحل الارفع

« صحة العين »

الفت هذا الكتاب وقدمتهُ لاعتاب مولانا وسلطاننا الاعظم عين الزمان

عبد الحميد خان

مع قصيدة جمعت فيها كل معاني العين وهي

الى السدة العلياء قد شخصت عيني   وهل عاقل يرنو بعين الى العين «١»
لحبي لاطراء المليك هو الذي   دعاني اخوض البحر لا خوف من عين «٢»
متى سكن الحب الفؤاد فلم يعد   الى العقل موضوعاً ولو ضر بالعين «٣»
وان كنت لا اقفو بنظمي ابا العلا   فموضوع مدحي لي شفيع لدى العين «٤»
فما قصدت نفسي بذا نيل شهرة   ولا الجاه في الدنيا ولا الفوز بالعين «٥»
ولكن لاشفي النفس فيما قد اشتهت   فهذي هي الدنيا وذي قرة العين «٦»
وما انا في نظم القريض مملقاً   ولم اهدِ انواع الثناء الى العين «٧»
ولكنني اشدو بمن طاب عنصراً   وفاق رجال العصر بالحسن كالعين «٨»
له شهرة بالعدل والجود والنهى   مضوعة في كل صقع من العين «٩»
فلست سوى ذا الشهم يوماً بشاكرٍ   ولو جاد في الدنيا وما تم من عين «١٠»
وجدت منى قلبي بذات مليكنا   له العدل طبع وهو اعدل من عين «١١»
سليل ملوك ساهر لرعيةٍ   كما سهرت ام على الابن والعين «١٢»
فان ندعه عبد الحميد فاننا   عبيد له يلقون اطوع من عين «١٣»
ولكنهُ لا كالعبيد يسوسنا   ولكن كابناء له موضع العين (١٤)
رووف حليم عادل ذو سماحة   تفيض كفيض القطر من سحب العين (١٥)
يجازي اميناً او يعاقب خائناً   ويقضي به في الشرع للعين بالعين «١٦»
فما ولي الاجساد قهراً وانما   جرى حبه في القلب كالماء من عين «١٧»
رقاب البرايا ملكه كقلوبهم   لذا خضعت راسي وما ركعت عيني «١٨»
فهذا هو الحكم الصحيح وعرشه   مدى الدهر محفوظ من الضر والعين «١٩»
ويطرب قرباً ويفرح شاعراً   وينشده صوت البلابل والعين «٢٠»

فهذا افتخار للملوك بحكمهم ولبس بجور في الرعية او عين «٢١»
ولما سمى بالعدل عصر مليكنا تسامت به كل المدارس كالعيني «٢٢»
وفاضت عَلَى الطلاب انوار شمسه كما اشتهرت شمس الضحى في ضيا العين «٢٣»
نخفت عَلَى ابصارهم من دروسهم فجئت لهم بالحال في صحة العين «٢٤»
فلا غايتي فيه بيان فصاحة ولا نظم در اللفظ من لجة العين «٢٥»
ولكن قصدي حفظ صحة بافع ليخدم سلطان البلاد بلا عين «٢٦»
ويجمع ما بين القلوب لالفة كما جمعت في كلمة لفظة العين «٢٧»
ولا يرتضى حب المليك تبادلاً ويقفى ولا يخشى مراقبة العين «٢٨»
الى بابك الاعَلَى تقدم جاثياً عَلَى راسه لا بل عَلَى ركب العين «٢٩»
اعاديه بالقرب الذي منك ناله مرارتهم شقت كشبح من العين «٣٠»
لقد نال فخراً بعد ما كان صاغراً عَلَى كرة الدنيا كراس من العين «٣١»
لحيت به اهل البلاد جميعها وقد فرحت فيه المنازل كالعين «٣٢»
واصلت له اهل العقول لانه ارق من الشكوي واحلى من العين «٣٣»
جمعت به كل المعاني بعينه ولم يبق له معنى يردد في عين «٣٤»
ولا ينتهى مني المديح وانما عَلَى الرغم قد انهته قافية العين «٣٥»

وقلت في صدر الكتاب

لسلطان الورى عصر جديد انت لفلاحه كل العناصر

---

١ معناها الشمس ٢ الضرر بالعين ٣ بالنفس ٤ الشريف ٥ الدينار ٦ الباصرة ٧ احد ٨ قبلة العراق ٩ الناحية ١٠ الذهب ١١ عين الميزان ١٢ الاخ الشقيق ١٣ جريان الماء ١٤ الضمير ١٥ السيل الذي لا ينقطع ١٦ المثل بالمثل ١٧ نبع ١٨ الركبه ١٩ الاصابة ٢٠ طير ٢١ ضرر ٢٢ مدرسة قصر العيني ٢٣ شعاع الشمس ٢٤ اسم الكتاب ٢٥ اسم كتاب للخليل ٢٦ ريب في المكاشفة ٢٧ عين الكلمة وسطها ٢٨ الجاسوس ٢٩ نقرة الركبة ٣٠ خرم في المراره ٣١ اسم بلدة ٣٢ اهل الدار ٣٣ المعاشرة ٣٤ لفظة مشترك ٣٥ حرف العين

فنلنا من عدالته نجاحاً   واضحى الكل حتى العبد شاكر

قدمت من هذا الكتاب نسخة مذهبة من احسن ما صنع الى جلالة مولانا السلطان الاعظم بواسطة دولتلو عزيز باشا والي بيروت وكذلك قدمت نسخة منه بواسطة المكتوبجي حسن افندي الايوبي لنظارة المعارف الجليلة في الاستانة العلية واتاني جواب شكر من وزيرها بواسطة اسماعيل كمال بك والي بيروت ولم يزل هذا التحرير عندي وهذه صورته

تحرير الولاية   بيروت ولايتي مكتوبي قلمي عدد ٣٤

لقد صار مطالعة التحريرات الواردة من مقامكم العالي المؤرخة في ١٦ تشرين ثاني سنة ٣٠٧ والمتضمنة ارسال اربع نسخ من كتاب صحة العين الذي توفق لتأليفه الدكتور شاكر افندي الخوري من ادباء بيروت واطبائها الحاذقين وحيث ان همة وغيرة المومى اليه بهذا الخصوص موجبة للمكافات فانشاء الله سيصير الاجتهاد بتطبيب خاطره في الوقت المناسب فتتفضلوا بتفهيم ذلك وبيان المحظوظية منه باسم النظارة ٢٢ جماد الاول سنة ٣٠٩ - ١٣ كانون اول سنة ٣٠٧

نمرة
٤٣٣

الى الدكتور شاكر افندي الخوري من اطباء بيروت

ان التحريرات الجوابية الواردة من نظارة المعارف الجليلة بناء على تقديم نسخ معلومة من كتاب صحة العين الذي الفتموه وارسلتموه بواسطة مقام الولاية صار نقل الصورة عينها اعلاه فنبلغكم ذلك في ٢٨ رجب سنة ٣٠٨ و ١٥ شباط سنة ٣٠٧ والي بيروت اسماعيل وبعد مدة نلت النيشان العثماني الرابع مكافاة

وقد ارسلت نسختين من كتاب صحة العين الى باي تونس والى الوزير الاكبر من يد ابن عمنا نعمان بك الخوري الذي كان يومئذٍ في الوزارة التونسية فورد لي التحرير الاتي من الوزير الاكبر وهي

الحكومة التونسية الوزارة الكبرى الحمدلله الفاضل الاديب الاتي على فنون الحكمة باحسن الاساليب الدكتور السيد شاكر الخوري ادام الله رعيه وشكر سعيه

اما بعد فانهُ بلغنا كتابكم مصحوبًا بنسختين من تأليف جنابكم الممتع المفيد المهدي للعيون من النصايح ما تريد المسمى بصحة العين بواسطة نخبة اقرانه الاكتب البارع الشيخ السيد نعمان الخوري فتلقينا ذلك بالمسره ورابنا من هذا التأليف ما اهدى للعيون قره مع ما هو موشح به من الاداب وبلغنا لحضرة المعظم الارفع مولاي وسيدي دام عزه وعلاه النسخة التي خصصتموها لعالي جنابه فتلقاه دام بقاؤه بالبشرى واثنى عَلَى جنابكم بما هو به احرى ونحن نشكر جنابكم عَلَى اتحافنا بهذا التاليف الشاهد لدينا جنس مؤلفه بالاجاده واهليته للابداع والافاده والله تعالى يديم ترقيكم في مدارج العرفان ويعينكم عَلَى ابدى المسامرة الجميلة للعيان

حرره الفقير الى ربه تعالى امير الامراء محمد العزيز بوعتور الوزير الاكبر عفا الله عنه في ذي القعده الحرام سنة ١٣٠٩

محمد عزيز بوعتور

وهذا ما قلته في صدر الكتاب

وجدت لعميان البواصر صحة ... ولكن لعميان البصاير لم اجد
فمن شاء يومًا حفظ صحة عينه ... بلاشبهة عن صحة العين لم يحد

نادرة مع الخوري يوسف العلم

تقابلت معه صباحًا وانا ذاهب الى مستشفى راهبات المحبة لاجل مداواة اعين المرضى فقال لي اين انت ذاهب بهذا الصباح اجبته الى حيث انت ذاهب فقال وكيف ذلك قلت اننا نسعى لعمل واحد وغاية واحدة فانني اسعى لمداواة مرضى العيون ومعاشي عليهم ويشفون اما انت فمعاشك عَلَى عميان القلوب ولم يشفوا

وقد وجدته مرة اخرى مع ابن عمي الذي هو الان المطران شكرالله متوجهًا نحو كنيسة مار جرجس فصرخت له هل ذاهب بابن عمي عَلَى جناح الهيكل لان الشيطان اصعد المسيح الى هناك

(عَلَى صورتي في كتاب صحة العين)

عَلَى الوطن العزيز وقفت نفسي ... لما يبديه نحوي من مآثر
صاحمد فضله ما دمت حيًا ... وبعد الموت هذا الرسم شاكر

طرزت هذه الابيات باسم اسما

امرت فوادي عينها فغدا بهسا | متحركاً بحراكها وسكونها
سمعي وعقلي والحواس واجمعي | لم يدركوا السر الذي بعيونها
مسقومة نعسانة سكرانة | حملت تمى اخذى بسيف جفونها
اجفانها عمداً تخون اسيرها | مع انه ابداً يفي بيمينها

وقلت في كحال دجال اسمه امين ولكن لا على العين

وكحال يعالج كل عين | نظير الضرس بالقلع المتين
له ابد عصا موسى تحاكي | تفجر كل يوم الف عين
اذا مد الشمال لكحل عين | تخذ عكازة لك باليمين
له في الطب دوماً معجزات | مخالفة لايات ابن نون
فيوشع رد شمسا في غروب | وذا اخفاها عن متكحلين
ومذ طمست بما قد كانوا ظنوا | اصاب سوادها كحل الامين
فلو القاه في بدر وشمس | بلا شك لاعمى النيرين

ولهٔ

يا زاير الكحال صبحاً فانتبه | ان الرجوع يكون في وقت المسا
لا تزعجن فان من عاداته | لمريضه القيادة يعطى العصا

(حسين افندي الاحدب)

هو ابن الشيخ ابراهيم الاحدب العالم العلامة الشاعر اللغوي الفقيه المستقيم الذي كان معلمي حين كان عند سعيد بك جنبلاط معلماً لاولاده وفيما بعد انتقل الى المحكمة الشرعية في بيروت وتعين فيها باشكاتباً وبقي في هذه الوظيفة حتى سنة وفاته سنة ١٣٠٨ هجرية وقد اخلف ذكوراً واكبرهم رشيد الذي توفى بعده بمدة قليلة وسعيد الذي كان باشكاتب مجلس الادارة في بيروت وكان رشيد في المحكمة الشرعية ايضاً واخوهم عبدالحميد من التجار المتبرين الان وحسين افندي المذكور الذي هو رئيس قلم الاوراق في الولاية وهو انموذج الصدق والامانة والمودة والذكاء حتى اجمع الكل من سائر الملل والنحل وتباين المذاهب والاغراض على امتداحه وقد نال الرتبة العليا والنياشين العظيمة وقد رزق ولد ذكر سنة ١٣٢٢ هجرية وسماه ابراهيم باسم

جده وطلب مني تاريخاً مجرباً لولادته فنظمت له ما يأتي

نسل الحسين مطهر ومشرف ومؤدبُ
يحيي الحفيد فضائلاً في الجد كانت تطربُ
ولي ابراهيم شاهدٌ فبها القول واكتب
عشر واربع حجة قد غاب ذاك الكوكب
واليوم ارخ شمته رجع ابراهيم الاحدبُ ١٣٢٢

وقولنا عشر واربع حجة اعني اربع عشرة سنة وهي المدة التي مضت علَى وفاة ابراهيم الجد فاذا حذفت هذه المدة من سني ولادة ابراهيم الحفيد يبقى ١٣٠٨ وهي سنة وفاة الجد فيكون هذه الابيات قد حوت تاريخين الاول لولادة ابراهيم والثاني لوفاة ابراهيم الجد

اسكندر بك التويني

هو الرجل الذي خدم حكومة لبنان مدة ٣٦ سنة متصلة وكان سياسياً عظيماً ليس بالعنفوان والقوة بل بالبرهان والرفق واللين وكان صديقاً لصديقه وحزبه لم ينفك عنه ابدًا فتارةً يرتفع الى اعلَى الدرجات فيرفع معه من يخصه وحين كان يهبط يهبط معه اصدقاؤه وهو الوحيد الذي حافظ علَى حزب سياسي في لبنان بيروتي الاصل من عائلة كريمة اشتهرت بمبراتها منها عمه المرحوم الخواجه جرجس التويني صاحب الجاه وكرم الاخلاق واولاده منهم الخواجه نخله معدن اللطف والانسانية واحد تراجمة قنصلاتو فرنسا وقد دخل في خدمة الحكومة اللبنانية مدة فرنكو باشا كترجمان المتصرفية ثم اصبح مدة نعوم باشا مدير البوليتك وبقي في وظيفته الى مدة مظفر باشا سنة ١٩٠٢ وبعد ترك وظيفته تقريباً توفت زوجته السيدة نظله صاحبة العقل الذكي والتدبير والسياسة ولم يمض علَى وفاتها ثمانية اشهر تقريباً حتى تبعها زوجها اسكندر بك الذي كان قد تعين عضواً بمجلس ادارة ولاية بيروت

وقد نظمت هذه القصيدة للسيدة نظله متعرضاً بها لشاعرٍ لم يزل كشعراء الف سنة يشبه الممدوح بالشمس والقمر والغصن فالموضوع بين هلالين

من قصيدته

قد شبهوا نظلة بالريم والذهب   والله قد انزلوها اليوم عن رتب

ما الريم ما الغصن ما الاقمار في فلك   (ما الصبح ما بين مخفور ومضطرب)

فصارت الناس غير الارض عابدة   بل كل فضل وعقل رائق طرب

هل عن ملاك يقال الليل طرته   (من فوق غصن بانداء النهى رطب)

ان شئت وصف ملاك مثل نظلة قل   هي الكمال ولا (اصفى من الذهب)

ولن تحدث عن اوصافها ابداً   في السن الناس من عجم ومن عرب

بل خذ لسان ملاك حين تذكرها   مسترفعاً في سماء المجد بالسحب

عن نعمة الله حدث حين احدثها   من خير والدة لاقت لخير اب

وعندما خرجت من حضن والدة   منهـا تملأ حضن المجد والحسب

والعلم والجود والمعروف قد خلقت   تجسدت فدعوها نظلة الحقب

مـا هذه بشر لو منهم وجدت   نرى عيوباً بها والله لم تعب

بل روح قدس لغات الخلق قد عرفت   حلت على اسكندر الاعلى من الشهب

من كان يا شاعر هـذه محاسنه   هل جاز تشبيهه بالخمر والعنب

لكنني عاذر لا شاكر ابداً   فيما اتيت به في الوصف واللقب

من حيث انك مهزار رضيت به   وأكل التمر قد شبهت بالرطب

بالخمر فالخمر احلى ما تهيم بها   شبهتها دون تكليف ولا تعب

وعندما قد قصدت المدح في ملك   قد كنت (ما بين مخمور وذي عجب)

لا شك انك اقوى شاعر بزغت   له الدراري بالفاظ من الضرب

لا عيب في الوقص او في النقص عندكم   ولا زحاف ولا بالخبن والسبب

فانت بالشعر بحر كامل عذب   لكن في مدح ذات الفضل لم تصب

لو كنت من قبل وزن الشعر ممتدحاً   وزنت عقلاً لما عرضت للشغب

عروض شعرك تعريض بلا غرض   مستفعلن فاعلن ما جاء بالطلب

ما كان اغناك يا مهزار لو كرماً   .لمطت فاك ولم تدخل بذا السبب

لان لا شاعراً منـا يفي غرضاً   في مدح نظلة ذات الفضل والادب

وعندما لبست في البالو لبس جنية وهي عبارة عن شبكة وضعتها على راسها ورفعتها على ايديها نظمت لها ما يأتي على صورتها التي تصورت بها بهذا الزي

معها اشتبكت بدهرٍ هل يخفي شمساً شباكُ
ولو لبست كجنٍ ما انتِ الا ملاكُ

ولما تولى متصرفية لبنان نعوم باشا وعاد اسكندر بك لنفوذه الاول بعد ذهاب كوبليان قدمت له هذه القصيدة

من كان في مجده او جده غرقا تراه يصغي لمزلف طيبه عبقا
اينظر الشعر في حين الرضى ابداً ام يحسبنه خيالاً قل ما صدقا
ظرافة الشعر في الموضوع كائنة لا في معانيه او لفظ به نسقا
فالهجو كالمدح في غير اهله عدم وما له رهجة ان جال او شرقا
فالشعر عندي شعور القلب اعرضه لا ادري ان حسناً قد جاء او لبقا
لا بد من بعضهم عنه بلا غرض راض وبعض لاغراض له حمقا
مدحت قوماً فقالوا مدحهم كذب فربما صدق الراوي وما رفقا
هجوت قوماً فقالوا الصدق شيمتهُ والبعض قد كذبوا من بينهم فرقا
لا بد من سبب للمدح اعرضه وللهجا سبب كالصبح قد فلقا
ان كنت اصدق في الحالين لا عتب بل كل لوم على من اوجب القلقا
لا يعرف المرء الا حين قدرته لانها تجعل المطوي منفلقا
ان كان في هذه الاحوال ذا كرم امدح ولا تخش تكذيباً ولا زلقا
او كان بالعكس فاذم لا تخف ابداً لان هذي طباع المرء لو برقا
من كان بالذل منحطاً باكثر ما يلقى نفي العز غداراً ومحترقا
ان الذليل لئيم عند قدرته واين الكرام لذل يلحق الشفقا
والكل في المدح لا يوفي ولا احد في الهجو الا لضحك شدقه انشدقا
اقسمت من بعد ذا لا المدح انظمه حتى ارى الكل في الممدرج متفقا
فكرت في اسكندر المقدام شيمته دون اعتراض ولا من ضدها نهقا

ولم تجد قط مأمورًا يقابله ويشتكي راجعًا ان جيبه انخرقا
ولا حزين وذا دعوى يساعده ويشتكي قبل حكم فاه نفقا
ولم تجد ذكره ان جال في بلدٍ لسان كل امرىء في لعنه نطقا
ولا الذي قد رآه خرَّ مكرمة لكن عليه اذا دار القفا بصقا
ولم تجد صاحبًا ممن يعاشره قد شك في صدقه او فيه ما وثقا
له الكرامة عند الناس واحدة ان نام او قام او قد عام او غرقا
فاليوم جئت بهذا الشعر مفتخرًا فيه على كل شعرٍ في الورى سبقا
وفخره وافتخاري قول سامعه وقول كل امرىء عنه لقد صدقا

وقلت في تعزية له بفقد ولده البكر جرجي بسن ١١ سنة ١٨٩١

ان الذي ابكاك قد ابكاني فمن الذي منا يعزي الثاني
ان قلت اولى منك تعزية به لا تعجبن فاصغ الى برهاني
انت الذي سبب ابتلاءك واحد وانا الشريك به ومثلك عان
وزيادتي اني اراك بذا الاسى ولقد عهدتكم رفيق جنان
لوحل هذا الخطب في اعدى العدى كنت الحزين فكيف بالولدان
ولقاء والدة بشاشة وجهها تنفي عن المحزون كل هوان
قد بدلت من نضرةٍ ومسرةٍ عبرات حزن فضن كالطوفان
حسراتها وجدًا ولوعة جدةٍ يصدعن قلبًا قد من صوان
واري منازل كان ارتاحي بها واليوم اضحت ملتقى احزاني
تلك المشاهد هيجني في لوعةٍ لي فوق لوعتكم وحزن ثان
فعلامَ ذاك الانقلاب بسرعة فغياب جرجي قالب الازمان
يا ايها المولى الحزين لفقده انّا عليه في الاسى سيّان
اعطاك ربك بالكثير فقل من أعطى كما أعطيت من احسان
اعطاك عقلاً كاملاً وشهامةً ووجاهةً ومكارم الاعيان
وبشاشةً ومروةً ومعارفًا ومحبة الاعداء والخلان
وقرينةً حوت الفضائل كلها وكذا ملائكة من الغلمان

فقد القليل من الكثير خسارة   وذهاب كل غاية الخسران
لا تيأسن ان قد فقدت قليله   كن صابراً بل شاكر الرحمان
ماذا اقول معزياً ومسلياً   وباي الفاظ واي لسان
او كيف يمكن ان اعزي والداً   وانا بذا ما واحد عزاني
من لا ينوح على الزكي وعلى النهى   من لا ينوح على فتى الفتيان
من كان يعرفه وما عرف البكا   لبكاه لم تكفه عينان
يافدوة الاولاد ثم ابرهم   بالوالدين وسلوة الاخوان
ان غبت عن عيني فانت ممثل   في خاطري وهواك في الاذهان
انت الملاك فلا مقرك دارنا   دار الشقاء بل في نعيم جنان
دعنا نعاني العيش بعدك غصة   نم واسترح في جنة بامان

في ١٥ ك ١ سنة ١٨٩١   من صديقه

الدكتور شاكر الخوري

وقد انسريت جداً من تعيين ولده اسعد ترجمان متصرفية لبنان وذلك من انعام دولتلو يوسف باشا الذي عرف خدمة اسكندر بك بزمان والده وصهره فهنا دليل العنصر الكريم وذلك في ك ٢ سنة ١٩٠٨

المطران بولس عواد

عائلة عواد من حصرون لاوية دون شك ويقول اخر ان افرادها لاويين الطائفة المارونية لانهم كلهم كهنة ومطارنة وبطاركة ولو قرأت تاريخ هذه العائلة تجد صدق قولنا فقد ظهر منا السمعاني الشهير وسمعاني اخر والبطريرك سمعان عواد والبطريرك يعقوب عواد والمطران يعقوب عواد الذي عمر دير قطين والان منها مطرانان هما المطران اسطفان الذي توفي سنة ١٩٠٨ والمطران بولس وجملة كهنة ايضاً وافراد هذه العائلة نشيطون جداً وقد اتى كل فرد من بطاركتها ومطارنتها بحركة قوية ففي زمن البطريرك يعقوب حصل انقسام كلي بين المطارنة وبعد ما ازلوه رجع بامر رومه وقهر اخصامه وفي زمن البطريرك سمعان اختلفت الطائفة على بطريركين واما المطران بولس الذي صار مطراناً مع ان قسماً عظيماً مضاداً له فهو مثال النشاط والكد وهو

الوحيد من المطارنة صاحب التاليف فقد كان خوربا عند القاصد بيافي وكان تلميذه بالنفوذ والنشاط وهو يحب النفوذ كثيراً ولذا ترى له اخصام بكثرة ويحب الشغل وقد ترجم مصنفات مار توما اللاهوتي الى اللغة العربية ويأخذ باقي تاريخه من برنامج غانم وهو شقيق يوسف بك عواد مدير حصرون الدايم وكذلك الشيخ لطف الله والشيخ مخايل من الذوات الكرام والتجار العظام

(الى لساني)

يا لساني اكفف عن الهجو واعلم ... ان كشف العيوب مر كلعقم
افتبغي من ذاك اصلاح شان ... لرجال خدعت للصمت الزم
سابق الطعن حافظ قلت فيه ... هل بهذا ظننته صار يفهم
قد هجوت اميرة القمل حقاً ... هل ظننت احوالها تنتظم
لا وربي فذاك امر محال ... ان نراه وحق عيسى ومريم
كل وغد على خطاه مقيم ... لم يشا تركه ولو بات معدم
مالك عايد سوى كسب خصم ... كل يوم نلقى عدواً مقتم
ان كسبنا بالهجو خلاً وحيداً ... الف خصم نراه حولك حوم
واذا مما اضحكت مرأ بهزل ... الف نذل يبكيك دمعاً معندم
سامع الشعر منك يبدي ابتساماً ... ويريد استماعه لو تألم
ويسرّ يلوم من قد تلاه ... ثم يخشى اشعارنا لو تبسم
دع رجالاً عيوبهم في حشاهم ... دع وودع قوافي الهجو تسلم
كم قبيح هجوته لعيوب ... خلته ساقطاً لذاك تقدم
ان هذا الزمان وغد ويهوى ... كل وغد في فسقه قد تلطم
فاجاب اللسان دعني وشاني ... كل شعر من غير هجو محرم
اظننت الهجاء مني لكسب ... او لشان او غايتي ان اكرم
انما مذهبي وجل مرامي ... اظهر الحق لو غدوت مهشم
افتدري باصاح لمْ صار شعري ... عند ذي الذوق عالياً ومعظم
لا نظم لا ولا روي ... لا لبحر ولا لوزن تحكم

بل ترى الحق واضحاً فيه طبعاً ... واخا القبح مثلما هو يرسم
ان طبعي اذا وجدت قبيحاً ... قلت في هجوه القريض منظم
ان اتاني بالفكر معنى ضحوك ... فغرامي ابديه شعراً ليعلم
ان منعنا عن القريض اغتصاباً ... ووجدنا في نظمه القلب يظلم
احفر الارض غيلةً وانادي ... ان تحاسنا دنيٌّ ملطم

الكذب

(ارسلتها الى مدير المهذب في زحله الفاضل الخوري بولس الكفوري)

سيدي مهذب المهذب

اعلم سيدي انني ابتدأت بتحرير هذه الرسالة الساعة الثالثة بعد نصف الليل هببت لما من رقادي وقد اضأت القنديل بجانبي ولعدم انتباهي له وكان قوياً انكسرت الزجاجة · فاستعضت بغيره حالاً ولكنني لم انل مقدار الضوء الكافي لانارتي

واما سبب قيامي في تلك الساعة فهو اشغال فكري واضطرابي واسفي وهلعي جرّاء من حادثة جرت لي يومئذٍ · وذلك انه كان لي صديق قديم العهد · وبالأولى انا كنت صديقه لان الصديق من صدق معك · فكنت انشرح منه لظرافة حديثه ودماثة اخلاقه · فكانت هذه عملته معي وانا منشرح منها · وكنت مقابلة لذلك اخدمه بكل ما قدرت عليه ان كان طباً او حباً

فمن مدة شهر حصل لي شغل عنده لغيري يمكنه عمله · فرجوته · فوعد ولم يفعل مدة شهر · فانزعجت جداً من هذه المحاولات خصوصاً من رجل كنت افتكر انه يفدي نفسه لاجل خدمتي فخاب الامل · وناهيك ما هناك من الغيظ والكدر والتأسف والاحتقار بكذبه عليّ لان للكذب تأثيرين الاول انه اضلك عن الحقيقة وتضررت بضلالك عنها والثاني ان الكذاب قد احتقرك لما سخر بك وعرفك غير الحقيقة

وبينما انا في تلك الحالة وجدت بجانبي كتابكم الذي وصلني في ذاك اليوم والذي تطلبون به مني بعض مقالات لادراجها في مهذبكم · وما ذاك الا من غيرتكم عليّ

جريدتكم التي تصرفون اجتهادكم لنجاحها وانشراح وافادة القاريء كما في اعمالكم · وحيث كنت متأثرًا من كذب الرجل وكنت اراجع في فكري اضرار الكذب جعلته موضوع المقالة · وحيث جريدتكم المهذب قصدها كاسمها فأول تهذيب هو التعود على الصدق · وحيث وجودكم في مدرسة وعندكم شبان حديثي السن فيكون التهذيب مؤثرًا فيهم خيرًا ونافعًا اكثر من الذين مضى زمن تهذيبهم وانقطع منهم الرجاء

لا اعيد ما قاله المهذبون والدين والاداب عن الكذب وتحريمه واضراره فهذا تحصيل حاصل · ولكن غايتي الوحيدة ان اعالج هذا الداء كوباء مميت · فكل من تكلم عن الكذب يذكر لنا قبحه فقط ولكن لا يقول الطريقة لردعه او تخفيف انتشاره فغاية مقلتي هذه ان ابين اسباب الكذب حتى نعرف هذه الاسباب ونبتعد عنها

فاول اسباب الكذب هو التربية القاسية لان الولد يكذب ليتخلص من ذنب ارتكبهُ لانهُ لحد الان لا يعرف ان يتخلص منه فكل من الوالدين والمدارس هم بالاكثر يولدون الكذابين لان الكذابين على جملة انواع وعلى حسب السن والصنعة والحالة فالولد يكذب ليخلص من قصاص والكبير للغش والمنفعة وهذا هو اللص الحقيقي مع ان كل ذلك غير صحيح لان الذي يغش ويغافل الناس فغشه يكون مره واحدة فلا يمكنه ان يعيدها لصاحبها مرة اخرى وهذا المغشوش يفضح الكذاب ويعطل شغله وقد رايت الان في احوال التجارة ان من هو صادق يكسب اكثر من الجميع · لانهُ من زمن عندما كان الكذب قليلاً والصدق اكثر كان الذي يكذب يربح لبساطة المشتري واليوم حيث كثر الكذب صار الذي يكسب هو الصادق

واما التربية وخصوصًا في المدارس فهي ينبوع الكذب فقساوة المعلم وقصاصاته الصارمة هي التي تجعل التلميذ كاذبًا فليفتكر كل منا عندما كان تلميذًا وسقط بخطإ كيف احضره المعلم والرئيس وكيف كان وجهاهما العابسان والقضيب في ايديهما و يقولان له قرّ في ذنبك فكيف يقرّ ولكن لو اخذوه باللطف والبشاشة وقالوا له بانهُ انك عملت الامر الفلاني الذي هو مضر وضرره كذا وكذا وله قصاص ولكن حيث

هذه اول مرة نسامحك فقل لنا كيف صارت المسئلة واذا قلت لا قصاص عليك وبالعكس اذا كذبت فتراه يقر حالاً ولم يعد الى ما عمل وبهذه الكيفية لا يتعود الولد على الكذب ، لان في تكرار العمل تصير العادة وتنمي وبالعكس اذا لم يتكرر ، هذا دواء عظيم لهذا الوباء

والتربية هي اعظم شيء كما قلنا فلو كانت الاهل والمدارس تجعل اهمية عظيمة لمنع الكذب لكان يقل جداً وهذا العمل يلزم ان يكون من قبل الاهل والمدارس والهيئة الاجتماعية ان تقاص الكذاب وترميه من هيئتها لحينئذٍ يعرف مقدار خطائه

عندما كنت في مصر سنة ١٨٧٠ وجدت رجلاً من اهل بلادنا فسألته عن شغله فقال انه مستخدم عند لورد انكليزي حضر هذه البلاد ليسكنها فاجبته كيف يترك سكن انكلترا ويأتي الى هنا خصوصاً مدة الصيف فضحك وقال ان له قصة غريبة فقلت له وما هي قال ان من عادة اللوردات ان تعاشر بعضها وقليل ما تختلط بغيرها ففي احد الايام كان لوردنا يلعب الورق مع رفاقه فوجدوا ورقة ضائعة فسألوا عنها فانكرها الجميع واخيراً وجدوها معهُ فعند ذلك كتبت الجرائد عنه وطردته اللوردات من بينها وامرأته تبرأت منهُ فما عاد يمكنهُ ان يسكن انكلترا . انظر تأثير التربية

مثلٌ آخر اخبرني عنهُ بعض الذوات وهو انهُ دعا رجلاً من بلادنا له معرفة في الخيل واعطاه مائة ليرا ليذهب الى العرب ويشتري له حصاناً فتوجه هذا الرجل ودخل على شيخ قبيلة وطلب منه حصاناً ظريفاً فاراه الشيخ واحداً وطلب في ثمنه مائة ليرا فرفض الرجل ودفع له خمسين فلم يرضَ الشيخ فاخيراً طلب منه الرجل ان يرسل معه دليلاً يوصله الى قبيلة اخرى لمشترى حصان فطلب الشيخ صعلوكاً من العرب واوصاه ان يرافق الرجل ويرجع معهُ فتوجها وعندما وصلا الى شيخ القبيلة الثانية طلب الرجل حصاناً فاحضروه له فطلب الشيخ ثمنه مائة ليرة فاجاب الرجل انه عرض عليَّ حصان من الشيخ الفلاني بخمسين ليرة مثله وما رضيت فعند ذلك خرج الصعلوك رفيق الرجل من الخيمة وناداه فخرج الرجل فقال له الصعلوك انني راجع الى

فيلني الان ولا ارافقك فاجابه لماذا فقال له انت كذاب قلت ان الحصان عرض عليك بخمسين وما قبلت فهذا كذب لا ارافق الكذاب فرغماً عما وعده واعطاه ليبقى معهُ فما قبل فتركه · انظر هذه التربية فلو كان هذا الصعلوك امامي لكنت اقبله · والرجل نفسه اخبر هذه القصة

وقد اتفق لي عندما كنت في الشام وحضرت الى بيروت انني اشتريت عدة كتب بلغ ثمنها مائة فرنك فقلت للبائع ساعطيك تحويلاً عَلَى فلان عميلي · فقط لا تقول له انه ثمن كتب لانه يستغليها وربما لا يدفعها لان العميل كان صاحبي جداً ولا يريد ان افرط الدراهم · فقال لي اذا سألني اقول له ولا يمكنني ان اكذب وهذا الرجل ليس بغني بل محتاج فقلت له اذاً انا اترك الكتب فقال اتركها فتركتها وذهبت ولم يأسف عَلَى تركها · ولكن بقيت مؤثرة فيَّ شهامة هذا الرجل وصدقه فاخبرت عميلي اني اشتريت كتباً من فلان لازمة لي سأحول عليك بمائة فرنك فقبل ففي اليوم التالي رجعت اليه وقبلته بين عينيه واعطيته التحويل وكان اغلب رجوعي لصدقه لانني قلت لا بد ان يكون صدقه سبب خسارته فيتعلم الكذب اخيراً عَلَى حسابي وقلت له عن ذلك وحرضته عَلَى مداومة الصدق ولحد الان لم انسَ هذا الرجل من مدة ثلاثين سنة وما عدت نظرته عمري وهو اخو مسيو عصاعيصو التاجر في بيروت وعسى ان يكون لم يزل كما كان

فهذه الحوادث تلذ جداً حتى الكذاب نفسه ينشرح منها لان الكذب ليس بطبيعي في الانسان بل اخذه لخوف او لجر منفعة ويعرف جيداً انه معيب لانه لو لم يكن معيباً لما يستحي الكذاب اذا قالوا عنه كذاباً

والخلاصة ان باباً كهذا متسعاً جداً يوجد له جملة كتابات ولكن فليعلم الكذاب ان باحتقار الناس له وعدم ثقتهم فيهِ كفاه قصاصاً · فاعظم محب للشخص هو والده وقد كان لرجل ثلاثة اولاد احدهما كذوب جداً لا يصدق والثاني صادق جداً لا يكذب والثالث تارةً في حالة الكذب وتارة بالصدق فسألوا والدهم اذا طلب الباري تعالى منك ولداً يريد ان يميته فأيهم تسمح به فقال بالذي تارة يصدق وتارة يكذب لان الكذاب عرفته فلا اصدقه مهما قال ففكري مرتاح معه والصادق

مرتاح معه اكثر واما الثالث فيبقى فكري مشغولاً بين صدقه وكذبه فالله يريحني منه

وكان رجل يرتكب جملة معاصي ولا يرتدع عنها وكان تحليله لها انها مخفية فقالوا له لا نطلب منك تركها فقط نطلب منك واحدة وهي ان تصدقنا ولا تكذب فوعد فعند آخر السهرة حضر فسألوه اين كنت فما اراد ان يكذب فقال فعابوه فعند ذلك ارتدع بالتدريج واصلح حاله بترك الكذب والضرر الحقيقي للكذاب هو احتقار الناس له مهما كان غنياً

فلو كنت في مجلس ورأيت رجلاً مهاباً غنياً فصيح الكلام حلو الالفاظ عالم في كل فن كم تعتبره في عينيك ولكن بعد كل هذا قالوا لك انه كذاب فتراه يسقط من عينيك ابداً وقد قلت في هذا المعنى

مهما يقولون هذا الشاب محتشم   مؤدب عالم او صاحب الذهب

فلا يوازي اذا من بعد ذا عطفوا   لكنه كاذب فالمدح لم يطب

هذه افكاري واعتبر ان الكذاب مضر بالهيئة الاجتماعية فنرجو الموكلين بالتربية من هذه الهيئة ان تخلص حالها منه وتقاصصه في نفيه منها وعدم اعتبارها له وانفراده منها وهذا يمكن بكل سهولة وكذلك المربين في البيوت والمدارس بان يعطوا اعظم قصاص للكذاب ويسامحوا الصادق اذا اذنب واقر بذنبه وبذلك ترى اولادنا جيلاً بعد جيل يستريحون؟ وارجو من المهذب ان يمسك هذا المبدأ ضد الكذابين وبذلك يكون مهذب حقيقة

واعظم ضرر للكذاب عدم حياءه من الكذب فلكثرة العادة لم يعد يختشي ويغش نفسه . صدف لاحد الكذابين انه رجع من سفر بعيد من عند العرب فحضرت الناس تهنئه بسلامة الرجوع وكان حاضراً في هذه الحفلة رجل حر الضمير لا يطيق الكذب فسألت المهنئون الرجل عن سفره وما حدث له فاجاب انني كنت في بلد عند العرب فيها نهر عظيم (كالبردوني مثلاً) فكان عندما تأتيه الجمال لتشرب تنشف الماء تحت محل شربها فهز الرجل الحر رأسه فاخيراً قال ايضاً انه عندما اراد ان يعلق الي حصانه ادخله الي حاصل الشعير فأكل ربعه فهز الرجل الحر رأسه بزيادة واخيراً

قال ذلك الرجل انه بينما كنت جالساً واذا بامرأة بدوية تصيح وتأتي نحوي فقالت لي : والله ما انت ولد فلان ؟ فقلت في نفسي ربما يكون لهذه المرأة ثار على والدي فتأخذه مني فاجبتها حالاً كلا لست بولده فعند ذلك امى الرجل الحر غليونه من يده وقال له يخرب بيتك حتى باسمك تكذب وخرج فكان لذلك ضجة ضحك ولكن الكذاب لم يخجل

اقبل ايها الرئيس احتراماتي الفائقة ولا تعد ذلك من جملة المقالة بل اعتبرها من اصدق الصدق وان شاء الله اقدم قدر الامكان ما يخطر لي في البال واكون سعيداً ان قدرت اقدم كل مدة بعض افكاري عسى تنفع القارىء واملي ان جريدتكم تمشي بكل نجاح وقد تصفحت اعدادها الماضية فوجدتها نافعة مهذبة ملذة المواضيع وخصوصاً خالية من اخبار اليابان ونروج والولايات المتحدة وغيرها مما لا يهمنا ولا ينفعنا امرها فدوموا للتهذيب بدعاء شاكر الخوري الكفوري

اكليروس بلادنا

الاكليروس فئة من البشر لا يفتخرون بالحسب والنسب مثل جدهم ملكي صاداق الذي لا يذكر له اب ولا ام في ساير الامم وهكذا كانت الرسل بل يفتخرون بالاعمال الحسنة والعلوم والسلوك الحسن ويكرمون لاجل ذلك فلهذا لا اذكر نسب واحد منهم ولا ما كان عليه قبل دخوله في هذه الوظيفة فكيفما كان حاله فيكون اشرف نسباً من نسب الرسل فقط اذكر ما عمله من المبرات وما ابقى من الاثارات مبتدئاً بالطائفة الاكثر عدداً في لبنان وهي الطائفة المارونية التي خلد ذكر اكليروسها الفاضل يوسف افندي خطار غانم الكافليري الشهير ولو كنت من الاكليروس لكنت لا انسى فضله لانه جمع وتعب وصرف واخيراً افلس ولكنه باقي رئيس جمعية مار مارون وقد تشكى يوسف المذكور من عدم وفاء الاكليروس الماروني معه ونشر صور التقارير التي حضرت له من اللذين قدم لهم احساناً ومن جملتها قداسة البابا وقد نال نيشان برتبة كافليير وكتب هذا التحرير البابوي بالايطاليانية واسم الكتاب برنامج اخوية مار مارون فقلت له

لا تنعبن يا يوسف كن عادلاً | وتأمل الافكار في اشعاري
هب لم تنل من ال مارون منناً | من جمعك البرنامج الخطارِ
ان كان من جهة خسرت دراهماً | فكسبت من اخرى الذ ثمارِ
لولاه ما سميت طليانيةً | جوزبي او لقبت كاملبري
والكل اسم قد اخذت تقاعداً | من كسبه والقبض في نوار
وتقول مع هذا فلست بغانمٍ | يا خيبة المعروف بالاشرار
هذا جزء للذي في كتبه | لا يفرق الاشرار عن اخيار

غبطة البطريرك الياس الحويك

حاصله ان رئيس الطائفة المورانية الان هو غبطة مار الياس الحويك رجل الدين حقيقة وعنده في الكرسي مطرانان وهما المطران يوسف نجم والمطران بولس عواد الذي ذكرناه مع عائلته واما المطران يوسف نجم فهو رجل سياسي ماهر كاتب عظيم وهو وكيل البطريرك الزمني واما الكتاب فهم ابن عمي الخوري عبدالله الخوري الذي نال ثقة البطريرك وهو المنسيور الاكبر وصاحب الاهمية والخوري يوسف صقر الخوري اللطيف الكاتب صاحب البشاشة والعلم والخوري عريضه عالم لاهوتي واما المطارنة منهم مطران بيروت ومطران صيدا اللذان ساذكرهم واما مطران بعلبك فهو المطران حنا مراد ابن اخت البطريرك حنا الحج فهو محافظ على اموال الوقف لا يفرط منها وملتفت لنجاح ابرشيته كما والمطران يوسف اسطفان الذي انشا التمدن العماري في عين ورقة فرتبها على النمط الجديد لاستقبال التلامذة وهو من عائلة تستحق المدح لوقفها هذه المدرسة للطائفة التي رفعتها بالعلوم والمعارف في زمن الجهل واما المطران بولس مسعد مطران دمشق من عائلة انعمت على الطائفة ببطرك وهو البطريرك بولس مسعد عالم نزيه ممَلو شرف فانه رفض مابقي الف ليرا من لاجري في حادثة الستين حتى لا يقال عنه شيئاً وقد احيا المطران بولس الابرشية بعد ما كانت خربتها ديون المرحوم المطران نعمة الله الدحداح فبنى لها كرسي عظيمة تنطح الجو بعلوها وهي مصيف عظيم وعلى العموم ان مطارنة هذه الطائفة حرسون

جداً على اموال الوقف وهم اللذين بسعيهم وجدهم اوجدوها وشادوا هذه الكرامي لان من مدة مائة سنة تقريباً كانوا ضبوقاً عند البطريرك او في احدى الاديرة فلهم الفضل في كما جمعوا وعملوا من الماديات وتراهم الان محافظين عليها ولا تفع سواهم ولكن بأي وقت تنتفع منها الطائفة فمثلهم كمثل بخيل يجمع لاولاده

وخلاف الامور المالية التي رتبوها فانهم يحافظون على دين طائفتهم واذا ما كانوا احدوا اصحاب الاديان الاخرى الى دينهم لكنهم حافظوا على من عندهم وبقت طوايفهم لهم فياليت الاكليروس اللاتيني حافظ على شعبه في اوربا وحفظه مثلما هذه الرعاة حفظت شعوبها

وخلاف ذلك فهم روساء طوائفهم حقيقة لان الشعب مشغول في معاشه وعياله ولم يعد احد منه يورث على اثنين فكل طائفة تعتبر ذاتها عائلة واحدة ووالدها الاكليروس حافظ اموالها واوقافها ولهم هيئة مرتبة من شماس الى خوري الى مطران الى بطريرك واما الشعب ليس له هذه الهيئة فالاوقاف تخص كل فرد من الشعب اذا اراد الدخول في هذا السلك ولا يخص عائلة واحدة حتى تحاربها كما كان في زمن اللاويين

(هارون والارملة)

ذكر تلمود بابل ترجمة جيلبر كولن Gilbert Goulmin صفحة ١٦٩ نمرة ٢٩٦ الحادثة الاتية التي جعلت اختلافاً عظيماً بين هارون الكاهن الاعظم وبين كوره وابيران وداثان من بني اسرائيل من جهة اخرى وهي كان لارملة فقيرة غنمة لا تملك سواها فجزت صوفها لاول مرة فعندئذ حضر هارون واخذ صوفها مدعياً ان اول صوف هو للرب حسب الشريعة فذهبت الارملة الى كوره تشتكي من هذه المعاملة فذهب كوره الى هارون وكلمه فلم يجبه اخيراً دفع كوره الى الارملة ثمن الصوف وذهب ساخطاً على هارون فبعد مدة ولدت الغنمة حملاً فحضر هارون واخذه مدعياً ان بكر حيواناتك للرب حسب الشريعة فتشكت الارملة ثانية الى كوره الذي لم يستفيد شيئاً فغضبت الامرأة اخيراً وذبحت الغنمة فأخذ هارون الكرش والكتف لانهما

للكاهن فعند الارملة ذلك لعنت الفـئة فحملها هارون كلها بقوله الشرعي ان كل ملعون بكون لك فكيف لو كان هذا معنا الان فنشكر فضل المسيح الذي خلصنا من هارون

فهذه الاديرة هي دار عجزة لمن اراد الدخول فيها وقد قالوا ان مرادهم يخصصوا ديرين للعجزة فضحكت لعلمي ان كلها دور عجزة

واما العائلات التي لها الفضل على الطائفة باوقافها هي عائلة بيت اسطفان لعين ورقة وبيت اصاف لمار عبدا هرهريا ومن جديد وقديم عائلة بيت زوين الذي شاد رئيسها المرحوم الخوري لويس المدرسة في غزير التي يستفيد منها كل طالب من كل الطوائف والذي يديرها اليوم بكل اجتهاد ونشاط منسيور الخوري لويس ابن اخيه

وحيث كنت موجوداً في سيامة البطريرك الياس الحويك الذى اعرفه خورياً ومطراناً وفي كل ادواره ممثل الصيت الحميد والدين المجيد وهو الذى يشتغل ضد صالحه ولا يشتغل ضد ضميره وقد حضر من رومية لاجل الانتخاب فنظمت له هذه القصيدة في سيامته التي كانت في ٦ كانون ثاني سنة ١٨٩٩ وهو خلف البطريرك يوحنا الحاج وكانت الاصوات بينه وبين المطران يوسف ابو نجم والاغلبية معه فعند ذلك قدم المطران ابو نجم اصواته له حتى تم الانتخاب لان يلزم له ثلثي الاصوات وهذا ما رفع المطران ابو نجم في اعين الجميع لانهُ صرف مشكلاً عظيماً عن الطائفة محبة له وهذه القصيدة هي

بيوم هللت فيه الشعوبُ	ونادى الله هذا ابني الحبيبُ
بمركبة البخار كما تراى	اتانا الياس عن رب ينوبُ
لعرش البطركية قد دعاه	لكي بدعائه تمحي الذنوبُ
اجاب دعاءه والقلب حي	وغير الحي طبعاً لا يجيبُ
ليوحنا اعدَّ له طريقاً	وقال لقومه صوموا وتوبوا
ومن بعدى الذى يأتي اليكم	يعمدكم بنار لا تذوبُ
ويعطي الفاس كي يبرى اصولا	لاشجار بلا ثمر يطيبُ

بني يبدراً ويصون قمحاً ... ويرمي التبن باكله اللهيبُ
يقيم من الحجارة من جديد ... لابراهيم اولاداً تنوبُ
ولكن لم يقل من يجرِ هذا ... من الاصلاح اخره الصليبُ
لعلم منهُ ان الياس حيٌّ ... شجاع لبس ترهبهُ الخطوبُ
ولم يرهبهُ صلب او عذاب ... يحب الله جور او حروب
امار الياس يرهب من اخاب ... وبعل ام يخادعهُ الكذوبُ
تزهد في متاع الارض حتى ... تراه كأنهُ فيها الغريبُ
ومن قفل الجيوب لزهد دين ... اليه اليوم تنفتح القلوبُ
علا فوق الثرى حتى الثريا ... بنفس حرة لا تستهيبُ
سوى ما كان ضد الله امراً ... وما متضرر منه القريبُ
لفضل نال هذا العرش حقاً ... ولم يمنحهُ اياه النصيبُ
وفكر الكل متفق عليه ... وفكر الكل متفقاً يصيبُ
وشعب واحد لم ينتخبه ... الى هذه الاريكة بل شعوبُ
فكنا قبل ان خضنا حديثاً ... علَى خاف ليحيى مذ يغيبُ
اشار الكل مع شكر اليكم ... واول شاكر هذا الطبيبُ
اذا سألت قدامتكم لماذا ... اشير اليكم فانا المجيبُ
اذا الجندي وافى عن بعيدٍ ... الم يعرفهُ من زي رقيبُ
فانتم قد لبستم ثوب طهرٍ ... وذا ثوب البطاركة المهيبُ
بهذا الثوب قبلاً قد عرفتم ... وليس لعرفه امرٌ عجيبُ
فلا لون الحرير ينوب عنهُ ... ولا يعتاضهُ البرد القشيبُ
تحل البطركية اين حلت ... فليس سواه جلباب رهيبُ
ولا عجب لهذا الطهر فيكم ... اما رباكم البيت الحبيبُ
فمدرسة اليسوعيين روضٌ ... وقد غذاكم الروض الخصيبُ
اليس جوار مارون اخذتم ... لكم وطناً تحن له القلوبُ
اما لاون عاشرتم فزدتم ... علَى افضالكم فضلاً يطيبُ

نشرتم طيبكم شرقاً وغرباً | وليس لفضلكم ابداً غروبُ
ولا في قولكم اقوال ريبٍ | ولا في صبتكم امر يشوبُ
حوى صدقاً وزهداً ثم علماً | وحب الله صدركم الرحيبُ
اذا القيت اربعة سواكم | نظيركم فمن هجوي اتوبُ
غدوتم راسنا من غير عيب | ونحن الخاضعون لنا عيوبُ
ومن فرض الاصحا ان يداووا | مريضاً قلبه المضنى كئيبُ
ارونا بعض ما قد قال يحيي | ليحيي الدين اذ تبرى الذنوبُ
ودوموا ما يدوم الياس حياً | اظن الله مني يستجيبُ

وعند رجوعه من سياحته ونواله العثماني المرصع ارخت ذلك ١٩٠٥

صحتم وزادكمُ غدا تقواكمُ | من كان هذا زاده لم يعثرِ
فضميركم قد كان قائد فعلكم | فلذا حللتم في المحل الاكبر
مذ يبوس قد باسمكم عشراً فقد | اصبحت اقدس بطرك في الاعصر
نلت امتيازاً من خليفة بطرس | اصبحت منها فوق اعلا المنبر
واستقبلتك حكومة فرنسا كما | شأن الملوك بها ومثل القيصر
وجلالة السلطان من احسانه | اهدى مرصعةً لاول محضر
ما ذاك الا قد رأى في صدركم | قلباً نقياً جوهراً لم يكر
مذ صدركم ارخ به جمع التقى | فتساقط الالماس فوق الجوهر

وقلت عندما نال وسام القبر المقدس من غبطة البطريرك اللاتيني على القدس

لما رأى القبر المقدس قلبكم | في كل ليل طايفاً في انسه
وافاه امسى كي يرد زيارة | ويرى قداسة قلبكم في نفسه
فعلا على صدر بفيض طهارة | فكانهُ لم يفترق عن قدسه

الاضا ولدكم

قديماً شاكر الخوري | جديداً شاكر البطرك
واحياناً لمطرانٍ | اذا قاسمني شكرك

فدخلت على غبطته بعد ذلك بسنة وكان عنده جمهور عظيم ومن جملتهم سليم بك فقال لي غبطته لم تزل شاكر البطرك اجبته حيث لم تتغير بعد فانني لم ازل كما كنت فاجاب سليم بك وكان سمع ذلك مني مرة ان شاكر يبقى شاكرًا ما دام ذنبه محفوظًا ولكنهُ متى قطع يصبح شاكيًا اعني عن الراء التي في آخر شاكر اذا زالت يصير شاك فاجبتهُ صدقت والذنب ذنبهم ان لم يبقوا لي ذنبي سليمًا فضحك الجميع وانقطع ذنب سليم وسكت

وقد توفت والدة البطريرك بسن التسعين وكانت منذ عشرين سنة تنام في الكنيسة متعبدة جدًا وعند توفيها نظمت هذه الابيات لغبطته ولم تصله

اشار لي بعض صحبي ان اعزيكا	في فقد والدةٍ كانت تؤاسيكا
من كان يعرف ايمانًا لكم ابدًا	فلا يعزيك فيها بل يهنيكا
في سن تسعين ماتت وهي طالبةٌ	من سن ستين ملتقى الله باريكا
واليوم نالت مناها من يشك بها	بانها لم تكن في دار فاديكا
ان كان يسوع اضحى لاعنًا شجرًا	لا ثمر فيهِ فهذا الامر ينبيكا
بانهُ مكرم من كان ذا ثمرٍ	مبارك كل غصن فيه تبريكا
من اثمرت مثل مار الياس بطركنا	فهل لها غير عدن ان تلاقيكا
سمعت في اذن ايماني يقال لها	اهلاً بمن اثمرت للكون بطريكا
وعند اقدام يسوع الجاثيـة	ترجوه للبر والخيرات يدنيكا
من بعد ذا هل لكم عذر لفاجعة	او فرط حزن عليها اليوم يبكيكا
اظن ان سكن الفردوس احسن من	حلتا (١) واطيب عيشًا من نواحيكا

(١) بلد غبطته

وقد حدث حادثة مثلها مع اسعد رعد الذي توفت والدته بسن ثمانين ولا يخفى ما يكون عليه الانسان في هذا السن وكان اسعد صديقي جدًا وعندما توجهت لاعزيه قلت له انشاء الله تكون في حضن ابرهيم (لان هذا مركزنا في الآخرة) ولكن الله يساعد ابرهيم هذه الليلة فضحك وهو يبكي

وقد قابلت شاكر بك الخوري ترجمان الجيش المصري في مصر وقد شكى لي

امر توفي زوجته وهو حزين جداً فقلت له اشكر ربك الذي انت بكيتها ولا بكتك لان لا بد من واحد يبكي الاخر فضحك وحلف ان هذه اول تعزية دخلت عقله وسمعها

ففي يوم عيد غبطة البطريرك الواقع في ٦ ك ٢ لكل سنة يعطى غبطته وليمة عمومية وعنـد الاكل يضع الشماس اسماء الزائرين ليجلسوا على المائدة حسب ترتيبه فينظر الواحد منا اناساً فوقه دونه لان ذلك شيخاً وهذا متوظف وهذا راهب وهذا كاهن وهذا قريب مطران وقد وجدت مرة فرايت نفسي تقريباً الاخير مع انه في الايام المعتادة الذي اتناول فيها الطعام على مايدة غبطته يضعني بعد المطارين فعنـد ذلك نظمت القصيدة الاتية حتى يصير الانتباه لذلك

الى البطريرك الياس ذي الغبطة الكبرى ومقدامنا في الشرق جئت اشتكي الامرا
لحبي دعاني ان ابث شكايتي لاني سمعت اللوم في حقكم مرّا
وما ذاك من ذنب عليكم وانمـا تعدُّ ذنوب التابعين لكم شرّا
ففي عيدك المأنوس تعطى وليمةٌ تلاقي عليها القس والشيخ والحرّا
يرتبهم شماسكم في جلوسهم فلا نعرف الاسباب في ذا ولا السرّا
تلاقي فلاناً جالساً فوق اخرٍ فما سبب التفضيل شماسكم ادرى
ولمـا جلسنا قد نظرت لجانبي فابصرت فوقي زمرة دوننا قدرا
وما بينهم شخص قبيحٌ مملقٌ فليس له فضل سوى كان محتَرّا
كذلك شيخ ما له من فضيلةٍ سوى القبر عن عيبه يسبل السترا
كذلك عضو لو وعدنا بعدله ففي حكمه من كان ينصفه عرّا
ومنهم مديرٌ قبلما نالـــ قصده فكم مرةٍ خرّا وكم درهمٍ برّا
ارى ضابطاً فوقي يميس بسيفهِ اذا قابلَ الاعداء اولُ من فرّا
ولكنْ في حالِ السلام متجرفٌ وقد تنفرُ الانفارُ منه اذا عرّا
كذلك رهبانٌ واعضاء مجلسٍ كذلك شماسٌ لشماسكم خرّا
ففتشتُ في نفسي وجدتُ بان لي من الشعر نظمٌ خلته الاية الكبرى
واني استاذُ العيونِ معلمٌ بمدرسةٍ فاقت علاء على الشعرى

ولي شهرةٌ في كل قطرٍ ومجلس … وفي كل نادٍ قد اقاموا لها ذكرا
واني خطيبٌ عالمٌ ذو معارفٍ … وعندي وسامات تزودني الفخرا
واني من افرنسا حمايةُ شعبها … فتحرسني بحرًا وتكرمني برًّا
وعندي تأليفٌ اذا ما ذكرتها … كأني ذكرتُ الشهدَ والسحرَ والدرّا
وعندي مالٌ لو يُقاسُ بمالهم … ليرفعني فترًا ويخفضهم مترا
واني متى شئت الدراهم حاجةً … فاجمعها نثرًا واقبضها شعرا
فكم سهرت عيني لنيلِ مراتبٍ … وكم سامرت نجماً وكم شاهدت فجرا
واني منسوبٌ لنعمانَ من آلت … على ذكرهِ التوراةُ في سفرها سفرا
ومنا بنو الحلبان فرسان عصرهم … قد اكتسبوا حمدًا وقد زينوا العصرا
فمنا بنو كاروز اصحاب جبةٍ … لهم في سما مجدٍ هلالٌ غدا بدرا
فمنهم غدت في كل ماضٍ وحاضرٍ … اسودٌ وفي تاريخهم زينوا الدهرا
غدا ارز لبنانٍ شعار ثباتهم … فلا يعرفون الغدرَ والمكرَ والكفرا
ومنا بنو الحلو الذي شاع صيتهم … ببطركهم حنا الذي خلد الذكرا
كذلك ابناء الغريب من بهم … يحرر ذا رقٍّ ويستعبد الحرّا
بنو ملهبٍ منا لهيبُ عيارهم … يُكسرُ اعداءً وما عرفوا الكسرا
بنو فاضلٍ منا بنو الفضل والعلا … بحبرهم ذاك الذي شرف الحبرا
ونحن بنو الخوري قد نلنا شهرةً … يقرُّ بها خصمٌ لنا اين ما قرّا
(١) فمنا غدتْ نوابُ لبنانَ اولاً … أملوا منا الطهرَ والفضلَ والبرّا
(٢) ومنا قضاة عدلهم فاق علمهم … فمن نظرةٍ في الجاني قد كشفوا الغدرا
(٢) ومنا مطارين ومنا فواصل … ومنا اطباء ومنا بنو غرّا (٤)
(٥) وعندنا ابطال فاضعف واحد … اذا اشتبك الفرسان اول من كرّا
(٦) وعندنا تجار اذا بات درهمٌ … باعلا من الجوزا لجيبهم انجرّا
(٧) ومنا شياطين ومنا فطاحل … وكهنتنا قد بات ايمانهم صخرا (٨)
ومنا نساءٌ كالرجال مهابةً … وعندنا رهبان بهم ترهب الضرّا (٩)
(١٠) ففي كل وقت بات منهم مدبر … كذاك رئيس العام منهم غدا شهرا (١١)

تنازل خوف الشر واعظم راهب ... وافضلهم من يرهب الله والشرا
فكم راهب منهم رئيس مكرم ... لاديرة كبرى واديرة صغرى
ترأسوا اعواماً وعند رحيلهم ... فما اخذوا من غير احسانهم زخرا
ومنا عبيدالله كاتم سركم ... ومع صغره قد نال ميلكمُ جبرا (١٢)
وانَّا لنا في كلٍ قطر كرامة ... فضيفنا مكروم ولو نهب العمرا
فننسى العطا لكن لم ننسَ نعمةً ... اتتنا ودوماً قد نقيم لها شكرا
نصاهر دوماً كل من كان مثلنا ... ونبعد عنا كل من جار او ضرًا
ولا نخفض النفس لغير ضيوفنا ... ولا نختش جوراً ولا نرهب الفقرا
نعيش برغد لا بذلٍ كغيرنا ... ولا لخلاف الموت نحني لنا ظهرا
وانًا اذا يوماً بلينا بنكبةٍ ... فنحملها طوعاً وندَّرع الصبرا
فان لم نجد صبراً وكادت تذلنا ... نفضل عن اذلالها القبر والحشرا
وقهراً لما لي عندكم من معزةٍ ... وجاهٍ واكرامٍ وحب وما جرًا
ومع كل هذا لم انل ادنى نظرةً ... (من اعين شماسٍ كأن لم يكن امرا)
فاولى بشماس بمثلها حفلة ... يرتب من قد بات من حولكم ترًا
ويترك من يبقى بدون مراقب ... ليلقى له من نفسه مركزاً حرًا
بذلك لا عتبٌ عليه ولا يُرى ... الى مثلنا في عتبه يلتقي عذرا
حلفت يميناً لم اكن يوم عيدكم ... اذا لم يكن شماسكم يعرف القدرا
لاني ارى نفسي صغيراً على الغدا ... وكان مقامي اقصر من ابي سمرا

(١) والدي واخي خليل (٢) والدي لجزين ويوسف بك مبارك لدير القمر (٣) المطران شكرالله ونعمان بن يوسف بك (٤) اطباء انا واخي امين وولدي حبيب وتوما الخوري وولده شكري (٥) منصور مبارك (٦) ابراهيم نصرالله واخوته وسليم شهدان (٧) انا وانا (٨) الخوري ابراهيم (٩) عمانوئيل وغناطيوس (١٠) وجيدوس (١١) ارسانوس النبحادي تنازل (١٢) الخوري عبدالله

عائلة بيت الخوري في بكاسين

حيث الزمتني ظروف الحال ان اذكر هذه القصيدة فاختصر تاريخ عائلتي فيها وهي :

ان اصل هذه العائلة من عين حليا وهي شمالي الزبداني ولم يبقَ فيها شيءٌ سوى عين ماء وتوتة وقد زرتها والتقليد يقول انها بلد نعمان الابرص وزير ملك ارام في دمشق الذي ذهب للمداواة عند اليشاع النبي اخبرني مفتي الزبداني ان عنده اوراق قديمة يقول انه جرى حرب بين اهل عين حليا مع عائلة من بلودان اسمها بيت هلال لقتيل بينهما التي تغلبت على اهل عين حليا وحرقت البلد وشتت اهاليها ويقول النقل انه مرَّ على عين حليا والي الشام يومئذٍ ونزل ضيفاً على جدنا جمعة الذي كان اغنى البلد ورأى عنده ابنة جميلة اسمها ستِ الاخوة فطلبها منه فوعده بها حتى تكون بلغت لانها صغيرة وتوجه الوالي فعند ذلك هرب جمعة واتى لبنان الى بشراي كما ذكره الدويهي في كتابه تاريخ الموارنة صفحة ١٤٠ سنة ١٤٧٠ في ايام المقدم رزق الله ابن جمال الدين بن سيف قال الدويهي بسبب ما اشتهر به لبنان يومئذٍ من الامن قصده الناس من الاماكن البعيدة مثل اولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وسكنوا بشراي فجمعة هو الاب الاصلي لهذه العائلة وكان له ستة اولاد : كيروز ورزق وحنوش وضاهر وشدياق وابو يزبك وسماهم الدويهي عناحلة وهم الذين حكموا مثل مقدمين في جبة بشري كما ذكره الدويهي

وعندما سكنوا بشراي سكنوا برج ابو كاروز للان وهو محل راجي بك ويوجد مرج يقال له مرج ابي كاروز نزل فيه جمعة واولاده وعندما عرف والي الشام بهرب جمعة بابنته ارسل حرق عين حليا وتشتت سكانها الذين كانوا سريان ارثوذكس وعندما تفرقت الاهالي كان لجمعة اخان احدهما توجه الى راشيا وبقي محافظاً على مذهبه السرياني الارثوذكسي تسمى بعائلة الحلياني في راشيا والاخ الثاني اسمه الحلو ذهب لجهة حمص وحماه وسكن محل اسمه مشتى بيت الحلو ومنه عائلات بيت الحلو في بعبدا

وجزين وغوسطا الذي كان منها البطريرك يوحنا الحلو والذين بقوا في المتن بقوا روم ارثوذكس وخلافهم تمورنوا لوجودهم بين الموارنة

وقد تفرع من هذه الثلاث اخوة عيال عديدة خصوصاً عائلة ابو كاروز من بشري التي منها بيت ابو ملهب في بجبري وبيت الغريب في بعقلين وبيت ابو كاروز من بحشوش وبيت ابو فاضل من البوشربه وبيت دياب من حلب اخذها السلطان سليم .

وعائلة بيت الخوري في بكاسين

اتى جدها الخوري جرجس عبود مع اخيه ابو سمرا الى نيحا في الشوف لخدمتها الدينية مع مزارعها ومن جملة مزارعها بكاسين وقد رسمه البطريرك اسطفان الدويهي في كنيسة غسطا على نيحا ومزارعها سنة ١٧٠٣ كما في سجلات البطريركية فتوجه اليها وكان ذاك مدة حكم محمود باشا ابو هرموش رئيس الحزب اليمني الذي كان قاطناً نيحا وكان للخوري ابنة جميلة عرفها احد خادمي الباشا نصراني وطلب ان يتزوجها فرفض الخوري ذاك لانه ليس من مزاوجيه فوسط الخادم الباشا الذي توجه في السهرة الى بيت الخوري وعند خروجه وضع صرة في الشباك وقال يا صرة اريد ابنة الخوري مجهزة لزواجها بخادمي فلان وخرج هكذا كانت العادة وعندما تأكد الخوري ان ليس له مناص من ذاك رحل ليلاً الى عماطور لان لما حق تحمي من يأتيها مدة سنة فاكرمته اهل عماطور وقدمت له كل لوازم معيشته وبعد هذه السنة رحل الى الباروك لانها تخص الحزب القيسي فلا دخل لابي هرموش فيها فتوفى فيها وكان له ثلاثة اولاد الاكبر كان متزوجاً من بكاسين عندما كان والده يأتي اليها من عائلة بيت عفيف وكانت والدتهم من عائلة عيسى سيف من عرمون كسروان التي رحلت الى بيت لهيا وخدمت عند الامراء الشهابيين بسبب حروب بينهم وبين بيت حبيش لان احدى رجال بيت عيسى سيف قتل حبيشي عندما كان يعارضه في سقي الماء وقد اخبرني القس زوين الراهب انه كان يوجد اتفاقية بين بيت حبيش وبيت زوين على عداوة بيت عيسى سيف وان الذي يخون من الاثنين يكون عكروتاً

(هكذا كانت المعاهدات) فعندما توفى زوجها اخذت اولادها الى عند اخوتها في بيت لحيا اللذين سموا بالكساروه وعندما احتاجت بكاسين الى كاهن طلبوا صهر الضيعه ابن الخوري عبود الذي رسمه المطران سمعان عواد على مذبح مار تقلا في بكاسين في ٢٤ ك ٢ سنة ١٧٢٨ كما هو موجود في اوراق المطران المذكور في بكركي وهذه هي صورة السيامة

انتخب الثالث الاقدس الشماس اسطفان ابن المرحوم الخوري عبود قنا على قرية بكاسين من معاملة جزين اذ تم عن يد المطران سمعان عواد الحصروني مطران دمشق الشام (فيكون روحنا من روح بيت عواد) وهو الخوري اسطفان الاول وبقت اخوته في بيت لحيا وهي عائلة الخوري الان وكان للخوري المذكور عندما حضر لبكاسين ثلاثة اولاد اكبرهم ابو عساف رزق الله والثاني الخوري ابراهيم والثالث ابو فارس انطون وقد قال الخوري الى اولاده انكم في ارض غريبة وحتى تكونوا معتبرين بين اهلها يلزم ان يرتسم منكم كاهناً على القرية واخر يخدم حاكم البلاد وهكذا حصل فابو عساف خدم عند الشيخ علي جنبلاط اول جنبلاطي حكم وكان وكيل املاكه في اقليم جزين وساحل صيدا ووكيله في الاحكام توفى له ابنتان تزوج احدهما فرنسيس العازوري وهذا سبب دخول بيت العازوري في خدمة بيت جنبلاط وقد تزوج بالثانية اخو سلفته الخورية ابراهيم وابن عمه يوسف الخوري من نسل اخي الخوري عبود الذي بقي في نيحا واسكنه بكاسين وهو جد بيت نصرالله في بكاسين وتوفت عن ابنة تزوجها خالد ثم تزوج امرأة ثانية من بيت عزيز في جزين ارملة رجل من بسري وكان عمره سبعين سنة حين ولد ثلاثة اولاد ذكور نصرالله وفتح الله ويوسف فنصرالله خلف عبدالله وابراهيم وسليم وسليمان ولويس والبادري قيصر سليم سكن حيفا له ثلاثة اولاد يوسف قيصر نصرالله وعبدالله وسليمان توفيا بدون عقب ذكر وابراهيم عازب ولويس خلف فريد ونصرالله وجميل وقيصر هو رئيس العازرية في الاسكندرية وفتح الله خلف داود الذي خلف سليمان وجاد وفتح الله ويوسف سليمان وجاد في البرازيل وفتح الله توفي وسليمان له قيصر والياس والفردواما يوسف اخو نصرالله خلف وبطرس ومرعي

الذي ولد ولدان وقد حضر من بيت لهيا حمور ومن نسله عازر حمود الذي ولد ولدان شدبد وخليل سكننا حيفا

واما الخوري ابراهيم ابن الخوري اسطفان ولد الخوري اسطفان الثاني وغنطوس المسمى ابا خالد فمن نسل الخوري اسطفان جدي الخوري ابراهيم والخوري عبدالله الخوري ابراهيم ولد يوسف والدي الذي ولد شاكر وخليل وامين وشاكر ولد يوسف توفى وحبيب وديع وانيس وحليم وابنة اسمها حبيبه وخليل ولد بديع وعفيفه

والخوري عبدالله ولد الخوري اسطفان وسعد وفرنسيس وتوما فالخوري اسطفان ولد جملة اولاد حبيب وفرح من الاحياء وبشاره وابراهيم ولويس ويعقوب توفوا ولحبيب ولدان عزيز وبديع ولفرح ولدان يوسف ونجيب سعد توفي عازباً فرنسيس ولد القس عمانوئيل ويوسف في اميركا البرازيل وتوما ولد ولداً وهو شكري

وغنطوس ابن الخوري ابراهيم الاول ولد خالد ومبارك وتادي وريشا

خالد ولد الخوري يعقوب توفي دون عقب وكليب ولد خطار ومبارك ولد عبدالاحد ويوسف وحنون ومنصور واسكندر توفوا بدون عقب ما عدا يوسف له نعمان ونجيب ولنجيب ولد جورج ولحنون سليم وتادي له خليل وغنطوس وبطرس خليل بدون عقب غنطوس له ثلاثة اثنان في اميركا خالد وتادي وواحد بشاره في بكاسين وبطرس له ولدان في اميركا عبدالله ويوسف

ريشا له مرعي وابراهيم والقس يوسف مرعي له سليم ولسليم ثلاثة الكبير نجيب وقد توفي وباقي شكري والياس وابراهيم له عبدالله ولعبدالله ولدان حبيب في اميركا ويوسف ولابراهيم ايضاً مارون وامين لمارون يوسف وابراهيم وخليل وجورج ولامين طانيوس

ولانطون ابو فارس اخي الخوري ابراهيم وابن الخوري اسطفان الاول ولد اسمه فارس وفارس خلف لبوس وجدعون وابو اسطفان الذي توجه الى الاستانة في ذلك الزمن على قدميه وجدعون توفي في حياة والده وخلف انطون الذي توفي

بدون عقب ذكر

واما لبوس فولد شهدان ومارون فشهدان ولد سليمان وشكرالله وسليم وعبدالله وشكرالله مطران صور وعبدالله خوري كاتم اسرار البطريرك الياس الحويك وسليم له ولدان يوسف وجورج واما مارون فله يوسف رفعة وفريد في اميركا وحليم توفي

والفرع الثاني لهذا الفرع هو بيت الخوري في بيت لهيا والخوري الحصباني ونسله

والفرع الثاني الذي بقي في نيحا وعرى تشتت في البلاد والذي اشتهر منه القس ارسانيوس النحاوي والقس غناطوس وفرح النحاوي في حاصبيا واخيه ولم يبق احد منهم في حاصبيا بل اولادهم سليم في بيروت وشاكر في حيفا ولشاكر اولاد وسليمان نجم من فرع عربه في بيروت

المشهورون من عائلة بيت الخوري

في الدين المطران شكرالله مطران صور الى مصر واخوه الخوري عبدالله كاتم اسرار البطريرك الياس الحويك والخوري اسطفان انموذج التقوى بسن ٨٤ سنة وابن اخيه القس عمانوئيل رئيس دير الناعمة والقس اغناطيوس رئيس دير بحنين وكان منهم قديماً رئيس عام الرهبنة اللبنانية ارسانيوس النيحاوي ومدبر القس جيدوس بيت لهيا وجدي الخوري ابرهيم الذي كان وكيل البطريرك والمطران في ابرشية صور وصيدا سابقاً

ومنهم الاب البادري قيصر رئيس الاديرة العازرية في الاسكندرية اول مدبر وخطيب وعالم

وفي السياسة الان نعمان قنصل فرنسا في مندور في مراكش واخوه نجيب مفتش بلدية صفاقص في تونس وابن عمهم سليم في مصر من كتبة الداخلية وفرح ابن الخوري اسطفان يوزباشي في الجندرمة اللبنانية ثم مدير في فتوح كسروان وكان منهم والدي يوسف الخوري عضو مجلس ادارة لبنان عن جزين ثم عضو في

دائرة الجزاء ثم قاضي على جزين وكذلك المرحوم اخي خليل عضو ادارة وابن عمي يوسف بك مبارك مديراً على سوق الغرب وقاضي دير القمر وتوما الذي كان عضو مجلس في عكا ثم مدير المقاولات في قضاء جزين وسليم مرعي كان مستنطق البوليس في بيروت وولده شكري صراف البور واول شيخ القرية منصور مبارك وخيال القضا وبعده شهدان في مشيخة القرية

وفي العلوم الطبية انا الذي تعلمت في مصر وعلمت في المدرسة الطبية الفرنساوية في بيروت والفت صحة المتزوج ونايب الطبيب وصحة العين ومجمع المسرات والثاني اخي الدكتور امين تعلم في مصر وهو شاعر وكاتب له روايات ادبية طبيب الجيش اولاً ثم طبيب بلدية دمياط ثالثاً وولدي الدكتور حبيب ملازم اول في الجيش المصري الان كطبيب رابعاً ولدي وديع طبيب اسنان اصولي في بيروت خامساً ولدي انيس صيدلي عملي سادساً الدكتور شكري توما تلميذي في مدرسة الطب الياسوعية سابعاً والده توما والمرحوم ابن عمه الدكتور بشاره تلميذ الاستانة والذي توفي جديداً بكل اسف الدكتور نجيب سليم مرعي طبيب قضاء جزين

وفي التجارة اولهم واغناهم سليم نصرالله الخوري في حيفا واخوه ابرهيم ومن بعده اولاده الان وكان اخوهم عبدالله باشكاتب مجلس التجارة في بيروت وهو الذي دبر اخوته وله الفضل عليهم والتجار الان في امريكا هم جاد الخوري في البرازيل مع اخيه يوسف وكذلك اخوه سليمان ويوسف فرنسيس وخالد غنطوس واخوه واولاد عمه بطرس وحبيب عبدالله وكان قبلهم ابن عمهم مارون ومن اصحاب الصنايع اليدوية بالحفر الياس سليم مرعي في صيدا واهم التجار في القطر المصري سليم شهدان وقد ادخلت في بيروت ولدي حليم للتجارة في محل برانجه في سوق الطويلة الذي مديره الخواجه نقولا الشويري من اشطر شبان بلادنا وصاحب ادارة عظيمة وقد تزوج اخيراً وقدم له ولدي حليم الخطبة الاتية

« سيدي »

انَّ لموقفي هذا ثلاثة اغراض . اولها لأهنئك بزواج اتمنى لك به السعادة والتوفيق . وثانيها لاظهر ممنونيتي لما علمتني في الاشغال من البحث والتدقيق . وثالثها

واهمها لاقدم شكري لكم ولموسيو برانجه ذي العنصر الكريم لاعطائكما لنا هذا الدرس العظيم وهو انتخاب زوجات جميلات فاضلات وسيدات نقيات عفيفات فلا شك انكما ماهرين بانتخاب العرايس اكثر من الملابس دوما بالسعادة والاقبال ولكما منا الشكر والامتثال · وانتِ ايتها الروزة المزهرة في اذار قبل اوانها · أُهنيكِ برجلٍ كريمٍ ساهر وشتيم ماهر ودليل مهارته · انتخابهُ لكِ رفيقةً لحياته وشريكةً لصفاته · وانتَ ايها المدير الجديد بالهناء اتمنى لك البنين باقرب حين ولكن نحن على ثقة ويقين انهم لا يحبونك اكثر من تلاميذك المجتمعين في هذا المجلس العظيم حتى ولا مثل احدهم حليم الذي يُهنئك من صميم الفؤاد ويقول لك طالبًا من رب العباد

دم في نعيم وفي رغد وفي فرحٍ ... وفي انشراح وفي عزٍ وفي سلمٍ
وافرح بمن امها بدرٌ وجدتها ... شمسٌ ووالدها من اسلم الامم
وانها قد غدت يوم الطرادلكم ... فنلتها مثل شهم عالي الهمم
لما ندوتم نقولا وهي روزتكم ... فهنأ بما نلت فضل الكد والشيم
مذ نلت روزا بتاريخ بقرٌ لنا ... نال الشويري نقولا كافة النعم

١٩٠٨

ومن التجار واصحاب الضمانات في بكاسين حبيب ابن الخوري اسطفان وسليمان شهدان الذي كان خيالاً في النفا

اصحاب الرتب والنياشين رتبة ثانية متمايزة الى المرحوم سليم نصرالله مع كرمندار البابا بيوس التاسع

وانا صاحب المجيدي الرابع والدثماني الرابع ثم العثماني الثالث ونيشان جمعية الاكادمي الفرنساوي ونيشان مجلس المعارف الفرنساوي ونيشان محامي القديس بطرس مع لقب بك من الذات الشاهانية وترجمان من تراجمة دولة فرنسا في بيروت وحمايتها

فهذه هي العائلة التي الزمت ان انتخر نبها عدما وضعني الشماس تقريبًا في آخر المائدة فتكون هذه العائلة مكوَّنة من بيت الحلباني في راشيا وبيت الحلو في مشتى بيت الحلو وبيت ابو كاروز في بشراي وبيت ابو كاروز في يحشوش بيت ابو ملهب في

بهري بيت الغريب في بعقلين بيت الحلو في بعبدا وفي جزين وفي غسطا بيت ابو فاضل في البوشرية ووادي شحرور بيت الخوري في بكاسين بيت الخوري في بيت لهيا وفي اشميج من فرع الحلو بيت دباب في حلب وبيت ابي شقرا في مزرعة الشوف

المطران شكرالله الخوري مطران صور

كان هذا المطران يرفض المطرنة لانهُ رئيس مرسلين الكريم وهو مرتاح فاخيرًا انجبر بقبولها وقسمت الابرشية الى قسمين صيدا بقي بها المطران بصبوص والقسم الثاني صور اعطيت للمطران شكرالله مع اربعة الاف ليرا من ابرشية صيدا وقد ارتسم يوم سبت النور في ١٤ نيسان سنة ١٩٠٦ وقد قلت الى البطريرك ان ابن عمنا استغاث بك لاجل اعفائه من المطرنة فلم ترضَ كما وانه استغاث في رومية فكذلك وخفتم ان يستغيث بالمسيح ويخلص رسمتموه مطران في اليوم الذي كان فيه المسيح في القبر وقدمت له القصيدة الاتية

اوشعنا في العلى

يا ليت ما كنت من اهلي واوطاني حتى أصدّق من انس ومن جانِ
ولا يقال باني شاكرٌ رجلاً لانهُ كان من اهلي وجيراني
قد كنت ابغي سكوتًا عن صفاتكمُ خوفًا من الشك في قولي وبرهاني
لكنني اذ سمعت اليوم مدحكمُ من العدى مثل تمداحي وايماني
نظمتُ مدحي بشعرٍ وهو ما سمعت بالسرِّ والجهر من اعداك اذآني
والان جئتُ بهِ عمدًا اقدمه حتى ترى منزلتكم عند اوطانِ
ولا انبت اليك اليوم مفتخرًا عجبًا برتبة جثليقٍ ومطرانِ
ولا فرحت بالطواقِ مذهبةٍ ولا بثوبِ حريرٍ احمرٍ قانِ
من كان مثلي فلا يغريه قاطبة الوان ثوبٍ ولا تغميض اجفانِ
لكنّ فخري بكم بل فخر عائلةٍ في لبسكم ثوب طهرٍ طول ازمانِ

في من عشرين مثل الاربعين غدا   ثوباً نظيفاً عفيفاً كل احيانِ
لا العمر دنسه يوماً ولا احدٌ   ولا مكانٌ ولا آنٌ من الان
في كسروان وفي الاقليم مولدكم   وفي الكريم وفي امجاد لبنان
فانتمُ انتمُ في كل طارفةٍ   وانتمُ اين ما كنتم بطهران
اعطاك ربك عقلاً سامياً فطناً   اعطاك وجهاً بشوشاً رايقاً داني
لو ان رآهُ مجوسيٌ بلا عظةٍ   لبات في الحال نصراني وموراني
هذه صفات لكم من ارث عائلةٍ   في كهنة قبلكم جالت بميدان
كان اسطفان وابراهيم قبلكم   وقيصر خالكم في الفضل اركاني
سبقتهم فلذا اصبحت اسقفهم   فكل ما نلته من فضل رحماني
فدم كما كنت شكرالله عن صغرٍ   فكن له وحده دوماً بشكران
وعند ما روحه حلت ببطركنا   اصبحت مطران صور وارض عمانِ
اقامك الله في ارضٍ مقدسةٍ   قد ذاق يسوع فيها كل احزان
اقام ميتاً وابرا الصُمّ مع برصٍ   وصيّر النور في ابصار عميان
كانت مكافاته صلباً فكن يقظاً   هذه مكافأة دنيانا لاحسانِ
في الصلب فخر ولا للعز منزلةً   في الدين فاحمل صليباً فوق امكان
حملتهُ مثل خوريٍ براسكم (١)   فاحملهُ في عنقكم من اجل مطران
ان كان للمرء فخر بعد عيشتهِ   في الصلب لا بالغنى او لبس نيشان
هذه بلاد تلاقي الانبياء بها   ماتت برجمٍ ونشر فوق صلبان
وايقظوا البعض منهم بعد ميتتهِ (٢)   فلم يجد راحةً حتى باكفان
عش كالمسيح بلا مأوى ولا سكنٍ   وطف وكن سايحاً في كل بلدان
وكن كما الياس من غارٍ الى جبلٍ (٣)   واجعل غذاءك من انعام غربان
وقمْ من الموت ابراشية وجدت   أشبع بربع رغيف كل جيعان

(١) لان مرسلون الكريم يضعون علامة الصليب فوق قلنسوتهم

(٢) اشارة لشاول الذي اقام صاموئيل بواسطة العرافة

لو لم تكن قادراً ما كنت منتخباً من بطرك الياس اومن بابار وماني
من حبث عصمته بانت مؤكدة ً في ظنهِ فيكم لبس بغلطان
كن مستعداً صبوراً رابقاً يقظاً براً غيوراً وقبل الكل عثماني
كبيرباليسون
ابن عمكم الدكتور شاكر الخوري

« المطران بولس بصبوص »

من التاريخ تعرف حياته الادبية وهو ١٩٠٠

خدمت بسائر الاقطار ديناً بكل امانة وبكل حين
فكل يدعي فيك اختصاصاً و يعطيك الرئاسة عن يقين
تنادي اسكندرية ذا يميني وباريز تجاوبها معيني
وصيدا تدعي ذا تاج راسي وبيت الدين ذا بصبوص عيني
فمار الياس رب الدين فينا رأى البصبوص الزم من يمين
قضى عدلاً وانهى عن ضمير وقال لبولس الابن الامين
لخدمة دينك التاريخ حباً لحقك في وراثة بيت دين ١٨٩٩

« ليلة ١٧ شباط »

وحيث المطران بصبوص مطراننا ذهبت ليلة سيامته الى بكركي ونحن هناك فاتفق وجود بطرس افندي نايماً في غرفتي فبدت منه كل هذه الافعال المذكورة في القصيدة فقلت

يا ليلة بتها مع بطرس الترس تباً لها ليلة قد طيرت نعسي
لم يبقَ ثقب به ما جاء نغم قد كان يغني قسوس الدير عن جرس
كانت لانغامه الاوزان قائمة عَلَى البروج خلاف الربع والخمس
واصلها من عشا ماصوليا انهضمت عند المساء و بات الليل في مغس
لذاك قد اصبحت لحناً موافقة لوزن فاصولا مي من ذلك الفلس

(٣) اشارة لمار الياس الذي كان تاهاً من وجه اخاب وكان الغراب يأتيه بالغذاء.

لما سمعت دوياً تحت ملحفة / رفعت في الحال لحفاً من على رامي
من بعد دُو قدر مي فا صوفقال لنا / قرب فقلت له لا لا فقال ُ سي
فتماً سلم الانغام مجتهداً / في جمع فا دائماً مع صو فيانعسي
ادوّر الراس والاذان اصدمها / باصبعي كي ارى الانغام في خرس
حتى اشتهيت العمى في الصبح مع صمم / في الليل في الفجر صابون مع المرس
كي لا ارى منظراً في الصبح او سمعاً / في الليل او ضجراً في الفجر من نعس
ضاقت بي الدنيا مذ دوت مدافعها / مع نفخة ضيقت من شمها نفسي
كأنَّ حرب البوير اليوم منتقل / لاوضتي وبها المرتين في قبس
قمت الحاف على كتفي وطفت به / كل الماشي وامشي مشي مختلس
حتى وصلنا الى صالون سهرتنا / وكنت مفتكراً لم القَ من أنسِ
وعندما جئت ابغي رقدة فاذا / صوت الشخير من الشماس في غلس
نهضت في الحال ابغي شمة فعسى / لم القى شماسنا او مدفع الترس
فضلت نومتها عن اوضة جمعت / صوت المدافع والانغام مع رجسِ
مالي وليلة ارباح اقابلها / قد كان اولى به غيري من القسس
من بدرِ يدري ومن لم يدرِ كيف جرى / يقول في فكره كفاً من العدس

« كريستوف كولومبو ومعرض شيكاغو »

كريستوف كولومبو الايطالي الاصل ذهب بامر ملكة اسبانيا واكتشف القارة الاميركية بعد تعب وعناد زائدين ولما اقيم معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ اقاموا الى كريستوف كولومب تمثالاً وحرروا عليه اشعاراً بكل اللغات وارسل من بيروت اشعاراً باللغة العربية وكنت من جملة الذين نظموا وكولومبو معناها الحمامة فقلت

مذ كنت حياً يا كولومب حمامة / اغنت شيكاغو عن حمامة نوح
واليوم فيها قد حللت ولم تكن / من قوم نوح بل حمامة روح
فجميع السنة الورى انطقتها / شعراً على تمثالك الممنوح

ملحوظاتي على من نجحوا في الدنيا مثل كريستوف كولومب وخلافه اقول ان

الصدفة وظروف الاحوال جعلت النجاح لهولاء، لانه لو كان صادف كريستوف كولومب احدى الزوابع في الاتلنتيك وغرقت مراكبه لما كان استكشف امريكا ولو ولد نابوليون الاول في زمن لويس الرابع عشر لما امكنه الوصول الى الدرجة التي وصل اليها وهكذا نرى لكل ماثور ظروف صدفة حصلت له وهذا ما نسميه عناية مخصوصة الهية مهدت لذاك الشخص طرق النجاح

وكان رجل اسمه الاب جبور يعلم في مدرسة في لبنان وقد ظهر منه فساداً عظيماً فطردوه وكان طرده مدة الشتاء وكان النهار ممطراً فخاف عليه البعض من الغرق لكثرة الامطار فقلت

خافوا عَلَى الاب جبور لدى سفر   من الغريق لامطار بلبنان
فقلت لا تخشوا من موته غرقاً   لم يغرق الله لوطياً بطوفان

كان يدعي احد الثقلاء انني صديقه وكيف انني الان ابعدته عني فقلت بذلك

كان خلي سيدي سعيد وكنا   من قديم اسكنته في حشاءي
فعراني من ثقله عسر هضم   فلهذا اخرجته من معاءي

(المطران يوسف الدبس)

ان ما قلته في بوبيله كافٍ وقد توفي في ت ١ سنة ١٩٠٧

اكليروس الروم الكاثوليك

ان هذا الاكليروس هو مثال الهمة والنشاط فهو الذي رفع شان الطائفة واقتنى لها املاك الوقف وكل ذلك من كده وجده ولم يكن عندهم امراء او مشايخ كما في الطائفة المارونية لتوقف لهم املاكاً بل كل ذلك من كدهم وجدهم قهراً عما حصل لهم في الابتداء من المقاومات وتعب السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم كان الفضل في تقدمهم المادي والعلمي عايد الى بطريركهم السعيد الذكر غريغوريوس يوسف الاول الذي عرفته جيداً وكتبت عنه وكان يرجى كثيراً من السعيد الذكر البطريرك الجريجيري ولكن الاضطراب الذي حصل في ايامهِ وبسببه

أصيب بمرضهِ الاخير أخرّ كل نتيجة حسنة واما الذي جمع الراحة والسكينة في الطائفة وتابع اسلافه في النشاط والغيرة هو

غبطة البطريرك الحالي كيرلس الثامن جحا

الذي له الفضل العظيم في راحة الطائفة ولهُ الحمد الفخيم اولاً على انتخابهِ مطارنة لا يمكن يقال عنهم شيء واللذين عرفتهم منهم ثلاث عنصر اللطف والظرف والعلم والاداب والهمة وهم سيادة مطران اثناسيوس صوايا مطران بيروت الذي اسمه يغني عن الوصف والمطران مكاريوس صابا في مصر والمطران ديمتريوس قاضي في حلب الذي زرته في حلب ونظمت لهُ هذين البيتين

يا رئيساً لا عيب فيهِ وفيهِ ... كل خير مستقبل مثل ماضي
مذ رأتك الشهباء خرّت وقالت ... فلك الامر فاقضِ ما انت قاضِ

فترى غبطته كل يوم في اقليم وفي منطقة لصالح طائفته وقد ترأس هذه السنة حفلة مار يوحنا فم الذهب في رومة وقد نال اعظم ابهة وابهى شرفٍ الى الشرق ولهُ اعمال خيرية عظيمة

واما مثل الاجتهاد والنجاح الوطني نراه بسيادة المطران باسيلوس حجار الذي مرّ ذكره وكذلك بسيادة غريغوريوس حجار مطران عكا والسيدين المطران افتيموس زلحف مطران صور والمطران كليمنضوس معلوف مطران بانياس وقدا وجد هذه الكرسي من العدم المرحوم الجريجيري واما الذي أحيا بعلبك وجمع لها اوقافاً تذكر وبنايات عظيمة فالمطران اغابيوس معلوف واما النايب البطريركي سيادة المطران اغناطيوس حمصي الذي عرفته وهو في عين تراز رئيساً كان انموزج الاجتهاد صادق نحو رؤساه محب الخير ولد في دمشق في ١٥ ث ١ سنة ١٨٥٢ ثم دخل في المدارس الاكليريكية وترأس في عين تراز وفي مدرسة باريز الى ان اتصل الى درجة اسقف في ٨ ايلول سنة ١٨٩٩ ورقاهُ المرحوم الجريجيري وجعلهُ نايباً عاماً على الكرسي الانطاكي ونال وسام الاكادمي الفرنساوي والعثماني الرابع والمجيدي الثاني ولاجل اعطاء برهاناً عما قلت عن غيرة واجتهاد اكليروس هذه

الطائفة اذ كر

(سيادة كيرلس مغبغب مطران الفرزل وزحله وما يليها)

هذا الذي خاض البحار ومشى القفار وتعرض للاخطار لاجل نجاح ابرشيته ولاجل ذلك اذ كر تاريخه بالتطويل ليعلم القاري صدق مقالي

ولد سيادته في عين زحلته في ١٠ ث ٢ سنة ١٨٥٥ دخل مدرسه عين تراز سنة ١٨٧٢ مدة سنتين ثم توجه الى مدرسة القديس اثناسيوس في رومية وبقي فيها احدى عشر سنة ثم ارتسم كاهناً في ٢٥ اذار سنة ١٨٨٣ ورجع مديراً لمدرسة عين تراز وعلم فيها الفلسفة واليوناني والتاريخ المقدس من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٩١ واخذ دكتورية من البروبوكاندا سنة ١٨٩١ ثم رجع الى فرنسا يعلم ويتعلم مدة اربع سنوات وبعده رجع رئيساً الى عين تراز سنة ١٨٩٧ ثم صار كاتم اسرار السعيد الذكر الجريجيري ورافقه الى رومية ومصر والى الاستانة العلية وحينئذٍ فرغت كرسي زحله فرسمهُ البطريرك مطراناً على زحله في ٢٨ ايار سنة ١٨٩٩ في الاستانة فتوجه الى رومية واخذ اذن من البابا لاون الثالث عشر للسياحة في اوروبا واميريكا وذلك سنة ١٩٠٣ توجه اولاً الى سويسرا ثم الالزاس واللورين ثم الى بلجيكا ثم الى هولاندا ثم فرنسا ثم الى البرازيل في امريكا فيلزم ان نضع امامنا خارطة امريكا الجنوبية والشمالية لتعرف اسماء المحلات التي دخلها زار ١٢ ولاية من البرازيل واشترى ارض وقفها على ابرشية زحله وبعده توجه الى ولاية اوركان ثم الارجانتين زار فيها ١١ ولاية ثم صعد جبال الثلج على البغال التي علوها ٤٦٠٠ متر عن البحر وفوق هذه الجبال صليباً هو الحد الفاصل بين الشيلي والارجنتين وبقي مدة ستة اشهر في الشيلي ومنها توجه الى البرو ثم الى بولونيا وقطع بحرة تيتي كاكا المتجلدة بعلو ٤٢٠٠ متر ثم رجع الى البرو ثم الى بنما بقي فيها ٢٧ يوماً ثم الى كولومبيا ثم الى جمايك ومنها الى كوبا وسنتياكو كوبا ثم الى فانا ومنها الى المكسيك ماراً في فراكوزا ومن المكسيك الى لادروستانونو واخيراً الى سنلويس ومنها الى كانيسس ومنها الى لسوبني ومنها الى اوهاما برسكو ثم شيكاغو فيلادلفيا ثم الى نيويرك بوسطن ثم نيويرك ثم الهافر باريس ليون مرسيليا الى بيروت في ١٢ آب سنة ١٩٠٧ اظن كريستف كولومب ما زار هذه الاماكن كلها ولا سايح واحد زار

كل هذه البلاد وكل ذلك لخدمة طائفته وابرشيته ولذلك مدة غيابه اقام وكيله الخوري مقصود النشيط البناء في الكرسي فبنى الانطوش في زحلة وعمل خلافه في الفرزل ثم في سرعين كلف لحد الفين ليرة ويوجد عشرون مدرسة في ابرشيته يدفع معلميها ومصاريفها خوارنته لحد ٥٥ خوري ومنها لحد التسعة يأكلون على مائدته في زحله بصورة دائمة واسس جمعيات خيرية ونال المجيدي الثاني .ويعرف من اللغات العربي والعبراني واليوناني واللاتيني والتلياني والفرنساوي والبرتغالي والاسبانيولي وقليلاً من الانكليزي فلا شك ان حلّ عليه الروح القدس لمعرفته هذه اللغات

فهذا مثال الجد في العلوم واللغات والاسفار والاخطار لاجل نجاح ابرشيته وخدمة طائفته ومثال كرم الاخلاق والذكاء واللطف وتوقد الفكر وحياته برهان قولي وقد قلت فيه الابيات الاتية

من شرط شعري يرى للناس مأثرة ... في الشخص يخفى على غيري من البشر
فلم اجد شرط اشعاري باسقفنا ... لذاك قد قلت فيه قول مختصر
فكلما عدَّ فضلٌ من فضايله ... اراه منتشرًا في البدو والحضر
يكفى لصاحب افضالٍ يقال له ... انت المغبب كالتعريف للقمر

ومن عدا المطارنة الغيورين لهذه الطائفة يوجد فيها ثلاث رهبنات المخلصية والشويرية والحلبية وفيهم افاضل اجلاء. والذي له الفضل على بلادنا وعلى الشرق اجمع هو دير مار يوحنا الشوير الذي ابتدت فيه اول مطبعة في الشرق بالعربية والفضل في ذلك الى رجل اسمه عبدالله زاخر الذي اول من تعلم العربية من المسيحيين في حلب وهرب منها واتى الى دير الشوير حيث كان اخوه رئيسا عليه وعمل اول مطبعة فكان هو الحفار لانهُ كان جوهر حيا والصفيف والطابع واول ما ظهر مطبوعاً ز بور داود ١٧٣٣ وقد توفي عبدالله واستلمت الرهبنة المطبعة

وقد زرت المدرسة الكلية الشرقية الزحلاوية مدة رئيسها الفاضل الخوري بولس الكفوري ونظرت الاجتهاد والسهر والترتيب الجديد للعلوم المفيدة فكانت صور الماشي مملؤة من الصور النباتية والحيوانية والجلوجيا حتى تربية دود الحرير وعلوم اللغات الحية

الضرورية لبلادنا العربية والتركية والانكليزية والافرنسية ويخرج تلميذها عارفاً هذه اللغات عَلَى ما ينبغي واخيراً عمل مطبعة وجريدة اسمها المهذب واكراماً لخاطره كنت احرر فيها بعض مقالات فهذا مثل الاجتهاد والغير في الرهبنة

اكليروس الروم الارثوذكسي

ويوجد جملة افاضل لا اعرفهم لان في شرط كتابتي عن شخص ان اكون اعرفه ان اكليروس بلادنا لهذه الطائفة قد نهض نهضة عظيمة لم يذكر التاريخ مثلها نهضة دون عراكٍ وسفك دماء وهي انتقال البطريركية الانطاكية من يد الاروام ليد الوطنيين فمن ذلك الزمن ابتدت البطركية الانطاكية في التقدم والنجاح اول هولاء البطاركة سعيد الذكر ملاتيوس دوماني الذي اجتمعت الاراء عَلَى انتخابهُ وقد عرفت غبطة البطريرك الحالي غريغوريوس حداد في دمشق عندما كان منتخب بطريركي وفي ١٨ حزيران غربي لسنة ١٩٠٦ اصبح بطريركاً عَلَى الكرسي الانطاكي وقد قدمت من بيروت لغبطته هذه الابيات

هو اليوم بعد الالف والتسعماية ومئة اعوام الينا الصفا عادا
بقيم لانطاكية خير بطركٍ يسود ويسمو بالجهاد كما سادا
اتى الشام لكن غير اعمى كبولسٍ مشى بالطريق المستقيم وما حادا
وقد جمع السادات من كل جانب لينتخبوا راساً لبراس اسيادا
لذا حل روح القدس يوم اجتماعهم كما حلّ في صهيون قدماً وقد جادا
ومذ جعلوا التقوى شعار انتخابهم غدا منهم الحداد اذ ذاك صيادا
ولولا التقى والطهر والبر والوفا لما كان صيادٌ يوكل حدادا

ومن العبث ان اذكر ما لغبطته من الانس واللطف والعلوم والاجتهاد عَلَى تقدم الطايفة وقد ذكرت عن التقدم الذي حصل للكرسي عندما تولتها الوطنيين واقدم مثالاً لذلك الحبرين الجليلين اللذين عرفتهما وهما

« سيادة المطران مسره مطران بيروت »

اقول ما اجراه سيادتـه من الاعمال العظيمة ومن النهضة في بيروت فقد ابتدى بعمل مدرسة للحقوق ونال الرخصة السلطانية بذلك وعمر الموقف ان كان في بيروت او في سوق الغرب ولم يزل كل يوم يفتش على مسرة للشعب وعمل خير له فصبح غيور يحب الالفة بين الطوايف وهو الممتزج بين جميع الروساء من ايـة طايفة كانت وهذا اهم شيء للراحة ولا اذكر شيئاً من اعماله القديمة وعلومه وولادتـه وسيامته لان كل ذلك مذكور والخبر الثاني هو

« سيادة المطران بولس ابو عضل مطران جبيل والبترون »

قد رجعت هذه الكرمي بعد مدة طويلة كانها قامت من بين الاموات و بالحقيقة ان بولس احياها وقد زرته في مركزه في الحدث وكان مستاجراً محـلاً لسكنه ومباشراً بعمل مركز في اجمل محل في الحدث وكان مفتكراً يومئذ بعمل شعار لهذا المركز بالنخل والارز شعار لبنان وقد نظمت لها التاريخ الا تي سنة ١٩٠٨

عادت الى الروم كرسي قد ارتفعت ... كالنخل والارز في لبنان بالعمل
اقامها حبرها المفضال من عدم ... من بعد الف وقطع الجهد والعمل
من يحيي ميتاً بلا شك يكون له ... روح مقدسة جسم بلا علل
فحبرنا بات بالتاريخ نورده ... فالروح من بولس والجسم من عضل

فهذه كرمي جديدة اوجدها اهل الوطن وقد عرفت عند ز يارتي حمص

« سيادة المطران اثناسيوس عطاالله »

فرايته على جانب عظيم من اللطف والانس والاجتهاد في انتشار المعارف في ابرشيته والالفة بين الطوايف وهذا ما نشكر فيه الاكليروس من جميع الطوايف

ولا اذكر ما عندنا من الاكليروس الاجنبي لان القصد في كتابي ذكر من اعرفهم فقط وليس تاريخ عمومي لان بلادنا اصبحت الان تجمع الاكليروس وروساء الاديان واهم هذه المراكز الكاثوليكية هي

القصادة الرسولية

اعني وكيل الاب الاقدس البابا على كل الطوائف الكاثوليكية في الشرق وطنية واجنبية ومركزها ببيروت شتاء وحريصا في لبنان صيفاً اذكر من عرفت منهم عرفت المرحوم بيافي الذي صار فيما بعد بطريركاً للاتين في القدس وتوفي فيها كان رجلاً يحب السلطة والمداخلة فلذلك تولد في ايامه قلاقل كثيرة ولكنه كان رجلاً قديراً في السياسة فهو من الرجال العظام وخلفه في الوظيفة نايبه كودنسيو الذي كان محباً للسلامة اخيراً انتقل الى قصادة القطر المصري وتوفي فيها وكان لهذين القاصدين كاتم اسرار المطران بولس عواد

وقد حضر القاصد دبفال مع وكيله الاب بره فكان ديفال رجل عظيم يحب السكينة ولا يتداخل في الجمعيات الاكليريكية كالرهبنة المارونية مثلما كان يتداخل يافي ويحصل الانقسام فكان يشتغل بكل سكينة فكان النشاط عند الاب بره واخيراً توفي ديفال وكان قد شرع في عمل شخص سيدة لبنان مع غبطة البطريرك الياس الحويك الذي حضر في هذه السنة ١٩٠٨ ونصب فوق جونية وكرسه البطريرك الياس مع القاصد الجديد

سيادة فرديانو جنيني

ايطالياني الاصل ولد سنة ١٨٦١ من الرهبنة الافرنسيسكانية اقدم رهبنة دخلت بلادنا سنة ١٢٥٠ مسيحية بعد ما تعلم سيادته وعلم وترأس اديرة واخر رياسته تسمى كبستود في القدس اي محافظ على جميع الاديرة في الشرق سيم مطران شرف سنة ١٩٠٥ وسمي قاصد رسولي في سوريا ونائب رسولي في حلب ولا اظن انه يوجد رجل ذو جاذبية للقلوب مثله يحبه اي من رآه بشوش لطيف وعند الجد ثابت العزم يتكلم الافرنسية ولا يتداخل الا بالامور المهمة واما نائبه الاب شيلو فهو من الرجال المهمين يعرف العربية جيداً وكذلك الافرنسية وعليه اشغال القصادة ويوجد معه الاب كوسا اصله وطني من رهبنة الفرنسيسكان رجل لطيف

وعين في ايام القصادة نرى ترتيباً جديداً للرهبنة المارونية بعد فحص الاب بنيديكتوس

سياحتي بالاختصار

وعندما بلغت من السادسة والخمسين وصرت قريباً من الاخرة فقلت في نفسي لا بد لي من معرفة الدنيا قبل الاخرة لانه بلا شك لا رجوع لنا فلنغتنم فرصة ما بقي لنا

ولعلمي انه يوجد ثلاث مدن في العالم تغنيك ان زرتها عن زيارة مدن الدنيا لان ما بقي فهو ظل لها توجهت افكاري لزيارتها اولاً وهذه المدن هي

الاولى من يريد ينظر الطبيعة وجمالها فليزر الاستانة فهي ابدع ما خلق بحر يشق برين وبرٌ يشق بحرين وكل ذلك تحت اقدامها خلقت لتتسلط وتحكم غيرها

الثانية من يريد ان يرى الساحرة الكبرى ذات الفرح الدايم التي تريك الليل نهاراً والنهار ليلاً تجعل الحيوان انساناً بمعارفها والانسان حيواناً بملذاتها فليزر باريز

الثالثة من يريد ان يعرف اشغال الانسان وقوة صنعته وكده وجده والورشة الدايمة الشغل فلينظر لوندرا

وقد صح لي ان انظر هذه العواصم الكبرى فوجدت فيها كل توفيق وراحة فاقول مبتدءًا من الاستانة العلية اي دار الخلافة العظمى

(السياحة في الاستانة)

قصدت الاستانة العلية لنوال الشهادات الى ولدي حبيب كطبيب والى وديع كطبيب اسنان فتوجهت بصحبة سعادة محمود باشا حقي رئيس الدروس في المكتب الطبي الشاهاني وخير الدين باشا معلم الجراحة فيها ورفعت باشا حسام الدين معلم التشريح المرضي الذين حضروا الى بيروت لفحص تلامذة المدرسة الطبية الاميركانية التي نالت هذا الامتياز بعد امتياز المدرسة الطبية الافرنسية مع انها ابتدت قبلها من جملة سنين

وقلت لاحد الوزراء الذي عرفته وهو صغير وكانت اعداء تعد له عيوباً

تعدُّ لك الاعدا عيوباً فلم تقل ... بانك معصوم وروحك من قدس

عيوبك لم تنظر لنور فضائل … كما لم نر من نورها كلف الشمس
فقاحص عيب فيك اضحى كفاحص … على كلف في الشمس يعمى ولا يمسي

وانشدته ايضاً

من كان في منزل اعلامن السحب … او كان في نسب من اشرف النسب
ابنزل اليوم من علياه ثانية … لسمع شعر به امرؤ من العجب
قد صاغه شاكر من فضله دررا … حتى غدا جوهراً في الدهر والحقب
فهو المصور آداب الفتى خلقا … وشعره كاشف ما كان في الحجب
لا ترهب النوم اذ قد بث سامعه … ولا التثاؤب او ميلاً الى الهرب
فالجد باطنه والهزل ظاهره … والصدق قايده واللفظ كالرطب
فالمزح كالنوم فيه راحة لفتى … بل ذاك ترويض فكر كلٍّ من تعب
ذي وصفة من طبيب شاب من محن … شعراً ولكنه في الشعر لم يشب
كم شاعر خاض بحر الشعر مشتغلاً … ليلاً نهاراً وكم قد ذاق من وصب
حتى يقول لكم انتم ضيا قمر … او عنبر او غزال او ضيا الشهب
او غصن بان ونار الخد ملتهب … والقلب من ذاك محروق من اللهب
وان تعطف بالاوصاف مكرمة … يقول عن ثغركم يفتر عن شنب
تباً لناظم شعر ليس يعجبه … غير الغزالة او غصن على كثب
ولم يرَ في الذي قد بات مادحه … من عزة النفس والاخلاق كالضرب
لم يدر من انزل الايات من قدم … كم قال تباً الى حمالة الحطب
مضى زمان غزال مع تغزله … وبات من كان معشوقاً بلا ذنب
وعابدو الشمس قد زالوا بلا اسف … وعابدو النار ايضاً مع ابي لهب
هذا الذي حط للاشعار قيمتها … واصبح الشعر بنداً من قضا الكذب
لو اظهروا من صفات المرء صحتها … بالحسن والقبح لا يلقون من غضب
لكنهم البسوا في شعرهم عبثاً … ثوب الصحيح الى من كان في جرب
فالشعر بالصدق لا بالوزن قيمته … ولا بوقص ولا في ابحر الخبب

والصدق في الشعر موقوف على ادب　　كالصدق في القول موقوف على نسب
مهما يقولون هذا الشاب محتشم　　او عالم او كريم صاحب القبب
فلا توازي اذا من بعد ذا عطفوا　　لكنه كاذب فالمدح لم يطب
ان الكرام اذ ما يسروا ذكروا　　من قبل عليائهم من كان في صحب
اما الائام اذا ما يسروا نكروا　　فضل الذي كان نجاهم من الكرب
من كان ينكر فضلاً سابقاً ومضى　　سينكر اليوم فضل الله ثم نبي
ان العلا دوحة كالبحر يدركها　　من كان منتشلاً من اسفل الترب
لكن من كان معتاد العلو فلا　　ترى له دوحة لو بات في السحب
اعراضها (الفشر) في عز وفي نعم　　ومنة لم تطق والكذب مع عجب
فعكسها ذو العلا ينسى فضيلته　　كأنها لم تكن يوماً ولم تصب
شرط الكرام غدا نسيان فضلهم　　وليس ينساه من فيه نهى وربي
اما الائام فلا تنسى هديتها　　ومن اتى فضلهم ينسى ولم يجب
فلا أمرّ على حر يقول الى　　من كان عبداً له يا سيدي وابي
تهني ولا ردها قد قيل من قدم　　من كان رأساً فلا ينقاد للذنب
ولا الذّ على عبد يقول الى　　من كان سيده في البعد والقرب
ويلتقي نعمة من فضل غيرته　　يمسي لها شاكراً ينجو من العطب
ان لم يكن ربك العاطي فلا امل　　في نيل صاحب اغراض من الارب
لا خيب الله عبداً كان شاكره　　بل زاده رفعة في صدره الرحب
اعطاك ربك حظاً في نهى وذكى　　وفي عفاف وفي ود وفي حسب
خليفة الله طوعاً للاله غدا　　يعطيك ما قد حباك الله من وهب
لذاك قد نلت حظاً من خليفته　　ان تفتخر فافتخر بالاصل والسبب
مع كل هذا فانت اليوم مشتهر　　في رقة النفس والمعروف والادب
فكنت ان جئت من لي عندهم غرض　　احتار في القول معهم في قضا طلبي
فجال في الفكر ان اذكركم لهم　　فكان ذكركم في الحال يشفع بي

عرفتكم من قديم العهد مرتفعاً والبوم متضعاً مع كثرة اللقب
اصبحت كالغصن ان اثماره كثرة فينحني نفعه للقرب والغرب
قد قيل من قبلكم والقول مشتهر السيف اصدق انباء من الكتب
واليوم من اجلكم فالناس قايلة الصدق انباء من سيف ومن ذهب
كم خضت من ابحر حتى وصلت الى دار السعادة دم فيها ولا تغب
دم في نعيم وفي عز وفي شرف وفي امانة مولى العجم والعرب

وقد تعرضت بهذه القصيدة الى الشعراء اللذين لم يزالوا يشبهون هذه التشبيهات حتى الموصوفون لم يقبلوها وهذا ما يقال عن لسان موصوفة

تقول وقد شبهت بالورد خدها لقد شبه المجنون خدي بالوردِ
كما قال ان الاقحوان كبسمي وان قضيب البان يشبهه قدّي
اذا كان هذا في البساتين عنده سلوهُ لماذا جاء يطلبه عندي

وبعد حضوري من الاستانة طلبت صورة دولته الرسمية فارسلها لي فنظمت فيها الابيات الاتية

اصبحت آلة تصويرٍ لرسمكمُ من نوره لستُ محتاجاً الى النورِ
فالعين بلورة تهدي اشعتهُ الى قلوب غدت صفحات تصويرِ
لذاك في كل قلبٍ جال رسمكم لكنهُ خالدٌ في شاكر الخوري

وقد هنئتهُ بالوسام المرصع كما ذكرت

وقد زرت دولة نعوم باشا متصرفنا السابق في الخارجية وتعرفت يومئذٍ بابن عمه دولتلو يوسف باشا فرنكو وحييته كمتصرف مستقبل للبنان ولم انسَ مجاملة سعادة منصور بك شتوان وعطوفة اخيه يوسف بك اللذان دعياني لطعام الظهر في مصيفهما حيدر باشا

وعندما ماكنت في جنينة اسمها (بني شان) نظمت الابيات الاتية

الا يا داخل (دار السعادة) بنزه طرفه يبخور ماء
فلا تنظر لغادات تبدت بطرف اكحل عند المساء

مخافة ان تبيت اخي غريقاً ببحر اسود عند اللقاء
فيغدو الطرف في (دار السعادة) ويمسي القلب في دار الشقاء

وعندما ودعت الاستانة نظمت بيتين لمحمود باشا حقي ناظر الدروس وقد ابدى لي كل لطف ومعروف

هذا الذي بعلومه سبق الاوائل والاواخر
من كان محموداً فلا يحتاج يوماً شكر شاكر

وقلت في صهره خالد بك طبيب الاسنان وهو من الطف الرجال

هذا طبيب عظيم في كل فن مجاهد
لو مس سناً مريضاً لاصبح السن خالد

ومن اطباء بلادنا الشهم صاحب السعادة يوسف بك الرامي معلم التشريح الذي حضر كرئيس اللجنة العثمانية لفحص تلامذة مدرستنا في بيروت فهو من الاطباء العظام وصاحب الرتب والوسامات والهمة والنشاط

وقد شاهدت رجلاً يدعى الملهوف مصاحباً لنجيب باشا ملحمه لا ينفك عنه ليلاً ونهاراً و ياخذ غذاءه في بيته وعندما اجتمعنا سوية كلفني نجيب ان انظم أبياتاً تمثل حالة الملهوف فقلت

فلما بدا الملهوف وسط دياركم وله مساء كل يوم مطعمه
صدقت قولاً قد يقال بارضنا ان الكلاب تعيش حول الملحمه

الجناين

عندما كنت جالساً في منتزه بقي شان في الاستانة سمعت رجلاً يقول الى رفيقه ارجوك ياصاحبي ان تخبرني عن سبب خصوبة حديقتك فانها لا تساوي مساحة ربع حديقتي ومع ذلك يدخل لك منها اكثر مما تدخله حديقتي وكان السايل ارمنياً والمسؤول المانياً وكان من عادة الارمني ان يدعى خوربه نهار عيد العنصرة ويرش الحديقة بالماء

المبارك ويهمل باقي لوازمها واما الالماني فكان يكثر الزبل فيها فاجابه يا صاحبي ان الجناين (بدها خرا وما بدها صلاه)

الشاهد العيان

كنت في احدى الجلسات مع قوم مختلفي الملل فقال الارثوذكسي مازحاً ان الحق معنا بولادة المسيح لانه ولد في يوم ممطر وعيد ميلاده عندنا في هذه السنة كان ممطراً واما الموارنة فكان عيدهم صافيا الجو فاجابه احد الموارنة وكان ضخم الجسم جداً كلا فالحق معنا فارجع الاثنان الحكم لي بذلك لاجل المزح فاجبت ان الحق مع الموارنة لان فلان اي الضخم كان شاهداً عياناً لانهُ كان ينفخ علَى المسيح عند ولادته فانصرفت الجلسة علَى تصديقي لمشابهة صاحبنا بالثور

السياحة الى باريز

وقد توجهت من الاستانة الى باريز في السكة الحديدية اكسبرس اوريانتال ومررت بصوفيا في البلغار والسرب و بودابست في المجهر وفيانا ومنيك في بافاريا الى ان وصلت اخيراً الى باريز والذي اوجب سفري اليها هو شوقي الي ولدي حسيبه وزوجها الخواجه يوسف اسعد رحيم من جزين شريك صهره وابن عمه داود بمحل قومسيون يتعاملا مع اميركا وباليتني لم اكن عمه لاشرح اوصافه الحميدة بالصدق والدراية مع الصفات الحسنة التي تلزم للانسان وعرفت اخيراً انه شاعر بارساله لي الاشعار الاتية بعضها مشطر وبعضها مخمس

فعجبت من تاجر شاعر وهذه الاشعار لجمال الدين الافغاني وتشطيرها لهُ

بروحي جيرة ابقوا دموعي ... ولم يرثوا لذلي وانكساري
شكوت فراقهم قالوا اصطباراً ... وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا ... وكل طالب حق الجواري
كذا الايام قد حكمت علينا ... فقلبي جارهم والدمع جاري

وقد خمس ما يأتي

اطلت بهجراني واقصرت حيلتي ... وما بسوى مرآك برؤ لعلتي
فعطفاً على حالي ورفقاً بذلتي ... الى الطاير النسر انظري كل ليلة
فاني اليه بالعيشة ناظر
وما نال مني الطير قلباً متيماً ... ولا لحظه يشفي كلحظك مغرما
ولكنه عهد لنا قد تقدما ... عسى يلتقي طرفي وطرفك في السما
فنشكو اليه ما تكن الضماير

وقد سبق لي وخمست هذه الابيات وهذا هو التخميس

اذا كنت مثلي في الهوى ذات لوعة ... وكان لظى العشاق يطفي بنظرة
لما وجدت عيني لذا غير حيلة ... الى الطاير النسر انظري كل ليلة
فاني اليه بالعيشة ناظر
فما دامت الغزال في الارض مثلما ... رأينا ولم نشف فؤاداً متيماً
دعينا نراعي الكائنات لربما ... عسى يلتقي طرفي وطرفك في السما
فنشكو اليه ما تكن الضماير

وقد تعرفت في باريز بقنصل جنرال دولتنا العلية عطوفة الشيخ شديد حبيش وغيره من السوريين اللذين تفتخر البلاد باستقامتهم وهمتهم

وكان دليلي في زيارات باريز ولدى حبيبه التي تركت كل شيء وتبعتني ولم تبق شيئاً من الواجبات نحو والدها فانعم لكل محب ابنة مثلها وكان يرافقنا احياناً صهري العزيز قهراً عن اشغاله الكثيرة

(سياحتي الى لوندرا)

ثم بعد ذلك زرت لوندرا والتقيت فيها بالشهم العظيم قنصل جنرال بيروت

الانكليزي مسيو درموندهي الذي اظهر لي انس ولطف ومن هناك رجعت الى باريز وسافرت منها في اواسط ايلول عن طريق ليون ومرسيليا ومنها الى نابولي واليونان ثم الى الاستانة وعند وصولي اليها توجهت حالاً الى منزل دولتلو احمد عزة باشا فامر حالاً باعطائي النيشان العثماني الثالث الذى صدرت به الارادة السنية بعد انهاء دولتلو رشيد بك والي بيروت الاسبق الذي يضرب به المثل بحفظ الوداد لاصحابه والامانة نحو دولته ومعرفة السياسة ثم حضرت الى بيروت برفقة الوالي الحالي دولتلو خليل باشا الساهر على الراحة ومن اعماله العظيمة انشاء مدرسة الصنايع التي تفوق كل مدرسة

وكان برفقتنا من مرسيليا الى اثينا عائلة يونانية كريمة الاصل مع ابنة اسمها سبازيا وهي اسم امرأة بركليس وكانت اية من الجمال والكمال وهي عذراء ووالدتها كاملة الاوصاف وبقيت اكاتب والدتها وتكاتبني مدة ثلاث سنوات وبعده انقطع خبرها ولا ادري ماذا جرى بها وقد نظمت لاسبازيا شعراً عندما نظرتها تزعف في البيانو وتنتقل اياديها بكل سرعة عليها

ولما ببحر الروم تاهت عقولنا ... وبتنا بارض طاب ذكر جدودها
راينا ضياء اسبازيا فوق مركب ... كنجمة صبح يهتدي بوقودها
فاضحت قلوب الظاعنين مراكباً ... تحركهم دوماً بنار صدودها
ولما رات الاهم من حربهم ... فمزتهم في ارغلٍ من قصيدها
تنقل كفاً لا تراه لسرعةٍ ... كأن يديها فوق نار خدودها
فامنت بالتقميص من حيث ارجعت ... الى ارضنا اسبازيا مع عهودها

(سياحتي الى مصر سنة ١٩٠٧)

عند ما جمعت كتابي هذا وشئت الطبعة اشار عليَّ الخواجه ابرهيم يعقوب ثابت وهو اول من فكرني ان اجمع هذه الاشعار والحوادث التي جرت لي ان اتوجه الى مصر وهو رجل عظيم في غناء اعظم يحب العلم وينشطه قهراً على ما هو عليه من ضعف الجسم وهو من اعظم رجال التجارة

فتوجهت من بيروت في ٢٦ ك ١ سنة ١٩٠٦ وصلت في اليوم الثاني الى بورسعيد وعند ما عرف بقدومي اخي الدكتور امين القاطن المنصوره حضر الى بور سعيد وتوجهنا معاً اليها من طريق بحيرة المنزله الى المطريه ونزلت ضيفاً عنده واشكر ما لاقيت من الانسانية والاكرام من السيدة عزيزه زوجته وبعد ثمانية ايام توجهت الى مصر ومعي تحارير توصاه من مسيو فوك دي بارك قنصل جنرال فرنسا في بيروت الى وزير فرنسا فيها الذي استقبلني بكل اكرام سألني عما اريد فطلبت اليه مقابلة سمو الخديوي فحرر الى وزير السر تشريفات بذلك وبعده حضر لي التحرير الاتي من وكالة فرنسا السياسية في القاهرة

Agence diplomatique de France

Le 16 Janvier 1907, Cair

Mon Cher Bey docteur Chaker Khouri

Le grand ministre de céremonies vient de faire savoir à Mónsieur le ministre que vous pourrez être reçu par son Altesse le samedi prochain 17 Janvier en 11 h. 30

Monsieur Klobukozysky devait lui-même vous présenter au Khedive vous prie de vouloir vous trouver à l'Agence à 11 h. très-précie.

Il vous Conduira au palais d'Abdine.

Croyez Cher Bey à mes sentiments très distingués.

Felcourt.

من الوكالة السياسية الافرنسية في مصر في ١٦ ك ٢ سنة ١٩٠٧

ايها البيك العزيز الدكتور شاكر الخوري

ان وزير التشريفات اعلم حضرة الوزير بانه يمكن لفخامة الخديوي ان يستقبلك يوم السبت القادم في ١٩ ك ٢ الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة وحيث ان موسيو كلوبكوسكي سيقدمك بنفسه الى الحضرة الخديوية يرجوك ان تكون

في الوكالة الساعة الحادية عشرة تماماً وهو يرافقك الى سرايا عابدين اعتقد ايها العزيز باحساساتي لك الممتازة فلكور

فذهبت في الوقت المعين الى الوكالة المذكورة فوجدت الوزير باستنظاري فاخذني في مركبته الخاصة الرسمية ومشى امامها اثنين من الجربن وعند وصولنا الى السرايا اخذ سلامنا فرقة من العسكر وقابلنا رئيس التشريفات وصعد بنا الى الطابق العلوي ثم ادخلنا ردهة الاستقبال وكانت الحضرة الخديوية على بابه فدخلنا الى اخره ولما استقر بنا المقام قال الوزير مخاطباً الخديوى ان الدكتور من معلمي مدرستنا الطبية في بيروت فتكلمت انا اذ ذاك موجهاً الحديث الى فخامته ان العلوم التي تعلمتها في مصر مدة ساكن الجنان جدك اسماعيل هي التي اعلمها في بلادي كما انني حضرت افراح ساكن الجنان والدك وسمعت اول مدفع بشر بطلوعك على هذا العالم ثم تركت مصر منذ ذلك الوقت ثم عند رجوعي اليها الان وجدتها بحالة غير التي تركتها عليها ولما كنت انظم الشعر في بعض الاحيان نظمت لفخامته الابيات الاتية وكان قد كتبها بخطه الجميل على رقعة جميلة حضرة نجيب بك هواويني الخطاط الشهير هذه هي

انبت لمصر منقاداً لامير ... من الله المحيط بكل علم
بقول لخلقه هيا اليها ... بامن وارتعوا بديار سلم
ديار للفراعنة ادخلوها ... ولا تخشوا اذى رق وظلم
لان ارسلت مع فرعون سخطي ... فقد ارسلت مع عباس حلمي

فسر فخامته جداً وشكرني عليها ثم طلبت منه الاطلاع على السجلات لاقف على بعض نقط تاريخيه فاصدر امره بذلك الى شفيق بك رئيس القلم العربي والاجنبي في المعيه فكنت احضر اليها وهناك تعرفت بشفيق بك والشاعر الشهير شوقي بك وبعد ثمانية ايام من ذلك الوقت كان عيد الاضحى فذهبت لاهنئ فخامته وانا بين ميئات من المعيدين مارين امام فخامته دعاني باسمي الخصوصي فتقدمت اليه فاعطاني يده فشكرت لفخامته هذا اللطف ومن هذا الالتفات وقلت في ذلك

حلت ان زرت مصراً انال جاهاً لعلمي

فالحلم اضحى يقيناً   ما عشت اشكر حلمي

وقد نشرت كل جرائد مصر المهمة مقابلاتي واشعاري فاشكر جميعها هذا الفضل

كما واني اشكر سعادة ادريس بك راغب لاستقباله اللطيف لي ولوالده الفضل عليَّ بدخولي في المدرسة الطبية كما ذكرت وقد نظمت له هذين البيتين

ايا راغباً بالفضل والعلم والعلا   فكل اخي فضل لذكركم حيا

فلاشك مثل ادريس للخير والزكى   سيبقى مدى الايام ذكركم حيًّا

وقد لاقيت كل انس وملاطفة من الكونت حبيب باشا السكاكيني صاحب القصر الشاهق في الظاهر ومن سعادة مصطفى باشا وهبي البغدادي الشاعر العظيم في العلوم وحافظها وساذكر في سياحتي الخصوصية في مصر جميع الذوات الذين زرتهم وزاروني ومن لطفهم سروني اخص منهم اسكندر بك عمون وسليم افندي بسترس الصيداوي وعائلة الصدناوي التي بكل اسف فقدت رئيسها الأسوف عليه سليم وكذلك البكوات حنا وانطون صباغ ومنصور باشا شكور وعمه ملحم بك وبالاخص عديل اخي فريد باشا بابازاوغلي مع مداماته المحترمة ولو شئت تعداد الجميع لاقتضى لذلك كتاب اخر

وكذلك توجهت الى الاسكندرية وطنطا ودمنهور والسويس ودمياط والاسماعيلية والفيوم وفي كل محل كنت ارى من اولاد الوطن نجاحاً عظيماً

والذي سرنا جداً مقابلة سعادة عبد الله بك العازوري الذي يفتخر به وطننا السوري وسعادة شاكر بك الخوري الحاصباني والصديق الحميم اسكندر افندي شاكر صهيون صاحب صاحبه وسعادة جورج بك عيد قنصل بلجيكا ومؤسس كل جمعيات مصر تقريباً وكذلك الخواجه انطون اده رئيس كمبانية ليون في مصر وكذلك سليمان بك ناصيف من المعتمدين هناك وقد قابلت في الاسكندرية الخواجهُ يوسف دوماني صاحب الاملاك العظيمة واللطف الاعظم وهو مشهور جداً وكذلك اكرم اهل زمانه الخواجه ادوار ابو راجي بسترس الذي تفتخر به وبكرمه النازله السوريه وكذلك موسى افندي بسترس ابن المرحوم سليم دي بسترس والخواجه نجيب يوسف سرسق الرجل

المهم في الاشغال وابن عمه الخواجه اسكندر مرسق وقد ابتهجت جداً عندما حظيت بمشاهدة رفيقي في المدرسة الوطنية الخواجه روفايل عبدالله الخوري مدير بنك الرهونات والخواجه يوسف بطرس خضير الذي نجح نجاحاً عظيماً وانشاءالله لم تصبه البورس في شيء

(السيدة سلمى بولاد)

هذه هي السيدة التي قابلتها في بيتها في المحلة الكبرى واظنها سميت كبرى بوجود السيدة سلمى فيها فهي مدام الخواجه سليم بولاد من الطف السيدات واكرمهن واعلمهن تحب العلوم والمعارف ولم يفتها شيء من الكمال ويصادق عَلَى قولي هذا كل من يعرفها حضرت ازورها وكان وقت غذا الظهر فجلست معها عَلَى المايدة وقد صادف وجود الخواجه سليم في مصر وكان معنا كاهن هرم لكنه يحب المزح فعندما راى السيدة سلمى ملتهية مشتغلة معي بالحديث قال لي لم تدع لي مجالاً اتكلم مع السيدة سلمى فاجبته ان الاحسن ان نقسمها بيننا سلمى لي وبولاد لك فضحكنا جميعنا وكاد هو ان يستلقي عَلَى قفاه

وقبل خروجي من القطر المصري رجعت الى المنصوره لوداع اخي وشكرت جميع من لقيت هناك من الاصدقاء الذي اذا شئت تعدادهم اخاف من ملل القاري فلذلك اختصر وابتدي بالشكر لحضرة الخوري يوحنا الخوام الكاهن الحقيقي الذي يحب السلامة والامتزاج بين الطوايف وهو رئيس كهنة الروم الكاثوليك فيها وقد تشرفت بمعرفة السيد الجليل حسين بك العمري صاحب الجامع العظيم ومدرسة للفقراء وهو ابن عبدالباقي افندى العمري البغدادي الشهير وكذلك من الخواجات انطونيوس وانطون صالح وبلديينا يوسف حرفوش

واشكر عَلَى الخصوص لميشيل افندي الخورى مفتش التلغراف في الزقازيق ولكل من انسوني بالطافهم وحال حضوري الى الفيوم وجدت كل موانسة من الخواجه شكري الحداد الصديق القديم ومن مدامته الشهيرة باللطف والانس وكذلك من الدكتور الشيخ سليم تلحوق والدكتور غبريل افندي من عبرا الذي سرني نجاحهما بما لا يقدر كما وقد سررت ايضاً من نجاح تلميذي الدكتور لكح في الاسكندرية الذي حصل شهرة عظيمة وكذلك الدكتورين فتح الله افندي الدهان وسليم

افندي نمور في طنطا كما انني لا انسى في طنطا الطاف الخواجه جورج خوري صاحب فابور القطن والخواجه اسكندر بكته التاجر الشهير وابراهيم بك مظهر في دمنهور والخواجه خليل طراد الذى زرته مع اخيه ومدامته اسكندر بك طراد المحامي الشهير

« رجوعنا من سياحة مصر »

في ٢٩ اذار خرجنا من بورسعيد واصبحنا في يافا وكان يرفقتنا اسبر افندي شقير بروتوقنسلس دولة انكلترا في بيروت ولهذه المناسبة اذكر لمحة عن هذه القنصلاتو التي لها اهمية عظيمة في بلادنا

ان اول قنصل تسمى لهذه القنصلاتو هو بتر ابوت Beter Abbot سنة ١٨٢٠ حتى هذه السنة ١٩٠٨ مرّ عليها ثمانية قناصل والذي عرفته العموم سنة ١٨٤١ هو الكولونل روز الشهير وبعده القنصل مور والذي عرفته على الاخص هو القنصل الجنرال مسيو درموندهي الاخير عرفته في بيروت وقد التقيت به صدفة في بحر المنش فابدى لي كل لطف مدة اقامتي معه في لوندرا بنزل من ارمنس وشمنستر وهذه ترجمته التي تدل على اصله الشريف واعماله العظيمة

(هذه ترجمة القنصل)

هو السر (١) روبرت درمند هاي قنصل جنرال دولة انكلترا في بيروت ابن السر الشريف جون هاي درمندهاي الذي بقي اربعين سنة معتمداً فوق العادة ووزيراً مفوضاً في مملكة مراكش وهو من عائلة اسكوتلندية عريقة بالنسب ذات املاك واسعة بقيت كلها لبيت كبير العشيرة نحو الف سنة وقد اقترن بالسيدة اناميا كاترين ويلبس فلامنغ كريمة المرحوم تومس ويلبس فلامنغ من جنوبي ستونهام همبشير من اعضاء البرلمان الانكليزي عن ولاية ونشستر وكان ابوه قبله عضواً في البرلمان حيثما بقي فيه خمسين سنة متتابعة

وقد دخل اولاً في السلك القونسلوس بمعية المرحوم والده في طنجه سنة ١٨٦٩ وبقي الى سنة ١٨٧٥ فتعين حينئذٍ قونصلاً في مدينة ماغادور وقد رافق والده

(١) اصلها عربية اعني السري

الموى اليه بمامورية مخصوصة الى بلاط مملكة مراكش سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٧٣ ثم تعين مأموراً ليرافق العمدة المراكشية المخصوصية التي زارت انكلترا سنة ١٨٧٦ ثم تعين قنصلاً في ستوكلهم عاصمة بلاد اسوج سنة ١٨٧٩ ومنها انتقل الى تونس سنة ١٨٨٩ حيثما سُمي قنصل جنرال سنة ١٨٩١ ثم تعين قنصل جنرال في سورية مع حق المناظرة على قنصليتي الشام والقدس وذلك سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩٧ اخذ مدالية يوبيل جلالة المرحومة الملكة فيكتوريا ونال نيشان سان ميشل وسان جورج سنة ١٩٠٢ ثم منح لقب سر الشريف سنة ١٩٠٦ وانتقل من بيروت للتقاعد في ٢٠ ك ٢ سنة ١٩٠٨

(اسبر افندي شقير)

هو الرجل الوحيد الباقي من اصحاب السياسة القديمة والجديدة في بلادنا فهو رجل فريد علم نفسه وهذبها حتى توصل على ما هو عليهُ الان من سمو المقام وعلو الهمة وسمو المبادى وهو ابن عبدالله بن لحود شقير من الشويفات سمي ترجماناً لاميركا في بيروت سنة ١٨٧٣ وفي سنة ١٨٧٥ دخل ترجماناً في كونصلاتو انكلترا ترقى الى وظيفة كونشلير ثم بروتوقونصل اي انه صار يمكنه ان يحلف اليمين ويصادق على الامضاوات ثم رافق سفير انكلترا في سوريا السر هنري ونال النشان المجيدي الثاني من الدولة العلية وهو رجل لين الطباع طويل القناة حاذق الفكر لطيف المعشر لو فتشت انكلترا الف سنة على مثله لم تجد اللهم الا اذا كان ولده فواد : ومن هذه الاسرة المرحوم اخوه عبود بك الذي خلف لنا صديقاً فاضلاً الا وهو حليم بك شقير يوز باشي الجندرمة اللبنانية وكذلك عبدالله بك شقير احد موظفي الحربية في مصر وهو صهر اسبر افندي

كانت هذه السنة وبالاً على علماء النحو والشعراء والكتاب في بلادنا قلت بذلك

اتى عام هو العام المبيد	فافنى من يشاء ومن يريد
من العلماء عزَّ الدهر يوماً	وليس بمثلهم يوماً يجود
بدا باليازجيِّ امام علم	وثنى بالمدور يستجيد
جميلٌ في العلوم له جميلٌ	نجيبٌ في معانيه فريد
وابن حبيقة قد كان ركناً	وذكر الدبس في الدنيا حميد

وشرتون بكت اسفاً رشيداً   وذاك بكل مدرسة رشيد
سليم شحادة ميشال (اده)   ونقاش الحديث غدا يبيد
وعباس الغريب في صباه   عن الشعر المنظم لا يحيد
خليل بات للخوري نسيباً   وهذا في فنون الشعر سيد
قد انتهت المصائب في شقير   هو العلامة الفرد المجيد
فلم يبقى لنا ذا العام علماً   ولا من مخبر عن جاء زبد

(سياحتي من بعلبك وحمص وحما وحلب)

خرجت من بكاسين في ٤ تموز سنة ١٩٠٧ مستصحباً معي وكيلي امين مخايل ميزان فهم شعري الذي ذكرت عنه حين توجهنا الى بتدين ومنها الى الباروك ثم صوفر واخذنا السكة الحديدية فيها الى بعلبك التي هي حسب فكرى اجمل مدينة في العالم بالنسبة لمركزها لان ماءها من راسها وتسمى راس العين والشهير فيها قلعتها التي كانت مركز الدين مثل القدس الان وجبيل في الماضي وبعل معناها السيد بك ربما كان معناه في السريانية البقاع يعني سيد البقاع وكل الناس تعرف قلعة بعلبك وما لها من العظمة ودقة البناء وزخرفته فقلت فيها

في بعلبك عروس   يزورها كل ات
فهي على راس عيني   لم انسها للممات

ومن الاسر الشهيرة فيها قديماً أسرة الامراء آل حرفوش حكام تلك البلاد فلم يبق منهم احد بصفة حاكم واسرة ال حيدر كانت كاخية عند الاسرة الاولى والمشهور فيها الان اسعد بك خليل حيدر رجل محب للعلم فاضل واخوه الدكتور حسين بك حيدر تلميذي في الطب من رجال بعلبك ومن الاسرة الكريمة فيها ايضاً اسرة ال مطران وهناك نزيلاً نازل سعيد باشا سليمان وكذلك ال هراوي التي سكنتها حديثاً وفيها يوسف بك الهراوي الذي انتقل من عضوية المحكمة الى عضوية الادارة صاحب املاك واسعة وله ثلاثة اولاد ذكور من الشبان الاذكيا وكذلك اسرة بيت نجم في دورس قرب بعلبك ومنها ابرهيم بك واياس بك اولاد مخايل بك وكلهم اصحاب املاك ونفوذ وقد تقلبوا في مراكز الحكومة مراراً وكنت انزل في فندق

كرباج اجد فيها كل حربة وراحة وله عايلة مؤلفة من شبان ذات لطف وزوجة الطف واظرف وفي اليوم الثاني نزلت الى

(حمص)

وكان النهار حراً جداً وكان في المحطة الخواجه قبوات فقابلت في حمص رفيقي العزيز في المدرسة حبيب افندي جبور الذى كان طبيب بلدية زحلة سنه ١٨٧٥ ثم فى بعلبك مدة ٦ سنوات ثم في حمص مدة اربع سنوات وهو من عشرين سنة قاطنها وقد سررت جداً من تقدمه ونجاح اولاده الذين بعضهم توجه الى امريكا وبعده قابلت سيادة المطران اثناسيوس عطا الله نموذج الاجتهاد والغيرة لابناء رعيته وقد نظمت لما هي عليه من شدة الحرّ بيتاً من الشعر اتبعته بابيات بعلبك فقلت

فحمص قد حمصتني حتى بدت قبواتي

(حما)

ومنها توجهنا الى حماة في يوم من ايام جهنم ولكن الله رحمني بمرافقي الخواجه كبس مدير المحطة فانزلني عنده وفي اليوم الثاني نزلنا الى البلد وكان حرٌ لا يطاق ولم ازر احد سوى اديب افندي الجراح الشامي رئيس دائرة الجزاء لانني صديق عائلته منذ كنت في الشام وقد تفرجت هناك على النواعير التي تستحق الزيارة وقلت في حماه ابياتاً اتبعتها باشعار بعلبك

(نهر العاصي) ياليتني انا عاصٍ (١) وما نظرت حماتي

قد كان فيها انيني كأنة الثاكلات

حاكت نواعير ماء لكن بعكس الصفات

فتلك أنت لبردٍ والحرُّ اضنى لماتي

وقبل خروجي من حمص زرت مقام سيدنا خالد بن الوليد الذي انغزل في طاعته وشجاعته دائماً لانه وفر على الاسلام اختلافاً عظيماً بطاعته عندما عزله سيدنا عمر واطاع الاوامر بقصاصه وكانوا يومئذ ابتدوا بترميم القبر وهو بجانب العاصي فقلت في ذلك

عجبت لمن قد كان اول طائع يجاور طول الدهر في قبره العاصي
لطاعته قد بات بالمجد خالداً وبالسيف كم افنى وطوّع من عاص

« حلب »

عجبت لمدينة يحيطها القفر من كل ناحية وتبعد عن البحر مسافة وترى فيها التمدن والتجارة والعلوم والحضارة فمن عرف تاريخ حلب وما انتجت من الرجال والعلماء يعرف ما لها من الفضل عَلَى سوريا فليطلع القارئ عَلَى مقالة الاب شيخو في المشرق تظهر له الحقيقة جلية واضحة وها اني اقتصر عما اعرفه من رجالها الافاضل فاقول ان اول من اوجد مطبعة في الشرق حلبي وهو عبدالله زاخر وكذلك مؤسسي الرهبنة المارونيه حلبيون ومن ينسى افضال المطران جرمانوس فرحات عَلَى اللغة وعَلَى تنظيم ترتيبات الكنيسة المارونية ومن ينسى افضال السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم عَلَى طائفة الروم الكاثوليك وفضل بطركها الحالي غبطة كيرلس جحا عَلَى اني اقول كلمة موجزه انني دخلت حلب في ٧ تموز في القطار لحديدي الذي لولاه لما نظرتها عمري وهو من مآثر الذات الشاهانية ايدها الله فرأيت بناياتها عظيمة عَلَى النسق الجديد والشوارع متسعة وقد رأيت المدينة القديمة ذات اسواق مبلطة نظيفة متسعة كاحسن مدن سوريا والاهم فيها قلعتها عديمة النظر في بلادنا ومركز البلد من اجمل المراكز فهي عَلَى سهل كاشف لا تصدمه الجبال ومن حولها ارتفاعات قليلة وهي بشكل هلالي

واكثر فرش بيوتها عَلَى النسق الاوروباوي الجديد والالفة سائدة بين جميع الطوائف والهدو شامل حتى منتزهاتها وكل ذلك لا يوازي لطف وشغل وحمية ونشاط رجالها فترى منها في الدنيا كلها تابعة التجارة والعلوم

وقد نزلت في اللوكندة العزيزية وهي لوكندة عظيمة يزينها لطف صاحبها ومدامته وقد افردوا لي غرفة في الجهة الشرقية وهناك مربط الخاروف والديك والحمار وهلما جراً فكان الخاروف يصرخ مساء والحمار ينهق ليلاً والديك يصيح صباحاً واخيراً اخبرت صاحب النزل الذي ذبح الخاروف وابعد الحمار واما الديك فابقاه فكأني لم ازل في غرفتي في بيروت مع ديك الجاويش فقلت لصاحب

النزل واسمه كورك اوهانيان

اذا كان صوت الديك ارجع بطرساً الى دينه بالعكس يفعل مع ديني
الا فابعدوا عنا صباحاً ديكم والا لعنا دينكم عند تلحين
كأني ما لعنت شيئاً فضحك وابقى الديك فسكت لان سفري كان قريباً

« الفردوس الارضي »

اتفق انه كان في النزل رجل انكليزي من مستخدمي مصر وعندما كنا على المائدة اخذ يتكلم عن الفردوس الارضي اذا كان قرب الفرات او في دمشق او في الهند فاجبته انه لا يوجد فردوس ارضي فاجاب كيف تنكر التوراة التي ذكرته وما هو برهانك لعدم وجوده فقلت اعظم برهان عندي لعدم وجوده هو انه لو كان موجوداً لملكته انكلترا لان جهنم التي هي افريقيا دخلتها فكيف لو كان يوجد فردوس في الارض فعند ذلك استلقى على ظهره من الضحك مع السامعين

« سادات وذوات حلب »

فتوجهت في اليوم الثاني لازور سيادة مطراني المطران يوسف دياب في كرسيه ولم يسبق لي معرفة به فعرفته في نفسي فلاقيت منه كل انس ولطف وقد دعاني الى مائدة مخصوصة في اليوم الثاني وكان ظاهراً فيها كرم سيادته ومن عرف تاريخ اصله وفعله لا يستغرب ذلك فوالدته من عائلة كوبا الكريمة الشهيرة في ليفورنا واصل عائلته من بشري من الكوارزة فتكون من اصل واحد كما ذكر الدكتور رشيد شكرالله الحلو من بعبدا في سلسلة بيت الحلو حاصله انه خلف الشمالي وقد جدد كل بنايات الكرسي وانشأ المدارس واشترى املاكاً للكرسي ووزع احساناً وهو انموذج الاجتهاد ولد سنة ١٨٤٩ في حلب ووالده انطون وسيم مطراناً سنة ١٨٩٦ ونال المجيدي الاول والعثماني الثاني من لدن جلالة السلطان الاعظم وله غيرة عظيمة على خرافه وقد عرفني بذوات الطائفة وزرت بمعيته الخواجه يوسف اندريا من التجار العظام وكذلك جرجي بك عابديني الذي لاقيت منه كل التفات وهو الذي كان يقدمني الى ذوات حلب وكان يرافقني النهار بطوله فبارك الله في الانسانية واللطف الكامل وفضلاً عن ذلك فهو من التجار المعتبرين وعضو ادارة عن الموارنة وقد عرفني بالشهم الكريم صاحب النبل الخواجه

يوسف الاسود الذي رأيت منه كل ملاطفة فهذه العائلات المارونية احضرها من لبنـان ساكن الجنان السلطان سليم واسكنها حلب لاجل حركة التجارة ومنها عائلة جورج بك عابدبني لم يزل اسم عابدين عليها وحضر جدها الى حلب وكان كاهناً اسمه الخوري موسى سنة ١٥١٦

ولا انسى لطف الخواجه البرحمصي الذي رافقني مع جرجي بك وهذه العائلة هي من اعظم العيال واغناها كاملة الخلق والاخلاق وعرفت منهم الخواجات نعوم ودزيره وكذلك الخواجه نصرالله بطرس وهم من الذوات الكرام والذي عرفته وجذبني اليه لطفه بسرعة هو الخواجه هانري ماركوني من التجار العظام وفي اليوم الثاني زرت سيادة المطران ديمتريوس القاضي وقد ذكرت عنه

والذي انست به جداً هو سعادة يحيي بك الشمعه كومندان الجندرمه في ولاية حلب وكنت عرفته في بيروت وهو من الذوات الكرام وخدمة الدولة الامناء اينما حل يحل الراحة والسكينة وقد كنت مسروراً جداً من استقباله وكنت اجول في البلد محل المتنزهات وفوضت امري بالتنزه الى العربجي يأخذني اين شاء ولكن لم افوض اليه امري بالحساب وادفع له ما شاء لان الغريب مطمعة اين ما كان خصوصاً وقد علمتني كثرة الاسفار اشياء كثيرة وكان منظر المدافن في حلب مدهش وعندما كنت امر على تربة اتصور ان الاموات قامت وان كل واحد واضعاً على صدره لوحاً يشير على اسمه وقد قابلت رفيقي في المدرسة الدكتور انطون افندي الشعراوي الذى سررت جداً وقدمني لمعرفة مدامته وبناته اللطيفات

ولم يضايقني في حلب سوى الحر الشديد والهواء الحار الذي لا يطاق وهذا سبب سرعة رجوعي وقد قلت في ذلك

اعطيت من رب السما ... وصلاً يفيد لدى الطلب
في خصم عام كامل ... في مدتي بين اللهب
عن كل يوم بتة ... ما بين حمص وحلب

ولكن ليس الذنب على حلب بل الذنب على من يزورها بغير فصلها المعظم لان البلاد كالعباد لا يمكن الكمال فيها فالبلد التي تكون باردة في الشتاء تكون لطيفة في

الصيف وهكذا ففصل حلب هو فصل الربيع وفي هذا الفصل كانت تحلو فيه زيارتها ولكن فرصتي لم تكن ذاك الفصل والخلاصة اني خرجت منها ممتنّا لاهلها جداً واذا كان حرها شديد فلا ذنب عليهم فهم مثلنا يتألمون فرجعت منها الى بعلبك راساً ومن بعلبك الى صوفر ومنها الى بتدين ومنها الى المختارة الى عين قنيا وزرت هناك

« زين الدين باشا حسن »

وهنا لا يمكن السكوت عن ترجمة هذا النابغة في عصره لانني اعرفه من صغره ولد في عينقنية سنة ١٢٥٠ هجرية عرفته عندما كنت في المختارة وكان يومئذٍ من تلامذة الشيخ ابرهيم الاحدب وكان لعهد داود باشا محامياً لحقوق الطائفة الدرزية ثم محامياً لدعاوى بيت جنبلاط واحسن شيء عمله هو تربية وتعليم اولاده الثلاث اكبرهم محمد بك وثانيهم سلمان بك وثالثهم سعيد بك وقد نال زين الدين باشا رتبة امير الامراء مع لقب باشا واولاده مثله في حفظ الزمام وكرم الاخلاق تقلبوا بمأموريات عديدة

ثم بعد ذلك ذهبت الى باتر مع ملحم بك حمدان نجل الشيخ سعيد حمدان

« الشيخ سعيد حمدان »

ان هذا الرجل هو الصدق المجسد عرفته من مدة مديدة لا يعرف الكذب ودود صادق لا يميز العدو من الصديق عند الحكم وقد اصبح لفضيلته قائمقام الشوف الامر الذي لم يتأتَّ لغيره من عائلات المشائخ وهو العضو الدائم الدرزي لدائرة الحقوق وكان قاضي في الشوف فلا يؤثر عليه المناخ ولا الظروف ولا الاحوال دائم الصدق وولده الشيخ ملحم مقتفي اثره في هذه الصفات وكان عضو محكمة جزين وله ولد اسمه كامل وهو مثل باقي العائلة وعائلة آل حمدان هذه كانت ذات مقاطعة اخذت منها واعطيت لخلافها في ايام الامير حيدر وهي عائلة كريمة تصل بها صلة الرحم ببيت جنبلاط وبالاختصار ان الشيخ سعيد هو انموذج الصدق والزمام ولم يزل عضواً في دائرة الحقوق للان

وقبل وصولنا الى باتر عرجنا على عماطور لزيارة قاسم افندي وحسين افندي

عبد الصمد وهم من عائلة بيت عبد الصمد الشهيرة التي لها حزب في البلاد فيقال هذا صمدي وهذا شقراوي نسبة لعائلة اخرى كريمة في عماطور وهي عائلة بيت ابو شقرا ولهاتين العائلتين اهمية كبرى في الشوف فقد كانتا تملكان اقليم التفاح باجمعه ملكاً مطلقاً وهو كناية عن عشرين الى ثلاثين بلد اما الان فلم يبقَ لهما شيءٌ فقد بعت تلك الارزاق وانفق ثمنها في سبيل الكرم والضيافة واما الصداقة التي بيننا وبين قاسم افندى وحسين افندى هي قديمة من زمن والدي مع جدهما الشيخ احمد علي المشهور وقاسم افندي الان عضو في محكمة جزين وحسين افندى كاتب في دائرة الحقوق الاستئنافية وقد بنى قصراً في عماطور جميلاً . ومن باتر رجعنا الى جزين الى بكاسين لتكملة فصل الصيف هذه هي سياحتنا الاخيرة

« محكمة الشوف »

عندما تأملت في هذه المحكمة وبمن ترأسها و بالقائمقاميين اللذين تولوها وجدت فيها امرٌ عجيباً وسراً اعجب كيف انها جمعت روساء وقائمقامين لا عيب فيهم بالرشوة يعطون ولا يأخذون اولهم الامير ملحم ثم الامير مصطفى ثم نسيب بك جنبلاط والان الامير توفيق فلم يوجد اشرف نفساً من هولاء فلذلك كانت روساء المحاكم مثلهم ولذلك لا يلزم ان نسكت عن صفات هولاء الروساء ليكونوا مثلاً لمن بعدهم فالذي عرفته منهم هو المرحوم

« الشيخ سعيد تقي الدين »

لا اتكلم عنه الا بصفة رئيس محكمة وليس بصفة عضو في دائرة الجزاء وبغير مأموريات فهو ازكى سامع وافصح متكلم عالم اديب وهو من عائلة اولدت رجالاً مهمين منذ ابتداءها حضرت مع المعنيين وظهر منها الشيخ زين الدين عبد الغفار الذي اشتهر بكتبه اولها مجرى الزمان وثانيها النقط والدوائر وهما احسن الكتب الدينية الدرزية ثم الشيخ احمد تقي الدين الذي تولى القضاء في جبل لبنان مدة حكم الامير بشير قاسم الشهابي وعند تشكيل لبنان تولى قضاء الشوف الشيخ ابوصالح تقي الدين المشهور بالعفة والاستقامة فهذه هي العائلة الدرزية العلمية ولم تزل اولادها مقتفية اثر العلم منهم اولاد المرحوم الشيخ سعيد الخمسة اكبرهم محمد افندي وهو الان مدير مال الشوف

والثاني طبيب في حكومة امريكا والثالث امين بدرس الحقوق في المدرسة الافرنسية في مصر وشاهدته هناك والرابع بتعلم الطب في بيروت وكان اول سنة تلميذي في مدرسة الطب الافرنسية ثم انتقل منها الى الامريكانية والخامس في المدارس حتى واصهرته من اصحاب العلم ايضاً كالدكتور علي سليمان من امهر والطف الاطباء وهو طبيب خستخانة بعقلين الانكليزية

والعائلة الثانية العلمية والتي خلفت رئيساً لمحكمة الشوف بملو استقامة وعفة نفس هي عائلة عز الدين الذي ظهر منها مدة الامير بشير الشيخ حسين ماضي شيخ العقل والان منها صاحب الشهرة كما قلنا

«محمد افندي عز الدين»

الذي ترأس كما قلنا محكمة الشوف وهو الان عضو في دائرة الجزاء ومنها من الاطباء قاسم بك عز الدين طبيب كرنتينة بيروت من الاطباء الممتازين وقد ترأس هذه المحكمة الشيخ سعيد حمدان كما قلت وكذلك عباس افندي حميه ولوكان ضدي في دعوى ما بكاسين لكنه من الرجال المستقيمين واخيراً استعفى منها لكثرة اشغاله ومهما اختلفت مشارب القائمقامين مع بعضهم فلم يختلفوا بانتخاب قضاة صادقين لهذه المحكمة فهذا من توفيقاتها

« العطاء الجزيل بدون وفاء »

في اثناء هذه السياحة بينما نحن في السكة الحديدية بين حمص وحلب سمعت رجلاً يخبر قصة جرت لهُ وهي انهُ دخل على رجل عظيم وانشده قصيدة بليغة (كانهُ شاعر) فامر له بمائة ليرا ففرح هذا الرجل حتى كاد يطير من الفرح فبقي ينتظر الدفع من يوم الى اخر حتى ضجر وكان الرجل يهرب منهُ تقريباً كلما صادفهُ ففي ذات يوم ارسل لهُ الاشعار الاتية

عطاك جزيل غير انك ممطل ... وتذهب لذات المكارم بالمطل
فموسى كليم الله اوعد قومهُ ... ولما اطال المكث مالوا الى العجل

ومع كل هذا لم يقبض شيئاً فاصبح الشاعر عدوه وبئس العداوة فبدل المدح بالهجو وكان يهجوه مراًّ

(قصة نديم) طلب احد الملوك من وزيره نديمه لانهُ اشتهر بظرفه ومنادمته فامر الوزير النديم ان يعمل جهده ليسر الملك ونبه عليه ان لا يطلب دراهماً منهُ واذا طلب بقطع راسهُ فدخل النديم عند الملك وجاد في المنادمة حتى سرّ الملك جداً وعند انتهاء السهر قام الملك ليدخل الى الحريم فافتكر النديم ان كل تعبه ذهب سدًى وان الملك مسرور وهذه الفرصة لا ترجع فتقدم الى الملك وقال لهُ مولاي لقد نبهوا عليَّ ان لا اطلب دراهماً من جلالتك ولكن من نبه عليك ان لا تعطيني فضحك الملك وامر له بجائزة عظيمة وعندما علم الوزير بذلك سأل النديم فاجاب انني ما طلبت حسب امرك لكن قلت كذا فضحك الوزير واجازه

زيارتي للقدس

صرت حاجاً

لا شك بان ما يسمعهُ الانسان في صغره يؤثر عليه في كبره لان المرء ابن تربيته ولا بد ان يبقى اعتقاده الاول راسخاً في ذهنه ولو كبر وغير معتقده فلا العلم ولا العمر يمكنهُ ان يزيل منهُ ما تعلمهُ صغيراً فالقدس او اورشليم وساكنيها هو اول ما يسمعهُ الانسان في الشرق والغرب ويعتقد به فمنذ اول ادراكي ومعرفتي كنت اسمع بمزامير داود النبي والملك واقرأ ما ورد فيها عن صهيون جبل قدسه وسليمان وحكمتهِ وامثاله وغناه وما اشبه حتى انني كنت اتشوق كثيراً لمعرفة مركز هؤلاء الانبياء والملوك الذين هم حتى الان مخلدو الذكر رغماً عن تقدم العلوم والمعارف وما استطاع احد من الفلاسفة او العلماء ان يشتهر نظيرهم ولم يزل زبور داود في كل لغة منتشراً يترنمون به في كل كنيسة كما ان حكمة سليمان وامثاله لم تزل حجة الاقوال وليس عن عبث احترم الجنس البشري هؤلاء الانبياء والملوك معاً واكرمهم وهذا الامر نادر جداً لولا عناية مخصوصة ولا جرم بان الارض التي وطئوها ممتازة كامتيازهم عن باقي البشر . اما الامر المهم الذي جعل اورشليم قدس الاقداس فهو وجود المسيح فيها وقصته واعماله ومعجزاته وهذا ما تعلمناه في الصغر ولذلك كنت اتشوق لارى تلك الارض المقدسة ولكن الظروف لم تنلني مأربي الا في هذه السنة بعد رجوعي من

مصر ان ازورها وجعلت شرط زيارتي منوطاً بمينا يافا التي اشتهرت برداءتها وهي التي تمنع اكثر الناس من زيارة القدس غير ان الله اذا اراد امراً سهل وسائطه فقد وصلنا الى يافا ورأيت الميناء بغاية الهدو والسكينة والبحر صافٍ كأنهُ بر فحالاً نزلت من الوابور ووصلت الى البرّ بكل راحة اما فكري فكان مضطرباً لان شهرة هذه الميناء برداءتها لا تجعل الانسان اميناً منها كعادة كل شرير لا يأمن لهُ الانسان ولو تظاهر بالصلاح فزرت بيت الخواجات حاج وبعد الظهر بساعتين توجهنا الى القدس مع نجيب افندي الحاج ومدامة رشيد افندي الحاج بالسكة الحديدية ومررنا بالطريق عَلَى اللد والرملة وسجد ويتر وبعد اربع ساعات وصلنا الى اورشليم الساعة السادسة من سبت النور الواقع في ٣٠ اذار سنة ١٩٠٧ وكان البرد قارصاً والريح عاصفاً

« زائرو اورشليم »

يزور القدس ثلاثة ملل لكل ملة غاية مخصوصة وافكار مخصوصة . يزورها اليهودي والمسيحي والمسلم . فاليهودي يتذكر بها عزه وجاهه وداود وسليمان والهيكل وباقي ملوك امته فيتأسف ويتحسر وينوح فهي له ذكرى حزن في الحاضر وعظمة في الماضي والمسلم يتذكر بها معراج النبي صلعم وصعوده بالمحراب ودخول عمر اليها وصلاته فيها وهي مركز قدس له كانت ولم تزل حتى اليوم اما المسيحي فيتذكر بها صلب واهانة وعذاب واحتقار وميتة معلمه وسيده ذاك الذي لم يجد له مأوى لولادته ولا لموته ولا في حياته ولد في مزود وعاش عَلَى الطرقات ومات عَلَى صليب معلقاً وفي ايام عزه ومجده استعار حماراً وركبه . وتزول هذه الاحزان القديمة عند المسيحي حين يرى ملوك الارض ورؤسائها وشعبها يأتون الى هذا المكان يفتشون عَلَى التراب الذي داسته اقدامه ليمرغوا به تيجانهم فيعرف ان اكليل الشوك قد تسامى عَلَى اكاليل الجوهر فينسى ذلك الحزن القديم ويناجي ذاته قائلاً . بالحقيقة لو جحد البعض الوهية المسيح في السماء فبلا شك بانه اله الارض

القبر المقدس

لا اتعرض لمحل هذا القبر ان كان هو الحقيقي ام لا لان العلماء اختلفوا في آرائهم

بهذا الشان وهل كان خارج المدينة او داخلها وما هذا الامر بالجوهري حتى يؤثر عَلَى الاعتقاد لان المهم بذلك كله ان حكاية المسيح جرت في هذه المدينة ولا احد ينكر مجيء المسيح اليها وصلبه وموته فيها ولا بد لاي محل يدوسه الانسان فيها ان يكون قد سبق وداسه المسيح فقبره كمحل اقامته لانه لم يبقَ في القبر سوى ثلاثة ايام وقام من بين الاموات كذلك معرفة محل صلبه ليس بالامر الجوهري لان المكان اذا لم يعرف بالوضع فبالتصور ومع ذلك فقد اجمعوا منذ القديم عَلَى هذا المحل بكونه القبر المقدس وهب انهم اخطأوا بحكمهم فطول الزمن الذي قد مرّ عليه يجعل له الاحترام وبعد ما انتهينا من هذه الزيارة التي لم استعد فيها لفكر تخشعي نظرًا لظروفها وعدم الاحتشام الديني لان كنيسة القيامة والقبر المقدس كانا كسوق يدخله الزائرون ويدورون حيث لا يستقرون في محل للصلاة وفي كل جهة يسمع الانسان الصياح بكل اللغات والعساكر تسير بكل جهة وقد كان يخشى الجميع ان احدى الطوائف تدوس محلاً لا يخصها او تطفئ قنديلاً لا تمتلكه لئلا تقوم القيامة فافتكرت بان المسيح الذي اتى الى الارض ليعلم السلام والوئام فقد ابدلوا تعليمه بالاختلاف عليه فعندئذٍ ركعت امام القبر وقلت مصليًا

سيدي يسوع مها جئت من رحمةٍ للناس مذ خلصتهم
لا يوازيـ شر من قد خالفوا ويقولون بان خلفتهم

وخرجت من ذلك المحل تاركاً ما كان عندي من بقايا الدين عَلَى باب القيامة

الجامع الاقصى

في ظهر ذلك اليوم اتانا احد انفار الجندرمه من قبل نجيب بك القباني مدعي عمومي القدس ليتوجه معنا لزيارة الجامع الاقصى وهو ابن صاحب السعادة عبد القادر افندي القباني مدير معارف ولاية بيروت ولا استطيع وصف ما هو عليهِ هذا الشاب من الادب والمروءة والاخلاق الحسنة ومن ترجمة سعادة والده يعرف ان هذا سجية طبيعية متأصلة في العائلة

ولا استطيع وصف الدهشة التي المت بي حين اشرفت على القسم الذي فيه الجامع الاقصى وهو جبل موريا حيث كان هيكل سليمان (ابي الهادى) وحيث اعتمدت ان لا اذكر ما ذكره غيري اقتصرت عن ذكر جبل موريا والجامع الاقصى القائم عليه واقول بالاختصار انه اول جامع مما رأيتهم في حياتي

« عبد القادر افندى القباني »

ولد السيد عبد القادر افندى قباني ابن السيد مصطفى الذي نال من ساكن الجنان السلطان محمود رتبة اسطبل عامره مديرى في بيروت سنة ١٢٦٥ هـ وفي سنة ١٢٩٢ تحصل على امتياز جريدة ثمرات الفنون التي خدمت ولم تزل تخدم الوطن واول دخوله في خدمة الحكومة كان عضواً لادارة بيروت ثم عضو محكمتها الابتدائية ثم عضو محكمة الاستئناف ثم وكالة رئاسة البلدية ثم رئيساً للبلدية ثم مدير المعارف في ولاية بيروت بارادة سنية ولم يزل فيها صاحب الرتبة الاولى صنف اول والنيشان المجيدي الثاني والعثماني الثالث ومدالية التخليص ومدالية السكة الحديدية الحجازية ومدالية وصول السكة الى معان وهو اخو السيد سعد الدين باشا القباني الذي توفي سنة ١٣١٨ الذي من اولاده سعادة عبد الغني باشا فينتج من ذلك ان هذه عائلة كريمة خدمت مدة طويلة الحكومة ولم تزل اولادها ماشية على الخطة ذاتها فلا عجب من امانة وصدق نجيب بك

« الروح القدس المقوي المعزي »

من عرف تاريخ الرسل قبل حلول روح القدس عليهم و بعده يعتقدون دون شك بانه هو الروح المقوي ومن كان يظن بالرسل جبناً كهذا ليلة مسك المسيح ونكره بطرس وفر رفقاؤه عنه بعد ان اجرى لهم تلك المعجزات العظيمة وكيف انهم بعد حلول الروح القدس عليهم جاهروا بايمانهم وسلموا ذواتهم الى الموت وطافوا الارض مع انهم خافوا قبلاً من رجال قيافا والبرد وكيف انهم بحالة جهالة كانوا يعمهون وهم دائماً في شك يتعجبون لكل كلمة يسمعونها وقد كتبوا فيما بعد ما كتبوه كرسالة مار بطرس و يعقوب ومن يقول ان هذا الكلام يصدر من صياد ومن اين اتته تلك الشجاعة التي دعته ان يذهب الى رومية وسواها و يعرض نفسه للموت و بالحقيقة ان

روح القدس هو الروح المعزي المقوي المنير للعقول الذي جعل البكم فصحاء وبالية كان حل عليّ وعمل معي خلاف ما عمله مع الرسل الذين وهبهم الفصاحة وباليته كان امسكني واخرسني فلكنت استرحت من كل منتقد

« الزيارات »

وقد كان معنا في زيارات البطريرك اللاتيني ورئيس دير الفرنسيسكان والمتصرف وقنصل فرنسا المونسنيور الخوري يوسف المعلم الوكيل البطريركي الماروني في القدس وهو رجل مجتهد وصاحب غيرة وحمية وله صداقة مع رفيقي نجيب افندي بحيث انزلنا عنده فراينا جماعة من الزوار الموارنة نازلين هناك والمحل متسع لكنه منفرد وليس فيه تذكار وهو داخل المدينة وقد اقام المونسنيور يوسف كنيسة باسم مار مارون وعندما نظرت غيرته نظمت له الابيات الاتية ومحل المطرانخانة في جبل صهيون

قد كان يوسف للمسيح معلماً ‏ ‏ واتى به يوماً الى صهيونا
واليوم يوسفنا الجديد لقد اتى ‏ ‏ واقام في صهيون مار مارونا
ولكثرة الزوار دوماً حوله ‏ ‏ لحسبت صيهونا غدا البطرونا

ففي اوقات زياراتي وجدنا رئيساً مدعياً غشيماً كما هي العادة فعرفونا به فقلت شعراً

وعندما زرت قدساً زرت اديرةً ‏ ‏ للقبط والروم سريان ولاتين
قد كان ما بينهم علجٌ يظن به ‏ ‏ في سن خمسين او في سن ستين
قد عرفوني به تعريف مشتهر ‏ ‏ بانه خير قسٍ في فلسطين
من نسل ذاك الذي يسوع شرفه ‏ ‏ اذ قد علا ظهره يوم الشعانين

« زيارة المتصرف »

في مساء يوم الثلاثاء زارنا نجيب افندي قباني كما قدمت وطلبنا منه ان نزور المتصرف فاجاب طلبنا وفي اليوم الثاني توجهت معه وصحبنا الخوري يوسف ونجيب الحج فرأيت المتصرف من الظرف والطف الشبان يتكلم اللغة الفرنساوية ويجيدها كافرنسي وهو ابن كمال بك الشاعر الشهير وقد علمه والده سائر العلوم في منزله ثم خدم المابين الهمايوني ست عشرة سنة واول وظيفة تولاها في الخارج هي متصرفية القدس

وبدعى علي اكرم بك وقد نظمت له هذه الابيات

فلو عيسى جاء القدس قصد كرامة لكان عَلَيّ ذو الكمال له اكرم
وكان له من كل كيد مخلصاً ولم يدع المظلوم في حكمه يظلم
فمن كان من بيت الكمال شعاره فلا عجب ان بات في حكمه يرحم

« بيت لحم اي بيت الخبز »

هي افراته القديمة ومعناها المخصبة لانها اخصب ارض هناك تبعد عن القدس تسع كيلومترات ويمكن الزائر ان يقطع هذه المسافة سيرًا عَلَى الاقدام كما يفعل زوار الروس

وبعد ذلك وصلنا الى بيت لحم وكانت اصغر قرى يهوذا ولكن نظرًا للحادثتين اللتين جرتا بها فقد اشتهرت جدًا وهما ولادة داود وتكريس صاموئيل له فيها وولادة المسيح وهي قائمة عَلَى سفح جبل محاط باراض مخصبة بالزيتون والفاكهة بعكس القدس المحزنة القاحلة

المغارة

التي ولد فيها المسيح ولم تزل في محلها لا يشك فيها كما يشك في القبر المقدس وقد بني عليها كنائس واديرة وفيها كنيسة للروم من عهد الملكة هيلانة وكنيسة ثانية للارمن والثالثة للاتين باسم القديسة كاترينا وهي بيد الرهبان الفرنسيسكان

اثر عليّ مرأى المغارة عكس تأثير كنيسة القيامة ففيها ترى التأمل والسكوت وبها يركع الزائر ويصلي ولا احد يعكر صفاء تأمله فهي خشوعية اكثر من كنيسة القيامة وقد افتكرت في غشم هيرودس الذي يدعي المعرفة والسياسة بكونه اتكل عَلَى المجوس ليرجعوا ويعطوه الخبر عن المسيح فما هذا فعل رجل سياسي فكان يلزمه عندما رأى غرباء يفتشون عَلَى ولادة ملك ان يصحبهم برجال من عنده ليعرف تصرفهم ويطلع عَلَى الحقيقة ولا ينتقم من الاطفال فكان اولى به ان يقتل نفسه لخطاه السياسي عوضاً عن الاطفال ولكن هذا امر الهي لا ندركه كما وان المجوس اول من

امنوا في المسيح ولحد الان لم يؤمن به احد من بلادهم لانهم من الفرس او الشرق كل ذلك عجيب

« نادرة مع اهالي القدس »

في احد الليالي حضر عدة اشخاص لتمضية السهرة معنا وكان بينهم رجل ظريف لطيف جداً فقال لي قد اتيت الى هنا لتتقدس دون شك منا لاننا قوم مقدسون ومنا ظهر كافة الانبياء والمسيح قد اتى في وسطنا فاجبته ان المسيح اتى اليكم لا لقصد الاكرام بل لانهُ عرف انهُ سيصلب فداءً عن البشر فنزل الى الارض لهذه الغاية من اعلى السماوات وتسأل عن ارذل خلقهِ في الدنيا ليتجاسر و يصلب ابن الله ولم يرَ بين مخلوقاته شراً منكم فاتى اليكم لتصلبوه وكما انك لو رأيت عدة اطباء خارجين من محل ما فتعرف دون شك ان اجتماعهم انما لمداواة مريض وحيث الانبياء هم اطباء الروح وروحكم مريضة لذلك اجتمع الانبياء عندكم لاصلاحكم ولكنهم لم يفلحوا فاتى اليكم المسيح ولما يئس منكم قال عنكم مخاطباً مدينتكم يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين كم من مرة اردت ان اجمع فيك بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها وما تريدين . فاذا كان المسيح ما جمع كلمتكم هل من بشر يقدر فيما بعد علَى ذلك

فضحك وقال احمد الله لكوني لست من اصل قدسي والحق يقال ان سكان القدس الان هم غير الذين كانوا في زمن المسيح بل هم جماعة من سائر الاجناس والملل والنحل ينطقون بسائر اللغات كأنهم غاروا من الرسل فحل عليهم الروح القدس ثانية واتقنوا سائر اللغات ومجمل القول اننا في الساعة الثامنة من يوم الاربعا الواقع في ٣ نيسان سنة ١٩٠٧ توجهنا الى يافا ووصلنا اليها الظهر تماماً فذهبت مع رفيقي نجيب افندي الحج الى منزله وسألت عن ميعاد الوابورات الذاهبة الى بيروت فقيل لي ان في الغد وهو يوم الخميس يسافر الترنساوى منها فسررت جداً

« كنيسة الطائفة المارونية في يافا »

بعدان وصلنا الى يافابنصف ساعة درى بنا الاب الدكتور القس بولس عبود من افراد الرهبان البلدية من غوسطا وهو ابن اخت الرئيس العام المرحوم مرتينوس غطاوي

الذي تولى الرئاسة العامة من مدة طويلة وشقيق المثري الشهير بطرس عبود وقد تلقى دروسه في رومية حتى حاز شهرة عظيمة جداً وحين اتى الى يافا رئيساً للدير رأى كنيستها صغيرة تكاد لا تذكر فجمع لها الدراهم اللازمة لاجل انشائها وكلفته مبلغاً طائلاً فاقامها على نسق بديع جداً وقد تم بناؤها وزارها البطريرك الياس عند ذهابه الى رومية وبعد حضوره توجه سيادة ابن عمنا المطران شكرالله الخوري الى هناك وكرسها لانها تابعة لابرشيته وانها تخص الرهبنة البلدية الذي كان رئيسها يومئذٍ الاب يوسف رفول الاجبعي وقد وعدت الاب المذكور بتقديم تاريخ للكنيسة لانها مشيدة على اسم مار انطونيوس فنظمت له الابيات الاتية

اقام بولس عبود لملته　　مقام دين بشكر الله كرسه
قد زاره البطرك الياس الذي اشتهرت　　افضاله فلذاك الله قدسه
رهبان لبنان في ايام يوسفهم　　قد وكلت فيه انطونا ليحرسه
لذاك تاريخه قد حق عن ثقة　　لا يهدم الله ركناً كان اسسه

سنة ١٩٠٧

وقابلت في ذلك النهار الشيخ سليم بن الشيخ خطار الدحداح استاذي القديم وهو شاب ذكي اديب متعلم ورئيس ادارة رژي التنباك واحواله على غاية ما يرام فسررت جداً لمرآه وكان من جملة الاصدقاء الذين قابلتهم شكيب افندي الحج شقيق نجيب افندي وهو محرر النفوس بقضاء يافا ومداخلاته حسنة مع القائمقام وكان مركزه في الميناء يتناول الجوازات من الركاب فطلب مني ان انظم بعض ابيات لقائمقام يافا محمد رضا افندي لانه صديقه فاجبت طلبه وقلت

يا يافا (١) انت جميلة　　وجمالك لا ينقضي
هبت عليك عواصف　　وزوابع لا ترتقي
فالان كوني امينة　　من كل شر قد مضى
من ربك ومليكك　　ومحمد نلتِ الرضا

(١) يافا لفظة سريانية معناها جميلة

وفي يوم الخميس بعد الظهر بساعتين توجهت الى الوابور فقام عند غروب الشمس

وفي الساعة السادسة من يوم الغد في ٥ نيسان وصلنا الى بيروت حيث لاقاني اولادي وديع وحليم

(نكتة) طلبت من بعض اصحابي واسمهُ كامل قضاء حاجة الى صديق لي والححت عليه جداً فاجابني ماذا تفعل اذا ما قضيتها اجبتهُ يصير كل منا عكس اسمه

(نكتة اخرى) كنت في مجلس واذ دخل علينا رجل اسود الوجه مع زوجة تخجل البدر فابتدا الحاضرون يشيرون بعضهم بعضاً ويتغامزون كما هي العادة ويقول كل بفكره بالخسارة فقلت بذلك

تكدرت الخواطر مذ رأينا　　برفقة اسود بدر التمام
فلا عجبٌ بذا اذ قد عرفنا　　بانَّ البدر يطلع في الظلام

(اميل باغوص) تعشق عينك هذا الشاب لطيف الخلق والاخلاق لاول نظرة تنظره وتلحقها اذنك لاول حديث منهُ تسمعه ويتبعها قلبك عندما ترى الاخلاق الكريمة والمروءة والشهامة وبعد ربع ساعة تصبح كلك له وكله لك هذه اوصاف العائلة وقد طلب مني كتابي تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب فقلت له

ارسلتَ تطلبُ مني تحفةً جمعتْ　　لنصح متزوج او زيجة العذب
كي تلقى من نصحها يوماً بلا تعب　　نسلاً جميلاً صحيح الخلق والادب
فسل اذا شئت عن ذا السر والدة　　تغنيك عن كلما قد جاء في الكتب
لانها وضعتكم في الدنى مثلاً　　للطف والظرف من عجم ومن عرب

رآني احد الشبان كنت اعرفه قديماً فقال لي بهزء قد شبت وما عدت تنفع فاجبته الحمد لله الذي ابقاني لارى شيبي وربما انت لا تراه

وقلت في وغد متفرنج كان يلبس برنيطة ويحدفها الى الوراء ويمشي متعجرفاً كانه خلق البرنيطة وما تقبعها غيره وهو من اصل دني جداً وكان مصاباً بالداء الافرنجي فقلت فيه

انظر لهذا الوغد ما بين الورى　　يتقلد الافرنج من بعد العرى

فتراهُ يجني للورا برنيطةً فكانه اخذ الفرنجي من ورا

قلت في مدرسة كثر فيها الفساد من المعلمين والروساء وعندما حضر رئيسها الجديد قلنا له ما يأتي ليعلم انه اذا مشى مثل سالفه يكتسب الشهرة نفسها وكان يفتخر رئيسها السابق بخيله وعربته وهلمَّ جرًّا

الى ملجا الرئاسة والحضاره ستبدي ما امرَّ من المراره
فليس يهمنا ان كان خيل بياخور وان كانت حماره
ولكنَّ الذي نبغيه منكم تنام براحة في الليل جاره
ولم نسمع صراخاً كل ليل وتهديد البوليس وشيخ حاره
ولا ابقاء مدرسة لفسق لعيرٍ او لاونان سفاره

عير واونان هما اولاد يهوذا ولكي تعرفهما اقرأ الاصحاح ٣٨ من سفر التكوين

(نكتة) التقيت بمطران راكبًا عربة وبجانبه كاتم اسراره وكنت ماشياً وبالصدفة بجانبي كاب فطلب كاتم الاسرار من سيادته ان يسألني عن الذي بجانبي فقال لي سيادته ما هذا الرفيق الذي بجانبك فاجبته كاتم اسراري فضحك ما عدا الكاتم الذي كتم الغيظ اكثر من السر

ونظمت تاريخاً لدار الخواجه درويش الشيخاني حيث طلبه مني عندما كنت في بكفيا ليكتب فوق البوابة ١٩٠٦

هذا جزاء الذي قد بات مجتهداً وضيع العمر في جد وتفتيش
نال الغنى والمنى والجاه مفتخراً باسم نقيٍ بلا عيبٍ وتخديش
في سفح لبنان والتاريخ قيده قد بات ايوان كسرى بيت درويش

ويوجد في بكفيا عائلة عظيمة ظهر منها في كل زمن رجال عظام وهي عائلة بيت زلزل الذي منها الان الشهم اللطيف السياسي فيليب افندي زلزل من متوظفي قنصلاتو فرنسا في بيروت وهو الوحيد من ابناء العرب الموجود في القونصلاتو وكل ذلك من استقامته وصدق مودته وامانته

« جرائد بلادنا »

اذكر ما قرأته وعرفته منها اولها جريدة لسان الحال لصاحبها خليل افندي

سركيس صاحبي القديم فهو الذي عرفني بالجريدة وليس هي عرفتني به وهو رجل اديب لا يحب المجادلة اسهل من الماء يمتزج مع الكل وكذلك جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القباني ثم جريدة بيروت لسعادة عبد القادر افندي الدنا رئيس بلدية بيروت الحالي ورئيس مجلس التجارة سابقاً وهو من اصحاب السلام وممتزج مع كل الانام

ولي في جريدة البشير مقالات كنت انشرها من كتابي نائب الطبيب كما وان لي في مجلة المشرق جملة مراسلات علمية

والجريدة التي لم تزل تصاحبني لليوم منذ ظهورها هي جريدة الارز فاصحابها اثبت من الارز بالصدق والمودة والمبادي وهما الشيخان فيليب وفريد الخازن ولي في جريدة الروضة مقالات ايضاً كما وفي جريدة المهذب لصاحبها حضرة الاب بولس الكفوري الذي ذكرت عنه

هذه هي الجرائد التي قرأتها وعرفتها واقدمها في بيروت حديقة الاخبار للمرحوم خليل افندي الخوري

(نكتة) كنت مشتركاً باحدى الجرائد وعند آخر السنة ارسل صاحب الادارة يطلب قيمة الاشتراك فارسلت له نشرة كتابي مجمع المسرات وقيمة الاشتراك دفعة واحدة فقبل بكل مرور المبادلة فحررت له ان قيمة جريدتكم وكتابنا واحدة الان ولكن الفرق بينهما في آخر السنة اين يكون كل منهما

(نكتة اخرى) ارسل لي صاحب جريدة جريدته بدون طلب مني فكانت تخبرني عن كل من مات وتمم واجباته الدينية (كانني مأمور الانفس) وعن المرطبات والالوان التي قدمها فلان عندما شرفه فلان (كانني عشي) وعن الزياحات والاحتفالات التي اقيمت في عيد القديس الفلاني (كانني من المرسلين) وعن تشريف الاجل الاكرم او قدس فلان او عدالة فلان قبلما يصلوا وبعد مدة حضر من قبله وصل لدفع الاشتراك الذي قيمته ثلاث ريالات مجيدي فقلت الى الرسول هل معك ثلاث ريالات لاعطيك ليرة انكليزية قال نعم فدفعها لي ثم حررت له وصلاً اقول فيه وصلني ثلاث ريالات مجيدي من فلان الفلاني اجرة قراءتي جريدته فتعجب

الرسول فقلت له خذها له اخيراً اخذها الى صاحب الجريدة وبعد ما حلف لا يرسلها لي فيما بعد ارجعت له الثلاث ريالات

(الدور الثاني لمتصرفي لبنان)

يوسف باشا فرنكو متصرف لبنان السابع

واول متصرف ابن متصرف لبنان ٠ تموز سنة ١٩٠٧

ولد دولته في الاستانة العلية سنة ١٨٥٨ وتعلم العلوم في بيته وفي سن العشرين دخل في الخارجية واصبح مدير القلم الخصوصي لرابورتات السفراء والخارجية ولم يخرج منها الا متصرفاً على لبنان وقد الغيت من بعده هذه الوظيفة

تزوج بالسيدة لوسي كريمة كبورال صاحب بنك في الاستانة افرنسية الاصل ذات صفات ممدوحة لا يهمها اشغال المتصرفية ولا يمكننا نقول شيئاً عن دولته لانه مستجد ًا ولكن الذي شاهدناه لحد الان يدل علَى انه رجل حزوم عزوم ذو اهابة والبرهان انه قبل حضوره كان لبنان مضطرباً جداً لان السنة الاخيرة لمظفر باشا كانت توجب الاضطراب لانه كان مريضاً لم يمكنه حفظ النظام فاصبحت الاهالي غير معتبرة الحكومة وكان كل واحد من المتوظفين كمتصرف لان علَى العموم متى كان الحاكم ليناً يستبد كل مأمور وبالعكس متى كان صارماً لم يكن غيره فالاحسن استبداد واحد ولا مئات فعندما حضر اوقف كل واحد علَى حده فرأوا منه القوة وعدم السماح لمن يخطئ ويتعدى الحقوق واهم شيء عدم قبول الرجاء في معزل وعدم تأثير احد علَى فكره واعتداله مع الاحزاب الذي يريد كل منهم ان يهلك الاخر فهذا كفاية الان وانشاء الله نرى منه اصلاحات عديدة كما نرى من استعداده ومن عدله ابقى كل متوظف في محله وابتدى يفحص عنه فغير البعض وابقى الكل تقريباً وهولاء هم المتوظفون الحاليون

مأموري يوسف باشا

(وكيله في الادارة) الامير قبلان ابي اللمع رجل الحزم والصدق مع الاصحاب

وله من عزة النفس اعزها ولا يسمح لاحد بدوس حقوقه

(رئيس دائرة الحقوق) سليم افندي ثابت

(رئيس دائرة الجزاء) مصطفى بك العماد

(المحاسبه جي) هاشم افندي

(وكيل المدعي العمومي) سليم افندي باز

(رئيس القلم الاجنبي) الشيخ يوسف يعقوب حبيش رجل محب السلامة ولا احد يتشكى منه الا الكرسي وهو قادر في الافرنسية

(رئيس القلم التركي) ناصيف بك الريس

(رئيس القلم العربي) خليل بك الخوري ابن المرحوم الشيخ بشاره الشهير وهو من الفرع العلمي لعائلة مشايخ الخوري من رشميا

(ترجمان اول) اسعد بك التويني ابن المرحوم اسكندر بك التويني هذا الذى جدده دولته نظراً لخدامات والده مدة ٣٦ سنة وهذا شاهد على عدل وذمام متصرفنا

(ترجمان) الامير فائق سعد شهاب البق من ترجم واصدق من خدم صاحب المودة والزمام

(رئيس قلم الاوراق) نخله بك الخوري

(مدير دير القمر) ملحم بك ناصيف

(قائمقام كسروان) سليم بك عمون ١٩٠٨ حبيب بك البيطار

(قائمقام البترون) الشيخ رشيد الخازن

(قائمقام الشوف) الامير توفيق نجيب ارسلان

(قائمقام المتن) الامير مالك شهاب

(قائمقام جزين) حبيب بك البيطار ١٩٠٨ اسعد بك لحود

(قائمقام زحله) سليمان افندي الجاهل ١٩٠٨ الياس بك الباشا

(قائمقام الكوره) الياس بك مجدوني

وقد اوجد دولته هاتين المأموريتين وهما :

(مفتش العادلية) سليم بك ظاهر المعوشي
(مفتش المالية) نمر افندي شمعون
وقبلما انهي كتابي اريد ان اضع هذه المقالة التي نشرتها في المشرق لان فائدتها عظيمة وهي

التدخين

والدكتور شاكر بك الخوري
مدرس الاكلينيك العيني والجراحة الصغرى في المكتب الطبي

بعث الينا الدكتور شاكر بك الخوري الرسالة الآتية :

سيدي مدير المشرق المحترم

ابعث اليك بهذه المقالة التي كتبتها منذ اربع سنوات وما كنت اتجرأ على نشرها لاني كنت اكذب قولي بعملي « ولا نفع في قول يكذبه الفعل » واما الان « فقد تطابق عندي القول والعمل » وتركت تلك العادة التي استعبدتني خمسين سنة فلا اخشى من ان ابعث بهذه النبذة راجياً ادراجها في مجلتكم الغراء عساها تفتح عيون المبتلين بداء التدخين وتحملهم الى التخلص منه كما فعلت انا . وقبل الخوض في بيان اصل الدخان واضراره اذكر تاريخ عبوديتي له وتحرُّري منه تفكهةً لقرّاء المشرق الكرام ورغبةً في انقاذ من كان مثلي عبداً لتلك العادة السيئة

١

« تاريخ عبوديتي لشرب الدخان » بدأت بالتدخين وانا ابن سبع سنوات وقد كنت مدفوعاً الى ذلك بمشاهدتي شيوخاً زانهم الشيب ووقار العمر غلايينهم في افواههم كل اين وآن وزاد تشوُّقي بما كنت اشاهده في بيتنا ايام جدي ووالدي في ليالي الشتاء الطوال حيث كان يجتمع عندنا زهاء ثلاثين الى اربعين شخصاً كل ليلة فيمد كل واحد قصبة غليونه الطويلة امامه ويحشوه تبغاً ثم يشعله فيتصاعد الدخان كثيفاً كأنه خارج من المداخن فيملأ البيت فيكون تأثيره في المستنشق اشد من

تأثيره في المدخن نفسه · فلما كنت ارى ذلك كانت تدفعني الرغبة الى ان اجرب وافعل ما يفعله اولئك وكان بامكاني ان احصل الدخان دون عناء ولا مال لان ابي كان يدخر منه مؤونة كاذخاره للحنطة · واما جدي ووالدي فكانا يمنعاني عن التدخين باشد العقوبات لكنها لم تكن تؤثر فيَّ اقل تأثير حيث كنت اقول في نفسي : ان كان التدخين شرًّا فلمَ لا ينقطعان عنه هما · واذ لم اجد برهاناً يقنعني بابطاله مضيت في سبيلي وركبت هواي وداومت التدخين وهذا ما منعني عن نشر ما انشره الان قبل الاقلاع عن عادة اذمها وانا ملازم لها

لا تنهِ عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

فاحسن الوعظ المثل ومن لا يعمل حسب ما يقول لا يصدق فبقيت اذ ذاك مواظباً على التدخين مستعملاً التبغ البلدي ثم انتقلت من هذا الى تبغ الرجي حتى بلغت بي العادة الى تفريغ ثلاث علب نمرو ٢ يومياً وذلك عبارة عن احراق ستين لفافة (سيكارة) في اليوم ولبثت على ذلك لغاية يوم الاثنين الواقع في ١٤ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٤ صباحاً عند الساعة السادسة اذ مددت يدي الى جيبي لاخذ العلبة حسب مألوف عادتي فعنَّ لي ان اقلع عن التدخين · وقد كنت نهار الاحد احرقت ستين لفافة فاخذت العلبة وكتبت عليها اليوم والساعة والسنة كما ذُكر ورميتها في الصندوق واقفلته وخرجت الى شغلي في مستشفى راهبات المحبة العازريات

ولكن يا له من يوم شديد عليَّ فلا اظن احدًا كان في وسعه ان يراني في تلك الحال و يتمالك من الضحك اذ كنت امد يدي الى جيبي واخرجها فارغه وكنت معتادًا ان اشعل في كل ربع ساعة سيكارة فكانت اذ ذاك تأتيني النوبة في كل ربع ساعة مرة وانا اصبر نفسي فقضيت ثمانية ايام على هذه الحال وكادت تنقطع مني الانفاس · فعمدت الى النارجيلة تخفيفاً لبعض مما كان بي و تسلية لنفسي في انفرادي وتنبيها لفكري حين الكتابة لظني ان التدخين ينبه الفكر و يسلي خاطر المنفرد وانا كنت اكتب وانا منفرد وحدي · فالنارجيلة التي اخذتها لمجرد التسلية اصبحت على تراخي الزمن عادة جائرة فكنت ابتاع اجود جنس من التنباك واتقن نظام النارجيلة

لانها لا تلذ المبقبق فيها ما لم تكن منظمة غاية التنظيم . لذلك كنت انتهر الخادم لاهماله وتارة انضجر لانطفاء الفحم وأصبت بالنزلة الصدرية فتوفرت عندي الاسباب لترك النارجيلة فتركتها واصبحت حرًّا معتقاً من التدخين والبقبقة . واذ مضى عليَّ سنة وشهر من ذلك العهد اعتقدت اني ابطلت العادة واصبحت مالكاً قياد نفسي فعدت الى تحبير مقالتي هذه وفي اثنائها كنت افتكر بالعقوبات التي حلت بي بسبب التدخين في البيت من قبل جدي ووالدي وفي مدرسة عين طورا من قِبل النظار والروساء وانا لم اكن ارتدع ولا ارعوي وكم كنت اقدم من الاعذار الفارغة لمن يشير عليَّ بابطاله فكان يقول لي كل من يراني بعد الغداء اشعل سيكارة وراء اختها الى الخامسة : يا دكتور انت طبيب وتعتقد بضرر التدخين فلماذا تستعمله اذن ؟ فكنت اجيب اني اعتدتُ عَلَى التدخين قبل الطب . فما امهر الانسان في استنباط المعاذير الفارغة للدفاع عن امياله المنحرفة او ارادته عَلَى كل ما نوى . ومن قال : « لا استطيع الاقلاع عن عادة التدخين او عن غيرها من العوائد المضرة » فهو ضعيف الارادة ليس الا — انتهت حكايتي مع التدخين فلنبحث الان عن تاريخ استعماله وعن اضراره

« التبغ والتدخين به » ان الخالق جعل في الارض نباتات تختلف طوائفها وانواعها الى ما لا حد له ولا عد فهمجيو امريكا الاولون كانوا يؤثرون النبات عَلَى اللحم وكانوا يأكلون من كل الحشائش فعرفوا بالاختبار والمشاهدة ان التبغ ليس بغذاء بل انما هو نبات مقيء سام فكانوا يسممون بعصارته اسهمهم لابادة اعدائهم . فلما شاهدوا فتك سمه بالاعداء رفعوه الى رتبة الالهة ودعوه باسم باتن (Pétun) فهذا كان دأب الانسان قديماً فكان يعبد النافع لمنافعه ويسجد للمضر تخلصاً من اذاه وقد كانت تقام لهذا الاله اعياد مخصوصة يُحرق فيها التبغ فيستنشقون دخانه وتلذ لهم رائحته فنشأت من جرَّاء ذلك عادة التدخين وانتشرت عبادة هذا الاله في كل الاقطار وكل يوم يزداد عدد المتعبدين له الدائنين بدينه حتى بلغ الرسم عَلَى الدخان في انكلترا ٢٠٠ مليون فرنك سنوياً وفي فرنسا ٣٠٠ مليون وفي الولايات المتحدة ١٢٥٠ مليوناً . ويبلغ عدد الذين يستعملون الافيون ومركباته ٤٠٠ مليون والذين

يستعملون الحشيشة ٣٠٠ مليون عدا المولعين بالكوكا والبيتال (Pétal)

« اسم التبغ ومادته السامة » ان اصل التبغ من الهند الغربية وجده الاسبانيون في جزيرة (Tabago) فسموه باسم الجزيرة تاباغو فعرَّبه العرب ودعوه تبغاً وفي سنة ١٥١٨ ارسل بزره الى الملك كارلوس الخامس فاقتبله كهدية من البحارة الاسبانيين وفي سنة ١٥٦٠ قدّم هدية منه يوحنا نيكوت سفير فرنسا وقتئذٍ في البرتوغال الى الملكة كازين دي مدسيس فعُرف باسم حشيشة الملكة ودعاه غيرهم بحشيشة نيكوت . ثم خصوا باسمه ما يتضمنهُ التبغ من المادة السامة فدعوها بالنيكوتين

والنيكوتين من اقوى السموم واسوإها فعلاً بعد الحامض السيانيدريك فالمقدار الموجود منهُ في سيكارة واحدة يبلغ ٧ في المائة وهو اذا استحضر بالنقع يقتل رجلين واذا وضعت نقطة واحدة على لسان كلب تميته الفور واذا استنشق المستحضر رائحته يموت في الحال

وكمية النيكوتين تختلف في ضروب التبغ وكلما زاد مقدار النيكوتين عُدَّ الجنس اجود فالدخان اليوناني والمجَري يتضمن واحداً في المائة والعربي والبرازيلي والمافاني والباراغي اثنين في المائة . واللو (le Lot) وهو اقوى الاجناس ٦ و ٧ و ٩ في المائة

٢

« مفاعيل الدخان » ذكر الاطباء انه بين ٣٠٠ ولد يشتغلون في معامل التبغ لاحضار اللفائف قد اصيب ٧٢ بامراض مختلفة في سنة واحدة ومات بعضهم

فالتدخين يؤثر كثيراً في الاعصاب المرافقة للشرايين وعلى التمادي يضعف النبض ويجعله مضطرباً متقطعاً وكثيراً ما يحدث الموت

واشد الاعضاء تأثراً من التدخين هو القلب فيحصل من جراء خفقان وعدم انتظام في الدورة الدموية واغماء

ومن تأثيره في المعدة انه يسبب عسر الهضم ويفقد شهوة الاكل سيما اذا استعمل على الريق

وكذلك يوثر في العين فاني قد ذكرت في كتابي صحة العين الداء المعروف بالكمنة (amblyopie) و يصبب عينًا واحدة وهذا ما يميزه عن الكمنات الاخرى التي تختلف اسبابها وما الكمنة الا نوع من العمى فترى المصاب بها يمشي وهو رافع رأسه طلبًا للضوء على عكس المصاب بالماء الزرقاء او الكتركتا فانك تراه منكسًا رأسه الى الارض هربًا من النور وكذلك يعرف جنس المرض من مشية المريض

وللتبغ تأثير في للفم فيسبب احيانًا فيه اورامًا سرطانية وقروحًا وغير ذلك من انواع البثور · لكنهُ اشد تأثيرًا في المخ فانه يسبب الامراض العصبية والصداع والجنون احيانًا · و يحدث في الذاكرة آفة النسيان فيغفل المدخنون خصوصًا عن اسماء الاعلام · وهذا من غرائب الامور فانك ترى لبعض الاشخاص ذاكرة عجيبة فاذا اكثروا من التدخين مدةً اعتراهم هذا الداء فلا يذكرون اسم فلان وفلان مع انهم يتذكرون بقية الاشياء

وقد شوهد قلة العمل والكسل عند المدخنين فقد اختبرت الامر بنفسي لما كان العملة يشتغلون في اراضيَّ فالذين كانوا يواظبون على التدخين كانوا قليلي العمل والنشاط بطيئي الحركة يضربون الارض بكسل لارتخاء اعصابهم فضلاً عما كانوا يضيعون من الزمان بلفّ اللفائف واشعالها · ولاضاعة الوقت كانوا يستعملون القداحة · فلتلافي الامر كنت ابتاع علب كبريت وادفع لمن لا يدخن عشرين بارة علاوة عمن يدخن وذلك بحق وصواب · وقد لوحظ في المدارس ان الطلبة المولعين بالتدخين بطيئو الحافظة خاملو الذاكرة · وقد لوحظ ايضًا في الجنود ان اصحاب التدخين هم اقل شجاعة ممن سواهم و بالجملة ان كل مدخن كثير الكلام قليل العمل

وزد على ذلك ان للتبغ عملاً سيئًا في جهاز التنفس وكثيرًا ما يؤثر التدخين في الصوت والحنجرة لذلك ترى الكثيرين من المولعين به تبحّ اصواتهم او يصابون بامراض الشعب والسل

اما النساء فقد ذكر الدكتور برادل انهنَّ اذا اشتغلنَ بمعامل التبغ كان حملهنَّ نادرًا وان حملنَ يسقطنَ الجنين او تكون اولادهنَّ ضعفاء البنية

« تأثيره الادبي والمادي » وجد بعد الاحصاء من بين ٦٠٣ اولاد ممن يتعاطون السرقة ان ٤٣٥ ولداً يألفون التدخين · وهكذا قل عن القتلة وبقية المجرمين فاكثرهم من اصحاب التدخين · واقول بالجملة ان جميع المخدرات مؤذية مادياً وادبياً وصحياً لكن اكثرها ضرراً واذية الدخان

وللتدخين ما عدا ما ذكرنا تأثير مادي ايضاً فاذا اعتبرنا تعطيل الاراضي التي يزرع فيها الدخان والحريق المسبب عن السيكارة وتعطيل اوقات مستخدمي التبغ والمدخنين وسائر المهربين ونفقات التدخين لوجدنا الخسائر باهظة و تستلفت الانظار اشد استلفات · فانك ترى المدخنين لا ينفقون على الطعام والشراب مقدار ما ينفقون على التدخين · فقد اتفق لي ان رجلاً اتاني لمعالجة عينيه فطلبت منه مبلغاً قدره خمسمائة غرش لاشفيه فاجاب انه ليس بطاقته دفع هذا المبلغ لان راتبه الشهري لا يتجاوز هذه القيمة · طلبت منه سيكارة فاخرج علبة نمره ١ تساوي قيمتها ربع مجيدي فقلت له : كم علبة تدخن في النهار · قال : واحدة · فقلت له : ان هذه القيمة التي تنفقها على ما يؤذيك تفي وباود معالجتك فلمَ لا تنفق جزءًا منها على ما يعود عليك بالنفع ويزيل المرض عن عينيك · فاجاب : افضل العمى على ابطال التدخين · فقلت له : ان عمى القلب اشدّ من عمى البصر · فتأمل بهذه العادة وقبحها

والتدخين يضر كثيراً بالحوذيين وخيلهم فان المولع منهم به يوقف الخيل مراراً كثيرة ليلف السيكارة او يشعلها وبعد ذلك يوسع الخيل ضرباً لتعدو بسرعة وتعوض عما اضاعه صاحبها من الزمان فيوجع الخيل ويتعبها لاجل التدخين (فتكون الخيل المسكينة اكلتها على كيس الدخان) · فاذا كنت راكباً في عربة فتأمل بعد اشعال السيكارة بطقطقة الحوافر وانسياب الساط متلاعباً في الفضاء وهزيم الدواليب ولهث الجياد مع الخطر بانقلاب العجلة

وقبل الختام يجدر بنا ان نذكر القرّاء الكرام ان كثيرين من مشاهير الكتبة وفطاحل الشعراء كتبوا عن اضرار التدخين · وقد اثنى الشاعر الانكليزي الجيرون على يعقوب الاول ملك انكلترا لانه قطع رأس راليغ (Raleigh) الذي ادخل في

بلاده التبغ

ويوجد في ايامنا جمعيات كثيرة غايتها مقاومة التدخين كان من اعضا احداهن المرحوم والد الدكتور هاش زميلها الذي شاهدته عندما كان في بيروت فاخبرني عن نجاح الجمعية

وقد يحتج البعض للمداومة عَلَى التدخين بان الدخان يقتل المكروب ويحمي منه كما ادعى الدكتور بيشاليه من مونبليه وهذا زعم وهمي غير مبني عَلَى مبادي العلم الثابتة فقد شوهد المكروب في منقوع الدخان وقد وجد بالاحصاء ان الوفيات بالسل والهواء الاصفر وبقية الاوبئة كانت في المدخنين اكثر مما كانت في غيرهم

وكفى بما مرّ لاظهار مضرّة التدخين حتى لا يخال قولنا من قبيل التخويف والتهويل وان قال قائل اني لا اشعر بشيء مما ذكر ولا ارى الدخان احدث بي ضرراً وانا دائب اليه من زمان طويل ، اجيبه : كل آتٍ قريب فأبشر بوخيم العاقبة فعادة التدخين كسائر العوائد السيئة اولها حلاوة وآخرها مرارة فمتى جاوزت الخمسين او ناهزت الستين تتراكم عليك اضرار التدخين . وما اجدر بالحكام ان يقفوا في وجه هذا العدو المدلس ويقتدوا بشترع ولاية نيوجرسي (New-Jersey) في الولايات المتحدة الذي حرم بيع الدخان للذين لم يبلغوا السادسة عشرة من عمرهم

فعلى الوالدين والمعلمين منع الاولاد بكل قوّة عن التورّط بهذه العادة المضرة وذلك بوسائل اللطف والاقناع فالذي يخلص ولداً من عادة التدخين يحبيه مادياً وادبياً اذ يوفر عليه اموالاً كبيرة وامراضاً شديدة . ثم اننا نثني خاصة عَلَى عقال الدروز الذين يعدون التدخين في جملة المسكرات وهو محرم في معتقدهم

وهاءنذا احصي ما وجدته من المنافع من ابطالي التدخين : « اولاً » عادت اليَّ شهوة الاكل التي كنت افقدها . « ثانياً » اشتد النبض الذي كان ضعيفاً عاجزاً عن ايصال الدم الى اطراف الجسم والى الوجه خاصة لذلك كنت اصفر اللون اما الان فقد عاد لون الشفتين الى احمراره وبقي لون الوجه عَلَى حاله لان اللون الاحمر لا يظهر عَلَى الوجه الاسمر . « ثالثاً » ان الدوار الذي كنت اشعر فيه كالسكران زال عني . « رابعاً » اشتدت عضلات جسمي واعصابي التي كانت ارتخت حتى كنت اتمايل

يميناً وشمالاً في مشيتي كالثمل ولم يكن قدمي يثبت في الارض والان صرت امشي كالاسد . «خامساً» وهذه اهم المنافع كنت أصبت بالنسيان والنسيان آفة الانسان وهذه المصيبة كانت من اكبر المصائب عليَّ لان الذاكرة راس مال الفتى فلم تعد حافظتي تعي ما كنت اسمعه وكنت انسى خاصة اسماء الاعلام . واما الان والحمد لله فقد عادت اليَّ القوة الحافظة ورجعت الذاكرة . والبرهان على ذلك اني ما نسيت ان اكتب هذه المقالة عن اضرار الدخان لينتفع منهـا كل مغرور به فيتلافى الشر قبل وقوعه ولو اسثاء بفعلي ولاة امر (الرجي) وبائعو الدخان ولكي اؤكد لهم بان لاخوف عليهم لان المثل يقول ما اكثر الناصحين واقل السامعين

كما اني بالتدخين قدمت نصيحة للرجال فاقدم بالكحل مثلها للسيدات ولو مـا صادقن عليها ويرون عليَّ ولكن هذا الحق

في الكحل

نشرت في مجلة المشرق في السنة الاولى ١٨٩٨ وجه ٢٠٦

كأن الانسان لم يكتف بالامراض العديدة التي تحيط به حتى اخترع بعض امور تلذ له ظواهرها وعاقبتها عذاب له واوجاع والمرء يُعذر اذا اصيب بعلة اته بقضاء ربه من حيث لا يدري لان اسباب الهلاك لا يعدها احصاء فمهما صنع الانسان لا يمكنه التملص منها جميعاً لكن من الامراض انواعاً لا علة لها سوى ارادة من ابتلى بها ومخالفة للقوانين الصحية فاذا عيرت احداً لم يستطع ان يبدي عذراً لانه جلبها لنفسه باطلاقه العنان لشهواته مع معرفته بسوء عواقبها فتراه لا يسمع كلام نذير ولا امر مدبر ولا يحذر حتى تؤدي به الى هلاكه قتباً لها من شهوات تضيع العقل وتعدم الراحة والصحة وتضحي انواع الرفاهية في سبيل الهوى الباطل

وما يزيد في غرابة الامر ان بعض هذه الامراض ناتج عن اقدام الانسان على شيء يلتذ به غيره ولا هو ينال منه الا الضرر والالم لكنه يفعل ذلك لينسب اليه الجمال ولعله هو خلوٌ منه ولا يجهل كذب من يصفه به

ومن جملة هذه العادات السيئة كحل العيون فاني متكفل باظهار اضراره وشرح

عواقبه لمن يستعمله طبعاً في استحسان غيره لمنظره وكفى المتكحل ذماً ما يقال في حقه انه ذو العين السوداء الكاذبة واني استميح المعذرة من المتكحلات اذا ما اتى الشيء يسوءهن في اثناء مقالتي هذه عن شرح مضار الكحل فانني طبيب رمدي وبهذه الصفة اشاهد عدداً وافراً من السيدات المصابات بامراض في عيونهن لا سبب لها غير الكحل ولا يمكن للطبيب ان يرى عادة يتأتى منها عدة اضرار ويسكت عنها فمن ثم قد تكلفنا هنا شرح ما تورثه هذه العادة الوخيمة من المرضى في العيون الا وهو المرض الكحلي

وقبل الابتداء بشرح اعراض المرض نذكر نبذة تاريخية في هذه العادة الجارية في العالم من القدم ولا نعلم ان احد بحث فيها بحثاً مدققاً لتبيين مضارها رغماً عن قدمها

« تاريخ الكحل »

قد ذكرنا في كتابنا صحة العين في فصل زينة العين عن تاريخ هذه العادة التي ابتدت ولم تزل في الشرق فاحببنا لاجل اتمام الفائدة ان نختصر ما قلناه وهو :

ان هذه العادة قديمة كالعالم فكل من المصريين والكلدانيين والاسرائيليين كان يستعملها وذكر المؤرخون دوربس وساموس ونقولا وهيمور بوس عن مردانابال ملك اشور انه كان يقضي مدة من الوقت في تكحيل عينيه وصبغ حاجبيه وتحسين وجهه وذكر ايضاً مؤرخو اليونان واللاتين هذه العادة فمنهم اوفيد قال ان النساء كنَّ يحشونَ حواجبهنَّ في المحل الخالي من الشعر ولم يكنَّ يخجلنَ من تزيين العين بمسحوق ناعم او بزعفران فيليقية وذكر بلين الطبيعي انه لم يكن يمضي يوم واحد على اهداب رجال زمانه ونساء عصره من دون ان تصبغ وذكر عدة مؤرخين عن استعمال مزيج من الاثمد والكبريت لتكحل العين ومن جملتهم بلين المذكور وفي الجيل الثالث عشر كانوا يعتبرون العيون السود اعتباراً عظيماً بحيث ان سواد العين كان يعد من اقوى الاسباب لاستمالة القلوب في ذلك الوقت فكانت صاحبة العين الزرقاء تجعلها سوداء بوسائط متعددة منها وضع عصارة الحمرة (البلادونا) داخل الجفن لان

خواص هذه العصارة ان تمدد الحدقة فتصير العين سوداء فكان ينتج من هذا التمدد المستديم ضرر عظيم بالبصر

اما اهل الصين فيستعملون ورق زهر الورد والتتر يحبون اللون الاصفر الضارب الى الحمرة فيتخذون لذلك العصيرة (البلسمين) ولا نتعرض في مقالتنا هذه لبقية المواد المستعملة لصبغ الوجه والحواجب وان كان تأثرها مضراً بالعين ايضاً وبالخصوص السبيداج الذي هو مركب رصاصي . وقد وجدوا في مدافن المصريين والفينيقيين مكاحل ومراود وغير ذلك

« قصة مضحكة » كنت زائر حلوان وهي مياه معدنية كبريتية وكانت احدى السيدات من جملة الزائرات وعندما خرجت من محل المياه ونظرت نفسها في المرآة وجدت لها وجهاً اسوداً كالزنوج فصرخت ونادتني وارتني حالها مفتكرة ان مرض غريب اصابها فطمنتها لانني عرفت ان السبيداج الذي كان على وجهها هو مركب رصاصي اتحد مع الكبريت المتصاعد فكون كبريتور الرصاص الذي هو الكحل ونصحتها ان لا تأتي حلوان مع الاسبيداج والا يذهب الحلوان

وكانوا بالاكثر يرسمون على هذه الالات صورة مسخ شنيع المنظر يدعونه البس يزعمون انه زوج الزهرة الاهة العشق وكانت غايتهم بهذا النقب ان يشيروا الى رجال قبيحي الصورة يتزوجون بجميلات

اما المرايا فكانت مشوهة برسم هذا المسخ لا تخلو منه البتة وربما غايتهم في ذلك الوقت ان يحسنوا للنساء في وجوههن وذلك ان التي تنظر وجهها في المرآة تجد هيئتها دائماً جميلة بالنسبة الى صورة المسخ الشنيعة واحياناً كانوا يرسمون شخص هذا المسخ قائماً بنفسه وحاملاً مكحلة فيها ميل يقدمها الى المتكحلات

« اعراض المرض »

لا يمضي يوم الا ويحضر الينا مرضى يشكون حرقاً في العين مع تدمع غزير وبعد الفحص المدقق نجد من الكحل كمية وافرة في بطن الجفن السفلي وهو المسبب لهذا الهيجان وعدا عن ذلك نرى حافة الجفن الملتصق عليها الكحل متهيجة سميكة والغدد التي توجد بين انسجتها ملتهبة ايضاً وحافة الجفن محمرة ملتهبة ويصير الشعر سريع

الانقصاف والسقوط حتى يتلف تماماً و ينتثر و يصير المنظر كريها جداً و يعسر ابطال عادة التكحيل لان من اعتاده وتسلمت بذلك اهدابه يحاول اخفاء هذا التشويه الناتج عن استعمال الكحل كما يحصل للذين يزينون وجوههم لكي يستروا التجعدات المسببة من استعمال الزينة

وقد احصيت عدد هولاء المرضى فكان في هذه السنة ما ينيف على المائة والخمسين وجميعهم في سن الشبوبية وكان خير علاج لهم ابطال هذه العادة فقط وبعض غسولات لنظافة الاهداب من الكحل ولعل جهل مضار هذه العادة كانت سبباً لانتشارها في بلادنا

ويحتمل ايضاً ان هذه العادة لم يجرِ عليها فقط للزينة بل ايضاً تخفيفاً لاشعة الشمس الزائدة عن المقدار اللازم للبصر في البلاد الحارة وكان ذلك كالهام مطابق للطبيعة لان اغلب سكان البلاد الحارة لهم عيون سود لاجل امتصاص واحتمال اشعة الشمس القوية

(تركيب الكحل الكيماوي)

يوجد عند العامة نوعان من الكحل : الاصبهاني والحجري وعند الكيماويين نوعان ايضاً الاول كبريتور الرصاص والثاني كبريتور الانتيمون الاسود وهذا الثاني اكثر استعمالاً من الاول ويعتني الناس به اعتناء كبيراً فضلاً عن التأثير الموضعي الذي يفعله في الهدب وفي الجفن كجسم غريب فان فعله الكيماوي اشد تأثيراً خصوصاً على غدد ميبوميوس (Meibimuis) وهي التي تفرز المادة الدهنية لاجل نعومة الجلد والشعر فبالاتحادات الكيماوية التي تحصل بين هذه المادة الدهنية وكبريتور الكحل تتولد اجسام اخرى لها خواص مخالفة للخواص الموجودة في المادة الدهنية فيفقد الشعر لينه وينقصف والقدر المفرزة تلتهب ويقل افرازها فتسمك حافة الجفن ثم ان البوبصلات الشعرية تصاب ايضاً فالشعر النابت فيها يكون ضعيفاً قليلاً ويتصل الالتهاب من حافة الاجفان الى الفتحات الدمعية وقنواتها فبسبب انسدادها فيسيل الدمع على الخدود سيلاً مستمراً يلزم ان يتعالج من اعتل به معالجة طويلة المدة

فهذه هي الاضرار التي اراها يومياً من الكحل فاردت ان انشر هذه الرسالة

لا طمعاً بان تسمع المتكحلات المزمنات لقولي وينتفعن به ولكن لكي انبه اللواتي يتكحلن من عهد حديث او اللواتي لم يتعودن الى الان عَلَى التكحل فيرتدعن عن اتخاذه ولعل هذه الرسالة تهيج عَلَيَّ غضب المتكحلات المزمنات ولكن استمرارهن عَلَى استعمال هذه العادة بعد هذه المقالة باخذ ثارنا منهن فالامل منهن عندما ينظرن وجوههن بالمرآة ان يتأملن في عيونهن ويعرفن صدق مقالنا

« المعالجة الادبية »

ان عادة التكحيل قد دخلت في هذه السنين الاخيرة بكثرة عند المتمدنات في بلادنا وعند النساء العاقلات ظناً منهن انها لا تضر وتزيد الهيئة جمالاً فعبثاً نحاول ازالة هذه العادة برسالة كهذه لاننا اول من كتب عنها ولا رجاء لنا ان نبطل هذه العادة عند من يألفها وانما غايتنا ردع من اراد ان يتعود عليها في المستقبل وخصوصاً البنات الخارجات من المدارس وارى ان المعلمات في المدارس يجب عليهن ان يظهرن للتلميذات اضرار هذه العادة ويعطين درساً بالاملاء عليها وعَلَى اضرارها حتى تأنف التلميذات منها فكما ان غاية المدارس هي حفظ الاداب كذلك يقتضي ان يتعلم التلامذة البعد عن اضرار الجسم والعقل والصحة فكما يوصيهم الاستاذ بتحاش ضرر القريب كذلك يلزم ردعهم عن ضرر ذاتهم

وعَلَى المعلمة ان تبين للبنات ضرر زينة العين والوجه وليوضع صور في المدارس للمصابين باضرار التكحل كما يلزم فعل ذلك في مدارس الصبيان من تعودوا شرب الدخان والمسكرات فيفهمون اضرارها سواء كان بالعقل او في الصحة او المال فهذا ضروري جداً

وسابين ان شاء الله في كتاب اسميه (امراض التمدن) جميع هذه الاضرار الناتجة من الدخان والمسكرات وزينة الوجه والفساد ولعب القمار واضرارها الصحية والعقلية والمالية والادبية لان هذه الامراض مضرة جداً وليس من قانون لمنعها ولا مبشر بمضارها لان الاباحة سهلت لفاعليها الاكثار من استعمالها ليس لها مانع الا العقل والعقل لا يقوى عَلَى العادة الا نادراً

وربما رأيت عقلاء يعرفون هذه الاضرار جيداً كالاطباء المجربين كل ذلك

مثلاً ومع ذلك تتغلب العاده على عقلهم واختبارهم وتعمي الانسان عن صالحه فكم يلزم من الملاحظة من الاهل والمعلمين والمعلمات لمنع هذه العاده عند هولاء الصغار الذين سلمتهم اياهم يد الربانية ولا يكفي في الابيداء وعظهم بالعقل فقط لانه لا عقل لهولاء الاولاد حتى يدركوا الاضرار المستقبلة غير المحسوسة بل يلزم القوه والقصاص لمنعهم واذا كبروا فليعملوا بالعقل الذي تساعده القوه المستعملة قبلاً والتربية الاولى فينبذون هذه العاده الذميمة ولولا ذلك لما فعل العقل شيئاً ما لم تحل نعمة خصوصية قوية جداً سماوية تحمل الانسان على ترك عوائده وقد اقتصرت في مقالتي هذه على ذكر الاضرار التي تحصل من كحل العين لانني اشاهدها يومياً راجياً بان تنتبه السيدات ويمنع الاباء والامهات بناتهم عنه وحتى تعرف الابنة الى اين مصيرها بعد هذه العاده ارجوها ان تطلب من والدتها المتعوده على الكحل ان تريها نفسها عند الصباح بعد قيامها من النوم فترى تلك العيون المسلخة المحمره المدمعة والحكة المستمره بها والشعر الضعيف القليل كانه محروق مقصف واذا كان باقياً اثر الكحلة السابقة ترى حول الشعر مواد لحمية كعيون الوقادي في البواخر واذا حل لون الكحل بسبب التدمع على خديها فترى ميازيب مواد قزره ولربما كلفتك ابنتها الابنة والدتك ان تقتلعي ما يحرق عينها ويسبب لها الحكة فتجدين في باطن جفنها السفلي خيوطاً مسوده مستقره في هذا الميزاب بين الجفن والعين التي تهيج من احتكاكها ببقايا الكحل كانه رمل او غبار متلبد داخل العين وخصوصاً اذا كانت زينة والدتك ليست مقتصره على العين فقط فتزين الوجه والحواجب والاسنان بحالة افضل منها من الثمانين فتأملي ايتها الابنة النضره الصباء وانعظي واكتفي بما اعطاك الله من الهيئة الطبيعية والصحة والعقل واطلبي من الله ان يرجع عقل والدتك لها ويريحها من كل ذلك وان لا يدخلك في التجارب بل ينجيك من التكحيل امين

(حكاية) كنت جالساً مع بعض البخلاء الاغنياء يدعي العلم وكنت اقرأ له في كتابي مجمع المسرات فكان كلما اصل الي مدح فلان يقول انه دافع الاشتراك اكثر من غيره وهكذا بحيث كان يبني اساس المدح والذم حسب الدفع او حسب طبعه فاخيراً قلت له فلنفترض ان هذا ممدوح لاجل اعطائه الاشتراك اما العطاء فضيلة

تمدح اتنكر ان هذا المشترك كريم النفس يحب العلم او كما تقول انه خائف مني اما الخوف فضيلة ايضاً وبه الانسان يستر عرضه لانه قيل ان اعظم المال ما يصرف لوقاية العرض ومع هذا اي شيءٍ يخوف هولاء المشتركين اللذين هم اكبر مني ومنك واذا كان يريد الشهرة بذكر اسمه فهذا احساس جميل ايضاً دليل على شرف النفس وحب الجاه فبأية طريقة كانت او باي سبب كان فان العاطي يمدح ويكرم مهما كان عذره للعطاء ولكن ما هو عذر من كان مثلك بخيلاً منتناً لا يتحمس ولا يندفع ولا يهمه غير حفظ الدرهم والذي بعد ما يكتب اسمه يلحسه فهل تتساوى مع ذاك بالمدح فالاحسن ان تسكت على عيبك ولا تنفي شرف النفس والغيرة والحب من الدنيا فخرس عند ذلك والامل ان يخرس كل نتن مثله يفتكر هكذا فكر

انتهى كتابي هذا بمصرفية دولة يوسف باشا ومن الان وصاعداً اجمع ما يجد عليَّ وما انظم واجمعه في آخر كل سنة فيكون ذيلاً لمجمع المسرات وعدد الاذيال يكون حسب سني حياتي في المستقبل وجعلت بدل هذا الذيل ربالين مجيدي كل سنة فمن اراد الاشتراك فليخابرني ويدفع سلفاً وربما البعض يقول انشاءالله لا يطلع له ولا ذيل والاخر يقول انشاءالله تتكرر اذياله بحيث ان الانسان يكون شيطاناً عند فئة وملاكاً عند اخرى فمثلي مثل باقي البشر

توفيق الكتاب

من اعظم توفيقات كتابي مجمع المسرات انتهاء طبعه في ٢٤ تموز ١٩٠٨ في اليوم العظيم الذي نُشر بهِ الدستور ونودي بالحرية فيكون حبل به في الظلم وولد في الحرية وقهراً عن ذلك فهو في تأليفه حرٌ قبل الحرية

﴿ فلتحيَ الحريَّة ﴾

الحرية التي نعرف حقيقتها فالحر حسب فكري من لا يكذب قوله فعله ولا يوبخه ضميره وجاره فالحر من استعبد لقوانين العدل ونظام الانسانية الحر من يكشف عن جبينه ويقول من يعيبني فهل من مرتكبٍ او سارق او فاسق يمكنه يقول هذا القول فاذا ليس بحرٍ فالحرُّ من حافظ على حقوق غيره وحقوقه هذه هي الحرية الحقيقية وليس كما اتخذتها صبيان قريتنا عندما بلغ معلمهم خبر الحرية اعطاهم يوم عطلة اكراماً لها وقال لهم انتم اليوم احرار اذهبوا بسلام فذهب قسم منهم بنهب عريشة جاره والاخر تينته والاخر سحرته وهكذا فهموا في الحرية فالامل ان نفهم عكس ذلك ونعرفها انها طاعة لقوانين الهيئة الاجتماعية ولا يمكن تعبيرها بغير ذلك فاذا اخذنا الكلمة على محورها اللفظي نقول ان الحرية هي ان يفعل الانسان ما يريد ولاجل فعل ما يريد يلزم ان يكن قادراً فمن من البشر قادر على فعل ارادته المطلقة وهل ارادتنا هي حرة كلا لاننا لانفعلها الا لغرض اوجبنا فعلها مثلاً اذا خيرت بين الذهاب والجلوس فلا يمكني افعل هذا او ذاك الا لسبب فهذا السبب هو العبودية لارادتي فاذا لست بحرٍ فالحرية الشخصية عديمة الوجود ولكن الحرية السياسية التي نلناها هي خلاصنا من الجاسوسية والمراقبة فالاولى تخربنا وتجعلنا محتالين غشاشين قاتلين وتجعل حياتنا بيد مفسدٍ دنيٍّ يبيعنا حسب شهواته والثانية تجعلنا في جهل وتاخرٍ بحيث نرى نفسنا ادنى من الحيوانات فالمراقبة هي التي جعلت صاحب مطبعة كتابي ان يقول طبع في مصر مع انه طبعه في بيروت والذي علمه الكذب هي المراقبة فلا ظلم امرّ من الجاسوسية ولا ضعف اذل من المراقبة التي تفتكر ان بمجرد كتاب او حرف في كلمة او كلمه في جملة تخرب المملكة وتغير افكار الرعايا فاي كتاب لحد الان عمل هذا العمل فاذا كانت الكتب الدينية ظهرت وغيرت العالم فالفضل ليس لها بل ان سفك دمه لانتشارها فهم مرسليها وشهداها ولذلك عندما تلاشت مرسلي زردشت ذهبت الزندافستا وهكذا غيرها

والسبب الثاني لانتشار مبدى هو جعل الناس مستعدة لقبوله فالظلم السابق يجعل الانسان يتغير بسهولة وينتقل الى مبدى ضده فهذه هي الاسباب التي تغير الافكار

فالدستور الذي هو الكتاب السيامي المقدس للمملكة العثمانية لا يمكن حفظه مالم تحفظه الجندية وتحامي عنه فيلزم عند دخول الجندي في العسكرية ان يحلف يمينا بالمحافظة عليه وكذلك كل مستخدم والامل من المبعوثان تعديله ولا يكون اجتماعهم كبرج بابل تتبلبل فيه اللغات لكثرتها ويتقلدون الخطباء الاقدمين بخطاباتهم ويخرجون من موضوع الاصلاح الحالي وان يسن لكل ولاية بعض قوانين مخصوصة حسب عوايدها ومناخها وعلمها وجهلها ليكن الاتحاد اعظم كما فعلت الولايات المتحدة: لان مملكتنا مكونة من ولايات فيها اعظم تمدن ومن اخرى متوحشة جداً فلا يمكن تكلم الاثنين بلغة واحدة: فحكمة المبعوثان ترتب ذلك

قصة عن المراقبة

قبلما شئت طبع كتابي طلبت احد المراقبين للنظر به كي اذا طبع لا يوجد سبب سيامي برقفه لحضر وعندما وصلنا الى لفظة امير قال يلزم حذف الحرف الاول حتى لا يشتبه بامير المومنين فقلت له ان لفظة مومنين تميز هذا الشبه فقال لا تجادل هكذا الامر وعندما رأيت لا سبيل للتعقل صرفته وذهب مع مراقبته بحفظ امير حسب حذفي لا حسب حذفه

الجندية

عليكِ سلام الله ياصاحبة السيف ولم تجرديه لاعظم عمل في الدنيا وهو تنزيل هيئة ظالمة واقامة اخرى حرة لم يذكر التاريخ حادثة مثلها لم يسفك فيها دماً فهذا من اعظم حكمتك يا ايتها الجمعية المعظمة جمعية الاتحاد والترقي التي ادهشت السياسة وخضعت لك الرياسة عليكما سلام الله يانيازي وانور ناشري الدستور ومدبري الامور

با كتابي

تحت ظل السيوف اصبحت حرًّا ... قم وحي السيوف في ذي الصفوفِ

قد غدوتم في جنةٍ بعد نارٍ ... جنة الخلد تحت ظل السيوفِ

الالف

التاء

الجيم

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

الظاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

صفحة	سطر	خطا	صواب
٤٩	٠	٩٤	٤٩
١٠٢	١١	والد	والدي
١١٠	٥	١١٣	٢١٣
١٣١	١٩	١٨٩٥	١٧٩٥
١٢٧	١٦	اخوه	اخوته
١٣٢	١٧	١٨٤٤	١٧٤٤
١٣٦	١٤	لهُ	لك
١٣٧	١٤	نوحاً	نوح
١٥١	٢	معلمين	معلمان
١٦٠	١١	ان	ابن
١٥٩	١٤	لا ترانا	لا يرانا
١٥٩	١٠	هو	٠٠
١٩٥	٤	لى	الى
〃	٨	الساكية	السياسية
〃	٢١	مله	مثله
〃	〃	شلحة	شلحه
〃	٢٢	عنقاً	حنقاً
٣٢	٢١	وقي	وباقي
١٦	٤	الثقلة	الثقيلة
١٢	٢٣	الحث	البحث
١٩	١٧	١٨٢	١٨٢٠
٢٢	١٦	تره	تراه
٣١	٢١	٠٠	اعمل
٣٣	٤	كاتوليلك	كاثوليك

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٦	٤	الخوري	٠٠
٤٠	٢٤	واحو	٠٠
١٨٧	٩	عملا	عملوا
١٨٠	٢٥	فقل	فقبل
١٩٨	٣	غربته	غربيه
١٩٦	٣	المخره	المجرة
١٩٤	١١	بفصلها	بفعلها
١٨٥	١٠	حكما	حكمها
٤٥٣	١٣	اخيها	اخوها
٢٠٥	٠٠	٢٥	٢٠٥
٢٠٥	١١	بشأنها	بشاشتها
٢ ٨	٧	نظره	انظره
٢١٢	١	الرب	الرمل
١٨٤	٩	٠٠	من تاريخ
٢٥٤	٢٠	يعطن	بعضهن
٢٥٤	٢٢	الافراخ	الافراح
٢٥٦	٩	وهنال	وهناك
٢٠١	١٠	١٨٥٤	١٨٦٣
٢٦١	١٧	والبو	والبوم
٢٦٢	١٠	ومتتاع	ومتاع
٢٧٤	٢٤	سواك	سوك
٢٨٠	١٧	وهي	وهو
٢٧٥	١٤	تركتي	تركني
٣٠٠	٢	ابقاها	الغاها

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٠٢	٧	سوريا	لسوريا
٣٠٢	٢٤	لهُ	لي
٣٠٧	٢	البنايات	بنيات
٣٤٤	١٢	الماهور	الاوج
٣٤٤	٢٥	اختصاصت	اختصاصات
٣٥١	٢١	لكنبسة	الكنبسة
٣٥١	٢٣	ما	〃
٣٥٣	١٥	ما	〃
٣٥٧	١٦	البنفقين	الفينيقيين
٣٦١	٤	الشحدر	الشحرور
٣٦٤	٢	بتفخر	يفتخر
٣٧٠	١٢	تحار	تختار
٣٧٠	١٤	خرجا	خرجتا
٣٧٢	١٢	فتاولت	فتناولت
٣٧٤	٥	سكيه	مسكه
٣٧٩	١٤	الابة	الاتية
٣٨١	١٠	يعينها	تبعيتها
٤٠١	١٩	الذبد	الزند
٤٠١	١٩	الشطه	الشظية
٤٠٢	١٢	المتدم	القدم
٤٠٨	٦	نه لا	لانه
٤٠٩	٢٤	بحثة	محضة
٠٠	١٥	قاسية	قاسيت
〃 〃	٢٣	نقل	ثقل

صفحة	سطر	خطا	صواب
٤١١	١٠	منلك	منك
٤١٠	نمره	١٠	٤١
٤١٠	٢٥	صناعته	صنعتك
٤١٣	٢٥	سمره	اسمره
٤١٦	١٠	كونيلو	كوتيلو
٤٢٣	٤	مع	من
٤٢٥	نمره	٢٤٥	٢٥
٤٢٨	١٩	سمحاً	
〃 〃	٢٥	فا	
٤٢٩	١٥	تباري	
〃 〃	١٧	قطر	
٤٣٠	١٣	السير	
〃 〃	〃	القر	
〃	١٦	لا	
〃	١٨	قشو	
٤٣١	٢٥	الحم	
٤٣٢	٨	الشرك	الشر
〃 〃	٩	خبروها	خبرو
〃 〃	١٨	شقيقاً	شفيعاً
〃 〃	٢٠	تعم	لعظم
〃 〃	٢٤	يسمون	ليمون
٤٣٣	٤	باشتداد	بانسداد
٤٣٤	٩	شراً	سراً
〃 〃	١٠	وصاة	دهاة

صفحة	سطر	خطا	صواب
٤٤٣	٥	يعاب	يصاب
٤٤٣	٥	بهاب	بها
٣٩٢	٢٣	الجبس	المجلس
٣٩٠	١١	يغمره	يغمزه
〃	١٦	مذكور	كور
		همان	حمدان
		بدچل	بدخل
		كان	كان
			تعين
			حبيبها
			جاد
			اسعار
			جيرب
			دعوى
			تشتهي
		ور	المشهور
		دعوه	دعوى
		البطريرك	البطرك
	٨	لهُ	لي
٥	١٧	كاوغلي	اوغلي
٥٧٦	٤	نسيب	سعيد
٥٥٨	١٧	١٧٩٩	١٨٩٩
٥٥٧	١٨	البروتيه	البيروفيه
٥٥٨	٢٣	سعره	شمره

صفحة	سطر	خطا	صواب
٥٩٢	١٩	منا	منها
٥٩١	١٦	كالصوقان	كالطوافان
٥٩٥	١٠	مقاني	مقالتي
٦١٢	١	حمور	صمور
٦١١	٦	فنا	قسّاً
٦١١	٧	.	صيامته
٦٢٤	٣	الغير	الغيره
〃	٢٦	الرطنيين	الوطنيون
٦٢٤	٢٢	منالاً	مثالاً
٦٢٥	١	٦٢	٦٢٥
٦٢٧	٤	..	قلت
٦٤٣	١٥	النظر	النظير
٦٤٤	٢٥	النبل	البنك
٦٥٧	٧	ينشرون	ينظرون
٦٦٠	١٧	معزل	معزول

لو كنت اجمع جميع الغلطات المطبعية لكان يلزمني كتاب آخر

فالرجاء من القارئ غض النظر عن الغلطات المطبعية وفتحه علَى الحقايق التاريخية

واذا كان يوجد شي مخالف للحقيقة فليخابرني لاصلاحه في الطبعة المستقبلة

الحمد لله الذي

انتهى

قبل ما انتهيت

DATE DUE

